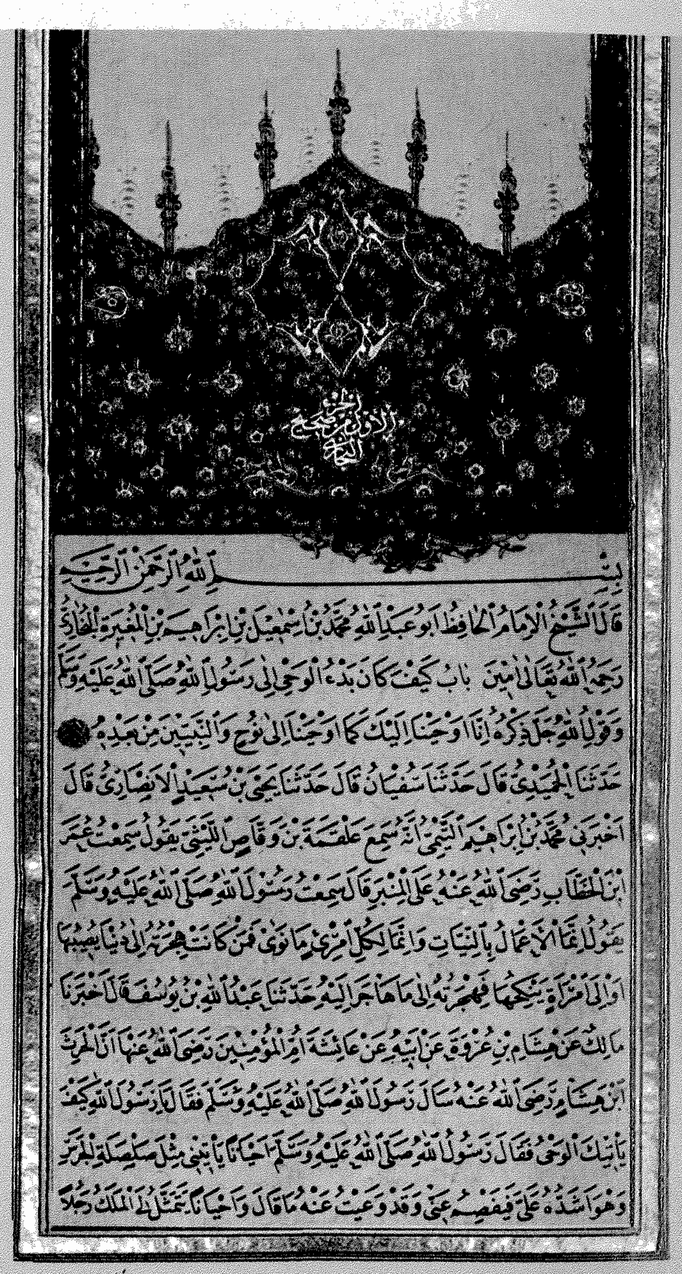
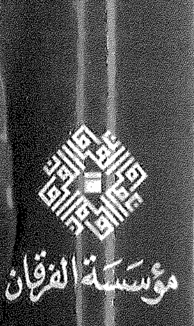
المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري
رحمه الله تعالى آمين باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول الله جل ذكره إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال
أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول سمعت عمر
بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها
أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحرث
بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف
يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس
وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي



مؤسسة الفرقان

أدّى إدراكٌ مُتنامٍ لأهميّة التُراث الإسلامي المَخْطُوط خلال الرُبع قَرْنٍ الماضي أو نحو ذلك، إلى ظُهُورِ أبحاثٍ جَديدَة عن إنْتاجِ الكُتُبِ في المُجْتمعات الإسلامية قَبْلَ إدْخالِ المَطْبَعَة. هكذا نَمت الكُوديكُولُوجيا، أي دِراسَة الكتاب أو عِلْم الكتاب، في مُحيطِ المَخْطُوطات الإسلامية. وفي الوَقْتِ نفسه أصْبَحَت الحاجَةُ إلى إعْدادِ مُتَخَصِّصين يَعْمَلُون في هذا المَجَال مَلْمُوسَةً أكثر فأكثر؛ لذلك قَرَّرَت مُؤَسَّسَةُ الفُرْقان للتُراثِ الإسلامي التي بدأت بالفِعْل بإعْداد بعض البَرامج في هذا الاتِّجاه ـ نَشْرَ هذا «المَدْخَل» كاسْتِجابَةٍ لهذا الوَضْع الجديد.

ويَهْدِفُ هذا الكتابُ الذي يَشْتَمِلُ على أكثر من مائة وخمسين صُورَةً وشكلاً تَوْضِيحيًّا وكَشَّافات وقائمةٍ ببْليوجرافية شامِلَة، قبل كُلِّ شيء، إلى تَوْفير دَليلٍ عمليّ للمُبْتَدِئين في دِراسَة الكُوديكُولُوجيا أو عِلْم المخطوطات، الذين سيجدون هنا مَدْخَلاً واضِحًا يَتَناوَل التِّقْنيات التي اسْتَخْدَمَها الحِرَفِيُّون وصُنَّاعُ الكتاب الذين انْخَرَطوا طَوال قُرُونٍ في إنْتاجِ الكتاب المَخْطُوط بدْءًا من صِناعَة الوَرَق وحتى تَجْليد الكتاب. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ حَجْمَ الاسْتِشْهاد بالوثائق نفسه ـ أكثر من سبع مائة مَخْطُوط أُحيل إليها ـ يَجْعَل من المُجَلَّد الحالي مَرْجِعًا حقيقيًّا لهؤلاء الذين هم مُتعايشون بالفِعْل مع عالَم المَخْطُوطات ويَتَطَلَّعُون إلى مادَّةٍ مُقارِنَة.

المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي

أنهى فرنسوا ديروش François Déroche دراسته الثّانوية في نانسي Nancy ومن ثَمّ قُبِلَ بمَدْرَسَة المُعَلمين العُلْيا ENS Ulm باريس حيث دَرَسَ بها بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٨ اللُّغات السّامية والآثار، وكذلك الدّراسات الكلاسيكية، ثم اجْتازَ دَرَجَة الإجازة agrégation في هذا المجال. وحَصَلَ بعد ذلك على الدكتوراه في نُقُوش Dedan، العُلا الحديثة، واحَةٌ تقَع شمال غربي شِبْه الجَزِيرَة العربية (١٩٨٧).

وعُيِّن، في سنة ١٩٧٩، عُضْوًا بالهيئة العلمية للمكتبة الوطنية بباريس وعَمِلَ بها حتى سنة ١٩٨٣ في الإعْداد لفهرس المَخْطُوطات العربية، حيث نَشَر تباعًا مجلدين عن المَخْطُوطات القرآنية (المَصَاحِف). واسْتَكْمَلَ دِراسَتَه للمَخْطُوطات العربية في إستانبول، أوّلًا كعضوٍ علْمي في المعهد العلمي الفرنسي للدّراسات الأناضولية بإستانبول (١٩٨٣-٨٦)، ثم على مِنْحَة من مُؤَسَّسة ماكس فان برشم بجنيف لبرنامج عن المَخْطُوطات القرآنية المبكِّرة (١٩٨٦-٨٨). وانْتُخِبَ في سنة ١٩٩٠ أستاذًا (مدير دراسات) بالمَدْرَسَة التَّطْبيقية للدّراسات العُلْيا بباريس في قسم التّاريخ والفيلُولُوجية حيث يُدَرِّس تاريخ وكُوديكُولُوجية الكتاب العربي المَخْطوط.

وبالإضافَة إلى فهرس المَخْطُوطات القرآنية بالمكتبة الوطنية بباريس (١٩٨٣-٨٥) نَشَرَ «تَقَاليد المَصَاحِف العَبّاسية من القرن الثّامن إلى القرن العاشر الميلادي» (١٩٨٩)، وبالتّعاون مع E. Von Gladis، دراسة عن مُصْحَف صَفَوي بمتحف الفَنّ الإسلامي ببرلين (١٩٩٩)، ومؤخرًا «الكتاب العربي المخْطوط، مُقَدِّمَة لتاريخ» (٢٠٠٤). ونَشَرَ كذلك مع S. Noja Noseda نُسْخَة طِبْق الأصْل لقطعتين من مُصْحَفَين مبكرين يرجع تأريخهما إلى النّصْف الثّاني من القرن الأوّل الهجري/ السّابع الميلادي (BnF Arabe 328 (a) و BL Or. 2165). وقامَ بنَشْرِ أعمال ثَلاثَة مؤتمرات عن المَخْطُوطات والكُوديكُولُوجية، وكَتَبَ العَديدَ من الأبحاث في هذين الموضوعين للعديد من الدُّوريات؛ كما أنّه مسئولٌ عن إصْدار الـ FIMMOD، نَشْرَة مكرّسَة لوَصْفِ مَخْطُوطات الشّرق الأوسط المُؤَرَّخَة قبل سنة ١٥٠٠م.

وانْتُخِبَ François Déroche سنة ٢٠٠١ عُضْوًا مُراسِلًا بمَجْمَع النُّقُوش والآداب بباريس. وهو رئيس المؤتمر الدُّوَلي للفَنّ التُّركي والـ SEMPAM، مُؤَسَّسَة تعليمية للدّراسات عن المغرب في العُصُور القديمة والوَسيطة؛ وهو عضو المَجْلِس العلمي لمُؤَسَّسَة ماكس فان برشم (جنيف) ومَجْلِس الفُرْقان للمُحافَظَة على التُّراث الإسلامي المكتوب (لندن).

صورة الغلاف:

الصفحة الأولى من صحيح البخاري بخط النسخ، لحسن رضا أفندي، 1913م - إستانبول.

مكتبة سراي طوب قابي، قسم البُرْدَة الشّريفَة، رقم 39.

رقم النشر : ١٠١



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Eagle House
High Street
Wimbledon
London SW19 5EF U.K
Tel: + 44 208 944 1233
Fax: + 44 208 944 1633
Email: info@al-furqan.com
http://www.al-furqan.com

فرنسوا ديروش

المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي

نقله إلى العربية وقدم له

أيمن فؤاد سيد



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لندن ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

Al-Furqân Cataloguing in Publication Data : : بيانات الفُرْقان للفهرسة أثناء النَّشْر

ديروش ، فرنسوا
المَدْخَلُ إلى عِلْم الكِتَاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العَرَبي ؛ نقله إلى العربية وقَدَّم له أيمن فؤاد سَيِّد .
Manuel de codicologie des manuscrits en écriture arabe, edited by François DÉROCHE, translated by Ayman FU'ÂD SAYYID.
لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٦٠٦ص ؛ ٢٤سم . ـ (منشورات الفرقان : ١٠١)
١ ـ المخطوطات العربية ٢ ـ المخطوطات الإسلامية ٣ ـ علم المخطوطات ٤ ـ صناعة المخطوط
ا. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ـ لندن . ب ـ ديروش ، فرنسوا (مؤلف) . جـ. أيمن فؤاد سَيِّد (مترجم). د. العنوان .
606pp.; 24cm
1. Arabic Manuscripts. 2. Islamic Manuscripts. 3. Codicology.
4. Making of the Manuscript
I. Al-Furqan Islamic Heritage Foundation (London) II. DÉROCHE (François), author III. FU'ÂD SAYYID (Ayman), translator. IV. Title. V. Series.

ISBN I 905122 01 2

Published by Al-Furqân Islamic Heritage Foundation, London, Uk
Printed by Al-Madani Printers, Cairo, Egypt

فِهْرِسْتُ المَوْضُوعات

صفحة

تَصْـــدير

تَرَكَّزَت أهْدافُ مُؤَسَّسَةِ الفُرْقان للتُّراثِ الإسلامي منذ تأسيسها في سنة ١٩٨٩ في تَشْجيع البَحْثِ والدِّراسَةِ في مَجالِ المَخْطُوطات الإسلامية رَصْدًا ودِراسَةً وفَهْرَسَةً وتَحْقيقًا ونَشْرًا. كما قامَت بعَقْدِ مُؤتَمَرٍ علمي كلَّ سنتين يتناوَلُ جانبًا من جَوانِبِ دِراسَة المَخْطُوطات، الْتَأم منها حتى الآن خَمْسَةُ مُؤْتَمَرات، كان مَوْضُوعُ المُؤتَمَر الثّاني منها ـ الذي عُقِدَ في ديسمبر سنة ١٩٩٣ ـ هو «دِرَاسَةُ المَخْطُوطات الإسلامية بين اعْتِباراتِ المادَّة والبَشَر»، مُتَنَاوِلًا مَوْضُوعًا جَديدًا في ذلك الوَقْت هو «الكُوديكُولُوجْيا» أو «عِلْم المَخْطُوطات»؛ وهو العِلْمُ الذي يهتمُّ بدِرَاسَة الجانِبِ المادِّي للكتابِ المَخْطُوط وما يُمَثِّلُه من فُنُونٍ باعْتِباره وَثيقَةً أثَرِيَّةً حَضارِيَّةً يَنْبَغي أن تُعامَلَ حَسَبَ قَوَاعِدَ أخرى غير تلك التي تهتمُّ بالبَحْثِ عن النُّصُوصِ القَديمَة ودِراسَتِها تَمْهيدًا لنَشْرِها.

وما زالَ هذا المَوْضُوعُ حَقْلًا بِكْرًا في مَجَالِ دِرَاسَة الكتاب العَرَبي المَخْطُوط، وهو على الأرْجَح ـ كما يَتَّضِحُ من خِلال هذا الكتاب الذي نُقَدِّمه اليوم ـ حِكْرًا على الباحِثين الغَرْبيين الذين اهْتَمُّوا بوَجْهٍ خاصٍّ بدِرَاسَة العَنَاصِر المُكَوِّنَة للمَخْطُوط: حَوَامِلِ الكِتابَة (البَرْدِي والرَّقّ والكاغَد)، والمَوَادّ المُسْتَخْدَمة في الكِتَابَة (الأقْلام والأمِدَّة والألْوَان والأصْباغ)، وشَكْل الكُرَّاسَات وأحْجامِها وتَرْتيبها، وشَكْل الصَّفْحَة وإخْراجِها وتَسْطِيرها، وتَزْويق المَخْطُوط وتَذْهِيبه والتَّجْليد أو التَّشفير. واهْتَمَّ الباحِثُون الغَرْبيون كذلك بدراسة الظُّروفِ التي أُنْتِجَ فيها هذا المَخْطُوط، والطَّريقَة التي اتَّبَعَها النُّسَّاخُ والوَرَّاقُون والمُزَوِّقُون والمُزَخْرِفُون والمُزَمِّكون والمُجَلِّدُون في مُباشَرَة عَمَلِهم، واخْتِلافِ البيئة الجُغْرافية والزَّمَنِيَّة، وأثَر ذلك على إنْتاجِ الكتابِ المَخْطُوط؛ وهي دِرَاسَةٌ تَتَطَلَّبُ تَضافُرَ الجُهُود بين الدِّراسات الإنسانية والدِّراسات المعملية (الكيميائية ـ الفيزيائية).

أمَّا الباحِثُون العَرَب والمسلمون الذين أسْهَمُوا في هذه الدِّراسَة، فقد رَكَّزُوا دراساتهم على الأخصِّ حَوْلَ ما يُطْلَقُ عليه «خَوارِج النَّصّ Ex-Libris»، كحُدُودِ المَتْن والتَّمَلُّكات وعَلاماتِ الوَقْفِ وما سُجِّلَ على المَخْطُوطِ من مُطالَعات وفَوَائِد، وكذلك الشَّهادات العلمية كالسَّماعات والقِراءات والإجازات، الأمْرُ الذي يَتَطَلَّبُ مَعْرِفَةً واسِعَةً بحَرَكَة الكتاب الإسلامي وعَلاقات الكُتُب بعضها ببعض وخُطُوطِ العُلَماء.

والكِتابُ الذي نُقَدِّمُ اليوم نَصَّه العَرَبي للمُخْتَصِّين العَرَب والمسلمين في مَجال المَخْطُوط الإسلامي، هو أهَمُّ دِراسَةٍ مُتكامِلَةٍ لهذا المَوْضُوع ظَهَرَت حتى الآن، وهو من تأليف عالِم المَخْطُوطات الفرنسي المعروف فرنسوا ديروش François Déroche، الأستاذ بالمَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا بباريس EPHE، وصَاحِب الإسْهامات المُهِمَّة في مجال عِلْم المَخْطُوطات، حيث نَشَرَ العَديدَ من المقالات المُتَخَصِّصَة في هذا المَوْضُوع، ونَظَّمَ حَوْلَه مُؤْتَمرات دَوْلية في إستانبول سنة ١٩٨٦، وفي باريس سنة ١٩٩٤، وفي بولونيا بإيطاليا سنة ٢٠٠٠؛ كما نَظَّمَ في بولونيا أيضًا، سنة ٢٠٠٢، أوَّلَ مُؤْتَمرٍ دَوْلي عن المَخْطُوطات القُرْآنية (المَصَاحِف). وجَاءَ إسْهامُه الأكبر في مجال الكُوديكُولُوجيا بتأليفِ هذا الكتاب والذي أشْرَكَ معه في كِتابَة بعض فُصُوله نُخْبَةً من المُتَخَصِّصين في دراسة المَخْطُوطات الإسلامية من العاملين على الأخَصِّ بمكتبة فرنسا الوطنية والمكتبة البريطانية «خَوْفًا من ذَهَابِ ثَمَرَةِ التَّجْرِبَة التي اكْتَسَبَها البَعْضُ على مَدارِ السِّنين دون أن تَتْرُكَ أثَرًا» كما يقول ديروش.

ومُؤَسَّسَةُ الفُرْقان للتُّراث الإسلامي إذْ تُقَدِّمُ اليوم هذه الطَّبْعَة العربية للكتاب، تَعْتَزُّ بأنَّها إنَّما تُؤَدِّي جزءًا من المُهِمَّة التي اضْطَلَعت بها، في الاهْتِمام بعِلْم المَخْطوطات، والحِفاظ على تُراثِ الأُمَّة الإسلامية منها، وتحقيق بعض كنوز هذا التُّراث وطَبْعِها ووَضْعِها بين أيْدي القُرَّاء.

ولقد تَوَلَّى إعْدادَ هذه الطَّبْعَة العربية، تَرْجَمةً وتَحْريرًا، الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سَيِّد مُؤَلِّفُ كتاب «الكِتاب العَرَبي المَخْطُوط وعِلْم المَخْطُوطات» (١٩٩٧) ومُحَقِّقُ كتاب «المَوَاعِظ والاعْتِبار في ذِكْر الخِطَط والآثار» لأحمد ابن عليّ المَقْريزي، الذي أكْمَلَت مُؤَسَّسَةُ الفُرْقان نَشْرَه في العام الماضي. وكان كُلٌّ من الدكتور مصطفى الطُّوبي والدكتور عبد الواحِد جَهْداني قد أعَدَّا الصُّورَة الأولى لترجمة الكتاب بالتَّنْسيق مع الدكتور أحمد شوقي بنبين مدير الخزانة الحَسَنية بالرِّباط وأحد أعْلام عِلْم المخطوطات بالمغرب العربي.

ومُؤَسَّسَةُ الفُرْقان للتُّراث الإسلامي تُسَجِّلُ شُكْرَها وتَقْديرَها لما بَذَلَه كُلٌّ من الأساتذة الكرام من جُهُودٍ متكاملة، وتَعْرِفُ لكُلٍّ منهم فَضْلَه.

نَسْأَلُ الله سبحانَه أن يَنْفَعَ بهذا العَمَل ويُوَفِّقَنا لما فيه مَرْضاتُه، إنَّه من وراء القَصْدِ وهو الهادي إلى سَوَاء السَّبيل.

أحمد زكي يماني

رئيس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

لندن في رجب سنة ١٤٢٦م

آب/أغسطس سنة ٢٠٠٥م

مُقدِّمَةُ المُتَرْجِم

تَحْتَلُّ الكِتابَةُ مَكانَةً مُهِمَّةً في الحَضَارَةِ الإسْلامية ، واسْتَخْدَمَت العَديدُ من اللُّغاتِ الإسْلامية الحَرْفَ العَرَبي في الكِتابَة مثل اللُّغات الفارسية والتُّرْكية العُثْمانية والأُرْدِيَّة ؛ كما اسْتَخْدَمَ غَيْرُ المسلمين الذين عاشُوا في دار الإسْلام اللُّغَة العربية وأَلَّفُوا بها مُؤَلَّفاتِهم ، والدَّليلُ الواضِحُ على ذلك هو حَجْمُ المَخْطُوطات المسيحية المكتوبة باللُّغَة العربية .

- ١ -

ويتناوَلُ هذا الكتابُ الذي أَلَّفَه عالِمُ المَخْطُوطات الفرنسي المعروف فرنسوا ديروش François Déroche، الأستاذ بقسم العُلُوم التَّاريخية والفيلُولُوجيَّة بالمَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا EPHE بباريس ، وأَشْرَكَ معه في كِتابَة بعض فُصُولِه نُخْبَةً من المُتَخَصِّصين في دِراسَةِ المَخْطُوطات الشَّرْقية من العامِلين على الأَخَصِّ بمكتبة فرنسا الوطنية BnF والمكتبة البريطانية BL، في مَدْخَلٍ وأحَد عشر فَصْلًا ـ العَناصِرَ الرَّئيسة لصِناعَة الكتاب المَخْطُوط المكتوب بالحَرْفِ العَرَبي ، وهو ما يُعْرَف اصْطِلاحًا بـ «كُوديكُولُوجْية المَخْطوطات» أو «عِلْم المَخْطُوطات» .

وما زالَ هذا المَوْضُوعُ حَقْلًا بِكْرًا في مَجَالِ دِراسَة الكِتابِ المَخْطُوط ، فقد تَرَكَّزَ الاهْتِمامُ الأوَّل لدارسي المَخْطُوطات منذ القرن السَّابع عَشَر في البَحْثِ عن النُّصُوصِ القَديمَة تمهيدًا لنَشْرِها ، وكانت قيمَةُ المَخْطُوط تَرْجِعُ إلى أهَمِّيَّة النَّصِّ الذي يحمله ، ومن ثَمَّ نَمَا عِلْمُ تَطَوُّر الخَطّ La paleographie في القرن التَّاسع عشر دون أن يتطَوَّرَ عِلْمُ دِرَاسَة المَخْطُوط في حَدِّ ذاته . وكان يجب الانْتَظار إلى مُنْتَصف القرن العشرين لنَشْهَد مَيلادَ الكُوديكُولُوجيا La codicologie أو عِلْم المَخْطُوطات . والمُصْطَلَحُ نفسه ذو أَهَمِّيَّة خاصَّة فهو يتكوَّن من الكلمة اليونانية *logos* التي تَعْني عِلْم ، والكلمة اللَّاتينية *codex* ، بمعنى الكتاب الرأسي المُكَوَّن من كُرَّاسات ، والذي حَلَّ محلّ اللَّفائف *volumen* في القُرُون الأولى للميلاد .

كان هذا العِلْمُ يُعْنَى في أوَّلِ الأمْرِ بدراسة تاريخ المكتبات والمَجْمُوعَات، إلَّا أنَّه أصْبَحَ بعد ذلك يُعْنَى على الأخَصِّ بدراسة الشَّكْلِ المادِّي للكتاب المَخْطُوط باعْتباره أثَرًا، أي دِرَاسَة العَنَاصِرِ المُكَوِّنَة للمَخْطُوط بصَرْفِ النَّظَر عن نَصِّ الكِتاب ومَوْضُوعه: حَوَامِل الكِتابَة (البَرْدي والرَّقّ والكاغَد)، والمَوَادّ (الآلات) المستخدمة في الكتابة (الأقْلام والأمِدَّة والألْوان والأصْبَاغ)، وشَكْل الكُرَّاسات وأحْجَامها وتَرْتِيبها، وشَكْل الصَّفْحَة وإخْراجِها وتَسْطيرها، وتَزْوِيق المَخْطُوط وتَذْهيبه، والتَّجْليد أو التَّسْفير.

والكُوديكُولُوجْيا كذلك هي دِرَاسَةُ كُلِّ ما لا يَرْتَبِط بالنَّصِّ الأساسي للمَخْطُوط الذي سَجَّلَه المُؤَلِّف، وهو ما يُطْلَق عليه «خَوَارِجُ النَّصّ Ex-Libris» كخُرُودِ المَتْن colophons المشتملة على اسْم النَّاسِخ ومَكان النَّسْخ وتأريخه والإشارَة إلى النُّسْخَة المنقول منها، والتَّمَلُّكات أو اسْم مُسْتَكْتِب النُّسْخَة، وعَلامات الوَقْف، وما سُجِّلَ على المَخْطُوطات من مُطالَعاتٍ وفَوائِد، وكذلك الشَّهادات العلمية كالسَّماعات والقِراءات والإجازات، والتَّعَرُّف على المَصْدَرِ الذي جَاءَ منه المَخْطُوط ورِحْلَته والمكان الذي اسْتَقَرَّ فيه أخيرًا.

وإضَافَةً إلى ذلك تَعْتَني الكُوديكُولُوجْيا أيضًا بدراسة الظُّرُوف التي أُنْتِجَ فيها المَخْطُوط، والطَّرِيقَة التي اتَّبَعَها النُّسَّاخُ والوَرَّاقُون والمُزَيِّنُون والمُزَخْرِفُون والمُزَمِّكون والمُجَلِّدون في مُبَاشَرَة عَمَلِهم، واخْتلاف البِيئَة الجُغْرافية والزَّمنية وأثَر ذلك على إنْتاج الكتاب المَخْطُوط؛ وتَعْتَني كذلك بدِراسَة تاريخ النُّسْخَة وتاريخ مجموعات المَخْطُوطات وكيفية تكوينها، وإعادَة بناء مَجْمُوعات المَخْطُوطات القَدِيمَة.

وبدأت كُودِيكُولُوجْية المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبِي مُتأخِّرَةً عن كُوديكُولُوجْية المَخْطُوطات اليونانية واللَّاتينية. ونستطيع أن نَعُدَّ عام ١٩٨٦ هو عام انْطلاقة عِلْم المَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْفِ العَرَبِي، فقد عُقِدَ في هذا العام أوَّلُ مُؤْتَمَرٍ عن كُوديكُولُوجْية مَخْطُوطات الشَّرْق الأوْسَط في إسْتانبول، نَظَّمَه مُؤَلِّفُ هذا الكتاب الباحِثُ الفرنسي المعروف François Déroche؛ وكان اخْتيارُ إسْتانبول لعَقْدِ هذا المُؤتمر ذا دَلَالَةٍ مُهِمَّة، فإسْتانبول هي المركز الأوَّل للمَخْطُوطات العربية والفارسية والتُّرْكية في العالم. وفي العام نفسه أصْدَرَ الباحِثُ الهولندي يان ياست ويتكام Jan Just Witkam في لَيْدِن المُجَلَّد الأوَّل من مجلة *Manuscripts of the Middle East*.

وتَتَابَعَ عَقْدُ المُؤْتمرات عن عِلْم المَخْطُوطات الشَّرْقية في الرِّباط سنة ١٩٩٢، وفي لندن سنة ١٩٩٣، وفي باريس سنة ١٩٩٤، وفي بولونيا بإيطاليا سنتي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٢؛ وصَدَرَت في سان بُطْرُسْبرج سنة ١٩٩٥ مجلةٌ مُتَخَصِّصَةٌ أخرى هي *Manuscripta Orientalia*، كما صَدَرَت في طهران سنة ٢٠٠٠م مجلة «نامه بهارستان *Nâmeh-ye Bahârestân*»، وهي مجلة إيرانية دولية تُعْنَى بدِرَاسَة المَخْطُوطات الإسلامية.

وبدأ كذلك الاهْتمامُ بالتأليف في مَوْضُوعِ عِلْم المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبِي. وعلى الرَّغْم من مُشارَكَة بعض الباحثين العَرَب في التأليف في هذا المَوْضُوع اعْتبارًا من العَقْد الأخير للقرن العشرين، فقد ظَلَّت هذه الدِّراساتُ حِكْرًا على الباحثين الغَرْبيين أمثال François Déroche و Francis Richard و Adam Gacek و Geneviève Humbert و Jan Just Witkam ومحمد عيسىٰ وَلي M. 'I. Waley؛ أمَّا الباحِثُون العرب والمسلمون الذين أسْهَمُوا في هذه الدِّراسات فيمثِّلهم إبراهيم شَبُّوح، وأحمد شوقي بِنْبين، وإيرج أفْشَار، وأيمن فؤاد سَيِّد، وعبد السَّتَّار الحَلْوَجي، وقاسِم السَّامَرَّائي، ونجيب مايل هَرَوي.

واهْتَمَّ الباحِثُون الغَرْبيون بوَجْهٍ خاصٍّ بدِرَاسَة الشَّكْل المادِّي للمَخْطُوط، وكذلك الظُّرُوف التي أُنْتِجَ فيها هذا المَخْطُوط، وهي دِراسَةٌ تَتَطَلَّبُ تَضَافُر الجُهُود بين الدِّراسات الإنسانية والدِّراسات المعملية (الكيميائية ـ الفيزْيائية)، وتَتَطَلَّبُ إجْرَاءَ تَجارِب وتحاليل اعتمادًا على عَيِّنات مأخُوذَة من الحَوَامِل (البَرْدي والرَّقّ والكاغَد (الوَرَق))، أو من الأحْبَار والألْوَان والأصْبَاغ المُسْتَخْدَمَة، وأن تَمْتَدَّ هذه الفُحُوصُ لتَشْمَل نماذِجَ من مكتبات ومَجْموعاتٍ مختلفة تُغَطِّي مِساحات جُغْرافية وَاسِعَة وفَتَرَات زَمَنِيَّة مُمْتَدَّة، وهو أمْرٌ لا يَتَوَفَّر للباحثين الشَّرْقيين. كما أنَّ الذين اهْتَمُّوا منهم بمثل هذا النَّوْع من الدِّراسة (إبراهيم شَبُّوح وأيمن فؤاد سَيِّد) اعْتَمَدوا فيه على ما وَرَدَ عنه في التُّراث المكتوب وفي أدَب هذه الصَّنائع، إضَافَةً إلى خِبْرَاتهم وملاحَظاتهم الشَّخْصية.

أمَّا الجُزْءُ المُتَّصِل بخَوَارِج النَّصِّ فهو المجالُ الوَاسِعُ الذي اخْتصَّ فيه الباحِثُون الشَّرْقيون، والذي يتَطَلَّبُ معرفةً واسعةً بحَرَكَة الكتاب الإسلامي وعَلاقات الكُتُب بعضها ببعض وخُطُوط العُلَماء وعلامات التَّمَلُّك والوَقْف والمطالعات والمُقابَلات والسَّماعات والقِراءات، وقسم كبيرٌ من ذلك لم تَعْرفه المَخْطُوطاتُ اليُونانية واللَّاتينية.

ولكي نُعْطي فِكْرَةً عَمَّا يُمَثِّله حَجْمُ التُّراث المَخْطُوط بالحَرْفِ العَرَبي بالنِّسْبَة للتُّراث الإنساني، نَذْكُر أنَّه يُوجَد في العالم نحو خمسين ألف مَخْطُوطٍ يوناني، ونِصْف مليون مَخْطُوطٍ لاتيني. أمَّا المَخْطُوطاتُ المكتوبة بالحَرْفِ العَرَبي فتبلغ ـ تَبَعًا لتقْدير بعض المُتَخَصِّصين ـ نحو سبعة أو ثمانية أضْعاف هذا الرَّقَم. ويرجع السَّبَبُ في ذلك إلى المكانة الكبيرة التي احْتلَّتها الكتابَةُ في الثَّقَافَة الإسلامية، وكذلك الانْتِشار الوَاسِع لها في الزَّمان والمكان. وقد تمكَّن مُحَرِّر كتاب Geoffrey Roper *World Survey of Muslim Manuscripts* (IV, pp. 359-61) من حَصْرِ ١٢٩ لغةً تَسْتَخْدِمُ الحُرُوفَ الهجائية العربية، تَمْتَدُّ مَكانيًا من المحيط الأطْلَنْطي غَرْبًا إلى بَحْر الصِّين شَرْقًا، ومن زِنْجِبار جَنُوبًا إلى شواطئ نهر الفولجا شمالاً (فيما يلي صفحة ٦١). وأُتيحَ هذا التُّراثُ المَخْطُوطُ على امْتِداد أكثر من ألْف عام، بل إنَّه ظَلَّ يُنْتَجُ في بعض المجتمعات حتى وَقْتٍ قريب، حيث يُمَثِّل المَخطوطُ في تُراث هذه المجتمعات شَكْلًا أكثر شُيُوعًا وأُلْفَةً للكتاب، وعلى ذلك فإنَّ دراسة هذه المَخْطُوطات لا تَعْني فقط دَارِسي الفَتْرَة الوَسِيطَة بل أيضًا دارسي الفَتْرَة الحَديثَة ورُبَّما المُعاصِرَة، وبذلك يُوجَدُ فارِقٌ مُهِمٌّ بينها وبين دِرَاسَة مَخْطُوطات العالم الغَرْبي الذي عَرَفَ الطِّباعَة منذ أواخِر القرن الخامس عشر الميلادي.

ولم تَسْتَخْدِم المَصَادِرُ الإسلامية لَفْظَ «مَخْطُوطٍ» للإشارَة إلى الكُتُبِ التي خَلَّفَها لنا القُدَماءُ، فقد وَرَدَ هذا اللَّفْظُ في المعاجِم العربية القديمة فقط كصِفَةٍ لشَكْلِ الكتاب المكتوب باليد، حيث وَرَدَ أوَّلُ ذِكْرٍ له عند الزَّمَخْشَري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، في كِتابِه «أساسِ البَلاغَة»، يقول في مادَّة «خَطَطَ»: «خَطَّ الكِتابَ يَخُطُّه ... وكِتابٌ مَخْطُوط»[١]. ثم تَسْكُتُ المعاجِم عن هذا اللَّفْظ حتى يُقابلنا مَرَّةً أخرى عند السَّيِّد محمد مُرْتَضى الزَّبيدي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، في «تاج العَرُوس» يقول في المادَّة نفسها: «كِتابٌ مَخْطُوطٌ أي مكتوبٌ فيه»[٢]. وإنَّما أشارَ القُدَماءُ إلى الكُتُب التي استفادُوا منها أو نَقَلُوا عنها بلَفْظِ «الكِتاب» أو «النُّسْخَة» أو

١. الزمخشري: أساس البلاغة، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٧٣، ١: ٢٤٠.

٢. الزبيدي: تاج العروس، مصر ـ المطبعة الخيرية ١٨٨٨، ٥: ١٢٩.

«الجُزْء» أو «المُجَلَّد»، مِثالُ ذلك قَوْلُ [ابن] النَّديم: «نَسَخْتُ هذه الكُتُب من جُزءٍ عَتيق» أو «قَرَأْتُ [رَأَيْتُ] بخَطٍّ عتيق»[٣]، وقَوْلُ ياقوت الحَمَوي: «قَرَأْتُ [رَأَيْتُ] في كِتاب عتيق» أو «وَجَدْتُ على نُسْخَةٍ قَديمَة»[٤]. وهو الوَضْعُ نفسه مع الكُتُب اليونانية واللاَّتينية، حيث لم يَدْخُل لَفْظُ manuscript إلى اللُّغَة الفرنسية إلَّا في عام ١٥٩٤م في مُقابل كلمة imprimé «مَطْبُوع» بسبب ظُهُور كُتُبٍ لم تُكْتَب بخَطِّ اليد، فقد أخَذَ الكتابُ المكتوب باليد يختفي شيئًا فشيئًا في أوروبا أمامَ مُنافِسٍ رَهيبٍ هو اخْتِراعُ المَطْبَعَة. أمَّا في العالَم العربي والإسلامي فقد اسْتَمَرَّ عَصْرُ الكتابِ المكتوب باليد حتى وَقْتٍ قريب، فلم تكتسب طِباعَةُ الكُتُب أهَمِّيَّةً في هذا العالم إلَّا عند مُنْقَلَبِ القرن الثَّامن عشر الميلادي، كما أنَّ غِيابَ المُعْجَم التَّاريخي للُّغَة العربية يجعل بَحْث هذا الموضوع من الصُّعُوبَة بمكان.

وحتى وَقْتٍ قَريبٍ كان ما يَشْغَلُ المُهْتَمِّين بأمْر الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العَرَبي هو البَحْثُ عن النُّصُوص ودِرَاسَة مُؤَرِّخي الفَنِّ للمَخْطُوطات المُزَوَّقَة. ولكن قِياسًا بالتَّطَوُّرات الحَدِيثَة التي عرفتها الأبحاثُ المُتَعَلِّقَة بالمَخْطُوطات الغربية، فقد تأخَّرَت الدِّراساتُ التي تناوَلَت الكتابَ المَخْطُوط بالحَرْفِ العَرَبي، وإن بدأ الآن تَدَارُك هذا التَّأخُّر. وتَرَى Geneviève Humbert أنَّ هذا التَّأخُّر ينحصر على الأقَلِّ في مَجالين: مَجال دراسة «تاريخ النُّصُوص» ومَجال «الكوديكولوجيا»[٥]. فمن المُؤكَّد أنَّه ما زالت هناك في المكتبات نُصُوصٌ لم تُكْتَشَف، ومَخْطُوطاتٌ بخُطُوطِ مُؤَلِّفيها autographes لم يُتَعَرَّف عليها. ونادِرًا ما وَصَلَت إلينا هذه المَخْطُوطات التي كتَبَها المُؤَلِّفون بخطُوطِهم، وإنَّما القاعِدَة العامَّة للنُّسَخ المحفوظة في المكتبات أنَّها نُسَخٌ مَنْسُوخَةٌ عن أصْلٍ قديم أو عن نُسَخٍ أحْدَث. وهذه النُّسَخُ هي الأسَاس الذي يتم من خِلالِه تَحْقيقُ النُّصُوص القديمة ونَشْرُها. وتُفيدُنا عَلاماتُ التَّمَلُّك وعَلاماتُ الوَقْف وقُيُودُ المُطالَعَة وإجازاتُ السَّماع والقِراءَة الموجودة على هذه النُّسَخ في التَّعَرُّف على

٣. ابن النديم: الفهرست، نشرة حسين تجدد، ٥١، ٢٧١، ٢٧٢، ٤٠٨.

٤. ياقوت: معجم الأدباء، نشرة أحمد فريد رفاعي؛ ٣: ٢٦، ٣١، ٤: ٢٦٤.

٥. Humbert, G., «La tradition manuscrite en écriture arabe», *REMMM* 99-90 (2002), pp. 8-9.

تاريخ نَصٍّ وانْتشاره واحْتِفاء العُلَماء به من خلال رِحْلَة المَخْطُوط، الأمْر الذي يُثْري دِرَاسَة تاريخ الإنْتاج الفكري العربي والإسلامي.

- ٢ -

ولعَلَّ من الغَريب أنَّ كُلَّ المُؤلَّفات التي وَصَلَت إلينا عن صِناعَة الكتاب العَرَبي المَخْطُوط كُتِبَت كُلُّها في بِلادِ المَغرب والأنْدَلُس؛ فرَغْمَ أنَّ حِرْفَة «الوِرَاقَة»، وهي الحِرْفَةُ المُخْتَصَّةُ بإنْتاجِ وتَوْزيعِ الكتاب العَرَبي، قد قامَت بدَوْرٍ مُهِمٍّ في الحَضَارَة الإسلامية منذ العَصْرِ العَبَّاسي، فإنَّه لم يَصِل إلينا أدَبٌ مَشْرِقيٌّ يُعَرِّفُ بكيفية صِناعَة الكتاب المَخْطُوط، ورُبَّما تَكْشِفُ لنا الأيَّامُ عن وُجُودِ مثل هذا الأدَب في الخَزَائِن غير المُفَهْرَسَة.

ومع ذلك، فإنَّ ما وَصَل إلينا من هذه المُؤلَّفات - على نَدارته - مُفيدٌ ومُتكامِلٌ في بابِه. ورُبَّما كان أقْدَمُ هذه المُؤلَّفات هو كِتابَ «عُمْدَة الكُتَّاب وعُدَّة ذَوي الألْباب» الذي أُلِّفَ على الأرْجَح للأمير الصِّنْهَاجي تَميم بن المُعِزّ بن باديس (٤٥٤-٥٠١هـ/١٠٦٢-١١٠٨م)[٦]. ويُعَدُّ هذا الكِتابُ أشْمَلَ ما وُضِعَ في صِناعَة الكتاب العَرَبي المَخْطُوط، فقد تناوَلَ فيه مُؤلِّفُه المجهول بتَوَازُنٍ وإيجاز انْتِخابَ الأقْلام الجَيِّدَة وبَرْيها على أجْنَاسِ الخُطُوط، وصِفَة الدَّوَاة واخْتيار آلاتها، وعَمَل أجْناسِ المِدَاد والأحْبار المُلَوَّنَة، وعَمَل اللِّيَق، وتَلْوين الأصْباغ وخَلْطَها، والكِتابَة بالذَّهَب والفِضَّة، وعَمَل ما تُمْحَى به الكِتابَةُ، وإلْصاق الذَّهَب والفِضَّة وصِفَة مَصَاقِله وصَقْله، وعَمَل الكاغَد وسَقْيه وتَعْتيقه، والجِلْد والتَّجْليد وجميع آلاته. ونَظَرًا لأنَّ نُسَخَ هذا الكتاب المَخْطُوطة يَرْجِعُ أقْدَمُها إلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وعَدَم قِيام أيَّة

٦. نَشَرَه عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٩٧١)، ٤٣ - ١٧٢، كما نَشَرَه نجيب مايل هَرَوي في طهران سنة ١٩٨٩؛ ونقله مارتن ليڤي إلى الإنجليزية انظر Levey, M., *Mediaevel Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*, Philadelphie 1962 [Transactions of the American philosophical Society, New series, vol. 52, part 4]، وانظر كذلك Porter, Y., «Une traduction persane du trailé d'Ibn Bâdis: '*umdat al-kuttâb*», *Mss M. O.*, pp. 61-67.

دِراسَةٍ تناوَلَت تاريخَ النَّصِّ، فقد شَكَّكَ مُؤَلِّفُو هذا الكتاب في القيمة الدَّقيقة لهذا النَّصِّ من مَنْظُورٍ تاريخي.

وبعد تَصْنيف هذا الكتاب بنحو قَرْنٍ ونِصْف، صَنَّفَ المَلِكُ اليَمَني المُظَفَّر يُوسُف ابن عُمَر بن علي الرَّسُولي، المتوفى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، كِتابَ «المُخْتَرَع في فُنُونِ من الصُّنَع»[٧]، اسْتَوْعَبَ فيه الأبْوَابَ العشرة الأولى من كِتابِ «العُمْدَة» اسْتِيعابًا حَرْفِيًّا وبشيءٍ من الانْتِقاء.

وإضَافَةً إلى هذين الكتابين هناك أدَبٌ مَحْدُودٌ وَصَل إلينا يُعَرِّفُ بصِناعة الأحْبَار والألْوَان وأساليب التَّزْيين وفَنِّ تَجْليد الكتاب، لعَلَّ أهَمَّها كِتابُ «الأزْهَار في عَمَلِ الأحْبَار» لمُؤَلِّفٍ مَغْرِبي يُدْعى محمد بن ميمون بن عِمْران المَرَّاكُشي الحِمْيَري، ألَّفَه في أثناء إقامته في بَغْداد في المَدْرَسَة المُسْتَنْصِرية سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، ووَصَلَ إلينا هذا الكتابُ في نُسْخَةٍ بخَطِّ المُؤَلِّف autographe الذي قَسَّمَه إلى سَبْع وعشرين مقالة لم يُنْجِز منها سوى المقالات السِّتّ الأولى وعُنْوان المقالة السَّابعة. وليس الكتابُ مَبْتُورًا مُنْقطِعًا كما يَتَبادَرُ إلى الذِّهْن وإنَّما تَوَقَّفَ مُؤَلِّفُه عامِدًا، كما يقول عالِمُ المَخْطُوطات المعروف إبراهيم شَبُّوح الذي تَوَفَّر على دِراسة هذا الكتاب، «بطَرِيقَةٍ لم يُصَادِف لها شَبيهًا، ذَاكرًا بالكتابة والتَّصْريح أنَّه يَمُرُّ - كما نَصْطَلِح بلُغَة اليوم - بأزْمَةٍ عاطِفيةٍ، عاقَتْه عن بَسْطِ مَقالات الكتاب».

وتناوَلَ ابنُ مَيْمُون في هذه المقالات السِّتّ أهَمَّ الطَّرائِق المُسْتَخْدَمَة في تَرْكيب الحِبْر والمِداد، واسْتطاعَ أن يُدَوِّنَ التَّجارِبَ التِّقْنية وأن يُقَدِّمَ عَمَلَه بمُقَدِّمَةٍ مُوَضِّحَةٍ، إلَّا أنَّ مَعْرِفَته بالعربية والتَّحَكُّم في اسْتعمالها - كما لاحَظَ ذلك الأستاذ إبراهيم شَبُّوح - كانت مَحْدُودَةً لما يتخلَّل بعض نُصُوصه من غُمُوضٍ في المَدْلولات وتَكَلُّفٍ في العِبارَة وخطأ في الرَّسْم وارْتباكٍ في العائد والمَوْصُول وخَلْطٍ وغَلَطٍ في وَضْع الحَرَكات على الأحْرف. واعْتَرَفَ المُؤَلِّفُ في مُقَدِّمته أنَّه أقْبَلَ في هذا التَّدْوين على إثْباتِ المَنْقُول عن العلماء المُتَقَدِّمين، ولم يُسْعِفه الوَقْتُ لتَمْحيص كلِّ ذلك بإعادَة التَّجْربة الشَّامِلَة إلَّا البَعْضُ الذي وَصَلَ إلى مَعْرِفَة حَقيقَته. ويُنْهي ابنُ مَيْمون مَدْخَلَ كتابِه ببَرْنامجٍ مُفَصَّلٍ

٧. نشره محمد عيسى صالحية في الكويت سنة ١٩٨٩.

لسَبع وعشرين مَقالَة قَسَّمَ كُلًّا منها إلى أبْواب ، غير أنَّه ـ للأسَفِ الشَّديد ـ لم يصل إلينا منه سوى المقالات السِّتّ الأولى مُتَمَّمَة وذكر عَناوين أبْواب المقالة السَّابعة فقط ، ثم تَوَقَّف المُؤَلِّف عن إتْمام الكتاب للأسْباب التي سَبَقَ أن ذكرناها .

ومن أهَمِّ ما يَذْكره ابنُ مَيْمون في هذا الكتاب ، وَصْفات لتَرْكيب المِداد مَنْسوبَة لكِبار العُلَماء والأُدَباء الذين تَرَكوا في الثَّقافَة الإسلامية أثَرًا كبيرًا مثل : عيسىٰ بن عُمَر النَّحْوي ، المتوفى سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م ؛ ومُسْلِم بن الوَليد ، المتوفى سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م ؛ وأبو عُثْمان عَمْرو بن بَحْر الجاحِظ ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م ؛ ومحمد ابن إسماعيل البُخَاري ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ؛ وبَخْتيشوع الطَّبيب ، المتوفى سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م ؛ وعبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ؛ ومحمد بن زكريا الرَّازي ، المتوفى سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م ؛ وأبو علي محمد بن مُقْلَة ، المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ؛ وأبو الفَرَج علي بن الحسين الأصْفَهاني ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م ؛ وأبو حَيَّان علي بن محمد التَّوْحيدي ، المتوفى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م ؛ وعلي بن هِلال البَوَّاب ، المتوفى سنة ٤٣٢هـ/١٠٣٢م ؛ وعلي بن هِبَة الله ابن ماكُولا ، المتوفى سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م ، وآخرون . ولم يَتَرَدَّد المُؤَلِّف بعد ذكره لصِفَة الحِبْر الذي كان يستخدمه الوَزير ابن مُقْلَة ، عن تَسْجيل أنَّه من تَرْكيب أهْلِ الهِنْد كما قيل له وهو بالمَدْرَسَة المُسْتَنْصِرية ببَغْداد . وهي المَرَّةُ الأولى التي نَعْرِف فيها هذا العَدَد من الأحبار مَنْسُوبَة إلى أصْحابها من أهْل العِلْم ، وقد ارْتَكَزت أمِدَّةُ هؤلاء الأعْلام على مُفْرَداتٍ مُشْتَرَكَة بينها هي : العَفْص Noix de galle والزَّاج Vitriol والصَّمْغ Gomme arabique والماء العَذْب . واسْتَغْنَى بَعْضُهم عن الصَّمْغ اكتفاءً بتألُّق السَّواد وثباته دون الحاجَة إلى ما يشدُّه إلى الوَرَقِ أو الرَّق ، وهذا ما كان عليه حِبْر مُسْلِم بن الوَليد والجاحِظ والبُخاري[8].

ولو وَصَلَت إلينا بقِيَّةُ مَقالات هذا الكتاب ، لكان أوْسَع وأشْمَلَ ما فُصِّلَ عن فُنُونِ الحِبْر .

٨. إبراهيم شبوح : «مصدران جديدان عن صِناعة المخطوط : حول فنون تركيب المداد» ، في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ١٥ـ ٣٤.

والكتابُ الثَّاني هو «تُحَفُ الخَواصّ في طُرَفِ الخَوَاصّ» لأبي بكر محمد بن محمد ابن إدْريس بن مالِك القُضاعي المعروف بالقَلَّوْسي (٦٠٧ـ ٧٠٧هـ/ ١٢١٠ـ ١٣٠٧م) ، وهو عالِمٌ لُغَوي من أهْل إسطابُونة Estepona بالأنْدَلُس اشْتُهِرَ بحِفْظِ «كتاب» سيبَوَيْه وكان حُجَّةً في العَرُوض والقَوَافي . وقد نَوَّه لِسانُ الدِّين بن الخَطيب بالقَلَّوْسي وكتابِه وقال عنه : إنَّه «رَفَعَ للوَزير ابن الحكيم [أبي عبد الله محمد بن عبد الرَّحمن اللَّخْمي الإشْبيلي] كِتابًا في الخَوَاصّ وصَنْعَة الأمِدَّة وقَلْع طَبْع الثِّياب غَريبًا في مَعْناه»[9]. ويَنْقسِمُ الكتابُ إلى ثَلاثَة أبْواب ، اخْتَصَّ البابُ الأوَّل بصِناعَة الأمِدَّة ، وتناوَلَ البابُ الثَّاني كيفية مَحْو (قَلْع) المِداد من الدَّفاتر والحِبْر من الكُتُب والصِّباغ من الثِّياب ، أمَّا البابُ الثَّالِث فاشْتَمَلَ على فَوَائِد تَتَّصِلُ بخواصِّ المُفْرَدات المُكَوِّنَة لأصْنافِ من المَوَادّ والأصْباغ وطُرُق إعْدادها[10].

وإلى جانب هذين الكتابين تَحْتَفِظُ دارُ الكُتُب المصرية بـ «رِسالَة في صِناعَة الأحْبار» مجهولة المُؤَلِّف تحت رقم ١٤ صِناعة تيمور .

وفيما يَخُصُّ التَّجْليد (أو التَّسْفير بلُغَة أهل المغرب) وَصَلَت إلينا ثَلاثَةُ كُتُبٍ مُهِمَّة ، أقْدَمُها كِتابُ «التَّيْسير في صِناعَة التَّسْفير» للفقيه بَكْر بن إبراهيم الإشْبيلي ، المتوفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م[11]، الذي كان ، كما يقول ابن الزُّبَيْر : «يَحْتَرِفُ تَسْفير الكُتُب» ، كما لا يَسْتَبْعِد ناشِرُه عبد الله كنون أن يكون من بين من عملوا في تَجْليد المُصْحَف العُثْماني في عَصْرِ الخَليفَة المُوَحِّدي الأوَّل عبد المُؤْمن بن علي ؛ فلا عَجَب إذًا أن يُؤَلِّفَ كِتابًا يَشْرَحُ فيه خُطْوات عملية تَجْليد الكُتُب وصِناعَتها[12]. ويبدأ الكِتابُ بمُقَدِّمَة تتضَمَّنُ بَيانَ الباعِث على تأليفه ، وفَضِيلة هذه الصِّنَاعَة ، وتَسْمِيته . ويَقَعُ باقي الكتاب في عشرين بابًا ، يَنْقَسِم كثيرٌ منها إلى فُصُولٍ حَسَب الأغْراض والمعاني التي تناوَلَها ، وفيما يلي بَيانُ هذه الأبْواب العشرين : ١ ـ بابُ الأداة . ٢ ـ بابُ الأغْرِيَة . ٣ ـ باب

٩. لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غَرْناطة ، حَقَّق نَصَّه محمد عبد الله عنان ، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٧٥، ٣: ٧٦.

١٠. إبراهيم شبوح : المرجع السابق . وقامَ بتحقيق هذا الكتاب وأعَدَّه للنشر حسام أحمد مختار العبادي وسيصدر عن مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية .

١١. نشره عبد الله كنون في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ٧ـ٨ (١٩٥٩)، ١ـ ٤٢.

١٢. نفسه ٦، عن جذوة الاقتباس لابن القاضي .

التَّخْزيم وحُكْمُه . ٤ ـ باب التَّقْفِيَة . ٥ ـ بابُ التَّسْوِيَة . ٦ ـ بابُ الحَبْك وحُكْمُه . ٧ـ بابُ التَّبْطِين . ٨ ـ بابُ البَشْر . ٩ ـ بابُ تَرْكيب الجِلْد . ١٠ ـ بابُ العَمَلِ في الأسْفَار البَوَالي . ١١ ـ بابُ طَبْخ البَقَّم . ١٢ ـ بابُ النَّقْشِ . ١٣ ـ بابُ نَقْش الضَّرْس . ١٤ ـ بابُ الأَمْثِلَة . ١٥ ـ بابُ العَمَل في الأَزْرَة والغِرَا . ١٦ ـ بابُ العَمَل في أَقْرِبَة المَصَاحِف . ١٧ ـ بابُ العَمَل في الأَقْرِبَة المَبْنِية . ١٨ ـ بابُ العَمَل في الجَوَامِع . ١٩ ـ بابٌ في النُّكَت . ٢٠ ـ بابٌ في العُيُوب . والكثيرُ من هذه الأبْوَاب تحته فُصُول ، إلَّا أَنَّا نُلاحِظُ مع الأسَف أنَّ بابَ الأَمْثِلَة ـ وهو الرَّابع عشر ـ خالٍ من أيِّ مِثال ، ولا نَدْري هل النُّسْخَة الأَصْلية التي نُقِل عنها المَخْطُوط المَنْشور كانت كذلك أم أنَّ ناسِخَ هذا المَخْطُوط هو الذي لم يُثْبِت هذه الأَمْثِلَة لسَبَبٍ من الأسْباب ، أو ربَّما لعَدَم استِطاعته رَسْمَها .

والكِتابُ الثَّاني أُرْجُوزَةٌ عُنْوانُها «تَدْبير السَّفير في صِناعَة التَّسْفير» لشَخْصٍ يُدْعى ابن أبي حَمِيدَة أو ابن أبي حُمَيْدَة ، عَاشَ في القرن التَّاسِع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[13]؛ ثم الرِّسالَة التي كَتَبها ، سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٦م ، أبو العَبَّاس أحمد ابن محمد السُّفْياني بعُنْوان «صِناعَة تَسْفير الكُتُب وحَلّ الذَّهَب»[14].

يضُافُ إلى ذلك بعضُ الرَّسَائِل وفُصُولٍ من الكُتُب تناوَلت بالحَديث الأقْلام وبَرْيَها والدَّواة وصِفَتَها وآلاتها وجَوْدَة الخَطّ وتَحْسينه ، لعَلَّ أَقْدَمَها «كِتابُ الكُتَّاب وصِفَة الدَّوَاة والقَلَم وتَصْريفها» لأبي القاسِم عبد الله بن عبد العَزيز البَغْدادي الكاتِبِ النَّحْوي الضَّرير مُؤَدِّب المُهْتَدي بالله (نحو سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م)[15]؛ و«رِسَالَة أبي حَيَّان الصُّوفي في عِلْم الكِتابَة» ، لأبي حَيَّان علي بن محمد بن العَبَّاس التَّوْحيدي الصُّوفي البغدادي ، المتوفى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[16]؛ والفَصْلُ المُهِمّ الذي أَفْرَدَهُ أبو العَبَّاس

١٣. منها نسخة دار الكتب المصرية برقم ٨/٣١٩ مجاميع ونشرها آدم كجيك Gacek, A., «Ibn Abî Hamidah's didactic poem for bookbinders», *MME* VI (1992), pp. 41-56.

١٤. نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحَلّ الذَّهَب» ، باريس بول جوتنير ١٩١٩، ١٩٢٥.

١٥. نَشَرَه دومنيك سورديل بعنوان Sourdel D., «Le 'Livre des Sécrétaires' de 'Abdallâh al-Bagdâdî», *BEO* XIV (1952-54), pp. 105-153.

١٦. نَشَرَها ونَقَلها إلى الإنجليزية فرانز روزنتال Rosenthal, F., «Abû Hayyân al-Tawhîdî on Penmanship», *Ars Islamica* XIII-XIV (1948), pp. 1-30.

أحمد بن علي القَلْقَشَنْدي ، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م ، في كِتابِه المَوْسُوعي «صُبْح الأعْشَى في صِناعَة الإنْشَا» للحَديث عن آلات الخَطّ ومَبادِيه ، والآلات التي تشتمل عليها الدَّواة ، والقَلَم وبَرْيه ، والمِدَاد والحِبْر وصَنْعتهما ، ولِيَق الافْتِتاحات ، وما يُكْتَب فيه من قَراطيس ووَرَق[17]؛ وما لَخَّصَه زَيْنُ الدِّين عبد القادر بن إبراهيم الأنْصاري الجَزيري الحَنْبَلي ، المتوفى بعد سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م ، في كِتابِه «الدُّرَر الفَرَائد المُنَظَّمَة في أخْبار الحَاج وطريق مكَّة المُعَظَّمَة» ونَظَمه الشَّيْخُ نُورُ الدِّين على العَسيلي في واحِدٍ وعشرين بيتًا[18]؛ وأخيرًا رِسَالَة «حِكْمَة الإشْراق إلى كُتَّاب الآفاق» ، للسَّيِّد محمد مُرْتَضى الزَّبيدي ، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م[19].

ـ ٣ ـ

إنَّ هَدَفَ هذا الكِتاب هو تَقْديمُ نُقْطَة انْطلاقٍ لأبحاثٍ أكثر دِقَّةٍ وأكثر تَنَوُّعٍ عن العَناصِر المادِّية للكتاب المَخْطُوطِ بالحَرْفِ العربي وعن خَوارِج النَّصّ والظُّروف التي أُنْتِج فيها هذا المَخْطُوط . فَرَغْم وُجود عَدَدٍ من الدِّراسات المُتَخَصِّصَة في هذا المجال ، فإنَّها ما تَزالُ في بداياتها بالقِياس إلى كِبَر حَجْم المادَّة الوَثائقية المَطْلُوب دراستها وتَنَوُّعها تاريخيًّا وجُغْرافيًّا . كما أنَّ الدِّراسَة الكُوديكُولُوجية تَتَطَلَّبُ الفَحْصَ المُباشِر للمَخْطُوطات المَطْلُوب دراستها ، وأَخْذ عَيِّناتٍ منها أحيانًا لإخْضاعِها لاخْتباراتٍ معملية ، وهو أمْرٌ غير مَيْسُورٍ دائمًا وعلى الأخَصّ في مكتبات العالم العَرَبي والإسلامي ؛ فأيُّ صُورَةٍ مُسْتَنْسَخَةٍ للمَخْطُوط ، مهما كانت ممتازة ، لا تَسْمَح بالتَّعَرُّف على اللَّوْن الدَّقيق لمادَّة الكِتابَة وقِياسِ كَثافَتها وتَقْدير سُمْكِها ، أو مُلاحَظَة وُجود كَشْطٍ أو مَحْوٍ بها ، أو قِياسِ حَجْم المُجَلَّد وحِساب عَدَدِ كُرَّاساته وحَجْمِها وطَريقَة حَبْكِها ، وكذلك دراسة المِسْطَرَة والأحْبَار والألْوان والتَّذْهيب ، إضافَةً إلى

١٧. القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة دار الكتب المصرية ، ٢: ٤٤٠ـ ٤٨٨. ١: ٣٧٧ـ ٣٩٣.

١٨. الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، أعَدَّه للنشر حمد الجاسر ، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٩٨٣،

١٩. نَشَرَها عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات (المجموعة الخامسة) ، القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤، ٦٢ـ ٩٨.

التَّجليد وتِقْنياته ؛ لأنَّ أيَّ وَصْفٍ كُوديكُولوجي كامِلٍ لمُجَلَّدٍ ما لا يُمْكن أن يَتِمَّ إلَّا عن طريق فَحْصِ المَخْطُوط الأصْلي .

وكان مِمَّا سَاعَدَ مُؤلِّفي هذا الكتاب على إعْطاءِ صُورَةٍ عامَّة عن تَطَوُّرِ صِناعَة المَخْطُوط العَرَبي منذ البدايات الأولى لصِناعَة المُصْحَف وتَجْليده مُرورًا بالمَرَاحِل المختلفة لتَطَوُّر هذه الصِّنَاعَة من الدَّوْلَة العبَّاسية إلى الدَّوْلَة الفاطمية ودَوْلَة المماليك في مصر والشَّام ، وما أدْخَلَه الفُرْسُ والهُنُودُ ثم الدَّوْلَةُ العُثْمانية من تَطْويرٍ على هذه الصِّناعَة ، وكذلك ما مَرَّت به في المغرب والأنْدَلُس قَبْل سُقُوط غَرْناطَة ، وغيرها من المناطِق الجُغْرافية التي سَادَ فيها الكتابُ الإسلامي المَخْطُوط ، هو أنَّ المكتبات الأوروبية بسبب طَبيعَة تكوينها ـ خِلافًا لمكتبات الشَّرْق ـ تَشْتملُ على تَنَوُّعٍ كبيرٍ من المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي ، لأنَّها جُمِعَت من جميع هذه الأصْقاع ، وتَتَضَمَّنُ مَخْطُوطات تُمَثِّلُ جَميعَ هذه العُصُور ، بينما تَخْتصُّ المكتباتُ الشَّرْقية عادَةً بما كُتِبَ في مُحيطها الجُغْرافي وفي فَتَرات غير مُتَّصِلَة ، وبذلك فإنَّها لا تستطيع أن تُقَدِّمَ لعالِم المَخْطُوطات هذا التَّنَوُّع الذي تُوَفِّره المجموعاتُ المحفوظة في مكتبات أوروبا أو في مكتبات إستانبول والأناضُول ، وهو ما يَتَّضِحُ في هذه الدِّراسَة التي تمكَّنَ مُؤَلِّفُوها من تقديم لَوْحَةٍ شِبْه مُتكامِلَة من خِلالِ مجموعات مكتبة فرنسا الوطنية BnF وبعض المكتبات الأوروبية الأخرى (برلين ولندن ودَبلن وڤيينا والفاتيكان والأمبروزيانا) ومكتبات إستانبول .

ويبدأ هذا الكِتابُ بمَدْخَلٍ تَناوَلَ فيه فرنسوا ديروش François Déroche، المُؤلِّفُ الرَّئيس لهذا الكتاب ، تَطَوُّرَ شَكْل الكتاب حتى اسْتِقْراره على الشَّكْل المعروف حاليًا بالـ *codex*، ومَكانَة عِلْم المَخْطُوطات «الكُوديكُولُوجيا» في دراسَة المَخْطُوطات ، وشاركه في كتابة بَقِيَّة المَدْخَل كُلٌّ من برنارد جينو B. Guineau وجون فزان J. Vezin اللذان تَحَدَّثا عن المناهِج المَعْمَلية المُتَّبَعَة في هذه الدِّراسَة ، سواء بالمعاينة المباشِرَة أو بالطُّرُق المِخْبَرية ثم مجال هذه الدِّراسة .

وتناوَلَ ديروش .F.D كذلك في الفَصْل الأوَّل دِراسَة «الحَوَامِل أو مَوادّ الكتابة : البَرْدي والرَّقّ» ، فحَدَّثَنا عن الأصْلِ النَّباتي للبَرْدي وكيفية صِناعَته واسْتِخْدامه في المَخْطُوطات العربية وطُرُقِ حِفْظه ، وأيضًا إمكانية إعادَة اسْتِخْدامه ، ثم متى تَوَقَّفَ

اسْتِخْدامُه نهائيًّا مع ظهور الكاغَد كمنافِسٍ خطيرٍ له وللرَّقّ . وإذا كان البَرْدي ذا تَكلفةٍ عالية لأنَّه يجب جلبه من المناطق التي يُزْرَع فيها ، فإنَّ الرَّقَّ ـ الذي تَزامَن اسْتِخْدامُه مع البَرْدي ـ كان من أصْلٍ حَيَواني ويمكن تصنيعه في أيِّ مَكانٍ في العالم ، وهي مَيْزَة مُهِمَّة جَعَلَت اسْتِخْدامَه يستمر فَتْرَةً أطْوَل من اسْتِخْدام البَرْدي وعلى الأخَصِّ في المَغْرِب الإسلامي . وأشارَ .F.D إلى طَريقَة تَصْنيع الرَّقّ وأهَمِّ خَصَائصه مُمَثِّلًا لذلك بنَماذِجَ من مَصَاحِف ومَخْطُوطات محفوظة على الأخَصِّ في مكتبة فرنسا الوطنية BnF، كما أشَارَ كذلك إلى الاستخدامات المختلفة الأخرى للرَّقّ وعُيوبه ومَزاياه والطُّرُق المِخْبَرية لفَحْصِه وإمكانية تَحْديد نَوْع الحَيَوان المَصْنُوع منه الرَّق .

أمَّا فرنسيس ريشارد Francis Richard فقد ناقَشَ في الفَصْلِ الثَّاني حَامِلًا آخر من حَوَامِل الكتابة نَجَحَ في الإحْلال مَحَلَّ البَرْدي والرَّقّ واسْتَمَرَّ اسْتِخْدامُه حتى الآن ، هو «الكاغَد أو الوَرَق» ؛ مُشيرًا إلى كيفية تَعَرُّف المسلمين عليه وانْتِقال صِناعَته إليهم عن طَريق الأسْرَى الصِّينيين الذين أُسِرُوا في أعْقاب مَوْقِعَة طَراز ، سنة ١٣٣هـ/٧٥١م ، وكيف ذَاعَ الوَرَقُ وانتشرت مَطَابِخ صِنَاعَته منذ الرُّبْع الأخير للقرن الثَّاني الهجري/ الثَّامن الميلادي . وأشَارَ .F.R إلى الخَصَائص المُمَيِّزَة للوَرَق غير ذي العَلامَة المائية وتحديد ألْيافه وخُطُوطه المُمَدَّدَة وخُطُوطه المُسَلْسَلَة ، وكذلك إلى الوَرَق ذي العَلامَة المائية وتَطَوُّر صِناعته في الغَرْب وكيف حَلَّ مَحَلَّ الوَرَقِ البَلَدي في البلاد الإسْلامية أوَّلًا في المغرب ثم في مصر والشَّام والدَّوْلَة العُثْمانية . وأشَارَ .F.R كذلك إلى ابْتِكار المسلمين لأنْواعٍ مختلفة من الوَرَقِ اسْتُخْدِمت في المَخْطُوطات الإسلامية ذات القيمة مثل الوَرَقِ المَصْبُوغ والوَرَقِ المُظَلَّل والوَرَقِ المُرَقَّش والوَرَقِ المُجَزَّع (الإبْرو) .

ويمكن أن نُشيرَ هنا إلى دِراسَةٍ حَديثَةٍ ظَهَرَت بعد ظُهُور الأصْل الفرنسي تَناوَلَ فيها الباحِثُ الأمريكي جوناثان بلوم Jonathan Bloom تاريخَ الوَرَقِ في العالم الإسلامي قبل الطِّباعَة ، نُشِرَت سنة ٢٠٠١ Bloom, J., *Paper before Print. The History and Impact of Paper in the Islamic World*, New Haven - London, Yale University Press, 2001.

وناقَشَ فرنسوا ديروش .F.D في الفَصْل الثَّالِث في دِرَاسَةٍ علمية مُتَمَيِّزَة «كُرَّاسات المَخْطُوط» وأنواعها المختلفة وكيفية تركيبها وبعض الحالات الشَّاذَّة لشكل الكُرَّاسات، وضَرُورَة الفَحْص المُتَأَنِّي للكُرَّاسات والتأكُّد من تَسَلْسُل النَّصِّ المكتوب فيها وعَدَم فَقْد أيٍّ من أوْراقِها أو اسْتِبْداله. ومَيَّزَ .F.D بين وَصْفِ الكُرَّاسات الرَّقِّيَّة ووَصْفِ الكُرَّاسات الوَرَقية، وتَطْبيق قاعِدَة جريجوري Gregory عليها، نسبةً إلى العالِم الألماني الذي كان أوَّلَ من لاحَظَ أنَّ الجانبين المتقابلين لوَرَقَة كُرَّاسَةٍ رَقِّيَّة يكونان دائمًا من طبيعَةٍ واحِدَة، الشَّعْر أو اللَّحْم. وتَساءَلَ .F.D هل جَدَّدَ الرَّقَّاقُون المُسْلِمون في هذه الطَّريقة أم أنَّ مُمارَسَاتهم تَنْدَرِج تحت تَقْليدٍ آخَر؟ وكان للمَغْرِب نَصيبٌ خاصٌّ في الدِّراسَة فقد ظَلَّ الرَّقُّ مُسْتَخْدَمًا في المَغْرب، على عكس المَشْرِق، زَمَنًا طويلًا. ولاحَظَ .F.D كذلك وُجودَ كُرَّاساتٍ مُخْتَلِطَة تَمْزِجُ سَواءً بين الرَّقِّ والبَرْدي أو بين الرَّقِّ والوَرَق، بهَدَفِ الاسْتِفادَة من مُقاوَمَة الرَّقِّ في الأماكن الظَّاهِرَة والاسْتِفادَة من رِخَص الوَرَق - في حالة الكُرَّاسات الوَرَقية - باسْتِخْدامه في المَوَاضِع غير الظَّاهِرَة. واسْتَشْهَدَ لذلك بأنْموذَجَيْنِ محفوظين في مكتبة فرنسا الوَطنية BnF. وتَناوَلَ بعد ذلك أشْكالَ الكُرَّاسات المختلفة واستِخْداماتها.

واشْتَرَكَ فرنسوا ديروش .F. R ومحمد عيسى ولي وبرنارد جينو .B.G في كتابة فَصْل «أدَوَات (آلات) وتَحْضيرات صُنَّاع الكتاب». حيث تَنَاوَلَ .F.D أدَوَات النُّسَّاخ والمُصَوِّرين والمُزَيِّنين مُمَثَّلَةً في «القَـلَم» وصِناعته، و«السِّكِّين» المُخَصَّص لبَرْي القَلَم و«المِقَطّ» الذي يُقَطُّ عليه السِّنّ، و«المِحْبَرَة» أو «الدَّوَاة»، و«اللِّيقَة» التي تَسْمَح بالتَّحَكُّم في كمِّيَّة المِداد التي يستَمِدُّها القَلَم، و«المِلْوَاق» الذي تُلاق به المِحْبَرَة، أي تُحَرَّك به اللِّيقَة لتَجَنُّب رُسُوب المِداد، و«المِصْقَلَة» التي يُصْقَلُ بها الذَّهَبُ بعد الكِتابَة، و«المِسْطَرَة» وهي آلَةٌ من خَشَب مُستقيمَة الجَنْبَيْن يُسَطَّرُ عليها ما يُحتاجُ إلى تَسْطيره من الكِتابَة ومُتَعَلِّقاتها، و«البِرْكار» الذي يُسْتَخْدَم في بناء المِساحَة المُسْتَغَلَّة في الكتابة، وغيرها من الآلات.

أمَّا محمد عيسى ولي فقد تَناوَل «أدوات المُصَوِّرين والمُزَيِّنين» كـ«المِصْقَلَة» و«الفُرْشَاة» و«المراسم» (م. مِرْسام) التي يَسْتَخْدِمها فقط المُزَيِّنُون والمُنَمْنِمُون

والمُجَلِّدون، وكذلك الأمِدَّة والأحْبار، وأشارَ فيما يَخُصُّ الأمِدَّة السَّوْداء إلى أنَّ العالم الإسلامي عَرَفَ مجموعتين مُتَمَيِّزتين من الأمِدَّة السَّوْداء: الأنْوَاع القائِمة على أسَاسٍ كربُوني، والأنْوَاع المُرَكَّبَة من عُنْصُرٍ عَفْصي ومن مِلْحٍ مَعْدني، إضافَةً إلى مجموعةٍ ثالثةٍ تجمع بين التَّرْكيبتين. ويُطْلَقُ على الأنْواع التي تَسْتَخْدِم الكربون اسم «المِدَاد» ويُطْلَقُ على الأخرى «الحِـبْر»، وإنْ كان الأمْرُ، كما يرى إبراهيم شَبُّوح، «ليس - فيما يبدو - أكثر من خَلْطٍ لُغَوي لمعاني دَقيقَة الدَّلالَة بَسَطَها القُدَماءُ، فعَرَّفوا بأنَّ الحِبْر أصْلُه اللَّوْن، يقالُ فُلانٌ نَاصِعُ الحِبْر، يُرادُ به اللَّوْن الخالِص الصَّافي، والحِبْر: الأثر يبقى في الجِلْد... أمَّا المِدادُ، فقد أُطْلِقَ لأنه يَمُدُّ القَلَمَ أي يُعينُه، وكلُّ شيءٍ مَدَدْت به شيئًا فهو مِداد... أي أنَّ الحِـبْرَ يعني اسْمًا للَّوْن، والمِدادَ صِفَةً دالَّةً على مَوْصُوف».

وأشَارَت الدِّراسةُ إلى الفَرْق في التَّرْكيب بين الأمِدَّة الكربونية والأمِدَّة المَعْدنية العَفْصِيَّة، والأمِدَّة المُخْتَلَطة، وما يَصْلُح منها للكتابة على الرَّقِّ وما يَصْلُح منها للكتابة على الكاغَد (الوَرَق)، وتناوَلَت كذلك الأمِدَّة المُلَوَّنَة واسْتِخْداماتها وتَرْكيبها الذي أمكن التَّعَرُّف عليه من خِلال دِرَاسَة نُصُوص الوَصْفات التي نُقِلَت إلينا وكذلك عن طريق التَّحْليل الفيزْيائي - الكيميائي، إضافَةً إلى مُسْتَحْضَرات الذَّهَب والفِضَّة.

وبعد ذلك تعَاوَن برنارد جينو مع فرنسوا ديروش وماري چنڤييف جيدون وآني فرناي نوري على دِراسة المَوَادِّ المُلَوِّنَة في المَخْطُوطات المَغْربية من القرن السَّادِس الهجري إلى القرن التَّاسع الهجري عن طريق تكوين مجموعتين من مخطوطات رصيد مكتبة فرنسا الوطنية BnF، تَضُمُّ المجموعةُ الأولى نُسَخًا للمُصْحَف ونُسْخَةً من «المُوطأ» وكتاب ابن تُومَرْت و«جُغْرافية» الإدْريسي، كُتِبت جَميعُها بين نهاية القرن السَّادس الهجري وبداية القرن التَّاسع الهجري في الغَرْب الإسلامي، دون التمكُّن من تحديدٍ أكثر لمكانِ نَسْخِها. أمَّا المجموعةُ الأخرى فتعود إلى القرنين السَّابع والثَّامِن للهجرة، وهي الفَتْرَة التي شَهِدَت تقسيم الشَّمال الإفْريقي وتَعَدُّد مراكزه السِّياسية والثَّقافية بعد سُقُوط المُوَحِّدين والتَّراجُع التَّدْريجي للسَّيْطَرَة الإسلامية على شِبْه جَزيرَة أيْبِريا؛ وتجمع المجموعةُ أربعة مَصَاحِف أو قِطَع من مَصَاحِف، ثلاثة منها كُتِبَت خارج المغرب قَبْل الفَتْرَة التي أُنْجِزَت فيها مَخْطُوطاتُ المجموعة الأولى يرجع بعضُها إلى بداية القرن الثَّاني

الهجري في العَصْر الأُمَوي. واقْتُنيت هذه المجموعة الثّانية من مصر؛ اقتناها جون لويس أسْلان دي شرفيل، مِمَّا يُرَجِّحُ كتابتها بها أو بالمناطق المجاوِرَة لها.

وأَكَّدَ التَّحْليلُ الكُوديكُولُوجي لهاتين المجموعتين الخاصِّيَّةَ المُتَمَيِّزة للمَخْطُوطات المغربية، وأنَّها ظَلَّت تُكْتَب على الرَّقّ لفترةٍ طويلة في وَقْتٍ كان فيه الوَرَقُ وَاسِعَ الانتشار في العالم الإسلامي. وهَدَفَت الدِّراسةُ إلى تَحْديد طَبيعَة الأَصْباغ أو الأَلْوَان المُسْتَعْمَلة باسْتِخْدام التَّحْليل بالمِنْظار الطَّيْفي للإشْعاع السِّيني الذي يسمح بالتَّعَرُّف في بيئته على العَناصِر الموجودة كالكالسيوم والنُّحاس والحَديد والزِّئبق والرَّصاص والزَّرْنيخ والفِضَّة أو الذَّهَب؛ والتَّحْليل بالمِنْظار الطَّيْفي للامْتِصاص الذي يَسْمَح بتحديد بعض التَّشْكيلات الوَظيفية وبالتَّالي طَبيعَة الكروموفور cromophore المسئول عن اللَّوْن، ويُعْطى في الوَقْتِ نفسه قِياسًا «مِعْيارِيًّا» لكُلِّ لَوْن. ودَرَسَت هذه التَّحْليلاتُ تَرْكيبَ الأَلْوَان الزَّرْقاء والخَضْراء والصَّفْراء والحَمْراء والبَيْضاء ثم الذَّهَب وتِقْنيات اسْتِخْدامه.

وزُوِّدت الدِّراسَةُ بِرُسُوم بيانية وإحْصاءات تُوَضِّحُ حَجْمَ اسْتِخْدام هذه الأَلْوان في المَخْطُوطات المُنْتَخَبَة وطَريقتها.

وكان مَوْضُوعُ الفَصْلِ الخامس هو «التَّسْطير وإخْراج الصَّفْحَة»، حيث تَنَاوَلَ فرنسوا ديروش François Déroche ضَبْطَ السُّطور وقِياسَ أبْعادها، والطَّريقَة التي كان يتمّ بها تَسْطيرُ الصَّفْحَة، وكذلك إخْراج الصَّفْحة وتَوْزيع التَّرْكيبات المُخْتَلِفَة التي تَظْهر عليها والعَلاقَةُ بين حَجْم المِسَاحَة المكتوبة وبَقية فَراغ الصَّفْحَة، ثم تَرْتيب السُّطُور في الصَّفْحَة وعَدَدها، وتَفْضيل النُّسّاخ لعَدَدِ الأسْطُر الفَرْدية. وتَطَرَّقَ F.D. بعد ذلك للحديث عن كيفية اسْتِغْلالِ الهَوَامِش والفَرْقِ في ذلك بين النُّصُوص النَّثْرية والنُّصُوصِ الشِّعْرية، مع الاسْتِشْهاد بالعَديد من النَّماذِج المختلفة لإخْراج الصَّفَحات في المَصَاحِف أو سائِرِ الكُتُب العربية والفارسية والتُّرْكية الأخرى، وكيفية تَدْوين حُرُودِ المَتْن.

وناقَشَ فَصْلُ «الحِرَفِيُّون وصِناعَة المَخْطُوط» مَوْضُوعًا مُهِمًّا هو عَمَل النُّسّاخ وهُوِيَّتهم، والفَرْقُ بين النُّسّاخ والخَطّاطين وبينهم وبين الوَرّاقين. وتَساءَلَ F.D. عَمَّا إذا كانت مُهِمَّةُ الوَرّاق هي السَّيْطَرَة على مجموع عملية صِناعَة الكتاب المَخْطُوط؟ وتُقَدِّمُ

لنا حُرُودُ المَتْن مُمَثِّلين لمِهَنٍ أخرى سَاهَمَت في صِناعَة الكتاب المَخْطُوط كالمُذَهِّبين والنَّقّاشين والمُزَمِّكين. ووَصَلَت إلينا كذلك مَخْطُوطاتٌ كَتَبَها عُلَماءُ وهُوَاةٌ غالبًا ما كَتَبُوها لاسْتِخْدامهم الشَّخْصي. ولكنّنا نَفْتَقِدُ عادةً إلى المعلومات التي تُمَكِّننا من تَحْديد المَوَاضِع التي زَاوَلَ فيها النُّسّاخُ عَمَلَهم لنَتَعَرَّفَ على المُحيط الذي عَمِلت فيه هذه الطّائفة، وهل كانت هناك وِرَشٌ مُخَصَّصَةٌ لإنْتاج الكتاب مارَسَت فيها هذه الطّائفةُ عَمَلَها؟ ولكن المُؤَكّد أنَّ خَزَائِنَ الكُتُب والمَدارِسِ والمَسَاجِدِ والمُؤَسَّساتِ الخيرية كانت أماكِنَ مُفَضَّلَة للنِّساخَة.

وإضَافَةً إلى ذلك كانت هناك مِهَنٌ أخرى مُتَمِّمَة لصِناعَة الكتاب المَخْطُوط قامَ بها المُصَوِّرون والمُزَيِّنُون والمُزَخْرِفُون وكذلك المُجَلِّدُون الذين كانت صِناعَتُهم هي الصِّناعَة المُتَمِّمَة للجُهْد والمُحافِظَة على حَصيلَة الفِكْر والحَافِظَة لأَوْراقِ الكِتابِ من التَّلَف.

ولمَّا كان الخَطُّ عُنْصُرًا مُكَمِّلًا لِصِناعَة الكِتابِ المَخْطُوط، كان من الضَّرُوري انْتِقال الحَديث من الحَامِلِ ومَوَادِّه ووَسَائِلِه إلى المَحْمُول مُتَمَثِّلًا في الشَّكْل الذي دُوِّن به هذا الخَطّ دون اعْتِبار مَضْمُونِه. فناقَشَ فَصْلُ «الخُطُوط»، الذي كَتَبَه فرنسوا ديروش François Déroche، نَشْأةَ عِلْم الباليُوغْرافيا وتَطَوُّر شكل الخَطّ والخُطُوط المُمَيِّزَة للمَصَاحِفِ المُبَكِّرَة، ثم بِدَايَة ظُهُور الخَطّ الوَرّاقي أو خَطّ التَّحْرير الذي ابْتَكَرَه الوَرّاقُون والنُّسّاخُ لكِتابَةِ المَخْطُوطات غير القُرْآنية، وهذا النَّوْعُ من الخُطُوط هو الذي نَالَ تَجْويدًا ظاهِرًا فيما بعد على يد كُلٍّ من ابن مُقْلَة وابن البَوّاب في القرنين الثّالث والرّابع للهجرة / التّاسع والعاشِر للميلاد ثم مع ياقُوت المُسْتَعْصِمي والأساتِذَة السِّتَّة في نهاية القرن السّابع الهجري / الثّالث عشر الميلادي، وهو ما أَطْلَقَت عليه الدِّراسَةُ «الخُطُوط العَبّاسية المُبَكِّرَة». واهْتَمَّت الدِّراسَةُ كذلك بالخُصُوصِيّات الإقْليمية للخَطّ، خُصُوصًا هذه الخُطُوط التي راجَت في المَغْرِب والأَنْدَلُس وفي إيران وفي الهِنْد أو حتى في الصِّين.

أمَّا محمد عيسى ولي M. 'I. Waley فتَحَدَّثَ بالاشْتراك مع فرنسوا ديروش François Déroche عن «فُنُونِ تَزْويقِ الكتاب» وأَهَمِّيَّة زَخْرَفَة المَخْطُوطات لعِلْم المَخْطُوطات (الكوديكولوجيا)، والاسْتِخْدامات والأَشْكال المختلفة لتَزْيين الكتاب المَخْطُوط وتَذْهيبه. وتَسَاءَلَ M.'I.W. عن سَبَبِ إضافَة الزَّخَارِف إلى المَخْطُوطات،

وانْتَهَى إلى حَاجَة قارئِ المُصْحَف أو النُّصُوص الدِّينية أو الدُّنيوية الأخرى، إلى وُجُود مُؤشِّرات تُعينُه على السَّفَرِ عَبْر النَّصّ. ومَيَّزت الدِّرَاسَةُ بين زَخْرَفَة المَصَاحِف وزَخْرَفَة سَائِر النُّصُوص الأخرى، وكذلك بين زَخْرَفَة النُّصُوص العِلْمية وزَخْرَفَة النُّصُوص الأدبية والتَّاريخية؛ ففي حين أنَّ صُوَرَ المَخْطُوطات العلمية يمكن فَصْلُها بصُعُوبَة عن النَّصّ الذي لا يمكن فهمه أحيانًا بدونها، فإنَّ صُوَرَ المُؤلَّفات الأدبية والتَّاريخية ـ حالَ وُجُودِها ـ ليست ضرورِيَّةً لفَهْم النَّصّ.

وانْفَرَدَ فرنسوا ديروش François Déroche بكِتَابَة الفَصْلَيْن التَّاليين؛ فعَرَضَ في فَصْلِ «التَّجْليد»، الذي تنتهي به في العُمُوم مَرَاحِلُ صِنَاعَة الكتاب، للفوارِق بين التَّجْليد العَرَبِي الإسلامي والتَّجْليد الأفْرنجي على الأخَصّ في الكَعْبِ وأطْرافِ المُجلَّد والخَيْطِ الذي يجعله القارئُ دَلِيلًا في أثناء المطالَعَة. فالكَعْبُ في التَّجْليد العَرَبي الإسْلامي مُسْتوٍ، بينما يكون مُسْتَديرًا في التَّجْليد الأفرنجي؛ ولا تَزيدُ أطْرافُ المُجلَّد شَيْئًا على الكتاب في التَّجْليد الإسلامي، بينما تَزيدُ على الكتاب قَليلًا من جوانبه الثَّلاثَة في التَّجْليد الأفْرنْجي. وعِوَضًا عن الخَيْطِ الدَّليل في التَّجْليد الأفْرنْجي، يحمل المُجَلَّدُ الإسْلامي في دَفَّته اليُسْرَى (السُّفْلى) ما يُشْبِه اللِّسَان يُسَمَّى المَرْجع هو الذي يَستَدِلُّ به القارئُ ويجعله حَدًّا فاصِلًا بين ما طالَعَه من الكتاب وما لم يُطالِعه.

وقَسَمَ F. D. أنْماطَ التَّجْليد الإسلامي إلى ثَلاثِ مجموعات كبيرة (I وII وIII) تَشْتَمل جميعُها على عَنَاصِر مشتركة: «الدَّفَّتان» و«الكَعْب»: الدَّفَّةُ العُلْيا (أو دَفَّةُ الرأس) هي الدَّفَّةُ التي تُرَى عندما يكون المُجَلَّدُ مُغْلَقًا، ويُوجَدُ الكَعْبُ ـ الذي يُطابِق جانب مجموع الكراريس الذي تُوجَد فيه الخِياطَة ـ على يمين النَّاظِر؛ وفي هذا الوَضْع تُوجَدُ الدَّفَّةُ السُّفْلى أو دَفَّةُ الذَّيْل أسْفَل المُجَلَّد. ويَدْخُل في النَّمَط I أقْدَمُ التَّجاليد الإسلامية التي وَصَلَت إلينا، وهي «أقْرِبَةُ المَصَاحِف»؛ أمّا النَّمَطُ II فهو أُنْمُوذَجُ التَّجْليد الأكثر شُيُوعًا في القِسم الأكبر من العالم الإسلامي، وأكثر ما يُمَيِّز هذا النَّمَط وُجُودُ صَدْرٍ أو مُقَدَّم وأُذُن أو اللِّسَان المُسَمَّى بالمَرْجِع، وهما عُنْصُران يمتدّان من الجانب الأكبر الخارجي للدَّفَّة السُّفْلى ويَرْتبطان به بمُفَصَّلَة لَيِّنَة (أو قَنْطَرَة اللِّسَان)، وهو النَّمَطُ الذي اشْتُهِرَ بـ «التَّجْليد ذي اللِّسَان». أمّا النَّمَطُ III فلا يتألَّف إلّا من دَفَّتَيْن وكَعْب،

وغالبًا ما يكون قد صُنِعَ في الغَرْب. وأشَارَ F.D. كذلك إلى بَقِيَّة عَنَاصِر التَّجْليد ومَوَادِّه كالبِطانَة والرَّشْم وقَوَالِب النَّقْش (الأخْتام) والتَّخْزيم والحَبْك (الخِياطَة)؛ وإلى أنْواع الزَّخْرَفَة المختلفة الموجودَة سواء على الدَّفَّة أو اللِّسانِ، مُسْتعينًا في ذلك بالتَّصنيف الذي أعَدَّه ماكس ويسويلر Max Weisweiler في كتابه *Der islamische Bucheinband des Mittelaters*, Wiesbaden, Otto Harrassovitz 1962 لهذه الزَّخارِف. وتأسَّفَ F. D. على أنَّ هذا العَمَل الذي تَكْثُر الإحالَةُ إليه والذي قَطَعَ شَوْطًا بعيدًا عن كُلِّ المحاولات السَّابقة عليه، لم يُعْرَف جَيِّدًا أو لم يُسْتفد منه كما يَنْبَغي. واقْتَرَحَ ويسويلر Weisweiler تَقْسيم هذه الزَّخارف خمسة أصْناف: الزَّخارِف الدَّائرية، والزَّخارِف المُتَّصِلَة بدائرة والزَّخارِف التي على شكل هالات، والزَّخارِف التي على شكل النُّجُوم، وأخيرًا الزَّخارِف المُكَوَّنَة من أخْتام مُتَجاوِرَة، وقَسَمَ الزَّخارِفَ الأربعة الأولى بدَوْرها إلى أرْبع تَفْريعات.

وفيما يَتَعَلَّقُ بـ «تاريخ النُّسْخَة»، أشَارَ F. D. إلى أنَّ «حُرُودَ المَتْن» colophons تُعَدُّ هي السَّبيل الوحيد لتحديد التَّأريخ الصَّحيح والمُؤكَّد لأي مَخْطُوطٍ؛ حيث يُعَرِّف فيه النَّاسِخُ بنفسه ويُسَجِّلُ فيه تأريخَ الانْتِهاء من كِتابَة النُّسْخَة أو المكان الذي عَمِلَ فيه، ويُعَيِّن فيه عند الاقْتِضاء النُّسْخَة التي نَقَلَ منها أو مُسْتَكْتِب هذه النُّسْخَة. وعلى ذلك، فإنَّ المعلومات التي يَشْتَمِلُ عليها حَرْدُ المَتْن تحمل في حَدِّ ذاتها أهَمِّيَّةً خاصَّةً، لذلك يجب أن يكون تَحْليلُها بالأحْرى قاسِيًا؛ لأنَّها يمكن أن تكون مَغْلُوطَةً، سواءً بقَصْدٍ أو بغير قَصْدٍ.

وعادَةً ما يُوجَد حَرْدُ المَتْن في نهاية النُّسْخَة، أو على الأقَلِّ في نهاية مَقْطَعٍ نَصِّي مُنْسَجِم (المَصَاحِف ذات المجلَّدات المتعدِّدَة أو النُّصُوص المُطَوَّلَة ذات الأجْزاء والمجلَّدات، والتي يُعَدُّ كلُّ مُجَلَّدٍ منها وِحْدَةً كُوديكولُوجيةً مُتجانِسَة).

وكقاعِدَةٍ عامَّةٍ تُكْتَب حُرُودُ المَتْن بضمير الغائِب، وتبدأ عادةً بفِعْلٍ يُعَبِّر تارَةً عن الفَرَاغ (تَمَّ، فَرَغَ من...) أو مُرَادِفاتِه (وَافَقَ الفَرَاغُ، صَادَفَ الفَرَاغُ، تَيَسَّرَ الفَرَاغُ، كَتَبْتُه من نُسْخَة، وَقَعَ الفَرَاغُ من تَنْميقه، كَمُل، وَقَعَ الخِتَامُ)، وتارَةً أخرى عن عملية النَّسْخ نفسها (كَتَبَ، نَقَلَ، نَمَّقَ، نَسَخَ، حَرَّرَ، عَلَّقَ). وفي الحالة الأولى نجد الفِعْلَ

مَوْصُولًا بكلمةٍ تُعَبِّرُ عن العَمَلِ الذي أُنْجِزَ: كِتابَةً، انْتِساخًا، نَقْلًا، تَسْويدًا، تَحْرِيرًا، تَنْميقًا، تَعْليقًا، تَرْقيمًا، تَسْطيرًا؛ وفي الحالة الأخرى يَضَعُ حَرْدُ المَتْنِ اسْمًا نَوْعيًّا للكتاب (مُصْحَف، نُسْخَة، كِتاب، جُزء، دَفْتَر)، وعادَةً ما يُذْكَر عُنْوانُ الكتاب عندما يختارُ النَّاسِخ أن يبدأ بصيغة «هذا آخِر».

ونادِرًا ما يَظْهَرُ في حَرْدِ المَتْن مَكانُ النَّسْخ، وإذا ظَهَرَ فإنّه يَظَلُّ غالبًا مُبْهَمًا، ومع ذلك فقد يُشيرُ بعضُ النُّسَّاخ أحيانًا إلى الأماكن التي عَمِلُوا فيها مثل حُجْرَةٍ أو مَدْرَسَةٍ داخل مَدينَة.

والتَّقْويمُ المُسْتَخْدَم عادَةً في حُرُود مَتْن المَخْطُوطات بالحَرْف العربي هو «التَّقْويمُ الهِجْري» الذي يُقابِلُ أوَّلُ المحرَّم لسنته الأولى يوم الجمعة ١٦ يولية سنة ٦٢٢م. ويُعَبَّرُ عنه عادَةً بالحُرُوف مسبوقًا بكلمة «سنة»، ونادرًا ما تُسْتَخْدَم كلمة «عام»، ويَحْدُث أحيانًا أن يُشيرَ إليه النُّسَّاخ بالأرْقام، وقد يستخدمون اسْتِثْناءً حِسابَ الجُمَّل (أبْجَد). وإلى جانب السَّنَة يُشيرُ النُّسَّاخ إلى الشَّهر وإلى أقسام الشَّهْر، ولمزيدٍ من التَّدْقيق إلى اليوم من الشَّهْر والوَقْت من اليوم.

ولجأ النُّسَّاخُ كذلك إلى اسْتِخْدام «حِساب الجُمَّل» في التَّأريخ وكذلك إلى «التَّأريخ بالكُسُور»، واسْتُخْدِمَت كذلك تقاويمُ شَرْق أوْسَطية أخرى في تأريخ المَخْطُوطات، وعلى الأخَصّ في الأوْساط غير الإسلامية، مثل التَّقْويم اليُوليُوسي وتأريخ الشُّهَداء وتأريخ الإسْكَنْدَر، كما اسْتَخْدَم الفُرْسُ تأريخ يَزْدِجرْد مع اسْتِخْدام أسْماء الشُّهور المرتبطة بهذه التَّقاويم والمعتمدة، خِلافًا للتَّقْويم الهِجْري، على السَّنَوات الشَّمْسية.

وفي حالة غَيْبَة حَرْد المَتْن أو فَقْده يُمكننا تأريخ المَخْطُوط من خِلال العَلامات المُؤَرَّخة الموجودة عليه مثل: عَلامات التَّمَلُّك وعَلامات الوَقْف وقُيُود السَّماع والقِراءَة والمُطالَعَة؛ فهذه العَلاماتُ والقُيُودُ تُقَدِّم لنا التأريخ الذي لا يمكن تجاوُزُه *terminus ante quem*، وتَتْرُكُ للباحِث أن يُحَدِّدَ الفَتْرَة الزَّمَنية التي انْقَضَت بين كِتابَة النُّسْخَة وتأريخ هذه العَلامَة.

ومن بين العَناصِر المُفيدَة في تأريخ المَخْطُوطات نجد «الأخْتام» بأشكالِها المختلفَة والتي ظَهَرَت على الأخَصّ في فَتْرَةٍ متأخِّرَةٍ نِسْبيًّا وخاصَّةً في إيران والهِنْد والدَّوْلَة العُثْمانية. وهذه الأخْتامُ بما دُوِّنَ عليها من شِعارات وتَواريخ وأسْماء مُلّاكٍ، عَناصِرُ مُهِمَّة لعَرْض

مَسارِ مَخْطوطٍ مُعَيَّن، فهي تُكْمِل دِراسَة التَّقاييد المَخْطوطاتية أو خَوارِج النَّصّ التي يمكن أن تُصاحبها.

وأخيرًا، تَناوَلَت آني برتييه Annie Berthier بالدِّراسَة عَلاقَة الكُوديكُولُوجيا بتاريخ المجموعات وأرْصِدَة المكتبات، أي تَجْميع مُعْطياتٍ عن تَداوُلِ المُؤَلَّفات منذ عَصْر صِناعَتها وإعادَة بِناء سِلْسِلَة مالكي مَخْطُوطٍ أو مجموعةٍ من المَخْطُوطات، وتَوَخِّي الأماكِن التي جاءَت منها هذه المُجَلَّدات أو اسْتَقَرَّت فيها. وترجِعُ أهَمِّيَّةُ هذه الدِّراسَة إلى أنَّها تَفْتَحُ البابَ أمامَ تاريخ الأفْكار وتَداولها وأمامَ اتِّصالِ الحَضارات، كما تُمَكِّنُنا من دراسة تاريخ النُّصُوص بالقَدْر الذي يُتيحُ فيه ذِكْرُ مُقام نُسْخَةٍ في مَكانٍ مُعَيَّنٍ أو بين يدي شَخْصٍ معروف مُحاصَرَة تاريخ تَداوُل نَصٍّ تكون حامِلَةً له. لذلك فلا يجب أن تُهْمِل فَهارِسُ المَخْطُوطات الجديدة أيَّ عُنْصُرٍ يَسْمَح ببناء تاريخ المُجَلَّد المَوْصُوف لأقْصَى دَرَجَةٍ ممكنةٍ من الدِّقَّة، ويُعْطي في تَرْتيبٍ تاريخي كُلَّ الإشارات المُفيدَة عن المجموعات التي وُجِدَ بها والمكتبات التي حُفِظَ فيها. كذلك يجب أن تُزَوَّد فَهارِسُ المَخْطوطات بكَشّافاتٍ لأسْماء مُلّاكِ المَخْطُوطات وعلامات وَقْفها والأماكن التي تَنَقَّلت فيها إن أمْكَن. فكُلُّ هذه العَناصِر تُعَدُّ مادَّةً أوَّلية ثمينة تُعينُ على إعادَة بِناء مجموعات المَخْطُوطات القَديمَة؛ كما عَرَضَت ماري جنفيڤ جيدون M.-G. Guesdon لفهارس المَخْطُوطات المختلفة وطريقة ترتيب المَخْطُوطات في الفهارس الأوروبية والفهارس الشَّرْقية، ثم دَوْر الفَهْرَسَة الآلية في تَوْحيد الحقُول اللّازِمَة للفَهْرَسَة تَمْهيدًا للوُصُول إلى ما يمكن أن نُطْلِقَ عليه «الفِهْرِس الشّامِل للتُّراث العَرَبي المَخْطُوط».

— ٤ —

إنَّ مَجموعَ هذه الإسْهامات، بالرَّغْم من تَنَوُّعه وثَرائِه، لا يُقَدِّمُ سوى لَمْحَةٍ في هذا المجال المُهِمّ عن المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي، ويتَطَلَّبُ تَضافُر جُهُودِ عُلَماء المخطوطات وأُمَناء المكتبات الشَّرْقية في العالم للقِيام بدراساتٍ مُماثِلَةٍ عن مَجْموعات مكتباتهم. فما

زالَ النَّصُّ هو المادَّةُ التي تَعْني الباحثين في الشَّرْق ، أمَّا الجانِبُ المادِّي للكتاب وما يُمَثِّلُه من فُنُونٍ باعْتِباره وَثيقَةً أثَرِيَّةً حضاريةً يَنْبَغي أن تُعامَلَ حَسَبَ قَواعِدَ أخرى ، فلم يُنْتَبَه إليه من جانِبِ الباحثين أو أُمَناءِ أقْسام المَخْطُوطات غير المُخْتَصِّين في كلِّ الأحْوال ؛ الأمْرُ الذي يَتَطَلَّبُ إعادَةَ نَظَرِ إدارات هذه المكتبات في الطَّريقة التي يتمّ بها اخْتِيارُ هؤلاء الأُمَناء .

ويَقْتَضي الأمْرُ كذلك القِيامَ بالعَديد من الأعْمال التَّمْهيدية التي من شأنها تحديد المُصْطَلَح وتَوْحيده . وقد أشارَ صَديقُنا عالِمُ المَخْطُوطات والآثاري الكبير إبراهيم شَبُّوح إلى أهَمِّيَّة عَمَلِ مُعْجَم تاريخي لفُنُون صناعة الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العربي يَجْمَع بين النُّصُوصِ التي تناوَلَت صِناعَة الكتاب والتَّطَوُّر التَّاريخي للمُصْطَلَح الفنيّ لهذه الصِّناعَة . فلا شَكَّ في أنَّ فَنَّ صِناعة المَخْطُوط الشَّرْقي كانت له لُغَتُه ومُصْطلحاتُه واشْتِقاقاتُه وأفْعالُه ، إلَّا أنَّ النُّصُوصَ القَليلَة التي وَصَلَت إلينا عنه (وكُلُّها من أصْلٍ مَغْربي وأنْدَلُسي) يَصْعُبُ فَهْمُ مَضْمُون مُصْطَلَحاتها ودَلالات هذه المُصْطَلَحات إلَّا على ضَوْء المعرفة بطَبيعَة الصَّنْعَة ومعنى المُصْطَلَح ؛ كما لا يَقْتَصِرُ الأمْرُ فقط على ما وَرَدَ في النُّصُوص المُخَصَّصَة لهذا الفَنِّ ، وإنَّما ما وَرَدَ كذلك في كُتُبِ الفِقْه من إفاداتٍ تَتَّصِلُ ببعض مَوَادّ الكتاب والتَّعامُل معه اسْتِعْمالًا وبَيْعًا وشِراءً[٢٠] . وبذلك تكون حَصيلَةُ مُصْطَلَحات هذا الفَنّ إسْهامٌ مُشْتَرَكٌ بين أهْلِ العِلْم فيما دَوَّنوه وأهْلِ الصَّنْعَة بما كَشَفُوا عنه من أسْرَارها .

ـ ٥ ـ

ولم تكن مُهِمَّةُ نَقْلِ هذا الكتاب إلى اللُّغَة العربية مُهِمَّةً سَهْلَةً ، فمَوْضوعُ الكتاب جَديدٌ على اللُّغَة العربية وما زال في بواكيره الأولى ، وجاءَ الأصْلُ مليئًا بالمُصْطَلَحات الفَنِّية والتَّراكيب الصَّعْبَة . كما أنَّ تَرْجَمَة عُنْوان الكتاب لم تكن سَهْلَةً كذلك ، فلا تُوجَدُ في العربية كلمة واضحة تُقابِلُ كلمة Manuel الفرنسية ، واقْتَرَحَ عليَّ بعضُ الأصدقاء اسْتِخْدام كلمة «مَنْهَج» أو «مَتْن» أو «مُوجَز» ، ولكنني فَضَّلْت عليها كلمة

٢٠. إبراهيم شَبُّوح : «نَحْو مُعْجَم تاريخي لمُصْطَلَح ونُصُوص فُنُون صِناعَة المَخْطُوط العَرَبي» ، في كتاب صِيَانَة وحِفْظ المَخْطُوطات الإسلامية ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٨، ٣٤١-٣٩٣.

«مَدْخَل» باعتبار أنَّ الكتابَ يَسْعَى إلى تَزويد القارئ بالعَناصِر التي تُمَكِّنه من التَّعَرُّف على الأساليب المختلفة التي اسْتَخْدَمها صُنَّاعُ الكتاب ، ويُعَد بذلك مَرْجِعًا لا غنى عنه لكُلِّ من يُريدُ دِراسَة «الكُوديكُولُوجيا» أو «عِلْم المَخْطُوطات» . وأرَدْتُ أن أسْتَبْقي كذلك في العُنْوان كلمة «كُوديكُولُوجيا» مثلما تَعارَفَ الباحِثُون على اسْتِخْدام كلمة «بِبْليوجْرافيا» ، خُصُوصًا مع صُعُوبة قَوْل «عِلْم مَخْطُوطات المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي» غير أنَّ غَرَابَة المُصْطَلَح وعَدَم شيوعه بَعْد بين الباحثين جَعَلَتني أَحيدُ عن ذلك وأخْتارُ العُنْوانَ المُثْبَت على غِلاف هذه التَّرْجَمَة «المَدْخَل إلى عِلْم الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العربي» بالتَّنْسيق مع إدارَة مُؤَسَّسة الفُرْقان . واسْتَخْدَمْتُ أيضًا مُصْطَلَحَ «الحَرْف العَرَبي» بدَلًا من «الخَطِّ العَرَبي» ، لأنَّ المَقْصُود هو المَخْطُوطات الإسلامية الشَّرْقية : العربية والفارسية والتُّرْكية ، وهي لم تكتب بالخَطِّ العَرَبي وإنَّما بالحَرْفِ العربي ، مثلما تُكْتَب اللُّغات الأوروبية بالحَرْفِ اللَّاتيني .

وكان من حَظِّ مُؤَلِّفي الأصْل الفرنسي أنَّ العالم الفرنسي دنيس ميزريل Denis Muzerelle وَضَعَ بالفرنسية ، في سنة ١٩٨٥، مُخَصَّصًا لألْفاظِ الكوديكولوجيا ، عبارَةً عن جامِعٍ مَنْهَجي للمُصْطلحات الفرنسية المُتَعَلِّقة بالمَخْطُوطات *Vocabulaire codicologique. Repertoire méthodique des termes français relatifs aux manuscrits*، هو أوَّل مُحاوَلَة ظَهَرَت في التُّراثِ الإنْساني في هذا المجال ؛ وأنَّ الباحِث الفرنسي جاك ليمير Jacques Lemaire قَدَّم دراسةً مهمةً في هذا المجال بعنوان *Introduction à la codicologie*, Louvain-la-Neuve, Institut d'étude médiévales 1989؛ كما وَضَعَ الباحِثُ التشيكي الأصْل آدم كجيك Adam Gacek، في سنة ٢٠٠١، مُعْجَمًا نَوْعِيًّا إنجليزيًّا للمُصْطَلَحات التِّقْنية لتقاليد المَخْطُوطات العربية *The Arabic Manuscript Tradition. A Glossary of Technical Terms and Bibliography*، يُعَدُّ المحاولة الأولى في مَجالِ المَخْطُوط العَرَبي . أمَّا اللُّغَة العربية فما تزال تَفْتَقِدُ إلى معاجم مماثلة ، وإن ظهرت في السنوات القليلة الماضية محاولتان في هذا السَّبيل ، الأولى دراسة إبراهيم شَبُّوح السابق الإشارة إليها : «نَحْوَ مُعْجَم تاريخي لمُصْطَلَح ونُصُوص فُنُون صِناعَة المَخْطُوط العَرَبي» ، جَرَّد نُصُوصَه من كُتُب الأدَب وكُتُب الصَّنْعَة وأبقاها كما وَرَدَت تبعًا لتَصَوُّر السِّياق والاستعمال قارنًا بعض المصطلحات بالتَّعريف الفَنِّي الذي يشرح دلالته شرحًا وافيًا ؛

وهو عَمَلٌ يَحتاجُ من صَاحِبِه ، وهو العارِف حَقَّ المَعْرِفَة بفُنُونِ وتَقاليد هذه الصَّنْعَة ، أن يُعاوِدَ الرُّجوعَ إليه ويستكمل بنفسه تَنْفيذ الفكرة التي طَرَحَها ليَخْرُجَ عَمَلًا شَامِلًا سيكون له مَكانُه في المكتبة العربية . والثانية ، عَمَلٌ مشتركٌ بين صديقنا الدكتور أحمد شوقي بنبين وتلميذه الدكتور مصطفى طوبي عنوانه «مُعْجَم مُصْطَلَحات المَخْطُوط العربي (قاموس كوديكولوجي)» مَرَتَّبٌ على حُرُوفِ المُعْجَم[٢١]، ورَغْم الفائِدَة الكبيرة لهذا المُعْجَم ، فإنَّ بعضَ تَعْريفاته قاصِرَة وبعضها الآخر لا يَنْدَرِج تَمامًا تحت عِلْم الكُوديكُولُوجيا ، كما جاءَ الكثيرُ من مُصْطَلَحاتِه وَفْقَ ما اتَّفَق عليه أهْلُ المَغْرب ، وفيها مُخالَفَةٌ كبيرةٌ لما اصْطَلَحَ عليه المَشارِقَةُ مِمَّا يَسْتَوْجِب إثْبات ما اصْطَلَحَ عليه المشارِقَةُ أمامَ ما يماثله من مُصْطَلَحِ أهْلِ المَغْرِب ، والسَّعْي إلى تَوْحيد هذه المُصْطلحات في الدِّراسات المُسْتَقْبلية . وشارَكَ كاتِبُ هذه السُّطُور في مَشْروعٍ - ما زال في طَوْر الإعْداد - لعَمَلِ مُعْجَم مَوْضوعي بالعربية والفرنسية Lexique franco-arabe لمُصْطَلَحات كُوديكُولُوجية المَخْطُوطات العربية مع مَعْهَد الأبْحاث وتاريخ النُّصُوص IRHT في باريس ، دَعَت إليه الأستاذة آن ماري إدَّة Anne-Marie Eddé مديرة المعهد . وأشارَ إبراهيم شَبُّوح ، في مقاله السَّابقِ الإشَارَة إليه ، إلى المُعْجَم الذي أعَدَّه بالفارسية نجيب مايل هروي عن مُصْطَلَحات أوْصَاف المَخْطُوط والوَرَق وأنْواعِه ، والنَّسْخ والمِداد بعُنْوان «فَرْهَنْكِ ڤازكانِ نِظامي كتابِ آرابي» ونَشَرَه في موسوعته الكبيرة كتابِ آرابي درتَمَدُّنِ إسْلامي ، مَشْهَد ١٣٧٢، ٥٦٩-٨٣٢.

وتَرْجِعُ مُشْكِلَةُ المُصْطَلَح في مَجالِ الكُوديكُولُوجيا إلى أنَّ طَبيعَة العَلاقَة بين التَّسْمِيَّات التَّقْليدية المختلفة لمراحل صِناعَة الكتاب والتي تَنَوَّعَت تَبَعًا للأماكن والعُصُور ، والتَّسْميات التي يستخدمها المتخَصِّصُون الحاليون ، لا تَسْمَح بامْتِلاكِ رُؤْية واضِحَةٍ للأشياء الموصوفة . فمُراجَعَةٌ دقيقَةٌ إذًا للمُصْطَلَحات النَّوْعية التي اسْتَخْدَمَتها النُّصُوصُ القَديمَة عن صِناعَة الكتاب لا غِنَى عنها رغم مَشَقَّتها . وفي الوقت نفسه تَبَنَّى عِلْمُ الكُوديكُولُوجيا الغَرْبي مُصْطلحات حاوَل تَطْبيقها على كُوديكُولُوجية المَخْطُوطات بالحَرْفِ العربي ليس لها مُقابِلٌ واضِحٌ في اللُّغَة العربية التي تطَلَّبَت مِنِّي نَحْتَ مُصْطلحات عربية لها . لذلك حَرَصْتُ على أن أُلْحِقَ بآخِرِ الكتاب مُعْجَمًا

٢١. أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي : معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) ، الرباط ٢٠٠٤.

نَوْعِيًّا للمُصْطَلَحات Glossaire التي وَرَدَت في تضاعيف التَّرْجَمة رَتَّبْتُه على اللُّغَتَيْن العربية والفرنسية .

وكان لابُدَّ لي كذلك من الرُّجُوعِ إلى المَصَادِرِ العربية التي رَجَعَ إليها مُؤَلِّفو هذا الكتاب لتَوْثيق النُّصُوصِ المَنْقُولَة عن تلك المَصَادِرِ والالْتِزام بنُصُوصِها الأصْلية كما وَرَدَت في هذه المَصَادِر . وبهذه الطريقة تمكَّنت من إثبات النَّصّ الكامل لطريقة إخْراج الصَّفْحة الذي أوْرَده القَلُّوسي في كتابه «تُحْفَة الخَوَاصّ» نسخة باريس رقم BnF arabe 6844 (فيما يلي ٢٦٢-٢٦٣) .

وهذه التَّرْجَمَةُ العربية ليست مُجَرَّد تَرْجَمَةٍ للأصْلِ الفرنسي ، فقد قُوبِلَت في الوَقْتِ نفسه على التَّرْجمة الإنجليزية - التي ستَصْدُر في وَقْتِ صُدُورِ هذه التَّرْجمة العربية - والتي استفادَت من التَّعْليقات التي قَدَّمَها للمُؤَلِّف زُمَلاءُ وأخْصَائيون بعد قِرَاءَة الأصْلِ الفرنسي ، كما زَوَّدَها المُؤَلِّفُ نفسه في بعض المَرَاحِل بمَعْلُومات اسْتَكْمَلَ بها النَّصَّ أو صَوَّبَ بها خَلَلًا أو أشار فيها إلى دِرَاسَةٍ صَدَرَت بعد صدور الأصْلِ الفرنسي .

ورَغْمَ مُخالَفَتي لمؤلِّفي الكتاب في بعض ما ذَهَبُوا إليه من آراء ، فلم أتَدَخَّل بالتَّعْليق على هذه الآراء نَظَرًا لاكتظاظ هَوامش الكتاب وحتى لا أُثْقِلَها بتعليقات إضافية ، مُرْجِئًا مُناقَشَة ذلك إلى الطَّبْعَة الجديدة التي أعدُّها الآن لكتابي «الكتاب العَرَبي المَخْطُوط وعِلم المَخْطُوطات» .

واحْتَفَظْتُ في الهامش الدَّاخلي للكتاب بتَرْقيم صَفَحات الأصْل الفرنسي ، حتى يَسْهُل مقابلةُ أيَّة إشارة في المراجع للأصْل الفرنسي على ما يقابلها في الترجمة العربية .

وسيلاحظُ القارئ أنَّ مُؤَلِّفَ الكتاب لا يُشيرُ إلَّا عند الضَّرورة إلى عناوين المخطوطات التي يَسْتَشْهِد بها وإنَّما يشيرُ في الأغلب إلى أرقام حِفْظ هذه المَخْطُوطات في المكتبات ، لأنَّ المقصود هو دراسة الحالة المادِّية للمَخْطُوط نفسه بغض النَّظر عن مَوْضُوعه .

ونَظَرًا لتناوُل الدِّراسَة في أكثر من مَوْضِع العديدَ من المَخْطُوطات المُنْتَجَة خارج العالم العربي في الأقاليم النَّاطِقَة بالفارسية والتركية في إيران وآسيا الوُسْطَى والهِنْد والأناضُول ، وأشارت خلال ذلك إلى العديد من الدُّوَل التي حكمت في هذه الأقاليم وكان لحكَّامِها وأمَرائِها دَوْرٌ مهمٌّ في رعاية الفُنُون وصِناعَة الكتاب المَخْطُوط ؛ أَلْحَقْتُ

بالكتاب تَعْريفات عَرَّفْتُ فيها بهذه الدُّوَل مُحَدِّدًا الفترة التي حكمت فيها والأراضي التي مَدَّت نُفُوذَها عليها .

*
* *

ويَقْتَضيني واجِبُ العِرْفانِ بالفَضْلِ أن أتَوَجَّه بالشُّكْرِ إلى مُؤَسَّسَةِ الفُرْقان للتُّراثِ الإسلامي بلندن ـ هذه المُؤَسَّسة التي أثْرَت حياتَنا الفكرية والثَّقافية بالمؤتمرات المُتَخَصِّصة التي عَقَدَتها ، وبالدِّراسات والنُّصُوص المهمة التي أخرجتها والتي لا غنى عنها للباحث المُدَقِّق ـ وإلى رئيسها العالم الأديب معالي الشيخ أحمد زكي يماني ومديرها العام الأديب الأستاذ عادل صلاحي لتكليفي بالقيام بترجمة وتَحْرير هذه النُّسْخَة العربية لهذا الكتاب المُهِمّ في مجال دِرَاسَة المَخْطُوطات الإسلامية ؛ وهو عَمَلٌ تَطْرَبُ له نَفْسي وَوَقَفْتُ عليه حياتي ، سائلًا الله العَليّ القدير أن يَنْفَعَ بهذا العَمَل ويَوفِّقنا لما فيه مَرْضاتِه ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ .

أيمن فؤاد سيد

القاهرة في ٢٤ شَعْبان سنة ١٤٢٦هـ
٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٥م

تَوْطِـــئَة

يَبْدُو هذا المَشْروع ، بالنِّسْبَة لكُلِّ قارئ مُتعايشٍ مع المَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْفِ العَرَبي ، سابقًا لأوانه . فكيف نَنْشُرُ مُؤلَّفًا عن عِلْم المَخْطُوطات والأبْحاثُ في هذا المَوْضوع ما تزالُ في بداياتها الأولى ؟ وإذا أخَذْنا في الاعْتِبار الامْتِداد الكبير لهذه المادَّة الوثائقية وتَنَوُّعها تاريخيًّا وجُغْرافيًّا ، فمن الذي يستطيع أن يَزْعُم فوق ذلك قُدْرَته على الإحاطة بكُلِّ مَجالات هذا الحَقْل ؟

إنَّ ما دَفَعَنا للتَّصَدي لهذا المَوْضُوع ـ وإشْراك آخرين معنا ـ هو قبل كُلِّ شيء ما لاحَظْناه من الاهْتمام المُتَنامي بالتُّراث الغني لمَخْطوطات العالم العربي الإسلامي . فيبدو إذًا من الأهمية أن نَضَعَ تحت تَصَرُّف المُهْتَمين به العَناصِرَ التي تُتيحُ لهم اكْتِشافَه في أدَقِّ تفاصيله وكذلك تَقَدُّم فهمه واستيعابه . إنَّ مَحْدودية معرفتنا ـ كما سَبَقَ وذكرنا ـ ظاهِرَة ؛ ولكنَّ الخَوْفَ من ذَهاب ثَمَرَة التَّجْرِبَة التي اكْتَسَبَها البَعْضُ على مَدار السِّنين دون أن تَتْرُكَ أثَرًا ، يجب أن تُؤْخَذ كذلك في الاعْتِبار . إنَّ ذِكْريات بُحُوثنا المُتَرَدِّدَة ، بسبب افْتِقاد الدَّليل ، لم تكن بدون تأثير على تَكَوُّن هذا الكتاب ...

فإلى جميع الذين قَبِلوا الإسْهامَ في هذا الكتاب السَّيِّدات آني برتييه A. Berthier وماري چنڤيڤ جيدون M. G. Guesdon وفِرناي نوري Vernay - Nouri، والسَّادَة برنارد جينو B. Guineau وفرنسيس ريشارد F. Richard وجون ڤيزان J. Vezin ومحمد عيسى ولي M. I. Waley، نُكَرِّرُ امْتِنانَنا لهذا العَمَل الجماعي البالغ الإثارة .

وأفادَ النَّصُّ في العديد من المسائل من النَّصائح الغالية للسَّيِّدَيْن جيرارد تروبو G. Troupeau وجون ڤيزان J. Vezin اللذين نَتَقَدَّم لهما بالشُّكْر ، وكذلك لجميع الذين أسْهَمُوا في إعْـداد هذا الكتاب : السَّيِّدَة كلود هيوارت C. Huart والسَّيِّدَة ك . يَزْبك C. Yazbeck، وإلى السَّيِّدات ن . بريو N. Bréaud وب . كروزيه دورا P. Crouzet Daurat وج . ميشليه J. Michelet من قِسم النَّشْر بمكتبة فرنسا الوطنية ، وكذلك إلى السَّيِّد ر . طباعي R. Tabai دون أن نَنْسى السَّيِّدَة أ . سرَّابيزول A. Sarrabezolles من النَّشْر الإلكتروني .

وهذا الكتابُ ثَمَرَةُ عَمَلِ فريق «مَخْطُوطات الشَّرْقِ الأَوْسَط» «Manuscrits du Moyen-Orient» (JE 2230) قسم العُلُوم التَّاريخية والفيلُولُوجيَّة بالمَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا EPHE بباريس ، والتي تَلَقَّى منها كذلك دَعْمًا لطباعته . وللكتابِ دَيْنٌ خاصٌّ تجاه مُؤَسَّسَة ماكس فان برشم Max van Berchem بجنيف ، فقد أتاحَ دَعْمُها لمَشْرُوع «بطاقات مَخْطُوطات الشَّرْق الأوْسَط المُؤَرَّخة *FiMMOD*» إقامة قاعِدةٍ وثائقيةٍ هي في صُلْب هذا الكتاب . وتَلَقَّى الكتابُ كذلك ، وهو في طَوْر الإعْداد ، دَعْمًا منها سَمَحَ بإنْجاز هذا المجلَّد دون تأخير . فنُكَرِّر كُلَّ امْتنانِنا إلى رئيس المُؤَسَّسَة السَّيِّد ج . فان برشم G. van Berchem وإلى أعضاء مجالسه .

وكان القَرَارُ الذي اتَّخَذَتْه مُؤَسَّسَةُ الفُرْقان للتُّراثِ الإسلامي بلندن بإعْداد تَرْجَمَةٍ عربيةٍ لهذا الكتاب تَشْريفٌ كبيرٌ لي . وأَوَدُّ على الأخَصِّ أن أُعَبِّرَ عن امْتِناني تجاه الرَّاحِل البروفيسير يُوسُف إبيش الذي يَرْجِعُ إليه فَضْلُ البَدْء في هذا المَشْرُوع والذي كان حَثُّه وتَشْجيعُه ثَمينًا وقَيِّمًا .

وأفادَ هذا العَمَلُ الدَّقيق في الإعْداد والتَّرْجَمَة بعناية صَديقي أيمن فؤاد سَيِّد الذي كانت خِبْرَتُه وجَدَارَتُه بالِغَيّ الأَثَر ، ومن العَمَلِ الدَّؤُوب لزَميليّ بجامعة أغادير بالمغرب عبد الواحِد جَهْداني ومصطفى طُوبي ، وكذلك من الآراء الخَبيرَة للسَّيِّدَة ماري چنڤيڤ جيدون Marie-Geneviève Guesdon (مكتبة فرنسا الوطنية BnF) والبروفيسير جيرارد تروبو Gérard Troupeau (المَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا EPHE) ، الذين أرجو أن يجدوا هَهُنا التَّعْبيرَ عن امْتِناني وعِرْفاني .

فرنسوا ديروش

François Déroche

عُضْو مَجْمَع النُّقُوش والآداب المُراسِل

مدير الدراسات بالمَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا

قسم العلوم التاريخية والفيلولوجية

المُسْهِمُون في هذا الكتاب

المُؤَلِّفُون

آني برتييه Annie Berthier، مكتبة فرنسا الوطنية، القسم الشَّرْقي بإدارة المَخْطُوطات (باريس) .

فرنسوا ديروش François Déroche، المَدْرَسَة التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا EPHE، قسم العُلُوم التَّاريخية والفيلُولُوجية (باريس) .

ماري چنڤيڤ جيدون Marie - Geneviève Guesdon، مكتبة فرنسا الوطنية ، القسم الشَّرْقي بإدارة المَخْطُوطات (باريس) .

برنارد جينو Bernard Guineau، معهد أبْحاث الموادّ القَديمَة ، المَرْكَز الوَطَني للبَحْث العِلْمي (أورليون) .

فرنسيس ريشارد Francis Richard، مكتبة فرنسا الوطنية ، القسم الشَّرْقي بإدارة المَخْطُوطات (باريس) .

آني ڤرناي نوري Annie Vernay - Nouri، مكتبة فرنسا الوطنية ، القسم الشَّرقي بإدارة المَخْطُوطات (باريس) .

جون ڤيزان Jean Vezin، المَدْرَسَةُ التَّطْبيقية للدِّراسات العُلْيا EPHE، قسم العُلُوم التَّاريخية والفيلُولُوجية (باريس) .

محمد عيسى وَلي Muhammad ʿIsa Waley، المكتبةُ البريطانية ، مجموعات الشَّرْق ومكتب الهند (لندن) .

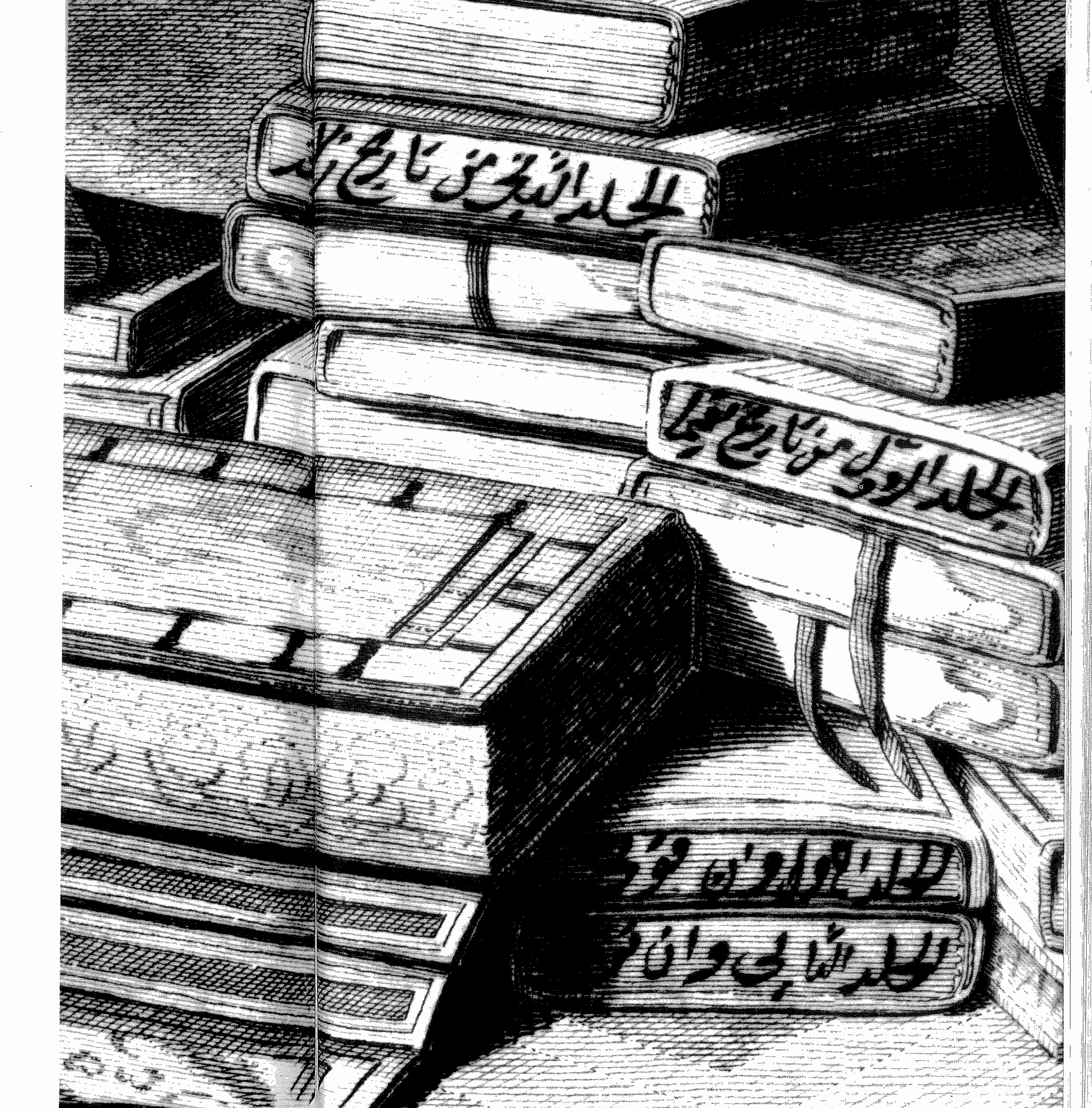
المُتَرْجِم

أيمن فُؤَاد سَيِّد Ayman Fu'âd Sayyid، أُستاذ تاريخ إسْلامي وخَبير مَخْطُوطات (القاهرة) .

تَنْبيه

اخْتُصِرَت الإحالاتُ البيليوجرافية في الهَوَامِش إذا كان المُؤَلِّفُ المذكور ظاهِرًا في ثَبَت المراجع النِّهائي . كما أنَّ الكُتُبَ التي يُحالُ عليها بانْتظام ذُكِرَت بشَكْلٍ مُخْتَصَرٍ يظهر في القسم الأوَّل من ثَبَت المراجع ، وبالنسبة للكُتُب الأخرى أشير فقط إلى العُنْوان دون ذكرِ لمكانِ أو تاريخ النَّشْر . وبالنِّسْبَة لكتالوجات المعارض فقد ذُكِرَت بالإشارَة إلى اسْم المدينة التي عُقِدَ فيها المَعْرَض مَتْبُوعًا بتاريخ انْعقاده .

مدخل



جاءَ أوَّلُ ظُهورٍ لِمُصْطَلَح «مَخْطوط» كاسْمٍ ـ في اللُّغَة الفرنسية كما هو الحالُ في اللُّغَة الإنجليزية ـ سنة ١٥٩٤م ، كنتيجةٍ لاكْتشافِ المَطْبَعَة . وذلك لأنّه بدأت في الظُّهور كُتُبٌ لم تُكْتَب بخَطِّ اليد ، لأنَّ الشَّكْلَ التَّقْليدي لصِناعة الكتاب أخَذَ يختفي شيئًا فشيئًا أمامَ مُنافِسٍ رَهيبٍ ، بحيث دَخَلَت كلمةٌ جديدةٌ إلى اللُّغَة : «مَخْطُوط» ، أي الكتاب المكتوب باليد . فمن الآن فصاعِدًا سيكون الكِتابُ هو مَوْضُوع هذا المُجَلَّد . بالتأكيد كانت هناك حالاتٌ أخرى ـ ابتداءً من الوَثَائِق الإدارية وحتى النُّصُوص التي كَتَبَها مُؤَلِّفون ـ والتي لم يكن كُتَّابُها ، في القرن السَّادس عشر ، على اسْتِعْدادٍ لتَرْكِ القَلَم والتَّخَلُّص منه عَمَّا قريب . ولكن الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ هنا بوثائق ترتبط بمجالاتٍ مثل عِلْم البَرْديات وعِلْم الدِّبْلُوماتيكا ... إلخ . وبالمثل يُسْتَبْعَد أيضًا من نِطاقِ بَحْثِنا النُّقُوشُ ، حتى وإن كان بَعْضُها يُسَجِّلُ نَصًّا توردُه كذلك المَخْطُوطات ، أو نُفِّذ بآلاتٍ مُشابِهَةٍ لتلك التي يستخدمها النَّاسِخُ . إنَّها هذه الكُتُبُ المَنْسُوخَة باليد طَوال قُرونٍ ، وأكثر تَدْقيقًا ذات شكل مُعَيَّن هو «الكُوديكس» codex، التي يَرْتَبِط بها عِلْمُ المَخْطُوطات .

فما هو عِلْمُ المَخْطُوطات ؟ هذه الكلمة codicologie/codicology ابْتكارٌ علمي حديث [١]؛ والتَّعْريفُ الأقْرَبُ إلى اشْتِقاقها اللُّغَوي (الكلمة اللاَّتينية *codex* والكلمة اليُونانية *logos*) يمكن أن يكون «دراسة الكِتاب أو عِلْم الكِتاب» . ولكن دون شك أنَّ هذه الإجابة قاصِرَة نِسْبيًّا وتَتَطَلَّبُ إيضاحات إضافية . إنَّ العِلْمَ الذي عُرِفَ بالكُوديكولوجيا (عِلْم المَخْطُوطات) ، اسْتَمَدَّ بعض الشَّرْعية من الطَّريقَة التي عَرَّفَ بها الغَرْبُ عادَةً كُتُبَه ، فعلى العكس من اللغة العربية التي تُنَوِّه بالمُؤَلِّف المكتوب (في كلمات مثل : «كتاب» و«مَخْطُوط») ، فإنَّ اللُّغَةَ الفرنسية ، بعد اللُّغَة اللاَّتينية ، تُحيلُ

١. يستطيع القارئ أن يجد تذكيرًا بالشُّرُوط التي أُدْخِلَت فيها الكلمة في منتصف القرن العشرين عند: J. Lemaire, *Introduction*, p. 1; *The Shorter Oxford English Dictionary*, 1 et 2.

بطريقةٍ اشتقاقية قبل كُلِّ شيءٍ إلى المَوَادّ : «كتاب» ، «كُرَّاس» ، «مُجَلَّد» التي تُشيرُ على التوالي إلى الشَّكير [الخَشَب الطَّري بين اللِّحاء والخَشَب الصَّلْب في ساق النَّبات] ، والألْواح الخَشَبية ، أو لَفائِف البَرْدي . ويَسْعَى عِلْمُ المَخْطُوطات إذًا في المقام الأوَّل إلى المعرفة الجَيِّدَة للجانِب المادي للمَخْطُوط ، أي الكتاب المَخْطُوط المُؤَلَّف من تجميع لكُرَّاسات ، وللتَّبْسيط نقول : إنَّ البِنْيَة التي تُحَدِّدُ موضوع عِلْم المَخْطُوطات هي بِنْيَةُ الكُتُب التي ما زلنا نَستخدمها في أيَّامِنا هذه ، رغم أنَّ المَطْبَعَة حَلَّت فيها محل يد النَّاسِخ .

13

/لَيسَت جَميعُ الكُتُب على شَكْلِ الكُوديكس

وقَبْل أن نَسْتَرْسِل في مَوْضوعنا ، ينبغي أن نَذْكُر أنَّ هناك كُتُبًا صُنِعَت أيضًا وَفْقًا لطُرُقٍ مختلفة : فقد احْتَلَّت اللُّفافَة *volumen* ولِمُدَّةٍ طويلة مكانَةً مُهَيْمِنَةً في عالم البَحْر المُتَوَسِّط [٢]، ولهذا لم يُؤَد انْتِصارُ الكُوديكس codex إلى زوال كُلِّ الأشْكال الأخرى للكتاب . وللحق ، فلم يَلْعَب المَخْطُوطُ الذي على شكل لُفافَة ـ من حيث الكمّ ـ دَوْرًا مهمًّا في العالم العربي الإسلامي [٣]. ففي الوَقْت الذي ظَهَرَ فيه الإسْلامُ ، كان الكُوديكس *codex* قد حَلَّ ، في عالم البَحْر المتوسط والمناطق المتاخمة ، مَحَلَّ اللُّفَافَة *volumen* التي لم تستمرّ إلَّا كأثَرٍ في الاسْتِخْدام الطَّقْسي للطَّوائِف اليَهُودية : نعني بذلك لُفافات التَّوْراة . وعَرَفَ النَّبِيُّ محمد ﷺ وأصْحابُه ذلك دون شك [٤]، ولكن عندما تَقَرَّرَ تَدْوينُ نَصِّ الوَحْي في شَكْل كتابٍ ، فَرَضَ الكُوديكس الذي كان مُهيمِنًا آنذاك نفسه .

٢. يُوجد أدبٌ وَفيرٌ حول تاريخ الكتاب المخطوط وعلى الأخصّ فترة ظهور الـ codex، وسنذكر هنا على سبيل الإشارة كتاب Roberts (Colin, H.) and Skeat (T. C.) و A. Blanchard (éd). *The Birth of the Codex*, [Bibliologia, 9], Turnhout, 1989.

٣. تراجع الطلاسم، إلخ. ومع ذلك ففي رسالة عبد المسيح بن إسحاق الكندي، قيل إن المسلمين الأوائل قد تركوا النص القرآني في شكل صحائف ولفائف على شكل لفائف اليهود، وذلك قبل تَدَخُّل الخليفة عثمان بن عفان. (انظر، P. Casanova, *Mohammed et la fin du monde. Étude critique sur l'islam primitif*, Paris 1910, p. 121; G. Troupeau, *EI*² art. *al-Kindî*, V, p. 123-24).

٤. استخدم القرآن الكريم للإشارة إلى ذلك المصطلح الدقيق التوراة (القرآن ٣/ ٣، ٤٨، ٥٠، ٦٥، ٩٣؛ ٥/ ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٦٦، ٦٨، ١١٠، ٧/ ١٥٧، ٩/ ١١١، ٦٨/ ٢٩، ٦١/ ٦؛ ٦٢/ ٥) وهذا يعنى أن هذا المصطلح كان مألوفًا لمن حَضَرُوا مجالس الرسول ﷺ.

١. اللُّفافَة

اللُّفافَةُ والدَّرْج

يَبْدُو أنَّ النُّسَّاخَ المسلمين لم يَسْتَخْدِموا إطْلاقًا شكل «اللُّفافة» التي تَتَمَيَّز بالكتابة المُتَعامِدَة على مِحْوَرٍ فَوُد اللُّفافَة وتُجْمَع في تتالٍ أعْمِدَةً تُقْرأ الواحدة تلو الأخرى (شكل ١). والمَخْطُوطات الإسْلامية الوحيدة التي كانت على شَكْلٍ / لُفافة والمعروفة حتى الآن تنتمي جَميعُها إلى فَصيلَة الدَّرْج *rotuli* (شكل ٢) الذي تكون الكتابَةُ فيه مُوازِيَةً للمِحْوَر[٥]. وتُوجَد بالطَّبْع اخْتِلافاتٌ خَطِّيَّة ـ وعلى الأخَصِّ في نُسَخ المُصْحَف ـ ولكن لا تُدينُ إجْمالًا العَرْضَ الذي نَطْرَحه. ولنَخْتِم هذا الحديث عن الدُّرُوج، نُشير إلى خاصِّيةٍ إندونيسية، نعني بها جَرائِد النَّخيل الطويلة والمكتنزة المخاطة الأطْراف (رأسًا لرأس) والتي يَنْسابُ عليها سَطْرٌ واحدٌ من الكتابة. ويحافظ على تَثْبيت كلِّ ملَفَّيْن من هذا النَّوْع من المخطوطات جَنْبًا إلى جنبٍ بشَرْحٍ من الخَشَب أو المَعْدن (مخطوط جاكرتا، Perpustakaan Nasional, VL 43)[٦].

٥. S. Ory, "Un nouveau type de mushaf, Inventaire des corans en rouleaux de provenance damascaine conservés à Istanbul", *REI* 33 (1965), p. 87-149.

٦. نشكر يان ياست ويتكام Jun Just Witkam على تنبيهنا إلى هذا المخطوط.

٢. الدَّرْج

الكُتُبُ المَزْوجيَّة

وتُوجَدُ مَخطوطاتٌ أخرى يَتَّخِذُ شَكْلُها الخارجي مَظْهَرَ الكُرَّاس codex، إلَّا أنَّ بِناءَها يرتكِز على هَنْدِسَةٍ مختلفةٍ لا عِلاقَة لها بالكُرَّاس. فجميعُ المَعْنِيين بالخَطِّ أو بالمُنَمْنَمات وَقَعَ في أيْديهم ألْبوماتٌ تَظْهرُ على هَيْئَة الشَّكْل المَزْوجي[٧]. وهي مُكَوَّنَةٌ من شَرائِح من الوَرَق المُقَوَّى أُلْصِقَت عليها المُنَمْنَماتُ أو الخُطُوطُ التي جَمَعَها أحَدُ هُواة المجموعات، والتي يَرْتبط بَعْضُها ببعضٍ بمُفَصَّلاتٍ لَيِّنَة من النَّسيج. وهذه المجاميعُ هي مَخْطُوطاتٌ من نَوْعٍ خاصٍّ، فهيَ ثَمَرَةُ عَمَلِ صاحِب المجموع الذي جَمَعَ جَنْبًا إلى جَنبٍ قِطَعًا ذات أُصولٍ مختلفة تَبَعًا لاخْتياراته الشَّخْصية. وستُتاحُ لنا الفُرْصَةُ فيما بعد للعَوْدَة إلى الحالة الخاصَّة التي تُمَثِّلُها بعضُ مَخْطُوطات أفريقيا جنوب الصَّحْراء التي تَتألَّفُ من أوْراقٍ مُنْفَرِدَةٍ مجموعة مَعًا داخِل جِلْدِ كتاب[٨].

٧. بالنسبة للنماذج، انظر CHICAGO 1981, p. 219-221, n°94, pl. coul. O. Or. Inst. (شيكاغو، A12100، نهاية القرن السابع عشر). MUNICH 1982, p. 140 et fig. 24 (مخطوط ميونيخ رقم BSBCod. arab. 2641، الذي يرجع إلى القرن التاسع عشر).

٨. انظر فصل: «كراسات المخطوطات»، وأيضا

15

/ المَخْطُوطاتُ ذات القَطْعِ الكامِل

يَبْدو أنَّ المَخْطُوطات ذات القَطْعِ الكامل in-plano، وهي التي تُطابِقُ كلُّ صَفْحتين مُتقابِلتين منها وَرَقَةً[٩] كامِلَة (فَرْخ) من المادَّة المستخدمة ، قد عُرِفَت في المنطقة الإسلامية في فَتْرةٍ مُبَكِّرَة : والنَّماذِجُ القليلةُ التي وَصَلَت إلينا منها كُتِبَت على الرَّقّ وتَمَكِّنُنا من أن نُدْرِكَ بسهولَةٍ الطَّريقة التي شُكِّلَت بها . وللأسَف ، لم يَصِل إلينا أيٌّ منها محتفظًا بتَجْليده الأصْلي ، بحيث إنَّه من الصَّعْبِ علينا أن نعرف الكيفية التي كانت تُمْسَك بها الأوراقُ في الأصْل . ومثالُ ذلك مَخْطُوط باريس رقم BnF arabe 324، الذي يمكن أن نُرْجِعَ تأريخه إلى النِّصْف الثَّاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[١٠]: واخْتبارٌ أوَّلي له يمكِّننا من التأكُّد من أنَّ أغْلَب وُجُوه أوْراقه هي الجانب اللَّحْمي[١١] . وتُمَثِّلُ سِلْسلَتان من الأوراق ـ الأوْراق من ١٨ إلى ٢٧ ثم من ٣٠ إلى ٣٧ ـ نَصًّا مُتَّصِلًا ، الأوَّل من عشرة أوراق والآخر من ثمانية ، وكما سَبَقَ أن أشَرْنا فإنَّ الجانبَ اللَّحمي من الرَّقّ هو وَجْهُ الوَرَقَة باستثناء الوَرَقَة ٢٣ التي جاءَت بعكس الاتجاه . ويمكننا أن نَظنَّ أنَّ الأمْرَ يتعلَّقُ ببقايا كُرَّاسات ذات ستّ عشرة أو عشرين وَرَقَة ، ولكنَّنا نُفضِّل تَفْسيرًا آخَر في ضَوْء دراسة المائة واثنتين وعشرين وَرَقَة من النَّصِّ القرآني المُجَمَّعَة في مخطوطي إستانبول رقمي TIEM 51, 52، والتي يتماثل خَطُّها مع خطِّ القِطَع الباريسية والتي تُمَثِّل تَسَلْسُلًا مُتَّصِلًا ، الجانِبُ اللَّحْمي فيها هو وَجْه

٩. لم يكن هناك « طي » ، كما جرت العادة ، انظر فيما يلي .

١٠. يتعلَّق الأمر بقسم من مخطوط مُفَرَّقٌ الآن بين العديد من المجموعات : انظر بالنسبة للأوْراق المحفوظة في باريس ، E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium*, Bonn, 1914, p. XXXII, pl. 42; R. Blachère, *Introduction au Coran*, 2e éd., Paris, 1959, p. 96, 99, 100; G. Bergsträsser et O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts, dans Th. Nöldeke, Geschichte des Qorans*, 2e éd., III, Leipzig, 1938, p. 254; F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 75- 77. وتوجد أوْراقٌ أخرى في مجموعات أخرى : دار الكتب المصرية بالقاهرة (انظر : B. Moritz, *Ar. Pal.*, Le Caire, 1905, pl. 1- 12; A. N. Shebunin, «Kuficheskij Koran Khedivskoj Biblioteki v Kaire», Zapisok Vostochnago Otdvlenia Imperatorskogo russkago arkheologicheskago obshestva 14 (1902), p. 120-125) و Gotha, Forschungsbib- liothek Ms. Orient. A 462 (cf. J. H. Möller, *Paläographische Beitr?ge aus den herzoglic- hen Sammlungen in Gotha*, 1. Heft, Erfurt, 1844, pl. XIV; H. C. von Bothmer, GOTHA 1997, p. 105-107,).

١١. حول مناقشة الجانب اللحمي : انظر فصل : «الحوامل : البَرْدي والرَّقّ» .

16

الوَرَقَة[١٢] . وفي كلا الحالتين يتعلَّقُ الأمْرُ بمَخْطُوطاتٍ ذات قَطْعٍ كامل in-plano كلٌّ من أوْراقها يُمَثِّل قطعةً متكاملةً من الرَّقّ ، فلم يَحْدُث إذًا طيٌّ ، بحيث إن / الكُرَّاسَ لم يعد هو أساس الكتاب . ورُصَّت الأوْراق كلُّها بالطريقة نفسها ، أي أنَّ كلَّ الوُجُوه هي الجَوَانِب اللَّحمية للرَّق وكلَّ الظُّهور هي الجَوَانِب الوَبرية . ولا تمكِّنُنا حالة هذه المَخْطُوطات ـ التي يبدو بوُضُوحٍ أنَّها تعرَّضت لترميمات مُتَعَدِّدَة ـ من التَّعَرُّف على الكيفية التي جُمِعَت فيها هذه الأوْراقُ معًا في الأصْل ؛ هل كانت تُخاطُ مُنْبسِطَة[١٣] أم رُكِّبَت على زَائِدَة ؟ لا نجد إجابةً على ذلك . وربما كان مَخْطُوط دار المَخْطُوطات بصَنْعَاء رقم 20.33.1 قد نُفِّذ بهذه الطَّريقَة ، ولكن لم يُحَدَّد إذا كانت كلُّ أوراقه لها الاتجاه نفسه[١٤] . وإلى يومنا هذا لا توجد لدينا أيُّ مُؤَشِّرات مُحَدَّدَة تسير في هذا الاتجاه . فهل اسْتُخْدِمَت الطَّريقة التي أتَيْنا على شَرْحها الآن في المخطوطات الورقية ؟ لا نستطيع أن نسْتَبْعِد أنَّ المصاحِف ذات الأحْجام الكبيرة ـ مثل مُصْحَف بايسونجور ، والذي يبلغ مِقْياسُ كلِّ ورقةٍ منه في وضعه الراهن

١٢. يمكن أن تنسب مخطوطات أخرى إلى هذه المجموعة : فإضافة إلى مخطوطي إستانبول رقمي TIEM 51 و 52، وباريس رقم BNF arabe 324، (انظر المراجع في هـ[١٠]) ، يوجد مُصْحَفٌ محفوظٌ بمسجد سيدنا الحسين بالقاهرة ومصحف آخر منسوب لعثمان بطَشْقَنْد . ومن الصعب ، الحكم من خلال صُوَر مُصْحَف سيدنا الحسين بالقاهرة ، إذا كان يمكن ملاحظة الهيئة نفسها F. Neema, "Restaurado, el Coran mas antiguo", *Excelsior, Mexico*, D. F., s 25/07/1993، فمقياس المصحف ٧٠×٦٠ سم ؛ انظر . صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي ، ٥٣ـ٥٤) . وبالنسبة لمخطوط طشقند ، انظر : A. N. Shebunin, «'Kuficheskij Koran Imperatorskoj Sankt-Petersburgskoj publichnoj Biblioteki», Zapiski Vosto- chnago Otdvlenija Imperatorskogo russkago arkheologiches-kago obshestva, 6, 1891, p. 75-81، وصلاح الدين المنجد : المرجع السابق ، ٥٠ ـ ٥٢ ؛ E. Rezvan, «The Qur'ân and its world: VI. Emergence of the canon: the struggle for uniformity», *Manuscripta Orientalia*, 4/2, 1998, p. 47, n. 10، (بيليوغرافيا المنشورات باللغة الروسية) ، تقارن بالصحائف المعروضة للبيع بلندن (انظر : Christie's, 20 et 22 1992, nº 225 et 225 A., 19et 21 octobre 1993, nº 29 et 30) . وبحسب ريد R. Reed، فإن حجم هذه المخطوطات يطابق رَقًّا معدًّا من جلد الماعز (*Ancient skins, parchments and leathers*, p. 130) .

١٣. أي بثُقْب عبر مجموعة من الصحائف على طول الحاشية الداخلية ، وعلى مسافة قصيرة من الحافة . (راجع : D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 179) .

١٤. Dreibholz (Ursula), «Der Fund von Sanaa. Frühislamische Handschriften auf Pergament», in P. Rück ed., *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, Sigmaringen, J. Thorbecke, 1991, p. 301, n. 9.

١٧٧×١٠٠سم ـ قد كتبت على القطع الكامل[١٥].

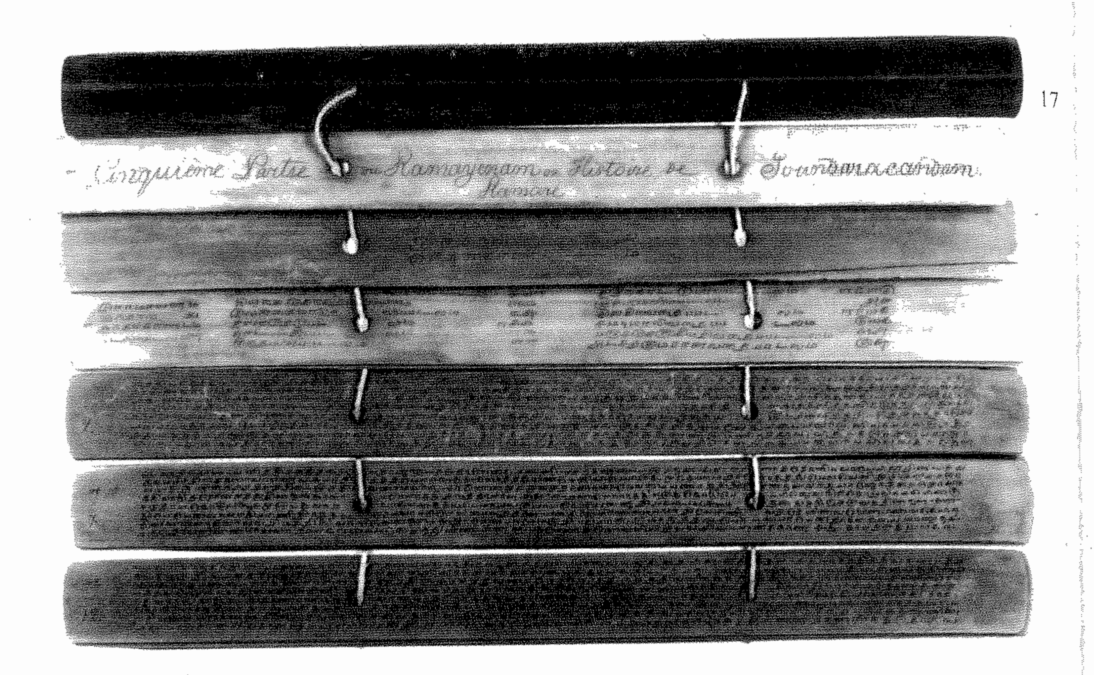
وأتاحَ انْتِشارُ الإسْلام للعَرَبِ الفاتحين أن يَتَّصلوا سريعًا بحضاراتٍ عَرَفَ فيها الكتابُ طُرُقًا مختلفةً في الصِّناعَة. وكان للمواجهة مع الإمبراطورية الوسطى Milieu الصِّينِيَّة خلال معركة طَلَس (طراز) سنة ١٣٣هـ/٧٥١م نتائج معروفة جَيِّدًا فيما يخص مجالنا: فقد أدَّى أسْرُ صُنَّاعِ الوَرَق إلى تَبَنِّي نُسَّاخ العالم الإسلامي شيئًا فشيئًا الوَرَق في كتابة المخطوطات[١٦]. وبالمقابل فإنَّ أشكال الكتاب الصِّينية الصِّرفة لم يُقَدَّر لها الانْتِشار. كما أنَّ العلاقات مع شِبْه القارَّة الهندية لم تُعَدِّل إطْلاقًا مَصيرَ الكتاب العربي الإسلامي: فقد ظَلَّ اسْتِخْدامُ وَرَقِ سَعَفِ النَّخْل المُسَمَّى ôles خاصِّية مرتبطةً بالمَخْطُوط المَحَلِّي، فلم يَسْتَخْدم الإسْلامُ شَرائِحَ النَّخيل إلَّا في حالاتٍ شَديدة الخُصوصية، مثل تلك التي أشَرْنا إليها فيما تقدم.

مَكانَةُ عِلْم المَخْطُوطات في دِراسَة المَخْطُوطات

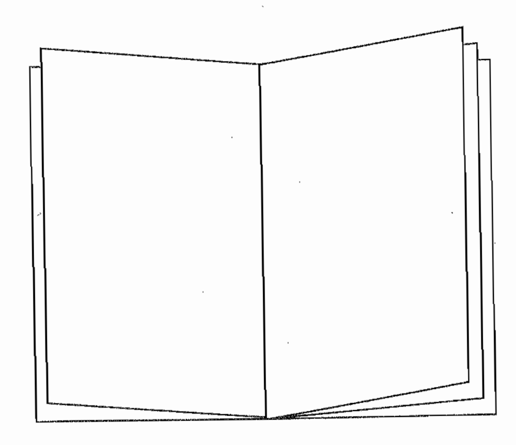
إذًا فإنَّ اهتمام عالم المَخْطُوطات يَنْصَبُّ على الكُوديكس (codex) أو الكتاب الرأسي (شكل ٤). ويُفَسَّر هذا الاهتمام ـ الحَديث العَهْد نسبيًا ـ باستعادَة الانْتِباه، خلال القرن العشرين، بالفائدة التي يمكن أن يُقَدِّمها الكتابُ، وتاريخه بوَجْهٍ خاص. إنَّ تاريخَ الكتاب، كما أظْهَرَت الأبحاثُ، لا يمكن فَصْلُه في الواقع عن تاريخ النَّصِّ الذي يُمَثِّل المَطْبُوع أو المَخْطُوط حامِلًا له: وبعيدًا عن الاخْتِلاط مع النَّصِّ، فإنَّه يَسْمَح بتَوْضيح تاريخ الفَتْرَة التي أُنْجِزَ فيها الكتاب.

١٥. James (David), *After Timur. Qur'ans of the 15th and 16th centuries*, p. 18-23.

١٦. انظر فصل «حوامل الكتابة: الورق».



٣. مَخْطُوط هِنْدي على سَعْفِ النَّخْل، باريس BnF indien 283



٤. الكُوديكس

أهْدافُ عِلْم المَخْطُوطات

ولتحقيق هذا القَصْدِ ينبغي لعِلْم المَخْطُوطات أن يَتَطَوَّر في اتِّجاهَيْن. أوَّلًا دِراسَة مجموع التِّقْنيات المُسْتَخْدَمة في صِناعَة المَخْطُوط إلى أقْصَى ما يمكن من الدِّقَّة. وفي هذا الخُصُوص، فإنَّ ما تُقَدِّمه الطُّرُقُ المَخْبرية يَسْمَح بالإجابة على الأسْئِلَة التي لا يَسْمَح الفَحْصُ الدَّقيقُ بحَلِّها؛ على سبيل المثال تركيب/ الألْوان أو تحديد ألْياف

وَرَقٍ مُعَيَّنٍ[١٧] . ومع ذلك فإنَّ عالِمَ المَخْطُوطات يستطيع أن يَجْمع ، بدون الاسْتِعانَة بأدَوات القِياس ، عَدَدًا مهمًّا من المُعْطيات : وسيكون الصَّبْرُ والفُضُولُ هما إذًا رفيقيه اللذين لا غنى عنهما . ولعلَّه يجد عَوْنًا في هذا الكتاب الذي يخدم في المقام الأوَّل هذه المُقارَبَة طالما أنَّه يسعى إلى تَزْويد القارئ بعناصِر تُمَكِّنه من التَّعَرُّف على الأساليب التي اسْتَخْدَمها صُنَّاعُ الكتاب .

ولكن هذا التَّحْليل لا ينبغي أن يكون غايَةً في حَدِّ ذاته : فيجب أن يَصْحَبه جُهْدٌ لتحديد تأريخ وأيضًا مكان هذه التِّقْنيات المختلفة . إنَّ كُلَّ عَمَلٍ في هذا المجال يجب أن يُحيل إلى الأهمية الأساسية ، وهي بناء سلسلة مُتماسكة من الوثائق التي يُوَضِّحُ بعضُها بعضًا . إنَّ العَديدَ من هذه الشَّواهِد مُؤَرَّخٌ ويحمل أحيانًا مُؤَشِّرًا على المَصْدَر الذي جاءَ منه : فدورها أساسي في تَطَوُّر المقارَنات التي سيقوم بها عالِمُ المَخْطُوطات . والأكثر من ذلك ، فإنَّ القِطْعة المُنْفَرِدَة ـ في عَيْنَي فاحِصها ـ مليئةٌ بمخاطر الأخطاء والتَّفسيرات العكسية . وكثيرةٌ هي المَخْطُوطات التي لا نملك ـ في حُدُود معرفتنا الحالية ـ مثيلًا لها ، ولا يتعلَّق الأمْرُ بالضَّرورة بنُسَخٍ وَحيدة *unicum* لنَصٍّ ما ، ولكن بنُسَخٍ لمُؤَلَّفاتٍ معروفة جِدًّا ابتداءً بالمَصَاحِف التي تُمَثِّلُ خَصَّائِص يصعب التَّنَبُّه إليها طالما أنَّه لا توجد لدينا نَظائِرُ لها . وهكذا ، فإنَّ الملاحظات التي قَدَّمَها جاك بيرك Jacques Berque بخصوص مُصْحَف المكتبة الوطنية بتونس رقم 14.246 يمكن مُناقَشتها ، لأنَّه فَحَصَها على انْفِراد[١٨] بَرَغم انْتِمائها إلى مجموعٍ أكبر[١٩] . حقيقةً أنَّ عَدَدَ المَخْطُوطات المكتوبة بالحرف العربي كبيرٌ جدًّا ، والكثيرُ منها لا نعرفه جيِّدًا ، إن لم نَقُل أنَّه مجهولٌ تمامًا .

١٧. بالرغم من أنها صدرت منذ مدة ليست بيعيدة ، فإن أعمال ندوة *Les techniques de laboratoire dans l'étude des manuscrits*, [Colloques internationaux du CNRS, 548]. تُعَرِّفُنا بإيجاز على الإمكانات التي تتيحها هذه التقنيات . وتوجد فيما يلي في هذه المقدمة نظرة موجزة حول الطُّرُق الحديثة للتَّعَرُّف على مكونات الأمِدَّة والمواد الملونة ؛ ويمكن الرجوع أيضا إلى فصل « الأدوات والمستحضرات » . ونشير في الأخير ، إلى أنه يوجد بروما Instituto centrale per la patologia del libro، صاحِب التجربة الطويلة في هذا المجال .

١٨. «The Koranic text: From revelation to compilation», في G. Atiyeh ed., *The book in the Islamic world*, p. 25.

١٩. F. Déroche, «The Ottoman roots of a Tunisian calligrapher's *tour de force*», *Interaction in art* (Ankara, 2000; p. 106-109).

ولِنُذَكِّر باكْتِشافِ مَصَاحِف صَنْعَاء وما أحْدَثَه هذا الاكْتِشافُ من تَغْييرات في معرفتنا عن القرون الإسلامية الأولى[٢٠] . يَنْبَغي إذًا القيام بمجهودٍ واسع لضَبْط واقِع التُّراث العربي الإسلامي المكتوب في جميع مجالاته ؛ فنظرتنا الآن إلى هذا التُّراث تعتريها ثَغَرات كبيرة ، ويَكْمُن هنا ضَعْفُ هذا الكتاب الخاضِع لمَعْرِفَةٍ في دَوْرِ التَّشَكُّل والتي لا يُمْكن أن تُمَثِّل إذًا إلَّا مرحلةً أولى .

19

/عِلْمُ المَخْطُوطات (الكوديكولوجيا) وعِلْمُ تَطَوُّر الخَطّ (الباليوجرافيا)

يحتلُّ الخَطُّ ـ الذي يُعَدُّ أحد عَناصِر إنْجاز المَخْطُوط ـ مكانَةً مُتَمَيِّزَة . وقد أوْلَى المتخصِّصون في المَخْطُوطات الغربية دراسة الخَطِّ مكانَةً مستقلة . فقد ظَهَرَ عِلْمُ تَطَوُّر الخَطِّ تاريخيًّا قبل عِلْم المَخْطُوطات ، وتَطَوَّر تَطَوُّرًا كبيرًا وشَكَّل بذلك حَقْلًا معرفيًّا مُسْتقِلًّا[٢١] . وأسْهَمَت أسبابٌ مختلفة في المجال العربي الإسلامي في تأخير الدِّراسة الجادَّة للخُطُوط المستخدمة في الكتب وميلاد تحليلٍ علمي ورَصينٍ لأشكالها وتَطَوُّرها . لذلك يبدو من المَعْقُول إدْماج العِلْم الذي يَتَّخذ من هذه الأشْكال الخَطِّية مَوْضُوعًا في إطار عِلْم المَخْطُوطات ـ وهذا لا يعني إطْلاقًا أنَّنا نعتبر أنَّ خُطُوطَ المَخْطُوطات تختلف تمامًا عن خُطُوط النُّقُوش أو البَرْديات العربية !

نَحْو تاريخ للكِتاب بالخَطِّ العَرَبي

يَظَلُّ الاتِّجاهُ الآخَر الذي يَنْبَغي أن يَتَوَجَّه إليه عِلْمُ المَخْطوطات في الوَقْتِ الحاضِر هَدَفًا بعيد المنال : فالمُعْطَياتُ التي يجمعها بصَبْرٍ عِلْمُ المَخْطُوطات هي المَوَادُّ التي يمكن من خلالها مستقبلًا إعادَة بناء تاريخ الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العربي كانْعِكاسٍ صَادِقٍ للظُّروف الفِكْرية والاجْتماعية والاقْتصادية وحتى التِّقْنية التي وُلِدَ فيها . وقد حَوَّلَ بعضُ العُلَماء أحيانًا مَسَارَ هذا التَّخَصُّص نحو أهْدافٍ غاية في الدِّقَّة . فقد آثَرَ

٢٠. KUWAIT 1995 .

٢١. جمع لومير عناصر الجدل الدائر حول مكانة العلمين في : J. Lemaire, *Introduction*, p. 3, n 5 et 6 .

رُودُلْف سِلْهايم في كتابه Rudolf Sellheim, *Materialen zur arabischen Literaturgeschishte*[٢٢] اسْتِغْلال العَديدِ من التَّقْييدات التي تَزْخَر بها المَخْطُوطات ، وأن يُفْرِد كذلك قِسْمًا أكبر لدراسة تاريخ النُّصُوص ، مُحاوِلًا بذلك أن يَجْعَل أبْحاث عِلْمِ المَخْطُوطات تَتَّجه أكثر لِخِدْمَة تاريخ الأدب . وهذا من شأنه أن يُنير الطَّريق لعالم المَخْطُوطات : فيدلُّه على سبيل المِثال على وُجُودِ عائلة من المَخْطُوطات ، أو بمعنى آخر نُسَخٍ تعود إلى أصْلٍ واحِد ، وفي أحوالٍ كثيرة إلى أصولٍ مختلفة .

20

/عِلْمُ المَخْطُوطات والفَهْرَسَة

إنَّ مَوْضُوعَ عِلْمِ المَخْطُوطات يجعله يُحْتَسَب بين العُلُوم المساعدة للتاريخ ، ولا يَقْتَصر دَوْرُه ـ مع ذلك ـ على جَمْعِ عَناصِر تُساهِم في الضَّبْطِ الجَيِّد لتاريخ عَصْرٍ مُحَدَّدٍ ، بفَضْلِ المعرفة التي تَزْدادُ دِقَّةً يَوْمًا بعد يوم للأساليب المُسْتَخْدَمَة عَبْر العُصُور المختلفة في صِناعَة المخطوط والتي تساعد في إمكانيات تحديد تأريخ وحتى المكان الذي أُنْجِزَت فيه نُسْخَةٌ دون أن يكون مُحَدَّدًا بها تأريخُ أو مكانُ النَّسْخ . ولكن ، وكما علينا أن نَفْهَم ذلك ، فإنَّ الخَدَمات التي يمكن أن يُقَدِّمها عِلْمُ المَخْطُوطات إلى كُلِّ الذين تَعتمد دراساتُهم على المَخْطُوطات تتطلَّبُ قبل كُلِّ شيء عملًا صَبُورًا من جَمْعٍ لمُعْطَيات محدَّدة وتحليلٍ دَقيقٍ لعلاقاتها . ونأمَل أن يُوَفِّر التَّقَدُّم الحادث في الفَهْرَسَة[٢٣] ، وعلى الأخَصِّ في وَصْفِ المَخْطُوطات ، الوَسائل لتحقيق هذا التَّطَوُّر : والكتابُ الذي بين أيْدينا مَدينٌ لعَمَلٍ مُتَمَيِّزٍ قامَ به على أكْمَلِ وَجْهٍ منذ رُبْع قَرْن واضِعُو الفهارس الحَديثَة الذين نُعَبِّر لهم عن امتنانِنا .

وتستَلْزِم هذه الأعمالُ المُتَواضِعَة والضَّرُورية اسْتِخْدامَ مُصْطلحاتٍ دقيقة قَدْر الإمْكان . فبفَضْلِ عَالِمِ المَخْطُوطات الفرنسي دنيس ميزريل Denis Muzerelle نَمْتَلك

٢٢. R. Sellheim, *Materialen*, t. I et II. ومصطلح «Handschriftenkunde» الذي يستخدمه متخصصو اللغة الألمانية قديم ومفهومه أوسع من مصطلح «codicologie/codicology» ، الشيء الذي يمكن أن يفسر هذا التوجه المختلف . وأُسِّسَ معهد بحوث وتاريخ النصوص في فرنسا (IRHT) من منظور مشابه ، حيث يحتلُّ فيه علم المخطوطات مكانةً أكبر من تاريخ النصوص .

٢٣. انظر فصل : « تاريخ المجموعات » .

الآن باللُّغَة الفرنسية مُخَصَّصًا للألْفاظ أفَدْنا منه كثيرًا في تَعْريف المُصْطَلَحات النَّوْعية المُسْتَخْدَمَة[٢٤] . إنَّنا مهما شَدَّدْنا على ضَرُورَة اسْتِخْدام كلمات مُحَدَّدَة ، سيكون ذلك على الأقَلّ فيما يَخُصّ التَّعْريف الأساسي لأجزاء الكوديكس codex المختلفة ، فهذا الكيان المألوف لنا يتكوَّن من «كَعْب» يُوجد في المَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْفِ العَرَبي على يمين القارئ عندما يهم بالقِراءَة ؛ وتُوجَد بهذا الجانب الخِياطَة التي تُمْسِك الكُرَّاسات معًا . وأمَّا الجَوَانبُ الثَّلاثة الأخرى فهي حَوَافُّ الكتاب : ففي مُوَاجَهَة الكَعْب إلى اليسار تُوجَد «طُرَّةُ الكتاب» . ويُطْلَق على الجزء الأعلى من المُجَلَّد البعيد من القارئ «الرَّأس» وعلى الجزء الأقْرَب «الذَّيْل» .

المَناهِجُ

الاسْتِعْمالُ الأمْثَل للأصُول والمُسْتَنْسَخات[٢٥]

21

يجب أن تتمَّ جَميعُ المُلاحَظات حَوْلَ ظَاهِرِ أي مُؤلَّف أو باطِنه بأكبر قَدْرٍ من الحَيْطَة . فالتَّعامُل مع الأصْلِ يَسْمَحُ بعَمَل قائمة عناصِر جَديرَة بالمُلاحَظَة : قياس حَجْم المُجَلَّد وثَخانَة الورقة ، والمِساحَة المكتوبة ، وكَشْف المواضِع التي تَسْتَدْعي اسْتِخْدام وسائل تِقْنية لرؤية / ما يتعذَّر رؤيته (عَدَسَة مُكَبِّرَة ، سِكانر ، مصابيح ، أشِعَّة ، بتاغرافيا ، بَرْمَجيات تحليل الصُّوَر) ؛ ومَعْرِفَة المَوَادِّ (أحْبار ، أوْراق ، أصْباغ) ، سواءً بالعَيْنِ المجرَّدَة أم بواسطة عَدَسَةٍ مُزْدَوَجَة ، أو أخيرًا بفَضْل التَّحاليل الفيزيائية ـ الكيميائية اعتمادًا على عَيِّنات مجهرية[٢٦] ؛ وأن نُؤَرِّخ عند الاقْتِضاء الوَثيقَة عن طريق حاسَّة الشَّمّ ، عِلْمًا بأنَّ الجِلْد حديث الدِّباغة تنبعث منه رائحةٌ مُمَيِّزَة .

٢٤. *Vocabulaire codicologique. Répertoire méthodique des termes français relatifs aux manuscrits*. [Rubricae, 1], Paris, 1985. كما نشير إلى العمل المتميز في مجال مصطلحات علم المخطوطات العربي ، ألا وهو كتاب آدم جاشيك Adam Gacek: *The Arabic Manuscript tradition, A Glossary of Technical Terms and Bibliography*; Brill, 2001.

٢٥. كَتَبَت هذا الفَصْل آني برتييه Annie Berthier .

٢٦. يمكن الآن ، بفضل الطرق الحديثة ، أن لا نقتطع شيئًا من المخطوط ؛ وتوجد إيضاحات حول هذه الطرق التي لا تمس سلامة المخطوط في الفقرة التالية وفصل « الأدوات والمستحضرات » .

وأيُّ صُورَةٍ للمَخْطُوط، مهما كانت ممتازة، لا تسمح بالتَّعَرُّف على اللَّوْن الدَّقيق لأي حامِل (بَرْدي، وَرَق أو رَقّ)، وبقِياس كثافته، وفَحْصه بنَقَاء، وتحديد حُبيباته (مَلْمَسه)؛ ويستحيلُ أيضًا عن طريق الصُّورَة تَقْدير سُمْك وَرَقَة لاكتشاف وجود لَصْقٍ أو قَطْعٍ بها، أو مُلاحَظَة الكَشْط أو قِياس حَجْم المجَلَّد، وحِساب عدد كُرَّاساته، والتَّعَرُّف على طبيعة خياطته، كما أنه يَصْعُب دِرَاسَة التَّسْطير، والأحْبار، وتحليل الاسْتِمْداد، والمَقَاطِع التي أُفْسِدَت أو مُحِيَت. نستطيع إذًا القَوْل بأنَّ الوَصْفَ الكوديكولوجي الكامل لمُجَلَّدٍ ما لا يمكن أن يتم إلَّا عن طريق فَحْص المَخْطُوط الأصْلي. ومع ذلك، فإنَّ نُسَخَ الوَثائِق (الصُّوَر الفوتوغرافية، والشَّفافات، والميكروفلم والميكروفيش، والصُّوَر طِبْق الأَصْل، والصُّوَر الرَّقمية) تَسْمَح بعَمَل مُعالجات يستحيل القيام بها مع الأصُول، فملاحَظَةُ المُسْتَنْسَخات هي مَرْحَلَةٌ جَيِّدَة في عَمَلِ جَمْع الصُّور اللَّازمة في مَرْحَلَةٍ مُعَيَّنة من التَّحْليل. وستكون معالجةُ الأصُول يَسيرَةً إذا حَدَّدْنا مُقَدَّمًا، بفَضْلِ مُراجَعَة صُورَة مُسْتنسخة ما يَنْبَغي مُشاهَدته أو مُلاحَظَته.

والمُسْتَنْسخاتُ نَوْعان: المُسْتَنْسخاتُ الموجودة بالفِعْل (مُصَنَّفات ومُصَوَّرات طِبْق الأَصْل، وجُذاذات مُصَوَّرَة خاصَّة بمؤسَّسات، وقَواعِد بيانات رقمية أو غيرها) من جهة، ومن جهة أخرى المُسْتَنْسَخات التي جَمَعَها الباحِثُ ولها وَظيفَةٌ واضِحَةٌ ومُحَدَّدَةٌ: مُخَطَّطات، ورُسُوم منقولة (تَسْمَح بمضاهاة المُعْطيات)، وصُوَر لمُؤَلَّفات أو مَخْطُوطات مأخوذة من ميكروفلم، وصُورَ مُكَبَّرَة، أو صُوَر مأخوذة بطريقة السكانر.

الطُّرُقُ المَخْبَرية في دِرَاسَة المَخْطُوطات[٢٧]

لقد طالَب المُتَخَصِّصُون في المَخْطوطات منذ زَمَنٍ طَويل بمساهمة التِّقْنيات الكيميائية أو الفِيزْيائية في أعْمالهم، سواء فيما يتعلَّق بإحْياء الكتابات المُمْحاة، أو محاولة التَّعَرُّف على الحيوان الذي اسْتُخْدِم جِلْدُه في صناعة رَقٍّ، أو تأريخ هذا الرَّق، أو تحليل مُكَوِّنات ورقةٍ أو تحديد الأصْبَاغ والألْوان التي اسْتَخْدَمها الكُتَّاب والمُزَيِّنون.

٢٧. كَتَبَ هذا الفَصْل برنارد جينو Bernard Guinaud وجون فيزان Jean Vezin.

22

وتتطوَّر الطُّرُقُ المُسْتَخْدَمة / الآن تَطَوُّرًا سَريعًا، وتَزْدادُ يومًا بعد يوم دِقَّةً ويُسْرًا في الاسْتِخْدام، بالرَّغْم من أنَّ جَميعَ هذه الطُّرُق ليست مُيَسَّرَة.

ولن نُحاول في هذه الصَّفَحات أن نُقَدِّمَ شيئًا آخر عدا لمحات عن الطَّرائق المتوافرة. وبغَرَض اسْتِكمال هذه المعلومات، نشير إلى أعمال المُؤتمرات الأربعة التي يمكن أن يجد فيها القارئ الإشارات الأساسية: فستُعَرِّفه بطريقةٍ ملائمة على الإمكانات الحالية[٢٨]، ولكنَّها لا تُغْفيه من مُتابعة الإصْدارات الحَديثَة ومُراجَعَة الفيزيائيين الكيميائيين الأثْبات للوقوف على كُلِّ ما يَجِدّ. فكما في جميع المجالات الأخرى فإنَّ الأساليب والأدَوات تَتَطَوَّر في الواقع بسرعة كبيرة.

الأدَوَاتُ المُسَاعِدَة على قِرَاءَة الكتابات المَمْحُوَّة

كانت هناك مُحاوَلاتٌ، منذ القرن التاسع عشر، لإعادَة إظْهار الكتابات المَكْشُوطَة أو المَمْحُوة بمُساعَدَة كواشِف كيميائية. فقد أجْهَدَ الكارْدينال أنجيلو مي Angelo Mai نفسه لقراءة رُقُوقٍ أُعيدَ اسْتِخْدامُها بفَضْل هذه الطَّريقة، ولكن نَتائِجَ ذلك كانت للأسف مُخَيِّبَةً للآمال. فالكتاباتُ لا يمكن استعادتها إلَّا لفترة زمنية قصيرة نِسْبيًّا، كما أنَّ الرَّقَّ كان يَتْلَف بطريقةٍ يتعَذَّر معها إصْلاحُه بسبب المُسْتَحْضَرات المختلفة المستخدمة، الأمْرُ الذي يجعل مُحاوَلاتُ القراءة اللَّاحِقَة مُسْتَحيلَة، ممَّا أدَّى إلى الاسْتِغْناء عن اسْتِخْدام هذه الطُّرُق. ومع ذلك فيجب أن نَذْكُر أنَّ بعض الكيميائيين أوْصَوا باسْتِخدام طَرائق أخرى أكَّدوا عَدَم ضَرَرِها.

٢٨. *Les techniques de laboratoire dans l'étude des manuscrits*, L. Fossier et J. Irigoin éd., *Déchiffrer les écritures effacées*, Paris, CNRS, 1990; *Pigments et colorants de l'Antiquité et du Moyen Âge. Teinture, peinture, enluminure, études historiques et physico-chimiques*, Paris, CNRS, 1990; M. Maniaci and P. F. Munafò eds., *Ancient and medieval book materials and techniques*. ونجد أيضا بعض المراجع المفيدة في كتاب: Linda L. Brownrigg éd., *Making the medieval book: techniques of production* (Proceedings of the Fourth Conference of the Seminar in the History of the Book to 1500, Oxford, juillet 1992), Los Altos Hills, 1995.

وحاليًا ، فإنَّ القِراءَة عَبْر الأَشِعَّة فوق البَنَفْسِجِيَّة هي الطَّرِيقَة الأسْهل والأكثر اسْتِخْدامًا لإعادَة إظْهار كتابَةٍ مَكْشُوطَةٍ أو مَمْحُوَّة . ويمكن أن نلجأ إلى القِراءَة المباشرة عن طريق مِصْباح Wood، إلَّا أنَّ من شأن هذه الطَّرِيقة أن تُجْهِد العينين حتى لو استخدمنا نَظَّارات واقِيَة . والأكثرُ اسْتِحْسانًا هو عَمَلُ كليشيه (صُورَة طِبْق الأَصْل) للفَقَرَات التي نَوَدُّ قراءَتَها . وهكذا فإنَّنا نحافظ على بَصَرِنا ومن جِهَةٍ أخرى نُقَلِّل كثيرًا الفترة التي نُعَرِّض فيها الوَثِيقة للأَشِعَّة فوق البَنَفْسِجِيَّة ، وهي كما نَعْلَم لا تَخْلو من ضَرَر . ولهذه الصُّوَر الفوتوغرافية ذات الإشْعاع فوق البَنَفْسِجي مَزِيَّةٌ أخرى هي إمْكان فَحْصِها على مَهَل وإخْضاعِها لمختلف عَمَلِيَّات تكْبير المتضادات ، ممَّا يَسْمَح بجَمْع مَيْزات العديد من الطُّرُق مَعًا .

وهناك تِقْنِيَةٌ أكثر حَدَاثَة هي التَّصْوير بالانْعِكاس فَوْق البَنَفْسَجي التي تُحَسِّن النَّتائج إذا كان النَّصُّ المراد قِراءَته كُتِبَ بمِدادٍ عَفْصِي معدني . أمَّا في حالة الأمِدَّة الكربونية ، الأكثر اسْتِخْدامًا في الشَّرْق ، فإنَّ التَّصويرَ بالانْعِكاس بالأشِعَّة تحت الحَمْراء يُعْطي نتائج جَيِّدَة باستخدام آلة تصوير Vidicon مُتَّصِلَة بشاشَة ومُزَوَّدَة بمُرَشِّح مُناسِب .

23

/ ويُقدِّم الإشْعاعُ تحت الأحمر مَزِيَّةً أخرى ، معروفةً جَيِّدًا لمعامل الشُّرْطَة القضائية : فبفضله أصبح من الممكن قراءة النُّصُوص المَشْطُوبَة أو التي تحجبها طَبَقَةٌ من الدِّهان . وهكذا ، وفي الحالات الملائمة ، نستطيع أن نقرأ ما يُوجَد من توجيهات لأجْل المُصَوَّر منقوشة تحت زَخْرَفَة على الرَّقّ ، بالرَّغْم من إعادة تغطيتها بالرَّسْم .

وظَهَرَت اعتبارًا من عقد السَّبْعينيات من القرن العشرين طُرُقٌ جَدِيدَةٌ تَسْمَح بإعادَة قراءة النُّصُوص المَمْحُوَّة بفَضْلِ عَمَلِيَّات تكبير التَّبايُنات . ويتم ذلك عن طريق الفَحْص البَصَري المُعْتَمِد على التَّحْليل الضَّوْئي للصُّوَر أو التَّحْليل الرَّقْمي . وهاتان التِّقْنيتان واعِدتان ، بحيث إنَّه يمكن تَفْعيلهما لا عن طَريق الأصُول وإنَّما عن طَريق كليشيهات مأخوذة بالإشعاع فوق البَنَفْسجي أو تحت الأحمر ، ممَّا يَسْمَح بتحسين الصُّوَر النَّاتِجَة بالفِعْل . وللأَسَف الشَّديد ، فإنَّ التَّقَدُّم الذي تَحَقَّق في هذا المجال ، ولاسيما بالنِّسْبَة لتَوْزيع أكثر فعالية للآلات ، وإنْ كان مُكَلِّفًا نِسْبيًّا ، فإنَّه لم يُفِد الدِّراسات الكوديكولوجية حقيقةً حتى الآن إلَّا بالشيء القليل .

إنَّ الاسْتِخْدامَ الحَصيف لهذه التِّقْنيات المختلفة يُعْطي أحيانًا نتائج رائعة دون أن يكون علينا أن نَنْتَظِرَ منه مُعْجِزات : فإذا كان هناك نَصٌّ غُسِلَ أو كُشِطَ بعنايةٍ فائقةٍ بحيث إنَّه لم يترك أي أثَرٍ للحِبْر ، فإنَّه من غير المُجْدي أن نَتَوَقَّع قراءَة أي شيء . ويَنْطَبِق هذا ، بصِفَةٍ خاصَّة ، على عَلامات التَّمَلُّك التي عادَةً ما كانت تُمْحَى بقُوَّة ، حارِمَةً بذلك الباحثين من معلوماتٍ ثمينة حَوْل تاريخ المَخْطُوط .

وأخيرًا فإنَّنا نُصادِفُ أحيانًا على الرَّقِّ نُقُوشًا خُطَّت بواسِطَة آلَةٍ حادَّة . وهذه التَّقْييدات في العُمُوم صَعْبَة القِراءَة . وإن كانت الصُّوَرُ المأخوذة بواسطة أشِعَّة مُبْهِرَة قد تُيَسِّر قراءتها .

تَحْديدُ الأصْباغ والألْوان

تُقَدِّمُ الطُّرُق المستخدمة في المخابِر خَدَمات أخرى . فقد حَقَّقت تِقْنياتُ الفَحْصِ الفيزيائي الكيميائي للأصْباغ والألْوان المستخدمة في المَخْطُوطات ، منذ أربعين عامًا ، تَقَدُّمًا كبيرًا ، سواء فيما يَخُصُّ نَوْع ودِقَّة النَّتائج المُتَحَصَّل عليها ، أو السُّهُولَة الكبيرة التي يتم بها إجراء الفُحُوصات ، وذلك على الأخَصِّ بفَضْل الأحْجام الصغيرة لبعض الآلات والتي يَسْهُل نَقْلُها إلى أماكن حِفْظ المَخْطُوطات . ففي الواقع أنَّه من الخُطُورَة بمكان حَمْل مَخْطُوطٍ إلى مَخْبَرٍ فيزيائي ؛ والأصْوَب هو أخْذ عَيِّنات مِجْهَرية إذا كُنَّا سنَسْتَخْدم آلات ثابتة .

وتُعْطي العَديدُ من تِقْنيات التَّحليل المجْهري نتائج في غاية القيمة ، حتى وإن كانت العَيِّنات التي بحوزتنا ذات أحْجام صغيرة جدًّا (حجمها محدود لصُعُوبة المعالجة) . ومن بين الطُّرُق القابلة للتَّنفيذ ، يجب أن نُمَيِّز ، من ناحيةٍ ، طُرُق الفَحْص العُنْصُري ، والتي من أكثرها اسْتِخْدامًا حاليًا ، دون جدال ، الميكروسكوب الإليكتروني المُتَّصِل بكاشِفٍ للأشِعَّة السِّينية مُشَتِّت للطاقة EDXS؛ ومن ناحية أخرى ، الطُّرُق المختلفة للفَحْص التَّرْكيبي (فَحْصُ المركبات) كالمِنْظار الطَّيْفي لامْتِصاص الأشِعَّة دون الحمراء

24

والمِنْظار الطَّيْفي للاستشعاع UV / المرئي ، ومِقْياس طَيْف الكُتْلَة ، ومقياس طَيْف Raman، وهي طُرُق وَجَدَت آليَّتها في السَّنَوات الأخيرة تَكَيُّفًا مع دراسة العَيِّنات الصغيرة جدًّا ، ممَّا أدَّى إلى ظُهور تِقْنيات جديدة ذات مِنْظار طَيْفي مِجْهَري (مِنْظار

طَيْفي مِجْهَري تحت الأحمر، مِنْظَار طَيْفي مِجْهَري Raman). ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ طُرُقَ الفَحْص الذَّري (عن طريق التَّفْعيل النيوتروني أو البروتوني) وطُرُقَ الفَحْص العُنْصُري ذات الحساسية الكبيرة التي يمكن استخدامها بغَرَضِ كشْف آثار عناصِر صغيرة جدًّا في قَلْب عَيِّنَة، تُعْطي معلومات ثمينة عن مَصْدَر المادَّة المُسْتَخْدَمَة. ومع ذلك، فلن تستطيع واحدةٌ من هذه الطُّرُق بمفردها أن تُجيب على كُلِّ التَّساؤلات التي يمكن أن تُطْرَح، وغالبًا ما يحدث أنَّ عَيِّنَةً مِجْهَرِيةً واحدةً يجب أن تكون مَوْضوع فحُوصٍ عديدة ومتتالية، وعلى ذلك فلا يجب تدميرها بالفَحْص.

إنَّ فَحْصَ عَيِّنَة مجهرية، إن أمكن ذلك، يتطَلَّب - كما شاهَدْنا - وَقْتًا كبيرًا ويكون أحيانًا عالي الكُلْفَة. ومن وِجْهَة النَّظَر هذه، سيكون من الصُّعُوبَةِ بمكان مُضاعَفَة التَّدابير لتَسْهيل مُقارَنات محتملة. وقامَ مُؤَخَّرًا برنارد جينو Bernard Guineau، بمعهد المواد الأثرية التابع للمركز الوَطَني للبحث العلمي CNRS في أورليون Orléans بفرنسا[٢٩]، بضَبْط أجْهِزةٍ سهلة النَّقْل إلى أماكن الحِفْظ وتسمح بقياس الألْوان عن طريق المِنْظار الطَّيْفي العاكس للأشِعَّة. والوَقْتُ اللازم لإتمام قياسٍ بهذه الطَّريقة قصيرٌ جدًّا، علمًا بأنَّنا نستطيع مضاعفته ولاسيما أنَّ تكلفته متواضعة.

وبفَضْل العَدَد الكبير من القياسات التي أُجْرِيَت على رَسْمٍ واحِد، نستطيع أن نُحَدِّدَ مجموعة الألْوان التي استخدمها الفنَّان. ومُقارَنَة نتائج القياسات التي أُجْرِيَت على الأعْمال المختلفة المنسوبة إلى فَنانٍ واحِدٍ تُمِدُّنا بعُنْصرٍ مهم للتَّقْييم، بتأكيد أو مُناقَضَة النَّتائج المأخُوذَة من فَحْص الأسْلُوب فقط. ومن المهم كذلك التَّحَقُّق مِمَّا إذا كانت الوَصْفاتُ التي نَقَلَتْها إلينا بعضُ مُصَنَّفات العُصُور الوسطى تُطابق ما يَكشفه الفَحْص.

---

٢٩. B. Guineau, «Non-destructive analysis of organic pigments and dyes using Raman microprobe, microfluorometer or absorption microspectrometer», *Studies in conservation*, 34, 1989, p. 38-44.

التَّأْريخ

أكَبَّت المُخْتَبَراتُ منذ وَقْتٍ قَريب على القيام بتَجارب بغَرَض تأريخ الرَّقّ القديم بواسطة الكربون ١٤. وهذه طريقةٌ مُبَشِّرَةٌ بنتائج كبيرة، ولكن لا يمكن اسْتِغْلالُها في الحقيقة إلّا في الأماكن التي تتوفر فيها عَناصِرُ مقارنة بعَدَدٍ وفير. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّها تتطَلَّب اقْتِطاعَ عَيِّنات ذات مِساحاتٍ كبيرة، حتى وإن أمكن تَخْفيض الكميات الضَّرورية للفَحْص (إلى أَقَلِّ من سنتيمتر مربع في بعض الحالات)، إضافَةً إلى أنَّ الفُحُوص تَتَطَلَّبُ السَّعْي خَلْفَ آلات ما زالت قليلة العَدَد وباهِظَة التَّكاليف.

25 /وأيًّا كانت التِّقْنياتُ المستخدمة، فإنَّ قِياسًا مُنْفَرِدًا ليس له معنًى كبير، وتَعَدُّدُ القياسات لا يُقَدِّمُ معلومات قابلة للاستغلال إلّا في حالة وُجود إشْكالية مُحَدَّدَة مُعَيَّنة منذ البداية للفَحْص بالتَّشاور الوثيق بين الفيزيائي - الكيميائي وعالم تَطَوُّر الخَطِّ (الباليوجرافي) وعالم المَخْطُوطات (الكوديكولوجي): فالفيزيائي - الكيميائي في حاجة إلى فهم ماذا ننتظر منه ليقترح الطُّرُقَ الملائمة، وليُبَيِّن، عند الاقتضاء، حُدُودَ الإمكانات المُتاحَة.

الكُودِيكُولُوجيا ومَجَالُ دِراسَتِها

بقَدْر ما يجعل اسم العِلْم نفسه موضوعه واضِحًا، وهو الكتاب، بقَدْر ما تُظْهِر التَّوَسُّعات التي يجب إلْحاقُها به مَحْدُودِيَّة حَقْل تطبيقه. إن تَجَنُّب الصُّعُوبَة واختيار عنوان لهذا الكتاب «مُقَدِّمة لِعِلْم المَخْطُوطات»، يدخل بحَقٍّ في مجال الهَفْوَة اللُّغوية. فيدو، في الوَقْت الرَّاهِن، أنَّ هذا العِلْم يَنْصَرف إلى شكل «إقْليمي». فالسَّعْي خَلْف التَّقْسيم الجُغْرافي، مع ذلك، صَعْبٌ، بما أنَّ المَخْطُوطات التي يجب أن نَعْكف على دراستها كُتِبَت في أماكِن تَمْتَدُّ بين المحيط الأطْلَنْطي وبَحْر الصِّين، وبين مَضيق زِنْجِبار وضِفاف نهر الفُولْجا. وأيُّ إحالة إلى «الإسلام» ليست كذلك مرضية: فهي تُؤدي إلى إقْصاء المَخْطُوطات التي كتبها أفرادُ طَوائِفَ دينية أخرى، مع أنَّ هذه المَخْطُوطات تنتمي، ولو بصفةٍ جزئية، إلى مجموعٍ أوْسَع. وقد يُجيزُ قُرّاؤنا في النهاية

أنَّ تَعْرِيفًا يأخذ بعين الاعْتبار اللُّغَة سيكون غير صحيح أو على الأَقَلِّ سابقًا لأوانه : ففي الواقع ، إن لم يكن مستبعدًا أن يتَّضِح في يوم ما عِلْم المَخْطُوطات الفارسية أو التركية العثمانية ، فيجب علينا أن نأخذ بعين الاعْتبار ثنائية (وحتى ثلاثية) عَدَدٍ من النُّسَّاخ ؛ فكيف نتمكَّن حينئذٍ من وَضْع حُدُودٍ دقيقة ، إذا استطاعَ الشَّخْصُ نفسه أن يَنْسَخَ نُصُوصًا بالعربية والفارسية والعثمانية ؟ يبدو لنا إذًا أنَّ الحَلَّ الأقل إزْعاجًا يَرْتَكِز على الإحالَة إلى الحروف العربية التي تُعَدُّ القاسم المُشْتَرَك لمجموع هذه الكُتُب في اللُّغات المُتَعَدِّدَة ، والقادمة من أقاليم مختلفة عن بعضها البعض اخْتلافًا يصعب تَصَوُّره .

وستكون المفارَقَةُ كبيرةً جدًّا مع حالة معلوماتنا التي ما تزال تمهيدية : فعَدَدُ المَخْطُوطات المعروفة بطريقةٍ دقيقةٍ ضيئلٌ بالقياس إلى عشرات الآلاف من المجلَّدات التي تُشَكِّل نَظريًّا مجال دراستنا . لذلك فإنَّ المعلومات التي ستلي لا تَزْعُم إطْلاقًا إلَّا أنَّها تُقَدِّمُ نُقْطَة انْطلاقٍ لأبْحاثٍ أكثر دِقَّة وأكثر تَنَوُّع . ونأمَلُ أن يكون الجُهْدُ المَبْذول في تَعْريف المظاهر الأساسية للكتاب مُفيدًا للذين سيَنْخَرطون في مَيْدان هذا البَحْث الجديد والشَّيِّق .

الحوامِلُ: البَرْدي والرَّق



العاشر الميلادي عندما أصبحت مُزاحَمَةُ الوَرَق له قَوِيَّةً جِدًّا[٦]، وتَوَقَّفَت صِناعَتُه عَمَليًّا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٧]. إنَّه مادَّةٌ مُكَلِّفَةٌ نِسْبيًّا إذا حَكَمْنا عليها من خِلال التأنيبات المتكرِّرة للخَليفَة عُمَر بن عبد العَزيز (تَوَلَّى بين سنتي ٩٩هـ/ ٧١٧م ـ ١٠١هـ/ ٧٢٠م) بهَدَف الحَثِّ على الاقْتصاد في دَواوين الدَّوْلَة الإدارية[٨]؛ ويبدو هذا الوَضْعُ كذلك في دراسة أسْعار البَرْدي التي حُفِظَت لنا[٩]، ويجد تأكيدًا له في الطَّريقَة التي اسْتُخْدِمَت بها أحيانًا كلُّ المساحة المتاحة لورقة البَرْدي، طوالَ المراحِل المتتالية، بحيث غَطَّتها الكتابَةُ تمامًا من كلِّ الاتِّجاهات[١٠].

30

/صِناعَةُ البَرْدي

حَفِظَ لنا مَصْدَرٌ عربيٌّ من القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي، هو «الجَامِعُ لمُفْرَدات الأدْوِيَة والأغْذِية» لابن البيطار (المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، وَصْفَ إنْتاجِ البَرْدي الذي قَدَّمَه أبو العبَّاس النَّباتي (المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م). ولم يَعْرِف النَّباتي مُباشَرَةً هذه الصِّناعَة التي كانت قد تَوَقَّفَت في الفترة التي كَتَبَ فيها يقول: «[كان المِصْريُّون] يَعْمَدون إلى سُوقِ النَّوْع فيَشُقُّونَها نِصْفَيْن من أوَّلها إلى آخرها ويَقْطَعُونها قِطَعًا قِطَعًا، وتُوضَعُ كُلُّ قِطْعَةٍ منها إلى لَصْقِ صَاحِبَتها على لَوْحٍ من خَشَبٍ أمْلَس، ويأْخُذون ثَمَر البَشْنين [النِّيلوفر] ويُلَزِّجُونَه بالماء ويَضَعُون تلك اللُّزُوجَة على القِطَع ويتركونها حتى تَجِفّ جِدًّا ويَضْربُونها ضَرْبًا لطيفًا بقِطْعَةِ خَشَبٍ شِبْه الأرْزية صغيرة حتى تَسْتَوي من الخَشِن فتَصيرُ في قَوامِ الكاغَد الصَّرْف الممتلئ»[١١]. وإذا اسْتَثْنَينا ما

٦. A. Grohmann, *AP* I, p.73؛ الذي يرى أنَّ أحدث بردية مؤرخة ترجع إلى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م. وسنجد وثائق لاحقة في نَشَرات البردي العربي، ويَرْجع ذلك إلى أنَّ إخْصائي عِلْم البَرْدي العربي جَمَعُوا تحت لَفْظ «بَرْدي» وثائق دُوِّنَت على حَوامِل مختلفة (وَرَق، رَقّ... إلخ).

٧. R. Sellheim, *EI*[2] art. *Kirtâs* V, p. 171.

٨. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣: ٤٩.

٩. A. Grohmann, *AP* I, p. 92-93.

١٠. A. Grohmann, *AP* I, p.74. ونمتلك رسائل كتب فيها المُرْسَل إليه جوابه على ظهر الرسالة وحتى في الأماكن الخالية في الوجه: ويذكر يوسف راغب (Y. Ragib, «L'écriture des papyrus arabes aux premiers siècles de l'Islam», *Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée* 58, 1990, p. 22) أن الدَّواوين الإدارية أيضًا لم تكن تتردَّد في إعادَة استخدام الأوراق المستعملة والتي لم تعد صالحة.

١١. ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية، بيروت =

ذُكِرَ عن اسْتِخْدام مادَّةٍ لاصِقَةٍ، فإنَّ هذا النَّصَّ يتَّفِقُ مع الوَصْفِ الكلاسيكي لبلينوس الأرْشَد Pline l'Ancien: «نُعِدُّ الوَرَقَة من لُبابِ النَّبْتَة الذي نَفْصله عن طريق سِنٍّ إلى شَرائِح رقيقَة جِدًّا ولكن عَريضَة إلى أقصى حَدٍّ ممكن. ونبدأ بالوَسَط ثم نَقْطَع بالتَّرْتيب، وكانت كلُّ شَريحَةٍ تُوضَعُ على لَوْحٍ مُبَلَّلٍ بماءِ النِّيل الذي كان يَلْصِق ما بين الشَّرائح بما فيه من طَمْي. في بادئ الأمْر كانت تُمَدُّ الشَّرائحُ مُنْبسطة على اللَّوْح على طُول البَرْدي، وبعد ذلك يُقْرَض ما يُجاوِز اللَّوْح من كِلا الجانبين ثم تُوضع [على الأولى] طَبَقَةٌ مُتعامِدَةٌ من جانبٍ إلى آخر. ثم يُضْغَط عليها بعد ذلك وتُتْرَك الأوْراقُ لتَجِفّ تحت الشَّمْس ثم تُضَمُّ بعضُها إلى بعض»[١٢]. وهذا الوَصْفُ واضِحٌ نِسْبِيًّا فيما عَدَا بداية العملية: القَطْع.

وتَبَعًا لعُلَماءِ البَرْدي يمكننا فهم [هذه] النُّصُوص على النَّحْو التالي: السَّاق، ثلاثية المَقْطَع كانت تُقْطَع إلى قِطَعٍ، ثم تُشَقُّ إلى نصفين يُقَطَّعان إلى شَرائِح انْطِلاقًا من مَرْكَز السَّاق، سواء بالتَّوازي مع أحَدِ جَوانِبه أو بمُوازَة الشَّقِّ.

وعارَضَ أدولف جروهمان Adolf Grohmann ذلك بالمُلاحَظات التالية: «كُنَّا نَظُنُّ أنَّ قِطَع اللُّبّ يمكن فَصْلُها بتَقْطيعات طولية بسيطة. ولكنَّ الفَحْصَ المِجْهَري أظْهَرَ أنَّ الأمْرَ لم يكن كذلك. إذ لو أنَّ الشَّرائِح المَفْصُولَة بتقطيعات طولية بَسيطَة كانت مُتجاوِرَة، فإنَّ حِزَمَ أنابيب اللُّبِّ التي تَلْمَحها العَيْنُ المُجَرَّدَة مثل الألْياف، يجب أن تَبْدو مُمْتَدَّةً في منطقتين، ومُتَراصَّة باتِّجاه اللِّحاء، ونادِرَةً في مَنْطِقَة الوَسَط. ومن حينئذٍ، حيث تَتَّصِلُ شَرَائِحُ اللُّبِّ يجب أن نَجِد حِزَمَ أنابيب مُتَراصَّة بينما كان يجب أن تكون نادِرَةً في مَناطِق الوَسَط. ولكنَّ البَرْدي لا يُظْهِر قَطُّ هذا الاخْتلاف. فكَمِيَّة الألْياف تَظْهَرُ مُتَجانِسَةً تحت / المِجْهَر مثلما تراها العَيْنُ المُجَرَّدَة»[١٣]. ويَقْتَرِحُ جروهمان إذًا تَفْسيرًا آخَر لعَمِلِيَّة التَّقْطيع: «بعد إزالَة اللِّحَاء (من البَرْدي)، نَفْصِل عن طريق مِنْقاشٍ دَقيق الصَّفائح الرَّقيقة التي تُكَوِّن هذه السَّاق. وتَعْتَمِدُ طَرِيقَةٌ أخرى على تَعْليق

31

= ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١: ١١٩؛ A. Grohmann, *AP* I, p.76. (توجد ترجمة لهذا النص عند R. Sellheim, *loc. cit.*).

١٢. Pline l'Ancien, *Histoire naturelle* XIII, 12, 76-77.

١٣. A. Grohmann, «Aperçu de papyrologie arabe», *Etudes de papyrologie*, I, 1932, p. 31. وقد استعاد هذا النَّقْد في *AP* I, p. 77.

شَفْرَةٍ دَقِيقَةٍ على حامِلٍ أُفُقي ونَجْعل قِطَعَ اللُّبِّ تَدورُ حَوْل مِحْوَرِها بضَغْطِها نحو هذا الضَّرْب من المَقْطع ... وتَبَعًا لشَرائح اللُّب ، التي يتراوَح عَرْضُها بين ١,٥ إلى ٨ سم ، المأخُوذة من جزء اللِّحاء أو من جزء الوَسَط ، نَحْصُل على أنْواعٍ رَقيقَة أو سميكة ، وحتى رَقيقة جِدًّا»[١٤].

وإذا كانت المَرْحَلَةُ الأولى من الصِّناعَة قد أدَّت ، كما رأينا ، إلى تَضارُبٍ في الشَّرْح ، فإنَّ المَرَاحِلَ التالية على العَكْس واضِحة نِسبيًّا . فكانت شَرَائِحُ اللُّبِّ تُرَصُّ جَنْبًا إلى جَنْب على سَطْحٍ مُسْتوٍ ، وتُوضَعُ مجموعةٌ ثانيةٌ من الشَّرائِح مُتعامِدَةً على مِحْوَرِ الطَّبَقَة الأولى مَرْصُوصَةً كذلك جَنْبًا إلى جَنْب . ورُبَّما صُبَّ على الوَرَقَة مَحْلُولٌ مُخَصَّص لتَحْسين الْتِحام مُخْتَلَفِ العَنَاصِر التي تَخْضَع بعد ذلك إلى عَمَلية ضَغْطٍ قَبْل صَقْلِها[١٥]، ومن أجْلِ ذلك نَسْتَخْدم ، تَبَعًا لبلينوس Pline، سِنًّا أو صَدَفَة[١٦]. وتَتَراوح مَسَاحَةُ القِطَع المُسْتَطِيلة التي نَحْصُل عليها (باليوناني Kollemata وجمعها *Kollema*) غالبًا بين ٢٠ إلى ٣٠سم عَرْضًا ومن ٣٠ إلى ٤٠سم ارْتفاعًا ، ولكن العَرْضَ مال مع الوَقْت إلى الزِّيادَة ؛ والقِيَمُ القُصْوى التي أشَارَ إليها جروهمان تتأرْجَحُ بين ١٢,٧ و٣٧سم للعَرْض ، وبين ٣٠ و٥٨سم للارْتِفاع[١٧]. وكانت الأوْراقُ تُوَظَّفُ تَبَعًا لنوعيتها . ثم نَقُوم بلَصْقِ ٢٠ وَرَقَة رأسًا لرأس مع جَعْلِها تتشابك برِفْقٍ (حوالى ٢سم)

١٤. *Ibid.*, p. 30. وسيعيد جروهمان تناول فكرة «بَشْر» ساق البردي لاحقًا ؛ ويرتكز هذه المرة على تقنية مستعملة في الصين ، تستخدم في صناعة ورق الأرز : فبعد أن يقطع العامل قطعة الـ *Aralia tetrapanax papyrifera* والتي يضعها أمامه ، فإنه يثبت السكين في يده ويبدأ في تدوير قطعة اللب ببطء وانتظام على شفرة السكين بشكل يجعله يستخلص عبر هذه الحركة اللولبية أوراقًا طويلة من ٢ إلى ٣ أقدام (*AP* I, p. 77-78) . ويستحسن أيضًا الرجوع إلى نتائج الملاحظات المجهرية للبردي ، راجع A. Wallert, B.M. Moeliono et J.D. Kruijer, «Mikroscopische Untersuchungen von Papyrus und Plinius, Hist. Naturalis XIII, 74-83», *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 76, 1989, p. 39-44.

١٥. إنَّ فائِدَة هذه التَّغْرية وحقيقتها مختلفٌ حولهما ، راجع : A. Grohmann, *API*, p. 76. ومع ذلك يمكن أن نتساءل عما إذا كانت هذه هي حَقًّا النتيجة المرغوب فيها ، ويذكر بلينوس الأرشد أيضًا أن الأوراق كانت ملصقة : «كان يستعمل في التغرية غراء عادي مصنوع من زهرة الدقيق المنقوعة في الماء المغلي المضاف إليه بعض قطرات من الخل. (...) .وهناك طريقة أخرى جيدة تقوم على غلي لب الخبز» (ترجمة A. Ernout, Paris, Belles Lettres, 1956, p. 44) وتذكر هذه الطريقة تقريبًا طريقة صناعة الورق (ينظر فيما يلي) .

١٦. Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle* XIII, 12, 82.

١٧. A. Grohmann, *AP* I, p. 87.

مع الاعْتناء بوَضْع الألياف في الاتِّجاه نَفْسه ، وكانت نِقاطُ الالْتقاء تُصْقَل حتى لا تُعيق مُرُور القَلَم . وتكون الشَّريحَةُ النَّاتِجَة إذًا مَطْوية[١٨]. وفي خِتام هذه العملية ، يكون / البَرْدي النَّاتِج على شَكْل لُفافَة تكون فيها الألْيافُ الأُفُقية المُوازية لطولها مَوْجُودَةً في الدَّاخل : وتَبَعًا للتَّقاليد القديمة لنَسْخِ الكُتُب على اللُّفافات فإنَّ هذا الوَجْه يُسْتَخْدَم أوَّلًا ويُعَدُّ إذًا على نَحْوِ ما الوَجْه recto. وتكون الألْيافُ في خارج اللُّفافَة رأسية : تُمَثِّل الظَّهْر verso الذي يُسْتَخْدَم عُمُومًا بعد الانتهاء من كتابة الوَجْه . ويَكْتُب كاتِبُ الوَثَائِق عَمُوديًّا على ألْياف الوَجْه[١٩].

32

البروتوكول

تُلْصَقُ على رأس اللُّفافَة شَريحَةٌ من نَوْعِيةٍ أدْنى تكون ألْيافُها مُتَعَامِدَةً على بقية أَلْيافِ الوَرَقَة[٢٠]، هي «البروتوكول» (من اليونانية *prôtokollon*) وَظيفَتُها حِمايَةُ اللُّفافَة . ونَجِدُ على هذا المَدْخَل [أو الصَّحيفَة التَّمْهيدية] ، وعلى غِرار التَّقاليد البيزنطية ، تَقْييدًا يُطْلَق عليه كذلك اسْم «البروتوكول» ؛ وخلال العَصْر العَرَبي كان هذا النَّصُّ يُكْتَب أوَّلًا باليونانية ، ثم كُتِبَ بالعربية واليونانية ابتداءً من سنة ٧٤ أو ٧٥هـ/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤م أو ٦٩٤ ـ ٦٩٥م ، وأخيرًا بالعربية وَحْدَها[٢١]. ويُشيرُ [هذا النَّصّ] بعد البَسْمَلَة إلى صِيَغٍ دينية ـ مثل الشَّهادَة والتَّصْلية ـ أو آياتٍ قُرْآنية واسْم الخَلِيفَة القائِم و ، تَبَعًا للحالات ، إلى اسْم والي مصر ومُتَوَلِّي خَرَاج الإقْليم وأيضًا أسْماء مُوَظَّفين كبار آخرين . وتَبَعًا للمُؤلِّفين فإنَّ هذا التَّقْييد يُوافِقُ إمَّا ضَريبةً مُعَيَّنَة وإمَّا علامَةَ المَصْنَع [الذي أُنْتِج فيه البَرْدي].[٢٢] والخَطُّ المكتوب به البروتوكول من نَوْعٍ

١٨. ترجع هذه الإشارة إلى عدد الأوراق المستعملة لصناعة اللفافة إلى بلينوس الأرشد . ويبدو أن هذه الطريقة قد حُوفِظَ عليها في العهد الإسلامي . (انظر A. Grohmann, *AP* I, p. 89) .

١٩. G. Khan, *op. cit.*, in *Codicology*, p. 17, 18 شكل 3b.

٢٠. A. Grohmann, *AP* I, p. 88.

٢١. ـ أشار جروهمان A. Grohmann, *AP* I, p. 82 إلى استعمال العربية إلى جانب اليونانية منذ عهد معاوية (الذي ولي الحكم ما بين ٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١م ـ ٦٨٠م) ، وبالتالي في تأريخ سابق على التأريخ الذي اعتمد لإدخال العربية في استخدامات الدواوين ، أي في عهد عبد الملك ابن مروان في سنة ٧٤ أو ٧٥هـ/٦٩٣ ـ ٦٩٤م أو ٦٩٤ ـ ٦٩٥م . (انظر على سبيل المثال G. Khan, *op. cit.*, Codicology, p. 14) .

٢٢. A. Grohmann, *AP* I, p. 80.

خاصّ يُنَفَّذ رُبَّما بِمِرْقاشٍ؛ وفي عَصْرٍ لاحق، كان يُسْتَخْدَم خَليطٌ من أحْبارٍ مختلفة الألْوان لكتابة هذا النَّصّ (الأَحْمَر والأَخْضَر، ونادِرًا الأَزْرَق).

اسْتِخْدامُ البَرْدي في المَخْطُوطات العربية

وَاصَلَ الصُّنَّاعُ إذًا في العَصْرِ الإسلامي إعْدادَ وَرَقِ البَرْدي كما كان الحالُ في العُصُورِ القَديمَة، وذلك بإلْصاقِ الصَّحائف *Kollèmata* مَعًا للحُصُول على لُفافَة: ويُبَيِّنُ هذا العَرْضُ وجُودَ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَة مُتَزامِنَة بالفِعْل لاسْتِخْدام هذه المادَّة في المَخْطُوطات. وعَدَدُ ما تَبَقَّى من المَخْطُوطات المكتوبة على البَرْدي، في الحَقيقَة، /مَحْدُودٌ للغاية إلى درجةٍ يَتَعَذَّرُ معها استنتاجُ مُؤَشِّرات عامَّة. لذا سنكتفي ببعض الإشارات التي نَوَدُّ أن نَعْتَذِرَ عن طابعها المجْزُوء.

ويمكن أن تُسْتَعْمَل اللُّفافَة كما هي، وفي حالة الضَّرُورَة يُلْصَق العَديدُ منها مَعًا من أطْرافِها تَبَعًا للاحْتياج: فيتوفَّر لنا بذلك شَريطٌ ذا طول كبير: فهناك رسالتان وَصَلَتا إلينا يَتَعَدَّى طُولُ كُلٍّ منها المترين[٢٣]؛ وتَبَعًا لنَصٍّ، ذكره يُوسُف راغب[٢٤]، فإنَّ هذا الطُّول يمكن أن يَبْلُغ ما يَقْرُب من الخمسة عشر مترًا، وعندئذٍ يستطيع النَّاسِخُ أن يكْتُب سُطُورَ الكتابة بمُوازاةِ طُولِ اللُّفافَة مُوَزِّعًا نَصَّه على أعْمِدَةٍ مُتجاوِرَة: ويُطابِقُ هذا الحَلُّ شَكْلَ الكِتاب في العُصُور القديمة *le volumen* الذي حَلَّ محلَّه الكُرَّاسُ codex خلال القرون الأولى للميلاد. وحَسَبَ عِلْمنا، فإنَّ اللُّفَافَة *volumen* لم تكن معروفَةً في الدَّائرة الإسلامية. وبالمقابل، إذا كَتَبَ النَّاسِخُ باتجاهٍ عمودي على طُول اللُّفافَة، فإنَّنا نَتَحَدَّث حينذاك عن الدَّرْج *rotulus*. وقد اسْتُخْدِم الدَّرْجُ - وخاصَّةً دَرْجُ البَرْدي - خلال القرون الأولى للهجرة، وعلى الأَخَصِّ لتسجيل

٢٣. Heidelberg, Inst. de papyrologie، يبلغ قياسها ٢,٣م (-C.H. Becker, *Papyri Schott Reinhardt*, I, Heidelberg, 1906, p. 68- 76, n° III). ويصل قياس رسالة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة إلى ٢,٤م. (M. Hinds et H. Sakkout, «A Letter from the Governor of Egypt to the king of Nubia and Muqurra concerning Egyptian-Nubian relations in 141/758», *Studia arabica et islamica, Festschrift for Ihsân 'Abbâs*, W. al-Qadi ed., Beyrouth, 1981, p. 209- 229).

٢٤. ذكره يوسف راغب: Y. Ragib, *op. cit.*, p.20 وهامش 29.

المُلاحَظات[٢٥]. وتُمَثِّلُ صَحيفَةُ عبد الله بن لَهِيعَة المحفوظة في هايدلبرج (-P. Schott Reinhardt Inv. Ar. 50-53) أُنْموذَجًا لها[٢٦].

وثمة طَريقَةٌ أخرى لاسْتِخْدام البَرْدي ترتكز على تَقْطيعه أوَّلًا بأوَّل إلى قِطَعٍ مُتباينة الأحْجَام، تَبَعًا للاحْتياج: فتُشيرُ المَصَادِرُ إلى أنَّ اللُّفافَة يمكن أن تُبتاعَ كاملةً وأيضًا في وِحْدات ذات حَجْمٍ صغير يُعادِلُ حَجْم الوِحْدَة الأكثر اسْتِخْدامًا منها سُدْس اللُّفافَة، ويُطْلَق عليها اسم «الطُّومار» (من اليونانية *tomarion*)[٢٧]. وكما سنرى فيما بعد[٢٨]، فإنَّنا نستطيع أن نُقَطِّعها قِطَعًا مُتساويةً ونَضَعَها بعضُها فوق بعض قبل أن نَطْويَها من وَسَطِها لنعمل منها «كُرَّاسَة»[٢٩]: وقد عُرِفَت كُرَّاساتُ البَرْدي في العالم الإسلامي منذ بدايات الإسلام، وهو أمْرٌ لا يُثيرُ الدَّهْشَة إطْلاقًا بما أنَّ اسْتِخْدامَه كان شَائِعًا من قَبْل في المناطِق المفتوحة. وفي / مصر أحْصَى جون جاسْكو Jean Gascou وَثائِقَ على شكل الكُوديكس سابقة على العَصْر العَبَّاسي[٣٠]. ويَرْجِعُ تأريخُ العَديدِ منها إلى الفترة بين سنتي ٦٩٩ - ٧٠٥ وسنتي ٧١٦ - ٧٢١م، عن طريق تجميع أوْراقٍ مطوية قسمين «أُحاديات»[٣١]، ويُمَثِّلُ قِسْمٌ آخر متأخِّرٌ على سنتي ٧١٦ - ٧١٧م كُرَّاسَةً وحيدة. ويجب إذًا أن نأخُذ بحَذَرٍ الرِّوايَة التي تَناقَلَها العَديدُ من المُؤَلِّفين العَرَب بخُصُوص الانْتِقال من اللُّفافَة إلى «الدَّفْتَر» داخل دَواوين الدَّوْلَة خلال حُكْم الخَليفَة العَبَّاسي الأوَّل السَّفَّاح (١٣٢ - ١٣٦هـ / ٧٤٩ - ٧٥٤م)[٣٢]: وسيكون - دون شك - من الأهمية

٢٥. وناقشت نبية عبود مطولًا وجود اللفائف الطويلة في بعض الأحيان، لحفظ التقاليد التراثية؛ ويمكن الرجوع أيضًا إلى فصل «كُرَّاسات المخطوطات». N. Abbott, *Studies in Arabic literary papyri* II, *Qur'ânic commentary and tradition* [Oriental Institute Publications, LXXVI], Chicago, 1967, p. 57-59.

٢٦. R.G. Khoury, *'Abdallâh ibn Lahi'a (97-174/715-790), Juge et grand maître de l'école égyptienne* [Codices arabici antiqui, IV], Wiesbaden, 1986, p. 232.

٢٧. Gacek, *AMT*, p. 95. ويمكن أن تعني هذه الكلمة أيضًا «ورقة»، «صفحة»، «رسالة». ويمكن أن يجزأ «الطومار» بدوره: فقد أشار جروهمان إلى ثلث الطومار أي ١/١٨ من اللفيفة (*API*, p. 91).

٢٨. انظر كذلك فصل «كُرَّاسات المخطوطات».

٢٩. يذكر جروهمان (*AP* I, p. 75) هذه الإمكانية، ولكنه يُفَكِّر بوضوح في السِّجِلَّات الإدارية أكثر مما يفكر في الكتب. وانظر عن «الكرَّاس» Gacek, *AMT*, p. 124.

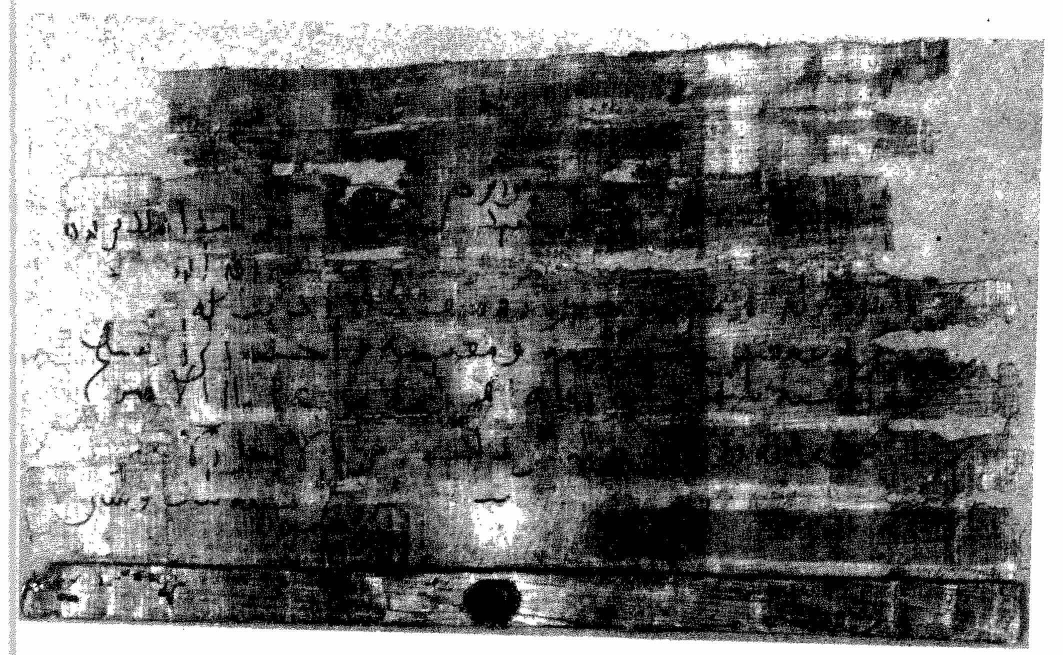
٣٠. «Les codices documentaires égyptiens», *Les débuts du codex*, A. Blanchard éd. [Bibliologia 9], Turnhout, 1989, p. 100- 101.

٣١. *Ibid.*, p. 79. وانظر فصل «كُرَّاسات المخطوطات».

٣٢. R. Sellheim, *op. cit*.

بمكانٍ إعادَةَ فَحْصِ تاريخ اسْتِخْدام «الدَّفْتر» في الدِّيوان الأُمَوي والعَبّاسي المُبَكِّر .

وتَسْمَحُ لنا المادَّةُ المُوَثَّقَة على شكل الكُوديكس ، والتي تَحَدَّثنا عنها للتو ، أن نَدْعَم ، خِلافًا لما يمكن أن نُفَكِّرَ فيه أحيانًا [٣٣]، القَوْلَ بأنَّ البَرْدي على شكل الكُوديكس قد اسْتُخْدِمَ مُبَكِّرًا جِدًّا في العالم الإسلامي . والجزءُ الرَّئيس من البَرْديات الأدبية ، هو في الحقيقة ، على هَيْئَةٍ مُجَزَّأَةٍ لا تُعْطينا سوى صُورَةٍ ناقِصَةٍ عن اسْتِخْدام هذه المادّة . ويبدو أنَّ وَضْعَ هذه البقايا التي تَضُمُّ عَدَدًا من الأوْراق المُزْدَوَجة وفي حالةٍ جَيِّدَة إلى حَدٍّ ما ، / يُؤَكِّدُ أنَّ الشَّكْلَ السَّائِد كان هو شَكْل الكُوديكس [٣٤]. وتُوجَدُ مَخْطوطَتان بَرْديتان محفوظتان بطريقةٍ جَيِّدَة رُبَّما تُقَدِّمان مُؤَشِّرات أكثر دِقَّة : واحدة محفوظة في هايدلبرج (P. Schott - Reinhardt Ar. 23 ومُؤَرَّخة سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣ - ٨٤٤م) [٣٥]، والأخرى في القاهرة (دار الكتب المصرية برقم ٢١٢٣ حديث كُتِبَت قبل سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩ - ٨٩٠م) [٣٦]. وتَبَعًا لنبيَّة عَبُّود Nabia Abbott فقد كان هناك تَفْضيلٌ ظاهِرٌ للشَّكْل المُرَبَّع [٣٧].



٥. بَرْدية . باريس BnF 4633

٣٣. على سبيل المثال R. Sellheim, *loc. cit*؛ وأيضًا Gacek, *AMT*, p. 47.

٣٤. انظر بخصوص أنموذج الورقة المزدوجة ، N. Abbot, *op. cit.*, pl. 1. وقد تناوَلنا الحديث عن العلاقة بين الكتاب والكراسة في فصل «كُرّاسات المخطوطات» .

٣٥. R.G. Khoury, *Wahb ibn Munabbih* (2 vol.), Wiesbaden, 1972.

٣٦. J. David-Weill, *Le Djâmi' d'Ibn Wahb* (3 vol.), Le Caire, 1939-1948.

٣٧. N. Abbott, *op. cit.*, p. 2 et doc. 4 et 6.

الفَحْصُ المادي للبَرْدي

يتناوَلُ الفَحْصُ المادي للبَرْدي اتِّجاه ألْياف الحامِل (شكل ٥) . وكما سَبَقَ أن رأينا ، فإنَّ السَّطْحَ الدَّاخِلي لِلُّفافَة يُسَمَّى الوَجْه recto، بينما يُطْلَق على السَّطْح الخارِجي الظَّهْر verso. ووَسَّعَ عُلَماءُ البَرْدي المُخْتَصُّون بالعالم الكلاسيكي هذا المُصْطَلَح ليَشْمَل القِطَع المُجَزَّأة والتي يحمل فيها الوَجْهُ recto سُطورَ الكتابة الموازية لاتِّجاه ألْياف الحامِل . وعندما يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بكُرّاسٍ ، يَظْهر بعض الغُموض لأنَّ تسمية «الوَجْه» و«الظَّهْر» قد تَنْسَحِب إلى الوَرَقَة نفسها ، بغَضِّ النَّظَر عن اتِّجاه الكتابة بالنِّسْبة للألْياف . لذلك فإنَّ بعض الباحثين يُوصُون في هذه الحالة بالإشارة بالعلامة ⟵ إذا كانت الألْيافُ أُفُقِيَّة ، وبالعلامة ↑ في الوَجْه الآخر التي تُوَضِّح أنَّ الألْيافَ رأسية [٣٨]. وتجب الإشارَةُ كذلك إلى وُجود وَصْلات أحيانًا في وَسَطِ صَفْحة .

الحِفْظُ وإعادَةُ الاسْتِعْمال

رَغْم أنَّ عَدَدًا من أوْراق البَرْدي قد حُفِظَ لنا عَبْرَ القُرُون ، إلَّا أنَّ الأمْرَ يتعلّق بحامِلٍ هَشٍّ وقابِلٍ للتَّكَسُّر ؛ لذلك كانت تُؤْخَذُ احتياطاتٌ خاصَّة عندما كان يُوَدُّ حِمايته : وذلك بوَضْعه في أوْعِيةٍ فَخّارية أو زُجاجية ، أو أيضًا في كيسٍ من الرَّق . وذَكَرَت المَصادِرُ العربية أنَّ الخُلَفاءَ كانوا يُحَبِّذون البَرْدي لاستحالة مَحْو ما كُتِبَ عليه أو تَغْييره دون إتْلافِ سَطْحِه [٣٩]. ومع ذلك ، فقد عُرِفَ غَسْلُ البَرْدي بغَرَضِ إعادَة اسْتِخْدامه ، ووَصَلَت إلينا طُروسٌ بَرْدية أُعيد اسْتِخْدامُها [٤٠]. ولم تكن هذه هي الطَّريقَةُ الوحيدة / لإعادَة اسْتِخْدام وَرَقِ البَرْدي ؛ فقد كان من الممكن تَحْويله إلى وَرَقٍ مُقَوًّى : فنحن نَعْلم أنَّ هذه المادَّة قد اسْتُخْدِمت في عَمَلِ ألْواحِ التَّجْليد للمَخْطُوطات القِبْطية ،

٣٨. E.G. Turner, «Recto and verso», *JEA* 40 (1954), p. 102-106; O. Montevecchi, *La papirologia*, Milan, 1988, p. 15.

٣٩. A. Grohmann, *API*, p, 71.

٤٠. A. Grohmann, *API*, p. 74-75. وكذلك Y. Ragib, *op. cit.*, pp. 20, 22.

وكذلك لِمَخْطُوطٍ لاتيني قديم جدًّا[٤١]. ومن غير المُسْتَبْعد أن يكون قد اتُّبع الشيء نفسه مع المَخْطوطات العربية.

الـــرَّق

خِلافًا للبَرْدي، الذي يَقْتَصِرُ إنْتاجه على بعض المناطِق المُحَدَّدة والتي يَنْبُت فيها السَّعْد .Cyperus papyrus L، فإنَّ الرَّقَّ يمكن، نَظَريًّا، أن يُصَنَّع في أيِّ مكانٍ بما أنَّ مادَّته الأولى ذات الأصْل الحَيَواني مُتَوَفِّرةٌ عالميًّا، وطَريقَةُ إعْدادِه سَهْلَةٌ نِسْبيًّا. وهذه مَيْزَة مُهِمَّةٌ للرَّق: إذْ لا يَعْتَمد مستخدموه على إمْداداتٍ تَرِد إليهم من أقْطارٍ بعيدة وعَبْر طُرُقٍ يمكن للظُّروف السِّياسية والاقْتِصادية أن تَقْطَعَها.

لقد احْتَلَّ الرَّقُّ (أو الجِلْد)[٤٢] إلى جانب البَرْدي وَضْعًا مُتَمَيِّزًا في صِناعَة المَخْطُوطات، حتى الوَقْت الذي فُرِضَ فيه الوَرَقُ بطريقةٍ مُطْلَقَة. وبالتأكيد فإنَّ الرَّقَّ لم يُحْصر فقط في هذا الاسْتِخْدام، كما تُظْهِر ذلك العَديدُ من الوَثائق المكتوبة على الرَّق والتي تُدْرَج تَقْليديًّا في مَجال عِلْم البَرْدي العَرَبي - والتي لن نَتَحَدَّث عنها في إطار هذا العَرْض الذي لن نتناوَل فيه سوى الكتاب المَخْطُوط. وبالرَّغْم من تَسَيُّد الرَّقِّ قديمًا، فإنَّ مَجْموعات المَخْطوطات الحالية لا تَشْتَمِل إلَّا على عَدَدٍ قَليلٍ من نَماذج المَخْطوطات المكتوبة على الرَّق؛ وهذا الأمْرُ، إضافَةً إلى العَدَدِ القليل جدًّا من الدِّراسات المُخَصَّصَة لاستخدامه من جانِب النُّسَّاخ المسلمين، يُوَضِّحُ أنَّه من الصَّعْب حاليًا أن نَرْسم لَوْحَةً مُتكامِلَةً لاسْتِخْدام الرَّقّ داخل العالم الإسلامي[٤٣].

ولكن ماذا نعني بِدِقَّة بالرَّقّ؟

تَبَعًا للتَّعْريف الذي يُقَدِّمه دنيس ميزيريل Denis Muzerelle، فالرَّقُّ هو «جِلْدُ حَيَوانٍ / مَنْتُوف الشَّعْر ومُجَلَّف وتَلَقَّى مُعَالَجَةً دون دِباغَة (أو بِدِباغَةٍ قليلة) ثم يُجَفَّف مع شَدِّه مِمَّا يجعله قابِلًا للكتابة عليه من وَجْهَيْه»[٤٤].

37

مُعْطياتٌ تاريخية

بالرَّغْم مِمَّا تُوحى به تَسْميات الرَّق في اللُّغات المختلفة[٤٥] فالثَّابِتُ أنَّه لم يُخْتَرَع في القَرْن الثاني قبل الميلاد في برجام Pergame[٤٦]. ويبدو أنَّه عُرِفَ واسْتُخْدِم في الشَّرْق منذ زَمَنٍ بعيد، ربَّما منذ أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد[٤٧]. وبالرَّغْم من أنَّنا لا نَمْتَلِكُ أي

---

٤١. يتعلق الأمر بتجليد جامع الأناجيل لسرزانو Sarezzano، انـظـر: E.A. Lowe, *Codices Latini Antiquiores* IV, Oxford, 1937, p. 436 a-b; N. Ghiglione, *L'evangelio purpureo di Sarezz- ano (sec. V.-VI.)*, Vicenza, 1984, p. 26 والشكل p. 354-355, لـوحـة مُـلَـوَّنـة G. Godu, *Codex Sarzanensis* [Spicilegium casinense 2], Montecassino, 1936, pl. IV; B. Bischoff, «Kreuz und Buch im Mittelalter», *Mittelalt- erliche Studien* II, Stuttgart, 1987, p. 286. ونشكر چون ڤيزان على أنه دلَّنا على هذه الإحالات.

٤٢. Gacek, *ATM*, pp. 24 , 57.

٤٣. تَتَعَلَّقُ إشارات جروهمان في A. Grohmann, EI^2 II, art. *djild*, p. 101-108؛ وكذلك في *API*, p. 553-554 على الأخَصّ بـ «علم البردي العربي». ونشير كذلك إلى ملاحظات كلٍّ من J. Pedersen, *The Arab book*, pp. 55-57; G. Endress, «Pergament in der Codicologie des islamisch - arabischen Mittelalters»، في P Rück éd., *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung* [Historische Hilfswissenschaf ten 2] Sigmaringen 1991, pp. 45-46. وقد اسْتَعَدْنا هنا جزئيًّا المُعْطيات التي خَدَمَت عَرْضَنا «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires», *Coolicology*, pp. 17-27.

٤٤. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 39، بينما ركز م. ل. ريدر M.L.Ryder, «The biology and history of parchment», *Pergament, Geschichte -Struktur -Restaurierung - Herstellung*, P. Rück ed. [Historische Hilfswissenschaften, 2], Sigmaringen, 1991, p. 25، على عدم وجود الدِّباغَة، بينما يُؤَيِّد هران، الذي يتكلم في الحقيقة عن الجلود، أن المعالجة بشيء من الدباغة كان مستخدمًا في الشرق الأوسط لإعداد الجلود. («Technological heritage in the preparation of skins for biblical texts in Medieval Oriental Jewry», *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, P. Rück ed. [Historische Hilfswissenschaften, 2], Sigmaringen, 1991, p. 35 et 37). ويذهب ريد أيضًا إلى هذا الرأي: Reed, Ancient skins, parchments and leathers [Studies in archaeological science], London- New York, 1972, p. 122- 123. بينما يتحدَّث M. Beit-Arié، الذي يُميِّز كذلك بين الشَّرْق وأوروبا - بما فيها أسبانيا -، مع ذلك عن «الرَّق» في الحالتين (*Hebrew codicology*, p. 22 n. 25).

٤٥. كما بالإنجليزية parchment وبالألمانية Pergam- ent وبالفرنسية parchemin وبالإيطالية pergamena الخ. وكلمة diphthera التي تشير إلى الرق بالإغريقية، هي أصل دَفْتَر في العربية، (راجع B. Lewis, EI^2 art. *daftar* II, p. 78).

٤٦. انظر: F. Bilabel, *Paulys Realenzyclo- pädie der classischen Altertumswissenschaft* XV/1, *s.v.* Membrana, عـمـود 596-601; P. Ladner, *Lexicon des Mittelalters* VI, s.v. Pergament, عمود 1885؛ ويعتبر بلينوس الأرشد، حسب ريدر، المسؤول عن استمرارية هذا التفسير (*op. cit.*, p. 25).

٤٧. R. Reed, *op. cit.*, p. 277; M. L. Ryder, *Ibid.* ومع ذلك يجب أن نحترس في استعمال كلمة «الرق»: من جهة لأن وجود الكتابة على جانبي الجلد ليس معيارًا كافيًا، ومن جهة أخرى لأن هذه المنتجات =

مَخْطُوطٍ عَرَبي نستطيع أن نُؤرِّخَه بيقينٍ قبل القرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي ، فلا شَكَّ في أنَّ الرَّقَّ اسْتُخْدِمَ في أنْحاء العالم الإسلامي منذ بدايات الإسلام [٤٨] : وهو ما تَشْهَدُ به قِطَعُ المَصاحِف بالخَطِّ الحِجازي ، وما تُؤكِّده الفُحُوصاتُ القليلة بالكربون ١٤ لرَقِّ المَصاحِف القديمة . ويَنْدَرِجُ هذا الاسْتِخْدامُ في النِّهاية في إطار اسْتمْرارية المُمارَسات السَّابِقة على الفَتْح العَرَبي الإسلامي . ولكن انْتِشارَ تِقْنِياتِ صِناعَة الوَرَقِ أدَّت إلى الاخْتِفاء التَّدْريجي لإنتاج الرَّق .

ويُظْهِرُ مُصْحَفان يَرْجِعان إلى القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي ، يَغْلُب على الظَّنِّ أنَّهما كُتِبا في إيران ، أنَّه في هذا التَّأريخ كانت هذه المادَّة ما تَزال تُسْتَخْدَم في مَنْطِقَةٍ كان الوَرَقُ مُتاحًا فيها منذ أكثر من قَرْن [٤٩] . وفي المنطقة الوُسطى من العالم/ الإسلامي ، حيث البقايا أكثر وَفْرَة ، كان اسْتِخْدامُ الرَّقِّ مُنْتَشِرًا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . ولكن كان هذا نهاية العَصْر الذَّهَبي له فلم يَعُد الرَّقُّ يُسْتَخْدَم تَدريجيًّا إلَّا في المَغْرب الإسلامي ، حيث ظَلَّ نُسَّاخُ المَخْطُوطات أوْفِياءَ له ، بالرَّغْم من تراجع عَدَدِها ، حتى القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، وربما أيضًا حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي . ويُمَثِّلُ مخطوطُ باريس رقم BnF ar. 2547، الذي كُتِبَ في الشَّام سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢ - ١٥٧٣م ، الأنْمُوذَج الأحْدَث لاسْتِخْدام الرَّقِّ في كتابة المَخْطُوطات ، وهو بذلك ذو أهَمِّيَّة ثانوية. [٥٠]

= المتقاربة في مظهرها يمكن أن تكون نتيجة صناعة مختلفة تمامًا .

٤٨. انظر عن المخطوطات القديمة المؤرخة ، كوركيس عَوَّاد : أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) ، بغداد ١٩٨٢؛ G. Endress, «Handschriftenkunde», GAPI, p. 281) و F. Déroche, «Les manuscrits arabes datés du III^e / IX^e s.», REI 55-57, (1987- 1989), p. 343- 379.

٤٩. مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم Chester Beatty Library 1417 (A.J. Arberry, *The Koran illuminated, A handlist of Korans in the Chester Beatty Library*, Dublin, 1967, nº 260; «A Koran in 'Persian' kufic», *Oriental College Magazine*, XL/3 (=157&158), May- Aug. 1967, p. 9- 16; D. James, *Qur'ans and bindings from the Chester Beatty Library, A facsimile exhibition*, London, 1980, p. 26, ومخطوط طوبقبوسراي بإستانبول رقم *TKS* A1 (F. Déroche, «Collections de manuscrits anciens du Coran à Istanbul: Rapport préliminaire», *Etudes médiévales et patrimoine turc*, J. Sourdel-Thomine ed. [Cultures et civilisations médiévales, 1], Paris, 1983, p. 153- 154).

٥٠. انظر فصل «كُرَّاسات المخطوطات» .

وحتى وَقْتٍ قَريبٍ كان هناك طِرازٌ مُتَمَيِّزٌ من الرَّقِّ يُسْتَخْدَم في الهِنْد ، ورُبَّما أيضًا في إيران ، لكتابة المَصاحِف الكاملة أو أجزاء منها والثَّابت أنَّه قَليل السُّمْك . وقد يكون شِبْه شَفَّاف بحيث لا تُمكن الكتابَةُ إلَّا على جانبٍ واحِدٍ منه ، كما يمكن أن نُشاهِد ذلك في مَخْطُوط مجموعة ناصِر خليلي للفَنِّ الإسلامي بلندن رقم QUR 500، الذي تَمَّ كتابَةُ سنة ١٢٢٣هـ/١٨١٣-١٨١٤م [٥١]، وقِياسُ أوْراقه ٢٠×١٥سم ؛ وهو بذلك نُسْخةٌ عَريضَةٌ نسبيًّا [٥٢].

صِناعَةُ الرَّق

بالرَّغْم من البَساطَة الوَاضِحة لتِقْنِيَة صِناعَة الرَّق ، فإنَّها تَطْرَحُ مَشاكِلَ ، إذا حَكَمْنا عليها من خِلال التَّفسيرات المُتباينة التي نُشاهِدُها في الأدب المُخَصَّص لصِناعَة الكِتاب . ومع ذلك ، يبدو لنا أنَّه من الضَّروري أن نُشيرَ إلى هذه العملية ليَتَسَنَّى لنا الفَهْمُ الجَيِّد لاسْتِخْدام هذه المادَّة . فالمادَّةُ الأوَّلية هي إذًا ، كما نعرف ، من أصْلٍ حَيَواني : والجُلُودُ التي كانت تُسْتَخْدَمُ في صِناعَة الرَّقِّ هي جُلُودُ الخِراف والماعِز والبَقَر ورُبَّما الحَمير و ، تَبَعًا لتَقْليدٍ مُتَجَذِّرٍ بقُوَّة ، جِلْدُ الغَزال [٥٣] . وكما سنرى فيما بعد ، فيبدو

٥١. انظر M, Bayani, A. Contadini and T. Stanley, *The Decorated Word: Qur'ans of the seventeenth to nineteenth centuries* [N. D. Khalili Collection of Islamic Art, 4] (London, 1999), p. 254.

٥٢. انظر مصحف باريس رقم BnF ar. 6894 (ربما يرجع إلى القرن الثامن عشر ٦×٣,٧سم ؛ راجع F. Déroche, *Cat.* 1/2 p. 103, nº 562، حيث وصف المساحة المكتوبة بأنها «ورق شرقي»!) وكذلك كتالوج مزاد سوسبي ، سبعة أبريل سنة ١٩٩٣، الحصة رقم ١٠٩ (منتصف القرن التاسع عشر ٧,٩×٤,٨سم) و ٢٥ أبريل سنة ١٩٩٥ رقم ٣٢ (منتصف القرن التاسع عشر ٨×٥,٣سم) ، والنسختان منسوبتان إلى إيران في عهد القاجارسين ، وانظر كذلك صفحة ١٤٥ هـ [٥٢].

٥٣. لا يُوجَد على حد علمنا بحث عن النوعيات الحيوانية المستعملة . فلا تمدّنا المصادرُ القديمة بأيَّة إشارة عن هذا الموضوع (انظر F. Bilabel, *op. cit.*، العمود ٥٩٧) . وفيما يخص العالم الإسلامي ، فقد ذكر الكُتَّاب الذين تحدثوا عن استعمال الرق الخراف والماعز والبقَر . A. Grohmann, *API*, p. 108; G. Endress, *op. cit.*, p. 45; U. Dreibholz, «Der Fund von Sanaa. Frühislamische Handschriften auf Pergament», *Pergament, Geschichte -Struktur - Restaurierung -Herstellung*, P. Rück éd. [Historische Hilfswissenschaften, 2], Sigmaringen, 1991, p. 301) ؛ وكثيرًا ما كانت تذكر جلود الغزلان في الفهارس والألبومات (انظر على سبيل المثال A. Mousa, *Islamische Buchmalerei*, Le Caire, 1931, p. 46 ولوحة [29] XVIII ؛ M. Ulker, *Baslangiçtan günümüze Türk hat sanati*, Ankara, 1987, p. 100; إلخ .) ؛ وخصص =

أنَّ النُّصُوصَ تُشير إلى أنَّ جِلْدَ الخِـرَاف كان هو الأكثر شُيُوعًا في الاسْتِخْدام . ونَجِدُ أنَّ «تَقْويم قُرْطُبَة» *Le Calendrier de Cordoue de l'année 961*، الذي يرجع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، يُقَدِّمُ لنا مع ذلك ، إشارَةً مُهِمَّةً بالنِّسْبَة لشهر مايو سنة ٩٦١م ، ففيه «تُعْمَل رُقُوقُ الأَخْشاف والغِزْلان إلى آخر شهر يولية» [٥٤]. وتُعَدُّ جُلُودُ الحيوانات البَرِّيَّة أجْوَدَ نَوْعًا من الحيوانات الأليفة [٥٥]؛ وهذا المِعْيارُ التِّقْني خَيارٌ فَنِّيٌّ يدْعونا إلى التَّساؤل عن إشْكالاتٍ اقْتِصادية ذات شَأْن إذا فكَّرنا في / كَمِّيَّة الجُلُود الضَّرُورية لِصُنْع مَخْطوطاتٍ سميكة بعض الشَّيْء . ويمكننا كذلك أن نَذْهَب إلى أنَّ تسمية «جِلْد الغَزَال» تُشيرُ غالبًا إلى نَوْعيةٍ مُعَيَّنَةٍ من الرَّق ، مثل التسمية الفرنسية Vélin [القَضيم] ، وتُوجَد إشارَةٌ في «مُلْحَق القَواميس العربية» *Supplément aux Dictionnaires arabes* لدوزي تفيدنا أنَّ رَقَّ الغَزَال يعني «الرَّق الذي لم يسبق اسْتِخْدامه (رُقُوق عَذْراء) ، الجِلْد المُعَدّ من الماعِز الصَّغير أو الحِمْلان المَوْلودة مَيِّتَة» [٥٦]. ومن بين رَسائل الحِسْبَة التي تُقَدِّم لنا إشارات عابِرَة حول الوسائل المُسْتَخْدَمَة في صِناعته «رِسَالَة ابن عَبْدُون» ، التي صَنَّفَها في الأنْدَلُس نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أو في مُطْلَع القرن السَّادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي [محمد بن أحمد بن عَبْدون التُّجيبي] ، التي تُوصي بأن «لا يُصْنَع (الرَّقُّ) من الضَّأن المَهْزُولة» [٥٧]؛ ونَخْلُص من ذلك إلى أنَّ الخِرافَ كانت الحَيَوان الأكثر استعمالاً

= جروهمان بعض السطور لهذه المسألة (AP I, p. 100) . وعددت وصفات أرمينية في المقابل الأنواع المستعملة وهي : الماعز والجدي والخروف الأليف أو المتوحش ، وأيضًا الأيل ، والأرنب البرّي ، والعجل ، والجحش : P. Schreiner, «Zur Pergamentherstellung im byzantinischen Osten», *Codices manuscripti* 9, 1983, p. 126.

٥٤. *Le Calendrier de Cordoue*, R. Dozy éd., nouvelle éd. accompagnée d'une traduction française annotée par Ch. Pellat [Medieval Iberian Peninsula, Texts and Studies, I], Leiden, 1961, p. 90- 91.

٥٥. R. Reed, *op. cit.*, p. 37, 106، فيما يخص جلود الأيل الأسمر المستعملة في تصنيع الرق .

٥٦. T. I, p. 545, s.v. «raqq». ويجب أيضًا أن نأخذ في الاعتبار الحقائق الحيوانية : فغزالة من نوع مشرقي يجب أن تعطي قطعة جلدية من قياس ٤٠×٥٠ سم تقريبا .

٥٧. E. Levi-Provençal, *Séville musulmane au début du XII*[e] s., *Le traité d'Ibn 'Abdun sur la vie urbaine et les corps de métier* [Islam d'hier et d'aujourd'hui, II], Paris, 1947, p. 133, nº 219 (= traduction)؛ وللمؤلف نفسه *Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en Occident musulman au Moyen-Age, Première série, Trois traités de hisba (texte arabe)* [Publications de l'I.F.A.O., Textes et traductions d'auteurs orientaux, 2], Le Caire, 1955, p. 59 (النص العربي) .

وأنَّ صُنَّاعَ الرَّق (الرَّقَّاقين) كانوا يعرفون أنَّ الحالَةَ الصِّحية للحَيَوان كانت قاطِعَةً بالنِّسْبَة لجَوْدَة الرَّق ، فالحَيَوانُ الذي يُعاني من سُوء التَّغْذية يُنْتِج جِلْدًا رَقيقًا وضَعيفًا ذا مَلْمَس غير مُنْتَظِم ويعيبه انْطباعُ شَكْل العِظَام عليه [٥٨]؛ ومع ذلك ، فقد كان هناك بعضُ الحِرَفِيين الذين لا يلتزمون بالمقاييس اللَّازِمَة مِمَّا اسْتَوْجَب هذا التَّذْكير .

وكان عَمَلُ صَانِع الرَّقّ (الرَّقَّاق) يبدأ بإزالة الشَّعْر : وهناك وَصْفاتٌ غربية من العُصُور الوسطى يُغْمَرُ فيها جِلْدُ الحَيَوان في حَمَّام من الجير لتسهيل عملية نَزْع الشَّعْر (الوَبَر) . وعَرَفَ مُؤلِّفُ كتاب «الفِهْرِست» في القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي ، هذه التِّقْنية ، حيث يُشيرُ إلى مَعْجُونٍ لإزالة الشَّعْر «النُّورة» مُكَوَّن من الجير والزَّرْنيخ [٥٩]، ولكن كان يعيبه ، حَسَبَ قَوْله ، أنَّه يجعل الجِلْد شديد الجَفَاف . وكانت تُوجَد وَسيلَةٌ أخرى ، مستخدمة في الكوفَة ، تَسْمَح بالحُصُول على جِلْدٍ لَيِّنٍ بفَضْل اسْتِخْدام مُسْتَحْضَرٍ مُسْتَخْلَصٍ من التَّمْر [٦٠]. واسْتُخْدِمَ الجيرُ في الشَّرْق الأوْسَط في القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي لإزالَة الشَّعْر [٦١]، ولكنَّنا نجد ذكرًا له في وَصْفَةٍ لإعْدادِ الرَّقّ موجودةٍ في مَخْطُوطٍ لاتيني كُتِبَ في إيطاليا في القرن الثامن الميلادي (مخطوط Lucques, Biblioteca capitolare 490) ؛ ممَّا يُوجِدُ فَرْضِيتين مُتعارضتين : يُسانِدُ أنْصارُ الفَرْضية الأولى أنَّ مُعالجَة الجُلُود في حَمَّام من الجير كانت ، إن لم تكن قد ابْتَكَرها العَرَبُ ، قد انْتَقَلَت على الأقَلِّ عن طريقهم إلى الأوروبيين [٦٢]، بينما يَرَى الآخرون أنَّ انْتِشارَ هذه التِّقْنية كان / في الاتِّجاه المُعاكِس [٦٣]. وهم يَرَوْن أنَّ اسْتِخْدَامَ

٥٨. R. Reed, *op. cit.*, p. 37.

٥٩. لم تُحَدَّد عناصر التركيب في نص الفهرست (ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق فلوجل ، ليبتسج ، ١٨٧١ ، ٢١ ؛ ونشرة رضا تجدد ، طهران ، ١٣٥٠هـ/١٩٧١م ، ٢٣) ؛ ولكن تمت الإشارة إليها في مختلف المعاجم ـ سواء تعلق الأمر بالمعاجم العربية أو التركية أو الفارسية ـ وفي ترجمة دودج Dodge, *The Fihrist of al-Nadîm*, I, New York- London, 1970, p. 40, n. 92.

٦٠. ابن النديم ، نفسه ؛ دودج Dodge، المرجع السابق ، ص ٤٠.

٦١. أشار إليه هاي جاؤن Rabbi Hay Gaon, (من العراق ، نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) ، وراجع : A. Harkavy, *Studien und Mittheilungen aus der kaiserlichen öffentlichen Bibliothek zu St. Petersburg, 4. Theil, Responsen der Geonim (zumeist aus dem X.-XI. Jahrhundert)*, Berlin, 1885 - 1887, p. 28.

٦٢. R. Reed, *op. cit.*, pp. 135-36، M.L. Ryder, *op. cit.*, p. 27.

٦٣. يرى شرينر P. Schreiner، أنَّ هذه الطريقة =

التَّمْر كان مَعْرُوفًا في أوْساطِ الطَّوائف اليهودية في العُصُور الوُسْطى في الشَّرْق الأوْسَط [٦٤].

وكان الكَشْطُ باسْتِعْمال آلةٍ حادَّة (شَفْرَة على سبيل المِثَال) يَسْمَحُ بإزالَة رَواسِب اللَّحْم والشَّحْم من الجانِب اللَّحْمي للجِلْد ؛ ويُؤكِّدُ نَصُّ ابن عَبْدُون على هذه العملية ، إذْ يقول : «يجب أن لا يُعْمَل رَقٌّ إلّا مَبْشُورًا» [٦٥] إن لم يكن المُؤلِّفُ يُشير هنا إلى المرحلة التالية ، المُتَعلِّقة بالإخْراج النِّهائي [٦١]. ثم جَاءَ بَعْدَه عُمَر الجَرْسيفي (أوَّل القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الهجري) ليُعاوِدَ المَوْضوع نفسه : «والكَلامُ مع الكغادين ... وكذلك الرَّقَّاقين في اخْتِيار الجِلْد واعْتِدال التَّبْشير والتَّنْظيف» [٦٦]. ولكن من غير المُؤكَّد

= كانت معروفة في القديم (op. cit., p. 126) ؛ وكذلك هران (Haran, op. cit., p. 420) . وترجع هذه الاختلافات في جزء منها إلى صعوبة تفسير المصادر النصية وهي لا تنقص شيئا من أهمية المنهج المقارن في علم المخطوطات . إن المقابلة بين مختلف التقاليد التراثية المتعلقة بالمخطوطات في مناطق مثل الشرق الأوسط أو الأندلس ، يمكن أن تكمل معلومات غالبا ما تكون محلية . ونقصد كدليل على ذلك مسألة قطع الجلود في اتجاه الثخانة. - ويتعلق الأمر عموما باستخراج ورقتين من قطعة جلدية واحدة . ويُقَدِّر هران Haran الذي يرى وجود تقليدين ، واحد في الغرب ينتج الرق بمعناه الصحيح ، والآخر في الشرق يعطي مُنتجًا مماثِلًا لكن غير متطابق ، أن الرَّقَّاقين المسلمين كانوا يجيدون تقنية القطع التي أشرنا إليها ويستخرجون الرقّ من الجلد (بالعبرية رق) ، الذي يطابق الطبقة الثخينة القريبة من اللحم ، وقشط الجهة الرقيقة جدا من جهة الوبر (Haran, «Bible scrolls in Eastern and Western Jewish communities from Qumran to the High Middle Ages», Hebrew Union College Annual LVI, 1985, p. 47- 50) . وعلاوة على نص ، كثيرا ما كان يذكر لابن ميمون (Mishne Tora, II, Hilkhot tephillin 6- 7) أوْرَدَ هران M. Haran جوابا لابن ميمون هذا حيث توجد قائمة بأسماء هذه المنتجات ، إلا أنه قرأ قشط في المكان الذي نجد فيه «قنط» في النص الذي نشره ج . بلو J. Blau, (R. Moses b. Maimon responsa, ed. J. Blau, I, Jérusalem, 1957, p. 268, l. 7 للنصوص العربية والعبرية . ولا يبدو أن الأدبيات العربية قد احتفظت لنا بآثار هذه التقنية . وإذا كان الجِذْر «قَشَطَ» يعطينا معنى منطقيا فإنه لا يوجد إثبات لكلمة قَشْط الدالة على صنف من الرق في المعاجم المعتمد عليها . (في المقابل نجد هذا الجذر بخصوص الطروس : انظر هـ[٨٨]).ومع ذلك ، فإن هذه التقنية قد تكون قديمة : وقد كانت محل جواب سابق يعود إلى القرن التاسع الميلادي قبل ابن ميمون الذي عاش في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي ، في فترة كان الرق ما يزال يصنع فيها بوفرة.وهكذا ففي نهاية دراسته ، أعاد هران تشكيل الطريقة العربية في صنع الرق والقشط : كان الجلد يملح أوّلًا لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، ثم يمدد في حمام ماء وجير ، ثم يتم تجفيفه بالشد على إطارات من الخشب وبعد ذلك ، كانت تزال بقايا الوبر أو الشعر ؛ وكان يتم أيضا في خلال هذه المرحلة الجوى ين الرق والمَشْط (op. cit., pp. 48-49) . وكما نلاحظ ، فإنَّه باستثناء المرحلة الأخيرة ، فإن المسار في الواقع قريب جدًّا من المسار المعروف في أوروبا . يضاف إلى ذلك أننا لم نستطع أن نتأكد من وجود الرق الناتج عن تقطيع الجلد في مخطوطاتنا .

٦٤. Haran, op. cit., (1985), pp. 36-37.

٦٥. ليفي بروفنسال Lévi-Provençal، المرجع السابق ، ص ٥٩ (النص العربي) ١٣٣، هامش ٢١٩ (الترجمة) .

٦٦. ليفي بروفنسال Lévi-Provençal، المرجع =

أنَّ يكون تَصْنيع الرَّقّ في العالم الإسلامي قد اعتمد بعد ذلك بانْتِظامٍ على صَنْفَرَة الجِلْد بطريقَةٍ تُؤدِّي إلى إزالَة الفَرْق بين وَجْهَيْه .

والخُطْوَةُ الأساسية في معالجة الجِلْد هي تَجْفيفُه عن طريق شَدِّه على إطارات خَشَبية تُسَمَّى Herses (مَطَّاطة الجُلُود) أو Chassis (الهَيْكَل) ، ويَتَطَلَّبُ ذلك تَوفير مساحات وَجَدَها الرَّقَّاقُون الأنْدَلسيون في أفْنِيَة المقابر ، ممَّا دَفَعَ ابن عَبْدون إلى التَّذْكير بأنَّه «يجب أن/ لا تُبْسَط الأقْذار على أفْنيتها (المَقابر) ، مثل جُلُود الدَّبَّاغين والرَّقَّاقين» [٦٧]. ويَذْكُر رونالد ريد R. Read اسْتِخْدَامَ الطَّباشير أو الجَصّ للتَّحَكُّم في عملية تَجْفيف الجِلْد المَشْدود [٦٨]، ولكنَّ وُجودَ الطَّباشير على الرَّقّ يمكن أن يكون بغَرَضِ إعْطاء مَلْمَح مُتَجانِس لوَجْهيه .

وهذه المادَّةُ ، كما أشَرْنا سابقًا ، يمكن أن تُنْتَج في أيِّ مَكان . غير أنَّ بعض المُدُن اشْتُهِرَت بالنَّوْعية الخاصَّة للرَّقّ الذي تُنْتِجه ، وبالتالي كان إنْتاجُها مَطْلوبًا : وتَتَمَتَّعُ الكُوفَة والرُّها بإطْراءٍ كبيرٍ في هذا المجال [٦٩]، ولكنَّ أسْبابَ هذا التَّمَيُّز - الفَنِّيَة [٧٠] والمناخية [٧١] - غير مُحَدَّدَة للأسف .

وقد يُصْبَغ الرَّقُّ قبل اسْتِخْدام النَّاسِخ له ، وهذه الممارسة كانت معروفة جَيِّدًا في حَوْضِ البَحْر المُتَوَسِّط [٧٢]. ولن نَتَطَرَّق هنا ثانيةً إلى أشهر مَخْطُوطٍ إسلامي كُتِبَ على

= السابق ، ص ١٢٤ (النص العربي) ؛ R. Arié, «Traduction annotée et commentée des traités de Hisba d'Ibn 'Abd al-Ra'uf et de 'Umar al-Garsifi», Hespéris Tamuda 1 (1960), p. 371.

٦٧. ليفي بروفنسال Lévi-Provençal، المرجع السابق ، ص ٢٧، ١٧.١ - ١٨ (النص العربي) ٦٠، رقم ٥٤ (الترجمة) .

٦٨. R. Reed, op. cit., p. 147.

٦٩. تَبَعًا لما ذكره جروهمان A. Grohmann, API, p. 110، الذي يحيل إلى الراغب الأصبهاني والبكري ؛ ونضيف إليهما نص الفهرست السابق الذكر (انظر هـ[٦٠]) .

٧٠. في حالة الكوفة ، يجوز لنا أن نذهب إلى أن استعمال المستحضر المستخلص من التمر ، والذي أشرنا إليه سابقا ، كان له تأثيرٌ على شهرة الرقوق التي كانت تنتج فيها . ويمكن أن يوجد هنا تشابه نسبي مع حالة برجامة التي تطور فيها إنتاج الرق تطورًا ملموسًا بشكل جعل المدينة تشتهر بكونها مهد صناعة الرقوق (انظر M.L. Ryder, op. cit., p. 25) .

٧١. يُرَكِّز Reed على أهمية الماء في مسار الصناعة (op. cit., p. 132) والقضايا المُتَّصِلَة بالتجفيف في البلدان الحارة (p. 147) .

٧٢. تَبَعًا لبلابل F.Bilabel المرجع السابق العمود ٥٩٨ عرفت العصور القديمة الرق الملون بالأصفر : ويذكر في في هذا الخُصُوص إزيدور الإشبيلي «fiebant autem coloris lutei»، الذي يشير إضافةً إلى ذلك إلى رَقٍّ ملون بالأرجوان : «membrana autem aut candida aut lutea aut pupurea sunt» (Etimologias,

الرَّقّ المَصْبوغ ، المُصْحَف الأَزْرَق المَشْهور[٧٣]؛ وقد تَوَفَّرَت للصُّنّاع المسلمين أَلْوانٌ أخرى مثل أَصْفَر الزَّعْفَران أو الصَّبْغَة البُرْتُقالية[٧٤]. وأمْلَت خُصوصيةُ الرَّقّ كذلك اسْتِخْدام أَحْبارٍ مُلَوَّنَةٍ خُصِّصَت للكتابة على الرَّقّ ، فيُشيرُ ابنُ باديس إلى المِدادِ الذَّهَبي والمِدادِ الأَزْرَق[٧٥].

/أحْجامُ الرَّقّ

نُذَكِّرُ في بادئِ الأمر بأنَّ حَجْمَ المَخْطوطات نفسها يَخْضع جزئيًّا لجِنْسِ الحَيَوان الذي اسْتُخْدِم جِلْدُه في صِناعَة الرَّقّ . وفي دراسَةٍ حول أحْجام المَخْطوطات الفرنسية ، قَدَّرَت كارلا بوزُّولو Carla Bozzolo وإِزْيو أورْناتو Ezio Ornato «المِسَاحَة الصَّالِحَة للاسْتِعْمال» من جِلْدِ خَروفٍ من العُصُور الوُسْطى بـ ٤٨×٦٠سم : فيجب ، في الواقع ، أن نأخُذ في الاعْتبار أنَّ قامَة حَيَوانات تلك الفَتْرة كانت أَصْغَر مِمَّا هي عليه الآن . وقَدَّرَ الباحِثان نَفْساهما أنَّ هذه المِساحَة بالنِّسبة للرُّقُوق الحديثة المصنوعة من جُلُود الحِمْلان والخِراف هي ٤٥×٥٥سم و٥٩×٧٦سم على التَّوالي[٧٦]. وللحُصُول

texto latino, version espanola y notas por J. Oroz Reta y M.A. Marcos Casquero, Introduccion general por M.C. Diaz y Diaz, I [BAC, 433], Madrid, 1982, p. 586- 589: VI, 10, 2- 5)؛ ولاحظ بلابل في مجموعة قطع قبطية على الرق في مكتبة جامعة هايدلبرج أمثلة تلوين بالأصفر (*Loc. cit.*) . والأمثلة البيزنطية التي قد تكون أثرت على الإنتاج في بلاد الإسلام كانت معروفة بشكل أفضل (انظر مثلا الطرفة التي قدمها جروهمان A. Grohmann, *AP* I, p. 101) .

٧٣. خَصَّصَ چوناثان بلوم دراستين لهذا المصحف J. Bloom, «Al-Ma'mun's Blue Koran?» *REI* 54 (1986) [Mélanges D. Sourdel, L. Kalus éd.], p. 59- 65; «The Blue Koran. An early Fatimid Kufic manuscript from the Maghrib», *MMO*, p. 95- 99)، وتوجد دراسة ثالثة كتبها T. Stanley, «The Qur'an on blue vellum. Africa or Spain ?», *The Qur'an and calligraphy, A selection of fine manuscript material* [Bernard Quaritch, catalogue 1213], Londres, s.d., p. 7-15؛ وتوجد بيليوجرافيا عند : F. Déroche, *Abbasid Tradition*, p. 92.

٧٤. كمثال على التلوين البرتقالي ، انظر F. Déroche, *Abbasid Tradition*, p. 58, nº 10.

٧٥. M. Levey, *Mediæval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology* [Transactions of the American philosophical society, New series, vol. 52, part 4], Philadelphia, 1962, p. 22-23.

٧٦. C. Bozzolo et E. Ornato, *Pour une histoire du livre manuscrit au Moyen Age, Trois essais de codicologie quantitative*, Paris, 1983, p. 267 , 293 . (وانظر كذلك p. 258-259) .

٦. شَكْلُ جِلْدٍ رَقّ

على مُجَلَّداتٍ أكبر حَجْمًا كان من الضَّروري اخْتيار مادَّةٍ مَصْنُوعَةٍ من جِلْدِ حَيَوانات أكبر ؛ وفي المقابل ، فإنَّ الحَيَوانات صَغيرَة الحَجْم مثل الغَزال لا تَسْمَح إلَّا بإنْتاجِ كُتُبٍ مُتَواضِعَة الحَجْم . ونُشير ، عِلاوَةً على الأَحْجام الدُّنْيا التي قَلَّما تُمَثِّل أَهَمِّيَّةً[٧٧]، على سبيل المِثال ، إلى مَخْطُوطٍ ووَثيقةٍ تُمَثِّلان الحُدُود القُصْوى لحَجْم الرُّقُوق . فتَشْتَمِل أجزاءُ مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 324 على أوْراقٍ متآكلة الأَطْراف بشِدَّة قياسها ٥٣,٧×٦٢سم[٧٨]. ويَبْلُغ قِياسُ وَثيقَةٍ/ محفوظة في لندن برقم Bl Or. 4684/III Bl

٧٧. A. Grohmann, *AP* I, p. 101.

٧٨. E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium, Bonn,* 1914, p. XXXII, pl. 42; R. Blachère, *Introduction au Coran*, 2e éd., Paris, 1959, p. 96, 99, 100; G. Bergsträsser et O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, عند Th. Nöldeke, *Geschichte des Qorans*, 2e éd., III, Leipzig, 1938, p. 254; F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 75- 77. وتظهر أوراقٌ أخرى في مجموعات أخرى ، B. Moritz, *Ar. Pal.*, Le Caire, دار الكتب بالقاهرة 1905, pl. 1- 12; A.N. Shebunin, «Kuficheskij Koran Khedivskoj Biblioteki v Kaire», *Zapisok Vostochnago Otdvlenia Imperatorskogo russkago arkheologicheskago obshestva* 14 (1902), p. 120-125 و Gotha, Forschungsbibliothek Ms. Orient. A 462 (انظر J.H. Möller, *Paläographische Beiträge aus den herzoglichen Sammlungen in Gotha*, 1. Heft, Erfurt, 1844, pl. XIV; H.C. von Bothmer, Gotha 1997, p. 105-107) . وتوجد مخطوطات أخرى في أحجام قريبة وبأسلوب متشابه ؛ حسب مصدر غير علمي : F. Neema, «Restaurado,)

٨٥×٨٢سم [٧٩]. ويَتَّخِذُ الرَّقُّ في خِتام عملية الصُّنْع تَقْرِيبًا هَيْئَةَ المُسْتَطيل (شكل ٦)؛ وفي العُمُوم فإنَّ المُجَلَّدات المكتوبة على الرَّقّ هي كُتُبٌ على شكل مُسْتطيل، ونادِرًا ما تكون على شَكْل مُرَبَّع، ولكنَّنا نعرف بعض حالات من اللَّفائِف التي تَتَعامَدُ فيها سُطُورُ الكتابة على الضِّلْع الأكبر للدَّرْج *rotuli* [٨٠].

خَصَائِصُ الرَّقّ

بعيدًا عن مُشْكلات الحَجْم، هناك عَوَامِلُ أُخرى تَتَحَكَّم في نَوْعية الرَّق، وتَتَدَخَّلُ في السِّعْر النِّهائي الذي يدْفعه مُشْتَري المَخْطُوط أو مُسْتَكْتِبه، سنُشير إليها بإيجاز. إنَّ حيوانَيْن من الصِّنْف نَفْسِه والسُّلالَة نَفْسها لا يُعْطيان بالضَّرُورَة رُقُوقًا بالجَوْدَة نفسها، بما أنَّ حالَة الحَيَوان ـ وعلى الأخَصِّ حالَة جِلْده ـ كما لاحَظْنا ذلك من قَبْل ـ تَنْعَكِسُ على المُنْتَج النِّهائي. فأيُّ جُرُوحٍ أو شَكَّاتٍ أو خَبْطاتٍ يَتَعَرَّضُ لها الجِلْدُ قبل عملية الذَّبْح تَتْرُك آثارَها على الجِلْد، ورُبَّما تكون كذلك قد أُتْلِفَت مَواضِعُ منه في أثناء إعْدادِه؛ وتَتْرُكُ هذه السَّحْجات المختلفة آثارَها على الرَّقّ، سواء في شكل ثُقُوبٍ دائرية أو بَيْضاوية «عُيُون» (شكل ٧). ويُشيرُ هذا المُصْطَلَحُ إلى المناطِق شِبْه الشَّفَّافَة التي تُظْهِرُها عمليةُ الشَّدّ التي تَعَرَّضَ لها الجِلْدُ في أثْناء التَّجْفيف، مثلما هي حالة الورقة ٤٧ من مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6090 [٨١]. وقد يَحْدُثُ أحْيانًا أن يُحَزَّز الجِلْدُ في أثناء إعْداده ممَّا يُؤدِّي إلى ظُهُور ثُقُوبٍ دائرية أو بَيْضاوية. وقد حَاوَلَ البعضُ مُعالجة ذلك ـ أو أي تَمْزيق مُفاجئ قد يَحْدُث فيما بعد ـ بخياطَة طَرَفي الثُّقْب (شكل ٨)./ فنَجِدُ على سبيل المثال في الأوراق ٣ و٥ و٢٨ من مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6095

---

el Coran mas antiguo», *Excelsior*, Mexico, D.F., ملحق الأحد ٢٥/٠٧/١٩٩). فقياس المصحف الموجود في مسجد سيدنا الحسين بالقاهرة ٦٠×٧٠سم (راجع صلاح الدين المنجد: دراسات في الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت ١٩٧١م، ٥٣ ـ ٥٤). وتطابق هذه القياسات حسب ريدرَ رقًّا معدًّا من جلد الماعز (*op. cit.*, p. 130).

٧٩. A. Grohmann, *API*, p. 101.

٨٠. S. Ory, «Un nouveau type de mushaf, Inventaire des corans en rouleaux de provenance damascaine conservés à Istanbul», *REI* 33 (1965), p. 87-149.

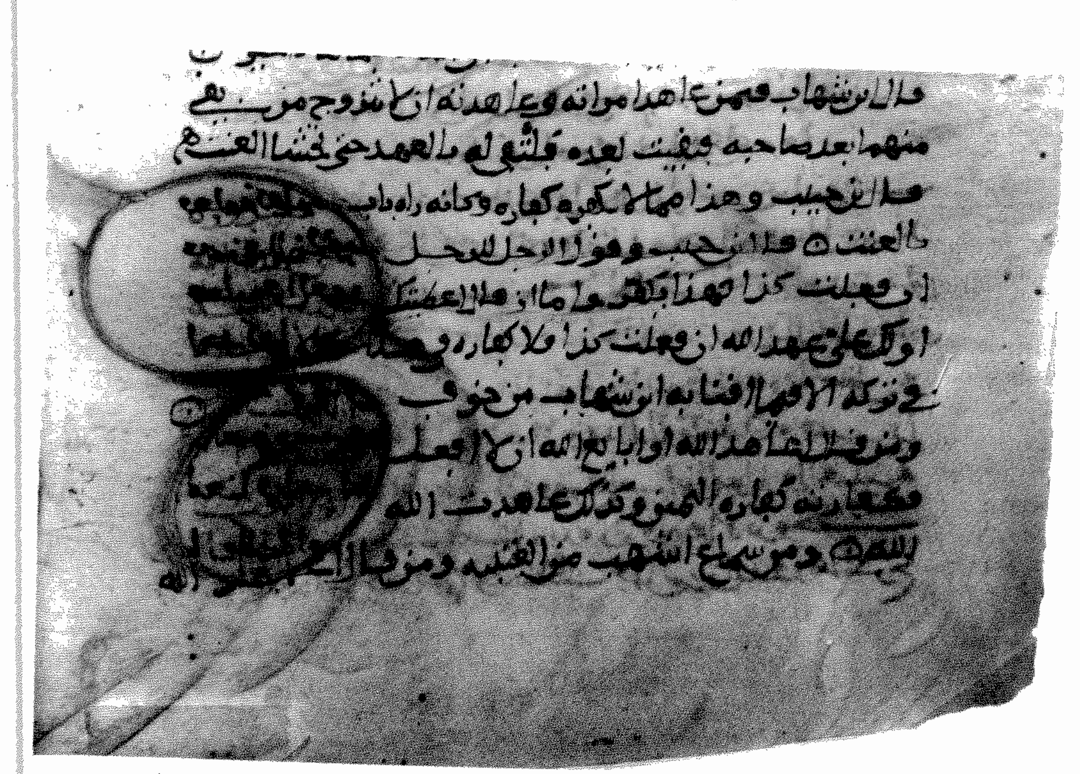
٨١. E. Blochet, *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions (1884-1924)*, Paris, 1925, p. 184; *FiMMOD* 68.



٧. عَيْبٌ في رَقٍّ (عَيْن)، وآثار شَعْر، وظَرَفٌ طبيعي. ٤٧٢هـ/١٠٧٩م
باريس BnF arabe 6095، ورقة ٢٥ظ، تَفْصيل



٨. إصْلاح بخياطة تَمْزيق لرَقّ. إستانبول SE 85، ورقة ٦، تَفْصيل



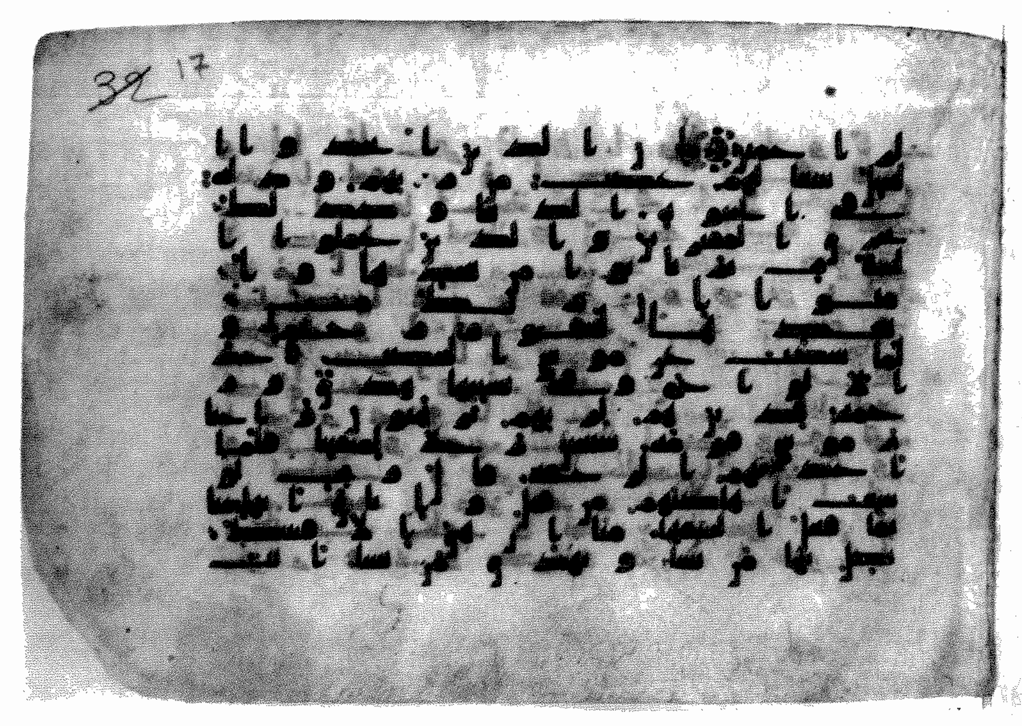
٩. إصْلاحُ عَيْبٍ في رَقٍّ وآثار لكَشْط . ٤٧٢هـ/١٠٧٩م
باريس BnF arabe 6095، ورقة ٣ظ ، تَفْصيل

شَريحَةً رَقيـقَةً من الرَّقّ (أو لَوْزَة) أُلْصِقَت على الثُّقُوب المَطْلوب إخْفاؤها (شكل ٩) [٨٢].

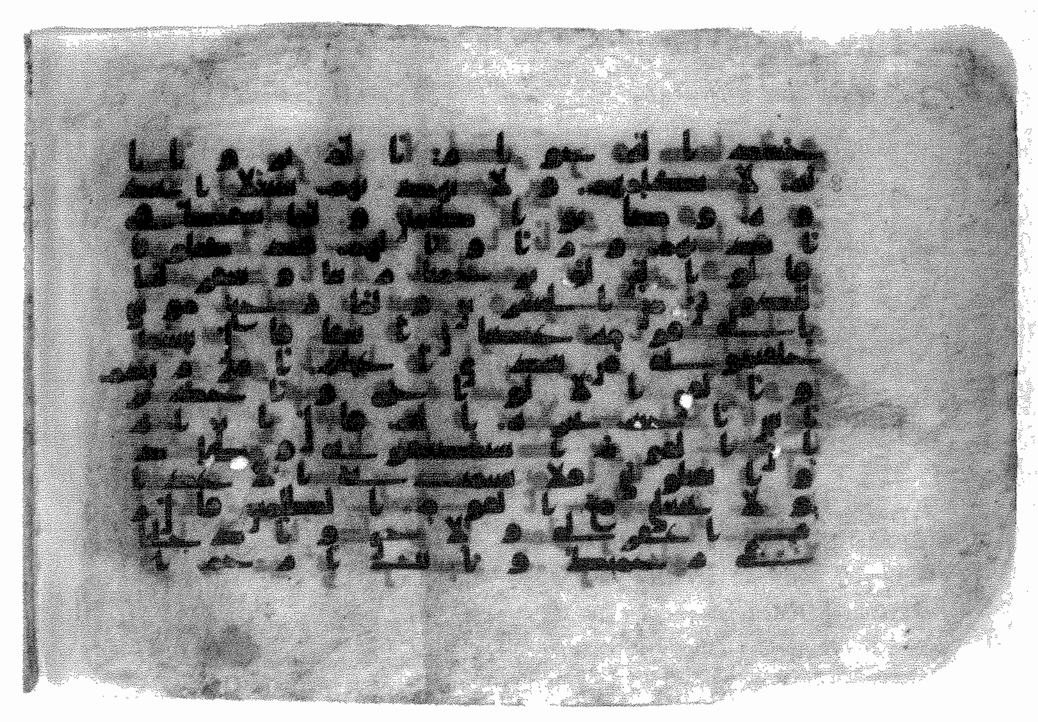
وبعيدًا عن هذه العَوارِض ، فعمليةُ الصِّناعَة نفسها هي عامِلٌ آخر يجب أخْذُه في الاعْتبار عند تَقْييم نَوْعِيَّة المُنْتَج النِّهائي : فقد يَعْمَل الصَّانِعُ ، في الواقع ، بدَرَجاتٍ مُتَفاوِتةٍ من المَهارَة والعِنايَة والصَّرامَة . ويَتَميَّزُ الرَّقُّ باخْتلافٍ مُلاحَظ بين وَجْهَيْه ، فالوَجْهُ المقابِلُ للشَّعْر أُطْلِقَ عليه «الجانِب الوَبَري (ناحِيَة الشَّعْر)» أو «الجانِب المُزْهِر» (شكل ١٠) ، وأُطْلِق على الوَجْه الآخر «الجانِب اللَّحْمي (ناحِيَة اللَّحْم)» (شكل ١٠ مكرر) . وبمُجَرَّد الانْتِهاء من عملية الإعْداد ، يحتفظ الرَّقُّ عُمُومًا بعلاماتِ هذا الاخْتِلاف ،

---

٨٢. FiMMOD 16، وكذلك مخطوط باريس رقم BnF arabe 6499 , (FiMMOD 65)؛ وانظر كذلك فصل «كراسات المخطوطات»). ولقد عرف العصر الوسيط الرق الشفاف (Reed, *op. cit.*, pp. 143-45، بالإضافة إلى ما قيل عن *goldbeaters' parchment* p. 131) .



١٠. جانِب شَعْري لوَرَقة من الرَّقّ ، خَطّ من النَّمَط BII ، مُؤرَّخ من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي
باريس BnF arabe 6140 ، ورقة ١٧



١٠ مكرر . جانب لحمي لوَرَقَة من الرَّق ، خَطّ من النَّمَط BII ، مُؤرَّخ من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي
باريس BnF arabe 6140 ، ورقة ١٦ظ

كما يستمرُّ في المَيْل للالْتِفاف الطَّبيعي حول المِحْوَر الذي تُشَكِّله فِقْراتُ الحَيَوان، الذي يُحَدِّد اتِّجاهَه ما نُسَمِّيه اتِّجاه الجِلْد.

/قد يَحْدُث أن لا تَتِمّ عَمَلِيَّةُ النَّتْف من الجانِب الوَبَري (ناحية الشَّعْر) كما ينبغي، فهناك مَوَاضِعُ حَوْل مُحيط الثُّقُوب التي أتَيْنا على ذكرها أو بالقُرْبِ من الحَوَاف الطَّبيعية للجِلْد يَصْعُب فيها إتْمامُ هذه العملية، وقد يَحْدُث أيضًا أن يبقى الشَّعْرُ في أجزاءٍ من السَّهْل مُعالجَتُها لأنَّ الرَّقَّاقَ لم يُتِمّ عمله كما ينْبَغي. ونَجِدُ جِذْرَ الشَّعْرِ ظاهِرًا على السَّطْح العُلْوي للرَّقّ في العَديد من المَخْطُوطات المغربية مثل مَخْطوطي باريس رقمي 6090 [٨٣] و5935 [٨٤] BnF ar. ولا يَتْرُكُ الشَّعْرُ أيَّ أثَرٍ بالطَّبْع في الجانب اللَّحْمي، ولكن قد يَحْدُث أنْ تُحَزِّزَ الأداةُ المُسْتَخْدَمَة في كَشْطِ هذا الجانب الجِلْد. وتُوَضِّحُ هذه العَوَامِلُ المختلفة التَّنَوُّع الكبير الذي نَلْحَظُه بين المَخْطوطات المَنْسُوخة على هذه المادَّة. وبعضُ الرُّقُوقِ من نَوْعِيةٍ رَديئة، ولكن تُوجَد أيضًا رقوقٌ أخرى مُتَمَيِّزَة على نحوٍ/ لافِتٍ للنَّظَر: مثل مَخْطُوطِ مكتبة نور عثمانية بإستانبول رقم 27 [٨٥]، فجانبا الرَّقّ أُعِدَّا بعنايةٍ تامَّةٍ إلى دَرَجَة أنَّنا نجد صُعُوبَةً في التَّمْييز بينهما. وكقاعِدَةٍ عامَّة، لا يبدو أنَّ الصُّنَّاعَ قد بَذَلوا كُلَّ طاقتهم لاسْتِبْعاد اخْتِلاف المَظْهَر بين الجانِب الشَّعْري والجانب اللَّحْمي. ولا نستطيع أن نَسْتَبْعِد أنَّ هناك عَمليات أخرى قد اسْتُخْدِمَت للتَّخْفيف من هذا التَّناقُض: ورُبَّما نجد الطَّباشير مُنْتَشِرًا على الرَّقّ لهذا الغَرَض، كما أثْبَتت ذلك الفُحُوصاتُ المِجْهَرية التي أُجْرِيت على أوْراقِ المَصَاحِف ذات الخَطِّ الحجازي (وبالتالي فيرجع تأريخُها إلى نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي أو بداية القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامن الميلادي)، وعلى مَصَاحِف أخرى كُتِبت في المغرب في القرنين السَّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي والثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي [٨٦].

٨٣. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 34- 35, nº 302 ولوحة XIV a.

٨٤. انظر هـ ٨١.

٨٥. M. Lings, *The Qur'anic art of calligraphy and illumination*, London, 1976, pl. 3 et 4; M. Ulker, *op. cit.*, p. 105, 107; F. Déroche, *Abbasid Tradition*, p. 90- 91, nº 41؛ ويبدو أن جزءا من السفر الأول أو كله محفوظ ببرنستون، انظر: P.K. Hitti, N.A. Faris, B. 'Abd al-Malik, *Descriptive catalogue of the Garrett collection of Arabic manuscripts in the Princeton University Library*, Princeton, 1938, p. 359, nº 1056 = 35 G).

٨٦. U. Dreibholz, *op. cit.*, p. 301؛ وحده =

/الطُّـــرُوس

يبقى أن نَتَحَدَّث عن مَظْهَرٍ خاصٍّ مُتَّصِلٍ ببَقاء هذا الحامِل، وكذلك بالخاصِّيَّة التي يُمَثِّلها والتي تجعله يَتَخَلَّص تقريبًا على الوَجْه الأكْمَل من آثار الاسْتِخْدامات السَّابقة؛ كما أنَّ سِعْرَه يُشَجِّع دون شك كذلك على إعادَة اسْتِخْدامه. لقد سَبَقَ لنا أن أشَرْنا إلى رسالة الحِسْبَة التي نَشَرَها إ. ليڤي بروفنسال E. Levi-Provençal، والتي تُشير إلى أنَّه «يجب أن لا يُعْمَل رَقٌّ إلَّا مَبْشُورًا» [٨٧]، وعَلَّق النَّاشِرُ على نَصيحَة ابن عَبْدون بقوله: «يبدو أنَّ الرَّقَّ المَعْني هنا هو الرَّقّ الجديد الذي يُبْشَر قَبْل بَيْعه، والرَّقُّ المكتوب بالفِعْل والذي يُكْحَت حتى يمكن إعادَة اسْتِعْماله (الطِّرْس)» [٨٨]. ومن غير المُؤَكَّد أنَّ المَقْصُودَ في هذه الحالَة هو الطِّرْس، لأنَّه يبدو من غير الضَّروري النُّصْح بكَحْت الكتابَة لاسْتِخْدام رَقٍّ مُسْتَعْمَل. فقد كان الغَسْلُ والكَحْتُ طريقتين معروفتين جَيِّدًا لإعادَة اسْتِخْدام أوْراقٍ عليها نُصُوصٌ مكتوبة من قَبْل، ولا تُعْوِزُنا المَصادِرُ من جِهَةٍ أخرى في الإشارَة إلى هذه المُمارَسَة. ولحَذْفِ أقْسام أكثر تَحْديدًا من النَّصّ حَفِظَت لنا رِسالَةُ ابن باديس وَصْفات مُخَصَّصَة لذلك [٨٩].

وإلى جانِب إشارات المَصَادر، وَصَلَت إلينا العَديدُ من الطُّرُوس العربية التي تُؤَكِّد حقيقة هذه المُمارَسات. ولعلَّ أحَدَ أقْدَم الأمثلة على ذلك هو قِطْعَةٌ من مُصْحَف عُرِضَ مُؤَخَّرًا للبَيْع في لندن (شكل ١١) [٩٠]؛ وإذا كان من حَقِّنا التَّشَكُّك في التَّأريخ المُبَكِّر الذي قُدِّمَت به القِطْعَة، فإنَّه يبدو مع ذلك مُحْتَمَلًا أنَّ هذه الوَرَقَة قد اسْتُخْدِمَت في

= جينو كذلك وجود طبقة خفيفة معدنية بيضاء على المخطوطات (الطَّباشير أو الجِبْس) على المخطوطات التي درسها (انظر فصل «أدوات وتحضيرات الصناع»).

٨٧. ليفي بروفنسال Lévi-Provençal، ص ٥٩ (النص العربي)، ص ١٣٣ هامش ٢١٩ (الترجمة).

٨٨. ليفي بروفنسال Lévi- Provençal، المرجع السابق، ص ١٦٠، هامش a، حيث أحال على دوزي الذي شرح طويلا عبارة رق مبشور، التي يقارنها بالطرس المكشوط، بمعنى الطرس (*Lettre à M. Fleischer concernant des remarques critiques et explicatives sur le texte d'al-Makkari*, Leyde 1871, pp., 78-81). ويذكر ابن النديم أن سكان بغداد أعادوا استخدام رق السجلات المنهوبة من الإدارات خلال إحدى الثَّورات بعدما محوا المداد. (الفهرست، تحقيق فلوجل، ٢١؛ تحقيق رضا تجدد، ٢٣؛ ترجمة دودج، ٤٠). وفيما يخص الطِّرْس العربي انظر Gacek, *AMT*, p. 91.

٨٩. M. Levey, *op. cit.*, pp. 36-37.

٩٠. مزاد سوسبي جلسة بيع يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٩٢، حصة رقم ٦.

القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي. ويمكن أن تكون أوْراقٌ أخرى كُشِفَت في اليمن وأشَارَ إليها الفَريقُ الألْماني المُكَلَّف بتَرْميم مَصَاحِف صَنْعَاء هي من أوْراقِ هذا المُصْحَف نَفْسِه [٩١]. وفي هذه الحالَة، مثل حالات أخرى، تَنْضَوي إعادَة اسْتِعْمال الرَّقّ في إطار التَّقْليد المَخْطُوطاتي نَفْسِه ولا يَتَعَلَّق إذًا، والحالة هذه، إلَّا بنُصُوصٍ عربية إسلامية ترجع إلى عُصُورٍ مختلفة؛ ولكن تُوجَد كذلك طُرُوسٌ تُغَطِّي فيها الكتابةُ العربية نُصُوصًا مكتوبة بلُغاتٍ أخرى [٩٢]. ويُوجَد كذلك الوَضْعُ العكسي: ففي طُرُوسِ لويس مِنْجانا Lewis-Mingana نجد نُصُوصًا مسيحية بالعربية ترجع إلى القرن العاشر الميلادي، وحتى القرن التاسع الميلادي، تُخْفي صَفْحَةً من التَّوْراة السَّبْعينية بالإغْريقية، ومُقْتَطفات سُرْيانية وثلاث فَقْرات قُرْآنية بالخطِّ الحجازي [٩٣]. وقد لا يكون الفارِقُ الزَّمني/ المُنْصَرم بين كتابة نَصَّيْن مُتتاليين بالضَّرورَة طَويلًا جِدًّا: فالنَّاسِخُ يستطيع اسْتِخْدام هذه العملية لإصْلاح نَصٍّ بعد أن يكون قد تَنَبَّه إلى أنَّه أخطأ فيه [٩٤].

حالاتٌ أُخْرى من إعَادَة اسْتِخْدام الرَّق

إنَّ إعادَة اسْتِخْدام الرَّقّ الذي وَصَفْناه للتَّوِّ هي الحالة الأكثر مَعْرِفَةً، ولكنها ليست الحالة الوحيدة التي يمكن أن نُصادِفها. فدِراسَةُ التَّجاليد القديمة تُظْهِر أنَّ الصُّنَّاعَ أعادوا اسْتِخْدامَ رُقُوقٍ قَديمَة طواعيةً. وفي حالة التَّجْليد بألْواحٍ خشبية، يبدو أنَّه كان مُعْتادًا لديهم أن يُبَطِّنُوا الوَجْه الدَّاخلي للَّوْح بورَقَةٍ من مَخْطوطٍ قديم [٩٥]، ولم يكن نادِرًا

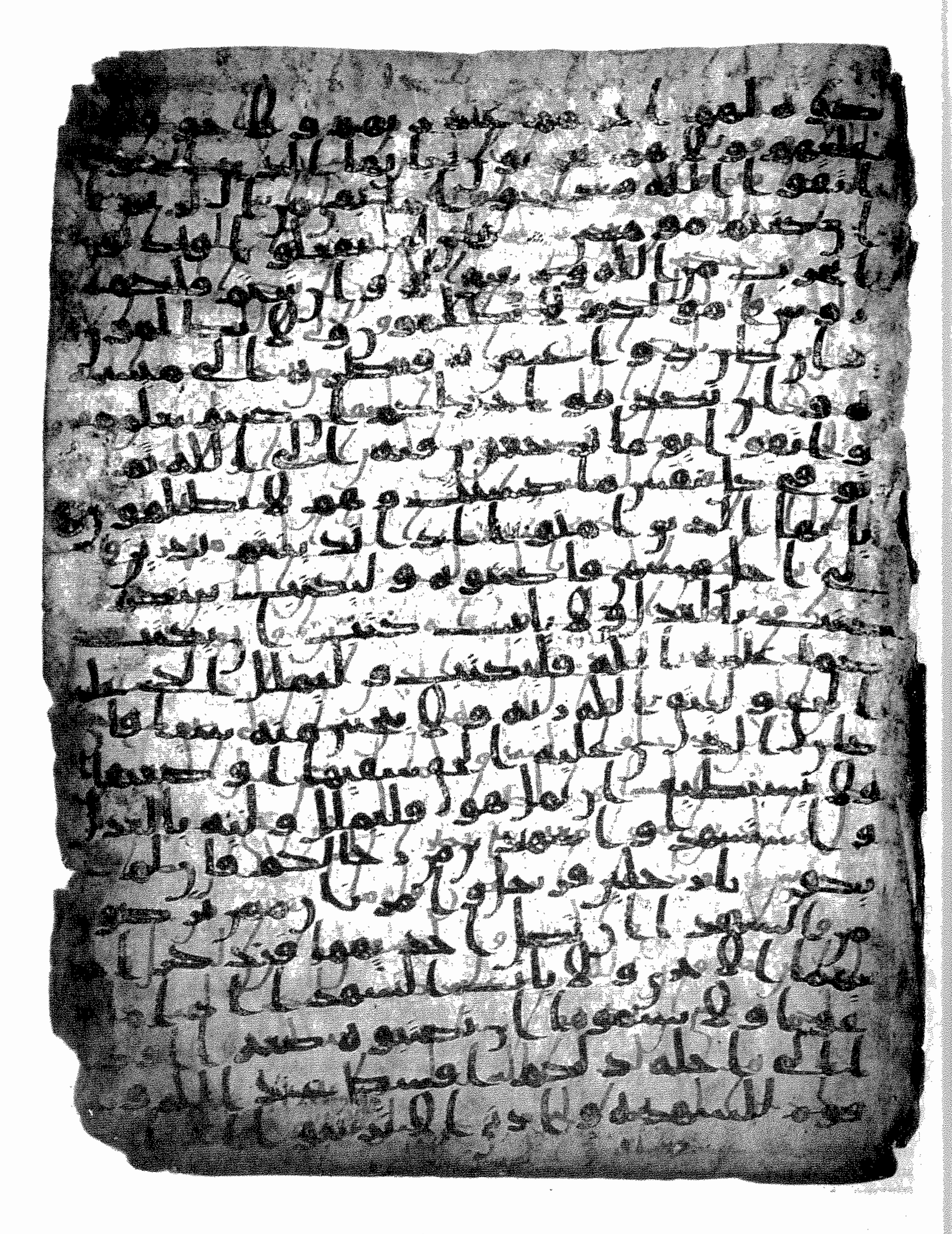
٩١. G. R. Puin, Kuwait 1985, p. 14, nº 6.

٩٢. أشار جروهمان إلى مثالين (*API*, p. 109 et n. 6).

٩٣. A. Mingana, A. Lewis, *Leaves from three ancient Qurâns possibly pre-'Othmânic, with a list of their variants*, Cambridge, 1914, p. V-VI.

٩٤. انظر مثلا: H. Loebenstein, *Koranfragmente auf Pergament aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek [Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliohek* (Papyrus Erzherzog Rainer), Neue Serie, XIV. F., Textbd.], Wien, 1982, p. 24-25 (nº 1 = A Perg. 2). وربما تتطابق قطعة المُصْحَف المذكورة سابقا مع مسعى مشابه.

٩٥. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets kairouanais, IX^{e} au XIII^{e} siècle, Reliures, verreries, cuivres et bronzes, bijoux*, fasc. 1 [Direction des antiquités et arts, Notes et documents, 9], Tunis, 1948, p. 16, 65-67, etc..; F. Déroche, «Quelques reliures médiévales de



١١. إعادَةُ اسْتِخْدام رَقّ: طِرْس مُحِيتَ طَبَقتُه الأقْدَم التي يرجع تأريخُها إلى النِّصْف الثاني من القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي
سوسبي، بيع ٢٢-٢٣ أكتوبر سنة ١٩٩٢، حِصَّة ٥٥١

كذلك أن يُقَطِّعُوا الأَوْراقَ إلى شَرائح لتَقْوية كُعُوب مجموع الكُرَّاسات[٩٦] وكذلك لاستخدامها كخَرائِط (أقْرِبَة) للصَّناديق التي كانت تُمَيِّز تجاليد المَصَاحِف القَديمَة[٩٧]. ويمكن أن تُحَوَّل وَرَقَةٌ من الرَّق كذلك إلى غِلافٍ إذا سَمَحَت بذلك أبْعادُها[٩٨]. وسيكون مع ذلك من الخَطَأ أن نُصَوِّرَ المُجَلِّدين في دَوْر من يُنَقِّب عن الرُّقوق المُسْتَخْدَمَة : وأشَارَ بَكْر الإشْبيلي في أكثر من مَوْضِعٍ من كِتابِه عن التَّجْليد «كِتاب التَّيْسير في صِناعَة التَّسْفير» إلى هذه المادَّة و، بالرَّغم من أنَّه لم يُحَدِّدها ، فيمكننا الافْتِراضُ بأنَّه يَقْصِد كذلك الرَّق الجديد[٩٩]، ويُشيرُ إلى اسْتِخْدامات تمكنَّا من مُشاهَدَتها على تَجْليدات قديمة ، مثل البِطانَة[١٠٠]، أو أيضًا اسْتِخْدام شَرَائح من الرَّقّ عند اتِّصال اللَّوْح الخَشَبي بمجموع الكراريس[١٠١]. ونُلاحِظُ وُجُودَ نَوْع من الأغْشِيَة ، / يُسَمَّى «الشِّدق ج. أشْداق» ، يتألَّف من قِطعة من الجِلْد «قَدّ المُصْحَف تُلْصَق عليها وَرَقتان أو ثلاث من الكاغَد وتُحْمَل عليها وَرَقَة من الرَّقّ ثم تُطْوَى عليها طُرَّةٌ من الجِلْد» فنَحْصُل بذلك على ما يُشْبه الوَرَق المُقَوَّى أو الكرتون[١٠٢]. ويُوصي المُؤَلِّفُ أخيرًا باستِخْدام نَوْعٍ خاصٍّ من الغِراء للرَّقّ [يُعْرَفُ بالدَّرْمَك][١٠٣].

provenance damascaine», *REI* 54 (1986) [Mélanges D. Sourdel, L. Kalus éd.], p. 89.

٩٦. ينبغي أن نميز بحذر بين هذا الشكل لإعادة الاستخدام والواقيات التي ستذكر في فصل «كراسات المخطوطات» .

٩٧. G. Marçais et L. Poinssot, *op. cit.*, p. 19 et 72; F. Déroche, *op. cit.*, (1986), p. 89.

٩٨. وتعطينا مجموعة مخطوطات الجامع الكبير بدمشق والمحفوظة بإستانبول مثالا على ذلك . وهناك مثال آخر ، ينحدر من المجموعة نفسها يمثله مخطوط باريس رقم BnF Suppl. turc 986، يتعلق الأمر بمجموع من المصنفات الصغيرة بالعربية ، يشكل كل واحد منها كراسة ، تحميها قطعة من الرق معدة على حسب القياس في أوراق مهملة غاصة بالكتابات العربية والأرمينية واليونانية واللاتينية ، راجع : G. Vajda, «Trois manuscrits de la bibliothèque du savant damascain Yusuf ibn 'Abd al-Hadi», *JA* 270 (1982), p. 229-256.

٩٩. بكر بن إبراهيم الإشبيلي : كتاب التيسير في صناعة التسفير ، تحقيق عبد الله كنون ، نشر في : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ٧-٨ (١٩٥٩-١٩٦٠) ، النص العربي ١ - ٤٢. وملخص بالأسبانية : ١٩٧ - ١٩٩. A. Gacek, «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbili in his *Kitab al-taysir fi Òina'at al-tasfir», MME* 5 (1990- 1991), p. 106- 103.

١٠٠. المرجع السابق ، ص ٢٧؛ A. Gacek, *op. cit.*, p. 107.

١٠١. المرجع السابق ، ص ١٧؛ A. Gacek, *op. cit.*, p. 109.

١٠٢. A. Gacek, *op. cit.* p. 27، ويمكنُنا تقريب هذه التَّقْنية من التَّقْنية التي استخدمت كثيرًا للتَّغْليب ، (انظر أعلاه) ، وتقوم على تَغْرية الرَّقّ والجِلْد .

١٠٣. المرجع السابق ، ص ١٣؛ A. Gacek, *op. cit.*, p. 102.

الفَحْصُ المادي للرَّق

من الممكن أن نُعَيِّنَ نَظَريًّا الحَيَوان الذي اسْتُخْدِم جِلْدُه لعَمَلِ رَقٍّ من خِلال مَنابِت الشَّعْر المُشَاهَدَة على المُنْتَج النِّهائي ، ولكن غالِبًا ما تزول هذه الآثار إذا كانت المُعالجةُ صَارِمَة . ورُبَّما يسمح اسْتِخْدامُ المِجْهَر بملاحَظَة الجُرَيْبات ، أي «العُضْو المُنْشأ في الأدْمَة الذي يُفْرز الشَّعْر» ، والذي يختلف وَضْعُه من صِنْفٍ إلى صِنْف[١٠٤]. ومَنْعًا للتَّعْيين غير الدَّقيق ، فإنَّنا نَتَحَدَّث عن «الرَّقّ» ، أمَّا مُصْطَلَحُ «قَضيم» vélin فيجب أن يُخَصَّص للرَّقّ المَصْنُوع من جِلْد البَقَر الصَّغير أو من بَقَرٍ وُلِدَ مَيِّتًا .

ونُحَدِّدُ كذلك جانبي الشَّعْر واللَّحْم للرَّقّ (شكل ١٠، ١٠مكرر) . فالأخيرُ أكثر بيَاضًا من الأوَّل ويَتَمَيَّزُ بمَلْمَسٍ مَخْمَلي ويَثْبُت عليه الحِبْرُ (المِداد) بسهولة أكثر : ونَلْحَظ ذلك بوُضوحٍ على الأخَصِّ في نَمَاذِج من المصاحف المكتوبة بأحَدِ خُطُوطِ المَصاحِف العَبَّاسية القديمة ذات الحَجْم الكبير[١٠٥]. وإذا تَرَكنا المَخْطُوط مَفْتُوحًا بطريقةٍ تَجْعَل هَوَامِش العَديد من الأوْراق المُتَعَاقِبَة تَظْهَر في آنٍ واحِد ، فإنَّ الفَرْقَ بينها يبدو بسُهُولَة . وحتى تَتِمّ هذه المُلاحَظَة بطريقةٍ جَيِّدَه ، فيجب كذلك أن نُبَيِّنَ العُيُوب المختلفة التي أشَرْنا إليها فيما تَقَدَّم . فالجانِبُ الشَّعْري يَحْتَفِظُ أحْيانًا بمُؤَشِّرات ذات مَغْزى : فيَبْقى الشَّعْرُ بسهولَة على مُحيط الثُّقُوب أو أيضًا بالقُرْب من الحافَّة ، كما يُوَضِّحه مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6095 في الورقة ٣٩ظ[١٠٦]. وعندما لا تَتِمّ عَمَليةُ النَّتْف كما يجب فقد يَتَبَقَّى بعضُ الشَّعْر مُنْتَشِرًا على السَّطْح . وفي العَديد من المَخْطُوطات المغربية ، مثل مخطوطي باريس رقمي 5935[١٠٧] ,BnF 6090، [١٠٨]/ فإنَّ جِذْر الشَّعْر ما زال ظَاهِرًا

١٠٤. C. Federici, A. Di Majo et M. Palma, «The determination of animal species used in Medieval parchment making: non-destructive identification techniques», *The Compleat Binder* [Mélanges R. Powell], Leyde, 1998, p. 146-153.

١٠٥. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 20; U. Dreibholz, *op. cit.*, p. 301؛ ونجد أنموذجا دالًّا عند : F. Déroche, *Abbasid Tradition*, p. 62-63, nº 15.

١٠٦. انظر هـ[٨٢].

١٠٧. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 34- 35, nº 302 et pl. XIV a.

١٠٨. انظر هـ[٨١].

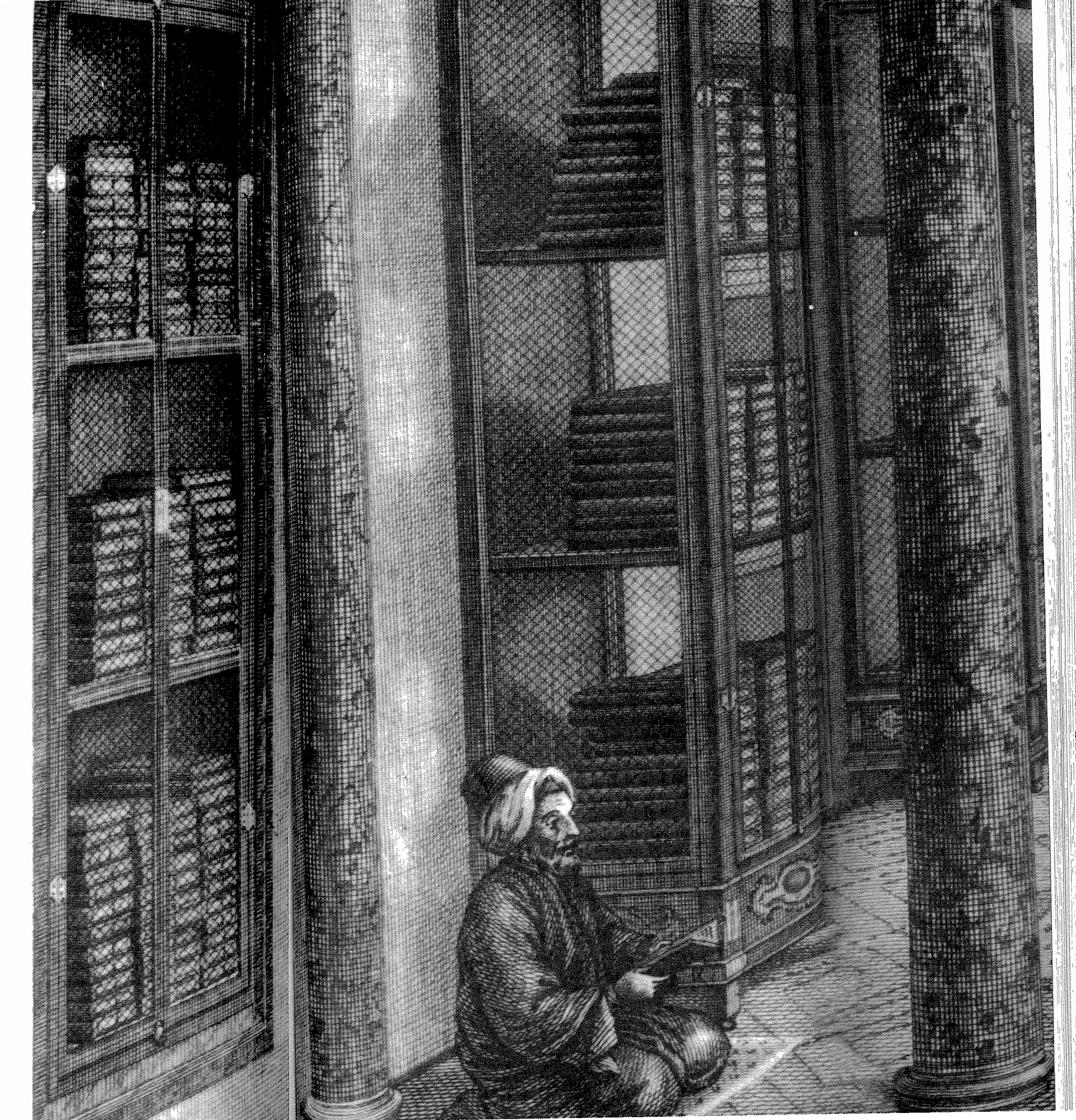
ويُغَطِّي سَطْح الرَّقّ على شكل نِقاطٍ سَوْداء صغيرة . وقد تَتْرُك الأداةُ المُسْتَخْدَمَة لكَشْطِ الجانِب اللَّحْمي رَواسِبَ ، مثل حالة الوَرَقَة ١٧ من مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 6095[١٠٩] (شكل ٧) .

وفي نهاية هذا الاخْتِبار نجد أنَّ تَعاقُبَ جانبي الرَّقّ وكذلك خَصائصه المختلفة قد أمكن تسْجيلها بطريقةٍ دقيقة . وستكون هذه المُعْطياتُ ثمينةً لفَحْص تَكْوين الكُرّاسات . وسيَسْمَحُ اسْتِخْدامُ المِجْهَر بمُلاحظاتٍ إضافية ستُثْرِي مَعْرِفَة اسْتِخْدام هذا الحامِل في العالم الإسلامي : فنستطيع مثلًا أن نُبَرْهِن على وُجُودِ الطَّباشير ونُحَدِّد ، إذا لم يكن ذلك ممكنًا بطريقةٍ أخرى ، الصِّنْف أو الأصْناف المُسْتَخْدَمَة في صِناعَة الرَّقّ .

---

١٠٩. انظر هـ ٨٢.

الحوامل: الورق



كان الوَرَقُ ، الذي تَنْتمي تِقْنِيةُ صِناعَته إلى صِناعَة اللّبْد ، مَعْرُوفًا بالفِعْل في الصِّين قبل الإسْلام بخمسة قرون . وانْتَشَرَ اسْتِعْمَالُه بكثرة كحامِلٍ للكتابة في حَضَارَةٍ كان الشَّكْلُ المُعْتادُ لـ «كتاب» فيها هو الدَّرْج . وكانت عَجينَةُ الوَرَق تُجَهَّزُ في العُمُوم من دَقِّ أَلْيافِ شَجَرَة التُّوت في الهاون . وكان يتمُّ الحُصُولُ على الأوْراق عن طريق قَوَالِب متحرِّكة تَتَأَلَّفُ من إطارٍ خَشَبي وخُطُوط مُمَدَّدة (أسْلاك نُحاسية) من أصْلٍ نباتي (ألْياف الخَيْزُران) ؛ ويمكن تَمْييز هذه الخُطُوط (الأسْلاك) بسهولة على المُنْتَج النِّهائي ، بينما تكون الخُطُوطُ التي تَرْبط بينها أقلَّ تَمْييزًا . وتَتِمُّ التَّغْريةُ بنِشَا الأُرْز . وفَضْلًا عن ذلك ، وعلى غِرار لفائِف الحَرير ، فإنَّه كانت تتمُّ أحْيانًا صِباغَةُ أفْرُخ الوَرَق باللَّوْن الأزْرَق والأصْفَر والأحْمَر ... إلخ ، منذ القرن السَّابع للميلاد ، للحُصُول على نُسَخٍ فاخِرَة[2] . ونُسِخَت النُّصُوصُ البُوذِيَّة المكتوبة على وَرَقٍ ووُزِّعَت بوَفْرَةٍ خلال العالم البُوذي . يُضافُ إلى ذلك ، أنَّ السَّاسَانيين رُبَّما بدأوا في اسْتِعْمال الوَرَق إلى جانِب حَوَامِلَ أخرى ، بالرَّغْم من أنَّه لم يصل إلينا أيُّ كِتابٍ أو وَثيقةٍ مكتوبة على الوَرَق تَرْجع إلى هذا العَصْر . حَقيقَةً أنَّهم كانوا يعرفونه بحُكْم عِلاقاتهم الدِّبْلُوماسية والاقْتِصادية المنتظمة مع آسيا الوُسْطَى والصِّين ، حيث كان الوَرَقُ مُعْتادًا اسْتِخْدامُه . ومع ذلك فإنَّه لا يمكن أن يكون إلَّا مُنْتَجًا مُسْتَوْرَدًا مُكَلِّفًا ، ومُخَصَّصًا في الغالِب للاسْتِخْدام الرَّسْمي .

ويجب كذلك أن نُذَكِّر بأنَّه إذا كان مُصْطَلَحُ papier يُسَمَّى في العربية «قِرْطاسًا»[3] أو «وَرَقًا»[4] ، فإنَّ الاسْم الفارِسي للوَرَق هو «كاغَذ» (بالعربية «كاغِد» أو «كاغَد») وهو

١. كَتَبَ هذا الفصل فرنسيس ريشارد Francis Richard.

٢. مثال حالة لفيفة Pelliot الصِّينية بمكتبة فرنسا الوطنية رقم 3561 والمنسوخة سنة ٦٧٦ على ورق أَمْغَر داكن ، وقطعة Pelliot رقم 4642 التي يرجع تأريخها إلى النصف الأوَّل من القرن السَّابع والمكتوبة على ورق أزْرَق شاحِب .

٣. Gacek, *AMT*, p. 114.

٤. *Ibid.*, p. 149.

مأخُوذٌ من اللُّغَة الصُّغْدية[5] . فقد كان الصُّغْدُ ، الذين كانوا على صِلَةٍ بآسيا الوُسْطَى الصِّينية ، من بين مُرَوِّجي تِقْنيات صِنَاعَة الوَرَق . ورُبَّما أُنْجِزَت في بلاد الصُّغْدِ كذلك النُّسَخُ الأولى للكتابات المسيحية على الوَرَق .

ويبدو أنَّ الوَرَقَ اسْتُخْدِمَ في العُمُوم في المَخْطُوطات الإسْلامية بالطَّريقَة نفسها التي اسْتُخْدِمَ بها الرَّقُّ . فالكُرَّاساتُ التي كانت تُجَمَّعُ لتكوين مُجَلَّدٍ كانت تتكوَّن من العَديد من الأوْراقِ المُزْدَوَجة المُعَدَّة مُسْبَقًا ؛ وكانت الأوْراقُ تُعَدُّ وتُقَطَّع في العُمُوم من وَرَقَةٍ واحدة ،/ ولكن يمكن أن تُوجَد كُرَّاساتٌ مُكَوَّنَةٌ من أوْراقٍ مُزْدَوَجة ذات أصْلٍ مُرَكَّب ، أو من أوْراقٍ مُزْدَوَجة مُكَوَّنَة من ورقتين ضُمَّت من وَسَطِها قرب مكان الطَّيّ [أي من كرَّاسات ذات أربع صفحات] . والغالِبُ أنْ تكون جَميعُ أوْراقِ كُرَّاسات مَخْطُوطٍ مُمَدَّدَة في الاتّجاه نفسه (أو مُتَوازيةً أو مُتعامِدَةً على الخِيَاطَة) . وبالطَّبْع تُوجَدُ اسْتِثْناءاتٌ لهذه القاعِدَة . ويُوصَى إذًا بمُباشَرَة اخْتِبارٍ مَنْهَجي يَسْمَحُ بتَبْيين الحالات الشَّاذَّة التي يجب أن نُحَاوِل تَفْسيرَها ، بالرَّغْم من سَآمَة هذا العَمَل . إنَّها فُرْصَةٌ لتَسْجيل تَغَيُّرات الوَرَق التي يمكن أن تَعْكِس إصْلاحًا أو تَرْميمًا ... إلخ .

إنَّ الفَتْرَة المُنْقَضية بين صِناعَة الوَرَق واسْتِخْدامه قَصيرَةٌ نِسْبيًّا بسبب ارْتفاع ثَمَنِه ، الأمْرُ الذي يُثْني عن تكوين مَخْزُونٍ منه . والسُّؤالُ ذو أهَمِّيَّة بما أنَّه ، في حَالَة الوَرَق ذي العَلامَة المائية ، يَسْمَحُ الوَرَق بتَقْديم تأريخٍ مَعْقُولٍ للنُّسْخَة ، وهي قَرينَةٌ قد تَدْعَمُها أو لا تَدْعمها عَنَاصِرُ أخرى . وتَبَعًا للمُتَخَصِّصين في الوَرَقِ ذي العَلامَة المائية ـ ومنهم بريكيه Briquet ـ فإنَّنا يجب أن نحسب ما بين عشرة إلى خمس عشرة سنة بين تأريخ الصُّنْع والاسْتِخْدام الممكن للوَرَق . ورُبَّما يجب أن نحسب فَتْرَةً أطْوَل بالنِّسْبَة للأوْراق المُسْتَخْدَمَة في الشَّرْق الأدْنى البعيد .

٥. انتقل من الفارسية ، إلى الأغورية ، ثم إلى التركية (كاغت) .

الوَرَقُ غير ذي العَلامَة المائية الوَسيط[٦]

انْتِشارُ الوَرَق في العالم الإسلامي

يُسَجِّلُ انْتِصارُ المسلمين [على حاكِم كُوشَا الصِّيني ، كاوسيان ـ شيش] في ذي الحجة سنة ١٣٣هـ/ يولية سنة ٧٥١م على ضِفَافِ نهر طَراز (طَلَس) في آسْيا الوُسْطَى (جنوب كزاخِسْتان الحالية) ، التأريخَ الحقيقي لبداية التَّوَسُّع الضَّخْم لصِناعَة المسلمين واسْتِخْدامِهم للوَرَق ؛ لقد كان لهذا النَّصْر على كُلِّ الأحْوال أهَمِّيَّةٌ حاسِمَة . فقد كُلِّفَ الصِّينيون الماهِرُون في صِناعَة الوَرَق ، الذين وَقَعُوا في الأسْر ، بإقامَة مَطابِخَ للوَرَق في سَمَرْقَنْد ، المَدينَة المشهورة بقَنَواتِها العَديدَة . ويُذْكَر كذلك وَرَقٌ صُنِعَ في دَيْرٍ مانَوي بسَمَرْقَنْد . ويبدو أنَّ اسْتِخْدامَ اللُّبِّ النَّباتي وكذلك الخِرَق لصِناعَة عَجينَة الوَرَق ، قد تَمَّ لأوَّلِ مَرَّة في سَمَرْقَنْد .

وكانت القوالِبُ المُسْتَخْدَمَة قوالِبًا مُتَحَرِّكة . وقد أُدْخِلَت تَحْسيناتٌ على طَريقَة دَقِّ ألْياف العَجينَة : فيذكر البيروني ، في القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي ، أنَّه كان يُوجَد في سَمَرقَنْد مِطْرَقَةُ هاون مائية ، مثل تلك التي تُسْتَخْدَم في ضَرْبِ الأُرْز[٧] . ولا نَعْرِف للأسَف نَصًّا بالخَطِّ العربي نُسِخَ / على وَرَقٍ في هذه الفَتْرَة في هذه المناطِق ؛ ولكن إدْخالَ الوَرَقِ إلى بَغْداد ، عاصِمَة العَبَّاسيين ، تلا ذلك بقليل : يُؤَكِّدُ ذلك وُجُودُ مَطْبَخٍ للوَرَقِ في بَغْداد منذ عام ١٧٨هـ/٧٩٤م[٨] . وصَاحَبَ ازْدهارَ الوَرَق التَّراجُعُ السَّريع للبَرْدي والرَّق ، فقد حَلَّ الوَرَقُ مَحَلَّهما ، لاسِيَّما لأسْبابٍ اقْتِصادية .

٦. نشرت عنها ماري تيريز بيليوغرافيا في غاية الثراء ، انظر : Marie-Thérèse Le Léannec-Bavavéas, *Les Papiers non filigranés médiévaux de la Perse à l'Espagne. Bibliographie, 1950-1995, Paris,* C.N.R.S.-Editions, 1998, 144p. (Documents, études et répertoires publiés par l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes؛ ويمكن للقارئ أن يراجعها للحصول على معلومات إضافية حول هذه النقطة الدقيقة أو تلك ، ويمكن التَّعرُّف على تفاصيل أكثر حول تاريخ الوَرَق في العصر الإسلامي لدى Bloom, J., *Paper before Print,* New Haven 2001.

٧. P. Mohebbi, *Techniques et ressources en Iran du 7^e au 19^e siècle,* Téhéran, 1996 [Bibliothèque iranienne, 46], p. 182-188.

٨. J. von Karabacek, *Arab paper, 1887,* trad. de D. Baker et S. Dittmar, Londres, [1991], p. 33 (= «Das arabische Papier», *Mitteilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer* 2/3, Vienne, 1887).

واسْتَخْدَمَت مِصْرُ الوَرَقَ منذ القرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي (وسيُوجَد فيما بعد مَطْبَخٌ للوَرَقِ في الفُسْطاط) . وكانت احْتياجاتُ الإدارَة العَبَّاسية من الوَرَقِ كبيرة جدًّا ، ومن الصَّعْب أن نقول : إذا كان اسْتِخْدَامُ الوَرَقِ لصِناعَة الكُتُب قد سَبَقَه اسْتِخْدامُ الإدارة للوَرَق (فقد فَرَضَ الخَليفَةُ اسْتِخْدامَ الوَرَقِ منذ سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م) ، أم أنَّ تَطَوُّر هذين الاسْتِخْدامَيْن كان مُتَزامِنًا . وسُرْعان ما حَقَّقَت تِجارَةُ الوَرَقِ ازْدهارًا مَرْمُوقًا جدًّا : وعندئذٍ مُنِحَت لمُخْتَلف أنْواع الوَرَق أسْماءُ المُدُن التي نشأت مَطابِخُ الوَرَق بالقُرْب منها (البَغْدادي والسَّمَرْقَنْدي ... إلخ) ولم تكن نَوْعيةُ الماء ، من جهةٍ أخرى ، بغير تأثير على الوَرَق النَّاتج . واشْتُهِرَ الوَرَقُ البَغْدادي ، على سبيل المثال ، حتى القرن التَّاسِع الهجري/ الخامِس عشر الميلادي لجَوْدَته ، وتَدُلُّ صِفَةُ «البَغْدادي» كذلك على نَوْعٍ من الوَرَق ذي حَجْمٍ كبير . وعَرَفَت دِمَشْقُ صِناعَة الوِراقَة في القرن السَّادِس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي ، واشْتُهِرَ وَرَقُها أكثر من الوَرَقِ المصري ولكن يبدو أنَّها تَراجَعَت فيما بعد . ومارَسَت القَيْرَوانُ هذا النَّشاط في القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي .

إنَّنا سنَصْطَدم دَفْعَةً واحِدَةً بمُشْكلة المُصْطَلَح عندما نَتَصَدَّى لوَصْفِ الوَرَق : فالأمْرُ يَتَعَلَّقُ بمجالٍ لا تَسْمَحُ فيه دائمًا طبيعةُ العَلاقَة بين التَّسْميات التَّقْليدية المختلفة ـ التي تَنَوَّعَت تَبَعًا للعُصُور والأماكن ـ وتَسْميات المُتَخَصِّصين الحاليين ، بامْتِلاكِ رُؤْيةٍ واضِحَةٍ للأشياء المَوْصُوفَة . فتَرْجَمَةٌ دَقيقَةٌ للنُّصُوص القَديمَة عن الوَرَقِ لا غِنى عنها ، رَغْم مَشَقَّتها أحيانًا .

لقد تَمَّ انْتِشارُ الوَرَق «العَرَبي» في كُلِّ حَوْضِ البَحْر المُتَوَسِّط ، كما رأينا ، بطريقةٍ سَريعَة . فقد أنْتَجَت أرْمينية مَخْطوطاتها الأولى على الوَرَق سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م (حيث نجد أوْراقًا تتكوَّن ألْيافُها فقط من القُطْن) ، وعَرَفَت كذلك الإمْبراطوريةُ البيزنطية الوَرَقَ منذ القَرْن العاشر الميلادي واسْتَخْدَمَه ديوانُ الإنْشاء الإمبراطوري سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م . واسْتُخْدِمَ كذلك في صِقِلِّيَة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، عن طَريق جَلْبِ هذه المادَّة من المناطِق الإسلامية أو عن طريق صِناعاتٍ محلية اسْتَخْدَمَت التِّقْنيات نَفْسَها . أمَّا أسْبانيا ، فقد امْتَلَكَت في القرن الثَّاني عشر الميلادي العَديدَ من مَطَابِخ الوَرَقِ في أقاليمها الإسلامية : فقد وُجِدَ مَطْبَخٌ في شاطِبَة سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، وآخَرَ في طُلَيْطِلَة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

وعند الفَتْح العُثْماني ، كان هناك مَطْبَخٌ للوَرَقِ يَعْمَل منذ سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م في كاغيتان ، قُرْب إستانبول ، وآخَر في بُورصَة نحو سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م .

وظَهَرَ في أسْبانيا والمغرب بين سنتي ٥٦٣هـ/١١٦٦-١١٦٧م و٧٦٣هـ/١٣٦٠م نَوْعٌ خاصٌّ جدًّا من الوَرَق سُمِّي «المُتَعَرِّج à zigzag» ، وهو وَرَقٌ مُمَدَّد ذي خُطُوط مُسَلْسَلَة مَوْضوعة على مَسافاتٍ مُنْتَظِمَة وبأبْعادٍ أكبر من أبْعاد الوَرَقِ «الشَّرْقي» . وتَحْمِلُ الوَرَقَةُ نحو وَسَطِها عَلامَةً متعرِّجةً لم تُعْرَف بعد وَظيفتُها بيقين : هل هي طريقةُ رَسْمٍ مُتَّصِلَة/ بالسِّعْر ؟ هل هي عَلامَة المَصْدَر ؟ أم هل هي أثَرُ عملية لم نعرف بعد الغَرَضَ منها ؟ ويُوجَد هذا التَّعَرُّج (zigzag) كذلك على أوْراقٍ ذات علامات مائية صُنِعَت في إيطاليا [٩].

خَصَائِصُ الوَرَق غير ذي العَلامَة المائية

تَحْديدُ الأَلْياف

ما زالَت الأبْحاثُ المتعلِّقة بتكوين عَجينَة الوَرَق (الألْياف والخِرَق) قليلةً جدًّا حتى الآن ، ولا تستطيع أن تُقَدِّم لنا أيَّة معلوماتٍ يمكن الإفادَة منها ؛ فهذا الحَقْلُ البَحْثي ما زال في حاجَةٍ إلى اكتِشاف . ما هو نَصيبُ القِنَّب ؟ والكَتَّان (المُعاد اسْتِخْدامُه أحيانًا ، كما هو الحال مع لَفائِف المُومْياوات في مصر)؟ والألْياف النَّباتية الأخرى (مثل القُطْن) [١٠]، هل نستطيع أن نَسْتَخْرِج منها عَناصِرَ للتأريخ أو تَحْديد المكان ؟ وأخيرًا ، فهناك بعضُ الأوْراق التي صُنِعَت من عَجينَةٍ من نَسيج الحَرير (الوَرَق الحريري) .

وهناك ظاهِرَةٌ نلحظها أحيانًا في المَخْطُوطات هي «تَفْريخ» بعض الأوْراق : ومع ذلك فلا يتعَلَّق الأمْرُ بفَصْلِ ورقتين ملتصقتين الواحدة عن الأخرى ، وإنَّما بظاهِرَةٍ أكثر تعقيدًا تتعلَّق بفَصْل الألْياف ، دون شك بسبب وُجود أكثر من طَبَقَة من العجين .

٩. راجع مخطوط باريس رقم BnF arabe 2291، حيث توجد علامة مائية على شكل رأس تَيْس .

١٠. انظر Gacek, A., «On the making of local paper. A thirteenth - century recipe», *REMMM* 99-100 (2002), pp. 79-93.

مُعالَجَةُ السَّطْح

إنَّ الطَّريقَة التَّقْليدية لتَجْهيز الوَرَقِ في العالم الإسلامي تجعل من العَسير التَّعَرُّف عليها عن طَريق فَحْصِ سَطْحِه فقط . فقد كان فَرْخُ الوَرَقِ بعد تَعْريته (بنِشَا القَمْح أو الأرُز أو الذُّرَة) يُوضَع على لَوْحٍ من أجْل بَشْرِه وصَقْلِه بواسطة آلة (زُجَاج ، عقيق) بغَرَض إزالَة خُشُونَته ، الأمْرُ الذي يُفَسِّر وُجودَ خُطُوطٍ متوازية ، مائلة في العُمُوم - على سَطْح الوَرَقَة ، ثم تتَعَرَّض الوَرَقَةُ غالبًا لمُعَالجَةٍ بمِرْقاش ؛ ويجب أن تكون الوَرَقَةُ شبه شَفَّافَة - لا شَفَّافَة تمامًا - وبالطَّبْع قادِرَة على تَحَمُّل الكِتابة دون أن تَتَشَرَّب الحِبْر . والوَرَقُ المُصَنَّع في الهِنْد ، حتى أيَّامنا هذه ، تَبَعًا للطَّريقَة التَّقْليدية [١١]، جَديرٌ بالمُلاحَظَة في هذا الصَّدَد : فهو يُصَفَّى على نَوْعٍ من القُماش يمكن أن يَتْرُك ألْيافًا على العَجينة ثم يُتْرَك ليَجِفّ ويُبَيَّض على حَوائِط من الآجُرّ ، التي يمكن أن تَتْرُك عليه آثارًا هي الأخرى ، ويُوافِق حَجْم شكل الوَرقة في الأعَمّ ما يمكن أن يتعامل معه صَانِعٌ واحِدٌ بسهولة .

وبالمُقارَنَة بالغَرْبِ الإسلامي يبدو أنَّ الحِرَفيين في فارِس والدَّوْلَة العُثْمانية قد أوْلَوْا اهْتمامًا اسْتِثْنائيًّا لتَجْهيز الوَرَقِ ومَظْهَرِه الخارجي . فالوَرَقَةُ يجب أن تكون شِبْه شَفَّافة ومَصْقُولة بعناية ومُغَطَّاة غالبًا بمادَّة صَقْلٍ (بَيَاض بَيْض ، صَمْغ الكُثَيْراء) ، أو طِلاء بواسِطَة مِرْقاش ،/ غالبًا ما يكون أكثر وَفْرَة في الأطْراف . ونلاحِظُ كذلك في المَخْطوطات العُثْمانية الفاخِرة والتي ترجِعُ إلى فترة حُكْم محمد الفاتِح (٨٤٨ - ٨٥٠هـ/ ١٤٤٤ - ١٤٤٦م و٨٥٥ - ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ - ١٤٨١م) وبايزيد الثَّاني (٨٨٦ - ٩١٨هـ/ ١٤٨١ - ١٥١٢م) الوُجُودَ المتكرِّر لوَرَقٍ سُكَّري اللَّوْن مَصْقول جدًّا ، يبدو أنَّه خَضَعَ لمعالجَةٍ وفيرة . وفي حالاتٍ أخرى ، يبدو أنَّه اعْتُنِي فقط بصَقْلِ الوَرَقِ دون مُعالجَة ، ممَّا يُوجِد صُعُوبَةً في مَحْوه أو إعادَة الكِتابَة عليه .

الأشْكَالُ والأحْجَامُ

إنَّ الأحْجَامَ الأصْلية للوَرَقَة نادِرًا ما تُسْتَخْدَم كما هي إلَّا في مجلَّداتٍ اسْتِثْنائية (مثل مخطوط باريس رقم BnF ar. 2324 الذي يرجع تأريخُه إلى القرن الثَّامن

١١. انظر على الأخص: N. Premchand, *Off the Deckle Edge*.

الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، وهو مَخْطُوطٌ من القَطْع الكامل in plano قياس أوراقه المُزْدَوِجَة ٣٥×٧٦سم) تَتَعَلَّقُ على الأرْجَح في أكثر الأحْيان بإمْكانية مُعالَجَة الصَّانع الشَّكْل بمفرده ؛ ولا يَتَعَدَّى فيها حَجْمُ الوَرَقَة الكاملة على أي حال ٣٥×٥٥سم (تَبَعًا لما سَجَّلْناه عن بلاد فارس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) .

ونجد الخُطُوطَ المُمَدَّدَة (الأسلاك النُّحاسية) في فَرْخٍ بِقَطْع النِّصْف in folio متعامِدَة على الخِياطَة ، وهو ما نجده كذلك في أغْلَب الأحْيان في قَطْعِ الثُّمن in octavo، بينما تكون الخُطُوطُ المُمَدَّدَة (الأسْلاك النُّحاسية) في قَطْع الرُّبع in qurarto مُوازِيةً للخياطَة . وفيما يَتَعَلَّق باسْتِخْدام الأوْراق المُزْدَوِجَة المُعَدَّة مُسْبقًا يُمْكننا أن نَجِدَ وَرَقَةً أو أخرى تكون خُطُوطُها مُمَدَّدةً (أسلاكُها النُّحاسية) في اتِّجاه مُنْحَرِفٍ ظاهِريًّا .

وفي حالة المُجَلَّدات الفَريدَة مثل «مُصْحَف بايْسُونْجُور» تَظَلُّ التِّقْنيةُ المُسْتَخْدَمَةُ في صِناعَتها غير مَعْرُوفَة ؛ ورُبَّما اسْتُخْدِمَ فيها قالَبٌ ثابِتٌ[١٢] . وتَتَطَلَّبُ المَصَاحِفُ المملوكية ، التي يَبْلُغ بعضُها أحيانًا أحجامًا ضَخْمَة - ارْتفاعًا يقارب المِتْر ، بل حتى أكثر - أن تُفْحَص أيضًا من هذا المَنْظُور .

ونُلاحِظُ كذلك ، في العالم الإيراني خاصَّةً ، وُجُودَ مجلَّداتٍ ذات شَكْلٍ مُتَطَاوِل على الفُورْمَة الإيطالية («سَفينَة» بالفارسية) يُذَكِّر اسْتِخْدامُها بشكل اللُّفافَة . تُسْتَخْدَم فيها الوَرَقَةُ بلا اكْتراثٍ في اتِّجاهٍ أو آخَر وتتجاوَبُ كُرَّاساتُها مع الصِّيَغ نفسها .

وبِصُورةٍ عامَّةٍ يبدو أن تَقْطيع الوَرَق له أهَمِّيَّةٌ نِسْبية بحيث يمكن إعادَة تَشْغيل دَشْت الوَرَق ، مثلما هو الحال في فارس في عَمَل الوَصْفات الصَّيْدَلانية أو كِتابَة مختلف الوَثائق (حسابات ... إلخ) ، ويكون تَقْطيعُ الوَرَق بواسِطَة شَفْرَة حادَّة .

١٢. انظر حول هذا المخطوط ، *Islamic calligraphy/ Calligraphie islamique, Genève,* 1988, p. 104-105; D. James, *After Timur*[The N.D. Khalili coll. of Islamic art 3], Londres-Oxford, 1992, p. 104-105; A Soudavar, *Art of the Persian courts: Selections from the Art and History Trust collection,* New York, 1992, p. 59-62; S.S. Blair, *A compendium of chronicles, Rashid al-Din's illustrated history of the world* [The N.D. Khalili coll. of Islamic art 27], Londres-Oxford, 1995, p. 112, n. 19. وفيما يخص تقنية استخدام شكل ثابت ، انظر J. Irigoin, «Les papiers non filigranés, Etat présent des recherches et perspectives d'avenir», *Ancient and Medieval book materials and techniques* I, M. Maniaci et P. Munafo éd. [Studi e Testi 357], p. 265-312.

61

/وَصْفُ الوَرَق غير ذي العَلامَة المائية

الخُطُوطُ المُمَدَّدَة (الأسْلاكُ النُّحاسية)

لوَصْفِ وَرَقَةٍ فإنَّنا نحسب عَدَد المليمترات التي يشغلها عشرون خَطًّا مُمَدَّدًا . وعلى سبيل المثال ، ففي مَخْطُوط باريس رقم BnF suppl. persan 69، المَنْسُوخ في أنْدَكان (قُرْب فَرْغانة) سنة ٧١١هـ/١٣١١م[١٣]، حيث الخُطُوط المُمَدَّدَة للوَرَقِ ذي اللَّوْن الأسْمَر الفاتح مُتَعامِدَة على الخِياطَة والخُطُوط المُسَلْسَلَة يَتَعَذَّر تَمْييزها ، يَشْغَل العِشْرُون خَطًّا المُمَدَّدَة ٤٠ ملليمترًا تقريبًا . فتكون الأحْجامُ الكاملة للوَرَقَة على كُلِّ الأحْوال ٣٩٠×٤٨٠م . وأخيرًا فإنَّ المُجَلَّد يتكوَّن من كرَّاساتٍ ذات ثمانية أوْراق - أو رُباعية - وهو شكل سيَسُودُ ، كما سنرى فيما بعد ، في العالم الإيراني ويَتَواجَد على نِطاقٍ واسِعٍ في الهند في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السَّابع عشر والثَّامن عشر للميلاد ، وزَاحَمَ الـ quinion أو الخُماسيات (كُرَّاسات ذات عشرة أوْراق) في الدَّوْلَة العثمانية حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . ونجد في المغرب والأنْدَلُس (أسْبانيا) الـ Sénions أو (السُّداسيات) أو كُرَّاسات ذات اثْنتي عشرة وَرَقَةً .

ويمكن أنَّ يَمُدُّنا وصْفُ فواصِل الخُطُوط المُمَدَّدَة بمَعْلُومات . فإذا كانت مُوَصَّلَة بدأبٍ فرُبَّما نَتَوَصَّل إلى تَعْيين الطُّرُز المختلفة للأسَل والخَيْزُران أو سيقان النَّجيلات [النَّباتات الوحيدة الفَلْقَة] المُسْتَخْدَمَة في صناعة القَوالِب . والوَرَقُ الجَيِّد هو غالبًا الوَرَقُ الذي تكون شبكةُ خُطُوطه المُمَدَّدَة (أسْلاكه النُّحاسية) هي الأكثر تقارُبًا[١٤]، وكذلك الذي تكون عَجينتُه مُنْتَظِمَة ولا تُرى ألْيافُه بوُضُوح .

١٣. FiMMOD 158؛ ويذكرنا ورق هذا المخطوط بعض الشيء ببعض أوراق مخطوطات صينية سابقة على القرن الحادي عشر ، وجدت دون هوانج ، أو في الحقيقة أبعد منها بقليل .

١٤. ماذا يراد بـ «ورق سَمَرْقَنْد» ؟ أصبح هذا المصطلح يشير في وقت متأخر إلى نوع من الورق ، في حين أنَّه كان يعني في الأصل بكل تأكيد ورقًا صنع في سَمَرْقَنْد ، ويُصَدَّر لسُمْعته الكبيرة . ونجد في مخطوط باريس الخزائني رقم BnF arabe 5036، والذي أنجز نحو سنة ٨٤٣هـ/١٤٤٠م بسَمَرْقَنْد ، ورقًا عاجيًّا حيث يشغل كل ٢٠ سلكًا نحاسيًّا ٢٢ إلى ٢٤ م أصلها من ورقة قياسها على الأقل ٣٦×٤٨سم . فهل نحن هنا أمام «ورق من سمرقند» ؟ .

الخُطُوطُ المُسَلْسَلَة (أسْلاكُ السِّلْسِلَة)

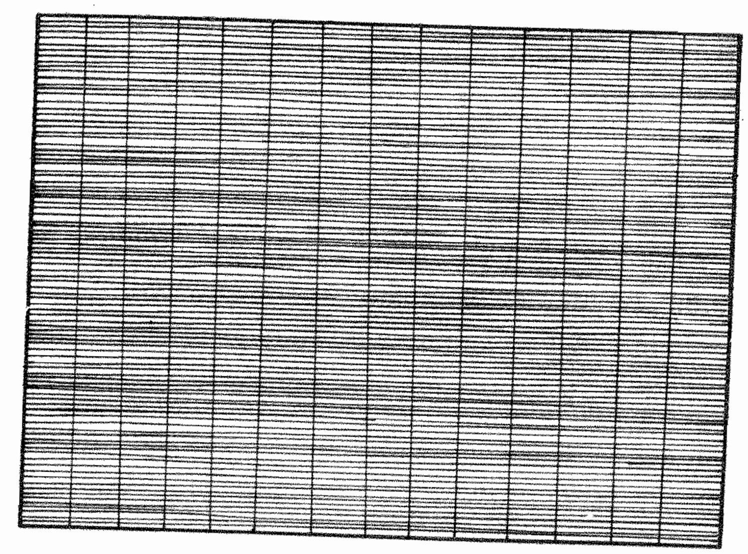
يَصْعُب عادةً تَمْييزُ الخُطُوطِ المُسَلْسَلَة (أسْلاك السِّلْسِلَة [التي تَرْبط الأسْلاك النُّحاسية فيما بينها])، ونستطيع فقط أن نَحْزِرَ احْتِمالَ وُجودِ خَطٍّ مُتَعامِدٍ على الخُطُوط المُمَدَّدَة (شكل ١٢). وتبدو هذه الخُطُوطُ مع ذلك، في بعض الحالات - المُخْتَصَّة ببعض طُرُز الوَرَق - واضِحَةً بما فيه الكفاية بحيث تكون مَوْضُوعًا للمُلاحَظَة. وهكذا فقد أعَدَّت جنيڤيف أمبير Geneviève Humbert دراسَةً تَصْنيفيّة[١٥] للأوْراق «العربية» التي لا يُوجَد بها عَلامَاتٌ مائية، والتي تُدْرَك فيها خُطُوطُها المُمَدَّدَة، للفترة المُمْتَدَّة من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[١٦]. وترتكزُ هذه الدِّراسَةُ على مُلاحَظَة آثار الخُطُوط المُمَدَّدَة والخُطُوط المُسَلْسَلَة عند تَعْريض أُنْمُوذَجٍ للوَرَق للضَّوْء. فالخُطُوطُ المُسَلْسَلَة رُصَّت على مسافاتٍ مُنْتَظِمَة نِسْبيًّا، ولكن أحيانًا على مسافاتٍ كبيرة جدًّا (حتى ٨٠مم)، أو تُوجَد مُجَمَّعَةً في خَطَّيْن أو ثلاثَة. وقد وَضَعَت جنيڤيف أمبير تَصْنيفًا تَضَمَّن سِتَّ مجموعات. في المجموع الأوَّل، الخاصّ بالأوْراق ذات الخُطُوط المُسَلْسَلَة البَسيطة، غير المُجَمَّعَة / (مثل حالة مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6840، المَنْسُوخ في أصْبَهان سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، وقسم من المخطوط رقم ar. 3423 المَنْسُوخ سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨ - ١٤٤٩م) فإنَّ الفارق بين الخُطُوط يتراوح من ١٢ إلى ٢٥سم. وبالنسبة لبعض المَخْطُوطات المَصْنُوعَة في الهِنْد في القرن العاشر الهجري/ السَّادِس عشر الميلادي فإنَّنا نجد فُرُوقًا تتَرَاوَح من ٣٠ إلى ٥٥مم: وهذه أيضًا حالَة الأوْراق ذات الجَوْدَة العالية التي تَرْجِعُ إلى الهِنْد المُغْلِيَّة في القرنين الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي والثَّاني عشر الهجري/ الثَّامِن عشر الميلادي[١٧]. وتزيدُ الفُرُوقُ دائمًا في الأوْراق المغربية على

١٥. Geneviève Humbert, «Papiers non filigranés utilisés au Proche-Orient jusqu'en 1450. Essai de typologie», *Journal Asiatique*, .286(1), 1998, p. 1-54

١٦. راجع بالنسبة للورق الفارسي من القرن ١٥م، F. Richard, «Le papier utilisé dans les manuscrits persans du XVᵉ siècle de la Bibliothèque nationale de France», *Le papier au Moyen-Âge: histoire et techniques*, M. Zerdoun Bat-Yehouda éd. [Bibliologia 19], .Turnhout, 2000, p. 31-40

١٧. من الصعوبة أن نتأكد عن ما هو من بينها وَرَق =

٣٠مم ويمكن أن تصل إلى ٨٠مم: ولكِنَّها تَنْحَصر في الأغْلَب بين ٤٠ و ٥٠مم. وتُظْهِر سِلْسِلَةٌ من أوْراقِ فارس تَرْجِعُ إلى القرنين السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي والسَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي خُطُوطًا مُسَلْسَلَةً بَسيطةً ومُزْدَوَجَة (أو ثلاثية) تَتَعَاقَبُ بطريقةٍ شبه منتظمة.



١٢. قالِبُ وَرَق شَرْقي غير ذي عَلَامة مائية مع خُطُوط مُسَلْسَلَة على مسافات مُنْتَظِمة

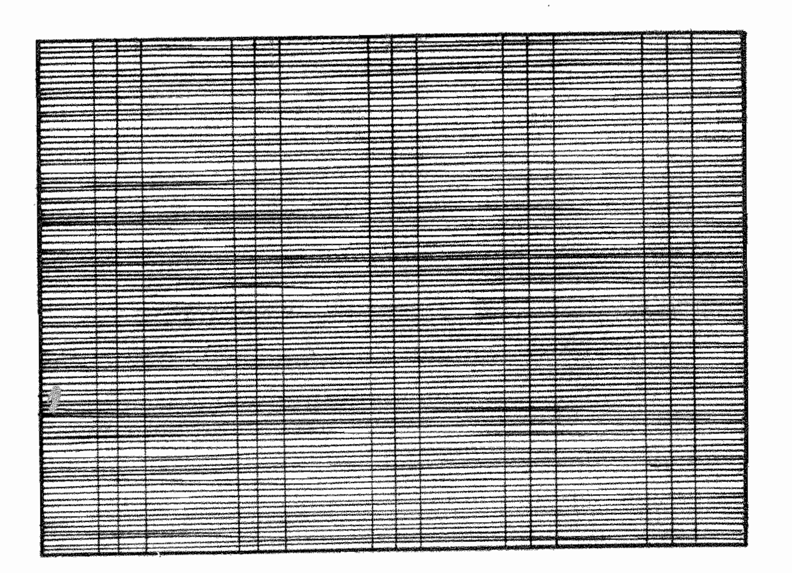
وتتكوَّن المجموعةُ الثَّانية عند جنڤيف أُمْبير من أوْراقٍ ذات خُطُوطٍ مُسَلْسَلَةٍ تَتَشَكَّل من مجموعاتٍ من خَطَّيْن أو ثلاثة أو أربعة خُطُوط بشكل مستمرّ على كُلِّ الوَرَقَة (شكل ١٣). وترجع المجموعاتُ ذات الخَطَّين - على أي حالٍ - إلى الفترة من القرن السَّادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وعلى الأخَصّ في مصر. وتُوجَدُ نَماذِجُ للخُطُوط المُسَلْسَلَة ذات المجموعات الثُّلاثية من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى القرن التَّاسِع الهجري/ الخامس عشر الميلادي في فارس والشَّام ومصر وآسيا الصغرى وحتى في مَكَّة. ونحن نَجْهَل مَكانَ صُنْعِ هذا الطِّراز من الوَرَق، ولكنَّنا تَحَقَّقْنا من أنَّ اسْتِخْدامَه قد تزايَدَ بكَثْرةٍ

= عادلشاهي الدكن على سبيل المثال. ونَظَرًا لاختلاف ورق مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 140c المنسوخ في فيروزآباد، والذي هو أنموذج دال، بخيوطه المُمَدَّدَة العريضة جدًّا على نوع ورق سلطنة دلهي في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي.

١٨. عرفت بلاد المغرب في وقت متأخر ظهور أوراق ذات

في القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي وبخاصّةٍ في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. واسْتُخْدِمَت بعضُ أوْراقِ خُطوطِها المُسَلْسَلَة ذات مجموعاتٍ خُماسية، في بَغْداد وجَنُوب فارس بين سنتي ٧٧٦هـ/١٣٧٤م و ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. / أمّا الوَرَقُ الذي تَتَعاقَبُ فيه بانْتِظام الخُطُوطُ المُسَلْسَلَة ذات الخَطَّيْن أو الثلاثة خُطُوط فنادِرٌ جِدًّا، ونجده في الشّام ومصر في القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي وفي المخطوطات اليونانية بقُبْرُص. ونُقابل الوَرَق الذي تَتَعاقَب فيه هذه المجموعات بطريقةٍ منتظمة منذ بداية القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي، ويوجد بكثرة في الشّرق الأدنى وفي مصر وفي الشّام ولكنه نادِرٌ في فارس.

وفيما وَرَاء هذه التّحْقيقات، يبدو أنّه سيكون من قبيل الزّهْو أن نَزْعُم الآن أنّ بإمْكاننا تسمية المكان أو مَطْبَخ الوَرَق أو تأريخ مُعَيَّنٌ مُرْتبط بطرازٍ من الوَرَق مُحَدَّد سَلَفًا. ونعرف من جِهَةٍ أخرى أنّ الشّام ومصر اسْتَخْدَمَتا نفس نَمَطِ الأشْكال من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.



١٣. قالِبُ وَرَق شَرْقي غير ذي عَلامَة مائية مع خُطوط مُسَلْسَلَة مجمّعة في ثلاثة خُطوط

الوَرَقُ ذو العَلامَة المائية

تَطَوُّرُ الصِّناعة في الغَرْب

أدَّت التِّقْنيةُ التي اسْتُخْدِمَت في فابريانو Fabriano بإيطاليا ابتداءً من سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م إلى ثَوْرَةٍ مُتَنامِيةٍ في صِناعَة الوِرَاقَة. وأصْبَحَت إيطاليا مُصَدِّرَةً للوَرَق. وأُنْشِئَت مَطابِخُ للوَرَق مُسْتَمَدَّةٌ من الأنموذَج الإيطالي في مختلف بلاد أوروبا وانْتَشَرَ إنْتاجُها بسرعةٍ لأنَّ هذا الوَرَق كان مُنْخَفِض السِّعْر. ومن الآن فصاعِدًا أصْبَح ما يُمَيِّز هذا الوَرَق هو وُجُودُ عَلامَةٍ مَعْدِنية تَسْمَحُ بتحديد مكانِ الصُّنْع: «العَلامَة المائية» le «filigrane» (شكل ١٤). واسْتَمَدَّت هذه العَلامَةُ ـ التي تُشاهَد على كُلِّ وَرَقَةٍ ـ شكلها غالِبًا من الرُّنُوك؛ وتكون مصحوبةً أحيانًا ببعض الحُرُوف. وفي أسْبانيا ـ التي حلَّت فيها في القرن الرابع عشر المُنْتَجاتُ الوَرَقية القادمة من إيطاليا مَحَلَّ مَطابِخ الوَرَق ـ يبدو أنَّ الرَّقّ ظَلَّ لفَتْرَةٍ طويلةٍ رَخيصَ الثَّمَن، بحيث أمكن إنْتاجُ بعض مَخْطُوطاتٍ تتعاقَبُ فيها أوْراقٌ مُزْدَوَجَةٌ / من الوَرَق والرَّقّ، تُوجَد فيها أوْراقُ الرَّقِّ في أوَّل الكُرّاس ومُنْتَصَفه بطريقةٍ مُنْتَظِمَة، وإن كانت تُوجَد أحيانًا في مَوَاضِع أخرى. واسْتُخْدِمَت الأوْراقُ الأوروبية ذات العلامات المائية في المغرب في مَخْطُوطاتٍ منذ منتصف القرن الثّامِن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي، كما يَدُلُّ عليه مَخْطُوطُ الخِزانَة العامَّة بالرِّباط رقم D 529 المُؤَرَّخ سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. ونَجد أوْراقًا جِنْوية في مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 113 المنسوخ في السَّراي الجَديد بالقِرْم سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م. ونُصَادِفُ في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بكثرةٍ أوْراقًا ذات علاماتٍ مائية ـ إلى جانِبِ أنْماطٍ أخرى من الأوْراق الشَّرْقية غير ذات العلامَة المائية التي كانت ما تَزالُ سائِدَةً بوَفْرَة ـ في الدَّوْلَة العُثْمانية [18]، والتي صُنِعَ منها نتيجةً لنجاحِها نُسَخٌ مُقَلَّدَة. وتَعاقَبَ الوَرَقُ الأوروبي والوَرَقُ غير ذي العَلامَة المائية بالتَّساوي تَقْريبًا في الدَّوْلَة

علامة مائية منتجة محليًّا. راجع: P.S. van Koningsveld et Q. al-Samarrai, *Localities and dates in Arabic manuscripts, Descriptive catalogue of a collection of Arabic manuscripts in the possession of E.J. Brill*, Leyde, 1978, p. 37, nº 56 A).

العُثْمانية في القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي، تمامًا مثلما تعاقبت الأَشْكالُ المنافِسة الرُّباعية والخُماسية، ولكن لا يُوجَد تَطابُقٌ بين استِخْدام الأشكال الرُّباعية والوَرَق ذي العَلامَة المائية أو الخُماسية والوَرَق غير ذي العَلامَة المائية. وابتداءً من سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م لا نُصادِفُ أبَدًا وَرَقًا غير ذي عَلامَة مائية ذا خُطُوطٍ مُسَلْسَلَة مُجَمَّعَةٍ في خَطَّيْن أو ثَلاثَة خُطُوط. ويبدو أنَّه اسْتَسْلَمَ أمامَ مُنافَسَة الوَرَق ذي العَلامَة المائية وخاصَّةً الوَرَق البُنْدُقي ذي عَلامَة الهِلْب[١٩].

١٤. قالِبُ ورق غربي ذي عَلامَة مائية على شكل هِلْب

وكُتِبَت الغالِبِيَّةُ العُظْمى للمَخْطُوطات في القرنين الحادي عشر والثَّاني عشر للهجرة / السَّابع عشر والثَّامن عشر للميلاد في تركيا ومصر والشَّام مثل المغرب ـ على أوْراقٍ ذات عَلاماتٍ مائية؛ وكان الوَرَقُ البُنْدُقي ذو عَلامَة الهِلْب هو الأكثرُ تداوُلًا في نهاية القرن العاشر الهجري/ السَّادِس عشر الميلادي وحتى نحو سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م؛ وفي النِّصف الثَّاني للقرن الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامِن عشر الميلادي نافسته أنْواعٌ أخرى من الوَرَق الفرنسي أو الإمْبراطُوري ذي الأهِلَّة الثَّلاثَة.

١٩. انظر Vladimir Mosin, *Anchor Watermarks*, Amsterdam, Paper Publication Society, 1973 (*Monumenta*, XIII).

/ولا نجد أوْراقًا أوروبية كثيرة في فارِس والهِنْد قبل نهاية القرن الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي، وحتى قبل سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٥م (فقد أُحْضِرَ إلى فارِس وَرَقٌ رُوسي وإنْجليزي أو نِمْساوي ـ مَجَري، مع مَيْلٍ قوي إلى الوَرَق المُلَوَّن بالزُّرْقة). ونستطيعُ أن نُشيرَ في الأكثر إلى وُجُود صَحائِفَ من وَرَقٍ أسْباني في مخطوط باريس رقم BnF Smith - Lesoüef 216 المنسوخ في كابول نحو سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م للإمبراطور هُمايُون. ويبدو أنَّ الوَرَقَ ذي الجَوْدَة العالية المُنْتج في الدَّكِن، ورُبَّما في مَوْضِعٍ آخر، قد سَادَ بكَثْرَةٍ في أسْواقِ الهِنْد المُغْلية (إلى جانِب مُنْتَج أكثر حِرَفية لوَرَقٍ ذي مَظْهَرٍ مُتَوَبِّر، رُبَّما أُنْتِج بَعْضُه بقوالِب عائمة)، ولا يَظْهَر الوَرَقُ الفرنسي ثم الإنجليزي إلَّا مُصَادَفَةً في نهاية القرن الثَّاني عشر الهجري / الثَّامِن عشر الميلادي.

وإذا كان المَغْرِبُ الإسلامي قد اعْتَمَدَ مُبَكِّرًا جدًّا الوَرَقَ المُسْتَوْرَد من أوروبا (القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي)، فقد اسْتَمَرَّ إنْتاجُ الوَرَق غير ذي العَلامَة المائية في الشَّرْق حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي. ويكفي أن نَذْكُر صناعَة الوِراقَة المُزْدَهِرَة في آسيا الوُسْطَى (بُخَارَىٰ وسَمَرْقَنْد وفَرْغَانَة) حتى الثَّوْرَة البَلْشَفِية. وفي مَنْطِقَةٍ كانت ما تزالُ تُنْسَخُ فيها المَخْطوطاتُ اسْتُخْدِمَ كذلك وَرَقٌ من ألْياف وَرَقِ التُّوت (في فَرْغانَة) ووَرَقٌ من الخِرَق (في خانة بُخَارَىٰ). وحافَظَت الهِنْدُ من جانبها على صِناعَةٍ تَقْليديةٍ للوَرَق ساعَدَ على اسْتِمْرارها تَكْلِفَةُ إنْتاجها المُنْخَفِضَة، حافِظَةً بذلك العَديدَ من المُمارَسات القديمة التي لا تُقَدَّرُ بثَمَن.

فَحْصُ الوَرَق ذي العَلامَة المائية

تُمَكِّنُنا العَلامَةُ المائية من تَعْيين مَكانِ إنْتاج الوَرَق الحامِل لها والمُسْتَخْدَم في المَخْطُوطات وتأريخه[٢٠]؛ ومن أجْلِ ذلك يجب أن نَقِف على عَلامَةٍ مائية مُشابهةٍ

٢٠. وصف إيرجوان هذه الطريقة في التحليل ووسائلها في مقاله: J. Irigoin, «La datation par les filigranes du papier», *Codicologica 5, Les matériaux du livre manuscrit*, A. Gruys et J.P. Gumbert éd., Leyde, 1980, p. 9-36. ويوجد أنموذج لطريقة استغلال المعطيات التي تتيحها ملاحظة العلامات المائية في المقال الذي خصصه أ. بروكيت لمصحفين من السودان A. Brockett, «Aspects of the physical

للأُنْموذَج يُمْكِن الإحالَة عليها بفَضْلِ مَجْمُوعٍ مُعْتَمَدٍ للعَلامات المائية [٢١]. وإذا كانت الإحالَةُ التي نُراجِعُها مُرْتَبِطَةً بالشَّكْل مَوْضُوعِ البَحْث ، فإنَّ المقارَنَة المباشِرَة مع الأصْل يمكن أن تتم بنجاح . وقد يَحْدُث أن نَضطَر للُّجوءِ إلى بَيانٍ للأُنْموذَج ، وفي هذه الحالة تُوجَدُ العديدُ من التِّقْنيات المتاحة . ولكنَّ المُخَطَّطَ المَرْسوم باليد ، حتى إذا تَمَّ من خلال وَرَقٍ مليمتري ، لا يكون أمينًا ، والأفْضَلُ هو شَفُّ العَلامَة المائية : وبعد التأكُّد من إنْجاز هذه العملية نَضَعُ مَصْدَرًا ضَوْئيًّا خَلْفَ الوَرَقَة ، ثم نَضَعُ فَوْقَها صَفيحةً من زُجاجٍ مُخَشَّن (بغَرَضِ عَدَمِ إتْلافِ/ الوَرَقَة) نُثَبِّت عليها وَرَقَة شَفَّافَة ، ونتتبع إذًا محيط العَلامَة المائية بسن قلم رَصاص . ويَتَطَلَّبُ التَّصْويرُ المُباشِر أو بالميكروفلم أجْهِزَةً أكثر تَعْقيدًا لا تَتَوَفَّر دائمًا ، كما أنَّ الميكروفلم يحتمل فوق ذلك أن لا يَحْتَفِظ بأبْعادِ الأصْل . ويَسْمَحُ التَّصْويرُ بأشِعَّة بيتا bêtaradiographie، القائم على وَضْعِ الوَرَقَة بين مَصْدَرٍ مُشِعّ (كربون ١٤) وفلم حَسَّاس ، بالحُصُول على صُوَرٍ عالية الجَوْدَة وأمينة على الأصْل [٢٢]، وهو للأسَف غير مُتَوَفِّر في كُلِّ المكتبات . وابتداءً من القرن السَّادس عشر للميلاد حَمَلَت قوالِبُ الوِراقة في النِّصْف المُواجِه للنِّصْف الذي تظهر فيه العَلامَةُ المائية علامَةً مُقابِلَة (الحرف الأوَّل من اسْم ، رَسْم صغير ...) تُعَبِّر بطريقةٍ دقيقة عن الصَّانِع : يجب كذلك البَحْث عنها .

ولدِراسَة العَلامات المائية لمَخْطُوطٍ ما ، يجب البَدْءُ بإعْدادِ أنْمُوذجٍ مَقْروءٍ جَيِّدًا وأن نَرْفَعَه بطريقةٍ دقيقةٍ (الشَّكْل والأبْعاد) . وتُقاسُ كذلك المسافاتُ بين مِسْطَرَةِ الخُطُوط (الأسْلاك) ، وكذلك المسافَة التي يَشْغَلها عشرون خَطًّا مُمَدَّدًا (سِلْكًا نُحاسيًّا) . ويَسْمَحُ هذا الرَّفْعُ بعَقْدِ مُقارَنَةٍ مع المراجع المطبوعة [٢٣]: ويجب أن نُشيرَ بخُصُوص هذه النُّقْطَة إلى أنَّه نادِرًا ما نَجد علامَةً مائيةً مُتطابِقةً تمامًا مع عَلامَة مُشاهَدَة

transmission of the Qur'an in 19th-century Sudan. Script, decoration, binding and paper .», *MME* 2 (1987), p. 48-51 et pl. 18-24

٢١. تمت الإشارة إلى أفْيَد مُدَوَّنات العلامات المائية في البيليوغرافيا ؛ ويمكن للقارئ الرجوع إليها .

٢٢. A. de La Chapelle, «La bêtaradiographie et l'étude des papiers: beaucoup plus qu'une très belle image», *Gazette du livre médiéval* 34 .(printemps 1999), p. 13-24

٢٣. انظر، Th. Gerardy, «Die Techniken der Wasserzeichenuntersuchung», *Les techniques de laboratoire dans l'étude des manuscrits,* Paris, 1974 [Colloques internationaux du .CNRS, nº 548], p. 143-156

في مَخْطُوط . وليس من شَكٍّ في أنَّ التَّقَدُّمَ في المعلومات التِّقْنية سيَسْمَحُ في المُسْتَقْبَل بامْتِلاكِ أدَوَاتٍ جديدة أكثر فعالية [٢٤] في مَجَالِ تَعْيين العَلامات المائية .

الوَرَقُ الخاصّ

نَجِدُ من بين أقْدَم الأوْراق المَخْفُوظَة ما هو مَصْبُوغٌ بلَوْنٍ أسْمَر أو بلَوْنٍ سُكَّري ، كما لو كانت هناك رَغْبَةٌ في تَقْريب مَظْهَر الوَرَق من مَظْهَر الرَّقّ . وتُقَدِّمُ لنا النُّصُوصُ طُرُقًا ووَصْفات مُتَعَدِّدَة مُخَصَّصَةً لتَبْييض العَجينَة للحُصُولِ على اللَّوْنِ الأكثر بَياضًا والأكثر تَجانُسًا . ولكن ، إذا كان الأمْرُ يَتَعَلَّقُ بمُحاكاةِ الرَّقّ الغَرْبي الفاخِرِ المَصْبُوغ أو الوَرَق الصِّيني المُلَوَّن ، فإنَّ الوَرَقَ المُلَوَّن لم يكن مَجْهُولًا في العالَم الإسلامي . ومع ذلك ، فإنَّنا لا نَعْرف له أمْثِلَةً في العُصُور القديمة ويُثيرُ تاريخُ هذه المُمارَسَة أيضًا العَديدَ من التَّساؤلات ، بالرَّغْم من أنَّنا نَعْلَم بوُجوده بالفِعْل في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .

/ الوَرَقُ المَصْبوغ

يَتَّصِلُ اسْتِخْدامُ الوَرَقِ المُلَوَّن بطريقة اسْتِعْمال الوَرَقِ المُزْدَوَج المُعَد لتكوين الكُرَّاس . ومن المُؤكَّد أنَّه تُوجَد مَخْطُوطاتٌ كُتِبَ قِسْمٌ منها على أوْراقٍ مُلَوَّنَة : هكذا نجد الأوْراق من ٢٣١ إلى ٣٢١ في مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 147 (مصر) وَرديةَ اللَّوْن . غير أنَّنا قد نجد داخِلَ كُرَّاسٍ وَرَقَةً مُزْدَوَجَةً أو ورقتين أو ثَلاثَة مُلَوَّنَةً عن قَصْدٍ لتَزْيين النُّسْخَة أكثر من إنْجاز كُرَّاساتٍ كاملة بهذا اللَّوْن أو ذاك (شكل ٣٩) . ونَعْرِفُ أمْثِلَةً لمَخْطُوطاتٍ مَمْلُوءةٍ بأوْراقٍ مُلَوَّنَة مُبعْثَرَة غالبًا بطريقةٍ غير مُنْتَظِمة من أسبانيا في القرن الثَّامِن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي إلى فارس في عَهْد الجلائريين : فنُسْخَةُ «جَامِع الأناجيل» المحفوظة في باريس برقم BnF persan 3 والمَنسوخة في سُولْجات سنة

٢٤. عَرَضَ كل من روبر وتشودان وبون نظاما لرَقْمَنَة الوَثائق (DOCSCAN) وقاعدة معلومات للعلامات المائية KRYPICT، في C. Rauber, P. Tschudin et T. Pun C. Rauber, P. Tschudin et T. Pun, «Système d'archivage et de recherche de filigranes», *Gazette du livre médiéval* 31 (automne 1997), p. 31-40.

٧٧٦هـ/١٣٧٤م، بالأسْلوب الجلائري، تَحْمِلُ أوْراقًا مَحْشُورَةً بينها مَصْبُوغةً بالأصْفَر والبُرْتُقالي الوَرْدي (Saumon) والأمْغَر (Ocre) (شكل ٣٥)؛ كما يُظْهِر مَخْطوطُ باريس رقم BnF ar. 3365، المكتوب بلغتين في بَغْداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩١م[٢]، عَدَدًا من الصَّفَحات المُلَوَّنَة باللَّوْن الوَرْدي؛ وتُوجَد في مَخْطُوطٍ آخَر BnF suppl. persan 1531، كُتِب ببَغْداد سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، العَديدُ من الصَّفَحات باللَّوْنِ الأصْفَر.

وكان القرنُ التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي العَصْرَ الذَّهَبي للوَرَقِ المُلَوَّن والمُزَيَّن في فارِس، حيث بَلَغَت بعضُ التِّقْنيات أوْجَها. وقد الْتُمِسَت خلال هذا القَرْن، الذي قامَت فيه الدَّوْلتان التَّيْمُورية والتُّرْكُمانية، المَخْطُوطات ذات الصَّفَحات المختلفة الألْوان، وهي في الأغْلَب مُخْتاراتٌ أدبية أو مجموعاتٌ شعرية. وكانت الأوْراقُ مَصْبُوغَةً في العُمُوم من وَجْهَيْها، وبالتالي فمن المحتمل أن تكون قد غُمِرَت في حَوْضٍ قَبْل تَجْهيزها بتَثْبيت ألْوانها بواسطة حامِضٍ ثم شَطْفها وتَجْفيفها. ونستطيع حتى أن نَجِدَ أوْراقًا مُلَوَّنَةً عليها بُقَعٌ من لَوْنٍ آخَر موضوعة قَصْدًا على الوَرَقَة (والأمْثِلَة على ذلك في مخطوطِ باريس رقم BnF supplément persan 1473، والذي يمكن تحديد تأريخه بما بين سنتي ٨٧٥ ـ ٨٨٥هـ/١٤٧٠ ـ ١٤٨٠م: فتُوجَد بُقَعٌ وَرْدِيَّةٌ[٢٥] على الأوْراق ٨٢، ١٤١، ١٤٦، ١٥٧، ١٦٠ يمكن مشاهدتها سَواءً على وَجْه الوَرَقَة أو ظَهْرَها، وتبدو الوَرَقَة مَصْبُوغَة بالتَّشَبُّع). ونُلاحِظُ كذلك، نادِرًا جِدًّا، أوْراقًا مَصْبُوغَةً من جانبٍ واحِد، فتكون بذلك قد أُعِدَّت قبل وَضْعِها على سَطْح الحَوْض. واعْتَمَدَت دِراسَةُ وَصْفات الحُصُول على الألْوان المُتَنَوِّعَة التي نُصادِفُها في المَخْطُوطات ـ على الأخَصّ في القرنين التاسع والعاشر للهجرة / الخامس عشر والسَّادس عشر للميلاد، وإن عَرَفَت الهِنْدُ المُغُلية في مطلع القرن الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي كذلك رَواجًا لوَرَقٍ مُلَوَّنٍ ومُزَخْرَف ـ على مَصَادِرَ وَصَلَت إلينا يَتَطَلَّبُ تَفسيرُها أحيانًا بعض الدِّقَّة[٢٦]. وقد أُشيرَ إلى عَدَدٍ كبيرٍ من هذه الوَصْفات، التي

٢٥. يوجد أنموذج آخر من القرن السادس عشر هو مخطوط باريس رقم BnF suppllément persan 800 (قَزْوين، سنة ٩٧٨ ـ ٩٨٣هـ/ ١٥٧٠ ـ ١٥٧٥م).

٢٦. ـ انظر: إيف بورتي: Yves Porter, *Peinture et Arts du Livre. Essai sur la littérature technique indo-persane,* Paris-Téhéran,

١٥. صَفَحَةٌ مُجَهَّزَة تَبَعًا لِتِقْنية الوَصْل المعروفة بـ«فَسّالي». إيران منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. باريس رقم BnF persan 243، ورقة ٣٢ظ

يعكس بَعْضُها رُبَّما مُمارَسات محلية ، كما لا يمكن دائمًا تَعْيين اسم هذه المُنْتَجات بسهولة[٢٧]، ولكن تحليلات ومُقارَنات مع/ مُكَوِّنات النَّسيج لن تَخْلو من فَوائد بالتأكيد . ولا تَثْبُت كلُّ الأصْباغ على أي حال بالطَّريقة نَفْسِها ويَتَطَلَّبُ بعضُها اسْتِخْدامَ مُثَبِّتات كيماويةٍ خاصَّة ، بينما بعضُها الآخَر (مثل بعض المُلَوِّنات الدَّاكنة) له على المَدَى الطَّويل تَفاعُلٌ ضارٌ بالوَرَق . ويبدو أنَّ اسْتِخْدام الوَرَقِ المُلَوَّن كان شائِعًا في القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي في غَرْبِ فارِس وفي الدَّوْلَة العُثْمانية ؛ ومن الممكن أن تكون تَبْريز عاصِمَة آق قُويُنْلو مَرْكزًا نَشِطًا لإنْتاج الوَرَق المُلَوَّن . وسيكون دائمًا من المُفيد ، عند دِراسَة المَخْطوطات التي تَشْتَمل على وَرَقٍ مختلف الألوان ، أن نُلاحِظَ إذا كان الوَرَقُ المُسْتَخْدَم لإنجاز الأوْراق المُلَوَّنَة من نَوْعية واحدة أم لا ، وهل يَرْجِع جَميعُه إلى المَصْدَر نفسه : لم تكن الحالَةُ كذلك في العُمُوم ، فقد تَخَصَّصَت بعضُ الوِرَش دون شك في إنْجاز الأصْباغ التي يَصْعُب الحُصُولُ عليها .

الوَرَق المُظَلَّل والوَرَقُ المُرَقَّش والوَرَقُ المُجَزَّع (الإبْرُو)

كانت هناك تِقْنياتٌ أخرى يجب القِيامُ بها لزَخْرَفَة أفْرُخ الوَرَق : فقد تَمَّ إنْجازُ الوَرَق المُظَلَّل (Silhouettés) بطريقتين مختلفتين مُورِسَتا في فارس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أو في العالم العُثْماني (شكل ٤٥، ٤٩) في نهاية القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي وكذلك في القرن الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي . وظَهَرَ الوَرَقُ المُرَقَّش أو المُرَمَّل بالذَّهَب (شكل ٤٨) في فارِس نحو سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٠م . وارْتَبَط الوَرَقُ المُجَزَّع (الإبْرو) بالجُهْد الذي تَحَقَّق في فارس وفي العالم العُثْماني لإنْتاج وَرَقٍ مختلف الظَّواهِر يستجيب لاسْتِخْدامات مُعَيَّنَة (شكل ٥٠) . وستتمُّ مُناقَشَةُ ذلك مُطَوَّلًا في الفَصْل المُخَصَّص لتَزْويق الكتاب المَخْطُوط .

Institut français de recherche en Iran, 1992, على الأخَصّ pp. 41-60؛ ويمكن أن نفيد أيضًا من مجموعة النُّصوص الفارسية المتعلقة بفنون الكتاب ، والتي نشرها نجيب مايل هروي : كتاب أرائي دار تمدن إسلامي ، مشهد ، آستاني قدسن ١٣٧٢هـ/١٩٩٣م .

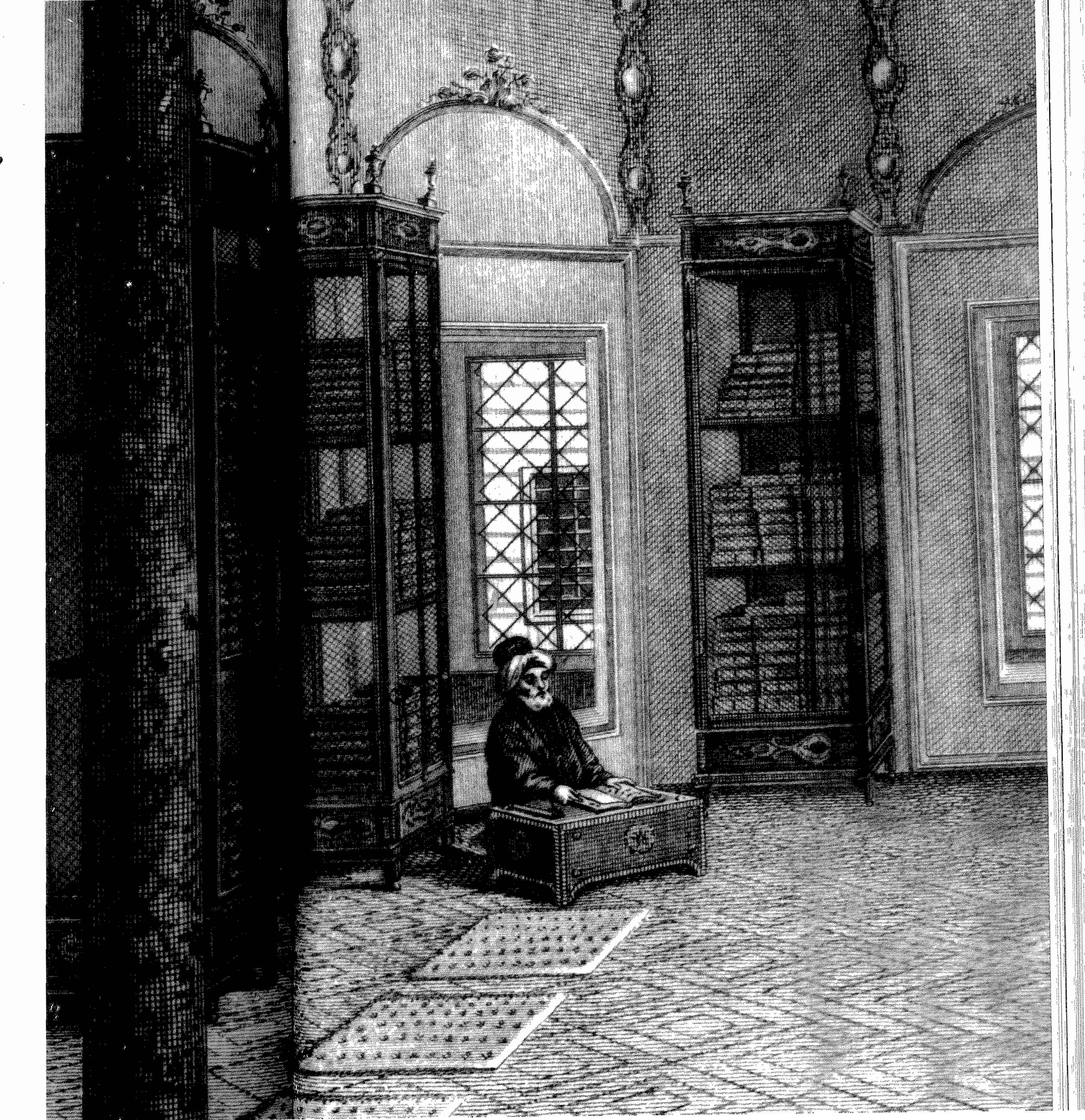
٢٧. انظر مثلا مقال فرنسيس ريشارد F. Richard, «Une recette en persan pour colorer le papier», *REMMM* 99-100 (2002), pp. 95-100.

68

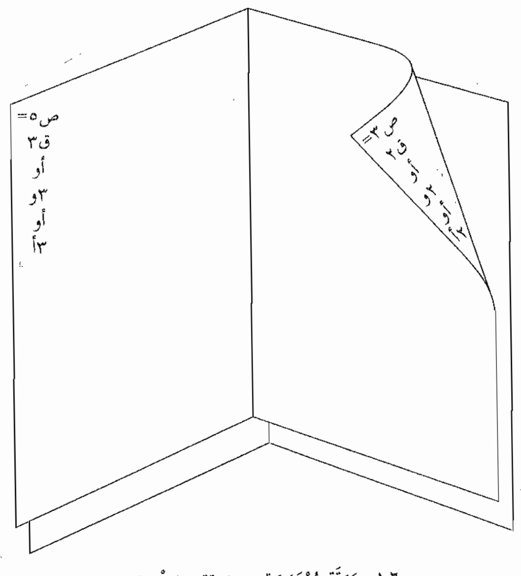
وعَرَفَت صِيغَةٌ أخرى نَجاحًا كبيرًا : وَصْلِ وَرَقَةٍ بوَرَقَةٍ أخرى غالبًا أكثر سُمْكًا وبلونٍ مُخالِف عن طريق اللَّصْق ، وهي التِّقْنية المعروفة بـ *vassali* [كلمة فارسية من أصْلٍ عربي تُنْطق وَصَّال (فَصَّال) على وَزْن فَعَّال والياء زائدة للنِّسْبَة] (شكل ١٠) حيث يُغَطِّي التَّأطيرُ مكان الْتِقاء وَصْل الوَرقتين . وظَهَرَت هذه الطَّريقةُ ، فيما يبدو ، في هَرَاة في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ؛ ولَقِيَت رَواجًا كبيرًا في القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي في فارس وتركيا وفي الهِنْد وسَمَحَت باسْتِخْدام تشكيلَةٍ كبيرةٍ من الألْوَان للهَوَامِش مُهَيِّأَةً بذلك سهولة قراءَة النَّصّ المكتوب على الوَرَقَة البَيْضاء المُضَافَة ، إلَّا أنَّ مكان الوَصْل يَظَلُّ هَشًّا جِدًّا .

لقد كانت العِنايَةُ المُوَجَّهَة للوَرَق ولِمَظْهَره وكذلك لزَخْرَفته مَلْمُوسَةً جِدًّا في الحضارتين الفارسية والعُثْمانية . ولا يجب التَّقْليلُ دون شك من تأثير الأُنْمُوذَج الصِّيني في هذا المجال .

كُرّاساتُ المخطوطات



يَرْتَبِطُ الكوديكس codex كشَكْلٍ خاصٍّ للكتاب المَخْطُوط ارْتباطًا وَثيقًا بالكُرَّاس . والكُرَّاسُ هو «مَجْمُوعٌ من الأَوْراق المُزْدَوَجة المُتَداخِلَة بعضُها في بعض ويجمعُها مُرُورُ خَيْطٍ واحِدٍ للتَّجْليد» [١] . ويجب أن نُوَضِّحَ بجلاءٍ بعض المُصْطَلَحات : فـ «الوَرَقَةُ المُزْدَوَجَة» (أو الدِّبْلوم) هي قطعة مُسْتَطِيلة من المادَّة المُسْتَخْدَمَة مَطْوية نِصْفين من وَسَطِها بحيث تُشَكِّل «ورقتين» (تُكْتَب اخْتِصارًا : ق) وتحمل كُلُّ واحدةٍ منها وَجْهَيْن نُطْلِقُ عليها صَفْحَة (تُكْتَبُ اخْتِصارًا : ص) (شكل ١٦) . وللتَّمْييز بين وَجْهي الوَرَقَة يُطْلَق على الوَجْه الذي يُقابِلُنا أوَّلًا خلال القِراءَة اسْم «وَجْه recto» (يُرْمَز له بالحرف *r* أو *a* باللَّاتينية ، وبالعربية و أو أ) ، ويُطْلَق على الثَّاني «ظَهْر verso» (يُرْمَز له بالحرف *v* أو *b* باللَّاتينية ، وبالعربية ظ أو ب) ، وغالبًا ما تكون الإشارةُ إلى «الوَجْه» مُضْمَرَة ، ولا يُشَارُ إلَّا إلى «الظَّهْر» فقط ، وقد اتَّبَعْنا هذه الطَّريقة في هذا الكتاب . وعندما يُقَدِّم لنا المَخْطُوطُ المَفْتُوح ظَهْرَ وَرَقَةٍ ووَجْهَ الوَرَقَة التالية مُتقابلين فإنَّنا نَتَحَدَّث عن «صَفْحَتَيْن مُتقابِلَتَيْن» . وتكون الصَّفْحَة اليُسْرى في المَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْفِ العربي أو بالحروفِ السَّامية هي وَجْه الوَرَقَة .



١٦ . وَرَقَة مُزْدَوَجَة ، ووَرَقَة وصَفْحَة

١ . D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 94; *The New Shorter Oxford Dictionary* (Oxford: OUP, 1993).

يَتَكَوَّنُ الكُرَّاسُ ، كما سَبَقَ أن رأينا ، من أوْراقٍ مُزدَوَجَة ، أي «قِطَعٍ مُسْتطيلةٍ من الرَّقِّ أو الوَرَقِ مَطْويةً من وَسَطِها لتُشَكِّل ورقتين» [٢] [أي كُرَّاس ذي أربع صفحات] . وعمليةُ الطَّيِّ هذه مَرْحَلَةٌ حاسِمَةٌ في صِناعَة الأوْراق المُزْدَوَجَة ، ويمكن تَطْبيق ذلك على قِطعةٍ مُنْفَرِدَةٍ من المادَّة المستعملة أو على مجموعٍ من القِطَع المُجَزَّأة تَبَعًا للمقاييس نفسها والموضوعة الواحدة فوق الأخرى . وفي الغَرْبِ الوَسيط تَطَوَّرَت هذه التِّقْنيةُ بشَكْلٍ كبير ، وكانت تُعَدُّ وَسيلةَ سَهْلَة التَّداوُل (وإن لم تكن الوحيدة) للحُصُول على كُرَّاساتٍ من فَرْخٍ من الرَّق أو الوَرَقِ [٣] : وتَبَعًا للحَجْم المَطْلُوب ، كان هذا الفَرْخُ يُطْوى مَرَّةً واحدةً للحُصُول على كُرَّاسَةٍ تتكوَّن من ورقتين (in-folio) ، أو مَرَّتين للحُصُول على كُرَّاسَةٍ تتكوَّن من أرْبع وَرَقات (in-quarto) ، أو ثلاث مَرَّات للحُصُول على كُرَّاسَةٍ تتكوَّن من ثماني وَرَقات (in-octavo) .. إلخ . فَنَحْصُل إذًا مُباشَرَةً على كُرَّاساتٍ يختلف بعضُها عن بعض ، في الوقت نفسه ، في الشَّكْلِ وفي عَدَدِ الأوْراق المشتملة عليه : وتتكوَّن الكُرَّاسَةُ في الحالة الأولى من ورقتين (فهي أُحادية) ، وفي الحالة الثَّانية من أربع وَرَقات (فهي ثُنائية) ، وفي الحالة الثَّالثة من ثمانِ ورَقات (فهي رُباعية) ... إلخ . وتتكوَّن جميعُها من أوْراقٍ مُزدَوَجَة ـ بما أنَّها نَتَجَت عن طيِّ وَرَقَةٍ واحدة ـ بعَدَدٍ زَوْجي . ولا يَبْقى إلَّا قَطْعُ الرَّقّ من الأماكِن ، غير التي تَمَّ فيها الطَّيّ ، والتي تُبْقي الأوْراق مُتلاحِمَةً مع بعضها في شكل ثُنائيات .

٢ . D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 9 . وعُرِّفت الورقة بأنَّها «كل من نصفي الورقة المزدوجة» (*Ibid.*) ؛ وسيتم التمييز جيدا بين الورقة و الصفحة التي هي «كل من وجهي الورقة» (*Ibid.*) .

٣ . ذَكَرَ Maniaci بأنَّ الأنموذج الذي اقترحه جيلسان L. Gilissen في *Prolégomènes à la codicologie, Recherches sur la construction des cahiers et la mise en page des manuscrits médiévaux,* (Gand, 1977) ، لم يكن مُطَبَّقًا بطريقة منتظمة على المخطوطات البيزنطية (M. Maniaci, «L'art de ne pas couper les peaux en quatre: les techniques de découpage des bifeuillets dans les manuscrits byzantins», *Gazette du livre médiéval* 34 printemps 1999, p. 1-12) .

أنْواعُ الكُرّاسَات

من الممكن جِدًّا أن نَحْصُلَ على كُرّاساتٍ ذات ورقتين أو أربع وَرَقات أو ثمان وَرَقات وفي مختلف الأشكال دون أن نَطْوي فَرْخًا من الرَّقّ أو الوَرَق ، كذلك فإنَّه وُجِدَت أنْواعٌ أخرى من الكُرّاسات تَشْتَمل على عَدَدٍ فَرْدي من الأوْراق المُزْدَوَجة . ولتَسْهيل الأمْر فقد جَمَعْنا في الجَدْول التالي الصِّيَغ المختلفة ، حيث ضَمَّناه للتَّذْكير التَّسْميات التَّقْليدية لأنْواعِ الطَّيّ مع الإلْحاحِ على أنَّ الكُرّاسات المتماثِلة يمكن الحُصولُ عليها عن طريق التَّجْميع .

عَدَدُ الأوْراق المُزْدَوَجَة	نمطُ الطَّي	اسمُ الكُرّاس	عَدَدُ الأوْراق
١	بقَطْع النِّصْف	أُحادي	٢
٢	بقَطْع الرُّبْع	ثُنائي	٤
٣		ثُلاثي	٦
٤	بقَطْع الثُّمن	رُباعي	٨
٥		خُماسي	١٠
٦	بقَطْع الاثني عشر	سُداسي	١٢
٧		سُباعي	١٤
٨	بقَطْع الستّ عشر	ثُماني	١٦

وبعد الكُرّاسات ذات الثمانية أوْراق نَتَحَدَّث فقط عن الكُرّاسات ذات التِّسْع والعَشْر وَرَقات ... إلخ . وبعضُ الصِّيغ المذكورة في الجَدْوَل السّابق لا يمكن أن تَتَحَقَّق عن طريق طيٍّ بسيط : وسنعُودُ إلى هذه النُّقْطَة فيما بعد . وعلى العكس فإنَّ كلَّ هذه الكُرّاسات يمكن أن نُطْلِق عليها أنَّها «مُنْتَظِمة» لأنَّها تتكوَّن من أوْراقٍ مُزْدَوَجَة كاملة .

حَالاتٌ شاذَّة

قد يَحْدُث أن نُضيفَ أو نَقْتَطِعَ وَرَقَةً أو أكثر من كُرّاسٍ ، بحيث إنَّ هذا الكُرّاس يَتَضَمَّنُ أوْراقًا لا يُوجَد لها مُقابِلٌ فتكون «غير مُتَجانِسَة» أو «مُسْتَقِلَّة» [4] . ولإضافَة وَرَقَةٍ مُسْتَقِلَّة إلى كُرّاسٍ ، فهناك طَريقتان أمام النَّاسِخ : تقومُ الأولى على أخْذِ وَرَقَةٍ مُسْتَقِلَّة يَفُوقُ عَرْضُها قَليلًا سَائِر أوْراقِ الكُرّاس ، يَطْويها النَّاسِخُ بحَجْم هذه الأوْراق ، بحيث يَظْهَر منها شَريطٌ ضَيِّقٌ فيما يلي عَلامَة الطَّيّ : «العَقِب» (شكل ١٧) . وبذلك تُدْمَجُ الوَرَقَةُ في الكُرّاس ويَدْخُل العَقِب في النِّصْف المواجه لها ويَسْمَح بخياطَة المجموع تَبَعًا للتِّقْنِية المألوفة ويَجْعل الوَرَقة المُسْتَقِلة بذلك مُتضامِنَةً مع بقيَّة الكُرّاس . وفي هذه الحالة ، فإنَّ المُلاحَظَة تَسْمَح بإيجاد هذا الجزء المُتَبَقِّي الذي ليس أثَرًا لوَرَقَةٍ مُنْتَزَعَةٍ ولكنه «العَقِب» : ففي الكُرّاسَة الثَّانية من نُسْخَة «جَامِع الفُصُولَيْن» (باريس رقم BnF ar. 6905) ، نجد الورقة ١٥ قد أُلْصِقَت عن طريق «عَقِب» على الوَرَقة المُزْدَوَجة الأوراق ١٤-١٦ [5] .

ورقة مستقلة
عقب
ورقة مزدوجة

١٧. عقب

٤. وهي «ورقة مستقلة دون رديف ... في النصف الآخر من الورقة المزدوجة التي تنتمي إليها الوَرَقة المعنية» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 92) . ولا توجد في الفرضية التي قدمناها ضياع لنصف الورقة المزدوجة، فالورقة منفردة منذ البداية .

٥. *FiMMOD* 274 ، وانظر فصل «حوامل الكتابة : الورق» .

وإذا اقْتَضى الأمْرُ إضَافَة العَديد من الأوْراق إلى الكُرّاس فسَيَظْهَر عَدَدٌ مُتجاوِر من الأعْقاب. ونُضِيفُ إلى ذلك أنَّ وَرَقَةً أو عَدَدًا من الأوْراقِ غير المُتجانِسَة يمكن أن يُشَكِّل كُرّاسًا [٦]. وصَاحَبَ اسْتِخْدامَ الرَّقِّ اسْتِعْمالٌ شبيه بنَسَقِ هذه العملية، سنتناوله بتَفْصِيلٍ أكثر فيما بعد.

١٨. زائِدَة

76 / والطَّريقَةُ الأخرى لإدْراجِ وَرَقَةٍ إضافيةٍ تعتمد على اسْتِخْدام «زَائِدَةٍ» (شكل ١٨): ويعني هذا المُصْطَلَح شَريطٌ رَقيقٌ من الوَرَق أو الرَّقّ مَطْوي إلى اثنين يَنْزَلِق داخل كُرّاسٍ، ويُلْصَقُ على أحَدِ طَرَفَي الشَّريط (أو طَرَفَيْه) بادئ ذي بدء وَرَقَةٌ نجدها مُدْمَجَةً هكذا في الكُرّاس. وتُسْتَخْدَم «الزَّائِدَةُ» أيضًا في تَرْميم المَخْطُوطات، عندما يكون مُؤَخَّر الكُرّاس مُتْلَفًا بطريقةٍ خَطيرة: فيَتِمّ إعادَةُ لَصْقِ الأوْراق على «الزَّائِدَة» بحيث تُعيد تكوين الكُرّاس.

وفي حالَة قَطْعِ وَرَقَةٍ (دون نَزْعِها)، فإنَّ الإبْقاء على بَقِيَّتِها داخل الكُرّاس يكون في وَضْعِ خَطِر. لذلك فإنّنا نُهيئ عَقِبًا بقَطع هامِشه الدّاخلي بجوار مكان الطيّ. ونَرى أنّه، في كُلِّ الحالات، عندما نُلاحِظ عَقِبًا، فمن الضّروري التّأكّد إذا كان النّصّ

٦. انظر فيما يلي.

مُتّصِلًا: فإذا ظَهَرَ أنَّ هناك خَرْمًا (سَقْطًا) في مَوْضِعِ العَقِب، فيجب أن نَسْتَنْتِج أنَّ هذا العَقِب هو أثَرُ وَرَقَةٍ فُقِدَت الآن.

كُرّاسَاتُ المَخْطُوط

يَخْتَلِفُ عَدَدُ الكُرّاسات داخِلَ مَخْطوطٍ واحِدٍ بطريقَةٍ ظاهِرَة. وفي بعض الحالات قد لا يحوي المَخْطُوطُ إلّا كُرّاسًا واحِدًا [٧]؛ ويكون حَجْمُه حينئذٍ غالِبًا أكبر قَليلًا من الكُرّاسات المُعتادَة، ويمكن أن نُطْلِق على هذه النَّوْعية من المَخْطُوطات مُصْطَلَح «أُحادي الكُرّاس» [٨]. ومع ذلك، فإنّه نادِرًا جدًّا أن نَجِدَ، في المجال الذي يَعْنينا، كُرّاسات وَحيدَة يتجاوَزُ عَدَدُ أوْراقِها العَدَدَ المُعْتاد بصورةٍ كبيرة. فيُوجَدُ مَخْطوطٌ في برلين (SB Sprenger 517، كُتِبَ قبل سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦-١٠٦٧ بقليل) [٩] تتألَّفُ الكُرّاسَةُ الوَحيدَة التي تُكَوِّنُه من عَدَدٍ لا يقلّ عن أربعين وَرَقة، ورُبَّما كان مَصْدَرُه من الهِنْد، الأمْرُ الذي يَسْمَح لنا بالحَديث، من باب الفُضُول، عن الكُرّاسات الأُحادية التي أُنْتِجَت في شَمال غَرْب الهِنْد وَقْتَ احْتكاكِه بالإسْلام، على غِرارِ مَخْطُوطِ ميونخ رقم BSB cod. hind. 6 المُؤَرَّخ سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، والمُكَوَّن من كُرّاسٍ وَحيدٍ ذي ثمانين ومائتي وَرَقَة مُزْدَوَجَة [١٠].

٧. يُعَدُّ مخطوط باريس رقم BnF Suppl. turc 986، أنموذجًا ممتازًا: يتعلق بجامعٍ لمجموعة من الأجزاء يتألَّف كل منها من كراسة وحيدة؛ وهي في العموم أكبر من تلك التي نصادفها عادة في المخطوطات المؤلفة من العديد من الكراسات (حتى ٢٢ ورقة بالنسبة للثانية، من ورقة ١٩ – ٤١، دون أن نعد الورقة المزدوجة الرقية التي هي في الواقع غلاف). انظر G. Vajda, «Trois manuscrits de la bibliothèque du savant damascain Yusuf ibn 'Abd al-Hadi», *JA* 270 (1982), p. 229-256 (repris dans *La transmission du savoir en Islam*, 1983). وانظر أيضًا: P.S. Van Koningsveld, *The Latin-Arabic glossary of the Leiden University Library*, Leyde, 1976, p. 69, n. 89, حيث توجد إشارةٌ إلى مخطوط القُدْس JNUL Yahuda MS Ar. 409; *The Qur'an, scholarship and the Islamic arts of the book*, Londres, 1999, p. 36.

٨. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 60.

٩. W. Ahlwardt, *Verzeichnis der arabischen Handschriften*, II [Die Handschriften der k?niglichen Bibliothek zu Berlin, VIII], Berlin, 1889, p. 249- 250, nº 1557.

١٠. MUNICH 1982, p. 234 وشكل ٤٨.

77 /ومَكانُ طيّ الوَرَقَة مَوْضِعٌ حَسَّاسٌ في بناء الكُرَّاس ، وقد دَفَعَ الاهْتِمامُ بحمايته ضِدَّ التَّمْزيق أحْيانًا صُنَّاعَ الكتاب إلى تَدْعيمه بإدْماج شَريطٍ ـ من الوَرَقِ أو الرَّقّ ـ في ثَنْية الكُرَّاس في وَسَطِه ـ أو أيضًا في كَعْبِه ـ وتُخاطُ معه : يُطْلَق عليه «الواقي»[١١] أو «كَعْب الكُرَّاس»[١٢]. ومن بين النَّماذِج النَّادِرة التي نعرفها لهذه الطَّريقة في العالم الإسلامي يَبْدو مَخْطُوطُ برلين الذي سَبَقَ أن ذكرناه SB Sprenger 517: فيمكن أن تُفَسِّر سَماكَةُ الكُرَّاسَة الوحيدة بالسَّعْي وَرَاءَ هذه الحماية . وقد دَلَّنا مُرادُ الرَّمَّاح على مَخْطُوطٍ فِقْهي يرجع تأريخُه إلى جُمادَى الثَّاني سنة ٤٠٤هـ/ ديسمبر سنة ١٠١٣م (مَتْحَف الفن الإسلامي برَقَّادَه ، رُطْبي ٢٤٧) تُمَثِّلُ أحد كُرَّاساته التَّرْكيب نفسه .

فَحْصُ الكُرَّاسات

عَرَفَ عُلَماءُ العُصُور الوُسْطَى أهمية المُرَاجَعَة الدَّقيقة لحالة كُرَّاسات المَخْطُوط[١٣]. فعند فَحْصِ أحَدِ المَخْطُوطات يُلاحِظُ عالِمُ المَخْطُوطات بعناية طريقة تركيبه : فقد يكون أي شُذُوذٍ مُؤشِّرًا على ضَياع قِسمٍ من النَّصِّ أو انْتِقالٍ أو إضَافة وَرَقَة[١٤]. ويجب أن نُذَكِّر أنَّ هذه العملية يجب أن تتمَّ دائِمًا مع الاهْتمام بعَدَم إتْلافِ الكتاب ـ على الأخَصِّ إذا كان تَجْليدُه مَضْغُوطًا ولا يَسْمَح بملاحَظَة كَعْب الكُرَّاسات .

ويَتَطَلَّبُ إثْبات وُجُود عَدَم الانْتِظام ، على سبيل المثال وُجُود كُرَّاسٍ ذي أرْبع وَرَقات في مَخْطُوطٍ كُلُّ كُرَّاساته خُماسيةٌ ، أو أيضًا كُرَّاسٍ مُكَوَّن من رقم فردي من الأوْراق ، مُرَاجَعَة إذا كان النَّصُّ مُتَّصِلًا أم لا . وأيُّ خُروج عن القِياس يمكن كذلك أن يَتَطَابَق مع اخْتيارٍ للناسِخ : فقد يَشْعُر النَّاسِخُ أنَّه قارَبَ الانْتِهاء من عَمَلِه ، وأنَّ عَدَدَ أوْراقِ الكُرَّاس التي أعَدَّها لا تكفي لكتابَة ما تَبَقَّى من النَّصِّ الذي قد لا يَحْتاجُ إلى

---

١١. J. Lemaire, *Introduction*, p. 43؛ وانظر فيما يلي (الكراسات المختلطة) . وانظر كذلك مدخل guard عند Michelle Brown, Understanding illuminated manuscripts: a guide to technical terms, Malibu, CA/London 1994.

١٢. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 98.

١٣. F. Rosenthal, *The technique and approach of muslim scholarship* [Analecta orientalia 24], Rome, 1947, p. 12.

١٤. سنقدم لاحقا توضيحا يتعلق بالمخطوطات المكتوبة على الرق .

كُرَّاسٍ جديد ، فيقوم بإدْماجِ وَرَقَةٍ أو ورقتين في الكُرَّاس الذي بدأ اسْتِخْدامَه بالفِعْل بحيث يُتيحُ المكانَ اللَّازم لهذا النَّصِّ . فأيُّ عَدَمِ انْتِظامٍ نُصادِفه في نهاية المَخْطُوط يكون ناتِجًا غالِبًا عن أوْضاعٍ من هذا النَّوْع .

ويعتمد تَعْيينُ نَمَط كُرَّاسات مَخْطُوطٍ ما على التَّرْقيم في حالة وُجُوده : فهذه الإشارَةُ التي نقابِلُها أحْيانًا على وَجْه الوَرَقَة الأولى لكُلِّ كُرَّاسٍ يمكن الاسْتِفادَة منها لتحديد ما إذا كنَّا بإزاء كُرَّاسَةٍ رُباعية أو خُماسية ... إلخ . وعندما لا تَتَوَفَّر/ هذه 78 المساعَدَة ، فيجب أن نَبْدأ بتَعْيين مَوْضِع خُيُوطِ الخياطَة : فهذه الخُيُوطُ تَمُرُّ عَمَليًّا في طَيَّة الوَرَقَة المُزْدَوَجَة الوُسْطَى لكَلِّ كُرَّاس . فنَبْحَثُ إذًا عن نُقْطَة مُرُور أحَد هذه الخُيُوط ، ثم اعتبارًا من ذلك نَمُدّ البَحْث إلى الكُرَّاسات المجاورة للبَحْث عن مَوَاضع الخياطة . ونستطيع أن نُحَدِّدَ بسهولة عَدَدَ أوْراقِ كُلِّ كُرَّاسَةٍ بإحْصَاء عَدَدِ الأوْراق بين كُلِّ خياطتين متجاورتين إذا كان هذا الرَّقم ثابتًا ومُتساويًا مع تَعاقُب العَديد من المسافات من هذا النَّوْع . فنُلاحِظُ مثلًا وُجُود خِياطَة بين الأوْراق ٣٦-٣٧ و٤٦-٤٧ و٥٦-٥٧ و٦٦-٦٧ ، ٧٦-٧٧: ويَنْتُج عن ذلك وُجُود عشرة أوْراق بين كلِّ خِياطَتَيْن ـ خمسة أوْراق في النِّصْف الثَّاني من الكُرَّاس الأوَّل ثم خمسة من التَّالية . وفي كُلِّ الحالات ، إذا سَمَحَ التَّجْليدُ بذلك ، فإن مُرَاجَعَةً تَفْرِضُ نفسها : فيجب أن نُلاحِظ بعناية أكبر كُعُوب الكُرَّاسات لنُحَدِّد عَدَد أوْراق كُلِّ كُرَّاس . وهذه المُرَاجعة لا غِنَى عنها لتَقَصِّي أثَر المَخْطُوطات ، والمُؤَكَّد أنَّها قليلة العَدَد ، وتَتَعَاقَب فيها باطِّراد كُرَّاساتٌ ذات أنْماطٍ مختلفة . وتُعَدُّ علاماتُ تَحْديد وَسَط الكُرَّاس كذلك مُرْشِدًا يَعْتَمد اسْتِخْدامُه على الأسَاس نفسه الذي تعتمد عليه الخِياطَة . وحَدَث أن لاحَظْنا في المَخْطُوطات المُرَمَّمَة في الغَرْب وُجُود خياطَتَيْن في قَلْبِ الكُرَّاس نفسه ، على سبيل المثال في مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 1544 بين الورقتين ٧ و ٨ ثم الورقتين ٨ و ٩ أو أيضًا بين الورقتين ١٦ و ١٧ من ناحية و ١٨ من ناحية أخرى[١٥]؛ وإلى الآن ، لم نجد نَمَاذِج عن اتِّباع المجلِّدين المشارِقَة لهذه الطَّريقَة في العَصْر القَديم . وبالنسبة للمَخْطُوطات الرَّقِّية ، هناك مُلاحَظاتٌ إضافية ضرورية سنتناولها بالتَّفْصيل فيما بعد .

---

١٥. Y. Sauvan , M.G. Guesdon, *Cat.* 5, p. 88.

وَصْفُ الكُرَّاسات

تُوجَدُ تعابيرُ بَسيطَة تَسمَحُ بوَصْفِ الكُرّاسات وتَلْفِتُ الانْتِباهَ إلى نِقاطٍ مختلفة مُهِمَّة . فثمة طريقَةٌ أوَّليةٌ يمكن تَطْبيقُها بشكلٍ عام[١٦] . ويُقَدَّمُ الوَصْفُ على شَكْل متتالية من الأرقام : إشارَة أوَّلية بالأرْقام العربية تتعلَّقُ بعَدَدِ الكُرَّاسات تَبْقي ثابتة ، ويُحَدَّدُ بداخلها عَدَدُ الأوْراق المُزْدَوَجَة برَقَم روماني يُوضَع مباشَرَةً بعدها : ويُتْبَع هاذان المُعْطيان برقم آخِر ورَقة من هذه المُتتالية المُتَجانِسَة مكتوبًا بين قَوْسَيْن . فمجلَّد من مائة وَرَقَة عبارَة عن خُماسيات فقط يُوصَف بالطَّريقَة التالية : 10 V (100). ومجلَّد آخَر مكوَّن من ست خُماسيات متبوعة برُباعية نهائية يظهر كالتالي : 6V(60), IV(68)؛ وإذا فُقِدَت وَرَقَةٌ من الكُرَّاسَة الأخيرة / نكتب : 6V(60), IV-1(67). وبالمقابل ، إذا حَدَثَت إضافَةٌ لهذه

79

الرُّباعية الأخيرة . فتسظهر بالطَّريقَة التالية : 6V(60), IV + 1 (69). وكما نَرَى ، فليس من الضَّرُوري أن نَسْبِق الإشَارَة إلى كُرَّاسَةٍ وَحيدة بـ : 1. وبالنِّسْبَة إلى كُرَّاساتِ الرَّقّ ، فإنَّ نَوْعيَّات المادَّة تَتَطَلَّبُ أحْيانًا وَصْفًا أكثر عُمْقًا سَنَعْرِض له بمثالٍ فيما بعد .

كُرَّاسات المَخْطُوطات الرَّقِّيَّة

مُلاحَظَةُ كُرَّاساتِ الرَّقّ

إضافَةً إلى الاخْتبارات المذكورة فيما تَقَدَّم ، فمن المُهِمِّ أن نُلاحِظَ توالي جانبي الشَّعْر واللَّحْم للجِلْد في المَخْطُوطات المكتوبة على الرَّقّ (شكل ١٠، ١٠ مكرر) . ونُطْلِق على الجانِب الذي يُمَثِّل وَجْه الوَرَقَة الأولى للكُرَّاسَة «الجانِب العُلْوي» وعلى ظهر هذه الوَرَقَة نفسها «الجانِب السُّفْلي» . فإذا كان وَجْهُ الوَرَقَة الأولى من مَخْطُوطٍ على الرَّقّ هو الجانب الشَّعْري ـ وأنَّها بالفِعْل الوَرَقَة الأولى الأصْلية ـ فتُوصف الكُرَّاسَةُ إذًا بأنَّ جانبها العُلْوي هو الجانب الشَّعْري .

وقبل أن نَدْرُسَ بتفصيلٍ أكثر الطَّريقَة التي كَوَّنَ بها النُّسَّاخُ المسلمون كُرَّاسات

١٦. J.J. Witkam, *Cat.* 1, p. 13-14.

الرَّقّ ، يبدو لنا من المفيد أن نَذْكُر بإيجازٍ مَرَّةً أخرى ما سَبَقَ قوله عن التِّقْنية التي اسْتَخْدَمها بكثرة نُسَّاخُ الغَرْب الوَسيط لصناعَة كُرَّاساتهم : فقد كانوا ، للحُصُول على كُرَّاساتٍ مُكَوَّنَة من وَرَقتين (in-folio) أو أرْبع (in-quarto) أو ثمان (in-octavio) أو اثني عشْرَة وَرَقَة ، يَطْوُون الجِلْدَ في العُمُوم مَرَّةً أو مَرَّتين أو ثلاث أو أربع مَرَّات إلى طَيَّتين[١٧] . وكان يَنْتجُ عن هذا النَّمَط من الطَّيّ ما يُعْرَف بقاعِدَة جريجوري Gregory، نسبةً إلى العالم الألماني الذي كان أوَّلَ من لاحَظَ أنَّ الجانبين المتقابلين لوَرَقَةِ كُرَّاسَةٍ رَقِّيَّة يكونان دائمًا من طبيعةٍ واحدة : الشَّعْر أو اللَّحْم[١٨] . وهكذا ، إذا كانت الوَرَقَةُ X ظ هي الجانب الشَّعْري للرَّقّ ، فإنَّ الوَجْه المقابل لها (X + ١و) سيكون كذلك الجانب الشَّعْري . ويمكن أن نُشيرَ إلى هذا الفَرْق بين الوَجْهَيْنِ بطريقةٍ مُبَسَّطَةٍ ضمن نظام وَصْف الكُرَّاسات الذي سنقدِّم له هنا خُلاصَةً مُوجَزَةً .

يكون تَرْقيمُ الكُرَّاسات بالأرْقام الرُّومانية (chiffres romains) وتُرَقَّم الأوْراقُ بالأرْقام العربية ويلحق بها حرف صغير «ش» (شَعْر) و«ل» (لَحْم) ـ أو العكس ـ لتَعْيين طبيعة الوَجْه والظَّهْر . ويُشارُ إلى مُنْتَصَفِ الكُرَّاسَة بالعَلامَة «/» ، وإلى وُجود عَقِب / بالرَّمْز «ع» . ويمكن

80

اسْتِخدام حُرُوفٍ أخرى لاستكمال معلوماتٍ إضافية ، مثل «ض» للإشارة إلى ضَياعِ وَرَقَةٍ أو فَقْدِها . فيكون وَصْفُ الكُرَّاس الخامس من مَخْطُوطٍ ، تَبَعًا لذلك ، بالطَّريقة التالية .

V: ل٣٩ش ل٤٠ش ل٤١ش ل٤٢ش ع ل٤٣ش / ش٤٤ل ش٤٥ل ع ش٤٦ل ش٤٧ل ش٤٨ل

وإذا كان المَخْطُوطُ مُرَقَّمًا بالصَّفَحات بَدَلَ الأوْراق ، فإنَّ هذه الطَّريقة الوَصْفية تتطَلَّب أن تُكيَّف فحَسْب باسْتِخْدام عَلامَة وَصْل (–) لرَبْط الصَّفَحات المُشتملة على وَجْه الوَرَقَة وظهرها ، كالتالي :

V: ل٧٧-٧٨ش ل٧٩-٨٠ش ل٨١-٨٢ش ل٨٣-٨٤ش ع ل٨٥-٨٦ش / ش٨٧-٨٨ل ش٨٩-٩٠ل ع ش٩١-٩٢ل ش٩٣-٩٤ل ش٩٥-٩٦ل

١٧. L. Gilissen, *op. cit.*, p. 26-35; J. Lemaire, *Introduction*, p. 69-94. وانظر كذلك ملاحظات مانياسي : M. Maniaci, *op. cit.*. وتستعيد الملاحظات التالية جزئيًا ما سَبَقَ أن نشرناه في مقالنا : «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: Quelques remarques liminaires», *Codicology*, p. 27-40.

١٨. G.R. Gregory, «Les cahiers des manuscrits grecs», *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles-lettres*, 1885, p. 261-268.

المَصَاحِفُ المُبَكِّرَة

نُسَخُ القَرْنَين الأوَّل والثَّاني للهجرة/ السَّابع والثَّامِن للميلاد

إنَّ أقْدَمَ المَخْطُوطات التي وَصَلَت إلينا هي المَصَاحِف ، ويمكن تأريخُها بالنِّصف الثَّاني للقرن الهجري الأوَّل/ السَّابع الميلادي ، وهي في أغلبها قِطَعٌ من مَصَاحِفَ كُتِبَت بـ «الخَطِّ الحِجازي» الذي كان الأساسَ الذي اعْتُمِدَ عليه في تأريخها . ويَحْمِلُ القليلُ من هذه النُّسَخ تَعاقُبًا مستمرًّا للأوْراق يَسْمَحُ بفَهْم كيفية اسْتِخْدام الرَّقّ في هذه الفَتْرَة المبكِّرَة لصُنْعِ الكُرَّاسات . فقِطْعَةُ مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 328 a والمُرَجَّح كتابتها في نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي[١٩]؛ تَحْمِلُ العَديدُ من مجموعات أوْراقها نَصًّا مُتَّصِلًا : من ٤ـ٢٢ و ٢٣ـ٤٠ و ٤١ـ٤٨، التي يمكن أن نُضيفَ إليها كذلك الأوْراق من ٥٧ـ٦٤ من قِطعة مُصْحَف باريس رقم ar. 328 b ـ التي تَتَمَيَّزُ من وِجْهَة نظر قِدَم خَطِّها ، والتي لا نَسْتَبْعِد أن تكون قِسْمًا من المُصْحَف نفسه[٢٠]. ونَظَرًا لعَدَم إمْكانِ القيام بتَحليلٍ كوديكولوجي أبْعَد من ذلك للمَخْطُوط ، بسبب الوَضْعية الحالية للمُصْحَف ؛ فإنَّنا نَقْتَرِحُ ، مع التَّحفُّظات اللَّازِمَة ، التَّحليل التالي : تَشْتَمِلُ القِطعَةُ على أرْبَع مجموعاتٍ رُباعية : الأوْراق من ٧ـ١٤ و ٢٤ـ٣١ و ٣٢ـ٣٩ و ٥٧ـ ٦٤، والتي يمكن أن نُضيفَ إليها الكُرَّاس المشتمل على الأوْراق من ٤٢ـ٤٨ (أي سَبْع ورقات) حيث فُقِدَت منه الوَرَقَةُ الأخيرة . وعلى العكس من ذلك فإنَّ ترتيب الأوْراق من ١٥ـ٢١ غير مُنْتَظِم ، كما أنَّ تتابُع جانبي الرَّقّ ، على سبيل المثال ، يسترعي الانْتباه في الأوْراق من ٧ـ ١٤.

---

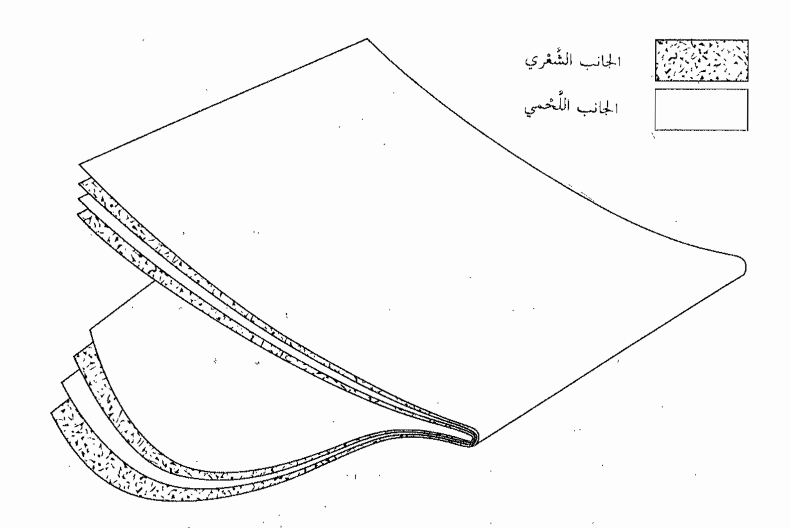
١٩. M. Amari, «Bibliographie primitive du Coran» (éd. H. Dérenbourg), في *Centenario della nascita di M. Amari, t. I,* Palerme, 1910, p. 18- 19; E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium,* Bonn, 1914, p. XXXII et pl. 41a; G. Bergsträsser , O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts* [Th. Nöldeke, *GdQ*^{2}], Leipzig, 1938, p. 255 وشكل ١٩؛ N. Abbott, *The rise of the North Arabic script and its kur'anic development,* p. 24; A. Grohmann, «The problem of dating early Qur'ans», *Der Islam* 33 (1958), p. 216, 222, 226 et n. 48; id., *API*, p. 42, n. 1; F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 59-60, nº 2; F. Déroche , S. Noja Noseda, *Le manuscrit Arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France.*

٢٠. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 60, nº 3.

ش٧ ل٨ ش ش٩ ل ل١٠ ش / ش١١ ل ل١٢ ش ش١٣ ل ل١٤ ش (شكل ١٩)

وبما أنَّه يمكننا مُلاحَظَة هذا النَّمَط في مَوَاضِعَ أخرى ، فيمكن أن نَذْهَب إلى أنَّ هذا المَخْطُوط يُعَدُّ أُنموذجًا للحُصُول على الكُرَّاسات عن طريق الطَّيّ . ولكن مِثالَيْن من المجموعات الرُّباعية تَدْعونا إلى اسْتِبْعاد هذه الفَرْضِيَّة : فالأوْراقُ المُزدَوَجَة للأوْراق من ٤٣ـ٤٨ و ٤٤ـ٤٧، وكذلك من ٥٩ـ٦٢ و ٦٠ـ٦١/ يتواجَه فيها الجانِبُ اللَّحْمي مع الجانب الشَّعْري ، أي أنَّها بُرْهانٌ قوي ضد طَريقَة الطَّيّ . على كلِّ حال ، اسْتُخْدِم الجانب اللَّحْمي بانْتِظام ليكون الجانب الأعْلى للكُرَّاسات المختلفة .

81



١٩. كُرَّاس رَقِّي رُباعي كما وُجِدَ في المَصَاحِف المُبَكِّرَة

ومع ذلك لا يجب أن نَخْلُصَ من ذلك إلى أنَّ المجموعات الرُّباعية من النَّمَطِ الذي أتَيْنا على وَصْفِه هو الأنْمُوذَجُ الوَحيدُ المعروف في هذا العَصْر ، فتُوجَدُ قِطْعَةٌ أخرى من مُصْحَفٍ بـ «الخَطّ الحجازي» محفوظة في باريس برقم BnF ar. 328 c مكوَّنَة من مجموعةٍ خُماسية بتركيبٍ مُعْتادٍ (أي أنَّ الوَجْهَ الشَّعْري يُشَكِّل وَجْه جَميع الأوْراق في نِصْفها الأوَّل) . ويجب علينا أن نَنْتَظِر التَّعَرُّف الجيِّد على المَصَاحِف «الحِجَازية» لنُمَيِّزَ مجموعَ هذه التَّوَجُّهات . ونستطيع أن نتأكَّد الآن فحَسْب من التَّنَوُّع النِّسْبي في اسْتِخْدام الرَّقّ في هذا العَصْر ـ نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي وبداية

القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامِن الميلادي. وهو لا يُقدِّمُ لنا سِماتٍ اسْتِثْنائيةً فيما يَخُصُّ عَدَدَ أوْراق الكُرَّاس، وعلى العكس فإنَّ وَضْعَ الجانب اللَّحْمي فيها كجانِبٍ أعْلى للكُرَّاس يبدو لنا غير اعْتِيادي إزاءَ المُمارَسات التي تبدو هي المُعْتادَة في المجموعات المعروفة. ومع ذلك فمن المُلاحَظ في المَخْطُوطات اليونانية أنَّ جانِبَ الكُرَّاس اللَّحْمي هو كذلك جانِبُها الأعْلى[٢١].

وتُوجَدُ قِطْعَةٌ من مُصْحَفٍ، يعود إلى مَطْلَع القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامِن الميلادي، ويُمَثِّل أسْلوبُ خَطِّها تَطَوُّرًا بالنِّسْبة إلى الخَطِّ الحجازي، وتَتَمَيَّزُ بكُرَّاساتِها المُكَوَّنَة من عشر وَرَقَات مُزْدَوَجَة، فإذا كان إعادَة البناء الذي افْتَرَضْناه صَحيحًا، فإنَّ تَوالي جانبي الرَّقّ فيها يظهر بالطريقة التَّالية:

ل١ش ل٢ش ل٣ش ل٤ش ل٥ش ش٦ل ش٧ل ش٨ل ش٩ل ش١٠ل / ش١١ل ش١٢ل ش١٣ل ش١٤ل ش١٥ل ش١٦ل ش١٧ل ش١٨ل ش١٩ل ش٢٠ل

82

مَصَاحِفُ القَرْنِ الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي

أصْبَحَت المَخْطوطاتُ التي وَصَلَت إلينا من القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي أكثر عَدَدًا. ورَغْم أنَّ أغْلَبَها غير تامّ، فإنَّ العَديدَ منها تَضَمَّنَ نُصُوصًا متواليةً على عَدَدٍ كافٍ من الأوْراق يَسْمَحُ لنا باستِخْلاصِ نتائجَ مُفيدَة عن طريقة تكوين الكُرَّاسَة. ويُعَدُّ مَخْطُوط باريس رقم BnF Smith - Lesouëf 193 عَيِّنَةً أنْمُوذجيةً في تكوينها[٢٢]. فرَغْم فَقْدِ عَدَدٍ من أوْراقه، هُنا وهُناك، (انظر على سبيل المثال الكُرَّاسَة الثَّانية)، فإنَّ اخْتبارَه يُظْهِر أنَّ كُرَّاساته تَكَوَّنَت من عشر أوْراق مُجَمَّعَة بالتَّسَلْسُل الآتي:

II: ل١١ش ل١٢ش ل١٣ش ل١٤ش ل١٥ش / ش١٦ل ش١٧ل ش١٨ل ش١٩ل ش٢٠ل (شكل ٢٠)

٢١. P. Ladner, *Lexicon des Mittelalters*, VI, *s.v.* Pergament, col. 1886.

٢٢. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 96, nº 110؛ ونصادف الحالة نفسها في القِطعة رقم BnF arabe 358b، والتي يرجع تأريخها إلى ما قبل سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣ - ٩١٤م (انظر *FiMMOD* 19).

الجانب الشّعري

الجانب اللّحمي

٢٠. كُرَّاس رَقِّي خُماسي من النَّمَط التَّقْليدي

ويُؤَكِّدُ هذه المُلاحَظَة دِرَاسَةُ مجموعتين كبيرتين من المَصَاحِف المكتوبة على الرَّقّ، نُسِخَت فيما بين نهاية القرن الهجري الأوَّل / السَّابع الميلادي وأثناء القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي: هما مجموعتا مكتبة فرنسا الوطنية ومَتْحَف الفُنُون التُّركية والإسلامية بإستانبول. فنُلاحِظُ أنَّ الأغْلَبية السَّاحِقَة لهذه المَخْطوطات تتألَّف من كُرَّاساتٍ ذات عشر أوْراق ـ أي مجموعات خُماسية؛ والنَّتيجَة المُباشِرة لهذه المُلاحَظَة هي أنَّ هذا النَّمَط من الكُرَّاسات لا يمكن الحُصُولُ عليه بطيٍّ بسيط، وهو ما يُؤَكِّده بقيةُ التَّحْليل. وتُظْهِر الطَّريقَةُ التي اسْتُخْدِم فيها الرَّقُّ لتكوين كُلِّ كُرَّاسٍ التَّرابُط المَنْطقي نفسه في عاداتِ صُنَّاعِ الكتاب: فوَجْهُ/ الوَرَقَة الأولى (أو الجانب العُلْوي) هو دائمًا الجانب الشَّعْري للرَّق[٢٣]، ووُجُوهُ الأوْراق التَّالية وهي الأوْراق ٢ و ٣ و ٤ و ٥

83

٢٣. وبالمقابل تستخدم «برديات» الرق أوَّلًا من الجانب اللحمي. (راجع. A. Grohmann, *API*, p. 111)؛ وتبعًا لهران M. Haran، فقد تَصَرَّف النساخُ العرب بالطريقة نفسها في حالة الرق الناتج عن نَشْر الجلد في اتجاه ثخانته، في حين كانوا يفضلون أن يستخدموا أوَّلًا جانب الشعر من القشط («Bible scrolls in Eastern and Western Jewish communities from Qumran to the High Middle Ages», *Hebrew Union College Annual*, LVI, 1985, p. 48).

للكُرَّاس، هي كذلك الجانب الشِّعْري. وعند فَتْح المَخْطُوط تَظْهَرُ المُفارَقَةُ بين كُلِّ الصَّفْحتين المُتقابلتين[٢٤]، فيما عَدَا نُقْطَة الْتِقاء كُرَّاستين، حيث نجد جانبي الشَّعْر في مواجهة بعضهما الآخر - وفي منتصف كُلِّ كُرَّاسٍ - حيث من المَنْطِق أن نجد جانبين لَحْميين. ويَحْدُثُ مُصادَفَةً أن يُخالَفَ هذا النِّظام داخِل كُرَّاسٍ في مَخْطُوطٍ، حيث يُعْتَنَى فيه بدِقَّةٍ بالتَّتالي الذي وَصَفْناه سالِفًا. ويَدْفَعُنا ذلك إلى افْتِراضِ أنَّ النَّسَّاخَ - أو الوَرَّاقين - في العالم الإسلامي لم يكونوا يَطْوون أوْراق الرَّقّ. ولكن كانوا يُقَطِّعُونها مُسْبَقًا إلى شَرَائِحَ تَبَعًا للأحْجام التي يَرْغَبُون أن يكون عليها المَخْطُوط، ونتيجَةً لذلك فإنَّه يمكن عند الاقْتِضَاء اسْتِخْدامُ جِلْدٍ واحِدٍ في كُرَّاساتٍ مختلفة، وحتى في مَخطوطاتٍ مختلفة[٢٥]. وبعد ذلك تُجْمَعُ الشَّرَائِحُ ذات القَطْعِ الوَاحِد، في الأغلب خمس شَرَائح، وتُرَصُّ على الوَضْع نفسه ثم تُطْوى من وَسَطِها بحيث تُكَوِّن كُرَّاسًا[٢٦].

توالي جانبي الرَّقّ: افْتِراضية

تَخْتَلِفُ هذه الطَّريقَة عن الطَّريقَة التي كانت تُسْتَخْدَم عادةً في الغَرْب والمَوْصُوفَة في قاعِدَة جريجوري Gregory: ففي هذه الطَّريقَة، كما رأينا، يَتَواجَه جَانِبَا اللَّحْم لكُرَّاسٍ من الرَّقّ، وكذلك جانبا الشَّعْر. فهل جَدَّدَ الصُّنَّاعُ المسلمون أم أنَّ مُمارَسَتَهم تَنْدَرِجُ تحت تَقْليدٍ آخر؟ يمكن أن تكون صِناعَةُ كُرَّاسِ البَرْدي أحَدَ عَناصِر الإجَابَة. فقد لاحَظْنا في الواقِع أنَّه لصِناعَة كُرَّاسٍ من البَرْدي كانت لُفافَةُ البَرْدي تُقَطَّع إلى شَرائِح من الحَجْم نفسه يُضَافُ بعضُها إلى بعض، بحيث تكون ألْيافُها الأُفُقية إلى أعلى، ويُجْمَع بهذه الطَّريقَة العَدَدُ المَطْلوب من الشَّرائِح، ثم تُطْوى هذه الكَمِّيَّة نِصْفين من وَسَطِها فنَحْصُل بذلك على كُرَّاسٍ تكون فيه بطريقةٍ منتظمة صفحةٌ ذات

---

٢٤. «مجموع صفحتين متقابلتين، وتتشكل إحداهما من ظهر ورقة والأخرى من وجه الورقة التالية» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 92).

٢٥. انظر فيما يلي حالة مخطوط باريس رقم BnF arabe 5935.

٢٦. يطلق على الكراسة الناتجة من هذه الطريقة كراسة مركبة «تتكون من العديد من الأوراق المطوية بطريقة منفصلة أو معًا» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 95) بالتقابل مع الكراسات «المتجانسة» «التي نتجت أوراقها المزدوجة عن طريق طي الفرخ الوحيد نفسه».

ألْيافٍ رأسية في مُوَاجَهة صفحةٍ ذاتِ ألْيافٍ أُفُقِيَّة، فيما عَدَا، بالطَّبْع، الصَّفْحتان المُتقابِلتان الواقِعتان في منتصف الكُرَّاس[٢٧]. وعند هذا الحَدِّ قد يُغْري الأمْرُ بتَعْليل تتالي/ جَوَانِب الشَّعْر دَاخِل كُرَّاساتِ المَخْطُوطات التي قُمْنا بوَصْفِها بالإحالَة إلى تَجْميع أوْراقِ البَرْدي المُزْدَوَجَة في أثناء تَقْطيع لُفافَة البَرْدي[٢٨]؛ أمَّا شَكْل المجموعات الخُماسية التي نُقابلها أحيانًا في كُرَّاساتِ البَرْدي فيُمكن شَرْحُه بالسُّهُولَة التي يُظْهِرها من النَّاحية العَدَدية[٢٩]. ونُلاحِظ في النِّهاية أنَّ هذه الطَّريقة في إعْدادِ الكُرَّاسات يبدو أنَّها كانت معروفةً في أقْدَم المَخْطُوطات السُّرْيانية[٣٠].

84

الأوْراقُ المُزْدَوَجَة والأوْراقُ المُسْتَقِلَّة

إن تَتَالي جانبي الرَّقّ في الكراريس الخُماسية لا يُعَدُّ الأصَالَة الوَحيدة لمَصَاحِف هاتين المجموعتين. فاسْتِخْدَامُ الجُلُود فيهما أيْضًا هو كذلك خاصٌّ جِدًّا: فبفَحْصِ الكُرَّاسات نَلْحَظُ وُجُود العَديد من الأعْقَاب وذلك منذ تأريخٍ مُبَكِّرٍ بما أنَّ قطعة المُصْحَف المكتوبة بالخَطِّ «الحِجازي» والمحفوظة في باريس برقم BnF ar. 328a تَشْتَمِل

---

٢٧. انظر على سبيل المثال: J. Robinson, «Codicological analysis of Nag Hammadi Codices V and VI and Papyrus Berolinensis 8502», *Nag Hammadi Studies* X, Leyde, 1979, p. 14- 15; A. Wouters, «From papyrus roll to papyrus codex, Some technical aspects of the ancient book fabrication», *MME* 5 (1990-1991), p. 12.

٢٨. توجد مع ذلك كراساتٌ من البردي كانت مطابقة، فيما يَخُصُّ الألْياف، لقاعدة جريجوري. انظر: V. Martin, *Papyrus Bodmer 2, Evangile de Jean ch. I-XIV* [Bibliotheca Bodmeriana 5], Cologny-Genève, 1956).

٢٩. ليس من المؤكد أنَّه كان هناك إجماعٌ حول تركيب لفائف البردي: فأحيانًا ما يذكر عدد العشرين ورقة الملصقة طرفًا لطرف تبعًا لبلينوس الأرشد، ولكن ذلك لا يشكل قاعدة؛ ولا يبدو لنا ضروريا أن نبحث في هذا الاتجاه عن أصل الخماسيات طالما أن تقطيع اللفافة يتم في معزل عن «المفاصل» (باليونانية *kollesis*) ما بين الأوراق (باليونانية، *kollema*).

٣٠. مثلا مخطوط باريس رقم BnF syriaque 27 والذي نسخ قبل سنة ٧٢٠هـ، ووُجِدَت قبل سنة ٦٤٠هـ كراسات من ثمان ورقات أو من عشرة أوراق معًا، بل وجدت أيضًا بعد هذا التاريخ (راجع: W.H.P. Hatch, *An album of dated Syriac manuscripts*, Boston, 1946, p. 23; M. Mundell Mango, «The production of Syriac manuscripts, 400-700 AD», *Scrittura, libri e testi nelle aree provinciali di Bisanzio*, G. Cavallo, G. de Gregorio et M. Maniaci éd., I [Biblioteca del «Centro per il colegamento degli studi medievali e umanistici nell'Università di Perugia», 5], Spoleto, 1991, p. 163).

على وَرَقَةٍ (ورقة ١٧) تنتهي بعَقِب. وبالبَحْثِ تَبَيَّنَ لنا أنَّ وُجودَ هذه الأعْقَاب ليس دَليلًا مُنْتَظمًا على ضَياعِ جزءٍ من النَّصِّ، ولكن على تَقْليدٍ ذائِعْ إلى أبْعَد حَدٍّ قائِم على إدْماج أوْراقٍ مُزْدَوَجة مُسْتَقِلَّة في الكُرَّاسات كـ «بَدَائِل» لأوْراقٍ مُزْدَوَجة أصْلية بتماثُلٍ مع الخِياطَة. ويَتَراوَحُ عَدَدُ هذه الأعْقاب دَاخِل الكُرَّاسات الخُماسية من عَقِبَيْن إلى ثمانية وحتى عشرة أعْقاب! وسَمَحَت دِرَاسَةٌ مُعَمَّقَة لسِلْسِلَة من المَخْطُوطات التي تُشَكِّلُ مجموعةً مُتجانِسَةً من حيث الخَطّ وطريقة التَّصْنيع (كوديكولوجيًّا) أن نُبَرْهن على أنَّ رُبْع عَدَدِ الكراريس الخُماسية كان يتكوَّن من خمس أوْراقٍ مُزْدَوَجة [٣١]؛ وفي الحالات الأخرى، كانت الأوْراقُ المُسْتَقِلَّة تُوَزَّعُ بطريقةٍ مُتَماثِلَة داخِل الكُرَّاسات كبدائل للأوْراق التي كانت موجودةً في هذا المَوْضِع. بالإجْمال، فإنَّ أربعين بالمائة من الكرَّاسات الخُماسية الملاحَظَة تَشْتَمل على إدْخالٍ مُتماثِل لوَرَقتين مُسْتقلَّتين في أوْضاعٍ مُتَغَيِّرَة بين الأوْراق المُزْدَوَجة، والصِّيغَةُ الأكثر شُيُوعًا هي إدْخالُ ورقتين مُسْتقلَّتين مَوْضِع الورَقتين ٣ و ٨ في الكُرَّاس. وهي حالَةُ خمس وعشرين/ بالمائة تقريبًا من الحالات. وإذا تناوَلنا مَرَّةً أخرى الكُرَّاسَة الثَّانية من مَخْطوطِ باريس رقم BnF Smith - Lesoüef 193 فسوف نُلاحِظُ أيضًا هذه الظَّاهِرَة، بالرَّغم من أنَّ تَرْميمًا تَمَّ في العَصْر العُثْماني قد حَوَّلَ جُزْئِيًّا التَّصَرُّف الأصْلي (شكل ٢١).

II: ل١١ش ع ل١٢ش ل١٣ش ع ل١٤ش ل١٥ش / ش١٦ل ع ش١٧ل ش١٨ل ع ش١٩ل ش٢٠ل

85

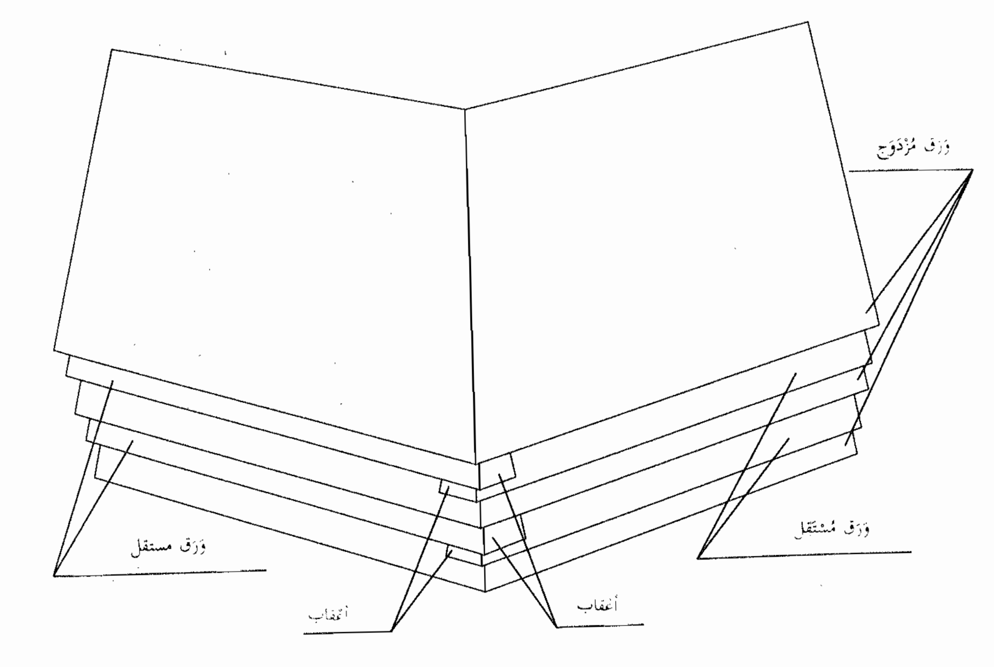
ونجد بكثرة كذلك (حوالي عشرة بالمائة من الحالات) سِتّ أوْراق مُسْتَقِلَّة (أي ثلاث مجموعات من ورقتين) موضوعة بين ورقتين مُزْدَوَجتَيْن. ويبدو أنَّه، في نِطاقِ الممكن، كان صُنَّاعُ الكِتاب يَحرِصُون على أن لا يُعَرِّضُوا صَلابَة الكُرَّاس، وبالتَّالي المَخْطُوط، للخَطَر [٣٢]. ويجب أن نُضيفَ أنَّه تُوجَدُ اسْتِثْناءاتٌ لهذه الطَّريقَة، حيث يكون مجموعُ أوْراق كُرَّاسٍ أقَلّ أو أكثر من عشرٍ وَرَقَات (تسع أو أحد عشر على سبيل المثال) بدون أي سَقْطٍ (خَرْمٍ) في النَّصّ. وكثيرًا ما يَحْدُث أن لا يكون وَضْعُ

---

٣١. F. Déroche, «A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens», *Mss du MO*, p. 107- 108.

٣٢. يجب أن نتمكن من تحديد إذا ما كان وجود عدد مرتفع نسبيا من الأوراق المستقلة ذا تأثير على ثمن المخطوط؛ وكما نعلم فإنَّ هذا الموضوع غامضٌ وسيظل كذلك طالما غابت عنَّا المعطيات الدقيقة.

الأوْراقِ المُسْتَقِلَّة مُتَنَاظِرًا: فتكون مَثَلًا في مَوْضِعِ الوَرقتين ٣ و ٧ من الكُرَّاسِ بدَلًا من ٣ و ٨، ولكن دون الإخْلال بتوزيع نِصْفي الكُرَّاس واحْتِرام التَّسَلْسُل المألُوف لجانبي الرَّقّ.



٢١. كُرَّاسٌ (خُماسي) من الرَّق يتألَّف من ثلاث أوْراق مُزدَوَجةٍ وأربع أوْراق مستقلّة مُرَتَّبة بطريقة مُتماثلة

86

/ وتَظْهَرُ مُصَادَفَةً صِيَغٌ أخرى لتكوين كُرَّاساتِ الرَّقّ. فنجدُ أحْيانًا المجموعات الرُّباعية في مَخْطوطاتٍ مستطيلة الشَّكْل من القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي وفي مَصَاحِفَ ذات شكلٍ رأسي من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي: ومن العَجيب أنَّ ذلك لا يُؤَثِّر على توالي جانبي الرَّقّ الذي يَظَلُّ مُطابِقًا لما سَبَقَ أن ذكرناه، من أنَّ الجانِب الشَّعْري هو الجانب العُلْوي للمَخْطُوط. وهناك بعضُ الحالات المُحَيِّرَة، مثل حالَة مَخْطوطيْ متحف الفُنُون التركية والإسلامية بإستانبول رقمي TIEM 552, 553 (من القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي) المكوَّنَيْن من مجموعاتٍ رُباعية بداخلها وُجُوهُ الأوْراق ١ و٢ و٤ هي الجانب الشَّعْري، بينما جاءَت الوَرَقَة ٣ معكوسَةً ووَجْهُها هو الجانب اللَّحْمي. وتبدو قِطْعَةٌ من مَخْطُوطٍ آخَر من هذه المجموعة، SE 148، وكأنَّها مُكَوَّنَة من مجموعاتٍ خُماسية، رَاعَتْ قاعِدَة

جريجوري Gregory، ولكن جانبها العُلْوي كان أحيانًا شَعْريًّا وأحيانًا لَحْميًّا ؛ وفَضْلًا عن ذلك نجد أنَّ «عارِضًا» قد أثَّر بطريقةٍ مُتواترة على الأوْراق المُزْدَوَجَة ٢ و / أو ٤.

حالَةُ المَغْرِب

ظَلَّ الرَّقُّ في القِسْم الغربي من العالم الإسلامي مُسْتَخْدَمًا زَمَنًا طويلًا ، وعلى الأخَصِّ لنَسْخِ المَصَاحِف . فقد ظَلَّ الرَّقُّ مُحافَظًا عليه في الواقع إلى جانب الوَرَق حتى القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، ورُبَّما حتى القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي . ولا يجب أن يَجْعَلَنا هذا التَّعْبيرُ عن المُحافَظَة نَظُنُّ أنَّ تَصْنِيعَ الرَّقّ قد خَضَعَ للمُمارَسات التي جِئْنا على وَصْفِها ، فعلى العَكْسِ نُلاحِظُ في المجموع أنَّ تتالي جانبي الرَّقّ يَتْبع قاعِدَة جريجوري Gregory، وأنَّه لم تكن هناك حَصْريًّا تَفْضيلاتٌ مُلاحَظَةٌ لصيغَةٍ من صِيَغ تجميع الكُرَّاسات . فلم تكن المجْموعاتُ الخُماسية مجهولة ، حيث نجدها في مَخْطُوطين من مجموعة مكتبة فرنسا الوطنية Bnf رقمي ar. 6090[٣٣] و ar. 6499[٣٤]، ولو أنَّها ليست الصِّيغَة الوحيدة التي نُقابلها فيها . وعند الاقْتضاء ، فإنَّ كُرَّاساتِ الرَّق يمكن أن تكون أكثر أهَمِّيَّة : فتَبْلُغ أوْراقُ المَخْطُوط رقم ar. 6095 حتى أربع عشرة وَرَقَة [٣٥]. واسْتَخْدَمَ النُّسَّاخُ كذلك المجموعات الرُّباعية ، على سبيل المثال في المَخْطُوطات أرْقام باريس BnF ar. 385[٣٦] أو الفاتيكان BAV Ar. 881[٣٧]. وكما

٣٣. E. Blochet, *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions* (1884-1924), Paris, 1925, p. 184; *FiMMOD* 68.

٣٤. *FiMMOD* 65; وانظر أيضًا فيما يلي «الكراسات المختلطة» .

٣٥. *FiMMOD* 16؛ يتكون كل جزء من كراستين : تضم الكراسة الأولى دائما ١٤ ورقة ، في حين أن الكراسة الثانية تضم من ٨ إلى ١٢ ورقة .

٣٦. E. Blochet, *Les enluminures des manuscrits orientaux de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1926, p. 62 -64; Paris 1938, p. 172- 173, nº 109; G. Vajda, *Album de paléographie arabe*, Paris, 1958, pl. 46; Paris 1972, p. 64, nº 172; M. Lings, *The quranic art of calligraphy and illumination*, London, 1976, p. 205 , pl. 104- 105; M. Lings , Y.H. Safadi, London 1976, p. 40, nº 48 , pl. VI; Paris 1977, p. 118, nº 212؛ والشكل F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 31- 32, pl. XIV b.

٣٧. P. Orsatti, «Le manuscrit islamique: caractéristiques matérielles et typologie», *Ancient and medieval book materials and techniques* II, M. Maniaci and P.F. Munafo ed., t. II, p. 297.

87

لاحَظَ باولو/ أورساتي Paola Orsatti[٣٨] فإنَّه يبدو أنَّ المجموعات الثُّلاثية كانت خاصِّية مغربيةً مُتَّصِلَةً باسْتِخْدام الرَّق ؛ الأمْرُ الذي يُمَثِّل تباعُدًا بارزًا بالنِّسْبَة إلى العادات التي أمْكن أن نسْتَخْلصها عن مَصَاحِف الفترة المبكِّرَة . وتَكْثُرُ المجموعاتُ الثُّلاثية في نُسَخِ المَصَاحِف الرَّقِّية الصَّادِرَة عن المَغْرِب الإسلامي : وهكذا ، فإنَّ ثمانية مَصَاحِف محفوظة في مكتبة فرنسا الوطنية تتألَّفُ حَصْرًا - أو بنسبةٍ كبيرة - من مجموعاتٍ ثلاثية [٣٩]. ويتكوَّن مخطوطان غير قرآنيين في مكتبة الفاتيكان مكتوبان على الرَّقّ من كُرَّاساتٍ من هذا النَّمط ، تمامًا مثل ستة مَصَاحِف من المَصَاحِف السَّبْعة في المجموعة [٤٠]. وفي جميع هذه المَخْطُوطات ، سواءً التي في مكتبة فرنسا الوطنية أو التي في مكتبة الفاتيكان ، رُوعيَت قاعِدَةُ جريجوري Gregory كما نُشاهِد ، على سبيل المِثال ، في المجموعات الثُّلاثية للمُصْحَف رقم ar. 395 (المُخْتَلِطَة بأخرى ثُنائية) وكُلٌّ منها جانبه العُلْوي هو الجانب الشَّعْري[٤١] (شكل ٢٢) .

والتَّتالي المُعْتاد في هذا المُصْحَف هو التَّالي :

IV : ل١٩ش ل٢٠ش ش٢١ل / ل٢٢ش ش٢٣ل ش٢٤ل

88

/ وهذا الخُرُوجُ على القِياس يجد تَفْسيره سَريعًا : فالأوْراقُ المُزْدَوَجَة من ٢٠-٢٣ و٢١-٢٢ قُلِبَت عند تَجْليد النُّسْخَة . ويُظْهِرُ فَحْصُ المجموعات الثُّنائية لهذا المَخْطُوط نفسه أنَّ الكُرَّاسَة العاشِرَة (X) مُنْتَظِمَة وكاملة ؛ وبالمقابِل فإنَّ الكُرَّاسَة الثَّالِثة عشرة (XIII) كانت ثُلاثيَّة في الأصْل فُقِدَت منها الوَرَقَةُ المُزْدَوَجَة الثَّانية ، كما يُثْبته على الفَوْر فَحْصُ تتالي الرَّقّ .

XII: ل٦٩ش ل٧٠ش / ش٧١ل ش٧٢ل (الآيات ٢٣ - ٤٨، ٦٥ - ٧٧ / ٧٧ - ٨٩، ١٠٢ - ١١٦ من سورة إبراهيم على التوالي) .

٣٨. *Ibid.*, p. 298. وتوجد ملاحظةٌ مماثلة عند (F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 14) . ويوجد تقارُبٌ حول هذه النقطة مع المخطوطات العبرية الإسبانية : فتبعًا لـ . م. بيت آريه M. Beit-Arié تتكون ثمانية مخطوطات نُسِخَت ما بين سنتي ١١٩٧ و١٣٠٠م أساسا في طُلَيْطِلَة ، من ثلاثيات (*Hebrew codicology*, Paris, 1976, p. 43) .

٣٩. مخطوطات باريس أرقام BnF arabe 386, 388, 395, 423, 5935; Smith- Lesouëf 194 , 202.

٤٠. مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 310 و Vat. arab. 210, Barb. or. 46؛ وكذلك المصاحف Borg. arab. 51 , 211, 212, 213, 215. (انظر P. Orsatti, *op. cit.*, p. 297-298) .

٤١. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 32- 33, nº 298.

٢٢. أُنْموذَج لكُرّاس رَقّي ثلاثي مُسْتَخْدَم في الغَرْب الإسلامي

ويُصَوِّرُ هذا الأُنْموذَج كيف يُمْكِن أن يُعينَ الفَحْصُ المُتَأنّي للتكوين المادي للكُرّاسات على العُثُور على خُرُومٍ (أسْقاط) في النَّصّ.

ويُقَدِّمُ مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 5935، وهو أكثر انْتِظامًا من المخطوط السَّابق، المُمَيّزات نفسها [٤٢]، ويَكْمُن شُذُوذُه الوحيد في الكُرّاسَة الأخيرة، خُماسية التَّكْوين، حيث يَتَطَابَقُ فيها تَوالي جانبي الرَّقّ مع قاعِدَة جريجوري Gregory. ويبدو أنَّ هذه الخُصُوصية ليست نتيجةً لتَجْديدٍ مُتأخِّر، كما يُوَضِّحه مخطوطُ الفاتيكان رقم BAV Vat. arabe 310 الذي يَرْجِع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي [٤٣].

وراعَت المَجْمُوعاتُ الخماسية لمَخْطوطين آخرين من مجموعة مكتبة فرنسا الوطنية BnF رقم ar. 6090 [٤٤] و ar. 6499 [٤٥]، وكلاهُما نُسِخَ في الأنْدَلُس، في العُمُوم هذه القاعِدَة وتُظْهِرُ في أغْلبها صَفَحات مُتقابِلَة يتقابَل فيها جانبان من الطَّبيعَة نفسها.

٤٢. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 34- 35, nº 302 et pl. XIVa.

٤٣. G. Levi della Vida, *Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana, Vaticani- Barberiani- Borgiani- Rossiani* [Studi e testi 67], Città del Vaticano, 1935, p. 26; P. Orsatti, *op. cit.*, p. 297.

٤٤. انظر هـ [٣٣].

٤٥. انظر هـ [٣٤] وفيما يلي.

ومع ذلك فإنَّ هذا لا يعني أنَّ الكراريسَ ناتِجَةٌ عن الطَّيّ مثل كُرّاسات المَخْطوطات الغربية التي أتَيْنا على ذكرها في البِداية. فعلى سبيل المثال، فإنَّ «عُيُوبَ» أوَّلِ ورقتين مُزْدَوجتين من الكُرّاسة الأولى (I) في المخطوط رقم ar. 6090، أو أيضًا في أوَّل الكُرّاسَة الثَّالثة عشرة (XIII) (ورقة ١٣٠-١٣٢) للمَخْطُوط رقم ar. 6499، تَجْعَلنا نَعْتَقِد أنَّها ليست نتيجة الطَّيّ. ويبدو لنا ذلك مُؤكَّدًا بالغَرَابة البادية في الأوْراق المُزْدَوَجة المُتداخلة في تكوين الكُرّاسَة نفسها. لقد أشَرْنا سالِفًا إلى وُجُودِ بقايا لجُذُورِ الشَّعْر في عَدَدٍ من أوْراقِ مخطوطي باريس رقم ar. 5935 و ar. 6090، وتُعَزِّزُ طَريقَةُ التَّوْزيع العَشْوائي لأوْراقِ هذين المَخْطُوطَيْن، وصُعُوبَة أن نَجِدَ ورقتين مُزدوجتين مَصْدَرهما جِلْدٌ وَاحِد ـ أن الرَّقّ كان قد قُطِّعَ مُسْبَقًا، وأنَّ الشَّرائِحَ النَّاتجة جُمِعَت لتكوين الكُرّاسات دون أي اعْتبارٍ لمَصْدَرِها [٤٦].

/ الكُرَّاسَاتُ المُخْتَلِطَة

89

المَزْجُ بين الرَّقّ والوَرَق

ثمة عِناصِر عَديدَة تُعَضِّدُ أنَّ فكرة قُوَّة تَحَمُّل الرَّقّ كان يُنْظَرُ إليها بتَقْديرٍ كبير. ففي الفَتْرَة التي تَوَاجَدَ فيها الرَّقُّ مع البَرْدي مَزَجَ صُنّاعُ الكِتاب بالمناسبة المادَّتين معًا لأجْلِ زيادة مُقاوَمَة البَرْدي: وتَرْجِعُ إلى هذه الفَتْرَة النَّماذِجُ الأولى لـ«كُرّاسات المُخْتَلِطَة» التي تكون فيها الوَرَقَةُ المُزْدَوَجة الخارجية، وأحْيانًا أيضًا الوَرَقَة المُزْدَوَجة الوُسْطى، من الرَّقّ لحماية الأوْراق المُزْدَوَجة للبَرْدي [٤٧]. وعندما بَدَأ الوَرَقُ في المُنافَسَة القوية للمادَّتين التَّقْليديتين لصِناعَة الكتاب، ظَهَرَ مَوْقِفان لدى النُّسَّاخ ـ أو المُسْتَكتبين ـ الذين تَمَنَّوا ضَمانَ دَوام المَخْطُوطات. تَمَثَّلَ الأوَّلُ في اخْتيار النُّصُوصِ التي تُكْتَب على الرَّقّ، هذه المادَّة المُكَلِّفَة دون شك: وغالِبًا ما كان يقع الاخْتيارُ على كِتابة المَصَاحِف. وتَمَثَّلَ الحَلُّ

٤٦. من المؤسف أن المخطوطات الرَّقِّية في القيروان ـ وعلى الأخص ذات الطابع الفقهي ـ لم تكن موضوعا لدراسة كوديكولوجية؛ فمثل هذه الدِّراسة قد تُظْهِرُ إلى النور بعض الخصائص الإقليمية.

٤٧. B. Bischoff, *La paléographie de l'Antiquité romaine et du Moyen Age occidental*, Paris, 1985, p. 15.

الثَّاني في مَزْجِ الوَرَقِ مع الرَّقّ مثلما كان الحالُ مع البَرْدي . وبذلك فإنَّهم يُحافِظون على مُقاوَمَة الرَّقّ في الأماكن الأكثر نَفْعًا مع الاستفادة من مَيْزَة رُخْصِ الوَرَق باستخدامه في المواضع غير الظَّاهِرَة . وهكذا ظَهَرَت الكُرَّاساتُ المُخْتَلَطَة المُكَوَّنَة من الوَرَقِ والرَّقّ .

وقَبْل أن نَدْرُس مَخْطُوطَيْن اسْتُخْدِم فيهما الوَرَقُ والرَّقُّ مَعًا ، نَتَذَكَّرُ تِقْنِيةً ـ أشَرْنا إليها فيما سَلَف تقوم على إدْخالِ «واقٍ» بين سِلْكِ الخياطَة والوَرَقَة المُزْدَوَجَة الوُسْطى ـ تَهْدِفُ إلى تَدارُكِ التَّمْزيق[٤٨] . ويَقِفُ مَخْطُوطُ برلين رقم SB Sprenger 517 شَاهِدًا على هذه المُمارَسَة في العالَم الإسلامي[٤٩] .

أُنْموذَجان

تَسْمَحُ الكُرَّاساتُ المُخْتَلَطَة بإطالَةِ فَتْرَة بَقاءِ المَخْطُوطات مع خَفْضِ ثَمَنها بفَضْلِ اسْتِخْدام الوَرَق[٥٠] : ويُعَدُّ مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 6499 الذي نَسَخَه في الأَنْدَلُس ـ رُبَّما في إشْبيلية ـ / سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م ، عليُّ بن محمد بن خَرُوف النَّحوي أُنْمُوذَجًا مُتَمَيِّزًا لهذه الطَّريقة[٥١] . إنَّه أَحَدُ أَقْدَم شَواهِدِ الجَمْع بين الوَرَقِ

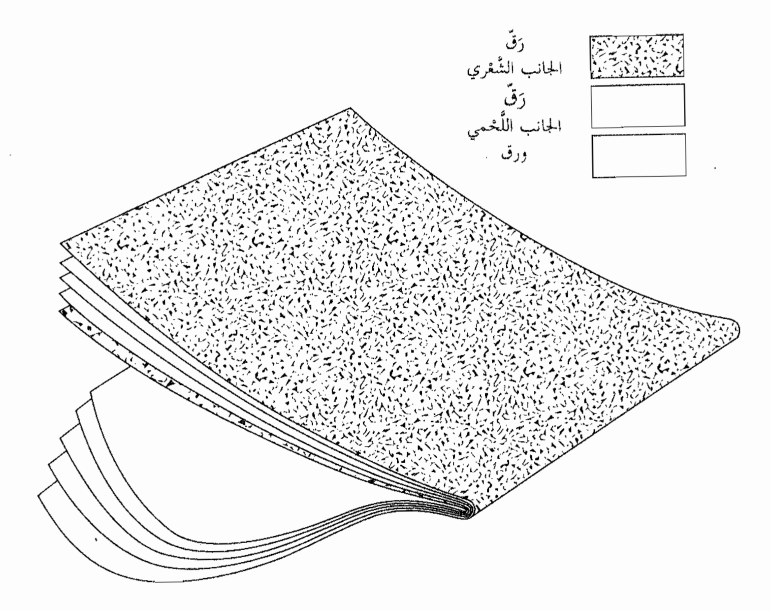
٤٨ . ـ أشار ريد سريعًا إلى هذا الاستعمال (Ancient skins, parchments and leathers, p. 5) . ونجد له مثالا عند : V. Scheil, *Deux traités de Philon* [Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire, IX/2], Paris, 1893, p. 7.

٤٩ . انظر أعلاه ، وهـ [٩] ، ومخطوط متحف الفن الإسلامي برقادة رقم Rutbi 247 ، المؤرخ سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م أنموذج مُبَكِّر على ذلك .

٥٠ . كما سبقت الاشارة إلى ذلك ، فإننا للأسف لا نتوفر على عناصر لتحديد ثمن صناعة المخطوطات ؛ ونود أن نعرف على الأخصّ تأثير استعمال الورق على ثمنه وما إذا كان دالا أو هامشيا. وقد كان هناك جمع مشابه ما بين البردي والرق ، في فترة قديمة .

٥١ . انظر FiMMOD 65; G. Humbert, «Remarques sur les éditions du *Kitâb* de Sîbawayhi et leur base manuscrite», عند K. Versteegh et M.G. Carter ed., *Studies in the History of Arabic Grammar*, II [Studies in the history of the language sciences, 56], Amsterdam - Philadelphia, 1990, p. 185. وترجع أقدم الشواهد على هذا النوع من الكراسات بالنسبة للمخطوطات العبرية إلى سنة ١٢١٢ ؛ فقد وجدت هذه الطريقة أساسا في الجزيرة الأيبرية ، وفي إيطاليا وفي الإمبراطورية البيزنطية (M. Beit-Arié, *op. cit.*, p. 37-39) . وبالنسبة لإسبانيا ، فإن أمثلة معجم مصطلحات ليدن *Glossaire de Leyde* (مخطوط ليدن رقم BRU Or. 231) ، ومعجم مصطلحات سيلوس *Glossaire de Silos* (مخطوط باريس رقم BnF NAL 1296 ، من =

والرَّقّ ، التي سُعِيَ فيها لالْتِماسِ الصَّلابَة في اتِّجاهَيْن : فالكُرَّاساتُ الثَّلاثَة الأولى للمَخْطُوط (ورقة ١ـ٢٥) ، وكذلك الكُرَّاساتُ الثَّلاثَة الأخيرة (ورقة ١٣٠ـ١٦٥) مُكَوَّنَة بأكملها من الرَّقّ ، لأنَّها أكثر أجزاء الكِتابِ تَعَرُّضًا للعَوامِلِ المُخْتَلِفة . وتَكَوَّنت بَقِيَّةُ الكُرَّاسات من وَرَقَةٍ خارجية مُزدَوَجَة من الرَّقّ يأتي بعدها ثلاثُ أو أربعُ أوْراقٍ مُزْدَوَجَة من الوَرَق تُغَطِّي وَرَقَةٌ مُزْدَوَجَةٌ أخيرة من الرَّقّ تحتلُّ وَسَط الكُرَّاس . وهكذا ، فإنَّ الكُرَّاسات الواقِعَة بين الأوْراق ٢٦ و ١٢٩ تتمتَّع بحمايةٍ مُزْدَوَجَة ، تلك التي تَمْنَحها لها من جهة كُرَّاساتُ الرَّقّ للأوْراق من ١ إلى ٢٥ ومن ١٣٠ إلى ١٦٥ ، ومن جهة أخرى تلك التي تَضْمَنُها لها الوَرقتان المُزْدَوَجتان اللَّتان تَحْتَضِنان رِزْمَة الصَّحائف الوَرقية[٥٢] (شكل ٢٣) .



٢٣ . كُرَّاس مُخْتَلَط (وَرَق وبَرْدي)

= القرن التاسع الميلادي) أمثلة دالة كليةً على استخدامات ذلك العصر : (انظر P.S. Van Koningsveld, *op. cit.*, p. 22-25) . ودلنا فيزان Vezin أيضًا على مخطوط Silos (في أسبانيا) رقم (E) 6 كتاب صَلَوات (انظر I. Fernandez de la Cuesta, El «Breviarium gothicum' de Silos», *Hispania sacra* 17 (1964), p. 393-494) .

٥٢ . يوجد عدم انتظام قرب النهاية : فالكراس الحادي عشر (ص ١٠٦ ـ ١١٥) كلُّه من الرق ؛ والكراس الثاني عشر يضم في وَسَطه ورقتين من الرق (ص ١٢١ ـ ١٢٤) . ولاحَظَ مراد الرَّمّاح استخدام الكرَّاسات المُخْتَلَطَة منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في القيروان (مخطوط متحف الفن الإسلامي برَقَّادة Rutbi 247 ، الذي يرجع إلى سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م) .

91 / ويُوجَدُ مَخْطُوطٌ آخَر يَجْمعُ كذلك بين الرَّقّ والوَرَق ، هو مَخطوط باريس رقم BnF ar. 2547، وهو عبارَة عن مجموعة رَسائِل في الفَلَك نُسِخَ أغْلَبُها في دِمَشْق ، سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢-١٥٧٣م[٥٣]، وجُلِّدَ المَخْطُوطُ ، في القرن التاسع عشر الميلادي ، بجِلْدَةٍ غربية الطِّراز عليها عَلامَةُ لويس فيليب . ومُعْظَمُ كراريس هذا المَخْطُوط خُماسية ، تشتمل خمسة منها على أوْراقٍ من الرَّقّ مختلطة بصحائِف وَرَقية مصبوغة أحيانًا . وأوَّلُ هذه الكُرَّاسات (الكُرَّاس الثاني عشر XII، ورقة ٩٢-٩٩) غير مُنْتَظِم وناقِص وبه ورَقَتان مُزْدَوَجتان مُسْتَقِلَّتان من الرَّقّ (ورقة ٩٧ و ٩٩) موضوعتان في النِّصْف الثَّاني للكُرَّاس في وَضْعٍ مُتماثِل ، يكون فيها الجانِبُ الشَّعْري هو الوَجْه . ويشمل الكُرَّاسُ الثَّاني (الكُرَّاسُ الثَّالِث عشر XIII، ورقة ١٠٠-١٠٥) على أربع أوْراق من الرَّقّ (ورقة ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٩ و ١١١) ، عبارَة عن وَرَقتين مُزْدَوَجتين وُضِعتا بطريقةٍ مختلفة (وَجْهُ الوَرقة ١٠٤ هو الجانب الشَّعْري بينما وَجْهُ الوَرَقة ١٠٦ هو الجانب اللَّحْمي) . أمَّا الكُرَّاسُ الثَّالِث (الكُرَّاسُ الخامس عشر XV، من ورقة ١٢٨ إلى ١٣٤) فمُشَوَّه ، فهو يحتوي على ثَلاثِ أوْراق من الرَّقّ أولها غير مُتجانِسَة (ورقة ١٢٨ ، وَجهها الجانب الشَّعْري) ، وتُكوِّن الوَرقتان الأُخريان الوَرَقَة المُزْدَوَجَة «المُنَصَّفَة» للكُرَّاس (الوَرَقَة ١٣٣-١٣٤) ووَجْهُها الأوَّل هو الجانب اللَّحْمي . بينما الكُرَّاس الرَّابع (الكُرَّاس الحادي والعشرين XXI، ورقة ١٨٧-١٩٦) مُنْتَظِم : وَرَقته المُزْدَوَجة الخارجية من الرَّقّ ووَجْهُها العُلْوي هو الجانب الشَّعْري . وآخِرُ هذه الكُرَّاسات (الكُرَّاس الثَّالث والعشرين XXIII، ورقة ٢٠٧ - ٢١٦) مُكَوَّنٌ جميعُه من الرَّقّ ، وتَوالي وُجُوه أوْراقه كالتَّالي :

XXII: ل٢٠٧ش ل٢٠٨ش ش٢٠٩ل ش٢١٠ل ل٢١١ش / ش٢١٢ل ل٢١٣ش ل٢١٤ش ش٢١٥ل ش٢١٦ل

٥٣. W. de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes*, Paris, 1883-1895, p. 457-458. وبعض الرسائل أقدم من ذلك قليلًا : محرم سنة ٩٧٧هـ/ يونيو - يوليو سنة ١٥٦٩ (ورقة ١٨٣) ؛ شوال ٩٧٩هـ/ فبراير - مارس سنة ١٥٧٢ (ورقة ١٢) . وهناك مخطوط آخر بلندن (هو مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي رقم 312) استعمل الرق متأخرا ، وقد تمت الإشارة إليه : يتعلق الأمر بمؤلف في التَّبرُّك (الأسماء الحسنى) في شكل دائري ، أُنجز في وسط عثماني ، رُبَّما في القرن السابع عشر ، ويبدو أنه لم يكن على شكل codex بمعنى الكلمة (J.M. Rogers, GENEVE 1995, p. 252, nº 178) .

وكما رأينا ، فإنَّ اسْتِخْدامَ الرَّقّ يَنْقُصه التَّرابُط : باسْتِثْناء الكُرَّاس الحادي والعشرين XXI ورُبَّما الكُرَّاس الخامس عشر XV (في حالته الأصْلية) ، فالرَّقُّ لا يُسْتَخْدَم للحماية الخارجية ، كما أنَّ الطَّريقة التي وُضِع بها تبدو اتِّفاقية ، بالرَّغْم ممَّا يبدو من تَفْضيلٍ نِسْبي لجَعْل وَجه الوَرَق هو الجانب الشَّعْري . ونَوْعِيَّةُ الرَّقّ نفسه تَخْتَلِفُ كثيرًا عن الرَّقّ القديم الذي كان أكثر سَماكة : فهَل أُعيدَ تَصْنيعُه ؟ أو هو إعادَةُ اسْتِخْدام ؟ أسْئِلَةٌ عَديدةٌ تَظَلُّ بلا إجابَة . على كُلِّ حال ، فهذه ليست كراريس مُخْتَلَطَة على نَسَقِ كُرَّاسات مَخْطوطِ باريس رقم BnF ar. 6499، ولكنَّها خَليط . فمَوْضُوعُ المَخْطُوط يميل بالأحْرى إلى مجال «الغَرائب» *Curiosa*: وقد اسْتَخْدَم النَّاسِخُ الرَّقّ لنُدْرَته ، مثلما مالَ إلى اسْتِخْدام الوَرَق المَصْبُوغ ، ولكن ليس بغَرَضِ الإفادة من المقاوَمَة الجَيِّدة للرَّقّ . وحتى تَتَوَفَّر إيضاحاتٌ جديدة ، يكون مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 2547 أحْدَث مَخْطُوطٍ إسْلامي مُؤَرَّخ اسْتُخْدِمَ فيه الرَّقّ .

92 /كُرَّاساتُ المَخْطُوطات الوَرَقية[٥٤]

لم يُغَيِّر الاسْتِخْدامُ المُتزايِد للوَرَق في صِناعَة المَخْطُوطات جِذْريًّا الطَّريقَة التي اتَّبَعَها النُّسَّاخُ . فبَعْضُ الخُصُوصِيَّات التي ذُكِرَت بشأن كُرَّاساتِ الرَّقّ وُجِدَت في كُرَّاساتِ المَخْطُوطات الوَرَقية المكتوبة بالحَرْف العَرَبي ، ويمكن بذلك أن نُطَبِّق عليها بسهولة الوَصْفَ الذي عَرَضْناه آنِفًا .

٥٤. جَمَعَ فرنسيس ريشارد المعطيات المرتبطة بالمخطوطات الفارسية في مكتبة فرنسا الوطنية ، والتي سترد لاحقا ؛ وهي تؤلِّف مادة الملاحظات عن كراسات المخطوطات الورقية ، انظر F. Déroche et F. Richard, «Du parchemin au papier: Remarques sur quelques manuscrits du Proche-Orient», *Recherches de codicologie comparée, La composition du codex au Moyen Age en Orient et en Occident*, Ph. Hoffmann éd., Paris, 1998, p. 192-197.

مُلاحَظاتٌ عامّة

تَظَلُّ الصِّيغَةُ الأكثر اعْتيادًا التي تُقابلنا في كُرّاسات المَخْطوطات الوَرَقية هي الصِّيغَة الخُماسية، ولكن تَواجُد الاحْتمالات الأخرى واردٌ كذلك. وتَتَطَلَّبُ المَخْطوطاتُ فَحْصًا متأنيًا للكُرّاسات التي تُكَوِّنها: وفي بعض الحالات، اسْتُخْدِم النَّمَطُ نفسه بطريقةٍ مُنْسَجِمَة من أوَّلِ المُجَلَّد إلى آخره، الأمْرُ الذي يجعلنا نَفْتَرح عند الاقْتِضاء أنَّه اسْتِخْدامٌ خاصٌّ بمنطقةٍ مُحَدَّدة. وسنُلاحِظُ في مَوْضِعٍ آخَر عَدَمَ انْتظامٍ، يمكن تِكْراره، دون أن يعني ذلك وُجود أسْقاطٍ أو خُروم، أو على العَكْسِ انْتِظامٌ، سواءٌ أكان أثَرَ عَارِضٍ أم اسْتِجابَةً لضَرُورةٍ مُعَيَّنَة: وهذه الحالاتُ التي ذكرناها الآن هي التي سنبدأ بمُناقَشَتِها. فغالبًا ما تُمَثِّل كُرّاساتُ بِدايَة المَخْطوط أو نهايته صِيَغًا «نادِرَة» (ثلاثية أو ثنائية أو وَرَقَة مُزدَوَجة واحدة) أو غير مُنْتَظِمَة (عَدَد فَرْدي من الأوْراق)، كما أنَّه ليس أمْرًا نادِرًا أن تُضافَ وَرَقَةٌ إلى كُرّاسٍ، وحتى تكوين وَرَقَةٍ مُزْدَوَجَةٍ بواسطة ورقتين مُنْفصلتين، كما كان ذلك مُعْتادًا مع الرَّقّ. وفي حالة عَدَم وُجود سَقْط، فهذا يعني غالبًا أنَّه اخْتيارٌ للنَّاسِخ الذي بَحَث عن حَلٍّ يُوافِق احْتياجات عَمَلِه أو اقْتِصادًا في الوَرَق.

وحتى في النُّسَخ التي يَبْدُو أنَّها اتَّبعَت صِيغَةً ما بشَكْلٍ دقيق، قد يَحْدُثُ أن نُقابلَ كُرّاسًا «ضالًّا»، على سبيل المثال كُرّاسًا خُماسيًّا في وَسَطِ كراريس رُباعية. وأحْيانًا أنْماطًا مختلفة من الكُرّاسات الضَّالَّة في مَخْطُوطٍ واحِد: وهذه الطَّريقَةُ في الصُّنْع نادِرَةٌ نسبيًّا ونَراها في كتاب «كَشْف الأسْرار في شَرْحِ أُصُول البَزْدَوي» نُسْخَة مكتبة طَشْقَنْد رقم IOB 3106 المَنْسُوخَة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م[٥٥]، حيث تَتَعاقَبُ فيها كُرّاساتٌ رُباعية وخُماسية، وفي قِسمٍ من مَخْطُوط Liège ببلجيكا رقم BU 5086، المَنْسُوخ سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م[٥٦]، والذي يَتَعاقَبُ فيه كُرّاساتٌ ثُنائية وثُلاثية. /

وبالرَّغم من أنَّ النُّسَّاخَ يَنْزِعون، على العُمُوم، إلى الاحْتِفاظ بنَمَطٍ وحيدٍ للكُرّاس،

٥٥. FiMMOD 253. وفي مخطوط باريس رقم BnF persan 12، تتناوب الرباعيات والخماسيات أيضًا (F. Richard, *Cat.* I, p. 39-40).

٥٦. *FiMMOD* 69.

فيما عَدَا التَّحَوُّلات التي تَفْرِضُها عليهم أحيانًا الظُّروف، فهناك مَخْطوطاتٌ يبدو أنَّ كُرّاساتها لم تُعِر ذلك انْتِباهًا: نَذْكُر من بينها حالة مَخْطُوط بولونيا رقم BU 3147، المَنْسُوخ سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م[٥٧]؛ ومَخْطُوط جنيف رقم B. Bodmer ms. 522، الذي رُبَّما كُتِبَ في شيراز سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[٥٨]؛ ومخطوط لاله لي بالسُّليمانية بإستانبول رقم ٨٠٣ والمُؤَرَّخ سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م[٥٩]؛ ومخطوطات مكتبة فرنسا الوطنية بباريس رقم BnF ar. 2947، المُؤَرَّخ سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م[٦٠]، ورقم ar. 3481 الذي تَمَّ كِتابَةً في المَوْصِل سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م[٦١]، ورقم ar. 5923 المُؤَرَّخ سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م[٦٢]، ورقم supplément persan 113 المَنْسُوخ بالقِرَم سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م[٦٣].

طَريقَةُ صِناعَة الكُرّاسات الوَرَقية

تَكْشِفُ طَريقَةُ صِناعَة الكُرّاسات عن كيفيَّة اسْتِخْدام الوَرَق: فكانت الأوْراقُ المُزْدَوَجَة تُقَطَّعُ مُسْبقًا بالحَجْم المَطْلُوب، ثم تُجَمَّع بعد ذلك، غالبًا كلَّ أربع أو خمس وَرَقات مَعًا، وتُطْوى نِصْفَيْن. ووُجِدَت أوْراقٌ مَصْبُوغَةٌ في المَخْطُوطات منذ القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي: هكذا نُقابِلُ وَرَقَةً مُزْدَوَجَةً مَصْبُوغَةً باللَّوْن الوَرْدي داخل كُرّاسٍ خُماسي، ونُقابل في القرنين التَّاسع والعاشِر للهجرة/ الخامس عشر والسَّادس عشر للميلاد أوْراقًا بَيْضاء ومَصْبوغة ومُجَزَّعَة ومُزَيَّنَة تتناوَبُ فيما بينها، ويَسْتَلْزِم ذلك بالطَّبْع تَقْطيعًا مُسْبقًا للأوْراق وتَجْميعًا لها حَسَبَ رَغْبَة ناسِخ الأوْراق المُزْدَوَجَة المُعَدَّة بهذه الطَّريقة. وأحْيانًا تُؤكد مُلاحَظَة اتِّجاه الخُطُوط المُمَدَّدة (الأسْلاك النُّحاسية) كذلك هذه المُلاحَظات. أمَّا دَشْتُ الوَرَق النَّاتِج عن عَمَلية التَّقْطيع، فكان يُشَكِّلُ شَرائِح صغيرة كانت تُسْتَخْدَم عادَةً لتَسْجيل الحِسابات أو الوَصْفات الصَّيدلانية... إلخ.

٥٧. *FiMMOD* 221.

٥٨. *FiMMOD* 177.

٥٩. *FiMMOD* 137.

٦٠. *FiMMOD* 24.

٦١. *FiMMOD* 147.

٦٢. *FiMMOD* 29.

٦٣. *FiMMOD* 116.

أنماطُ الكُرّاسات واسْتِخْداماتُها : لَمْحَةٌ تاريخية

تُعَدُّ صِيَغُ الكُرّاسات الخُماسية، على البُعْد، هي الصِّيَغُ الأكثر شُيوعًا في المَخْطُوطات العربية الإسلامية : فنحو ٧٠٪ من المَخْطُوطات المَنْشُورة حتى سنة ٢٠٠١ في الـ*FiMMOD* (قائمة مَخْطُوطات الشَّرْق الأوْسَط المُؤَرَّخة) يتكوَّن أغلبُها من كُرّاساتٍ ذات عشرة أوراق [٦٤]. ووُجِدَت أنماطٌ أخرى مختلفة ولكنَّها ذات أهَمِّيَّة مُتفاوِتة. وعَدَدُ الكُرّاسات السُّداسية مُرْتفعٌ نِسْبيًّا، فعَدَدُها الإجمالي بين القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي (تاريخ كتابة مخطوط باريس رقم BnF ar. 2457 ورقة ١ـ ١٩١، المكتوب في شيراز سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م)[٦٥] ونهاية القرن التّاسع الهجري/ الخامِس عشر الميلادي (تاريخ كتابة مخطوط البودْليانا بأكسفورد رقم ms. Pococke 270، المكتوب بدمَشْق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨٢م)[٦٦] ثلاثة عشر مَخْطُوطًا. ومَصْدَرُ هذه المَخْطُوطات، إذا كان معروفًا أو / إن أمكن تحديده، مُتَنَوِّعٌ للغاية : سَمَرْقَنْد[٦٧]، وشيراز[٦٨]، ودِمَشْق[٦٩]، وربما إيران[٧٠]، ومَكَّة[٧١]، واليمن[٧٢]. ويرجعُ تأريخُ تسعة من هذه المَخْطُوطات إلى القرنين السّادس والسّابع للهجرة / الثّاني عشر والثّالِث عشر للميلاد[٧٣].

٦٤. يبدو أنَّ الكراسات الخماسية كانت هي القاعدَة في المخطوطات السُّريانية والصُّغْدية لآسيا الوسطى في فترة الفتح الإسلامي.

٦٥. *FiMMOD* 12.

٦٦. *FiMMOD* 228.

٦٧. مخطوط طشقند رقم IOT 3907/I المنسوخ في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م؛ ورقم 3102، المنسوخ في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م (*FiMMOD* 249 و *FiMMOD* 247).

٦٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1499 (*FiMMOD* 12).

٦٩. مخطوط البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Libr.ms.Pococke 270 (*FiMMOD* 228).

٧٠. مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat.arab.1023 والمنسوخ في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م (*FiMMOD* 87) ويجب أن نضيف إليه مخطوطين فارسيين، باريس رقم BnF persan 139 ورقم suppl.persan 1793، واللذين سنتحدث عنهما لاحقا.

٧١. مخطوط شهيد علي بالسليمانية بإستانبول رقم 1878 المنسوخ في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م (*FiMMOD* 138).

٧٢. مخطوط الفاتيكان رقم BAV 1071 Vat.arab. المنسوخ في سنة ٦١١هـ/١٢١٤م، ومخطوط BAV Vat.arab. 1026 المنسوخ في سنة ٦٢٥هـ/١٢٨٨م (*FiMMOD* 88, 83 , 81).

٧٣. ويجب أن نضيف إلى ذلك أربعة مخطوطات لا يعرف مكان نسخها، يعود أحدها إلى القرن الخامس =

وتَظْهَرُ بالمُصادَفَة كذلك كُرّاساتٌ تَشْتَمِلُ على عَدَدٍ أكبر من الأوْراق. أربع عشرة ورقة ـ في مَخْطُوطي چنيف رقمي B. Bodmer 527[٧٤] و 523[٧٥] ـ وستّ عشرة ورقة ـ كما يبدو في مَخْطُوطين من القرن السّادس الهجري / الثّاني عشر الميلادي[٧٦] وفي مَخْطوطٍ ثالث متأخر جدًّا[٧٧]. ونُشير أخيرًا لنَخْتم هذا الحديث إلى مَخْطُوطَيْن آخرين بَلَغ عَدَدُ أوْراقِ كُرّاستيهما عشرين وَرَقة، أحَدُهما أقْدَمُ مَخْطوطٍ مكتوبٍ على الوَرَق، مَخْطوط لَيْدن رقم BRU Or. 298، وتأريخه سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م، والثّاني مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 5044، والمكتوب في حَرّان سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٧٨].

أمّا الكُرّاساتُ الرُّباعية فكثيرةٌ نِسْبيًّا، وتكفي على كُلِّ حال لنَسْتَخْلِصَ منها بعض الاتِّجاهات : فنجد أنَّ إيران ودائرة نُفُوذها يُفَضِّلان هذه الصِّيغَة. وتُظْهِرُ دِرَاسَةُ مجموعة من المَخْطُوطات الفارسية[٧٩]، وإنْ كان بينها ما نُسِخَ في آسيا الصُّغْرى والهِنْد وآسيا الوُسْطَى، بالنسبة للفَتْرَة الممتدَّة من القرن السّابع الهجري / الثّالث عشر الميلادي وإلى القرن العشر الهجري / السّادِس عشر الميلادي بعضَ التَّوَجُّهات التي تَسْتَحِقُّ التَّسْجيل. فخلال الفترة السّابقة على ذلك كانت الكُرّاساتُ ذات الثمانية أوْراق مُسْتَخْدَمَة، كما تُوَضِّحُه العَديدُ من النُّسَخ التي تَرْجِعُ إلى القرنين الخامس والسّادِس

= الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ليدن رقم BRU Or. 704، والمنسوخ في سنة ٤٠٤هـ/١٠١٤م؛ وباريس رقم BnF arabe 3959، يعود إلى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م؛ وبرلين رقم SB Sprenger 432، والمنسوخ في سنة ٥٣٦هـ/١١٣٨م والرابع بولونيا رقم BU Ms 3014, المؤرخ في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م (*FiMMOD* 213, 22, 190 et 220). وبالمقابل فإننا لا نأخذ في الاعتبار الحالة الخاصة التي يشكلها الجزء الأحادي الكراس من مجموع باريس رقم BnF suppl.turc 986 (انظر أعلاه، وبخصوص مسألة التأريخ، Vajda, *op. cit.*, ولا ذلك الذي أشار إليه فان كونينسفلد P. S. Van Koningsveld. (انظرأعلاه، هـ٧).

٧٤. نسخ في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، ربما في قونية (*FiMMOD* 174).

٧٥. ربما نسخ في شيراز في سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م (*FiMMOD* 178).

٧٦. مخطوط طشقند رقم IOT 3156 والمنسوخ في سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، ومخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 1165، المنسوخ في اليمن في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م (*FiMMOD* 248 و *FiMMOD* 90).

٧٧. مخطوط باريس رقم BnF Arabe 646، بلاد المغرب، جبل أشبطن، سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م (*FiMMOD* 197 و *FiMMOD* 198).

٧٨. *FiMMOD* 217 و *FiMMOD* 15.

٧٩. يتعلق الأمر بـ ٣٨٩ مخطوطًا من الرّصيد القديم لمجموعة المخطوطات الفارسية بمكتبة فرنسا الوطنية : انظر F. Richard, *Cat.* I، ويضاف إلى ذلك بعض مخطوطات الملحق الفارسي : انظر F. Déroche , F. Richard, *op. cit.*

للهجرة/ الحادي عشر والثّاني عشر للميلاد [٨٠]، والتي/ يمكن أن يكون مَصْدَرُ بعضها هو إيران، على سبيل المثال مَخْطُوطيّ لندن رقم BL Add. 7214[٨١] وبرلين رقم SB or. oct. 3538[٨٢].

ونجِدُ الكُرّاسات الخُماسية والرُّباعية كذلك في وَسَطِ مجموعةٍ من ستة عشر مَخْطُوطًا مُؤرَّخَة أو يمكن تأريخُها بالنِّصْف الثّاني للقرن السّابع الهجري/ الثّالِث عشر للميلاد، دون أن يكون اخْتيارُ أحَد هاتين الصِّيغتين راجعًا لشكل هذه المَخْطوطات. وتَشْتَمِل عشرة من بين هذه المَخْطُوطات على كُرّاساتٍ رُباعية [٨٣]، وخمسة على كُرّاساتٍ خُماسية[٨٤] ومَخْطُوط واحد على كُرّاسٍ ثُلاثي [٨٥]؛ وبالإضَافَة إلى ذلك، تُوجَد نُسْخَتان أقْدَم من ذلك: واحِدَة من القرن السّادِس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي [٨٦]، والأخرى ترجع إلى بداية القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي[٨٧] - مُكَوَّنَة كذلك من كُرّاساتٍ رُباعية. وتُوجَد كُرّاساتٌ من هذا النَّمَط في العديد من المَخْطُوطات العربية الصّادِرَة عن الأناضُول أو إيران أو آسيا الوُسْطَى [٨٨].

٨٠. بالنسبة للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وقفنا على المخطوط (FiMMOD 189) رقم ١٤٤ (طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS HS 89، المنسوخ في سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م) و FiMMOD 189 (مخطوط برلين رقم S.B. Or.oct. 2676 نسخ سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م). وبالنسبة للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي يتعلق الأمر بالمخطوط رقم (FiMMOD 186) (مخطوط برلين S.B. Sprenger 1184، نسخ سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م)، و ٨ (باريس BnF arabe 709 ورقة ١ - ٢٧١، نسخ في سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م)، ١٨٧ (برلين S.B. Glaser 101، وربما نسخ في اليمن في سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م)، ٥٢ (مخطوط باريس رقم BnF ar. 6019، نسخ في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م)، ١٠٣ (مخطوط باريس رقم BnF arabe 6019، نسخ في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م) و ٥٦ (مخطوط باريس رقم BnF arabe 5883، ورقة ٣ - ١١٧ و١٢٨ - ١٥٧، نسخ في سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م).

٨١. نسخ في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م (FiMMOD 163).

٨٢. يتعلق الأمر بالأوراق ١ - ٧١، المنسوخة في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م (FiMMOD 191).

٨٣. مخطوطات باريس رقم BnF Persan 75, 82, 87, 121, 133, 136, 380, 384-iv(F.Richard, *Cat.* I, *passim*)؛ إضافة إلى مخطوطات Suppl. persan 1771, 1108, 415. وتتناوب الرباعيات والخماسيات في مخطوط باريس رقم BnF Persan 12 (F. Richard, *Cat.* I, p. 39-40).

٨٤. مخطوطات باريس أرقام Persan 51, 148, 163, 375, 376; F. Richard, *Cat.* I, p. 84, 168, 179-180, 377-380.

٨٥. مخطوط باريس رقم BnF Persan 174 المنسوخ في آسيا الصغرى (أقْسَراي وقيْسَراي F. Richard, *Cat.* I, p. 191-195).

٨٦. مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 1740، الذي لا يعرف مكان نسخه ويعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

٨٧. مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 1610، المنسوخ في أذربيجان.

٨٨. يوجد من بين أحد عشر مخطوطا عربيًا من الفترة =

ونجِدُ من القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي اثنين وعشرين مَخْطوطًا من مَجْموع ثلاثين مَخْطوطٍ فارسي في رصيد مكتبة فرنسا الوطنية نفسه مُكَوَّنَةً من كُرّاساتٍ رُباعية [٨٩]، ولكن مَصادرَها مُتَنَوِّعَةٌ تمامًا: شيراز[٩٠] وأنْدَكان قُرْب فَرْغانة [٩١]، وسَمَرْقَنْد [٩٢]، وقونْية [٩٣]، والقِرْم [٩٤]، والهِنْد [٩٥]. ويَنْطَبِقُ الشّيءُ نفسه على المَخْطُوطات التي تتألّف كُلِّيًا أو جُزئيًا من كُرّاساتٍ خُماسية: وهذه النُّسَخ مَصْدَرُها هَمَدان [٩٦]، ودِمَشْق [٩٧]، وكِرْمان، وكَماخ [٩٨]. ويبدو أنَّ هذين النَّمَطَيْن من الكُرّاسات، الرُّباعية والخُماسية قد تَواجَدا مَعًا في العالم الإسلامي النّاطِق بالفارسية. وبالمقابِل، فإنَّ الكُرّاسات ذات الثّماني الأوْراق بين المَخْطُوطات العربية التي تَرْجع إلى الفَتْرَة نفسها نادِرَةٌ نِسْبيًّا في عَيِّنَة قائمة مَخْطُوطات الشَّرْق الأوْسَط المُؤَرَّخَة *FiMMOD*: فمن بين خَمْس حالات توجد حالَةٌ واحدة من بُخارَى (طَشْقَنْد IOT 3109/I)[٩٩].

= التي تهتم بها *FiMMOD*، أربعة مخطوطات يعرف مكان نسخها، منها اثنان بشكل مؤكد (باريس، BnF arabe 1696 من كرشهير، وطشقند IOT 3105 المنسوخ في بخارى؛ *FiMMOD* 45 et 250)، والآخران بالاستنتاج (باريس BnF Arabe 3280، ربما نسخ في الأناضول، والفاتيكان BAV Sbath 266، المنسوخ في إيران (*FiMMOD* 142 et 79).

٨٩. ٢٦ مخطوطا من المجموعة القديمة (F. Richard, *Cat.* I, *passim*) ومخطوطات الملحق الفارسي Suppl. persan 69 (*FiMMOD* 158), 120, 1120, 1433, 1564 et 1794.

٩٠. مخطوط باريس رقم Paris, BnF persan 377 (F. Richard, *Cat.* I, p. 380-382).

٩١. مخطوط باريس رقم Paris, BnF Suppl. persan 69 (*FiMMOD* 158).

٩٢. مخطوط باريس رقم Ms Paris, BnF persan 126 (F. Richard, *Cat.* I, p. 141-142).

٩٣. مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 1794.

٩٤. مخطوط باريس رقم Ms Paris, BnF persan 3 (F. Richard, *Cat.* I, p. 29-30; *FiMMOD* 169).

٩٥. مخطوط باريس رقم Ms Paris, BnF persan 36 (F. Richard, *Cat.* I, p. 62).

٩٦. مخطوط باريس رقم Ms Paris, BnF persan 173 (F. Richard, *Cat.* I, p. 190-191).

٩٧. مخطوط باريس رقم BnF persan 286 (F. Richard, *Cat.* I, p. 299-300).

٩٨. مخطوط باريس رقم BnF persan 147 (F. Richard, *Cat.* I, p. 167).

٩٩. *FiMMOD* 255 والمخطوطات الأخرى الموصوفة فى *FiMMOD* هي الأرقام ١٦١ (باريس BnF arabe 6796 المنسوخ في اليمن في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، و١٦٠ (باريس BnF arabe 6791، الذي يعود إلى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، و١٠٨ (بغدادلي وهبي بإستانبول رقم Süleymaniye Bagdatlî Vehbi 1383 المنسوخ في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، و٢٣٠ (البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Libr. ms Arab. d. 19 المنسوخ في دمشق سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م).

96 /أمَّا في القرن التَّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ففي عَيِّنَةٍ من ثمانين مَخطوط[١٠٠] كانت الكُرَّاساتُ الرُّباعية هي المُهَيْمِنَة: فقد بَلَغ عَدَدُ هذه المَخْطُوطات ستة وأربعين مخطوطًا أمْكَنَ تحديد مَصْدَر بعضها (هَرَاة[١٠١] وشِيراز[١٠٢] وإصْبَهان[١٠٣] وتَبْريز[١٠٤] ودَرَبَنْد[١٠٥] وحَلَب[١٠٦] وإسْتانبول[١٠٧] وآسيا الصُّغرى أو الدَّوْلَة العُثْمانية[١٠٨]). وظَهَرَت الكُرَّاساتُ الخُماسية في واحدٍ وعشرين حالَة، والنُّسَخ التي أمكن تحديد مَصْدَرِها جاءَت من بُورْصَة[١٠٩] وأبَرْقوه[١١٠] وقُونْيَة[١١١] وآسيا الصُّغرى[١١٢]. وفي بعض المَخْطُوطات تتعاقَبُ الكُرَّاساتُ الرُّباعية والخُماسية[١١٣]. وأخيرًا فقد وُجِدَت بعض الصِّيَغ النَّادِرَة: الكُراسات الثُّلاثية (أربعة نماذج منها واحد من هَرَاة[١١٤] وآخَر من شيراز[١١٥]) والكُرَّاسات السُّداسية (حالتان)[١١٦]. وفيما يَخُصُّ المَخْطُوطات العربية فإنَّ العَيِّنَة التي تُقَدِّمها قائِمَةُ مَخطوطات الشَّرْق الأوْسَط المُؤرَّخة *FiMMOD* تَتْرُك

---

١٠٠. ثمانية وخمسون مخطوط من الرَّصيد القديم لمكتبة فرنسا الوطنية، وكذلك F. Richard, *Cat.* I, *passim*؛ و *Suppl. persan 68, 124, 335, 519, 582, 663, 727, 742, 1102, 1115, 1380, 1393, 1394, 1395, 1407, 1448, 1470, 1776, 1793, 1811, 1825, 1833*.

١٠١. مخطوط باريس رقم Paris, BnF Persan 357 (F. Richard, *Cat.* I, p. 360-361).

١٠٢. مخطوط باريس رقم Ms Paris, BnF Suppl. persan 1833.

١٠٣. مخطوط باريس رقم Suppl. Persan 519.

١٠٤. مخطوطات باريس رقم BnF Persan 310 (F. Richard, *Cat.* I, p. 315) و Suppl. persan 68.

١٠٥. مخطوط باريس رقم BnF Persan 41 (F. Richard, *Cat.* I, p. 75).

١٠٦. مخطوط باريس رقم BnF Persan 280، (F. Richard, *Cat.* I, p. 290-291).

١٠٧. مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 1380.

١٠٨. مخطوطات باريس رقم Persan 50 et 220-I, (F. Richard, *Cat.* I, p. 83-84 , 228-229) و Suppl. persan 1394.

١٠٩. مخطوطات باريس رقم BnF Persan 266, (F. Richard, *Cat.* I, p. 277)؛ و Suppl. Persan 335.

١١٠. مخطوط باريس رقم BnF Persan 71 (F. Richard, *Cat.* I, p. 99-100).

١١١. مخطوط باريس رقم BnF Persan 138 (F. Richard, *Cat.* I, p. 160).

١١٢. مخطوطات باريس أرقام BnF Persan 47, 86, 156, 191, 260; (F. Richard, *Cat.* I, p. 81-82, 111-112, 174, 207-208 , 271-272).

١١٣. مخطوطات باريس BnF Persan 13, 256 , 349; (F. Richard, *Cat.* I, p. 40-41, 267-268 , 349-351) وكذلك Persan 145؛ المنسوخ بشماخة.

١١٤. مخطوط باريس رقم BnF Suppl. persan 1776.

١١٥. مخطوط باريس رقم BnF Persan 271؛ F. Richard, *Cat.* I, p. 281-282؛ وكذلك رقمي BnF Persan 259 , 162، (F. Richard, *Cat.* I, p. 270-271 , 178-179).

١١٦. مخطوط باريس رقم BnF Persan 139، (F. Richard, *Cat.* I, p. 160-161; Suppl. Persan 1793).

الانْطِباع نفسه حَوْل نُدْرَة الكُرَّاسات الرُّباعية: ويمكن أن نَذْكر فقط مَخطُوطين: واحد نُسِخَ في صُوفي آباد[١١٧]، والآخر رُبَّما نُسِخَ في مَكَّة[١١٨].

ويتجاوَزُ عَدَدُ مَخْطُوطات القرن العاشر الهجري/ السَّادِس عشر الميلادي المائة: ففي إيران بمعنى الكلمة، كان نَمَطُ الكرَّاسات المُسْتَخْدَم عُمُومًا هو الكُرَّاسات الرُّباعية وأحيانًا الثُّلاثية في عَدَدٍ قليلٍ من المَخْطُوطات المُزَيَّنَة بالصُّوَر[١١٩]. وبالمقابِل، فقد تَواجَدَت الكُرَّاساتُ الرُّباعية والخُماسية مَعًا في الدَّوْلَة العُثْمانية، وفُضِّلَت الكُرَّاساتُ الرُّباعية في المَخْطُوطات التي اسْتَلْهَمَت النَّماذِجَ الإيرانية. وقد تَوَسَّعَت هذه الاتِّجاهات في القرن التَّالي: فقد سادَت الكُرَّاساتُ الرُّباعية دون مُنافِسٍ في النُّسَخ الصَّادِرَة عن العالم الإيراني ومن الهِنْد حيث لا نجد إلَّا اسْتِثْناءات نادِرَة جِدًّا. وفَرَضَت الكُرَّاساتُ الخُماسيةُ نفسها في الدَّوْلَة العُثْمانية، فيما عَدَا بعض المناطِق الشَّرْقية للدَّوْلَة التي تَخَلَّصَت من هذه القاعِدَة.

97 /مَخْطُوطاتُ أفْرِيقيا الغربية[١٢٠]

تَظْهَرُ عادةً المَخْطُوطاتُ الصَّادِرة من غَرْبِ أفْريقيا، والتي اسْتَمَرَّ إنْتاجُها حتى مَطْلَع القرن العشرين، في شَكْلِ أوْراقٍ مُنْعَزِلَة. فعندما نَجِدُ منها كُرَّاسات أو أوْراق مُزْدَوَجَة فإنَّها لا تحمل أي أثَرٍ للخِيَاطَة[١٢١]. وفي حالة ما تَسْمَح وَرَقَةٌ ذات عَلامَة مائية بإعادَة تكوين الأوْراق المُزْدَوَجَة المُنْفَصِلَة من خلال البِلَى الذي طَرَأ على مَوْضِع الطَّيّ، نستطيع أن نَلْحَظ أنَّ الكُرَّاسات كانت ذات تركيبٍ مختلف جِدًّا، تتراوح من ورقتين إلى اثنتي عشرة ورقة مع تَواجُد كبير نسبيًّا للأرْبَع والثماني وَرَقات[١٢٢]. وتَتَكَوَّن بعض

---

١١٧. مخطوط باريس رقم BnF Arabe 6967، (*FiMMOD* 167).

١١٨. مخطوط شهيد علي بإستانبول رقم Süleymaniye Sehid Ali 1876، (*FiMMOD* 138).

١١٩. على سبيل المثال مخطوطي باريس رقم Suppl. persan 1513 أو 1328.

١٢٠. جمعت ماري چنڤيڤ جيدون M.G. Guesdon ملاحظات الفقرة التالية.

١٢١. يتكون مخطوط باريس رقم BnF arabe 7226 من كراسات من عشرة أوراق حالة حفظها لا بأس بها.

١٢٢. مخطوطات باريس رقم BnF arabe 7151 (المنسوخ سنة ١١٢٩هـ/١٧١٧م): (١-١٠)، ٨، ٨، ٨، ٤، ٨، ١٠، ٨ ...؛ ورقم arabe 7137 (المنسوخ سنة =

المَخْطُوطات من أوْراقٍ مُزدَوَجة ناتِجة عن طَيّ وَرَقة إلى أربع[١٢٣]. ويحتوي مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 7219 على أوْراقٍ مُزْدَوَجة وكُرَّاسات ذات أرْبَعِ ورقات ناتِجة عن هذا الطَّيّ[١٢٤].

ومع ذلك، فلا يجب أن نستَبْعِد استِخْدام النُّسَّاخ لأوْراقٍ منفردة: فيَشْتَمِل مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 7141 على كُرَّاساتٍ ذات سبع ورقات (ثلاث أوْراق مُزدَوَجة ووَرَقة مُنْفَرِدَة في الوَسَط)[١٢٥] ويتكوَّن المَخْطُوطُ رقم BnF ar. 7149 من كُرَّاسَة خُماسية تَمَّت كتابة إحدى كُرَّاساتها الوُسْطى بعد أن تَمَّ قَطْعُها، فتتَّجه رؤوس الأهِلَّة الثلاثة للعلامة المائية إلى أعلى في الوَرَقة ١٥٨، وإلى أسفَل في الورقة ١٥٩. ولا يوجد في الكتابة ما يُشْعِر أنَّ ذلك ناتِجٌ عن تَرْميم. فيبدو إذًا أنَّ صِناعَة المَخْطُوطات في السُّودان الغَرْبي كانت لها خُصُوصِيَّاتٌ ذات شَأن بالمقارنة بمثيلاتها في العالم الإسلامي المَرْكَزي.

أنْظِمَةُ تَعْليم تَرْتيب الأوْراق[١٢٦]

تُقدِّم المَخْطُوطاتُ العربية غالبًا تَرْقيمًا للأوْراق، أي رَقَمًا لكُلِّ وَرَقَةٍ من أوْراقها يُثْبَت على وَجْه الوَرَقَة. ومع ذلك، فيبدو أنَّ هذا التَّرْقيم قد أُضيفَ في أكثر الأحيان خِلال تاريخ المَخْطُوط. / ولم يَظْهَر نِظامُ التَّرْقيم، الذي يبدو الآن الوَسيلة الأسْهَل

=١٨٠٠م)، ١٠، ١٢، ٨، ٤، ٢، ٢، ١٢، ٨، ٨...؛ ورقم arabe 7137؛ (المنسوخ بعد سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م): أغلب الكراسات من ٤ أوراق؛ ورقم arabe 7219 (بعد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٥م): أوراق مزدوجة و ٤ أوراق.

١٢٣. انظر A. Brockett, «Aspects of the physical transmission of the Qur'an in 19th century Sudan: script, decoration, binding and paper», *MME* 4 (1989), p. 48، فيما يتعلَّق بمخطوط ليدز رقم Leeds, Arabic Ms 301.

١٢٤. يُشيرُ مكانُ الطَّي غير المتوازي لحواف الورقتين المزدوجتين المتواليتين في مخطوط باريس رقم BnF arabe 7219 (ورقة ١٣ـ ١٦)، إلى أن ذلك ناتجٌ عن طَيّ الورقة نفسها. وبقيت الأوراق ١٧، ١٨ و١٩ من هذا المخطوط متضامِنة، مشكلةً عند بسطها ورقة ينقصها الربع العلوي الأيمن. إنَّ هذا التضامن الذي يشير إلى أن هذا المخطوط نُسِخَ في ورقة غير مقطعة زال اليوم بسبب هشاشته.

١٢٥. في الجزء الموجود بين ورقتي ٣٤١ ـ ٣٦٠، المؤرخ سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م. ويضم المخطوط نفسه في جزئه المؤرخ كراسات من ثمان أوراق توجد اليوم منفردة. إلا أن هناك ورقتين منفردتين في كراستين مختلفتين (مثلا الكراسة ص ١٢٥ ـ ١٣٢) تظهر آثار أسلاك أفقية، بخلاف مجموع المخطوط ولا تتيح إعادة تكوين ورقة مزدوجة.

١٢٦. جمعت ماري جنفيف جيدون Marie-Geneviève Guesdon الملاحظات التالية.

لإعادَة تَرْتيب الأوْراق، إلَّا مُتَأخِّرًا. فقد كان الكِتابُ يُعَدُّ في بادئ الأمْر لا كتعاقُبٍ لأوْراقٍ ولكن كمجموعة كراريس مُكَوَّنَة من أوْراقٍ مُجَمَّعَة ومَطْوِيَّة. وتُشيرُ العَلاماتُ الأولى لتَرْتيب الأوْراق إلى تَرْتيب الكُرَّاسات وداخِل الكُرَّاسات إلى تَرْتيب الأوْراق.

ولهذه العَلامات أكثر من نَمَطٍ أو نَوْع: تَرْقيم الكُرَّاسات المَصْحُوب عند الاقْتِضاء بترقيمٍ للأوْراق داخل الكُرَّاس؛ وتَرْقيم الأوْراق؛ والتَّعْقيبة، أو الكلمة المُكَرَّرَة، وهي بديل للترقيم؛ وعَلامَةٌ تشير إلى وَسَطِ الكُرَّاس. وقد لاحَظْنا مُمارَسات مختلفة بين الغَرْب والشَّرْق الأدْنى و، في داخل الشَّرْق الأدْنى، بين الأوْساطِ الإسلامية وبعض الأوْساطِ المسيحية.

وتَمَّت دِراسَةُ هذه العَلامات انطلاقًا من عَيِّنَةٍ محدودة للمَخْطُوطاتِ المُؤرَّخة، ولكن نادِرًا ما نَعْرِف مَصْدَرَها، وتُوجَد على الأخصِّ في مكتبة فرنسا الوطنية BnF، حيث تَعْرِف تَنَوُّعًا كبيرًا لمَصادِرِ جَلْبِ هذه المَخْطُوطات[١٢٧]. وقامَت دِراساتٌ أخرى على مجموعةٍ مُتَجانِسَةٍ، ولكنَّها تَتَعَلَّقُ حتى الآن بمَخْطُوطاتٍ مسيحية من مصر، هي مَخْطُوطات سيناء[١٢٨] ودَيْر القِدِّيس مَقَّار[١٢٩]. ويمكن أن نَذْكُر بالنِّسْبَة للمَخْطُوطات المغربية الدراسة الكوديكولوجية التي قامت بها باولا أورساتي Poala Orsatti على مَخْطُوطات مكتبة الفاتيكان[١٣٠]. وتَطْرَحُ دِراسَةُ هذه العلامات مُشكلةً صَعْبَة: فعندما يكون رَقَمُ الكُرَّاس مكتوبًا بحُرُوفٍ كاملة، فإنَّه من الممكن أن نُحَدِّد ـ مع نسبة ضئيلة من الخطأ ـ إذا ما كانت الكتابة هي بخَطِّ النَّاسِخ أو بخَطّ أحَد الذين عَلَّقوا على المَخْطُوط أو أيضًا لشخصٍ ثالِث، ولكن إذا لم يكن لدينا سوى رَقَمٍ أو حَرْفٍ، فمن

١٢٧. M. G. Guesdon, «Les réclames dans les manuscrits arabes datés antérieurs à 1450», *Scribes*, p. 66-75.

١٢٨. J. Grand'Henry, «Les signatures dans les manuscrits arabes chrétiens du Sinaï : un premier sondage» dans *Recherches de codicologie comparée : la composition du codex au Moyen-Age, en Orient et en Occident*. Paris, Presses de l'Ecole Normale Supérieure, 1998, p. 199-204.

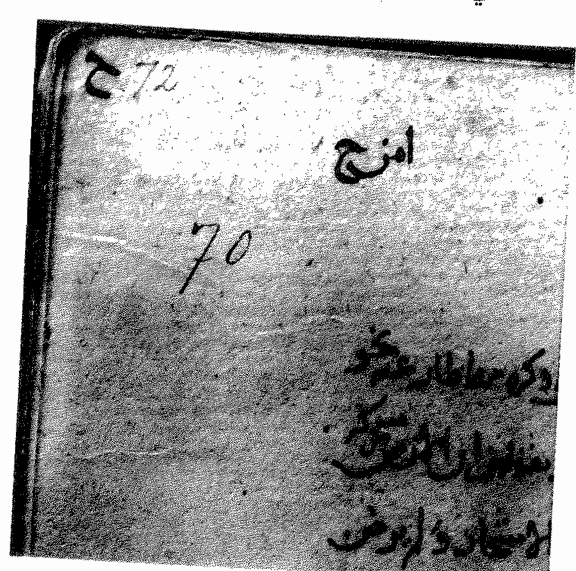
١٢٩. U. Zanetti, «Les manuscrits de Saint-Macaire : observations codicologiques» dans *Recherches de codicologie comparée : la composition du codex au Moyen-Age, en Orient et en Occident*. Paris, Presses de l'Ecole Normale Supérieure, 1998, p. 171-182.

١٣٠. P. Orsatti, *op. cit.*

الصَّعْب حينئذٍ الجَزْم . ويُقدِّم لَوْنُ الحِبْر وسَمَاكة الخَطّ وطبيعة الحروف المستعملة ، كذلك ، بعض المُؤَشِّرات .

تَرْقِيمُ الكُرّاسات

تُسَمَّى أرْقامُ الكُرّاسات أحْيانًا «عَلامَةُ الكُرّاس» . ونحن نُفَضِّل اتِّباعًا لجاك لومير Jacques Lemaire عَدَم اسْتِخْدام هذا المُصْطَلَح ، لأنَّه قد يَلْتَبس مع التَّأشيرات أو التَّدْوينات الشَّخْصية التي يتركها النُّسَّاخ في المَخْطُوطات اللّاتينية [١٣١].



٢٤ . رقم كُرَّاس بطريقة أبْجَد في أعلى الصفحة مع ترقيم لوَرقة مزدَوَجة داخل الكُرّاس ، كذلك بطريقة أبْجَد . نُسْخَة لنصّ تم كتابةُ سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م .
باريس رقم BnF arabe 6080 ، ورقة ٧٠ ، تفصيل

99 / ونستطيعُ أن نُوَضِّح بعض القَوَاعِد المتعلِّقَة بتَرْقيم الكُرّاسات . فتَجْدُر الإشارَةُ إلى أنَّ المَصَاحِفَ الرَّقِّية المَنْسُوخة بالخُطُوط القديمة لا تحمل إطْلاقًا أيّ تَرْقيم للكُرّاسات [١٣٢]. ويُوجَد رقم الكُرّاس في المَخْطوطات غير المسيحية دائمًا في الهامِش الأعْلى لوَجْهِ الوَرَقَة الأولى للكُرّاس (شكل ٢٤) . ومع ذلك ، وكما هو شأن كُلّ قاعِدَة ،

١٣١. Lemaire, J., *Introduction*, p. 61. الباريسية (*Cat.* I/1).

١٣٢. لم يقف فرنسوا ديروش على أي مثال في المجموعة

تُوجَدُ اسْتثناءاتٌ : فعَلامَةُ الكُرّاس في مَخْطوط برلين رقم SB or. oct. 3162، المَنْسُوخ سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م [١٣٣]، تُوجَدُ في وَسَطِ الكُرّاس . وتُوجَدُ العَلامَةُ في مَخْطُوطٍ غير مُؤرَّخ في الزّاوية العُلْيا الخارجية ، وفي نهاية الكُرّاس في الزّاوية السُّفْلى الخارجية [١٣٤]. ويبدو أنَّ الزّاوية العُلْيا الدّاخلية من جانب الخِياطَة هي التي كانت تُسْتَخْدَم في بادئ الأمر : وهو ما لاحَظْناه في بعض المَخْطُوطات المُؤرَّخَة من سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م إلى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م [١٣٥]. وفي مَخْطُوطاتٍ أخرى مُؤرَّخَة من سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م إلى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م يَشْغَلُ فيها رقم الكُرّاس أوْضاعًا مُتَغَيِّرَة في الهامِش العُلْوي [١٣٦]. وقد قابلنا كذلك حالَةً يُوجَد فيها الرَّقَمُ في الوَسَط (مخطوط باريس رقم BnF ar. 2458، المُؤرَّخ سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م) . وابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نَجِدُ كُرّاسات مُرَقَّمَة في الزّاوية الخارجية للهامِش العُلْوي ، وسيعمّ اسْتِخْدام هذا المَوْضِع منذ النِّصفْ الثّاني للقرن / السّادِس الهجري/ الثّاني عشر 100 الميلادي ليُصْبح عَمليًّا هو الوحيد المُسْتَخْدَم ابتداءً من القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي ، بالرَّغْم من بعض الاستثناءات . وكانت الأرْقام الأولى للكُرّاسات مُدَوَّنَة بطريقة «أبْجَد» ، ونجد هذا النَّمَط من الأرْقام حتى نهاية القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي [١٣٧] (شكل ٢٥) ؛ غير أنَّه منذ النِّصْف الثّاني للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بدأت تَظْهَر الأرْقامُ المكتوبة بالحُرُوف الكاملة وسُرْعان ما أصْبَحَت الطَّريقة الأكثر اسْتِخْدامًا (شكل ٢٦) . وتَظْهَرُ الأرْقامُ في شَكْلٍ ترتيبي : «الأوَّل» ، «الثّاني» ... الذي يمكن أحيانًا أن يكون صِفَةً لكلمة «الكُرّاس» [١٣٨]. وقد بَحَثَ النُّسّاخُ ، على الأخَصّ في القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي ، عن

١٣٣. *FiMMOD* 188.

١٣٤. جلسة البيع بدريو Drouot يوم ٧ يونيو ١٩٩٩، الحصة lot H.

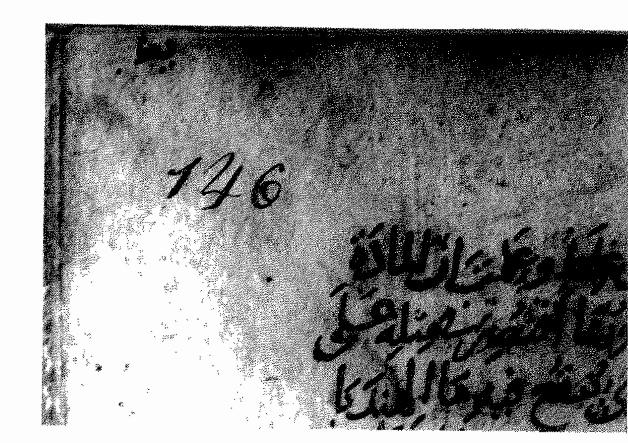
١٣٥. انظر على سبيل المثال مخطوط باريس رقم BnF arabe 5902, والمنسوخ في سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م، ورقم Arabe 2882 المنسوخ في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م (*FiMMOD* 9, 61).

١٣٦. مخطوطات باريس رقم ,Arabe 4247 من ٥ (٢) ١١٣٤/٨ (*FiMMOD* 20)، و 6880، ورقة ١٠١ -

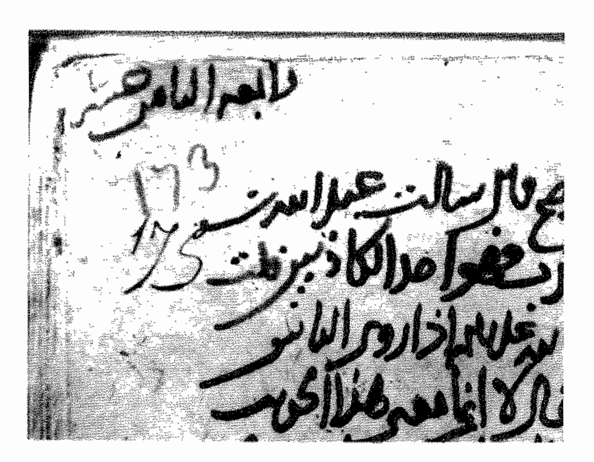
.١٣٣

١٣٧. انظر مخطوط باريس رقم BnF Arabe 5976، (*FiMMOD* 172).

١٣٨. استعملت كلمة جزء في المخطوط المشار إليه سابقا (جلسة البيع بدريو Drouot يوم ٧ يونيو ١٩٩٩، الحصة H)، إضافة إلى مخطوط باريس رقم BnF arabe 3481 (انظر *FiMMOD* 147) وفي مخطوط باريس رقم BnF arabe 1648، غير المؤرخ، و الذي يعود إلى القرن السادس عشر ، نقرأ القرض .



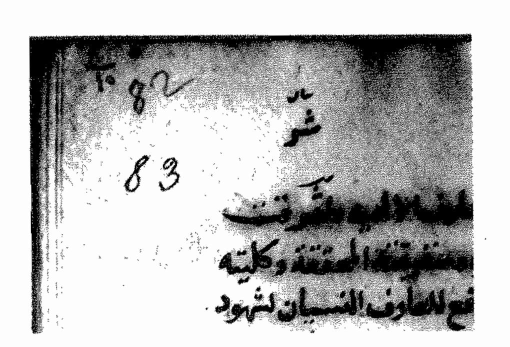
٢٥. رقم كراس بطريقة أبْجَد. نُسْخَة تمَّت كتابةُ سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م
باريس رقم BnF arabe 1903، ورقة ١٤٦، تفصيل



٢٦. رقم كراس بحروف كاملة. نُسْخَة تمَّت كتابةُ سنة ٥٤٧هـ/١١٥٣م
باريس رقم BnF arabe 709، ورقة ١٧٥، تفصيل

101

الأصَالَة والتَّنَوُّع/ في العَرْض عن طريق الإبْراز واسْتِخْدَام الحِبْر الأحْمَر، والحُرُوف الصَّغيرة الحَجْم. ويبدو أنَّ الأرْقامَ اسْتُخْدِمَت على نَحْوٍ دَقيقٍ جِدًّا في القرنين الخامس والسَّادس للهجرة/ الحادي عشر والثَّاني عشر للميلاد؛ ثم قَلَّ اسْتِخْدامُها في القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي، ومع ذلك فكانت تَظْهَر بانْتظام (شكل ٢٧). وكما هو شأن حُرُوف «أبْجَد»، كانت الأرْقامُ تَظْهَر ويمكن أن تُكْتَب كذلك بالمِداد الأحْمَر. ونستطيع أن نُلاحِظ أنَّ التَّرْقيم بحروف «أبْجَد» وبالأرْقام كان أكثر شُيُوعًا في المَخْطُوطات المحتوية على نُصُوصٍ علمية أكثر من مَخْطُوطات العُلُوم الدِّينية.



٢٧. رقم كراس بالأرقام. نُسْخَة تمت كتابةُ سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م
باريس رقم BnF arabe 1903، ورقة ٨٣، تفصيل

وغالِبًا ما يُذْكر رَقْمُ الكُرَّاس مُنْفَرِدًا. ومع ذلك، ففي العَديد من المَخْطُوطات المنسوخة بين سنتي ٥٤٤هـ/١١٤٩م و ٦٩١هـ/١٢٩٢م نجد رَقم الكُرَّاس مَصْحُوبًا برَقْم الوَرَقَة المُزْدَوَجَة داخل الكُرَّاس، والذي يُذْكر أيضًا في الرُّكن الخارجي الأعلى لوَجْه الوَرَقَة (شكل ٢٤)؛ ويُضافُ إليه أحْيانًا رقم المُجَلَّد أو أيضًا عُنْصُر للتعريف بالكتاب المؤلَّف: العُنْوان أو اسْم المُؤلِّف[١٣٩]. وتُدَوَّنُ أرْقامُ الكُرَّاسات بالحروف الكاملة في خَطٍّ أُفُقي (شكل ٢٦)، أو مُنْحَرِفَة في الاتِّجاه الهابط، وأقَلَّ نُدْرة، في الاتِّجاه الصَّاعِد (شكل ٢٨) مُتَّبِعَةً أحْيانًا خَطًّا مُتَوَهَّمًا يصل رُكْن المِسَاحَة المكتوبة برُكْن الوَرَقَة، فتصبح هذه الإشارَةُ بذلك عُنْصُرًا من عناصِر جَماليَّات الصَّفْحَة. وفي حالة واحدة على الأقَلِّ (مخطوط باريس رقم BnF ar. 820، المُؤرَّخ سنة ٦١٧هـ/١٢٢١م)[١٤٠]، دُوِّنَ رقم الكُرَّاس بطريقةٍ رأسية.

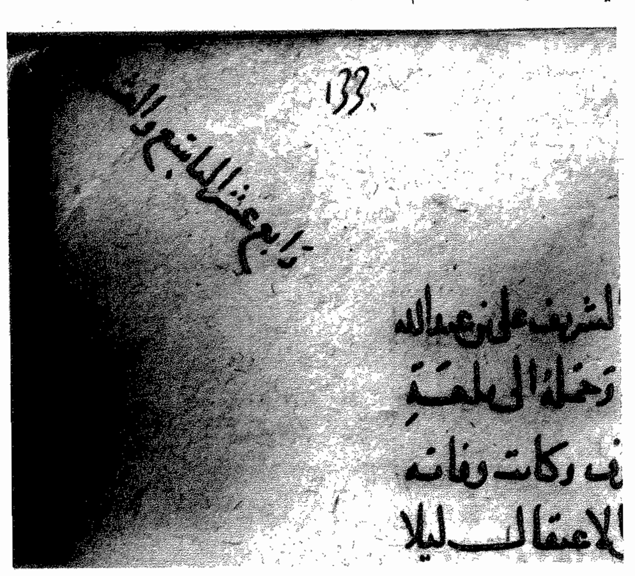
ويبدو أنَّ تَرْقيم الكُرَّاسات كان أكثر نُدْرَة في المَغْرِب عن أيِّ مكانٍ آخر. فلم تستطع باوْلا أورساتِّي Paolo Orsatti، التي تَوَفَّرت على دراسة سبعة وثلاثين مَخْطُوطًا غير قُرْآني بالخَطِّ المَغْرِبي مَحْفُوظَةً في مكتبة الفاتيكان، أن تُسَجِّل أرْقامَ كُرَّاساتٍ إلَّا في مَخْطُوطٍ واحد غير مُؤرَّخ، نُسِخَ في القرن التاسع الهجري/ الخامس

---

١٣٩. يظهر العنوان في مخطوطات الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 372 وباريس رقم arabe 4088 (FiMMOD 43 et 226)؛ ومن ناحية أخرى فيشار إلى جزء مخطوط باريس رقم arabe 3291 (FiMMOD 54) أو المجلد arabe 6883؛ (FiMMOD 260) بعد رقم الكراسة.

١٤٠. G. Vajda et Y. Sauvan, *Cat.* II, p. 159; *FiMMOD* 97.

عشر الميلادي [١٤١]، وهذه الأرْقام مكتوبة بطريقة «أبْجَد».



٢٨. رقم كراس في خطٍّ صاعد. نُسْخَة تمت كتابةُ سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م
باريس رقم arabe 1579، ورقة ١٣٣، تفصيل

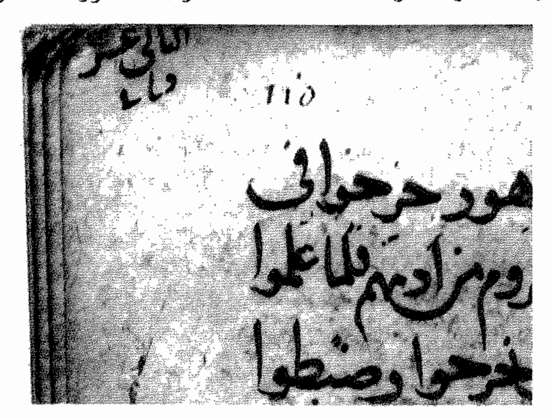
102 / وتُقَدِّمُ أحيانًا المَخْطُوطاتُ المُنْتَجَة في الأوْساطِ المسيحية، أيًّا كان مُحْتواها، ظَواهِرَ خَاصَّة من وِجْهَة النَّظَر التي تَعْنينا هنا. فيُوجَدُ في الرَّصيد العَرَبي لمكتبة فرنسا الوطنية العَديدُ من المَخْطُوطات المسيحية التي تُقَدِّمُ تَرْقيمًا للكُرَّاسات بالحُرُوف العربية الكاملة مَصْحوبًا بتَرقيمٍ بالأرْقام القِبْطية، وتُوجَدُ الإشارتان في الزَّاوية العُلْيا الخارجية لوَجْه أوَّل وَرَقَة في الكُرَّاس. ونجد كذلك أحْيانًا، ولكن أكثر نُدْرَةً، تَرْقيمًا للأوْراق بالأرْقام القِبْطية فقط، وأيضًا تَرْقيمًا للأوْراق وتَرْقيمًا للكُرَّاسات، كلاهما بالأرْقام القِبْطية.

وقد دُرِسَ تَرْقيمُ الكُرَّاسات في مجموعتين من المَخْطُوطات المُنْتَجَة في مصر بطريقةٍ مَنْهَجِيَّة: مَخْطُوطات سيناء ومَخْطُوطات دَيْر القِدِّيس مَقَّار. فقد عَكَفَ جاك جراند هنري Jacques Grand' Henry على دراسة هذا المَوْضُوع من خلال مَخْطُوطات سيناء المَنْسوخة في الفَتْرةِ الممتَدَّة من القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي إلى القرن

١٤١. *Op. cit.*,

الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي. ووَجَدَ أنَّ مُعْظَم أرْقام الكُرَّاسات دُوِّنت بالحُرُوف العربية والأرْقام القِبْطية، التي يمكن أن نجدها في المَخْطُوطات الأقْدَم بالأرْقام القِبْطية فقط (شكل ٢٩) وفي المَخْطُوطات الأحْدَث بالحروف العربية فقط. وتُوجَدُ الأرْقامُ في بداية الكُرَّاسات فقط، وإن كانت تُوجَد أيضًا في نهايتها: ففي الحالة الأولى كانت الأرْقامُ تُوجَدُ أعلى الصَّفْحَة على يسار الوَجْه الأوَّل، وفي الحالة الثَّانية كانت تُوجَد في النِّهاية أسْفَل الصَّفْحَة على يَسار ظَهْر آخر وَرَقَة.

أمَّا دِرَاسَةُ أوجو زانيتِّي Ugo Zanetti فقد تناوَلَت مَجْموع المَخْطُوطات العربية، القِبْطية والقِبْطية ـ العربية المَحْفُوظَة في دَيْر القِدِّيس مَقَّار في مصر. وقد حَمَلَت المَخْطُوطاتُ العربية الأُحادية اللُّغَة تَرْقيمًا للكُرَّاسات بالعربية بكامل الحُرُوف في الرُّكْن الأعلى الأيْسَر للوَجْه الأوَّل، وحيث نجد كذلك تَرْقيمًا للأوْراق بالأرْقام القِبْطية.



٢٩. رقم كراس بحروف كاملة وترقيم بأرقام قبطية
نسخة تمت كتابةُ في مصر سنة ١٠٥٧ للشهداء/١٣٤١م

103 ويشتمل هذا المجموع/ كذلك على بعض الحالات الخاصَّة، ولكن في المجموع فإنَّ لمَخْطُوطات القديس مَقَّار سِماتٍ نجدها في المَخْطوطات المسيحية ذات الأرقام القِبْطية المحفوظة في مكتبة فرنسا الوطنية.

ويجب أن نُشير إلى أنَّ النِّظامَ الذي يَسْتَخْدِم الأرْقام القِبْطية في المخطوطات العربية المسيحية يَخْتَلِفُ عن النِّظام المُسْتَخْدَم عُمومًا في المَخْطوطات المسيحية باللُّغَة القِبْطية. وتحمل المَخْطُوطات المُزْدَوَجَة اللُّغة: القِبْطية ـ العربية، مِثْلُها مثل المَخْطُوطات القِبْطية الأُحادية اللُّغَة، ترقيم الكُرَّاسات في أوَّل وآخر صفحة للكُرَّاس، في الهامِش الأسْفَل.

ونَجِدُ كذلك في المَخْطُوطات العربية المسيحية تَرْقيمًا للكُرَّاسات بالحُرُوف والأرْقام السُّرْيانية يظهر على النَّحْو نفسه الذي يظهر به في المَخْطُوطات السُّرْيانية، في مَرْكز الهامِش الأسْفَل للوَرَقة الأولى والأخيرة لكُلِّ كُرَّاس، ويصحبه أحْيانًا زَخْرَفَة. ولكن هذه الأرْقام لا تظهر في هذه المَخْطُوطات في المركز وإنَّما في الزَّاوية الدَّاخلية للهامِش الأسْفَل لأوَّل وآخر وَرَقةٍ في الكُرَّاس.

ورُقِّمَت الكُرَّاساتُ في مَخْطُوطٍ مسيحي خاصّ، بالأرْقام اليونانية، في الزَّاوية العُلْيا الخارجية للوَرَقة الأولى للكُرَّاسات: نعني بذلك مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 269، وهو نُسْخَةٌ من «تاريخ برلعام ويوسافات» *Histoire de Barlasam et Josaphat* نُسِخَت سنة ٦٧٢٩ من خَلْق آدَم (١٢٢١)، غالبًا في الشَّام[١٤٣]. ويَنْطَبِقُ الشَّيءُ نفسه على مَخْطُوط ستراسبورج رقم BNU 4226، المنسوخ سنة ٢٧٢هـ/٨٨٦م[١٤٤].

وتَجْدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ نهاية الكُرَّاسات في المَخْطُوطات المسيحية يُشارُ فيها غالبًا إلى علامَة المُقابَلَة («قُوبِلَ») (شكل ١٤٧).

ويَشْتَمِلُ مُجَلَّدٌ من كِتابِ «القانُون» لابن سينا (باريس BnF ar. 2906)[١٤٥] على ترقيم للكراسات وترقيم للأوْراق بالحُرُوف العِبْرية. وهذه النُّسْخَةُ كُتِبَت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م. وهي تُقَدِّم نَسَقَيْن لتَرْتيب الأوْراق بحُروفٍ عِبرية ذات قيمةٍ عَدَدية: فتظهر/ أرْقامُ الكُرَّاسات أسْفَل الصَّفَحات في أوَّل خمس وَرَقات للكُرَّاس، وتَظْهَر أرْقام الأوْراق في أعلى الصَّفْحات على اليسار. وهذه الطَّريقةُ لا تَتَشابه عُمُومًا مع طريقة تَرْقيم الكُرَّاسات المستعملة في المَخْطُوطات العِبْرية[١٤٥].

١٤٢. G. Troupeau, *Catalogue des manuscrits arabes. 1ère partie : manuscrits chrétiens* I. Paris, Bibliothèque nationale 1972, p. 237-238.

١٤٣. *FiMMOD* 278.

١٤٤. *FiMMOD* 211.

١٤٥. M. Beit Arié, «Les procédés qui garantissent l'ordre des cahiers, des bifeuillets et des feuillets dans les codices hébreux», *Recherches de codicologie comparée : la composition du codex au Moyen-Age, en Orient et en Occident*. Paris, Presses de l'Ecole Normale Supérieure, 1998, p. 137-151.

تَرْقِيمُ الأوْراق[١٤٦]

لا يَظْهَرُ تَرْقيمُ الأوْراق إلَّا نادِرًا جِدًّا في المَخْطُوطات المُبَكِّرَة. ومع ذلك فنجد تَرْقيمًا بطريقة «أبْجَد» في مَخْطُوطٍ يَرْجع إلى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م يشتمل على رسائل رياضية (باريس BnF ar. 2457)[١٤٧]. ووُضِعَت فيه أرْقامُ التَّوريق بالطَّريقة نفسها التي وُضِعَت بها أرْقامُ الكُرَّاس، أي في الرُّكن الأعلى الأيسر لوُجُوه الأوْراق. ويمكن أن نُشيرَ إلى حالَةٍ، تَرجع إلى القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي، دُوِّنَت فيها الأرْقامُ الشَّرْقية لترقيم الأوْراق في الاتِّجاه الصَّاعِد في خَطٍّ يصل الرُّكن الأعلى الأيْسَر للمِسَاحة المكتوبة برُكْن الصَّفْحَة، كما هو الحالُ أحيانًا مع أرْقام الكُرَّاسات المكتوبة بالحُرُوف الكاملة[١٤٨].

القِيمَةُ العَدَدية للحُرُوف العربية (أبْجَد)

	المَغرب	المشرق
ا	١	١
ب	٢	٢
ت	٤٠٠	٤٠٠
ث	٥٠٠	٥٠٠
ج	٣	٣
ح	٨	٨
خ	٦٠٠	٦٠٠
د	٤	٤
ذ	٧٠٠	٧٠٠
ر	٢٠٠	٢٠٠
ز	٧	٧
س	٣٠٠	٦٠
ش	١٠٠٠	٣٠٠
ص	٦٠	٩٠
ض	٩٠	٨٠٠
ط	٩	٩
ظ	٨٠٠	٩٠٠
ع	٧٠	٧٠
غ	٩٠٠	١٠٠٠
ف	٨٠	٨٠
ق	١٠٠	١٠٠
ك	٢٠	٢٠
ل	٣٠	٣٠
م	٤٠	٤٠
ن	٥٠	٥٠
هـ	٥	٥
و	٦	٦
ي	١٠	١٠

١٤٦. ترقيم الأوْراق Foliotation هو «ترقيم كل واحدة من أوراق المجلد»، وتتميز عن «ترقيم الصَّفحات pagination أي «ترقيم صفحات المجلد» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 99)، وعن الاختلاف بين الورقة والصفحة، انظر فيما سبق.

١٤٧. *FiMMOD* 13.

١٤٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1970.

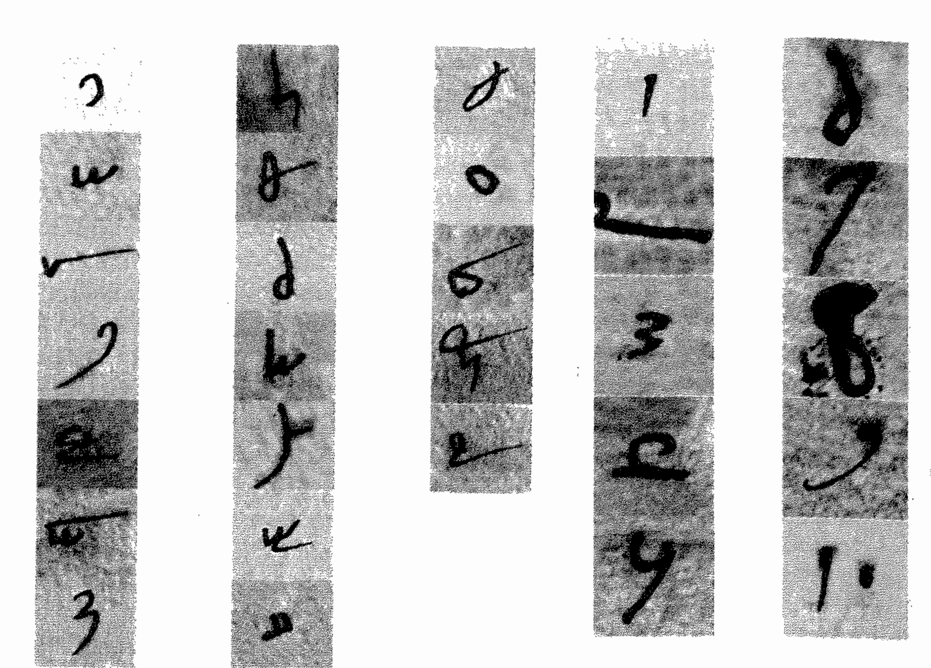
105 /كان رقم الكُرَّاس هو الوَسيلَة الأكثر انْتشارًا ، في منتصف القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، للإشارَة إلى تَرتيب الأوْراق ، أمَّا تَرْقيمُ الأوْراق فكان نادِرًا جدًّا في مَخْطُوطات الشَّرْق الأدْنى الإسلامية . ويبدو أنَّه كان يَتَعَيَّنُ انْتِظارُ القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي حتى نراه قد شَاعَ اسْتِخْدَامُه ، ولكن لا تُوجَد أيُّ دراسةٍ منهجية تناوَلَت هذا المَوْضُوع .

وكان تَرْقيمُ الأوْراق بالأرْقام القِبْطية الموجودة في الزَّاوية العُلْيا الخارجية للأوْراق والمصحوب عادَةً بتِعْدادٍ للكُرَّاسات بالحروف الكاملة هو الأقْدَم والأكثر شُيُوعًا في المَخْطُوطات المسيحية . وقد نجد من آنٍ لآخَرَ تَرْقيمًا يَتَعَلَّق فقط بالأوْراق المُزْدَوَجَة . وأشارَ أوجُو زانيتِّي Ugo Zanetti إلى العَديد من حالات التَّرْقيم في ثلاثة مَخْطُوطاتٍ من القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي ، محفوظة في دَيْر القدِّيس مَقَّار ، ويُعَدُّ مخطوط باريس رقم BnF ar. 68، المُؤَرَّخ سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م ، أُنْمُوذَجًا آخر لهذه الطَّريقة[١٤٩].

ولم تَعْرِف المَخْطُوطاتُ المغربية التَّرْقيم إلَّا مُتَأَخِّرًا ، حتَّى وإنْ سُجِّلَت بعضُ الحالات في القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي . وقد اسْتُخْدِمَت لذلك سِلْسِلَتان من الأرْقام : أرْقامُ «الغُبَار» (شكل ٣٠) والأرْقامُ الرُّومية (شكل ٣١) . وقد جَمَعَتْ أنا لابارتا Ana Labarta وكارْمِن برشيلو Carmen Barcelo انْطِلاقًا من الوثائق الشَّرْعية والوَثائق الخَاصَّة ، لا من خلال المَخْطُوطات ، تَوْثيقًا يمكن مُراجعته بفائِدَة[١٥٠].

١٤٩. G. Troupeau, *op. cit.*, p. 45-48.

١٥٠. A. Labarta , C. Barcelo, *Numéros y cifras en los documentos arabigohispanos*. ونشر ر.لوماي R. Lemay عرضًا عامًّا حول الأرقام المستخدمة في العالم العربي ، انظر : Arabic numerals. *Dictionary of the Middle Ages* 1 (1982), p. 382-398.



٣٠. أرْقام الغُبار . صورة لنَصٍّ تَمّ كتابةٌ في بَرْشلونة سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م. باريس رقم BnF arabe 2960 ، تفصيل

٣١. أرقام رومية . صورة لنَصٍّ تمَّ كتابةٌ سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م. باريس رقم BnF arabe 2903، تفصيل

106 / التَّعْقيباتُ والكلماتُ المُكَرَّرَة

تُعَرَّفُ التَّعْقيبَةُ بأنَّها مجموعُ الكلمات الأولى في وجه وَرَقَة والمُثْبَتَة في أسْفَلِ ظَهْر الوَرَقة السَّابقة عليها . ويُطْلَقُ عليها عُمومًا في العربية «التَّعْقيبَة»[١٥١]، وإن كانت هناك أسْماءٌ أخرى قد تُسْتَخْدَم أحيانًا مثل : «كَعْب»[١٥٢]، و «وَصْلَة»[١٥٣] وأيضًا «رَقَّاص»[١٥٤]. وفي أغْلَبِ الأحْيان تُفْصَل «التَّعْقيبة» عن السَّطْر الأخير من الكِتابَة وتُدَوَّن في خَطٍّ مائل دائمًا في اتِّجاهٍ هابِط . ولكنَّنا نجد التَّعْقيبَة في بعض المَخْطُوطات المُؤَرَّخَة من نهاية القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، مُدَوَّنَة في الاتِّجاه الصَّاعِد (شكل ٣٢) . ويمكن أن تكون التَّعْقيبَة أحيانًا أُفُقية وقريبة جدًّا من آخر سَطْرٍ للكتابة ، الذي يمكن أن يُصْعَد به إلى أعْلى ليَتْرُك للتَّعْقيبَة فَرَاغًا يَنْدَرِج حينئذٍ في مَسْتطيل المِسَاحَة المكتوبة . ويبدو أنَّ

١٥١. Gacek, *AMT*, p. 100.

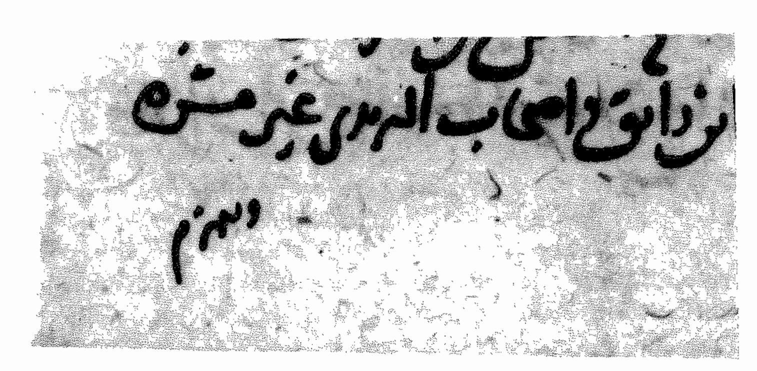
١٥٢. *Ibid.*, p. 126 ولكنه لم يَعْزُو معنى التَّعْقيبة لهذا المُصْطَلَح .

١٥٣. *Ibid.*, p. 151.

١٥٤. *Ibid.*, p. 57.

التَّعْقيبات الأُفُقِيَّة والقريبة من سطر الكتابة قد حَظِيَت باسْتِحْسانِ النُّسَّاخِ المَغَارِبَة على الأقَلِّ حتى نهاية القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

وفي العُمُوم ، لم تكن «التَّعْقيباتُ» موضُوعًا للزَّخْرَفَة أو لتناولٍ خَطِّي خاصّ في



٣٢. تَعْقيبة . من نَصّ تم كتابةُ في الشّام سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م.
باريس رقم BnF arabe 1584 ، ورقة ١٢٨ظ ، تفصيل

المَخْطُوطات العربية ، إلَّا إذا اسْتَثْنَيْنا بعض الحالات النَّادِرَة ، حيث يُوضع سَطْرٌ فَوْق التَّعْقيبَة أو تَصْحَبُها فاصِلَةٌ مَقْلُوبة مُدَوَّنَة بالمِداد الأحْمَر .

وهناك مَخْطُوطاتٌ لا تُوجَد فيها التَّعْقيبَة ، ولكن نجد آخر كلمة في ظَهْر الوَرقة يَتَكَرَّر في وجْه الوَرَقَة التَّالية ، ويُطْلَقُ عليها في هذه الحالَة «التَّعْقيبة العكسية (أو المُضَادَّة)» وأيضًا «الكلمة المُكَرَّرَة» ، وقد لُوحِظَت هذه الطَّريقة على الأخَصِّ في المَخْطُوطات المغربية من القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي [١٥٥].

ويبدو أنَّ الهَدَفَ الأوَّل للتَّعْقيبَة كان ضَمانَ التَّرْتيب الصَّحيح للكُرَّاسات : لذلك كانت تُوجَد في الوَرَقَة الأخيرة لكُلِّ كُرَّاسَة وأكثر نُدْرَة في الوَرَقَة الأولى والأخيرة للكُرَّاسة ، أو أيضًا في الوَرَقَة المُزْدَوَجَة المُنَصِّفة للكُرَّاس والوَرَقَة الأخيرة . وظَهَرَ هذا النَّمَطُ من تَوْزيع التَّعْقيبات في المَخْطُوطات المغربية ابتداءً من النِّصْف الثَّاني للقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي . ويمكن للتَّعْقيبَة كذلك أن تُشيرَ ، ليس فقط إلى تَرْتيب الكُرَّاسات ولكن أيضًا إلى تَرْتيب الأوْراق داخِل الكُرَّاسات . إذًا فالتَّعْقيباتُ تُعَيِّنُ النِّصْف الأوَّل للكُرَّاسة والوَرَقَة الأخيرة منها : فبالنسبة لكُرَّاسَةٍ خُماسية

١٥٥. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p.113; Beit-Arié, *Hebrew codicology*, Paris 1976, p. 51.

التَّكْوين ، على سبيل المِثال ، تَظْهَرُ التَّعْقيباتُ في الأوْراق من ١ إلى ٥ والورقة رقم ١٠ ، أو أيضًا في الأوْراق من ١ إلى ٤ والوَرَقَة رقم ١٠ ، وهذه الحالة الأخيرة رُبَّما اعْتَبَرَ فيها النُّسَّاخُ أنَّ الوَرَقَة المُزْدَوَجَة المُنَصِّفَة للكُرَّاس ليست في حاجةٍ إلى تَعْقيبَة بما أنَّه لن يتم إدْخالُ شيءٍ بين الظَّهْر والوَجْه الذي يليه ، أو أنَّ هذا الغِيابَ للإشارة تَحْديدٌ كافٍ لها . وقد يَحْدُثُ أيضًا ، في بعض الحالات المُتَفَرِّدة ، أن تُوجَد التَّعْقيبةُ فقط في الأوْراق من ١ إلى ٤ أو أيضًا من ٥ إلى ١٠ . ولكنَّ النِّظامَ الأكثر شُيوعًا والذي فَرَضَ نفسه مع الزَّمَن هو النِّظامُ الذي تُوجَد فيه التَّعْقيبَةُ في كُلِّ وَرَقَة .

107 / وفي المَخْطُوطات المسيحية ، حيث بدأت التَّعْقيباتُ تَظْهَرُ نادِرًا منذ النِّصْف الأوَّل للقرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي ، فإنَّنا لا نجد هذه الأنْظِمَة في التَّرْتيب في الكُرَّاس إلَّا اسْتِثْنائيًا . أمَّا بالنِّسْبَة لمَخْطُوطات سيناء فإنَّنا نجد التَّعْقيبات ابتداءً من نهاية القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، ونجدها مُسَجَّلَةً في أحَد مَخْطُوطات هذا الرَّصيد ، المُؤَرَّخة سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ، في نهاية الكُرَّاسات [١٥٦].

وتُظْهِرُ المَخْطُوطاتُ المغربية التَّعْقيبات في النِّصْف الثَّاني للقرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، مع تَفْضيلٍ للتَّعْقيبات الأُفُقِيَّة ، ولكن التَّعْقيبات المائلة المَوْجودة على كُلِّ الأوْراق أخَذَت تَعُمُّ في القَرْن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

وظَلَّت مَخْطُوطاتُ الشَّرْق الأدنى غير المسيحية المُزَوَّدَة بتَعْقيباتٍ نادِرَةً حتى النِّصف الثَّاني للقرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي . وحتى سنة ١٩٩٧ لم يُسَجَّل أيُّ مِثالٍ سابِقٍ لبداية القرن السَّابع الهجري ، إلَّا أنَّه منذ ذلك الحين ، أمْكن تسجيل شاهِدَيْن على ذلك نُسِخَا في النِّصف الثَّاني للقرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي [١٥٧] ، يمكن أن نُضيفَ إليها ، إذا كانت التَّعْقيباتُ بالفِعْل بخَطِّ النَّاسِخ ، مَخْطُوطًا كُتِبَ سنة ٥٣٦هـ/١١٤٢م [١٥٨] ومَخْطُوطًا آخَر أقْدَم كُتِبَ سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م [١٥٩] . وفي النِّصْف الثَّاني للقرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي أضْحَت التَّعْقيباتُ شائِعَةً نسبيًّا ، وأصْبَحَت مَوْجُودَةً في أكثر من نِصف المَخْطُوطات

١٥٦. J. Grand'Henry, *op. cit.*, p. 201.

١٥٧. مخطوط باريس رقم Arabe 6042، و 6440 (*FiMMOD* 57 , 171).

١٥٨. مخطوط برلين رقم SB Sprenger 432 (*FiMMOD* 190).

١٥٩. مخطوط ليدن رقم Ms Leyde, BRU Or 704، (*FiMMOD* 213).

المُعايَنة اعْتبارًا من الرُّبْع الأوَّل للقرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي . وفي القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أصْبَح وُجُودُ التَّعْقيبة في كُلِّ ورقة هو النِّظام الأكثر ذُيُوعًا ، بينما أصْبَح النِّظامُ المُتَعَلِّق بقسم من الكُرَّاس يَنْدُرُ أكثر فأكثر .

ويبدو أنَّ تَطَوُّرَ التَّعْقيبات في المَخْطُوطات العربية تَمَّ بالتَّوازي مع ما لاحَظْناه في المَخْطُوطات الفارسية ، الذي بدأ في الظُّهور في القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ثم عَمَّ في القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي[١٦٠].

/ عَلاماتُ وَسَطِ الكُرَّاس

المَكانُ والاسْتخدام

قد يَحْدُث عند فَتْحِنا للوَرَقَة المُزْدَوَجَة الوُسْطَى لبعض المَخْطُوطات ، أن نُشاهِدَ علامات مَوْجُودَة في الرُّكن الأعْلى الخارجي للوَرَقَة اليُمْنَى ، وكذلك في الرُّكن الأسْفَل الخارجي للوَرَقَة اليُسْرى (شكل ٣٣) . ويُوجَد هذا الوَضْعُ المُنْحَرِف كذلك في الاتِّجاه المُعاكِس . ويمكن كذلك أن لا نُصادِفَ سوى عَلامَةٍ واحدةٍ من هذه العَلامات . وعلى كلِّ الأحوال ، فإنَّ هذه العلامات لا تُوجَد حَصْرًا إلَّا في مُنْتَصَف الكُرَّاس ، ورُبَّما تكون هذه الإشارةُ مُوَجَّهةً لعناية المُجَلِّدين . ويبدو أنَّها لم تُسْتَخْدَم إلَّا اعْتبارًا من نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وحتى القرن الثَّامن

٣٣. عَلامَةُ وَسَطِ كُرَّاس (داخل الدَّائرة) . صورة لنَصٍّ تَمَّ كتابةً في القُدْس سنة ٦١٣هـ/١٢١٧م.
باريس رقم BnF arabe 1664، ورقة ٥٥ظ-٥٦و

١٦٠. F. Richard, F. Déroche, *op. cit.*, p. 195-196.

الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وبعد فَتْرةِ تَوَقُّف فيها اسْتِخْدامُ التَّعْقيبَة بدأ المُجَلِّدُون بعد ذلك بكثير يُعيدُون اسْتخدامها ، بما أنَّنا نجدها في مَخْطُوطاتٍ من القرن الثامن عشر ، مُدَوَّنَةً أغلب الظَّن بخَطٍّ مُخالِف لخَطِّ النَّاسِخ ، وفي أكثر الأحْيان بمِدادٍ رَمَادي شَاحِب .

الأشْكال

يمكن لعلامات وَسَط الكُرَّاس أن تَتَّخِذَ أشْكالًا مُتَنَوِّعَة .

* «الرَّقم خمسة المعروف بـ«الرُّومي» .

هذا هو الشَّكل الذي يَظْهَر في أقْدَم النَّماذِج المُؤَرَّخَة المُسْتَخْدِمَة لهذه الطَّريقة ، مثل مخطوط باريس رقم BnF ar. 6095 المُؤَرَّخ سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩ - ١٠٨٠م[١٦١]، (رَغْم أنَّ هذه العلامات ليست بخَطِّ النَّاسِخ) ، ومَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 4007 وهو نُسْخَة مغربية مُؤَرَّخة بسنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م[١٦٢]، والعَلامة فيه بخَطِّ النَّاسِخ . وتَقَعُ هذه العلامَةُ في أغْلَب الأحْيان في الرُّكن الأعْلى الخارجي للنِّصْف الأيمن للوَرَقَة المُزْدَوَجَة الوُسْطى المفتوحة ، وكذلك في الرُّكن الأسْفَل الخارجي للنِّصف الأيسر للوَرَقَة المُزْدَوَجَة نفسها ، وقد يَحْدُث أحيانًا أن لا نجد سوى عَلامَةٍ واحِدةٍ من هذه العلامات . وقد أوْصَى المُجَلِّدُ المَغْربي أبو العَبَّاس أحمد بن محمد السُّفْياني زُمَلاءَه المُجَلِّدين ، في سنة ١٠٣٠هـ/١٦١٩م ، / بأن يكتبوا في وَسَطِ الكُرَّاسات رقم خمسة بالخَطِّ «الغُباري»[١٦٣]. وظَهَرَ هذا الشَّكْلُ بالفِعْل بطريقةٍ مستمرة في المَخْطُوطات المغربية المحفوظة برَصيد مكتبة فرنسا الوطنية اعْتبارًا من بداية القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي ، حيث يُوجَد في مَخْطُوطي باريس رقم ar. 689[١٦٤] ورقم ar. 1525[١٦٥]

١٦١. *FiMMOD* 16.

١٦٢. *FiMMOD* 18.

١٦٣. Abou al-'Abbas Ahmed ben Mohammed Es-Sofiani, *Art de la reliure et de la dorure*, P. Ricard éd., Paris, 1925, p. 9؛ ولم يفهم ليفي معنى هذه الفقرة: M. Levey, *Medieval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology* [Transactions of the American philosophical society 52/4], Philadelphia, 1962, p. 52.

١٦٤. G. Vajda, Y. Sauvan, *Cat.* II, p. 69-70.

١٦٥. Y. Sauvan, M.-G. Balty-Guesdon, *Cat.* V, p. 73.

المنسوخَيْن في القرن الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي أو الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي . وبالمُقابل فإنَّها اخْتَفَت من مَخْطُوطات الشَّرْق الأدْنى ابتداءً من القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي .

* الخُطُوط الصَّغيرة

اسْتُخْدِم هذا الشَّكْلُ على سبيل المثال في مَخْطُوط باريس رقم BnF 1498 المُؤَرَّخ سنة ٦٢٨هـ/١٢٦٨م[١٦٦].

* العَوَارِض

اسْتَخْدَمَ مخطوط باريس رقم BnF ar. 1595 (كراسة ١٥٥-١٦٤ظ)، المُؤرَّخ سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[١٦٧]، ومَخْطُوط باريس رقم ar. 881 المُؤَرَّخ سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م هذا الشكل لتحديد وَسَط الكُرَّاس، وهذه العَوَارِضُ أو الخُطُوطُ الطَّويلَة، اسْتُخْدِمَت بكثرة في فترة متأخِّرة، على سبيل المثال في المَخْطُوطات التي كُتِبَت أو أُعيد تَجْليدُها في الهِنْد منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي وإلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي .

* النِّقـاط

هذه الإشاراتُ الرَّقيقة جِدًّا لا يمكن كَشْفُها إلَّا من خِلالِ وُجودها على مَسافات مُنْتظمة .

* عَلاماتٌ مُتفَرِّقة

وتَظْهَرُ كذلك عَلاماتٌ أخرى من قبيل الرَّقم اثنين الشَّرْقي مَمْدُودًا نحو الأسْفل ومُدَوَّنًا بالحبر الأحمر، أو حرف «ميم»، ونجد كذلك نقاطًا مجمعة في هيئة ثلاث نقاط في وَسَط الهامِش الخارجي أو أيضًا دوائر صغيرة .

---

١٦٦. Y. Sauvan et M.-G. Balty-Guesdon, *Cat.* V, p. 48-49; *FiMMOD* 72.

١٦٧. Y. Sauvan et M.G. Balty-Guesdon, *Cat.* V, p. 141; *FiMMOD* 121.

ويبدو أنَّ كُلَّ هذه العلامات كانت تَهْدِفُ إلى حِفْظِ تَرْتيب الأوْراق، فيما عدا عَلامات وَسَطِ الكُرَّاس، التي كانت فيما يبدو خاصَّةً باستخدام المُجَلِّدين، إن لم يكونوا هم أنفسهم الذين دَوَّنُوها . ولا يمكن أن تكون هناك وَظيفَةٌ للتَّعْقيبات في أثْناء المُطالَعَة إذا لم تكن ظاهِرَةً إلَّا في قِسْمٍ أو في نهاية الكُرَّاسات، ولكن الهَدَف منها كان المحافظة على التَّسَلْسُل السَّليم للأوْراق، سواء أكان المَخْطُوط سيُجَلَّد أم لا . وأصْبَحَت هذه الإشاراتُ التِّقْنية تدريجيًّا جزءًا لا يتجزَّأ من جماليَّات الصَّفْحَة، ومن الممكن أن تكون عُمِّمت للغَرَضِ نفسه بعضُ الطُّرُق ككتابة الرَّقم بكلِّ الحُرُوف أو كتابة التَّعْقيبة في كُلِّ الأوْراق .

أدواتُ (آلات) وتحضيرات صُنّاع الكتاب

١٧٦

تُقدِّمُ المَصادِرُ الشَّرْقية لعالِم المَخْطُوطات مَعْلُومات مُتَنَوِّعَة للغاية عن الأَدَوَات (الآلات) التي كان يستخدمُها صُنَّاعُ الكتاب . وقد أَوْلى النُّسَّاخُ والخَطَّاطُون اهْتمامًا خاصًّا للقَلَم والأحْبار اللذين وَصَلَ إلينا عنهما عَدَدٌ لا بأسَ به من المُؤلَّفات . ولكن الوَصْفات الدَّقيقة جِدًّا التي تَسْمَحُ بإعْدادِ هذا المُسْتَحْضَر أو ذاك تَحُومُ حَوْلَ أشْكالٍ يكون الطَّابعُ الأدَبي ظاهِرًا فيها . وبالمُقابِل ، فإنَّ مَعْلوماتِنا عن المَسَائل الأخرى قَليلَةٌ جِدًّا بل حتى مُنْعَدِمَة .

أدَواتُ النُّسَّاخ والرَّسَّامين والمُزَوِّقين

القَـــلَم

لا يُوجَدُ شيءٌ يَتَّصِلُ بصِناعَة الكُتُب المَخْطُوطَة يحتلُّ مَكانَةً يُحْسَدُ عليها في ثَقافَةِ النُّسَّاخ والكُتَّابِ والخَطَّاطين مثل «القَلَـــم» . وقد أُخِذَ اسْمُ القَلَم[١] من اليونانية *Kalamos*، ويَظْهَرُ في النَّصِّ القُرْآني وعلى الأخَصِّ في سُورَة القَلَم (السُّورَة رقم ٦٨) التي تَبْدأ بالكلمات ﴿ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٢] . وقد تَمَّت حَوْلَ القَلَم نَظَرَاتٌ ذات طابعٍ عَقَائِدي وفَلْسَفي تَخْرُجُ عن إطارِ عِلْم المَخْطوطات (الكُوديكُولُوجيا) ، ولكنَّها قَيِّمَة من أجْلِ الإحَاطَة بثَقافَة نُسَّاخِ العالَم الإسْلامي وخَطَّاطيه[٣] .

١. Gacek, *AMT*, p. 118.

٢. الآيتان ١ ، ٢ سورة القلم ، وتوجد إشاراتٌ أخرى للقلم في الآية ٢٧ سورة لقمان ، والآية ٤ سورة العلق .

٣. توجد تحليلات خاصة حول هذا الموضوع في كتاب Qadi Ahmad, *Calligraphers and painters, A treatise by Qadi Ahmad, son of Mir-Munshi (circa A.H. 1015/A.D. 1606)*, trad. V. Minorsky, Washington, 1959, p. 48-52). واقترحت آن ماري شيمل A. Schimmel تعليقات موضحة في *Calligraphy and Islamic culture*, New York/Londres, 1984, خاصة في ص ٧٧ - ٨٠. وفيما يخص تقديم الأدوات ، تعمدنا ألا نذكر =

113 ١٧٧

/ ويُجَهَّزُ القَلَمُ من بُوصٍ كان اخْتيارُه مَوْضُوعَ تَوْصِيات دَقيقَة جدًّا من جانب المُؤلِّفين . ففي حَقيقَة الأمْر يجب التَّمْييز بين نَوْعياتٍ مُتَعَدِّدةٍ (ذكَرَ منها أدولف جروهمان Adolf Grohmann «*Juncus arabicus maritimus, phragmites, communis, calamus Roteng, saccharun biflonum*»)[٤]، وأيضًا انْتماءات مختلفة[٥] . وحَدَّدَ مَصْدَرٌ متأخِّرٌ أنَّ امْتِلاء القَلَم يجب أن يكون وَسَطًا بين غِلَظِ السَّبَّابَة إلى الخِنْصَر ، أي المَفْرُوض أن يكون مُعْتَدلًا بين الطُّول والقِصر والغِلَظِ والرِّقَّة . وتَبَعًا لبعض المُؤلِّفين فإنَّه لا يجب اسْتِخْدامُ البُوص الخام مُباشَرَةً ، لأنَّه يجب أن يَخْضَع لتَجْهيزاتٍ قَبْل أن يكون صَالحًا للاستعمال ؛ ويُوصَى بأن يُبَلَّ في الماء حتى يكون لائِقَ المَظْهَر . وبمجرَّد الوُصُول إلى هذه المرحلة يبدأ بَرْيُ القَلَم ، وتَرْتبطُ هذه العملية في أوْساطِ الخَطَّاطين بطُقُوسٍ حقيقية ، إلى حَدِّ أنَّ بعضَ الكُتَّاب أو النُّسَّاخ احْتَفَظُوا بسرِّيَّة طريقتهم في بَرْيِ القَلَم ، فكان الضَّحَّاكُ يَتوارَى للقيام بهذه العملية [لئلَّا يَرَاهُ أحَدٌ ، ويقول : «الخَطُّ كُلُّه للقَلَم»] ، بينما كان من يُدْعَى الأنْصَاري يقوم بكَسْرِ سِنُون [رُؤُوس] أقْلامِه بعد اسْتِخْدامها[٧] . ويبدأ النَّاسِخُ بقَطْع قِطعةٍ مُناسبةٍ من طُولِ القَلَم بواسطة سِكِّين حادّ ويَعْمل على بَرْيِ الطَّرَف الذي سيُسْتَخْدم في الكِتابَة[٨]، ويَبْري

= إلا المراجع ؛ وفي الواقع وبسبب استعمال الخَطَّاطين لهذه الأدوات ، فقد أفْرَدَت العديد من المؤلفات المخصصة لفن الخط مكانًا مُهِمًّا لهذه المسائل التقنية.وفيما يخص بري القلم والنِّسَب ما بين طرفي السن ، أو زاوية البري ، توجد أيضًا وفرة في النصوص : ونحيل على سبيل المثال إلى ابن باديس : عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق الحلوجي وزكي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٧ (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ٧١ ؛ نقله إلى الإنجليزية M. Levey, *Medieval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology* [Transactions of the American philosophical society 52/4], Philadelphia, 1962, p. 13-15.

٤. A. Grohmann, *AP* I, p. 119.

٥. انظر Grohmann, A., *op. cit.*

٦. وحسب U. Derman: «Hat», في *Sabanci Koleksiyonu*, Istanbul, 1995, p. 17)، يجب حِفْظ القصب في الزبل قبل بَرْيِه .

٧. الزبيدي ، حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ٧٨ وترجمة : N. Abouricha, *Recherches sur l'opuscule Hikmat al-israq ila kuttab al-afaq de Murtadâ al-Zabîdî, XIIe/XVIIIe s.*, thèse، رسالة غير منشورة . تَمَّت الإشارة إلى وجود طائفة «مُبْري الأقلام» في إستانبول F. Hitzel, «Manuscrits, livres et culture livresque à Istanbul», (*REMMM* 87-88 (1999), p. 21 ؛ وترتكز هذه الإشارة على فهم سيئ للكلمة التي تشير في الحقيقة إلى صُنَّاع السكاكين المخصصة لبري الأقلام .

٨. M.B. Yazir, *Medeniyet âleminde yazi ve islâm medeniyetinde kalem güzeli*, 2e éd., Ankara, 1981, p.141-144, pl. 125 , 126.

جانبي القَلَم [حَوَاشيه] من أسْفَلِه حتى يَبْرُز السِّنّ [الرَّأس] . وفي الأخير يَضَع القَلَم فَوْق قُرْصٍ من الخَشَب الصَّلْب («المِقَطّ» وبالعُثْمانية «مَكْطَع» ، انظر فيما يلي) يَسْمَح له بالإبْقاء على اسْتواء القَلَم فيَقْطع بجلاء الأطْراف على زاويةٍ لها أهَمِّيتُها الخاصَّة عند الخَطَّاطين . وتُوجَدُ بَرْيةٌ وسُمْكٌ لسِنّ القَلَم لكُلّ أُسْلُوبٍ في الخَطّ . وأخيرًا تُشَقُّ جِلْفَةُ القَلَم شَقًّا مُتَوَسِّطًا إلى نصفين باتجاه الألْياف .

واسْتَخْدَمَ النُّسَّاخُ في المغرب قَلَمًا ذا شَكْلٍ مُخْتَلِفٍ جِدًّا ، فتبَعًا لأوكتاف هوداس Octave Houdas كان يُجَهَّزُ من البُوصِ المعروف بـ *arundo donax* الذي تُقَطَّعُ أَلْيافُه إلى شَرَائِحَ[٩] ، يُمَثِّل مَقْطَعُها العَرَضي شَكْل قَوْسِ دَائِرَة ، سَطْحها الخارجي طَبيعي بينما الآخَرَ مُخَشْوَشِن في قسمه الأوْسَط وطَرَفاهُ مَشْطُوفان حتى يمكن مسكهما باليد ؛ وكان الطَّرَفُ المُخَصَّصُ للكتابة يُبْرَى بحيث يُنْشِئُ سِنًّا يُمَثِّل جانباه زاويةً بين ٢٥ و ٣٠° تُقْطَعُ قِمَّتُه بالقُرْب من النُّقْطَة النّهائية ، بينما وَجْهُه الأسْفَل / مُجَوَّف بشُقُوقٍ عَريضَة يصل طُولُها إلى حوالي ٤سم يَرْسم مُحيطُها شكل المُعَيَّن (شكل ٣٤) . وعندما يصبح قَلَمُ البُوص جَاهِزًا يقوم مُسْتَخْدِمُه بشَقّ طَرَفِه بعض مليمترات .

ولاحَظَ هوداس Houdas أنَّ «حَوَافَّ الخَطِّ المغربي شِبْه مُمَوَّهَة ، بَدَلًا من أن تكون ذاتَ حُدُودٍ جَليَّة وواضِحَةٍ مثل «النَّسْخي» [...] ، وفَضْلًا عن ذلك فإنَّ عَرْضَ الخَطّ المغربي ، دون أن يكون مُوَحَّدًا تمامًا ، لا يُظْهِر هذا التَّتالي للنُّحُول المتلئ الذي يُعْطيه الطَّابعُ الفُحُولي للخَطِّ النَّسْخي»[١٠] . ويرى هوداس Houdas أنَّ سَبَبَ هذا الاختِلاف هو هذا النَّوْعُ الخاصُّ من الأقْلام المُسْتَخْدَم في هذا الجانب من العالم الإسلامي : ففي حَقيقَة الأمْر احْتَفَظ المغربُ الإسلامي بالطَّريقة القديمة في بَرْي الأقْلام ، بينما صَاحَبَ حَرَكَةَ إصْلاح الكتابة التي قادَها ابنُ مُقْلَة في الشَّرق ذُيُوعُ القَلْم «ذي الرَّأس المُسَطَّح المَبْري بميلٍ حادٍ من الجانبين»[١١] . ويجب أن نَفْحَص بعنايةٍ أكثر الطَّريقة التي عُمِلَ بها سِنُّ القَلَم المغربي ، فالأشكالُ «المُمَوَّهَة» التي يَتَحدَّث عنها هوداس Houdas يُفَسِّرُها أنَّ هذا القَلَم يميل إلى أن يُشْبه المِرْسَم .

٩. O. Houdas, «Essai sur l’écriture maghrébine», *Nouveaux mélanges orientaux*, Paris, 1886, p. 98.

١٠. *Ibid.*, p. 105.

١١. *Ibid.*, p. 96.

سنون أقلام مغربية (السَّطْح الأعلى والسَّطْح الأسْفَل مبرية)

أقلام شرقية (قلمان وقسم من قَصَبٍ سليم)

أقلام مغربية (منظر أعلى لاثنين منها وللسَّطْح السفلى لاثنين آخرين)

سُنُون أقلام شرقية (تفصيل)

٣٤. أقلامٌ مَشْرقية ومغربية

واسْتُخْدِمَت الأَقْلامُ في كِتابَة النُّصوصِ على الرَّق وعلى الوَرَق . وبالمقابل فقد كانت هناك أَدَواتٌ أخرى يمكن اسْتِخْدامُها للكِتابَة على البَرْدي كما سنرى فيما بعد . ولكن كيف أَنْجَزَ النُّسَّاخُ كِتابَة المَصاحِف المُبَكِّرَة (من القرن الثّاني الهجري/ الثّامن الميلادي إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)؟ إنَّ خُطُوطَ بَعْض هذه المَصاحِف ، مثل القِطْعَة المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 324c، سميكةٌ للغاية ، إلى الحَدّ الذي يجعلنا نتساءَل عَمّا إذا ما كانت قد اسْتُخْدِمت لذلك أداةٌ (آلَةٌ) خاصّة[١٢] . وللأَسَف ، فإنَّه من المستحيل أن نُجيبَ على هذه التَّساؤلات في غَيْبَة الدِّراسات المُتَخَصِّصَة أو وُجود إشارَةٍ إلى ذلك في المَصادِر القديمَة . غير أَنَّنا نعرف أنَّه في فَتْرَةٍ أحْدَث كان تحت تَصَرُّف النّاسِخ كذلك أقْلامٌ تَسْمَح له بإنْجاز كِتاباتٍ أكثر سَماكَةً . وتُظْهِرُ المُؤَلَّفاتُ المُعاصِرَة المُخَصَّصَة لعِلْم الخَطِّ نَماذِجَ لأَقْلامٍ منحوتة من الخَيْزُران أو حتى من الخَشَب ؛ وفي هذه الحالة الأخيرة قد يَحْدُث أن تكون الأداة قد قُدَّت من قِطْعَةٍ واحدةٍ ، أو أن يكون طَرَفُها المُخَصَّص للكتابة مَشْدُودًا إلى مِقْبَض[١٣] ؛ ولكن الأَمْر لا يعني إطْلاقًا أقْلامًا حقيقية ، بل على الأخرى أدوات أُعِدَّت لتَلْبِيَة احتياجاتِ كِتابَةِ الخَطِّ الحَديث . وأشارَ المُؤَلِّفون الأَتْراك إلى اسْتِخْدام نباتاتٍ مَجْلُوبَةٍ من جاوَة لكتابة الحُرُوف الطَّويلة نِشْبيًّا[١٤] ؛ ويبدو أنَّ صُورَتها تُظْهِرُ مِقياسًا مماثِلًا لِمقياس القَلَم التَّقْليدي .

وسنَتَطَرَّق فيما يلي للحَديث عن الكتابَة بالذَّهَب : فقد كان التَّذْهيبُ في المَخْطوطات بالخَطِّ العَرَبي يُوضَع على الحامِل (المادّة المكتوب عليها) ثم يُشَعَّر بالمِداد الأَسْوَد : ولا يمكننا اسْتِبْعاد إمكانية أن تكون الأَداة المُسْتَخْدَمَة لذلك تَخْتَلِف عن قلم النّاسِخ ، رُبَّما لأَنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّق على التَّدْقيق بأداةٍ للتَّزْيين .

١٢. يقول هوداس (Ibid., p. 96) : «ونعلم أن الخط الكوفي يكتب بقلم ذي حد ، بينما لا يمكن كتابة الخط النسخي إلَّا بقصبة في طرفها شق مستقيم بُرِيَت حافتاه بميل وذي حَدٍّ حاد» .

١٣. M. B. Yazir, *op. cit.*, p. 139 ولوحة 124 a , b؛ U. Derman, *Ibid.*

١٤. *Ibid.* لوحة 124, h , i؛ U. Derman, *Ibid.*

116

/أدَواتٌ أُخرى مُسْتَخْدَمَة في الكِتابَة

لقد عُرِفَت كذلك أدَواتٌ مَعْدِنيةٌ اسْتُخْدِمَت في الكتابة ، رغم أنَّه لم يَصِل إلينا منها شيءٌ فيما يبدو . ولقد ظَنَّ أدولف جروهمان Adolf Grohmann أنَّه وَجَدَ إشارَةً إلى قَلَم مَعْدِني [بقَلَم حَديد] في أحَدِ نُسَخ كتاب ابن باديس[١٥] ، وتَحْتَفِظُ «أَلْفُ لَيْلَةٍ ولَيْلَة» بإشارَةٍ تَحْمِل هذا المَعْنى ، ويَتَعَلَّق الأَمْرُ عندئذٍ بـ«الصُّفْر» [الذي يُعْمَل منه الأواني ، أي النُّحاس][١٦] . ويَبْدو أنَّ طَريقة عَمَلِه تُماثِلُ طَريقَة عَمَلِ قَلَم البُوص ، مع أنَّه من الممكن أن نَظُنّ أنَّ سِنَّ القَلَم يَظْهَر بطريقة مختلفة . وهناك أداةٌ معدنيةٌ أخرى لا نَعْرِفها إلّا من خِلال نَصٍّ مَشْهُورٍ للقاضي النُّعْمان [بن حَيُّون] تختلف جِذْريًّا عن الأُنْموذَجَيْن السّابقين : فقد أرادَ الإمامُ المُعِزُّ لدين الله الفاطمي «أن يُعْمَل قَلَمٌ يُكْتَب به بلا اسْتِمْدادٍ من دَواةٍ ، يكون مِدادُه من داخله : فمتى شاءَ الإنْسانُ كَتَبَ به فأمَدَّه وكَتَبَ بذلك ما شاءَ ، ومتى شاءَ تَرَكَه فارْتَفَعَ المِدادُ وكان القَلَمُ ناشِفًا منه ، يجعله الكاتِبُ في كُمِّه أو حيث شاءَ فلا يُؤَثِّر فيه ولا يَرْشَح شيءٌ من المِداد عنه ، ولا يكون ذلك إلَّا عندما يَبْتَغي منه ويُرادُ الكِتابَةُ به» ، فأمَرَ به فعَمِلَه صَانِعٌ من الذَّهَب[١٧] .

أمَّا بالنِّسْبَة للنُّصوصِ المكتوبة على البَرْدي ، فقد اسْتُخْدِمَ البُوص ، غير أنَّ هذه الأداة قد تكون عند الحاجَة أقْرَبُ إلى المِرْسام أو الفُرْشاة أكثر من القَلَم كما وَصَفْناه فيما تقدَّم . فالخُطُوطُ السَّميكة التي تَظْهَرُ أحيانًا (مثلما هو الحالُ في البروتوكول) من المُحْتَمَل أن تكون نُفِّذَت بهذا الشَّكْل[١٨] . ومن الممكن كذلك أن يكون شكلُه على شكل القَلَم المغربي ـ الأمْر الذي يَذْهَب في اتِّجاه مُلاحَظة أوكتاف هوداس Octave Houdas المذكورة فيما تقدَّم : ويمكن أن نَطْرَح ، على ضَوْءِ الدِّراسات الحَديثَة ، مسألة

١٥. API, p. 122، مشيرا إلى مخطوط برلين رقم SB Landsberg 637,، ورقة ١٩.

١٦. مذكورة في API, p. 122 نقلًا عن الليلة الثامنة والخمسين في ترجمة E. Littmann, *Die Erzählungen aus den tausend und Ein Nächte*, t. I, 1934, p. 642.

١٧. كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الفقي وشبوح واليعلاوي ، بيروت ١٩٩٧، ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

١٨. G. Khan, «Arabic papyri», *Codicology*, p. 15.

اسْتِخْدام أداةٍ مُحَدَّدَةٍ لكُلِّ مجموعةٍ كبيرةٍ من المِداد ، فقد اسْتُخْدِمَ المِرْقاشُ في مصر البَطْلَمية ، للكتابة بالحِبْرِ الكَرْبوني ، بينما ارْتَبَطَ القَلَمُ بالكتابة بالمِداد المَصْنُوع من المَعْدِن والعَفْص [١٩].

ونُشيرُ ، على هامِشِ مجال الكتاب المَخْطُوط بمعناه الضَّيِّق ، إلى أنَّ الخَطَّاطين كانوا يَنْشِدُون التَّفَرُّدَ بكتابة نُصُوصٍ قَصيرةٍ نِسْبيًّا بطريقةٍ بارزةٍ بدون مِداد . ومع أنَّ هذا الشَّكْل يُطْلَق عليه في العُمُوم «الكِتابَة الظُّفْرية» (بالفارسية خَطِّي ناخونخ) فإنَّ إحْكامَ بعض النَّماذِجِ المعروفة منها وأناقَتَها تَجعلها تبدو كما لو أنَّ الكِتابَة قد اسْتُخْدِم فيها قَلَمٌ أو مِرْقَمٌ من نَوْعٍ ما [٢٠].

117

/ أدَواتُ النَّاسِخ الأخرى

إنَّنا نَسْتَمِدُّ مَعْلُوماتِنا عن الأدَواتِ التي اسْتَخْدَمَها النَّاسِخُ في الأَسَاسِ من المُؤلِّفين المُرْتَبِطين بأوْسَاطِ كُتَّابِ الدَّواوين أو الخَطَّاطين [٢١]؛ ومن هنا ، فإنَّ بعضَ الأدَوات التي اسْتُعْمِلَت خلال عملية نَسْخِ المَخْطُوطات لا يُشارُ إليها ، في الوقت الذي يُشارُ فيه إلى أدواتٍ أخرى مثل المَشْبَك المُخَصَّص لتثبيت «مَلْزَمَة» الوَرَق [٢٢] لاختصاصها بأعمالِ كُتَّابِ الدَّواوين . وبالإضافَة إلى ذلك ، لا تُوجَدُ أيَّةُ إشَارَةٍ إلى الأثاث الخاصّ الذي كان يَسْتَخْدِمه النَّسَّاخ . ومع ذلك ، فإنَّ إحْدى وَثائِق جنيزَة القاهرة ـ التي يُحْتَمل تأريخُها بالقرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي ـ تمدُّنا ببعض المُؤَشِّرات

١٩. E. Delange, M. Grange, B. Kusko et E. Menei, «Apparition de l'encre métallogallique en Egypte à partir de la collection de papyrus du Louvre», *Revue d'égyptologie* 41 (1990), p. 215.

٢٠. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 185, nº 172 (مخطوط متحف ڤيكتوريا وألبرت بلندن V&AM I.D. بدون رقم ، المنسوخ في تموز سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ـ٤٩م) وص ١٨٧ رقم ١٧٣ (مخطوط المكتبة نفسها رقم 4625 المنسوخ بكشمير سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦ـ٦٧م) .

٢١. ـ ورد رَسْمٌ عند J. Pedersen, *The Arabic book* ill. 6 («Typical book and writing untensils *(sic)* on nineteenth-century Egypt», E. W. Lane, The Manners and Customs of the Modern Egyptians, London 1908) يعطي لمحة عن أدوات النساخ : ونلاحظ علاوة على القلم ، السكين ، والمسن ، والمسطرة ، ولوحة توضع عليها الأوراق للكتابة والمقلمة ومعها المحبرة ، والمقص ؛ والقاموس موضوع في طرف المكتب .

٢٢. A. Grohmann, *API*, p. 126.

المُفيدَة حَوْل هذا الموضوع ، حتى وإن تَعَلَّقت بنُسَّاخٍ يهود [٢٣].

وكان يجب أن يكون لل « سِكِّين » («السِّكِّينة») [٢٤] المُخَصَّص لبَرْيِ مادَّة صَلْبَةً مثل البُوص ، شَفْرَةٌ من الصُّلْب الجَيِّد وحادَّةٌ للغاية ، بحيث يُحْتَمَل أن تُمَثِّل خُطُورَةً [٢٥]. وحتى نَتَجَنَّب إضْعاف حَدِّ السِّكِّين فقد كان يتمُّ بَرْيُ القَلَم على «مِقَطٍّ» أو «مِقَطَّة» [٢٦] («مَكْتَع» بالعُثْمانية) من الخَشَب [٢٧]، أو العاج ، أو الصَّدَف ، أو العَظْم ؛ ويبدو أنَّ المَعْدِن الذي كان يُفَضَّل اسْتِخْدامُه والذي وَرَدَ ذكره في القائمة السَّابق الإشارة إليها هو «المِقَطّ النُّحاس» [٢٨]. وغالبًا ما تكون هذه المادَّةُ لَوْحًا بسيطًا صغير الحَجْم [٢٩]، وإن وُجِدَت كذلك أنْواعٌ أخرى أحْسَنُ إعْدادًا . وكان «المُقَطَّعُ» الأكثر اسْتِخْدامًا في العالم العُثْماني مَنْحُوتًا من العاج أو الصَّدَف أو العَظْم ، ويتألَّف سَطْحُه من نُتُوءٍ كان طَرَفُه الأعْلى ، المُخَصَّص لتَثْبيت البُوصَة خلال البَرْي ، مُقَعَّرًا [٣٠].

118

/ أمَّا «المِحْبَرَة» [٣١] [«الدَّواة»] فكانت مُزَوَّدَةً بـ «لِيقَة» من [الحَرير أو] الصُّوف أو القُطْن [سَمَّتها العَرَبُ كُرْسُفًا] تَسْمَحُ بالتَّحَكُّم في كَمِّيَّة المِداد التي يستمدُّها

٢٣. J. Sadan, «Nouveaux documents sur scribes et copistes», *REI* 45 (1977), p. 41-56. يتكون المقطع Makta' العثماني من دكة معدنية وجزء من العاج الذي يوضع عليه طرف القلم لبريه .

٢٤. Gacek, *AMT*, p. 70، السكين فقط .

٢٥. M. B. Yazir, *op. cit.*, p. 145-147 et pl. 127 (*kalemtras*)، ويحيل ابن باديس : المرجع السابق ١٤ـ١٥، إلى سكينين .

٢٦. Gacek, *AMT* pp. 116-117.

٢٧. يوصي العلموي ، في كتابه : «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» باستعمال الآبنوس (ترجمة روزنتال في F. Rosenthal, *The technique and approach of Muslim scholarship*, p. 13) . ويوصي ابن باديس بخشب صلب (المرجع السابق ، ١٥) ، وانظر أيضًا القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ٢: ٤٦٨.

٢٨. J.Sadan, *op. cit.*, p. 54.

٢٩. راجع على سبيل المثال االشكل الوارد عند : A.F.J. Herbin, *Développemens de la langue arabe moderne, suivis. d'un essai de calligraphie orientale*, Paris, 1807, pl. 6, 27 وكذلك M.B. Yazir, *op. cit.*, pp. 147-148; U. Derman, *op. cit.*, p. 19.

٣٠. J. Pedersen, *op. cit* شكل ٦ و ٢٧؛ M. B. Yazir, *op. cit* شكل ١٣٠؛ A. Grohmann, *AP* I, pl. XXII/1; U. Derman, *op. cit.*, p. 19; J. M. Rogers, Geneve 1995, p. 102-103, nos 56-58, 231, nos 159, 247, nº 172; Versailles 1999, p. 109 nº 123. وفي تركيا ، أُطْلِقَ على النُّتُوء المُخَصَّص لوَضْع القَلَم «قلم يوفازي *Kalam Yuvasî*» (عِشّ القَلَم) .

٣١. Gacek, *AMT*, p. 28، وهذا النوع من الدواة يمكن أن يوضع على مكان مسطح ، بينما يُحْمَل النوع الآخر ، وكلاهما مذكور في لائحة الجنيزة ، الأمر الذي يمنع افْتِراض أنَّ المَحْبَرَة كانت حِكْرًا على نُسَّاخ المخطوطات أكثر من الدَّواة .

القَلَم [٣٢]. وللتَّحكُّم في تَجانُس الخَليط ولتَجَنُّب رُسُوب المِداد في قَعْرِ الوِعاء، كان النَّاسِخُ يَسْتَخْدِمُ قَضيبًا لتَحْريكه يُعْرَف بـ«المِلْواق». ويُوصي الزَّبيدي في رسالته «حِكْمَة الإِشْرَاق إلى كُتَّابِ الآفاق» بالآتي: «ولا يكون [حُقُّ المِدَاد] مُرَبَّعًا على حالٍ، لأنَّه إذا كان مُرَبَّعًا يتكاثَفُ المِدادُ في زَواياه فيَفْسَدُ المِدادُ، فإذا كان مُسْتَديرًا كان أنْقَى للمِداد وأسْعَد في الاسْتِمْداد. ويجتهد في تَحْسينها وتَجْويدها وتَصْوينها» [٣٣].

وتَظْهَرُ من بين لَوَازِم النُّسَّاخ «المِصْقَلَة»، التي تُوجَد لها عِدَّةُ أشْكالٍ تَسْتَجيبُ لاسْتِخْدامَيْنِ رئيسين. يَرْتَبِطُ أوَّلُهما، وهو الأكثر ذُيُوعًا، بتَحْضير الوَرَق بدَهْنه بمادَّةٍ على قاعِدَةٍ نِشَوِيَّة يَتْبَعُها صَقْلٌ دَقيقٌ؛ وللوُصُول إلى نتيجةٍ مُرْضية تُسْتَخْدَم أدواتٌ ذات حَجْمٍ كبيرٍ نِسْبيًّا يُفَضَّلُ أن تكون من الزُّجاج أو الحَجَر الأمْلَس أو الصَّدَف [٣٤]. وفيما يَتَعَلَّق بصَقْلِ عناصِر التَّذْهيب (في الكتابة أو التَّذْهيب)، تُسْتَخْدَم أدواتٌ صغيرةُ الحَجْم تَتَشَكَّل غالبًا من حَجَرٍ جافٍّ مَشْدُودٍ إلى مِقْبَض يَسْمَح بإنجاز هذه المُهِمَّة بطريقةٍ فَعَّالَة [٣٥].

وكما سَبَقَ أن لاحَظَ يوسف سَدان Joseph Sadan فإنَّه يُطْلَقُ على المِسْطَرَة أو لَوْحَة التَّسْطير كلمتي «مِسْطَر» و«مِسْطَرَة» [٣٦]. والأداتان لازِمَتان لنُسَّاخ المَخْطُوطات. حقيقَةً أنَّ «المِسْطَرَة» ظهرت متأخِّرةً بما أنَّه يبدو أنَّ اسْتِخْدامَها مُرْتَبِطٌ ببداية اسْتِخْدام الوَرَق كما أنَّها كانت أقَلَّ اسْتِخْدامًا في مَناطِق مثل المَغْرِب، وسنعود إلى ذلك فيما بعد [٣٧]. وتُشيرُ قوائمُ الأدَوات (الآلات) التي اسْتَخْدَمَها الخَطَّاطُون إشارَةً خاصَّةً إلى «البِرْكار» الذي يُسْتَخْدَم في بناء المساحة المُشْتَغَلَة في الكِتابَة. ويُشيرُ ابنُ الصَّائغ إلى البِرْكار الذي يَرَى أنَّه من بين الأدوات التي يَسْتَخْدِمها

٣٢. M. B. Yazir, *op. cit.*, p. 150-51، ولوحة ١٣٦؛ U. Derman, *op. cit.*, p. 23.

٣٣. الزبيدي: حكمة الإشْراق ٧٣، وترجمة N. Abouricha, *op. cit.*, p. 73.

٣٤. M. B. Yazir, *op. cit.*, p. 168-169, pl. 153-155; U. Derman, *op. cit.*, p. 20.

٣٥. M. B. Yazir, *op. cit.*, p. 169-170, pl. 156; J. M. Rogers, Geneve 1995, p. 243 nº 169; Versailles 1999, p. 170, nº 124. وانظر كذلك فيما يلي.

٣٦. Gacek *AMT* p. 68، المِسْطَرَة فقط.

٣٧. انظر فصل «التسطير وإخراج الصفحات».

الوَرَّاقُون [٣٨]، والتي يمكن لسِجِلَّات المحاكم الشَّرْعية القاهرية التي تُسَجِّلُ تَرِكات المُتَوَفِّين أن تَحْفَظَ لنا بعض آثارها [٣٩].

وتُثْبِتُ لنا المُنَمْنَماتُ اسْتِخْدامَ النُّسَّاخ لـ«قِمَطْر» أو «المِقْرأ»، وتُشيرُ قوائِمُ وَثائِق جِنيزَة القاهرة Cairo Geniza Documents إلى أداتَيْن يمكن أن تكونا قد اسْتُخْدِمتا كحامِلَيْن للكُتُب (وَقت النَّسْخ [الصَّوَابُ: أثناء القِرَاءَة]): «الكُرْسي» و«المِرْفَعَة» [٤٠]، وهي/ 119 تظهر كقِطْعَةِ أثاثٍ يمكن طَيُّها وعند فتحها تأخُذ هَيْئَة حرف X، حيث يُوضَع الكِتابُ على فتحتها العُلْيا. وعادَةً ما يَظْهَر النَّاسِخُ في المُنَمْنَمات مُتَّخِذًا وَضْعَ القُرْفُصاء عند الكتابة والوَرَقُ مُسْتَقِرٌّ على فَخْذه. وتُظْهِرُ لنا المُنَمْنَماتُ العُثْمانية أثاثًا مُنْخَفِضًا يَضَعُ عليه النَّاسِخُ الكتابَ مَفْتُوحًا حتى يمكن أن يُمارِسَ عمله [٤١]؛ وقد وَصَلَ إلينا منها عَدَدٌ من النَّماذِج، صُنِعَ بَعْضُها من خَشَبٍ ناعم مُطَعَّم بثراء. وتتأكَّدُ هذه المُلاحَظَة، التي من الممكن أن تكون قد امتدَّت إلى الهِنْد [٤٢]، بفَضْل بعض قِطَع الأثاث من هذا النَّوْع التي وَصَلَت إلينا [٤٣].

٣٨. ابن الصائغ، تحفة أولي الألباب إلى صناعة الخط والكتاب، تحقيق هلال ناجي، تونس، ١٩٦٧، ١٠٥. ويوجد البركار أيضًا إلى جانب المسطرة، ضمن أدوات المجلدين كما ذكر ابن باديس (المرجع السابق ١٥٣ وترجمة ليفي Levey, *op. cit.*, p. 41).

٣٩. J. Sadan, *op. cit.*, p. 49, n.49. وتتطلب وصفة لإخراج الصفحة مذكورة في فصل «إخراج الصفحات» استخدام البركار.

٤٠. Gacek, *AMT*, pp. 124, 57؛ وأيضًا رَحْل (*Ibid.*, p. 54) ومِلْزَمَة (*Ibid.*, p. 128).

٤١. Versailles 1999, p. 165, nº 115 (مخطوط متحف طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS H 2169، ورقة ٥١ظ، من نهاية القرن السادس عشر)؛ Copenhague 1996, p. 137, fig. 46 (مخطوط متحف طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS H 1609، ورقة ٧٤، نحو سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م). يدور المَشْهَد في وَسَطٍ للخطَّاطين؛ ولا شيء يدلنا على أن هذا الأمر يمكن أن يُعَمَّم.

٤٢. انظر الشكل الهامشي المشهور في أليوم جهانكير Album de Jahangir (Washington, Freer Gallery 54.116; vers 1010-1020/1600-1610).

٤٣. VersailleS 1999, p. 167, nº 117 (Paris, Louvre, section isl. MAO 871) et Copenhague 1996, p. 152-153, nº 115, The David Coll., 19/1985.

أدَواتُ المُصَوِّرين والمُزَيِّنِين[٤٤]

لقد أشَرْنا فيما سَلَف إلى عَدَدٍ من الأدَوات (الآلات) المشتركة بين الكُتَّاب والفَنَّانين الذين يقومون بعَمَل الزَّخْرَفَة . ومع ذلك يجب أن نَعُود إلى «المِصْقَلَة» التي تُسْتَخْدَم عند عَمَلِ التَّذْهيب ، وهي عبارة عن قِطْعَة حَجَرٍ صَلْبٍ مَصْقُولٍ على شَكْل سِنٍّ مُمْتَدّ مَوْضُوعة على مِقْبَض . وكان لكلٍّ قسمٍ من الأداة عَمَلٌ مُناطٌ به ، فالرَّأْسُ يمكن أن تَدْفَع وَرَقَةَ الذَّهَب في الزَّوايا وصَقْلَها في هذا المكان ، ويُسْتَخْدم القِسْمُ الدَّاخِلي عُمُومًا في الصَّقْلِ ، ويُتيحُ المِوْفَقُ القيامَ بحَرَكاتٍ رأسية مُتناوِبَة ، بينما يُسْتَخْدَم الجانِبُ للصَّقْل الرَّقيق . وتَتَطَلَّبُ العمليةُ الانْتباه والبداية بالضَّغْطِ الخَفيف قبل الاسْتِمْرار في الضَّغْط القوي .

أمَّا رِيشَةُ الرَّسَّام التي قد تُسَمَّى عند الحاجَة قَلَم لأسْبابٍ إيديُولُوجية [٤٥]، فهي الآلَةُ المُفَضَّلَة للمُصَوِّرين والمُزَيِّنين ، وهي تُعْمَل من شَعْر الحَيَوان ، وإن كان من الممكن أن يُسْتَخْدَم البُوص بنفس طريقة الفُرْشاة[٤٦].

ويجب كذلك أن نَذْكُر المَراسيم (م. مِرْسَام) التي لا يستخدمها فقط المُزَيِّنُون وإنَّما أيضًا المُنَمْنِمُون والمُجَلِّدون لإنْتاج الوِحْدات الزُّخْرُفية التي يَحْتَفِظُون بها . وهذه الوِحْداتُ كانت تُرْسَم بالحِبْر على مادَّةٍ رقيقة[٤٧] وتُثْقَبُ فيها خُرُومٌ صغيرة على مسافاتٍ مُنتظمة على مَمَرِّ الخُطُوط [التَّبْخيش] . وعندما نُمَرِّرُ على المِرْسَام مُنْتَجًا مثل الكَرْبُون فإنَّ الفَنَّان يَنْقل الوِحْدَة الزُّخْرُفية إلى الوَرَقِ ، ولا يبقى له سوى أن يُضيف الزَّخْرَفَة . / ويحتفظُ متحفُ ڤيكتوريا وألْبِرت بلَنْدَن بعَدَدٍ من هذه النَّماذِج مَصْدَرُها

120

٤٤. كتب هذه الفقرة محمد عيسى ولي .M. 'I Waley. وفيما يخص أدوات المجلدين ، توجد إشارات عند : ,D. Haldane, *Bookbindings* في CHICAGO 1981 وكذلك في مقالات A. Gacek (انظر فصل «التَّجْليد» ، هـ[٤]) .

٤٥. Qâdî Ahmad، المرجع السابق ، ٢٣ ـ ٢٤ و ٥٠.

٤٦. راجع ما تقدَّم .

٤٧. « يليق بنا أن نجمع [...] الرسوم [...] وأن نلصقها بغراء العجين على هذا الجلد الرقيق للغزال الذي نجده في كمية كبيرة في حوانيت صائغي الذهب والفضة » ، (.Cl Huart, *Les calligraphes et les miniaturistes de l'Orient musulman*, Paris, 1908، إعادة نشر Osnabrück, 1972, p. 18) .

تركيا العُثْمانية[٤٨] . وكقاعِدَةٍ عامَّة ، يَسْتحيلُ الكَشْف عن آثار هذه العملية في التَّزايين بعد الانتهاء منها . وبالمقابِل ، فقد ذاعَ اسْتِخْدامُ المراسيم في الدَّوْلَة العُثْمانية وفيما وَراء النَّهْر ، حيث كانت تَسْمَح بتنفيذ الزَّخارِف ابتداءً من القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بلَوْنٍ واحِدٍ أو أكثر من لَوْن ، لتَزْيين إطارات اللَّوْحات الكاملة أو الهَوَامِش ، عِلْمًا بأنَّ اسْتِخْدامها في الأساس أمْرٌ بديهي .

الأمِدَّةُ السَّوْداء

تَمَتَّعت الأمِدَّةُ (الأحْبار) ، إلى جانِب القَلَم ، بمكانَةٍ خاصَّة في الثَّقافة التَّقْليدية لـ «أرْباب القَلَم» . والمَصَادِرُ التي حَفِظَت لنا وَصْفات إعداد المِداد عَديدَةٌ ، وتكون أحيانًا مُفْرَدةً مثل «القَصيدَة» الرَّائية التي نَظَمَها الخَطَّاطُ الكبير ابنُ البَوَّاب[٤٩] ، وأحْيانًا تُجْمَع لتُشَكِّلَ رِسالَةً مُتَخَصِّصَةً كما انْتوى فِعْل ذلك المَرَّاكُشي[٥٠] . إنَّ تَرْكيبات صِناعة الأمِدَّة مُتَنَوِّعَةٌ جِدًّا إذا اقْتَصَرَت الدِّراسةُ فقط على عَناصِر التَّرْكيب ، ولكن الأُسُسَ التي تعتمد عليها التَّجْهيزاتُ تَسْمح بالتَّعَرُّف على ثلاث مجموعاتٍ كبرى : وفي حُدُود مَعْرِفَتنا فإنَّ النُّصُوصَ لا تَتَحَدَّثُ إطْلاقًا على الحَبَّار Sépia، فاسْتِخْدامُ هذه المادَّة في الحَقيقَة أمْرٌ مَشْكُوكٌ فيه[٥١].

٤٨. CHICAGO 1981, p. 73, fig. 14 و .D Haldane, *Bookbindings*, p. 10-12.

٤٩. D. James, « The commentaries of Ibn al-Basîs and Ibn al-Wahid on Ibn al-Bawwab's 'Ode on the art of calligraphy' (*ra'iyyah fi l-khatt*)», in K. J. Cathcart and J. F. Healey (eds.), Back to the sources, Dublin, 1989, p. 164-191.

٥٠. إبراهيم شبوح : «مصدران جديدان عن صناعة المخطوط : حول فنون تركيب المداد» ، دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، لندن ١٩٩٧، ١٥ـ ٣٤.

٥١. يفترض جروهمان أن الحَبَّار كان يستعمل لكتابة نَصّ البروتوكولات A. Grohmann *CPR* III, I/1, p. 65. وفيما يخصّ المداد يتحدَّث دومينك سورديل : .D Sourdel, «Le Livre des secrétaires de 'Abdallah al-Baghdadi», *BEO* 14 (1952-54), p. 130, n. 9، عن الحبار ، إلا أنَّه لا شيء يدلنا على أنَّ البَغْدادي أراد الحديث عن شيء آخر بخلاف أحد عائلتي الأمدة المشهورة .

النُّسَّاخُ والمِداد

يَحْتَلُّ المِدادُ مَكانَةً مُهِمَّةً في الثَّقافَةِ الخَطِّيَّةِ للإسلامِ الوَسيط . ففي حين أنَّ الخَطَّاطين يُسَجِّلُون أَهَمِّيَّةً مَحْدودَةً للمسائِلِ التِّقْنية ، فإنَّهم لا يَتَرَدَّدُون في تَعْظيمِ مَزايا القَلَمِ التي تَمْنَحها وَصْفاتُ الحِبْرِ . ويَذْهَبُ قَوْلٌ مأْثورٌ وَرَدَ عند [أبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز] البَغْدادي (في القرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي) إلى أنَّ المِدادَ يُمَثِّلُ ثُلُثَ أَرْكانِ الكتابةِ الجَديدَةِ بهذا الاسْمِ [«للدَّوَاةِ ثُلُثُ الخَطِّ وللقَلَمِ ثُلُثُ الخَطِّ ولليَدِ ثُلُثُ الخَطّ»] [٥٢]. وبعد ذلك بقليل كَتَبَ أبو حَيَّان التَّوْحيدي / مُوَضِّحًا «الخَطُّ بالحِبْرِ في الجُمْلَةِ مَفْسَدَة» [٥٣]، وأَنْزَلَ الشَّاعِرُ الماوَرْدِي هذا الإعْداد مَنْزِلَةً رَفيعَةً مُؤَكِّدًا أنَّ «المِدَادَ عِطْرُ الرِّجال» [٥٤]. وإلى جانب هذه التَّأْكيدات التي تَنْتَمي أكثر إلى الأَدَب ، تَظْهَرُ وَصْفاتٌ نَقَلَها إلينا مُؤَلِّفُون من عُصُورٍ مختلفة : فهي تَمُدُّنا بمعلوماتٍ عن عَناصِرِ تَرْكيبِ أنواعِ الأَمِدَّةِ المختلفة ، كما تَظْهَر كذلك مُفْرَدَةً في صياغاتٍ مَنْظُومَةٍ وكذلك في مجاميع ذات طابَعٍ تِقْني [٥٥]. وقد يُحيلُ الاسْمُ أحيانًا إلى اسم المكان (المُفْتَرَض) أنَّها أُنْتِجت فيه [٥٦]، ويُشيرُ كذلك أحيانًا إلى شَخْصِياتٍ مَرْمُوقَةٍ اسْتَخْدَمته [٥٧].

121

وعَرَفَ العالَمُ الإسلامي مجموعتين مُتَمَيِّزتين من الأَمِدَّةِ السَّوْداءِ : الأنواعُ القائمةُ على أساسٍ كَرْبُوني من جِهَة ، والأنواعُ المركَّبة من عُنْصُرٍ عَفْصي ومن مِلْحٍ مَعْدِني من جهةٍ أخرى ؛ وتُوجَدُ مجموعةٌ ثالثةٌ تجمع بين التركيبين السَّابقين . ويُطْلَق على الأَنْواع

٥٢. D. Sourdel, *op.cit.*, p. 130، وقد تمت إعادة هذه الصيغة وتطويرها ـ ويتعلق الأمر في بعض الأحيان برُبع أركان الكتابة (يراجع القلقسندي : المصدر نفسه ، ٢ : ٤٧٣) .

٥٣. F. Rosenthal, « Abu Haiyan al-Tawhidi on penmanship », *Ars islamica* 13-14 (1948), p.7؛ ويؤكد العلموي بالمقابل على أن مداد العَفْص يُفَضَّل لكتابة المخطوطات عن المداد المأخوذ من الشُّحام (F. Rosenthal, *op. cit.*, p. 13) .

٥٤. F. Rosenthal, « Significant uses of Arabic writing », *Ars Orientalia* 4 (1961), p. 18.

٥٥. ذكرت وصفة للمداد في قصيدة ابن البواب (ذكرها ابن خلدون ، المقدمة ، نشرة كاترمير E. Quatremère 2/I/)، ص ٣٤٧، باريس ، ١٨٥٨) ؛ وبعد ذلك ، شرع المراكشي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، في تأليف كتاب خاص بوصفات المداد (راجع إبراهيم شبوح : المرجع السابق ، ١٨ ـ ٢٤) .

٥٦. في كتاب ابن باديس : المصدر السابق ١٥ ـ ١٧، حيث تظهر بطريقة مختلطة الصين وفاس والهند والكوفة وفارس والعراق ... إلخ .

٥٧. إبراهيم شبوح : المرجع السابق ٢١ ـ ٢٢.

التي تستخدم الكَرْبُون اسم «المِــدَاد» ، ويُطْلَقُ على الأخرى «الحِـــبْر» . ولكن الأشياء ليست بمثل هذه الدِّقَّة حال المُمارَسَة حتى في حالة اسْتِخْدام مُؤَلِّفٍ واحِدٍ ، وأَصْبَحَت في غاية الاضْطِراب في فَتْرَةٍ حَديثَةٍ وفي المناطِق التي لا تَتَحَدَّثُ العربية [٥٩]. وتَقْتَرِحُ رِسالَةٌ أُلِّفت في الأَنْدَلُس ، في القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي ، طَريقةً أخرى للنَّظَر في اسْتِخْدام الأَمِدَّة وفي تكوينها ، فيُجَمِّعُ النَّصُّ في الواقع بَعض الوَصْفات التي تُوافِقُ الكتابة على الوَرَقِ أو الرَّقّ أو كلاهُما مَعًا [٦٠]؛ ويبقى أن نتأكَّد إذا كان اسْتِخْدامُ حامِلٍ للكتابة أو آخَر ، في المِمارَسَة المحلية لهذه الفَتْرَة ، يستدعي اسْتِخْدامَ أَحَدِ أنواعِ المِدَاد المذكورة .

وكما كان الحالُ بالنِّسْبَة لموادِّ الكتاب الأخرى التي ذَاعَت في عَصْرِ ما قَبْل الإسلام ، فقد اسْتَمَرَّ النُّسَّاخُ المسلمون في البَحْثِ عن طُرُقِ الصِّناعَة التي اخْتَبَرَها بالفِعْل سابقوهم (النَّقْع ، والاسْتِخْلاص بالغَلَيان ، والتَّجْفيف ، والسَّحْق ... إلخ) . ومع ذلك فقد قادَت القَوَاعِدُ الخاصَّة بالإسلام دون شك إلى اسْتِبْعادِ هذا العُنْصُرِ التَّرْكيبي أو ذاك الذي كان اسْتخدامُه مُحَرَّمًا من وجهة نَظَرِ الشَّرْع . فتذكُر مونيك زردون Monique Zerdoun بين قائمة المُنْتَجات المُسْتَخْدَمَة في صِناعَة المِداد على سبيل المثال ، النَّبيذ الذي / يُتيحُ استخدامُه بعض المزايا : «فهو يَسْمَحُ باسْتِخْلاصِ أَجْوَد للمُنتجات الفَعَّالَة ، عندما يُضافُ في وَقْتِ الغَلَيان أو النَّقْع [...] ، ويُقَلِّلُ الزَّمَن اللازم لتَجْفيف الكتابة [...] ، ويَزيدُ خَصَائِصَ الذَّوَبان ويَسْمَحُ [للمِداد] بالثَّبات بشَكْلٍ أَفْضَل على المادَّة المكتوب عليها» [٦١]. وكما هو مُتَوَقَّع فإنَّ النَّبيذ لا يظهر إطْلاقًا بين العناصِر التَّرْكيبية للوَصْفات التي حَفِظَها لنا المُؤَلِّفون المسلمون ؛ ومع ذلك فلا يجب أن نَسْتَبْعِد إمْكانية أن يكون هؤلاء المُؤَلِّفون قد تَرَدَّدوا في نَقْلِ تَرْكيباتٍ يدخُل ضمنها

122

٥٨. G. Endress, «Handschriftenkunde », *GAP* I, p. 276; J.J. Witkam, *EI*² art. *Midâd*, p. 1024.

٥٩. طرح إبراهيم شبوح (المصدر السابق ٢٣ ـ ٢٤) للمناقشة تعارضا يقوم على الخلط اللغوي لمعاني دقيقة الدلالة بسطها القُدَماءُ . وبالنسبة للمجال التركي ، فقد أوضح معجم حديث أن اختلاف المصطلحات أصبح قابلا للتبادل (M. Özgen, *Yazma kitap sanatlari sözlügü*, Istanbul, 1985, I. Ü. Fen Folkütesi Prof. Dr Nâzim Terzioglû Basim Atölyesi، مواد : *hibr, midad, mürekkeb*) .

٦٠. إبراهيم شبوح : المرجع السابق ٢٨.

٦١. M. Zerdoun, *Les encres noires au Moyen-Âge*, Paris, 1983, p. 174-175.

مُنْتَجٌ مُحَرَّم . ويمكن أن تُشيرَ روايةٌ أوْرَدها الصَّفَدي إلى أنَّ هذا النَّوْع من التَّناوُل لم يكن مَجْهُولًا من نُسَّاخِنا ، فقد اتُّهم الخَطَّاطُ المملوكي ابنُ الوَحيد في دينه ؛ «قيل إنَّه وَضَعَ الخَمْرَ في الدَّواة وكَتَبَ بها المُصْحَف الكريم» [٦٢]، وتُرَكِّزُ الرِّوايةُ على فِسْقِ ابن الوَحيد ، وإن كان ذلك لا يمكن أن يكون سوى تَعْليقٍ مُتَشَدِّد . وبالمقابل ، فقد أشارَ ابنُ باديس وابنُ البَوَّاب إلى الخَلِّ [٦٣]. ونجدُ فَقْرَةً في أحَدِ فُصُولِ رسالة القَلَّوْسي «تُحَف الخَوَاصّ في طُرَف الخَوَاصّ» ، تَتَناوَل أساليب قَلْع المِداد من الدَّفاتر وقَلْعِ الحِبْر من الكُتُب وقَلْعِ الصِّباغ من الثِّياب ـ تتعَلَّقُ بالأنْبِذَة [٦٤].

أمِدَّةُ الكَرْبُون

عُرِفَت الأمِدَّةُ الكربونية منذ تأريخ بعيد ، ومن المؤكَّد أنَّ النُّسَّاخَ المسلمين اقْتبسوا تَجْهيزات كانت في غايَة الذُّيُوع . وبالاحْتكام إلى الأسْماء التي مَنَحَها ابنُ باديس للعَديد من الوَصْفات التي نَقَلَها ، فقد قامَ الشَّرْقُ بدَورٍ مُهِمٍّ في وَضْع هذه المُسْتَحْضَرات [٦٥]. وأيًّا كان أصْلُ هذا النَّوْع الخاصّ أو ذاك ، فتَبْقى نُقْطَةُ الانْطِلاق واحدة ، هي المادَّة الكربونية التي تَظَلُّ أساسَ هذه الأمِدَّة . وبالمقابِل ، تَخْتَلِفُ الموادُّ المستخدمة وطُرُقُ التَّفْحيم اخْتلافًا كبيرًا .

وغالبًا ما كان يُسْتَخْدَم مُنْتَجٌ من أصْلٍ نَباتي . فتذكر المَصَادِرُ بطريقةٍ مُخْتَلِطَة دَقيقَ القَمْح ، وخَشَبَ شَجَر الصَّنَوْبَر ، والقَرْع ، والعَفْص ، والزَّيْت ـ المُجَهَّز من نباتاتٍ مختلفة . ويَمْزِجُ مِدادٌ هِنْدي ، وَصَفَه ابنُ باديس ، الدُّهُونَ النَّباتية والحيوانية [٦٦]. ومن النَّادِرِ أن نجد مَعْدِنًا مُسْتَخْدَمًا في إعْداد الأمِدَّة . ويذكر أدُولْف جروهمان Adolf Grohmann [٦٧] وإبراهيم شَبُّوح [٦٨] مَصَادِر توصي باسْتِخْدام النَّفْط للحُصُول على المِداد

٦٢. James, D., *op. cit.*, p. 181 n. 7؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣: ١٥٠.

٦٣. *Ibid.*, p. 173.

٦٤. إبراهيم شبوح : المرجع السابق ٢٦.

٦٥. انظر أعلاه هـ ٥٦.

٦٦. ابن باديس ، المرجع السابق ، ص ٨٠، M. Levey, *op. cit.*, pp. 15-16 (خليط من السمن والزيت الطبيعي) .

٦٧. *AP* I, p. 127-128.

٦٨. إبراهيم شبوح : المرجع السابق ٢٢.

الأسْوَد . وأخيرًا فتتطَلَّبُ العَديدُ من الوَصْفات اسْتخدامَ مُنْتَجاتٍ من أصْلٍ حَيَواني كمادَّةٍ أوَّلية : فإضافَةً إلى الدُّهْن ، الذي سَبَقَ ذكره ، اسْتُخْدِمت أيضًا القُرُون والصُّوف [٦٩].

/وتَتَحَوَّلُ المادَّةُ العُضْوية أو المَعْدنية إلى الكربون (أو الفَحْم) نتيجةً لعَملياتٍ مُتْقَنَة . ويَتَعَلَّقُ الأمْرُ أحيانًا بعملية تَفَحُّمٍ بسيطة يُجْمَعُ ناتجُها ويُسْحَق بحَرَكَةٍ ميكانيكية [٧٠]؛ فتُحَدِّدُ أحَدُ الوَصْفات ، على سبيل المثال ، حَرْق صُوف صَدْر كَبْشٍ في قِدْرٍ مَعْدِني ، ثم سَحْق الرَّماد النَّاتج [٧١]. وغالبًا ما تُنْخَل المادَّةُ المُتَفَحِّمَة للحُصُول على مادَّةٍ أوَّلية دَقيقة جدًّا [٧٢]. ويُعْطي التَّبَخُّر من وجهة النَّظَر هذه نتائج مُرْضية جدًّا : فإذا وَضَعْنا كوبًا صغيرًا ، على سبيل المِثال ، فَوْق مَوْقِدٍ فإنَّه يَجْمَع سُخامَ الدُّخَان أو هبابه الذي يُخَلِّفه حَرْقُ جِسْمٍ غني بالفَحْم [٧٣]. ويَطيبُ للنَّاسِ في جامع السُّلَيْمانية بإستانبول أن يَرْوُوا أنَّهم كانوا يَجْمَعُون التَّرَسُّبات التي تَتَجَمَّعُ على قَناديل الجامع لصِناعَة المِداد .

123

وكان الصَّمْغُ العَرَبي هو المُكَوِّن الأكثر اسْتِخْدامًا للرَّبط بين هذه الموادّ ، إلَّا أنَّ ابن باديس يُشيرُ في وَصْفةٍ عِراقية الأصْل إلى اسْتِخْدام بَياض البَيْض [٧٤]. وتَبَعًا لما أوْرَده مارتن ليفي Martin Levey فإنَّ إضَافَةَ الخَلّ أو اللَّبَن الرَّائب إلى بعض التَّحْضيرات يَعْمَد إلى إبْطاء تكَوُّن التَّرَسُّبات [٧٥].

٦٩. N. Abouricha, «L'encre au Maghreb», *NMMO* III/1 (1993), p. 3-4.

٧٠. انظر على سبيل المثال ابن باديس : المرجع السابق ، ١٨؛ ترجمة Levey, *op. cit.*, p. 16.

٧١. N. Abouricha, *op. cit.*,.

٧٢. ابن باديس : المرجع السابق ، ص ٨١ و ٨٣، وترجمة M. Levey, *op. cit.*, p. 17.

٧٣. ابن باديس : المرجع السابق ، ص ٨٠؛ M. Levey, *op. cit.*, p. 17، القلقشندي ، المرجع السابق ، ٢: ٤٦٤؛ A. Grohmann, *API*, p. 128.

٧٤. ابن باديس : المرجع السابق ، ٨٣، M. Levey, *op. cit.*, p. 17 ـ والغريب أنَّ استعمال غراء للجلد ، الذي كان شائعًا فيما يبدو في الشرق الأقصى ، كان مجهولا في المنطقة .

٧٥. M. Levey, *op. cit.*, p. 7.

الأمِدَّةُ المعدنية ـ العَفْصِيَّة

تَعْتَمِدُ هذه التَّحْضيراتُ ، المعروفة منذ الزَّمَنِ القَديم[٧٦]، على تَفاعُلٍ كيميائي بين عُنْصري التَّكوين[٧٧]. فالمَادَّةُ العَفْصية تُؤْخَذ من العَفْص[٧٨] النَّاتج عن نُموٍّ غير طبيعي لوَرَقِ بعضِ الأشْجار ـ على سبيل المِثال البَلُّوط ـ نتيجة وَخْزِ حَشَرَةٍ تَضَعُ فيه بَيْضَها ، فتُشكِّل الوَرَقَة عندئذٍ حَشْيَةً مَطَّاطية تكون تَبَعًا للمُؤلِّفين غَنيَّةً بالحامِضِ العَفْصي الذي لم تَخرق اليَرَقَةُ غُلافَه للخُرُوج ؛ ويرى مارتن ليفي أنَّ كتابَ ابن باديس يُوصي باسْتِخْدام عَفْص البُطْم أو الأَثْل بالرَّغم من أنَّه لا يَسْتَخْدِم غالبًا سوى المُصْطَلَح النَّوْعي[٧٩]. وتَذْكُر المَصَادِرُ العربية الإسلامية نباتات أخرى مَشْهُورَة / باحْتوائها على قَدْرٍ مرتفع من المادَّة العَفْصية : مثل الهِليلج[٨٠] (اسْم فاكهة جافَّة من أنْواعٍ مختلفة من الأشجار الدَّخيلة) ، وقِشْر الرُّمَّان[٨١]، والآس الطَّازَج المُسْتَخْلَص بالغَلَيان[٨٢].

وغالِبًا ما يكون المِلْحُ المَعْدِني المُسْتَخْدَم هو الزَّاج ، على سبيل المِثال كبريت الحَديد (ولَوْنُه أخْضَر) أو كبريت النُّحاس (ولَوْنُه أزْرَق)[٨٣]. وتُعْطي بعضُ وَصْفاتِ

٧٦. استنتج كل من دولنج E. Delange وجرانج M. Grange وكيسكو B. Kusko وميني E. Menei، أن أساس الصناعة كان معروفا منذ القرن الثالث قبل الميلاد. (op. cit., p. 213).

٧٧. استخدم هذه الوصفة في الأصل صناع الجلد؛ وعندما بدئ في استخدام الرق، أدَّت الحاجة إلى مداد يبقى على هذا الحامل ـ الأمر الذي لم تكن توفره الأمِدَّة الكربونية ـ إلى استعارة هذا التركيب.وعرفه العالم الإسلامي في فترة مبكرة: إذ يحتوي مداد مخطوطين، يعود أحدهما إلى نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي باريس (BnF arabe 330 c)، ويعود الآخر إلى أواسط القرن الثاني الهجري/ الثَّامن الميلادي (باريس رقم BnF Arabe 324 c) على الحديد، الشيء الذي يعني أن هذا المداد معدني ـ عفصي (انظر فيما يلي نتائج التحليلات التي أنجزها برنارد جينو B. Guineau).

٧٩. العَفْص.

٨٠. Levey, M., *op. cit.*, p. 7.

٨١. ابن باديس: المرجع السابق، ٩٤، M. Levey، المرجع السابق، ص ١٩.

٨٢. ابن باديس: المرجع السابق، ٨١، ٩٩؛ M. Levey، المرجع السابق، ص ١٦؛ إبراهيم شبوح: المرجع السابق ٢٢.

٨٢. ابن باديس: المرجع السابق، ٨٠، ٩٦، ١٠١؛ M. Levey, *op. cit.*, pp. 16, 20, 21، إبراهيم شبوح: المرجع السابق.

٨٣. Levey, M., *op. cit.*, p. 16.

الأمِدَّة التي رُبَّما تعكس مُمارَسَاتٍ فارسية الشَّبّ (مثل حامض كبريت البوتاسيوم أو الألمونيوم المُزْدَوَج) كزاج[٨٤].

والحالاتُ التي تُسْتَخْدَم فيها فقط العَناصِرُ التَّرْكيبية الأساسية نادِرَةُ الوُرُود في المَصَادِر ، فعُمُومًا ما يُضافُ إليها الصَّمْغُ العَرَبي ، إلَّا أنَّ إبراهيم شَبُّوح لاحَظَ أنَّ المَرَّاكُشي ، في رسالته المُؤَلَّفَة سنة ٦٤٩هـ/١٢٤١م ، سَجَّلَ ثَلاثَ وَصْفاتٍ مَنْسُوبة إلى مُسْلِم بن الوَليد والجاحِظ والبُخاري على التَّوالي لا يظهر فيها سوى الصَّمْغ العَرَبي والزَّاج فقط[٨٥].

ولَوْنُ الأمِدَّة المَعْدِنية العَفْصية غيرُ ثابتٍ ويَتَبَدَّلُ مع الزَّمَن . ومن جهةٍ أخرى ، فإنَّ المُنْتَجات الضَّرورية لتَحضيره يمكن أن تَضُرَّ المادَة المكتوب عليها . فقد أكَلَ المِدادُ بالفِعْل الوَرَق في العَديد من قِطَع المَصَاحِف المَنْسُوخة على الرَّق والتي يمكن أن نُؤَرِّخ بعضًا منها بالنِّصْف الثَّاني للقرن الثَّاني الهجري/ الثَّامن الميلادي[٨٦]، وفي الحالات الأكثر حَرَجًا نجد أنَّ المَوَاضِعَ المُغَطَّاة بالمِداد قد تآكَلَت تمامًا . وكان هذا التَّطَوُّرُ مألُوفًا عند المُؤَلِّفين القُدَماء مثل المَرَّاكُشي الذي قال عند حديثه عن الحِبْر الذي يكْثُر فيه الزَّاج : «إنَّه يَحْرِقُ الكاغَد لكثرة زَاجِه ، ويأكُل مَوَاضِعَ الكِتَابَة»[٨٧].

الأمِدَّةُ المُخْتَلَطَة

تَحْتَفِظُ المَصَادِرُ العربية الإسلامية بالعَديد من الوَصْفات المُخْتَلَطَة ، بمعنى أنَّها تَشْتَمِل على العَناصِر التَّرْكيبية الضَّرورية لصِناعَة أحَد الأمِدَّة من المجموعتين اللتين تَحَدَّثنا عنهما للتَّو ، إلَّا أنَّها تَدْمِجُ فَضْلًا عن ذلك عُنْصُرًا أو أكثر يَتَعَلَّق بالمجموعة الأخرى . هكذا ، يُضافُ سُخَامُ الدُّخَان إلى الأمِدَّة المَعْدِنية العَفْصية بغَرَضِ المحافَظَة الدَّائمة على تَجَلِّي سَوَاد نَوْعيةٍ من المِداد تَميل إلى الاسْتِحالَة مع الزَّمَن . وكما وَرَدَ في مَصْدَرٍ فارسي ،

٨٤. Y. Porter, *Peinture et arts du livre*, Paris-Téhéran, 1992, p. 67؛ والذي أخذت معطياته من كتيب كتبه في الهند عبد الله كوزديهي، دون شك في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

٨٥. إبراهيم شبوح: المرجع السابق ٢٢.

٨٦. مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 324 c (F.)؛ Déroche, *Cat.* I/1, p. 75-77, nº 45؛ ومن أجل بيليوجرافيا مفصلة حول هذا المصحف، انظر «المَدْخَل»، هـ١٠).

٨٧. إبراهيم شبوح: المرجع السابق ٢٣.

يَرْجِع إلى القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي ، فإنَّ إدْخالَ هذا التَّرْكيب ارْتَبَطَ باسْمِ الخَطّاط الكبير ابن مُقْلَة[٨٨].

125

/ وأهَمِّيَّةُ العَناصِر التَّرْكيبية الأخرى مثل العُطُور (العَنْبَر الرّمادي أو المِسْك أو الكافُور)[٨٩] أقَلُّ وُضُوحًا ؛ ويمكن أن تُسْهِم في إعْلاء قيمة التَّجْهيز ، ورُبَّما كذلك في تَنْحية الحَشَرات الطُّفَيلية[٩٠].

الأمِدَّةُ المُلَوَّنَة

اسْتُخْدِمَ المِدادُ الأحْمَر منذ ما قَبْل ظُهُور الإسلام في المَخْطوطات لإبْرازِ بعض عَناصِر النَّصّ ، على سبيل المِثال العَناوين . واسْتَمَرَّت هذه العادَةُ المَوْروثة عن العالم القديم في العالم العربي الإسلامي . وتُقَدِّمُ أمْثِلَةً على ذلك نُسَخٌ مُتَنَوِّعَةٌ أُنْجِزَت خِلال القرون الإسلامية الأولى ، بالرَّغم من أنَّ أقدم هذه الأمْثِلَة ـ وهي المَصاحِفُ المكتوبة بالخَطِّ الحِجازي ـ لا تُقَدِّمُ لنا حالات قاطِعة في ذلك ، فالعناوين المُبَوَّبة التي تَظْهر في رأس السُّوَر يمكن أن تكون قد أضيفت فيما بعد[٩١]. وسُرْعان ما كانت هناك اسْتِخْداماتٌ أخرى للَّوْن الأحْمَر لتلبية الاحْتياجات الخاصَّة بنَقْل روايات المَخْطُوطات الإسلامية . هكذا ، نجد بعض عَناصِر النَّصّ القُرْآني نفسه ، في النُّسَخ التي يمكن تأريخها تَبَعًا لمُؤَشِّرات الخَطِّ ، بنهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي ، قد كُتِبَت بالمداد الأحْمَر لتَجْميل بدايات السُّور[٩٢]؛ وفيما بعد ، كانت علاماتُ التَّشْكيل الأولى تُدَوَّن باللَّوْن الأحمر ، ثم جُوِّدَت باستخدام علاماتٍ خَضْراء وصَفْراء[٩٣].

٨٨. Abd Allah Kuzdehi (عبد الله كزدهي) في Y. Porter, *op.cit.*, p. 66.

٨٩. كان ابن باديس يجهل هذه الخلطات التي يبدو أنها ترتبط بثقافة الخطاطين : وتضم وصفاتٌ إيرانية مركبات مثل المِسْك وماء الورد ، والعَنْبَر ، والمَرْجان (انظر : Qadi Ahmad، المرجع السابق ، ٢٠٠؛ Y. Porter, *op. cit.*, p. 70).

٩٠. ذكر آدم جشيك طريقة أخرى للوقاية مما قد تسببه الحشرات من أضرار : A. Gacek, «The use of *'kabîkaj'* in Arabic manuscripts», *MME* 1 (1986), p. 49-53.

٩١. انظر مخطوط لندن رقم Or. 2165 W. Wright, *Facsimiles of manuscripts and inscriptions* (oriental series), Londres, 1875-1883, pl. LIX.

٩٢. ورد مثال من هذا النوع في (قطعة من مخطوط إستانبول TIEM غير منشور) مُصَوَّرَة في : *Le Monde de la Bible*, nº 115 (octobre-décembre 1998), p. 35, nº 5.

٩٣. انظر فصل «الخطوط» . واستمرت هذه الممارسة طويلا ببلاد المغرب ، بما أنَّ علامات الإعجام الحديثة في =

اسْتِخْدامُ الأمِدَّة المُلَوَّنَة[٩٤]

يَتَّفِقُ السَّعْي وراء الأمِدَّة المُلَوَّنَة (أو التَّذْهيب) أساسًا مع الرَّغْبَة في إبْراز عُنْصُرٍ ما من النَّصّ (شكل ٣٧) ، سواء تَعَلَّق الأمْرُ بكلمةٍ مُهِمَّة أو أكثر أو أيضًا لتَوْضيح لَفْظٍ[٩٥]. ويَتَنَوَّعُ اسْتِخْدامُ هذه الألْوان ، فقد يُسْتَخْدَم اللَّوْنُ أحْيانًا للنَّصِّ نفسه (كلمة أو

126

مجموعة كلمات) ، وأحْيانًا للرُّموز المُضافَة ، على سبيل المِثال / عَلامَة تَرْقيم أو تَسْطير يَلْفِت الانْتباه إلى عَنْصُرٍ نَصِّي يُرادُ إبْرازُه . لذلك فليس من المُسْتَغْرَب أنْ يكون النَّسْخُ والتَّحْمير[٩٦] عمليتين مُتميزتين كما يَظْهَر في مَخْطُوط مونتريال رقم McGill ISL 7 حيث يَفْصِلُ شَهْرٌ بين كُلٍّ من العمليتين[٩٧].

ومع ذلك ، فقد تُسْتَخْدَم الأمِدَّةُ المُلَوَّنَة كذلك لأغْراضٍ مُخْتَلِفَة تمامًا ، تتعَلَّقُ فقط بأغْراض إخْراج الصَّفْحة . فقد لجأ ناسِخُ قِطْعَة المُصْحَف المحفوظة في إستانبول برقم TIEM SE 362 (نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي) إلى تبادُل ثلاثة ألْوان مختلفة ـ الأسْمَر والأحْمَر والأخْضَر ـ ليكوِّن على بعض الصَّفحات وِحدات هَنْدسية تعتمد على التَّبايُن بين الأمِدَّة[٩٨]. واعْتَمَدَت بروتوكولاتُ البَرْدي ، في مجالٍ مخالِفٍ لمجال الكتاب المَخْطُوط ، في العَصْر نفسه أو بعده بقليل ، كذلك على تَغييرات الألْوان (اسْتَخْدَمت الألْوانَ الأحْمَر والأخْضَر والأصْفَر) ولكن بطريقةٍ أقَلّ تَصْميمًا ، بما أنَّ هذه التَّغْييرات تتطابَق مع السُّطُور . وفي القرن العاشر الهجري / السَّادس عشر الميلادي ، اسْتَخْدَمَ نُسّاخُ بعض المَصاحِف الفارسية أو المُسْتَوْحاة من الأنْماط الفارسية

= المصاحف وضعت في بادئ الأمر بالألوان ، حسب قواعد النظام القديم نفسه .

٩٤. انظر حول المواد المستخدمة : X. Delamare, B. Guineau, *Les matériaux de la couleur*, Paris, 1999.

٩٥. يقدم العلموي عددا من النصائح لاستعمال المداد الأحمر (راجع : F. Rosenthal, *op. cit.*, [1947] p. 18).

٩٦. Gacek, *AMT*, p. 36.

٩٧. A. Gacek, *Arabic manuscripts in the libraries of McGill University, Union catalogue* [Fontanus monograph series I], Montréal, 1991, p. 152, nº 164.

٩٨. F. Déroche, « Coran, couleur et calligraphie », *I primi sessanta anni di scuola, Studi dedicati dagli amici a S. Noja Noseda nello 65º compleanno*, 7 luglio 1997, Lesa, 2004, pp. 131-154.

لونَيْنِ أو ثلاثَة لكتابة النَّصِّ نفسه : ويتَّفِقُ هذا الاسْتِخدام ، الذي لا يَقْصد إبْراز أجزاءٍ ذات مَغْزًى ، إلى نَوْعٍ خاصٍّ من إخْراج الصَّفحات أقَلّ جرأة في الحقيقة من ذلك الموجود في القِطعة القديمة المشار إليها فيما سَبَق[٩٩]. وفي القرنين الثَّاني عشر والثَّالث عشر للهجرة / الثَّامن عشر والتَّاسع عشر للميلاد ، دَوَّن نُسَّاخُ المَصاحِف العُثْمانية أو المُتأثِّرة بالأُنْمُوذَج العُثْماني بعض الكلمات ذات الوَضْع المتماثل في الصَّفْحتين المتقابلتين بالمِداد الأحْمَر[١٠٠] (شكل ٤٠) ، وما تَزالُ الأسْبابُ الاحْتمالية لهذا النَّوْع من التَّصَرُّف غامِضَة إلى الآن . وفي العَصْر نفسه عَرَفَ المَغربُ تزايد عَدَد النُّصُوص المكتوبة بأمِدَّةٍ مُلَوَّنة والتي من المُحتمل أن تكون مَجْلوبَةً[١٠١]، ولم يَقْتَصِر دَوْرُها فقط على الزَّخْرَفَة ، كما يُظهِرُ مَخْطُوطُ المكتبة الوطنية بتونس رقم 12320 ، حيث اسْتُخْدِم اللَّوْنان الأحْمَر والأخْضَر لإبْراز بعض عَناصِر النَّصّ .

تَرْكيبُ الأمِدَّة المُلَوَّنة

عُرِفَت المَوَادُ المُسْتَخْدَمَة لصِناعة الأمِدَّة المُلَوَّنة في العالم العربي الإسلامي بطريقتين . تعتمد الطَّريقَةُ الأولى على دِراسَة / نُصُوصِ الوَصْفات التي نُقِلَت إلينا ، وقد أتاحَت لنا بِناءَ قَوائِم للعَناصِر التَّركيبية المعروفة حتى الآن[١٠٢]، ولكنَّها تَصْطَدِمُ أحْيانًا بصُعوباتٍ مُلازِمَةٍ لهذا النَّوْع من المَصادِر ـ على الأخَصِّ مَشاكِل نَقْلِ النَّصّ والمشاكل اللُّغوية . أمَّا الطَّريقَةُ الثَّانية فتسْتَدْعي طُرُقَ التَّحْليل الفيزيائي ـ الكيميائي التي طُبِّقَت بنجاحٍ مُتَزايِدٍ منذ بداية القرن العشرين على الأصْباغ المُسْتَخْدَمَة في المَخْطُوطات[١٠٣] وما تَزالُ النَّتائِج

٩٩. إن نماذج هذا الوضع متعدِّدَة ووَرَدت أشكالها في M. Lings , Y.H. Safadi, LONDON 1976, p. 80-81, nº 138 et 140; D. James, *Q. and B.*, p. 79-80, nº 60 et 61; F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 127, nº 533 et pl. XXVI B.

١٠٠. F. Déroche, «The Ottoman roots of a Tunisian calligrapher's 'tour de force'», Z. Yasa-Yaman (ed.), *Sanatta etkilesim/ Interactions in art* (Ankara 2000), pp. 106-109.

١٠١. J.J. Witkam, *op. cit*.

١٠٢. إضافة إلى المكونات المذكورة في النصوص العربية التي سبق ذكرها لابن باديس والمراكشي والقلّوسي والقلقشندي (انظر أعلاه)، توجد وَصَفاتٌ منفردة لمداد مُلَوَّن ؛ ويوجد أدَبٌ مماثل كذلك بالفارسية (انظر Porter, Y. *op. cit.*, pp. 78-95).

١٠٣. يبدو أن المحاولات الأولى ترجع إلى بداية القرن العشرين ، إلى جانب أعمال إيلنر Eilner. وقد=

المُتَحَصَّل عليها ، بالنِّسْبَة للمَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْفِ العَرَبي ، مَحْدودَةً وترتبط في غالبيتها بمَجالِ التَّصْوير[١٠٤]. وقد أعْطَى تَحْليلٌ مُتماسِك للمَخْطُوطات المغربية ولشَاهِدٍ مُكَوَّن من بعض النَّماذِج الشَّرْقية ، نتائج نَنْشُرها فيما يلي تَفْتَحُ آفاقًا مُهِمَّةً للبَحْث[١٠٥]؛ ويجب أن تَستمر ، على الأخَصّ ، للمُقابَلَة بين المُعْطيات النَّاتِجة والمَصادر القديمة . وقد قسم ابنُ باديس في رسالته وَصْفات المِداد المُلَوَّن التي جَمَعَها إلى ثَلاثِ عائِلات وهي : الأحْمَر والأصْفَر والأخْضَر[١٠٦]، وفي الحقيقة فإنَّ هذه الوَصْفات تَتَعَلَّقُ بالأحْرى بأمِدَّةٍ أو أصْباغٍ لا بالتَّصاوير بمعناها الضَّيِّق .

= تطورت التقنيات المستخدمة بشكل كبير من ناحية دقتها ، بل أيضًا من ناحية عَدَم ضررها بالمخطوطات ؛ فهي لا تستوجب في أغلب الأحيان أخذ عينات ، وحينما يبدو ضروريا أخذ جزء من أجل التحليل ، فالأمر يتعلق بجزء صغير جدا ، غير مرئي بالعين المجردة . وأُخِذَت النتائج التي سنصفها فيما يلي بواسطة التحليل المستضو الطيفي (وقد وصف هذا التحليل كل من جينو B. Guineau، وديلان L. Dulin، وفيزان J. Vezin، وجوسّيه M.Th. Gousset في: «Analyse, à l'aide de méthodes spectrophotométriques, des couleurs de deux manuscrits du XV^e siècle enluminés par Francesco Antonio del Chierico», *Ancient and Medieval book materials and techniques*, M. Maniaci et P.F. Munafo éd., II [Studi e testi 357-358], Cité du Vatican, 1993, p. 121-155؛ وأدوات التحليل قابلة للحمل ، وتستعمل كذلك في مكان الحفظ نفسه ؛ وتطلبت طريقة أخرى في التحليل الأشعَّة السينية X؛ وتعرض إسهامات كثيرة في المجموع المذكور للنتائج التي تم الحصول عليها بواسطتها P. Del Carmine, M. Grange, F. Lucarelli, P.A. Mando, «Particle-induced X ray emission with an external beam: A non-destructive technique for material analysis in the study of ancient manuscripts», *op. cit.*, p. 7-27; P. Canart, «Recherches sur la composition des encres utilisées dans les manuscrits grecs et latins de l'Italie méridionale au XIe siècle», *op. cit.*, p. 29-56; M. Bernasconi, «Analyse des couleurs dans un groupe de manuscrits enluminés du XII^e au XV^e siècle avec l'emploi de la technique PIXE», *op. cit.*, p. 57-101; R. Cambria, «A PIXE analysis of manuscripts illuminated by Francesco di Antonio del Chierico», *op. cit.*, p. 103-119.

١٠٤. نذكر من بين الأعمال الحديثة ، النتائج المجموعة في Th.F. Mathews et R.S. Wieck, *Treasures in heaven, Armenian illuminated manuscripts*, New York, 1994, p. 140-142, Tables 4-6 (معطيات تتعلّق بمخطوطات مجموعة ڤيڤر Vever ومكتبة نيويورك العامة) أو E. Isacco et J. Darrah, «The ultraviolet-infrared method of analysis, A scientific approach to the study of Indian miniatures», *Artibus Asiæ* LIII, 3/4 (1993), p. 470-491).

١٠٥. انظر فيما يلي الفقرة التالية .

١٠٦. ابن باديس : المرجع السابق ، ١٠١، M. Levey, *op. cit.*, p. 21.

128

/ مُسْتَحْضَراتٌ من الذَّهَب أو الفِضَّة

بالرَّغْم من اسْتِخْدام المِداد الأحْمَر والذَّهَب والفِضَّة في الكتابة منذ العُصُور القديمة، فقد طُرِحَ أحيانًا اسْتِخْدامُ هذه المَوَادّ الثَّمينة للمُناقَشَة لأسْبابٍ فِقْهية خاصَّة بالدِّين الإسلامي [107]. إلَّا أنَّنا نُلاحظ مع ذلك أنَّه منذ وَقْتٍ مُبَكِّر، وبطريقةٍ مُتَغَيِّرة حقيقةً، لجأ النُّسَّاخُ والمُزَيِّنون إلى اسْتِخْدامها. وكان يتمُّ أحيانًا إبْرازُ بعض العَناصِر مثل العَناوين أو أيضًا حِساب عَدَد الآيات بهذه الطَّرِيقَة، وأحْيانًا أخرى كانت المَخْطُوطاتُ الفاخِرة تُكْتَب جَمِيعُها بالذَّهَب [108] (شكل ٣٨)، ونادِرًا بالفِضَّة [109] (شكل ٣٩).

وكما هو الحالُ بالنِّسْبَة للأمِدَّة المُلَوَّنة فقد حَفِظَت لنا المَصادِرُ المكتوبة وَصْفات لذلك [110]، ويبقى أن نلجأ إلى تَحْليل مَخْطُوطات من عُصُورٍ وأقاليم مُخْتَلِفَة للتأكُّد من أنَّ التَّطْبيق يتطابَق تمامًا مع النَّظَرِية [111].

ويمكن أن تكون قِطْعَةُ المُصْحَف المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 330c، والتي نَظُنُّ أنَّها تعود إلى بداية القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامن الميلادي، أحَدَ أقْدَم الشَّوَاهِد على اسْتِخْدام المداد الذَّهَبي في مَخْطُوطٍ عربي [112]. ورُقِّمَت في هذا المُصْحَف كُلُّ عشرة آيات بطريقة «أبْجَد» بحروفٍ ذات قيمةٍ عَدَدية يُشْبه الخَطُّ الذي كتبت به خَطَّ

---

١٠٧. M. Fierro, «The treatises against innovations *(kutub al-bida')*», *Der Islam* 69 (1992), p. 215؛ وانظر كذلك، حول هذا الخلاف: F. Déroche, «La fonction et l'histoire des corans: Quelques observations», *Revue de l'histoire des religions* 218 (2001), pp. 55-56.

١٠٨. على سبيل المثال، مخطوط نور عثمانية بإستانبول رقم 27 (أيضًا ورقة ٥ ضمن مجموعة ناصر خليلي بلندن برقم KFQ 52؛ F. Déroche, *Abbasid tradition*, p. 90-91).

١٠٩. أُشيرَ إلى استخدام الفضة في التَّزْيين في تأريخ قديم نسبيا في «المصحف الأزرق» (انظر: هـ ١١٤). واستعماله كمداد كان نادرا: حيث يظهر على نسخة من مُصْحَف مكتوب على ورق «أرجواني»، أنجزت في شمال إفريقيا حوالي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي (انظر فيما يلي).

١١٠. ابن باديس: المرجع السابق ١٣٠ وما بعدها؛ M. Levey, *op. cit.*, p. 32.

١١١. سيجد القارئ فيما يلي، نتائج التحليلات المتعلقة بالغرب الإسلامي، وعينات صغيرة من مخطوطات «شرقية».

١١٢. F. Déroche, Cat. I/1, p. 144-145, nº 268. وفي قِطْعَة من مصحف معاصر، استعملت العديد من التزاين التذهيب F. Déroche, «Colonnes, vases et rinceaux: sur quelques enluminures d'époque omeyyade», *CRAI* 2004.

النَّصّ. وتقترح المصادرُ التي بين أيْدينا أن تكون كتابة المَصَاحِف بالذَّهَب قد بدأت في تأريخ مُبَكِّر، حيث يذكر ابنُ النَّديم أنَّ خالِدَ بن أبي الهَيَّاج اسْتَخْدَمَها تلبيةً لطَلَبِ الخَلِيفَة الأُمَوي عُمَر بن عبد العزيز [113] (حَكَم بين سنتي ٩٩هـ/٧١٧م - ١٠١هـ/٧٢٠م). وفي فَتْرَةٍ لاحِقَة أُنْجِزَ «المُصْحَفُ الأزْرَق»، وهو مُصْحَفٌ كُتِبَ بحُرُوفٍ ذَهَبِيَّة على رَقٍّ أزْرَق مَصْبوغ بالنِّيلَة [114]. وبالرَّغْم من رَفْض بعض الفُقَهاء المسلمين، فقد اسْتَمَرَّت عادَةُ تَذْهيب نُسَخ المُصْحَف ولا تُعْوِزنا للتَّدْليل على ذلك النُّسَخُ المتأخِّرة.

145

وقد أظْهَرَت الدِّراساتُ التي قامَ بها برنارد جينو Bernard Guineau، والتي نَعْرِضُ نتائجَها فيما يلي، أنَّ صُنَّاعَ الكِتاب اسْتَخْدَمُوا سَواءً المِدَادَ المُذَهَّب (شكل ٣٨)، أو «مَسْحُوق الذَّهَب المَنْثُور بطريقةٍ مُنْتظمة / على مادَّةٍ كِتابَةٍ تَمَّت تَغْرِيَتُها مُسْبَقًا» [115]. وفَوْر أن يَنْتَشر الذَّهَبُ على المادَّة، تَمْنَحُ عملية صَقْلٍ مُدَقِّقَة مَظْهَرًا مُتجانِسًا للتَّذْهيب. ولا يُوجَد، في العَيِّنَة المُحَلَّلَة، أثَرٌ لاسْتِخْدام أيَّة طَبَقَةٍ أوَّلية تَعْمَل على مَنْح التَّذْهيب مَظْهَرًا مُحَدَّبًا. ويُفَسِّرُ هذا الغِياب سَبَبَ سُهُولَة تَلَف الطَّبَقَة المُذَهَّبَة. وفي أعْقابِ عملية الصَّقْل يتمُّ تَشْعيرُ حُدُود الحُرُوف غالبًا بالمِداد. وفي مَخْطُوطِ باريس رقم BnF Smith - Lesouëf 217 نجد المِدادَ قد غَطَّى في مَوَاضِع حَوافّ التَّذْهيب، الأمْرُ الذي يُؤَكِّدُ أنَّه تَمَّت إضافته في فترةٍ لاحِقَة [116].

وقد أعانَت هذه التَّحْليلاتُ في تحديد تَرْكيب المِداد المُسْتَخْدَم في مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 389-392 [117]: فالفِضَّةُ المَخْلُوطَة بآثار الذَّهَب (الذي يمكن أن يُشيرَ إلى

---

١١٣. ـ ابن النديم، كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٣٥٠هـ/١٩٧١م، ٩؛ وترجمة دودج B. Dodge, *The Fihrist of al-Nadîm, A tenth century survey of Islamic culture* 1, New York/Londres, 1970, p. 11.

١١٤. توجد لوغرافيا شاملة حول هذا المخطوط عن: T. Stanley, *The Qur'an and calligraphy, A selection of fine manuscript material* [Bernard Quaritch catalogue 1213], London, s.d., p. 7-15.

١١٥. انظر فيما يلي.

١١٦. ربما تطابق هذه الطريقة في العمل العملية التي يصفها الفِعْل زَمَّكَ في المجلد الأخير من مصحف بيبرس الجاشنكير (مخطوط لندن رقم BL Add. 22413)؛ ومع ذلك فقد استبعد ديفيد جيمس D. James هذا التفسير: D. James, *Qur'âns of the Mamlûks*, London, 1988, p. 66-67.

١١٧. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 36-37, nº 305-308 et pl. III B، ولون الورق أرجواني.

أصْلٍ خاصٍّ) سُحِقَت بدِقَّةٍ وخُلِطَت بمادَّةٍ تُساعِدُ على التَّماسُكِ والالْتِحام . ومع ذلك فقد كان مِدادُ الفِضَّة نادِرَ الاسْتِخْدام (شكل ٣٩) ، فهو يَظْهَر ، إلى جانب الأُنْموذَج المَغْرِبي المشار إليه ، على وَرَقٍ مَصْبُوغٍ باللَّوْن الأخْضَر في مُصْحَفٍ مُتأخِّرٍ (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) جاءَ من شمال الهِنْد أو من أفْغانِسْتان [١١٨].

المَوَادُ المُلَوِّنَة في المَخْطُوطات المَغْرِبية (القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) : أُسُسُ التَّحْديد والمُقابَلَة[١١٩]

المُدَوَّنة المَدْرُوسَة

وَضْعُ الأبْحاثِ حَوْلَ مَوادِّ التَّلْوين

لقد وَجَّهَت دِراسَةُ التِّقْنيات المُسْتَخْدَمة في صِناعَة الكِتابِ المَخْطُوطِ في العالم الإسلامي منذ زَمَنٍ طَويل بعضَ الباحثين إلى الاهْتمام بالأصْباغ التي اسْتَخْدَمها المُنَمْنِمون والمُزَيِّنُون والنُّسَّاخ . وهناك مُقارَبتان احْتُفِظ بهما وطُوِّرتا بطريقةٍ غير متكافِئة منذ بداية القرن العشرين . ترتكز المُقارَبَةُ الأولى على اسْتِغْلالِ المُعْطيات التي نَقَلَتْها لنا المَصادِرُ الشَّرْقية ـ وهي في العُمُوم مَصادر قَديمَة ـ وكذلك على المعلومات التي جُمِعَت حَديثًا من الحِرَفِيين التَّقْليديين . ويُعَدُّ كليمنت هيوارت Clément Huart [١٢٠]، على حَدِّ عِلْمِنا ، رائِدَ هذا المجال بالدِّراسة التي كَتَبَها اعْتمادًا على العَديد من النُّصُوصِ الفارسية والتُّرْكية المُخَصَّصَة لفَنِّ الخَطِّ والتَّمْنَمَة . أمّا المُقارَبَةُ / الثّانية فقد اسْتعانَت بإمكانات التَّحْليل الفيزيائي ـ الكيميائي للمُلَوَّنات ، ويبدو أنَّها بدأت تُسْتَكْشَف حول سنة ١٩١٠م بأعْمال إيلْنر Eilner التي اسْتَخْدَمها ب. و. شُولْز P.W. Schulz [١٢١]، غير أنَّ تَطَوُّرَها الحقيقي يعود إلى النِّصْف الثّاني من القرن العشرين . وحتى الآن ، طُبِّقَت هذه

١١٨. مزاد سوسبي ، فهرس مبيعات يوم ١٦ أكتوبر ١٩٩٦، الحصة رقم ١٣.

١١٩. هذه الفقرة من إعداد برنارد جينو B. Guineau بالتعاون مع فرنسوا ديروش François Déroche وماري جنفيف جيدون M.-G. Guedon، وآني فيرني ـ نوري A. Vernay-Noury.

١٢٠. Cl. Huart, *Les calligraphes et les miniaturistes de l'Orient musulman*, Paris, 1908 (réimpr. Osnabrück, 1972).

١٢١. P.W. Schulz, *Persisch-islamische Miniaturmalerei*, Leipzig, 1914, p. 16-18.

الطَّريقةُ في دراسة الأصباغ في الأساس على المُنَمْنَمات ، سواء أكانت تُصَوِّرُ مَخْطُوطًا أم كانت قِطَعًا مُسْتَقِلَّة . وقد اسْتفادَت هذه التَّحْليلات ، التي تَتَطَلَّب أساسًا فَحْصَ قِطَعٍ مَرْفُوعَةٍ من الرُّسُوم نفسها ، من التَّقَدُّم التِّقْني وأصْبَحَت لا تَتَطَلَّب من الآن فصاعِدًا ، فيما عَدَا حالاتٍ اسْتِثْنائية ، إلَّا فَحْص جزءٍ مِجْهَري لا يُرى البَتَّة بالعَيْن المُجَرَّدَة .

وواجَهَت كِلا المقارِبَتَيْن مَشاكِلُ مختلفة ، وأثارَت النُّصُوصُ العديد من قضايا التأويل ـ فالمُصْطَلحاتُ المُسْتَخْدَمة ليست واضِحة دائمًا ـ ولا تَسْمَح إلَّا في النَّادِر بضَبْطِ طَبيعَة المَعْرِفة التي يمتلكها المُؤَلِّفُ حَوْل المَوْضوعات المُتناوَلَة . كما أنَّ الأخْطاء التي بَيَّنَها الشُّرَّاحُ المُحْدَثُون تَجْعَلُنا نَذْهَب إلى أنَّ هذه المُؤلَّفات ليست مَصْدَر معلوماتٍ مُباشِرٍ يمكن الإفادَة منه . أمَّا فيما يتعلَّق بالتَّحْليلات ، فإنَّها ظَلَّت حتى الآن مُوَجَّهَةً إلى مَجالِ المُنَمْنَمات ، والنَّتائجُ التي حَصَلْنا عليها قَيِّمَة ، إلَّا أنَّ اسْتِخْدامَها في إطار دراسة تاريخٍ للكتاب في العالم الإسلامي تَظَلُّ مَحَلَّ إشكالية : فالمَخْطوطاتُ المَعْنية لا تُمَثِّلُ إلَّا نِسْبةً ضَئيلَةً من مجموع المَخْطُوطات المَحْفُوظة وتأتي فقط من مَناطِق مَحْصورة ولا تعود إلى كُلِّ العُصُور .

المَخْطُوطاتُ المُزَيَّنَة في الغَرْب الإسلامي

لقد ظَلَّت المَخْطُوطاتُ المُزَيَّنَةُ ، رغم كَثْرَةِ عَدَدِها ، بَعيدَةً حتى الآن عن هذه الأبْحاث . حَقيقَةً أنَّ تكوين عَيِّنَةٍ مُتَجانِسةٍ منها عمليةٌ مُرْهِقَةٌ : فتَحديدُ مَكانِ نَسْخ المَخْطُوط لا يظهر إلَّا نادِرًا في حُرُودِ المَتْن ، بحيث إنَّه من الصُّعُوبَة بمَكانٍ أنْ نُصَنِّفَ على أساسٍ جُغْرافي مَخْطُوطات ترجع إلى العَصْر نفسه . ومع ذلك ، فإنَّ المَخْطُوطات المكتوبة بالخَطِّ المغربي تُشَكِّلُ مَجْمُوعًا إقْليميًّا سَهْل التَّعْيين ، فشَكَّلت خلال القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي شَكْلًا خَطِّيًّا مُخْتَصًّا بها امْتَدَّ مُحيطُ انتشاره إلى شَمال أفريقيا والأنْدَلُس [١٢٢]. ولا تُدينُ بعضُ الحالات الاستِثْنائية (مثل النُّسَخ التي كَتَبَها في

١٢٢. F. Déroche, «Tradition et innovation dans la pratique de l'écriture au Maghreb pendant les IVe /Xe et Ve /XIe siècles», *Numismatique, langues, écritures et arts du*

الشَّرق حُجَّاجٌ أو عُلماءُ مَغاربَة) جَوْهريًّا اعْتِبار الخَطّ المغربي مُؤشِّرًا مُؤكَّدًا يتمّ على أسَاسِه تَجْميعُ المَخْطُوطات التي أُنْجِزَت في الغَرْب الإسلامي . وسيؤكِّدُ تحليلُ مَوادِّ الكتاب واسْتِخْداماتها ، كما سنرى ، هذه الخُصُوصية . إنَّ الاهْتمامَ بهذه النُّسَخ سَيَسْمَحُ فَضْلًا عن ذلك بسَدِّ الخَلَل الكامِن في المقارَبَة التي مَيَّزَت المُنَمْنمات :/ [147] ففي الواقع ، لم يكن المَغْرِبُ في هذا المجال شَاهِدًا على نُمُوِّ تَقْليدٍ جَديرٍ بهذا الاسْم . بالاخْتِصَار ، يبدو أنَّه من الملائم أن نُحاوِلَ أن نَبْحَث إذا ما كانت شَخْصيةُ المَغْرب الواضِحة جِدًّا قياسًا إلى الشَّرْقِ الإسلامي فيما يَخُصّ الخَطّ وتِقْنيات صِناعَة الكِتاب ، تتأكَّدُ كذلك في اسْتِخْدامٍ مُخْتصٍّ به للأَصْباغ . وأخيرًا ، فإنَّ التَّعَايُشَ الطَّويل في المَنْطقة لثلاثة تَقاليد مختلفة ـ إسْلامية ومَسيحيَّة ويَهُوديَّة ـ تَدْعُونا إلى التَّساؤل عن التَّبادُلات التي يمكن أن تَنْشأ بين الصُّنَّاع وعن الآثار التي يمكن اقْتفاؤها في المَخْطُوطات . لقد لَفَتَ بالفِعْل عُلَماءُ مثل ملاخي بيت أريَا Malachi Beit-Arié[123] الانْتباه إلى وُجود تَقارُبٍ في شكل الخَطّ بين مَخْطُوطات عِبْرية مَنْسُوخَة في شمال أفريقيا والأَنْدَلُس ومَخْطُوطات إسلامية أخرى أُنْجِزَت في المَنْطقة نفسها والعَصْر نفسه . ورُبَّما تُقَدِّمُ الوَصْفاتُ التي اسْتَخْدَمَها المُزَيِّنُون لتَحْضير أَلْوانِهم تَشابُهًا يَسْمَحُ بالإفاضَة في عَمَلِ مُقارَنات مُجْمَلَة . وعندما نُباشِرُ تَحْليل ألوان التَّرَايين لمجموعةٍ من مَخْطُوطات الغرب الإسلامي فإنَّنا نكون في سبيلنا للشُّرُوع في إنْجاز هذه المقارَنَة . وثمة عامِلٌ أخير سانَد كذلك هذا الاختيار هو إمْكانية قراءَة هذه النَّتائج في ضَوْءِ المَصَادِر العربية المَغْربية القديمة المُتَمثِّلَة في أعْمالِ ابن باديس (من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)[124] والقَلُوْسي (من القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث

livre, spécificités des arts figurés. Actes du VII^e colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Paris, 1999, p. 239-241.

١٢٣. M. Beit-Arié, *Hebrew manuscripts of East and West, Towards a comparative codicology* [The Panizzi Lectures, 1992], Londres, 1992, p. 37-52.

١٢٤. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق الحلوجي وزكي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٧ (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ٤٤ ـ ١٧٢ .ويعتمد هذا التحقيق على خمسة مخطوطات : الأولى بمكتبة رضا رامبوار ، وترجع إلى سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٥م ، والأربعة الأخرى في القاهرة (دار الكتب ، ٣٤٥ الزكية ، منسوخ قبل سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م؛ ٣٨ تيمور؛ ١٨٥ مجاميع و ١٠٩ علوم صناعية) . ولم يعتمد المحققان أربعة نسخ ناقصة أو مأخوذة من النسخ المذكورة سابقا . ونسخ دار الكتب ليست مؤرخة ، ويبدو أنها متأخرة نسبيا على التأريخ =

عشر الميلادي)[125] اللَّذين حَفِظَا لنا وَصْفات عَمَلِ الأمِدَّة المُلَوَّنَة .

المَخْطُوطاتُ المُخْتارَة

في مُحاوَلَةٍ للوُصُولِ إلى إجاباتٍ على هذه الأسْئلة المختلفة تَمَّ تكوين مجموعتين من المَخْطُوطات اعْتمادًا على رَصيد مكتبة فرنسا الوطنية BnF. تَضُمُّ المجموعَةُ الأولى في الأساس نُسَخًا للمُصْحَف[126]، وكذلك نُسْخَة من «المُوَطَّأ»[127] وأخرى من «كتاب ابن تُومَرْت»[128] و«جُغْرافية» / الإدْريسي[129]؛ كُتِبَت جَميعُها بين نهاية القرن السَّادس [148] الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي وبداية القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي في الغَرْب الإسلامي دون أن نتمكَّن من تَحْديدٍ أكثر لمكانِ النَّسْخ . وثلاثةٌ من هذه المَصاحِف مُؤرَّخٌ أو يمكن تأريخه بقَدْرٍ كبيرٍ من الدِّقَّة : المُصْحَفُ رقم BnF ar. 385[130]

= المفترض لتأليف الكتاب ، إذا احتكمنا لصورها المنشورة . وبالنسبة للترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب التي قام بها مارتن ليفي M. Levey, *Mediaeval arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*, [Trans. of the Am. Phil. Soc., New Series, Vol. 52, Part 4], Philadelphia, 1962) ، اعتمد ليفي M.Levey بالأساس على مخطوط محفوظ بالمعهد الشرقي بشيكاغو Oriental Institute، المخطوط رقم A 12060، المنسوخ سنة ١٩٠٨ ، من نسخة مجموعة تيمور الموجودة حاليا بدار الكتب المصرية . وعلاوة على ذلك ، قام بمراجعة أربع نسخ محفوظة بمكتبة غوطا (١٣٥٤ ـ ١٣٥٧) ومخطوط آخر في شيكاغو برقم A 29809 يعود إلى سنة ١٦٧١م . وحَسَبَ علمنا ، لا توجد أيّة دراسة خصصت لتاريخ النص (المؤلف ، والتحريفات المحتملة ... إلخ.) ؛ مِمَّا يجعل من الصعب تقويم القيمة الصحيحة لهذا المصدر ، من منظور تاريخي .

١٢٥. تحف الخواص في طُرف الخواص ، مخطوط باريس رقم BnF Arabe 6844، ومخطوط الرباط ، المكتبة الملكية ، انظر ، إبراهيم شبوح : «مصدران جديدان عن صناعة المخطوط : حول فنون تركيب المداد» ، دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادّة والبشر ، لندن ١٩٩٧، ٢٤-٣١.

١٢٦. مخطوطات باريس أرقام : BnF arabe 385, 388, 389, 390, 395, 423, 5935, 6529, Smith Lesouëf 194, 217، (انظر : F. Déroche, *Cat.* I/2, *passim*) .

١٢٧. مخطوط باريس رقم BnF arabe 675 المؤرخ سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، انظر : G. Vajda et Y. Sauvan, *Bibliothèque nationale, Catalogue des manuscrits arabes, Manuscrits musulmans* II, Paris, 1978, p. 65.

١٢٨. مخطوطا باريس رقما BnF arabe 1451 و 1183، راجع : G. Vajda et Y. Sauvan, *Bibliothèque nationale, Catalogue des manuscrits arabes, Manuscrits musulmans* III, Paris, 1985, p. 314-317.

١٢٩. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2221، من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (انظر . W. de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes*, Paris, 1883-1895, p. 391) .

١٣٠. يضم هذا المخطوط النص القرآني كاملا (F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 31-32, nº 296) .

الذي فُرِغَ من كتابته سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، ورقم ar. 423[١٣١] الذي كُتِبَ على الأرْجح بين سنتي ٧٤٩هـ/١٣٤٨م و ٧٥٩هـ/١٣٥٨م، ورقم ar. 389-390[١٣٢] الذي كُتِبَ في السَّنوات السَّابِقة على سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م (شكل ٣٩). أمَّا المَخْطُوطاتُ الأخرى فتَعُودُ إلى القرنين السَّابع والثَّامِن للهجرة/ الثَّالث عشر والرَّابع عشر للميلاد[١٣٣]. وهذه الفَتْرَةُ كانت تَحكم فيها الغَرْبَ الإسلامي أوَّلًا الدَّوْلَةُ المُوَحِّدية التي امْتَدَّ نُفوذُها من مَرَّاكُش إلى كلِّ المَغْرِب (اسْتَوْلَت على تُونس سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) وإلى الأنْدَلُس. وفي منتصف القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي تقاسَمَ حُكْمَ المغرب دُولٌ ثَلاث: الدَّوْلَةُ الحَفْصِيَّة في إفْريقية وعاصمتها تونس (سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، ودَوْلَةُ بني عبد الوَاد من تِلِمْسان إلى بِجَاية، وإلى الغَرْب كانت الدَّوْلَةُ المَرِينِيَّة التي فَتَحَتْ فاس، التي ستُصْبح عاصمتهم في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. وتُعَدُّ هذه الفَتْرَة أحَدَ أطْوار التَّراجُع التَّدْريجي للسَّيْطَرَة الإسلامية على شِبْه جَزيرَة أيْبِرْيا، فلم تَعُدِ الدَّوْلَةُ النَّصْرية، التي اسْتَقَرَّت في غَرْناطة من سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م إلى سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٢م، تَحْكُم إلَّا الطَّرَف الجنوبي لأسْبانيا. فبَعْد التَّوَحُّد الذي عُرِف في عصر المُوَحِّدين، تَعَدَّدَت المراكِزُ السِّياسية والثَّقافية، إلَّا أنَّ سِيرَة ابن خَلْدُون، الذي تَرَدَّدَ على كلِّ البَلاط المَغْرِبي، تُعَدُّ شاهِدًا على حُرِّية تَحَرُّك الأُدَباء والعُلَماء داخِل هذا المَجْمُوع.

وتَجْمَعُ المجموعةُ الثَّانية أرْبَعَة مَصَاحِف أو قِطع من مَصَاحِف؛ ثَلاثَةٌ منها كُتِبَت خارج المغرب قَبْل الفَتْرة التي أُنْجِزَت فيها مَخْطُوطاتُ المجموعة الأولى، ويعتمد تأريخُها على مَعايير تَتَعَلَّقُ بالخَطِّ: أمَّا قِطْعَةُ المُصْحَف المحفوظة برقم BnF ar. 330c (الورقة ١١ إلى ١٩) فتَرْجِع إلى العَصْر الأُمَوي[١٣٤] (بداية القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامِن الميلادي)، وتعود القِطْعَةُ المحفوظة برقم BnF ar. 324c على الأرْجح إلى منتصف

١٣١. المجلد السابع من مصحف يتكون من ثمانية مجلدات (انظر F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 32, n° 297).

١٣٢. يتعلق الأمر بالمجلد الأول والثاني من مصحف يتكون من ثمانية مجلدات (انظر F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 36-37, n° 305-306).

١٣٣. مخطوطات باريس: BnF Arabe 194, 217, 388, 395, 5935, 6529، Smith Lesouëf. انظر (F. Déroche, Cat. I/2, passim).

١٣٤. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 144-145, n° 268.

القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامِن الميلادي[١٣٥]، بينما يرجع تأريخُ القِطْعَة رقم BnF ar. 350a إلى القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي[١٣٦]. ومن السَّابِق لأوانه أن نَقْتَرِحَ لها نِسْبَةً جُغْرافيةً أكثر دِقَّة: ومن المُحْتَمل جِدًّا أن تكون كُلُّ هذه القِطَع التي اقْتناها من مصر جون لويس أسْلان دي شرفيل Jean-Louis Asselin de Cherville قد نُسِخَت في مصر أو في أحد المناطِق المجاوِرَة بالشَّرْقِ الأوْسَط. أمَّا المُصْحَفُ الرَّابع فمُعاصِرٌ لأحْدَثِ مَخْطُوطات المجموعة الأولى[١٣٧]، فهذا المجلَّد السَّابع عشر من رَبْعَة ذات ثلاثين جزءًا تَمَّت كتابته بالتأكيد في مصر قبل سنة ٨٠٣هـ/١٣٩٩م. وهو مكتوبٌ على وَرَقٍ شَرْقي، بينما كُتِبَت القِطَعُ الثَّلاث الأخرى أرقام 350a و 330c و BnF ar. 324c على الرَّقّ. وتَبْقَى حالَةٌ أكثرُ حَساسيةً، وهي حالَةُ مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 378[١٣٨]: فخَطُّه وأسْلُوبُ تَزْيينه يَنْفَصِلان عن إنْتاج هذا العَصْر ويمكن أن يكونا

149

شاهِدَيْن / على فَنِّ الكتاب المَغْربي في العَصْر المُبَكِّر (القرن الثَّالِث الهجري / التَّاسع الميلاد، وبداية القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي). ونُلاحِظ أنَّه على خِلافِ العَيِّنات الثَّلاثة الأخرى من هذا المجموع، لم يَسْتَخْدِم المُزَيِّن اللَّوْنَ الأزْرَق.

تَصْنيفُ اسْتِخْدام الألْوان

لنَعُد الآن إلى مجموع المَخْطُوطات المغربية، فلا يَقْتَصِر اسْتِخْدامُ الألْوان في المَصَاحِف على التَّزْيين فقط، مُتَّبِعَةً في ذلك اسْتِخْدام الفَتْرَة المُبَكِّرَة، فقد اسْتُخْدِم اللَّوْنُ الأزْرَق أو الأصْفَر أو الأخْضَر أو الأحْمر في الواقع لوَضْع علامات الشَّكْل والإعْجام[١٣٩]. فهل كان الشَّخْصُ نفسه مُكَلَّفًا في آنٍ واحِد بالتَّنْقيط والزَّخارِف؟ إنَّنا لا نَتَوَفَّر على أي عُنْصُرٍ للجَزم في ذلك، بالرَّغْم من أنَّ حَرْدَ مَتْن أحَد المَصَاحِف القَيْروانية الذي يرجع تأريخُه إلى سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م [مُصْحَف الحاضِنَة] يُظْهِر أنَّ ناسِخًا يمكن أن يكون كذلك مَسْئُولًا عن علامات الشَّكْل

١٣٥. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 75-77, n° 45.

١٣٦. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 88-89, n° 76.

١٣٧. Paris, BnF Arabe 5844 (*cf.* F. Déroche, Cat. I/2, p. 53-54, n° 345).

١٣٨. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 99, n° 118.

١٣٩. انظر فصل: «الخطوط».

والتَّزيين والتَّجليد[١٤٠] . وتَتَوَزَّعُ الزَّخارِفُ ، التي تَنْحَصِر وَظيفَتُها الرَّئيسة في تحديد الأقْسام المختلفة للنَّصّ القُرآني ، إلى ثلاثة أصْناف كبيرة : فيُوجَد بعضُها داخل الإطار الافْتِراضي للمِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة ، ويُوجَد بعضُها الآخر في الهامِش ، ويحتلُّ أكثرُها أهَمِّيَّةً صَفْحَةً كامِلةً مُزْدَوَجَةً في الغالِب . وتجمع مجموعةُ الزَّخارِف الأولى فَواصِلَ الآيات وأسْمَاء السُّوَر - سَواء وُجِدَت هذه العناوين أم لم تُوجَد داخل إطارٍ مُزَخْرَف ؛ ويمكن أن نُلْحِق بها الإطارات المحيطة بالنَّصّ . ونجد في الهامِش الإشارة إلى مجموعات الآيات (خَمْس أو عَشْر) والإشارَة إلى الأحْزاب والأجْزاء ... إلخ وإلى السَّجدات وكذلك إلى الرُّسوم المؤَطَّرَة المُصاحِبَة لأسْماء السُّوَر . وتَظْهَر الزَّخارِفُ الأكثر تَطَوُّرًا في أوَّل المجلَّد أو آخره . وأصْبَحَت مجاميعُ الحَديث (المسانيد) أحيانًا نُسَخًا فاخِرَة في المَغْرِب باسْتِخْدام الرَّقّ والزَّخْرَفَة السَّخِيَّة . فزَخْرَفَةُ نُسْخَة المُوَطَّأ (باريس رقم BnF ar. 675) ، وهو جامِعٌ للأحاديث التي رَوَاها مالِكُ بن أنَس (٩٧ - ١٨٠هـ/ ٧١٠ - ٧٩٦م) ويُعَدّ أحَدَ النُّصُوص الأساسية للمَذْهَب المالكي المُهَيْمن على المَغْرِب ، يَنْدَرِج جُزئيًّا في هذا التَّصْنيف مع زَخْرَفَةٍ أصْلية تملأ الصَّفْحَة وإطارٍ يَضُمّ العُنْوان في البِدايَة وإشارات إلى تقسيم النَّصّ داخل المساحة المكتوبة ، وإطار يضمّ كذلك حَرْد المَتْن . أمَّا «كتاب» ابن تُومَرْت (نحو سنة ٤٧٣ - ٥٢٦هـ/ ١٠٨٠ - ١١٣٠م) ، وهو جَامِعٌ لكتابات ابن تُومَرْت مُؤَسِّس حَرَكَة المُوَحِّدين [مَهْدي المُوَحِّدين] فأقَلُّ زَخْرَفَةً ويحمل فقط إطارًا يضُمُّ العُنْوان .

أمَّا مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 2221 فيجب أن يُصَنَّفَ على حِدَة (شكل ٣٦) . فقد كُتِبَ على الوَرَق بخَطٍّ مغربي ، ولا يحمل أيَّة إشارةٍ مُحَدَّدَةٍ لتأريخ أو مَكان نَسْخِه ، وأرْجَعْنا تأريخه إلى القرن السَّابع الهجري/ الثَّالِث عشر الميلادي اعْتمادًا على مَعايير بالببوجرافية فقط . وأُلِّفَ هذا الكِتاب ، الذي يُمَثِّل مجموع المعارِف الجُغْرافية العربية في القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي ، سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ، الجُغْرافي الإدْريسي/ لرُوجَر الثَّاني Roger II ملك صِقِلِّيَّة ، والنُّسْخَةُ مُزْدانَةٌ بثمانٍ

١٤٠. G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, p. 310-311, fig. 16; B. Roy et P. Poinssot, *Inscriptions arabes de Kairouan* [Publications de l'Institut des hautes études de Tunis, II/1], Paris, 1950, p. 27-32, fig. 7-8.

وستين خَريطَة ، رُسِمَت ولُوِّنَت في المساحات الخالية التي تَرَكها النَّاسِخ . وخَضَعَ اخْتِيارُ الألْوان جزئيًّا إلى رَمْزِيةٍ دقيقة : فاللَّونُ الأزْرَق خُصِّصَ للبحار المالِحَة ، واللَّوْنُ الأخْضَر للمياه الدَّاخلية ، واللَّوْنُ الوَرْدي المُذَهَّب للمُدُن . واسْتُخْدِمَت للجِبالِ فقط تشكيلةٌ وَاسِعَةٌ ومُتَنَوِّعَةٌ من الألْوان ذات دَرجاتٍ تَذْهَب من لَوْنِ الصَّلْصال إلى اللَّون الأحْمَر الأرْجُواني مُرُورًا باللَّوْن البَنَفْسِجي ؛ ومن المُحْتَمَل أن تكون قد أمْلَت هذا الاخْتيار مُقْتَضياتٌ جمالية . وسُجِّلَت أسْماءُ المَوَاضِع بالمِداد الأسْمَر ، باسْتِثْناء أسْماء البِلاد التي سُجِّلَت بالمِداد الأحْمَر .

مُلاحَظاتٌ كُوديكُولوجِيَّة

إنَّ التَّحْليلَ الكوديكُولُوجي يُؤَكِّدُ الخاصِّيَّةَ المُتَمَيِّزَة للمَخْطُوطات المغربية . فغالبيةُ هذه المَخْطُوطات كُتِبَ على الرَّق ، وهي خاصِّيةٌ مغربية في وَقْتٍ كان فيه الوَرَقُ وَاسِعَ الانْتِشار خلال العالم الإسلامي كلِّه ، بينما لم يُعْرَف في المَغْرِب الإسلامي وتَنْتَشر صناعَته فيه إلَّا ابتداءً من القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي على أقَلِّ تَقْدير . ولم تُكْتَب على الوَرَق إلَّا مَخْطُوطاتُ باريس أرقام BnF ar. 389-390, 1451, 2221. وخَضَعَ اسْتِخْدامُ الرَّقّ لقواعِدَ تَخْتَلِفُ عن تلك التي غَلَبَت في الشَّرْق الإسلامي : مثل الكُرَّاسات ذات السِّتّ أو الثَّمان وَرَقات ، أو التَّوالي المُواجه لجَوانِب من الطَّبيعة نفسها[١٤١] . كما يُشيرُ شَكْلُ العَديد من المَصَاحِف ، شِبْه المُرَبَّعَة ، (باريس أرقام BnF ar. 385, 388, 395, 423, 5935 و Smith - Lesouëf 194) إلى هذه الخُصُوصية المغربية .

١٤١. P. Orsatti, «Le manuscrit islamique: Caractéristiques matérielles et typologie», M. Maniaci et P. Munafo éd., *Ancient and Medieval Book Materials and Techniques* [Actes du Colloque International d'Erice, 18-25 september 1992, Studi e Testi, 358], Cité du Vatican, 1993, p. 297-299; F. Déroche, «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: Quelques remarques préliminaires», *Codicology*, p. 35-37.

الألْوَان : عَناصِرُ تَحْدِيد المَوَاد المُسْتَخْدَمَة

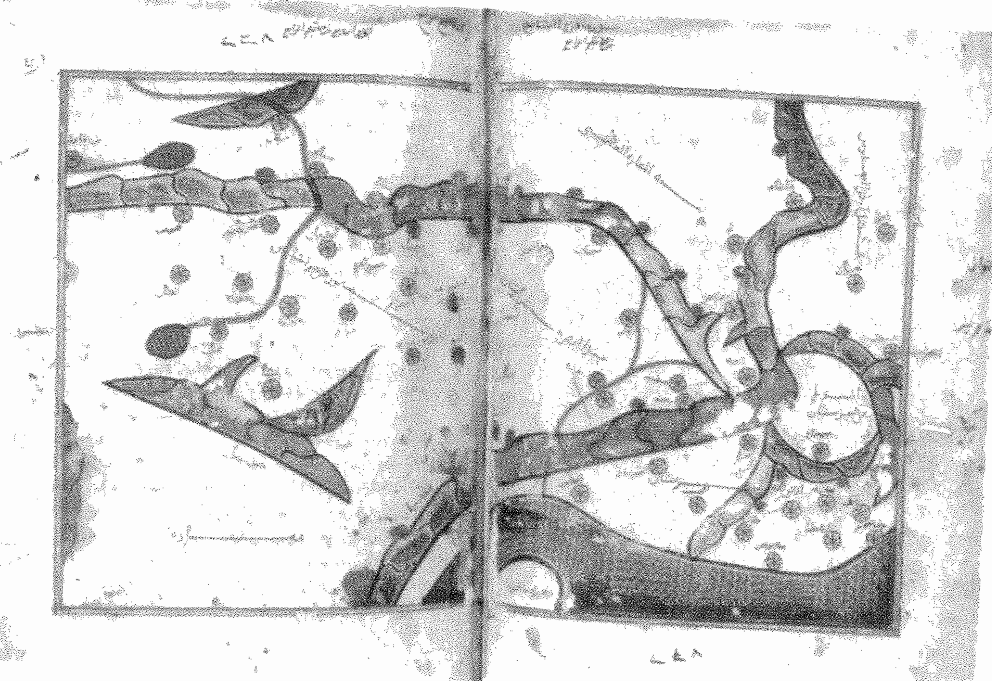
مُلاحَظاتٌ تَمْهِيدية

تَرْتَبِطُ الألْوانُ في غالبية المَخْطُوطات الخاضِعَة للدِّراسة ارْتِباطًا وَثيقًا بالخَطّ . ويَتَعَلَّقُ الأمْرُ في الأغْلَب بعلاماتٍ مُلَوَّنَة (علامات للشَّكْل أو الإعْجام) تَصْحَبُ أثَر كتابةٍ مكتوبةٍ بالمِداد الأسْوَد (أو الأسْمَر المُصْفَرّ ، عندما يَشْحَب هذا اللَّوْن) . وعَدَدُ الألْوان المُسْتَخْدَمَة في هذا النَّوْع من الزَّخْرَفَة أربعة ألْوان أساسية : الأحْمَر والأزْرَق والأخْضَر والأصْفَر ؛ وهذه الألْوانُ كثيفة ومُشَبَّعَة . فاللَّوْنُ الأحْمَر في الغالِب أحْمَر بُرْتُقالي ، ويمكن ملاحظته على الأخَصّ في علامات الشَّكْل ؛ واللَّوْنان الأزْرق والأخْضَر أقَلّ نَصاعَةً ، بل باهِتان أحْيانًا ، وكثيرًا ما تكون قد تَعَرَّضَت للتَّلَف بحيث لا نستطيع تَمْييز بعض الألْوان المُخْضرة أو حتى الخَضْراء عن اللَّوْن الأخْضَر الحقيقي ، وهو اللَّوْن المُمَيِّز للعديد من «الوَصْلات» . أمّا اللَّوْنُ الأصْفَر الذي يُلَوِّن عادةً «الهَمْزات» ففي غاية النَّصاعَة والتَّشَبُّع ، ويتدرَّج لَوْنُه من الأصْفَر النّاصع إلى الأصْفَر البُرْتُقالي .

151 / وتَزْدادُ تَشْكيلةُ الألْوان مع العلامات التي تَفْصِل الآيات أو مجموعة من الآيات مثل «الهاء» المُذَهَّبَة ، أو مُؤَشِّرات كلِّ عشرة آيات المُشَكَّلَة من دوائر مُشْتَرَكَة المركز ، أو أيضًا الزَّخارِف المُحَدِّدَة «للأحْزابِ» أو مَوَاضِع «السَّجدات» والتي تكون على شكلِ ثُلاثي الفُصُوص[١٤٢] . ويُضافُ الذَّهَبُ والسَّوادُ إلى الألْوان الأحْمَر والأزْرَق والأصْفَر والأخْضَر ، كما يظهر كذلك اسْتِخْدامُ لَوْنٍ أحْمَر جديد ، هو الأحْمَر القِرْمِزي الذي يكون في الغالِب نِصْف شَفَّاف ومتلألئ . وبالمقابل ، فقد ظَلَّ هذا التَّسَلْسُل للألْوان لا يَتَغَيَّر تَقْريبًا فيما يَخُصُّ التَّزايين المُهِمَّة مثل «العَناوين» أو «أشْباه العَناوين» والسَّرْلَوْحَة والإهْداءات وكُرَيْمَة السُّوَر أو كُرَيْمَة الإهْداءات وحَرْد المَتْن . ونادِرًا ما كانت تُسْتَعمل ألْوانُ البَنَفْسج أو الوَرْدي أو الأسمر المُصْفر أو الأبيض . وأمكننا أن نُلاحِظ فقط اللَّوْن الوَرْدي ـ البَنَفْسِجي على المَخْطُوطين رقمي (BnF ar. 330 b et 2221) ، وبعض

١٤٢. انظر فصل «تزويق الكتب» .

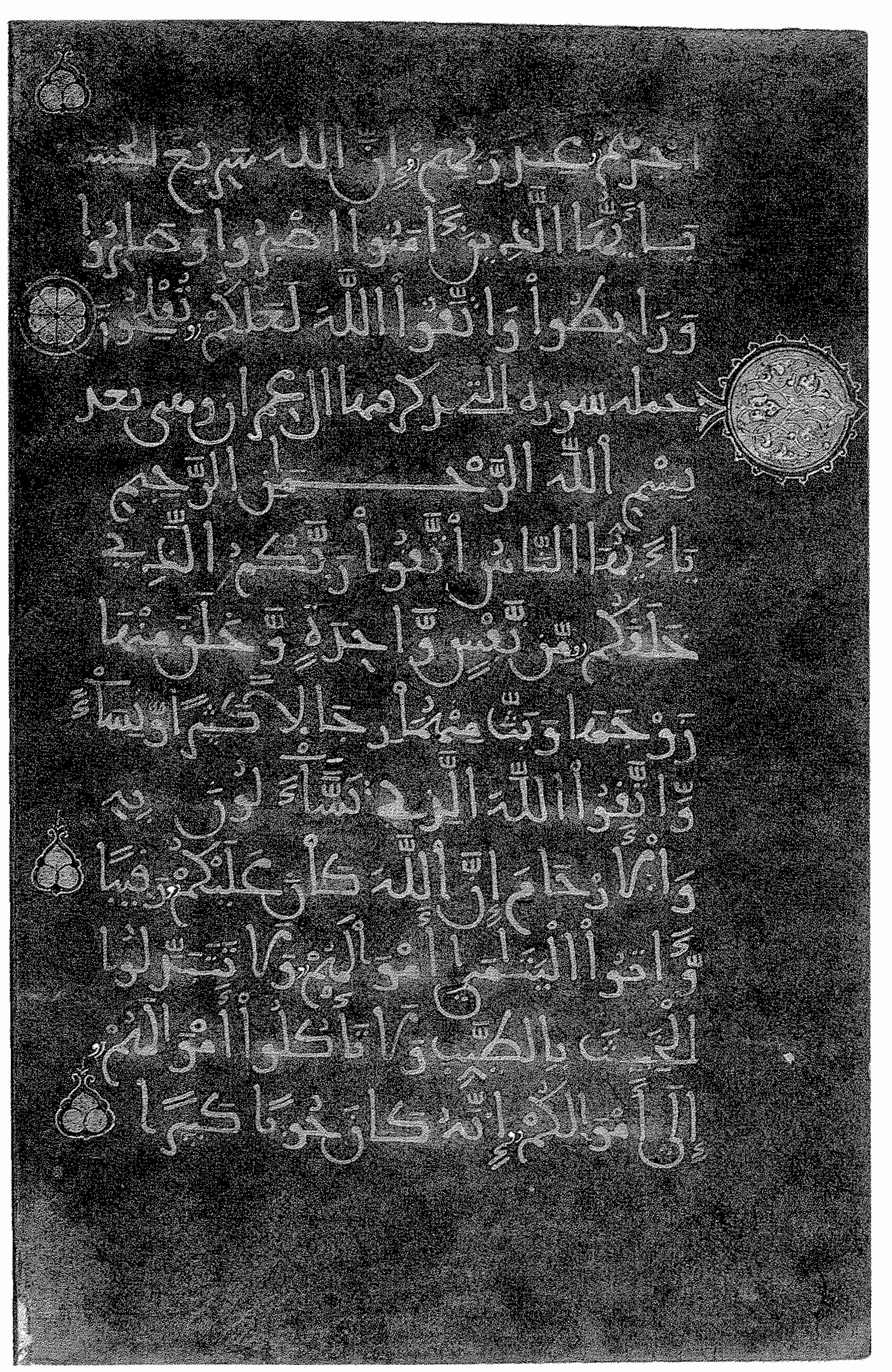
٣٥. كُرّاسٌ وَرَقي به أوْراقٌ مُلَوَّنة . القِرْم سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .
باريس رقم BnF persan 3 ، ورقة ٤٤ظ ـ ٤٥ .



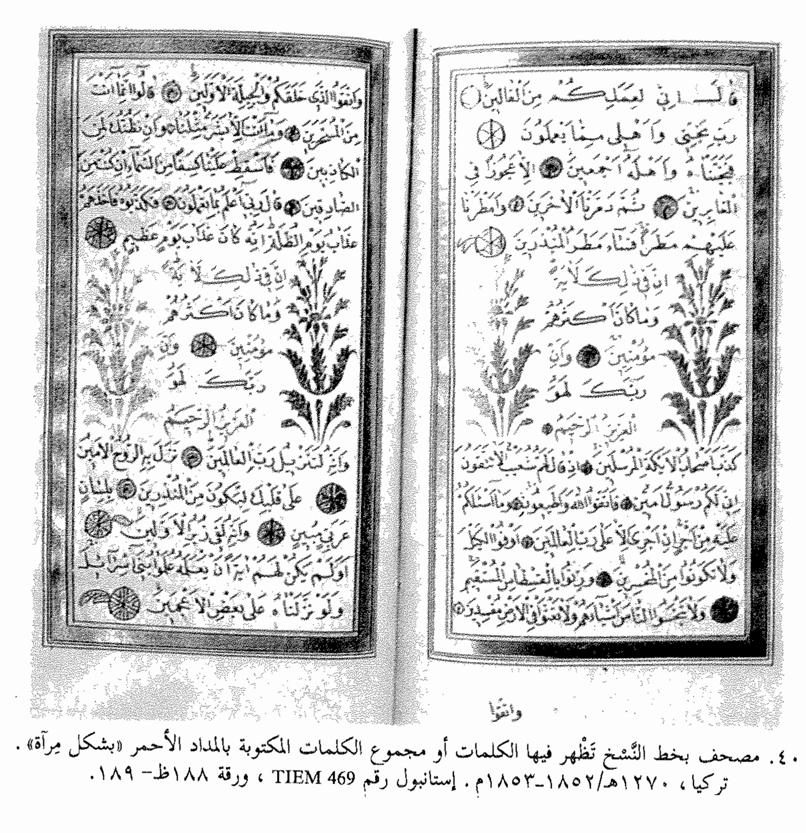
٣٦. جُغْرافِيةُ الإدْريسي ، الجزء السابع من الإقْليم الرّابع . باريس رقم BnF arabe 2221 ، ورقة ٢٣٦ظ ـ ٢٣٧و .

٣٧. عَناوين مُلَوَّنَة . إبْرازُ بعض العناصِر عن طريق اللَّوْن الأزْرَق أو نَمَط الكتابة . المغرب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م .
باريس رقم BnF arabe 1451 ، ورقة ٦٧ظ .

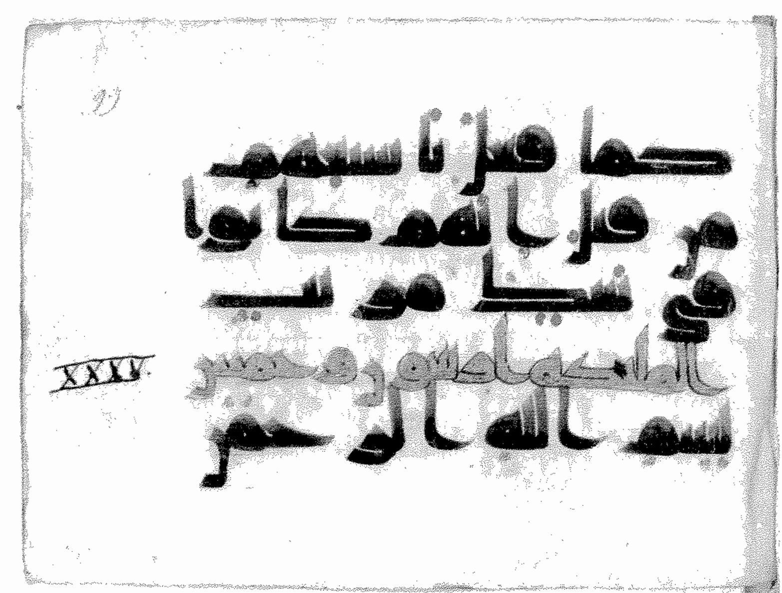
٣٨. كِتابَةٌ بالذَّهَب على الرَّقّ . المغرب القرنين السابع والثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد.
باريس رقم BnF, Smith-Lesouëf 217، ورقة ١.



٣٩. مِدادٌ فِضّي مستخدمٌ على وَرَقٍ داكِن . المغرب نحو سنة ٨٠٠هـ/١٤٠٠م .
باريس رقم BnF arabe 389، ورقة ٦٣ظ .



٤٠. مصحف بخط النَّسْخ تَظْهر فيها الكلمات أو مجموع الكلمات المكتوبة بالمداد الأحمر «بشكل مِرآة» .
تركيا، ١٢٧٠هـ/١٨٥٢-١٨٥٣م . إستانبول رقم TIEM 469 ، ورقة ١٨٨ظ- ١٨٩.

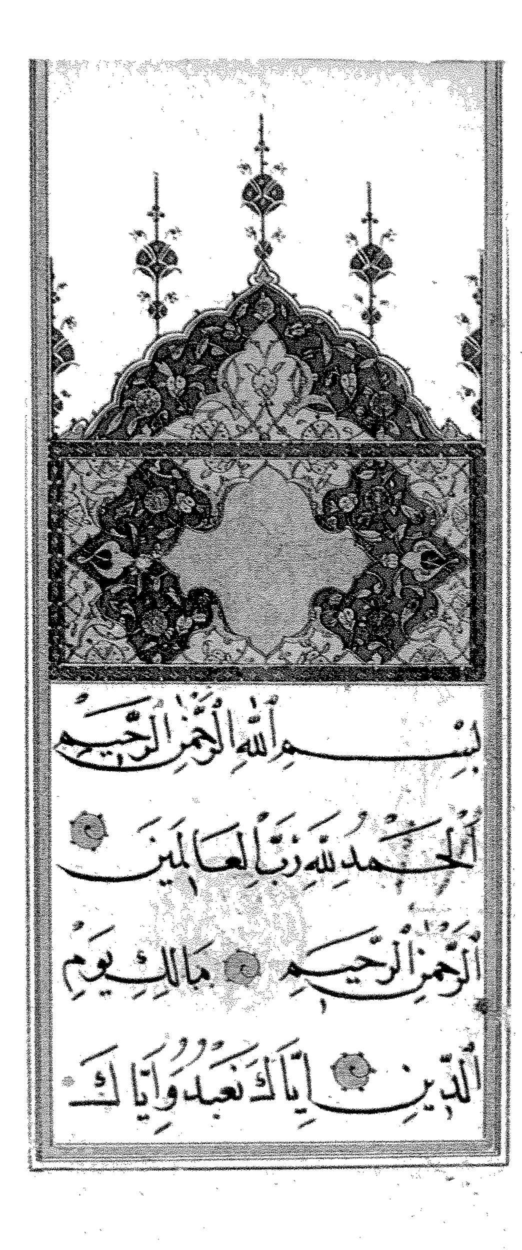


٤١. كتابةٌ عَبّاسيةٌ مُبَكِّرَة من النَّمَط D1 على رَقّ . عنوان السُّورَة مُذَهَّب ، تُؤَرَّخ بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي
باريس BnF arabe 365، ورقة ٩٩.

٤٢. كتابةٌ على رَقٍّ ، من النَّمَط NS 111 ، تُؤرَّخ بالقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.
باريس رقم BnF arabe 5178، ورقة ٦.

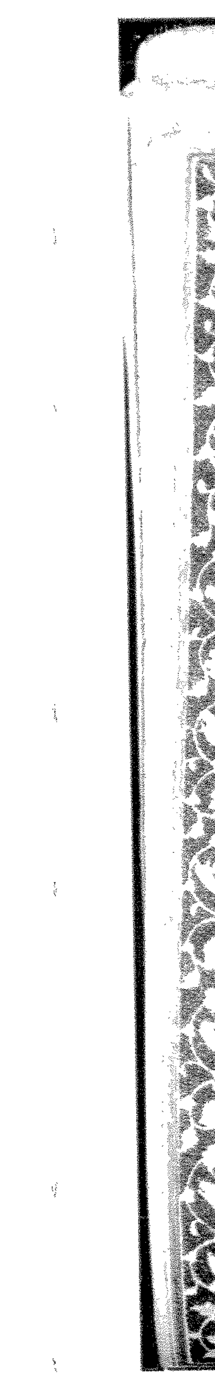


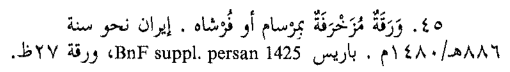
٤٣. سَرْلَوْحَة مغربية . نُسْخَةٍ تَمَّت كتابةً سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م. باريس BnF arabe 678، ورقة ٢.



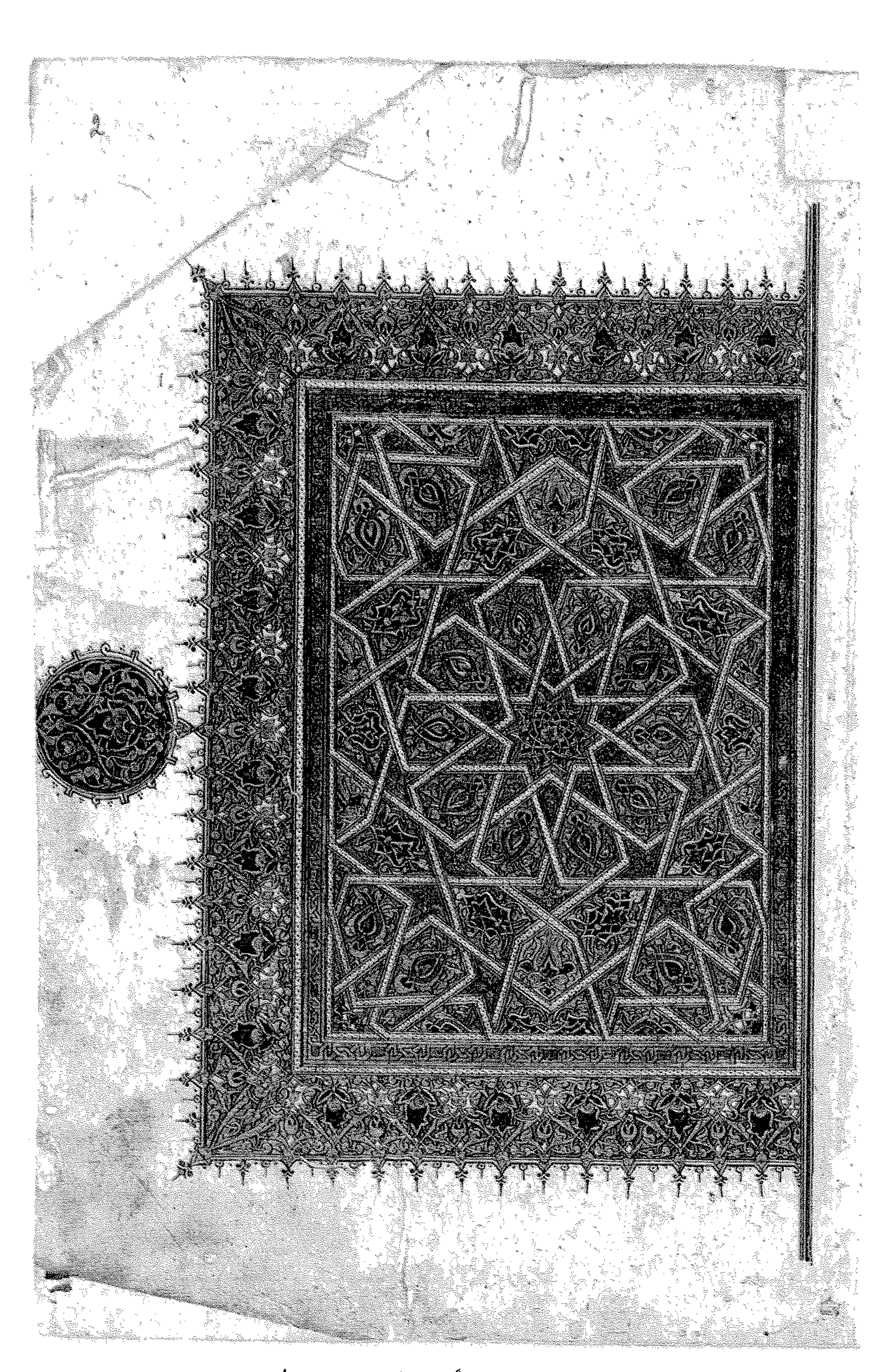


٤٤. سَرْلَوْحَة عثمانية، نحو سنة ١٠٠٠هـ/١٦٠٠م
باريس رقم BnF arabe 433، ورقة ١ظ.





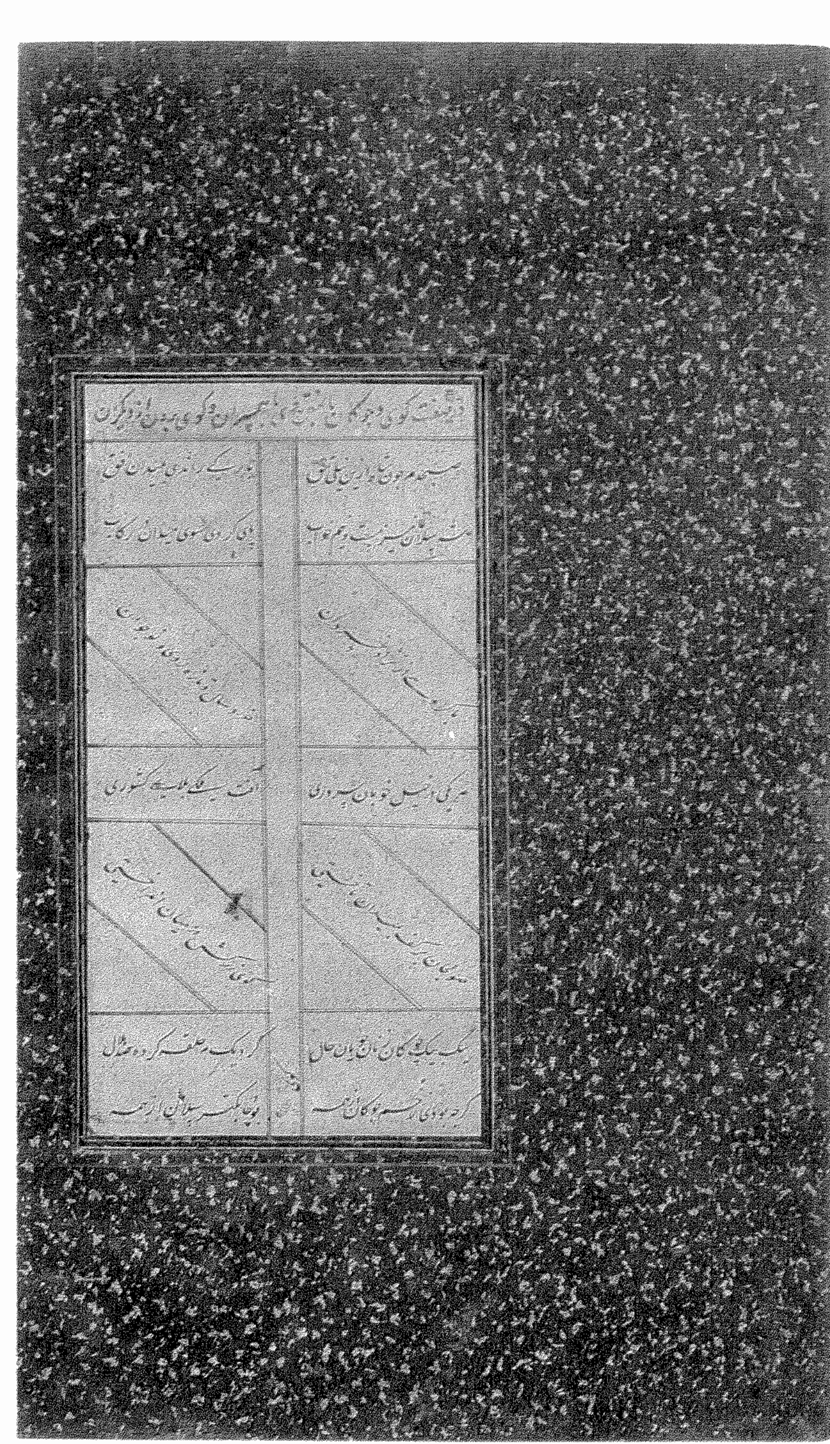
٤٥. وَرَقَةٌ مُزَخْرَفَةٌ بِرَسام أو قُرْشاه . إيران نحو سنة ٨٨٦هـ/١٤٨٠م . باريس BnF suppl. persan 1425، ورقة ٢٧ظ.



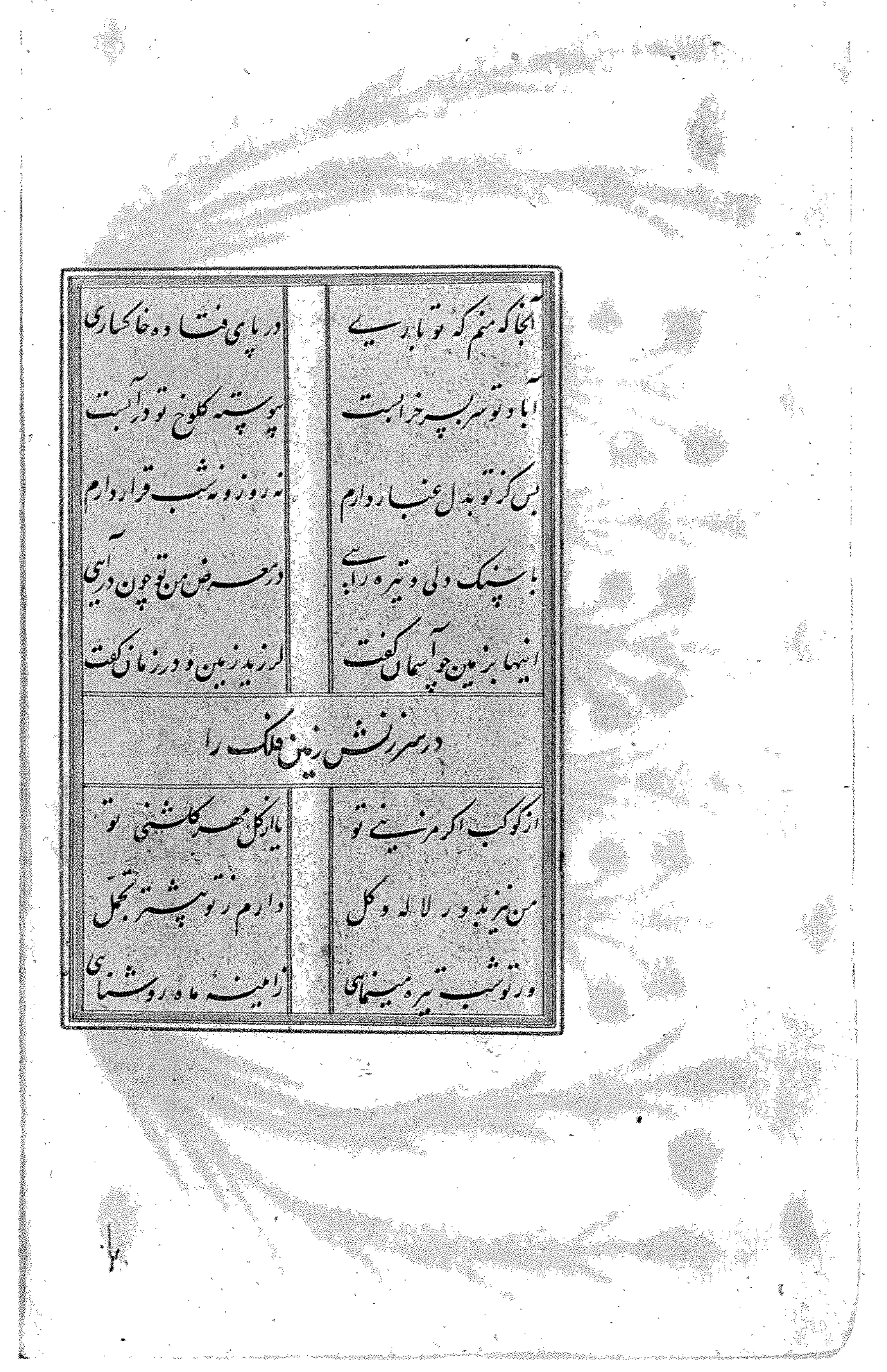
٤٦. زَخْرَفَةٌ بملء الصَّفْحة . نُسْخة تَمَّت كتابةً سنة ١٠٦٧ للشُّهَداء/١٣٥٣م .
باريس رقم BnF arabe 12، ورقة ٢.



٤٧. خَوارِجُ نَصّ . نُسْخَة تَمَّت كتابةً سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م. باريس BnF arabe 6072، ورقة ٣.



٤٨. وَرَقَةٌ مُرَمَّلَةٌ بالذَّهَب. خُراسان نحو سنة ٩٧٨-٩٨٨هـ/١٥٧٠-١٥٨٠م .
باريس BnF suppl. persan 1344، ورقة ٢٥ظ.



٤٩. وَرَق عُثْماني مُظَلَّل . تركيا سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١-١٥٦٢م . باريس رقم Suppl. persan 1479، ورقة ٦ظ

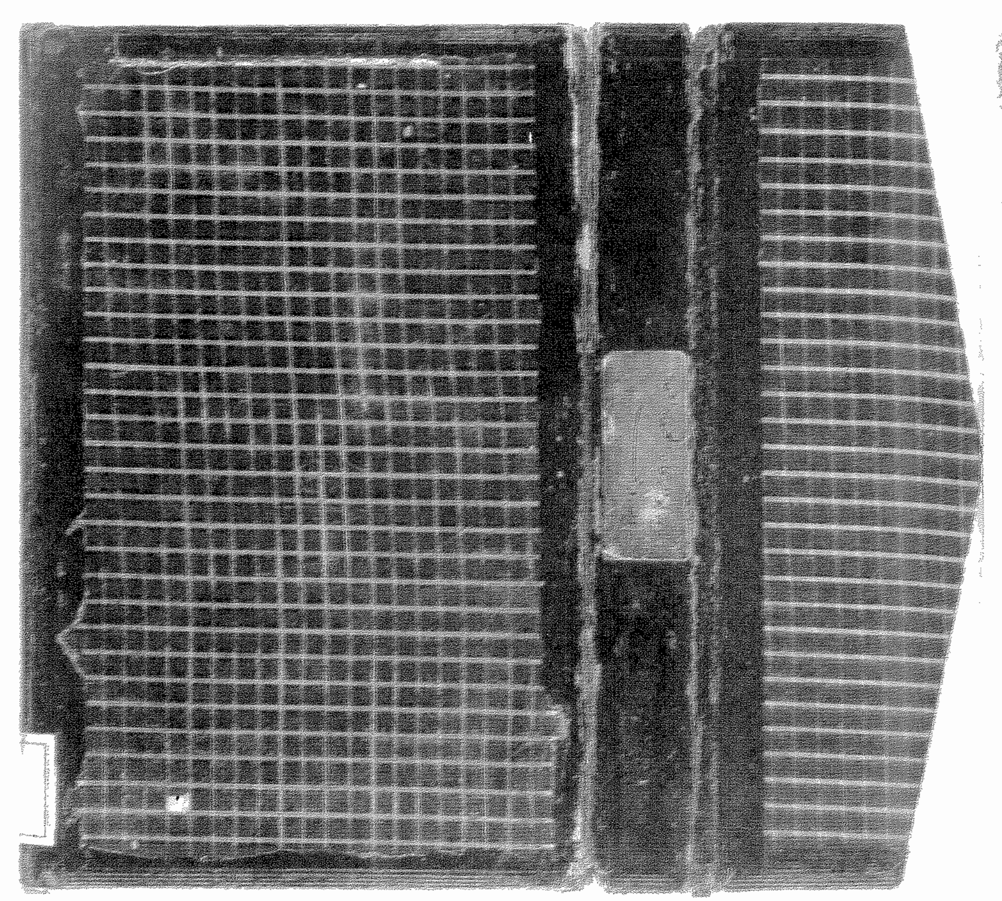
٥٠. وَرَقٌ مُجزّعٌ به نَصٌّ. بيجابور ، سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م . باريس رقم BnF Suppl. persan 796، ورقة ١٧٣.

المَدْخَلُ إلى عِلْم

٢٠٨



٥١. تَجْليدٌ مُلَيَّك . نُسْخَةٌ أُنْجَزت في الأَغْلَب في هَرَاة نحو سنة ٩٠٠هـ/١٥٠٠م.
باريس برقم BnF persan 357، الدَّفَّة السُّفْلَى.

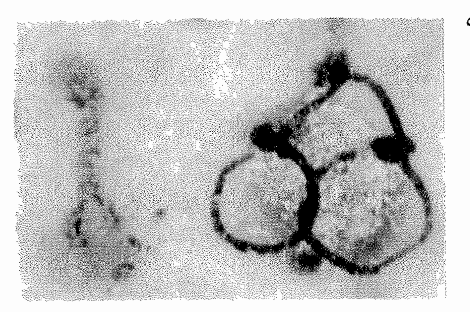


٥٢. غِشاءٌ من النَّسيج . باريس BnF arabe 6080، الدَّفَّة السُّفْلى واللسان (المَرْجِع)

٥٤



أنموذج لاستخدام رَماد الرَّصاص لتجلية الألوان . يتألف الأَزْرَق الفاتح المُصاحب لحَلْقَة الجِذْع البيضاء من خليط من أَزْرَق اللازورد ورماد
اص . ويتكون الأَخْضَر [من أسْفَل] من خليط من أزرق النِّيلَة وأَصْفَر الزِّرنيخ ورَماد الرَّصاص . أمَّا البرتقالي فهو أكسيد الرَّصاص الأحمر
$Ph_3 O$. ويتكوَّن الأحمر البرتقالي الذي يُغَطِّي البرتقالي من أحمر الزُّنْجُفر HgS. باريس BnF arabe 2221، ورقة ٣٣٠ظ ، تفصيل
أنموذج لتَغَيُّر أكسيد الرَّصاص الأحمر $Ph_3 O_4$. فقد فَقَدَ اللون البرتقالي الفاقع الأصلي لمعانه ؛ حيث تَحَوَّل أكسيد الرَّصاص ، في مظهره الخارجي ،
إلى كبريت الرصاص الدَّاكن PbS مكدَّرًا بذلك البرتقالي الأسْفَل . والأزرق هو أزرق الأزوريت الذي تَغَيَّر جزئيًّا إلى أَخْضَر كربونات النُّحاس المهدرت .
حظ ، في الواقع ، في الأطراف تواجد العديد من الحبَيْبات الخضراء . أمَّا اللَّوْن الأحمر فهو أحمر قِرْمِزي . باريس BnF arabe 423، ورقة ٩ ، تفصيل





٥٥. أنموذج للحَلْقات السَّوْداء المحيطة بالألوان المُوَحَّدَة المضافة بعد رسم هذه الألوان . وكدَّرَ هذا اللون الأسْوَد المتداخل في الأزرق لَوْنَه جزئيًّا . فاللونُ الأزرق تكوَّن إذًا من خليطٍ من أزرق اللّازَوَرْد والأسْود . وتكوَّن الأحمر البرتقالي في الوَسَط من كبريتات الزِّئْبَق الأحمر HgS. أمَّا اللَّونُ الأخضر فهو على قاعدة خِلّات النُّحاس . باريس BnF arabe 5844، ورقة ١ظ ، تفصيل

٥٦. أنموذج لاستخدام لونٍ أزرق مكوَّن من خليط من أزرق النِّيلَة ومن أزرق اللازَوَرْد ومن رَماد الرَّصاص ولون أسود . باريس BnF arabe 2221، ورقة ٢٣٦ظ . تفصيل

٥٧. أنموذج لاستخدام رَماد الرَّصاص لجَعْل الألْوان أكثر كثافة . فاللَّوْنُ الأخْضَر مكوَّن من خليطٍ من أزْرَق النِّيلَة وأصفر الزَّرْنيخ ورَماد الرَّصاص . ولم يتم تحليل اللون الوَرْدي ؛ وهو مُرَكَّب في الأغلب ، كما هو الحال في أوراقٍ أخرى ، من خليط من لَكّ أحمر قِرْمِزي ورماد الرَّصاص . باريس BnF arabe 2221، ورقة ٣٣٠ظ ، تفصيل

٥٨. أنموذج لعلامة صفراء ناصِعة على شكل نُقْطَة . فالطَّبَقَةُ المرسومة سميكة ، وتتألَّف من خليطٍ من أصفر الزَّرنيخ ومن مالِط (غير محدّد) . ونلاحظ على السَّطْح تَشَقُّقات (ترجع في الأغلب إلى المالِط) . ويتكون الأزرق من اللازَوَرْد ، أمَّا الأحمر الضَّارب إلى البنفسجي فهو أحمر قِرْمِزي . باريس BnF Smith-Lesouëf 194، ورقة ٧٣ظ ، تفصيل

٥٩. أنموذج لتَغَيُّرات . حيث سمح اللونُ الذَّهَبي المختفي جزئيًّا من خلال الفراغات بمشاهدة أثر الغراء الأصفر الدَّاكن المستخدم في تَثْبيت التَّذْهيب على الرَّقّ . والدهان الأصفر للعلامة على شكل نُقْطة أظهر هو الآخر فراغات بعد تَشَقُّقه . وقد حَلَّ لَوْنٌ أصفر داكن محل الأصفر الأصلي الفاقع مؤلَّف من الزَّرْنيخ . واللون الأزرق ، هو أزرق لازوردي ، أما الأحمر فهو أحمر قِرْمِزي . باريس BnF Smith-Lesouëf 194، ورقة ٧٣ظ ، تفصيل

٦٠. أنموذج للتحديدات السوداء المرسومة بعد وَضْع الذَّهب وصَقْله . نلاحظ تحزيزات رفيعة على سطح التَّذْهيب تَشْهَد على عملية الصَّقْل . وتداخلت حبيبات ذهبية في السَّطْح شاهدة على استخدام ذهبٍ مسحوق بعناية (حبر ذهبي) . أمَّا الأزرق فيتألَّف من اللازَوَرْد . باريس BnF Smith-Lesouëf 194، ورقة ٧٣ظ ، تفصيل

الألْوان البَيْضاء النَّادِرَة على المَخْطُوطات المُتَأخِّرَة ، وتَكَوَّن هذا اللَّوْن الأبيض في الأغْلَب من الحامِل الفارِغ أو غير المُسْتَخْدَم (mis en réserve) (رَقّ أو وَرَق) . وبالإضَافَة إلى ذلك ، فإنَّ الأصْباغ والألْوانَ المُسْتَخْدَمَة في مَخْطوطٍ ما في علامات التَّرْقيم أو الشَّكْل تكون غالبًا الألْوان نفسها المُسْتَخْدَمَة في الزَّخارِف المُهِمَّة ، وشَذَّ مَخْطُوطان فقط من بين المخطوطات المَدْروسَة عن هذه القاعِدَة .

ومع ذلك ، فيَصْعُبُ القَوْلُ ، بالنسبة لغالبية هذه الألْوان ، إذا كان الأمْرُ مُتَعَلِّقًا بأصْباغ حقيقية أو مُجَرَّد خُطُوطٍ نُفِّذَت بأحْبارٍ مُلَوَّنَة . وتُقَدِّمُ لنا رِسالَةُ ابن باديس[١٤٣] وَصْفاتٍ لأحْبارٍ مُلَوَّنَة ولأصْباغ بالرَّغم من أنَّه لا يمكن أن نصفه بأنَّه مُؤلِّف تِقْني للألْوان . ونرى هنا بالفِعْل فُرُوقًا واضِحَةً بين مُؤلَّف من هذا النَّوْع ، وبين بعض الرَّسائل التِّقْنية النَّادِرة المُعاصِرَة في الغَرْبِ المسيحي التي تَناوَلَت التَّزْيين[١٤٤] .

لقد كان الغَرَضُ الأساسي للخُطُوات التي تَحَقَّقَت هو تحديد طَبيعَة الأصْباغ أو الألْوان المُسْتَخْدَمَة ، وأن نُلاحِظَ من خِلال النَّتائج بعض التَّغْييرات الدَّالَّة التي يمكن رَبْطها بالتأريخ أو الأصْل المحتمل للمَخْطُوطات . وقد اسْتَخْدَمنا لهذا الاحْتمال بالتَّعاقُب طريقتين للتَّحليل : الأولى التَّحْليلُ بالمِنْظار الطَّيْفي للإشْعاع X (السِّيني) الذي يسمح بالتَّعَرُّف في بيئته على العَناصِر الموجودَة كالكالْسيوم والنُّحاس والحَديد والزِّئْبَق والرَّصاص والزَّرْنيخ والفِضَّة أو الذَّهَب[١٤٥] . والطَّريقَةُ الثَّانية التَّحْليلُ بالمِنْظار الطَّيْفي للامْتِصاص (يُسْتَخْدَم بالانْعِكاس المُنْتَشِر) الذي يَسْمَح بتحديد بعض التَّشْكيلات الوَظيفية ، وبالتالي طَبيعَة الكرومُوفور chromophore المسئول عن اللَّوْن ، ويُعْطي في الوَقْت نفسه قِياسًا «مِعْيارِيًّا» لكُلِّ لَوْنٍ ، أي مَجْموعة من مُعْطيات قِياس الألْوان تُسْتَخْدَم في الدِّراسات المقارنة . وقد حَصَرْنا أنْفُسَنا إذًا عن عَمْدٍ في طُرُقِ تَحْليلٍ غير مُتْلِفَةٍ على / الإطْلاق ، أي أنَّنا تَجَنَّبْنا اللُّجوءَ إلى الطُّرُقِ التي تَتَطَلَّبُ أخْذَ عَيِّناتٍ ، حتى

١٤٣. انظر هـ[٧] .

١٤٤. على سبيل المثال ، مصنف *Mappæ clavicula*، مخطوط B.M. Sélestat 360 (القرن الرابع) ، ومخطوط Phillipps 3715, New York, Libr. of the Corning Museum. of Glass Center (القرن ١٢) ، أو ذلك المعنون *Schedula diversarum artium*، مخطوط Vienne 2527 (القرنان ١١ و١٢) ، ومخطوط Landesbibl. Wolfenbüttel 4373 (القرن ١٢) .

١٤٥. تمَّت هذه القياسات ، التي أجريت بالتعاون مع ر.أكريش R. Akrich، مهندس بمركز إرنست بابيلون Ernest-Babelon، بفضل حصول المختبر على كاشف جديد للأشِعَّة السِّينية بالغ الجلاء .

وإن كانت مِجهرية ، من الرُّسوم . لأجل ذلك فإنَّنا تَعرَّفنا في العُمُوم فقط على الأصْباغ والألْوان الرَّئيسة ، باسْتِثْناء المَوَاد المَطَّاطية (الأصْماغ أو الغِراء البروتيني) أو ما يُحْتَمل وُجُوده بِنِسَبٍ ضئيلة من مُقوِّماتٍ عُضْوية أو معدنية .

الألْوانُ الزَّرْقاء

لقد مَكَّنت القِياساتُ من التَّعرُّف على اسْتِخْدام الأزْرَق اللاَّزَوَرْدي (معدن يَتَكَوَّن من سليكات الألُومنيوم ومن الصُّوديوم والكبريت $3Na_2O.\ 3Al_2O_3.\ 6\ SiO_2.\ 2Na_2S$) في الألْوان المُسْتَخْدَمَة في مَخْطُوطات مكتبة فرنسا الوطنية BnF أرقام 330 b و 324a و ar. 1451 و 2221، Smith - Lesouëf 194، 5935 و395 و388 و5844 و389-390 [١٤٦]. ولا يبدو للوَهْلَة الأولى أنَّ تحديدًا من هذا النَّوْع يَخْتَصُّ بعَصْرٍ أو بأصْلٍ خاصٍّ ، حيث إنَّه يعتمد على مَخْطُوطاتٍ ذات أُصُولٍ مصرية يُعْتَقَدُ أنَّها ترجع إلى القرن الثَّاني الهجري / الثَّامن الميلادي بالإضافَة إلى مَخْطُوطاتٍ أنْدَلُسية أو مغربية ترجع إلى القُرُون السَّادس والسَّابع والثَّامن للهجرة/ الثَّاني عشر والثَّالث عشر والرابع عشر . ونُشيرُ إلى أنَّ المَخْطُوط رقم ar. 324a (القسم الأحْدَث من مخطوط باريس رقم BnF ar. 324) به زَخْرَفَةٌ زَرْقاء .

وبالمُقابِل فإنَّنا نُحَدِّدَ اسْتِخْدامَ الأزْرَق الأزُوريت (مَعْدِن مُكَوَّن من كربونات على قاعِدَة نُحاسية $2CuCO_3.\ Cu\ (OH)_2$) فقط ابتداءً من القرنين السَّابع والثَّامِن للهجرة / الثَّالِث عشر والرَّابع عشر للميلاد : مخطوطات Smith - Lesouëf 217 (شكل ٣٨) وباريس أرقام 5935 و6529 و385 و423 و675 و5844 و 390-389. وأكثر نُدْرَة أيضًا نجد في الفترة نفسها اسْتِخْدَام أزْرَق النِّيلَة (أزْرَق من أصْلٍ نباتي) : مخطوطات باريس رقم BnF ar. 350a و2221 و 388.

والمُلاحَظُ أنَّ هذه الألْوان الزَّرْقاء تَعرَّضَت غالبًا للتَّلَف (شكل ٥٥) . فقد ألْحَق التَّلَفُ تَغَيُّرًا مُهِمًّا في اللَّوْن الأزْرَق الأزوريت حيث أصبح وَاضِحَ الاخْضِرار (على سبيل المثال مَخْطُوطا Smith - Lesouëf 197 وباريس رقم ar. 5935) . أمَّا اللَّوْنُ الأزْرَق النِّيلي

١٤٦. الترتيب التالي الذي ذكرت به المخطوطات هو ترتيب جدول العرض العام للنتائج (صفحة ٢٤٦-٢٤٧)

فيشكو من نَوْعٍ آخر من التَّلَف : فَتَظْهرُ فيه العَديدُ من الثَّغرات يبدو أنَّها تعود إلى اسْتِعْمال اليد في تَقْليب الأوْراق ، وعُمومًا ما يكون اللَّوْنُ الأزْرَق للأوْراق الأولى هو الأكثر تَضَرُّرًا . ونُلاحِظُ أنَّ اسْتِخْدامَ هذين النَّوْعين من اللَّوْن الأزْرَق ، وعلى الأخَصِّ الأزْرَق النِّيلي قد جاءَ مُتأخِّرًا ، في حين أنَّ اسْتِخدامَه قد عُرِفَ في العَديد من المَخْطُوطات اللاَّتينية للغَرْب المسيحي منذ عُصُورٍ قديمة [١٤٧]. ومن ناحيةٍ أخرى ، فإنَّ هذه الألْوان الزَّرْقاء لم تُسْتَخْدَم دائمًا بشكلٍ مُفْرَد ، فغالبًا ما كانت تُخْلَط ، سواء بلَوْنٍ أزْرَق آخر (شكل ٥٦) - في هذه الحالة الأزْرَق اللازَوَرْدي (وهي حالة المَخْطُوطات المتأخِّرَة مثل مَخْطُوطي باريس رقمي 5844 و390-389) - أو لَوْنٍ أسْوَد (مَخْطُوطات باريس أرقام 350a/ و5935 و385 و197 Smith - Lesouëf) ، أو أخيرًا ، ولكن نادِرًا ، الزِّرْنيخ الأصْفَر بغَرَضِ الحُصُول على لَوْنٍ أخْضَر مُرَكَّب (مخطوطا باريس رقما ar. 2221 و ar. 675)، ورُبَّما تَعَلَّقَ الأمْرُ بالنِّسْبَة لهذا المَخْطُوط الأخير بإعادَة صَبْغ : ورقة ٧٦) . ويبدو أنَّ هذه الألْوان الزَّرْقاء المُرَكَّبة تَتَّفِقُ تمامًا مع ما يمكن أن نُلاحظه في العَصْر نفسه في الغَرْب المسيحي ، وعلى الأخَصِّ إضافَة الأزْرَق اللاَّزَوَرْدي إلى الأزْرَق الأزُوريت في المَخْطُوطات المتأخِّرة [١٤٨].

ويجب أن نَنْظُر إلى حالَة مَخْطُوطي باريس رقمي 388 و5935 على حِدَة ، بما أنَّها الوَحيدة التي أمكن التَّعرُّف فيها على اسْتِخْدامٍ مُنْفَصِلٍ للَوْنين أزْرَقَيْن مُخْتلفين : الأزْرَق اللاَّزَوَرْدي والأزْرَق النِّيلي في الأوَّل ، والأزْرَق اللاَّزَوَرْدي والأزْرَق الأزوريت في الثَّاني . أمَّا في حالَة مَخْطُوط باريس رقم ar. 388 فإنَّ الأكثر شُيُوعًا فيه اسْتِخْدامُ

١٤٧. على سبيل المثال كما في زخرفة المخطوط اللاتيني الذي يعود إلى القرن التاسع الميلادي والذي جاء من دير سيلوس Silos في أسبانيا . انظر بهذا الخصوص B. Guineau et J. Vezin, «Nouvelles méthodes d'analyse des pigments et des colorants employés à la décoration des livres manuscrits; l'exemple des pigments bleus utilisés entre le IX^e siècle et la fin du XII^e siècle, notamment à Corbie» *Estudios y ensayos joyas bibliográficas* [Actas del VIII Coloquio del Comité Internacional de paleografia latina, Madrid-Toledo], Madrid, 1990, p. 83-94.

١٤٨. B. Guineau, «Analyse, à l'aide de méthodes spectrophotométriques, des couleurs de deux manuscrits du XV^e siècle enluminés par Francesco Antonio del Chierico», M. Maniaci et P. Munafo éd., *Ancient and Medieval Book Materials and Techniques* [Actes du Colloque International d'Erice, 18-25 September 1992, Studi e Testi, 358], Cité du Vatican, 1993, p. 121-155.

الأزْرَق اللاَّزَوَرْدي ، بينما لم يَظْهَر الأزْرَق النِّيلي إلَّا في بعض خُطُوط التَّأطير . ويبدو أنَّ حالَة مَخْطُوط باريس رقم ar. 5935 مماثلةٌ لها . وفي الواقع ، فإنَّنا قد تَحَقَّقْنا من الاستِخْدام المُنْتَظِم للأزْرَق اللاَّزَوَرْدي فقط في زَخْرَفَة الكُرَيْمات المَوْجُودَة في هامِش العديد من الصَّفَحات . وهكذا ، فإنَّنا رُبَّما نُمَيِّزُ بين يَدَيْن مختلفتين ، تَوَلَّت واحِدَةٌ وَضْعَ علامات الشَّكْل والضَّبْط ، وتَوَلَّت الأخرى على الأخَصّ وَضْعَ الزَّخارف الأكثر أهَمِّيَّة (الكُرَيْمات أو الإطارات) [١٤٩].

الألْوَانُ الخَضْرَاء

باسْتِثْناء اللَّوْن الأخْضَر المُرَكَّب ، فإنَّ كُلَّ الألْوَان الخَضْراء التي أمكن تَعْيِينُها هي ألْوانٌ ذات قاعِدَةٍ نُحاسية . ويتعلَّقُ الأمْرُ في الأساس باللَّك الأخْضَر وهو في الأصْل على قاعِدَة خِلَّات النُّحاس كما تَشْهَد بذلك التَّلَفِيَّات المختلفة التي يمكن مُلاحظتها . وفي الواقع ، فقد تَحَوَّل هذا اللَّوْنُ الأخْضَر الذي كان في الأصْل مُتَوَقِّدًا وشَفَّافًا ، كما يمكن أن نُعاينه في مَخْطُوطِ Smith-Lesouëf 194 (ورقة ٨١) ، إلى لَوْنٍ قاتمٍ ومُعْتِمٍ . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنَّه يَخْتفي من مِساحاتٍ كبيرة ، كما أنَّ الرَّقَّ نفسه يكون مُضَارًا بشِدَّة (مَخْطُوطا باريس رقم ar. 324 c وar. 423) . واحْتَفَظَ الرَّقُّ في مواضِع هذه الثَّغرات بأثَرٍ للَوْنٍ أخْضَر شَاحِب ناتج عن تَسَحُّب أيُونات (ذَرَّات) النُّحاس Cu^{2+} عَبْرَ الحامِل . ونَجِد هذا اللَّوْن الأخْضَر النُّحاسي تقريبًا في جميع المَخْطُوطات (باستثناء مَخْطُوطات باريس أرقام 1451 و2221 و395 و389-390 وSmith-Lesouëf 217) ، أي / أيًّا كان تأريخُها أو مَصْدَرُها المُفْتَرَض . ونُشيرُ فيما يَخُصُّ الأخْضَر النُّحاسي الموجود

١٤٩. تم الحصول على مختلف هذه التحديدات بالمنظار الطيفي للامتصاص ؛ فالمنحنيات التي تطابق أزرق اللاَّزورد تُظْهِر امْتصاصًا أقصى حول ٦٠٠ ن م (مُعَبِّرًا عن تَحَوُّل لأيون الكبريت S^3)، امتصاص يتميز بسهولة عن امتصاص أزرق الأزُوريت الذي يبلغ أقصاه نحو ٦٤٥ ن م (مُعَبِّرًا عن تَحَوُّل لأيون النحاس Cu^{2+}) أو امتصاص اللون الأزرق النيلي (أقصاه نحو ٦٦٥ ن م). فالقياسات التي أنجزت بعد ذلك عن طريق المنظار الطيفي للاستشعاع السيني قد مكنت من تأكيد هذه النتائج ؛ ولم يوجد إلا النحاس فقط في أزرق الأزوريت ، في حين لم يوجد عنصر آخر (غير العناصر ذات الرقم الذري الضئيل) ، بأزرق اللازورد (المكون من العناصر Si, Al, Na, S et O) أو للأزرق النيلي (مركب عُضْوي مكوَّت من العناصر التالية وحدها C, H, O, N).

في مَخْطُوطِ باريس رقم ar. 330 b إلى أنَّ التَّحْليلَ العُنْصُري أمكننا من أن نُحَدِّدَ وُجُودَ الرَّصاص والقَصْدير إضافَةً إلى النُّحاس . وللحُصُول على هذا اللَّوْن الأخْضَر لم تكن صَفائِحُ النُّحاس هي التي تُوضَع في تأثير أبْخِرَة الخَلّ ، كما تُوصي بذلك الوَصْفات ، ولكن في الأغْلَب قِطَع أو مُخلَّفات البرونز .

وفي المقابل ، لم نتمكَّن من تحديد اللَّوْن الأخْضَر المُرَكَّب إلَّا في مَخْطُوطين (شكل ٥٦) . ويتكوَّن هذا اللَّوْنُ الأخْضَر من خَليطٍ من أزْرَق النِّيلَة والزَّرْنيخ الأصْفَر الذي يُمَيِّز مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 2221 (جُغْرافية الإدْريسي) ، وهو مَخْطُوطٌ ، يجب أن نَضَعَه في الحقيقة جانِبًا بما أنَّه مُزَيَّن بالعَديد من الصُّوَر على صفحاتٍ كاملة . وأمكن كذلك أن نُعَيِّن هذا اللَّوْن الأخْضَر نفسه في أحَدِ خُطُوط إطارٍ مَوْجُود في صفحة ٧٦ من مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 675 . ورُبَّما تَعَلَّق الأمْرُ هنا بتجديدٍ مُحْتَمَلٍ للَّوْن ، بما أنَّ أعْلى الصَّفْحَة مُضارٌ بوُضُوح [١٥٠].

الألْوَانُ الصَّفْرَاء

تكون الألْوَانُ الصَّفْراء في المجموع مُشَبَّعَة وفي غايَة الجَلاء ، ونادِرًا ما تكون أصْباغُها ضارِبَة إلى الخُضْرَة (الصَّفَحات الأولى من مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 385) ، ويميل لَوْنُها في الغالِب إلى الأصْفَر البُرْتُقالي وأحيانًا الأصْفَر الدَّاكن . وتتكوَّن كُلُّ هذه الألْوانُ الصَّفْراء من الزَّرْنيخ الأصْفَر (شكل ٥٨) ، وهو مَعْدِن يتكوَّن من ثُلاثي كبريتات الزَّرْنيخ As_2S_3. وأمكن تَحْديدُ هذا المَعْدِن في المَخْطُوطات أرْقام BnF ar، 324 c و378 و 1221، 385 و675 و5844 و 217 و Smith - Lesouëf 194. ونُلاحِظُ كذلك أنَّ اسْتِخْدامَ أصْفَر الزَّرْنيخ لا يبدو أنَّه يَخْتصّ بأصْلٍ مُعَيَّن أو فَتْرَةٍ مُعَيَّنَة . وفيما يَخُصُّ الأصْباغ البُرْتُقالية لأغْلَب هذه الألْوان الصَّفْراء ، فإنَّ أصْلَها في أغْلَب الحالات ناتجٌ عن وُجُود أثَرٍ للزَّرْنيخ الأحْمَر ، مَعْدِن يتكوَّن من ثاني كبريتات الزَّرْنيخ الأحْمر As_2S_2، الذي غالِبًا ما يُشارك مع الزَّرْنيخ الأصْفَر .

١٥٠. حَصَلنا على هذه التماثُلات المختلفة عن طريق المنظار الطَّيْفي للامتصاص ، وللتحقق من وجود النحاس استخدمنا المنظار الطيفي للاستشعاع السيني .

وسنُجرِّب أن نجد في هذه الأثار أصْلًا طبيعيًّا للصَّبْغَة الصَّفْراء المُسْتَخْدَمَة بهذا الشَّكْل .

وهناك اسْتِثْناءٌ لافِتٌ للنَّظَر هو اسْتِخْدامُ اللَّوْن الأمْغَر (ocre) المُصْفَر (رَمْلٌ طِيني مُلَوَّن بالأصْفَر عن طريق اشْتماله على هيدروكسيد الحديد (FeO (OH)) أمْكَن التَّعَرُّف عليه في تَصْويرٍ في مَخْطُوطِ باريس رقم 2221 (ورقة ١٠ظ) الذي سَبَقَ أن تَحَدَّثنا عنه .

ونستطيع أن نُعَدِّد كذلك ، بين الألْوان الصَّفْراء ، التَّذْهيبات الكثيرة التي تُزَيِّن كُلًّا من هذه المَخْطوطات . ومع ذلك ، فإنَّ اللَّمَعان بالنِّسْبَة لهذه الألْوان ، له أهَمِّيَّةٌ أكبر من الصَّبْغَة ، إلى حَدّ أنَّه أمكن اعْتبار الذَّهَب كلَوْنٍ أبْيَض مُطْلَق ، مثل اللَّوْن الكامِل . وسنتناول حالته فيما بعد[١٥١].

/ الألْوانُ الحَمْراء

تُقَدِّمُ الألْوانُ الحَمْراء تنويعات كبيرة لمَزْج الأصْباغ وللتَّشَبُّع والإشْراق . ونُمَيِّزُ في الواقع ألْوانًا حَمْراء بُرْتُقالية في غاية التَّشَبُّع والجَلاء ، وألْوانًا حَيَّة نِصْف شَفَّافَه أو مُعْتِمَة ، وألْوانًا قِرْمِزِيَّة شاحِبَة قَليلًا وبعض الألْوان الحمراء الدَّاكِنة . وكُلٌّ من هذه الألْوان الحَمْراء ذو تركيبة مختلفة . فالبِنْسبة للألْوان الحَمْراء البُرْتُقالية أتاحَت القياساتُ تحديد اسْتِخْدام أحْمَر الرَّصَاص أو أُكسيد الرَّصَاص الأحْمَر . ويتكوَّن هذا اللَّوْن الأحْمَر من خَليطٍ من أُكسيدين PbO و Pb_3O_4. وعلى عكس كُلِّ التَّوَقُّعات فلم يُتَعَرَّف على هذا اللَّوْن في المَخْطُوطات القديمة ، وإنَّما فقط ابتداءً من القرن السَّابع الهجري/ الثَّالِث عشر الميلادي في زَخْرَفَة مخطوطات باريس أرقام 2221 و5935 و6529 و675 و423 و 5844.

ويُوجَد لَوْنٌ أحمر بُرْتُقالي آخر يتكوَّن من الزَّرْنيخ ، وهو في الأغْلَب لَوْنٌ أحمر مُرَكَّب . وعندما نُحَدِّد فقط الزَّرْنيخ كما هو الحال بالنِّسْبَة لمَخْطُوط Smith - Lesouëf 194 (على سبيل المثال على علامات الشَّكل : ورقة ٨٣) ، فإنَّ اللَّوْن يكون خَليطًا من الزَّرْنيخ الأحْمَر (ثاني كبريتات الزَّرْنيخ الأحمر As_2S_2) والزَّرْنيخ الأصْفَر

١٥١. تم التعرف على الزرنيخ والحديد عن طريق المنظار الطيفي للاستشعاع السيني ، وأما الأمغر الأصفر فقد تم التعرف عليه بواسطة المنظار الطيفي للامتصاص .

(ثُلاثي كبريتات الزَّرْنيخ As_2S_3) . ونَلْحَظ كذلك في مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 675 وُجود الزِّئْبَق (شكل ٥٥) ، فيكون اللَّوْنُ الأحْمَر البُرْتُقالي مُكَوَّنًا إذًا من مَعْدِن الزُّنْجُفْر (كَبْريتات الزِّئْبَق الأحمر HgS) والزَّرْنيخ الأصْفَر[١٥٢].

وقد وُجِدَ هذا اللَّوْنُ الأحْمَر الزُّنْجُفْري الزِّئْبقي ، ذو الأصْباغ شبه البُرْتُقالية دائمًا ، في المَخْطُوطات القديمة : باريس أرْقام 330b و324a et c و378 و350a التي يمكن أن نُحَدِّدَ وُجودَ الزِّئْبَق فيها فقط . وبالمقابل فإنَّنا نُعَيِّن وُجود الزَّرْنيخ إضافَةً إلى الزِّئْبَق في اللَّوْن الأحْمَر في مَخْطُوطين منها 378, 324 a et c، فيكون أحْمَر الزُّنْجُفْر مَمْزُوجًا بأصْفَر الزَّرْنيخ الذي يَزيدُ وُجوده في إظْهار اللَّوْن البُرْتُقالي . ونادِرًا ما نُقابِل في الغَرْب المسيحي خَليطًا من هذا النَّوْع في تَزايين من فَتْرَةٍ مُعَاصِرَة . ويَظْهر لَوْنٌ أحْمَر زُنْجُفْري كذلك في مَخْطُوطين أحْدَث هما مَخْطُوطا باريس رقم 5844 و 390-389. وهذا الأحْمَر في المَخْطُوط الأوَّل باهِتٌ بالأحْرى ، وليس بُرْتُقاليًّا ألبَتَّة ، وسَطْحُه مُغَطًّى بدِهانٍ مُلَمَّع أحمر ثَخين (على الأرْجَح لَكٌّ عُضْوي أحمر) .

واسْتُخْدِم لَوْنٌ أحْمَرُ آخر ، الأحْمَر الحَيّ نِصْف الشَّفَّاف ، في زَخْرَفَة أغْلَب المَخْطُوطات تقريبًا ، باستِثناء المَخْطُوطات المُبَكِّرة . وقد أمكن تحديدُ هذا اللَّوْن الأحْمَر الفاتِح شَديد الجَلاء بأنَّه لَكٌّ عُضْوي أحْمَر قِرْمِزي (شكل ٥٤) . ولا تَسْمَح لنا القِياساتُ ، للأسَف ، أن نُمَيِّزَ إذا ما كان الأمْرُ يَتَعَلَّق بالأحْمَر القِرْمِزي (المُسْتَخْلَص من الزُّنْجُفْر القِرْمِزي *Kermes vermilio*) أو بالأحْمَر القِرْمِزي الأرْمَنِيّ (المُسْتَخْلَص من *Porphyrophora hameli*) أو أيضًا بالأحْمَر القِرْمِزي اللَّكّي (المُسْتَخْلَص من *Kerria lacca*) . ومع ذلك ، فيبدو أنَّ اللَّوْنَ الأحْمَر الزُّنْجُفْري القِرْمِزي هو أفْضَل هذه المَوَادّ : فإنَّنا نجد في الواقع حَشَرَةَ القِرْمِزية في الأنْدَلُس والمغرب . وفي العُصُور الوُسْطى اشْتُهِرت قِرْمِزِيَّةُ الأنْدَلُس باستخدامها في الصِّباغَة : حيث تَسْمَح بالحُصُول على ألْوانٍ قِرْمِزية على الصُّوف ، وكانت مَوْضُوعَ / تجارَةٍ مُهِمَّة . واسْتُخْدم هذا اللَّوْنُ الأحْمَر كذلك في الرَّسْم ، بترسيبه على شكل لَكٍّ قِرْمِزي : وهو لَوْنٌ يَنْتمي إلى تشكيلة

١٥٢. تم إنجاز القياسات بالمنظار الطيفي للامتصاص في المختبر على الزنجفر كنموذج ، وكذلك على خليطهما اثنين لاثنين في مختلف النسب . واستعملت الأطياف الناتجة بعد ذلك كمنحنيات للتعرف على الأحمر البرتقالي المركب .

الألوان التي يستخدمها المُزَيِّنُون . وهو يُسْتَخْدَم هنا دائمًا في مِساحاتٍ صغيرة ، ويبدو أنّه كان يُضافُ على الأرْجَح بالفُرْشَاة لا بالمِرْقاش . ويمكن أن نَذْهَب إلى أن الأمْر يتعَلّق حَقِيقَةً بمِدادٍ أحْمَر ، مِدَادٍ يَبْدو أنَّ ابن باديس لم يَذْكره في رِسالته[١٥٣] . ونُضيفُ إلى ذلك ، أنّه كما كان بالنِّسْبة إلى تَزَايين الغَرْب المسيحي ، ولكن في فَتْرَةٍ تبدو سابقة قليلًا على ذلك ، كان هذا اللَّوْنُ الأحمر شِبْه الشَّفَّاف يُغَطِّي العَديدَ من المجموعات المُذَهَّبة شَاهِدًا بذلك على رَغْبَةٍ خاصَّةٍ في «إظْهار» التَّذْهيب .

وأخيرًا ، فإنه أحْيانًا ما نُلاحِظ ألْوانًا حَمْرَاء باهِتَة ، ولكن بطريقةٍ مُنْفَرِدَة . هكذا نُعَيِّن في زَخْرَفَة مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 423 أحمر حَجَر الدَّم (مُكَوَّن من أُكسيد الحديد المَمْزُوج بأُكْسيد الرَّصَاص الأحمر Fe_2O_3) ، وفي مَخْطوط باريس رقم BnF ar. 675 أحمر حَجَر الدَّم وكذلك أحمر فاتح مُكَوَّن من لَكٍّ عُضْوي أحمر آخَر . وهذه الأنواعُ من اللَّوْن الأحمر تَجْعل هذا المَخْطوط حالَة مُنْفَرِدَة . وفي المقابل ، فلم يمكننا تَعْيين أيّ لَوْنٍ أحْمَر من خَشَب البَقَّم ، هذا اللَّوْن الأحمر المُسْتَخْرَج من خَشَب يُسْتَقْدَم من سيلان ويسمح بالحُصُول على ألْوانٍ وردية حَيَّة وشِبْه شَفَّافَة أو بَنَفسجية ومُعْتِمَة (عندما تُرَسَّب المادَّةُ المُلَوِّنَة على رَمَاد الرَّصَاص (الإسْفيداج))[١٥٤] ، والذي كان معروفًا جِدًّا في القرنين الثَّامن والتَّاسع للهجرة / الرَّابع عشر والخامس عشر للميلاد ، وعلى الأخَصِّ في زَخْرَفَة المَخْطُوطات اللَّاتينية الغربية . وفيما يَخُصُّ المَخْطُوطات العربية المَدْروسة من الفَتْرَة نفسها ، نستطيع أن نُحَدِّدَ فقط بالنِّسْبَة للألْوان

١٥٣. لم يذكر في الواقع بالنسبة للألوان الحمراء العضوية التي هي من أصل حيواني إلا أحمر اللك . وهذا المصطلح ، يطابق اللك بالفارسية حسب ليفي (Levey, op. cit.) ، ويعطى مؤلفون آخرون لأصل الكلمة السنسكريتية «لَكْشَة» التي أعطت كلمة «لاخ» ، المصطلح الذي يعبر عن المئات الآلاف (من القرمزيات) التي هي وراء أحمر اللك ، والذي يستخلص من عود اللك ، وهي أجزاء من شجرة يلتصق بها جماعات من القرمزيات Coccus lacca. وتبين أن مصطلح اللك الأحمر قد استخدم كثيرا في الإشارة بالأولى إلى طريقة (لإثبات الملون العضوي بغية جعله غير محلول عن طريق تعقيده بواسطة أكاسيد معدنية أو بتكثيف جزئياته على أساس معدني ، أكثر منه ملون أحمر خاص ، يمكن أن يستخلص سواء من القرمزيات البنغالية أو البرمانية أو قرمزيات أرمينيا أو قرمزيات إسبانيا أو قرمزيات بلاد المغرب .

١٥٤. على سبيل المثال ، في بداية القرن الخامس عشر ؛ انظر كذلك : B. Guineau, «Painting techniques in the Boucicaut Hours and in Jacques Cœne's recipes as found in Jean Lebègue's Libri Colorum», in I.I.C. ed., *I.I.C. 17th International Congress*, Dublin, 7-11 September 1998, London, 1998, p. 51-54.

الوَرْدية أو الحَمْراء البَنَفْسِجيّة ، لَوْنًا مُعْتِمًا على قاعِدَةٍ من الأحْمَر القِرْمِزي (مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6529) أو من خَليطٍ من الأحْمَر القِرمِزي والشَّبّ (مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 2221)[١٥٥] .

الألْـوَانُ البَيْضَاء

كما رأينا ، فإنَّ اللَّوْنَ الأبْيَض كان نادِرَ الاسْتِخْدام . وفي العُمُوم كان الحامِلُ (الرَّقّ أو الوَرَق) الفارِغ أو غير المُسْتَخْدَم (mis en réserve) هو الذي يقوم بدَوْر السَّطْح الأبْيَض . ومع ذلك ، فإنّنا نُسَجِّل اسْتِخْدامَ رَماد الرَّصَاص (الإسْفيداج) في مَخْطُوطَيْن / من المَخْطُوطات المتأخِّرَة : مَخْطوطي باريس رقم BnF ar. 5844 ورقم BnF ar. 389/390 . ونجده كذلك في مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 324a حيث اسْتُخْدِم فقط في مِساحاتٍ صغيرة جدًّا ، وعلى الأخَصّ في مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 2221 حيث جَميع الألْوان تَقْريبًا قد تَشكَّلَت بإضَافَة رَماد الرَّصَاص (الإسْفيداج) (شكل ٥٥) . ونلاحِظُ أنَّ هذه التِّقْنية في التَّشْكيل اسْتَخْدَمها منذ زَمَنٍ طويل مُزَيِّنُو الغَرْب المسيحي ، وأنَّ رَسائل تِقْنية مَشْهُورَة مثل *Mappæ clavicula* أو *Traité des divers arts* (الفُنُون المُتَنَوِّعَة) للرَّاهِب تيوفيل Théophile[١٥٦] ، تُوَضِّح كيف يمكن للمُصَوِّر أن يُجَلِّي ألْوَانَه (*matizare*) بإضافة أبيض الإسفيداج . ولم يَسْتَخْدم المُصَوِّرُون في أقْدَمِ المَخْطُوطات العربية التي دَرَسْناها هذه الطَّريقة ، ويبدو على الأرْجَح أنّهم فَضَّلُوا إشْراقَة الألْوَان على أعْمال التَّجْسيم أو الحَجْم .

157

وتبقى هناك حَالَةٌ مُتنازَعٌ فيها ، أعني السَّرْلَوْحَة (frontispice) المُضَارَة جِدًّا الموجودة في أوَّلِ مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 675 ، التي أمْكَنَ تحديد الوُجُود الوَفير للرَّصَاص في اللَّوْن الأسْوَد الظَّاهر بها الآن (ورقة ١) بواسِطة المِنْظار الطَّيْفي للإشْعَاع

١٥٥. تم التعرف على الرصاص ، والزئبق ، والزرنيخ والحديد بواسطة المنظار الطيفي للاستشعاع السيني ، وتم كشف أحمر القرمزيات بواسطة المنظار الطيفي للامتصاص عن طريق امتصاصين مميزين لهذا الملون ، قياس أحدهما ٥٢٥ نم والآخر ٥٦٥ نم .

١٥٦. S.C. Smith et J.G. Hawthorne, *Mappæ clavicula. A little key to the world of medieval techniques* [Trans. of the Am. Phil. Soc., New Series, Vol. 64, Part IV], Philadelphia, 1974.

X (السِّيني) . ويجعلنا هذا التَّحْديد نَفْتَرِض وُجودَ تَلَفٍ في كبريت الرَّصَاص الأسْوَد ، سواء من الإسْفيداج (رَماد الرَّصَاص) أو من أكسيد الرَّصَاص الأحْمَر ، ولكن يجب أن نَسْتَبْعِد الفَرْضية الثَّانية بالنَّظَر إلى مُنْحنيات الامْتِصاص المُتَحَصَّل عليها ، فهي لا تُظْهر في الواقع أي تَغْيير في المَيْل نحو ٦٦٥ نم المُمَيِّز للحَدِّ الأدْنى حتى وإن أُتْلِفَ تَلَفًا شَديدًا .

وهناك لَوْنٌ أبْيَضُ مُمَيَّزٌ آخر هو المِدادُ الأبْيَض المُسْتَخْدَم في كتابة مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 389/390. وهذا المِدادُ على قاعِدَةٍ رقيقة من الفِضَّة المسحوقة المَنْثورة على مادَّةٍ مَطَّاطِيَّةٍ مائعة جِدًّا . وعندما يَتْلَف المَعْدِن على السَّطْح يَسْوَدّ لَوْنُه ويتحَوَّل في مَكانِه إلى كبريت الفِضَّة الأسْود Ag_2S. وتَكْشِفُ القِياساتُ التي تمَّت عن طريق التَّحْليل بالمِنْظار الطَّيْفي للإشْعاع X (السِّيني) وجود آثارٍ قليلة للذَّهَب مع الفِضَّة . ويمكن أن تكون هذه الفِضَّة المَمْزُوجة بآثار الذَّهَب ذات أصْلٍ مُعَيَّن .

وأخيرًا ، كان سَطْحُ الرُّقُوقِ والوَرَق يُطْلَى تقريبًا بمادَّةٍ مَعْدنية بَيْضَاء ذات قوام تَتَلَقَّى الخُطُوط السَّوْداء والمُلَوَّنَة على السَّواء . ولا يمكن التَّعَرُّف على هذا الطِّلاء الرَّقيق إلَّا بصُعُوبَةٍ حتى وإن أثْبَت التحليل بالمِنْظار الطَّيْفي للإشْعاع X (السِّيني) وُجود الكالْسيوم ممَّا يَفْتَرض وُجودَ الطَّباشير أو الجِبْس على السَّطْح . ومع ذلك ، فقد اسْتُكْشِفَ وُجُودُه بوُضُوحٍ في مَخْطُوطي باريس رقم ar. 5844 ورقم ar. 5935، لأنَّ هذه الطَّبَقَة ثَخِينَة نسْبيًّا ويمكن ملاحظتُها عن طريق التَّمْزيق الموجود ، مُسْتَفيدين من وجود تَلَفِيَّات مَوْضِعية مثل تَمْزيق السَّطْح و / أو آثار كُشُوطٍ قديمة .

/ الذَّهَب

تُوجَدُ زَخْرَفَةٌ ذَهَبِيَّةٌ تُزَيِّنُ دون اسْتِثْناء جَميع المَخْطُوطات ؛ ومع ذلك فإنَّنا نُلاحِظُ ، تَبَعًا للنَّماذِج ، بعض الاخْتِلافات . فقد كَشَفَ تحليلُ العَنَاصِر في بعض أنْواع الذَّهَب عن وُجُود القليل من الفِضَّة . ويُوجَد هنا التَّلْوينُ الفِضِّي في زَخَارِف مَخْطُوطات باريس رقم Smith-Lesouëf 194 وar. 423 ورقم ar. 5844 و ar. 389/390، أي على الأرْجَح في المَخْطُوطات المتأخِّرَة (القرنين الثَّامن والتَّاسع للهجرة / الرَّابع عشر والخامس

١٥٧. انظر : S.C. Smith and J.G. Hawthorne, *Theophilus: The various arts*, Londres, 1961.

عشر الميلادي) . وتَتَّفِقُ هذه النَّتيجة مع ما نُلاحِظه في فَتْرَةٍ مُماثلةٍ في الغَرْب المسيحي في ذَهَب المَخْطُوطات اللَّاتينية . ويمكن أن يكون ذلك مُرْتَبطًا بتَغْييرٍ في أصْل الذَّهَب المستخدم .

ومن جهةٍ أخرى ، فإنَّ العَديدَ من التَّذْهيبات لها مَظْهَرٌ مُحَبَّبٌ (ذي حُبُوب) على وَجْه الخُصُوص ، ربَّما باسْتِثْناء تَذْهيب مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 389/390. ويبدو أنَّ وَرَقَ الذَّهَب لم يكن يُسْتَخْدَم بكثرةٍ ، فالمِساحاتُ الضَّخْمَة المُذَهَّبة في الحَقيقَة نادِرَةٌ جِدًّا . فالأمْرُ يَتَّصل إذًا في الأغْلَب ، إمَّا بمِدادٍ مُذَهَّب يُسْتَخْدَم لعَمَل الخُطُوط الدَّقيقة ، وإمَّا بذَهَبٍ مَسْحُوقٍ يُنْثَر بانْتِظام على حَامِلٍ تَمَّت تَغْريتُه مُسْبَقًا للحُصُول على ألْوانٍ مُوَحَّدَة[١٥٨]. ويمكن مُلاحَظَةُ هذا الطِّلاء التَّمْهيدي ، الذي على شكل طَبَقَة سُفْلية رَقيقة ذات لَوْنٍ أصْفَر ـ أسْمَر ناصِع ، بسهولة من خِلال الثَّغَرات[١٥٩] (شكل ٥٩) . وكان الذَّهَبُ يُصْقَل بعنايةٍ بعد ذلك ، كما تَشْهَدُ على ذلك العَديدُ من التَّحْزيزات المُتوازية التي يمكن مُشاهَدَتُها عن طريق تَكْبيراتٍ كبيرة ، على سبيل المثال في ذَهَبِ مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 350 a. ونُلاحِظُ كذلك أنَّ الذَّهَبَ غالِبًا ما كان مُحاطًا بالسَّوَاد (على سبيل المثال الوَرَقَة الأُولى ظهر من مَخْطُوطي باريس رقمي ar. 1451, ar. 330 b ومَخْطوط Smith-Lesouëf 217) ؛ وخُطَّت هذه التَّحْديدات التي تُغَطِّي حَوافَّ التَّذْهيب بعد أن تَمَّ صَقْلُ الذَّهَب .

ولا تَسْتَخْدِمُ تِقْنياتُ التَّذْهيب هذه إذًا «تَشْكيلةً» مُلَوَّنَةً بمعنى الكلمة ، أي طَبَقَة تمهيدية تَقْليدية مُكَوَّنَة من خَليطٍ من غِرَاء الجِلْد ومن الطِّين الصَّلْصالي (في الأعَمِّ تُرابٌ صَلْصالي أصْفَر) كما هي حالَةُ عَدَدٍ كبيرٍ من تَذْهيبات المَخْطُوطات اللَّاتينية . إنَّ وُجُودَ مثل هذا الصَّلْصَال نَتَعَرَّفُ عليه في الواقع من المَظْهَر شِبْه المُحَدَّب للتَّذْهيبات الذي يَمْنحها لَمعانًا قَوِيًّا . وفي المَخْطُوطات العربية التي دَرَسْناها ، لا يُظْهِر الذَّهَب أيّ بُرُوز يَسْتَحِقّ الذِّكْر . نَذْكُرُ فقط وُجودَ طِلاءٍ أصْفَر ـ أسْمَر ثَخين نِسْبيًّا على شكل طَبَقَةٍ رَقيقَة أسْفَل الذَّهَب في مَخْطُوطي باريس رقمي ar. 324 a و ar. 5935. ونلاحِظُ كذلك باسْتِخْدام آلَةٍ وُجودَ بعض الانْتفاخات أو الطَّيَّات المِجْهَرية في سَطْح ذَهَبِ

١٥٨. لم يتم التعرف على طبيعة الغراء .

١٥٩. هذا الطلاء حسب ابن باديس ملون بالزعفران .

العَديد من المخطوطات ، رُبّما كان ناتِجًا عن سَدٍّ بعض الثَّغَرات المُحْتَمَلَة و / أو عن عملية الصَّقْل .

وهذا النَّوْعُ من التَّذْهيب عن طَريق الذَّهَب المَسْحُوق وبدون تشكيلَة ألْوان حقيقية ، هو على الأرْجَح قَليلُ المُقاوَمَة للتَّقْليب اليَدَوي ، حيث نجد تَلَفيّات مُتكَرِّرَة على عَديدٍ من المخْطُوطات . ونُلاحِظُ / ثَغَرات جَسيمَة ، على الأخَصّ ، على ذَهَبِ مَخْطُوطات باريس أرقام ar. 1451 وar. 385 وar. 423 وSmith-Lesouëf 217 وبشكل أكبر أيضًا في زَخْرَفَة تَجْليد مَخْطُوط باريس رقم ar. 5844، حيث فُقدت منه تَقْريبًا ـ كُلِّيَّةً ـ بعضُ الخُيُوط الذَّهَبيَّة .

مُلاحَظاتٌ على التِّقْنيات المُسْتَخْدَمَة

بَعْضُ المُلاحَظات

إنَّ التَّخطيطَ الأوَّلي وكذلك التَّسْطير ، يتمّ تَنْفيذُهما ، إمَّا بسِنٍّ جاف وإمَّا بالحِبْرِ الأسْوَد (أو الأصْفر ـ الأسْمَر عندما يكون الحِبْرُ شاحِبًا) . ونُلاحِظُ غالبًا كذلك العَلامَة التي تَرَكها البِرْكارُ في مَرْكَز الدَّوائر المُتَّحِدَة المركز التي تُشَكِّل العلامات التي تُشيرُ إلى كُلِّ عشرة آيات .

ودائمًا ما كان الذَّهَبُ يُوضَعُ أوَّلًا ، وتُشَعَّرُ حَوافُّه باللَّوْن الأسْوَد وهو الشيءُ نفسه بالنِّسبة للعديد من الوِحْدات الزُّخْرفية المُلَوَّنَة (شكل ٥٥ و ٦٠) . ولا يَتَعَلَّقُ الأمْرُ إطْلاقًا بالخُطُوط التمهيدية المُخَصَّصَة لتحديد المساحات المُراد رَسْمُها أو تَذْهيبُها ، وإنَّما يَتَعَلَّق الأمْرُ بإطاراتٍ يَنْحَصِرُ دَوْرُها في تحديد الوِحْدَة المُرادُ رَسْمُها أو تَذْهيبُها . ومن أجل ذلك ، فإنَّ الدَّوائر السَّوْدَاء لا يمكنها أن تقوم بدَوْر حاجِزِ الانْتشار الذي يمكن أن تقوم به ، حيث نجد حاليًا بعض الألْوان التي تَسَرَّبت أسْفَل التَّذْهيب ، الذي قد يجعلنا نَظُنّ ، في بعض الحالات ، بإمكانية اسْتِخْدام تشكيلةٍ من الألْوان لوَضْع الذَّهَب . وإضافَةً إلى ذلك ، تُوجَدُ العَديدُ من التَّذْهيبات المُحاطَة بخُيُوطٍ أو المُغَطَّاة بوِحْداتٍ هَنْدَسية مَدْهُونَة بألْوانٍ مُتَعَدِّدَة أغلبها مُعْتِم ، وهي الحالَة التي تُمَثِّلها مَخْطوطاتُ باريس أرقام Smith-Lesouëf 194, ar. 5844, 2221, 423, 395، وبَعْضُها الآخر مُتَدَرِّج الألْوان

على سَطْحٍ أحْمَر شَفَّاف . وهذا اللَّوْنُ الأحْمَر الحَيّ (لَكّ قِرْمِزي) تَمَّ وَضْعُه بأسْلُوبِ الدِّهان المُلَمِّع .

وتُظْهِرُ الألْوانُ في العُمُوم بعض السَّمَاكة ، الأمْرُ الذي يميل بالأحْرَى لصَالح حِبْرٍ مُلَوَّن تكون مادَّته المَطَّاطية نَوْعًا من الصَّمْغ العَرَبي . وعلى سبيل المثال ، فقد اسْتُخْدِمَت هذه المادَّة في مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 385 الذي تَتَمَتَّع ألْوانه بمَظْهَرٍ مُتألِّق . ونجد مع ذلك بعض طَبَقات الرَّسْم التَّصْويري الزَّرْقاء ثخينة نسبيًّا ، وتبدو الألْوَانُ الصَّفْراء مُتَعَجِّنَة جدًّا . وفي هذا الصَّدَد ، يُدَلِّلُ على ذلك بعضُ الألْوَان الصَّفْراء في الوَرَقَة ٢ و٢ظ بمَخْطُوط باريس رقم Smith-Lesouëf 217؛ فلهذه الألْوَان الصَّفْراء ، المُكَوَّنَة من كبريتات الزِّرْنيخ الأصْفر المَمْزُوج بالقليل من التراب الصَّلْصالي الأصْفر (ocre) ، سُمْكٌ لا يمكن تجاهُلُه . وإضافَةً إلى ذلك ، فإنَّها مُشَقَّقَة السَّطْح . والمادَّةُ المَطَّاطية المستخدمة (في الأغْلَب ذات طبيعةٍ هيولينية) هي المسؤولة عن هذا التَّشَقُّق . ولم يمكن تحديد هذه المادَّة ، غير أنَّ عَدَم لَمَعَان السَّطْح يَجْعَلُنا نَذْهَب إلى أنَّها لا يمكن أن تكون صَمْغًا عربيًّا . ونجد ، من ناحيةٍ أخرى ، بعض طَبَقات الرَّسْم التَّصْويري الزَّرْقاء سميكةً جدًّا في بعض زَخارِف مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 1451، على سبيل المثال في صفحة ٤٢ . وهذه الألْوانُ الزَّرْقاء ، المكوَّنة من اللاَّزَوَرْد ، تُظْهِر سَطْحًا مُحَدَّبًا ، ونُلاحِظُ في الطَّبَقَة المَرْسُومَة (عن طريق التَّكبير) حُبَيبات زَرْقاء وسَوْداء صغيرة جدًّا ، وكذلك العَديد من الحُفَر التي تَشْهَد على إمْكانية اسْتِخْدام مادَّةٍ مَطَّاطية مُسْتَحْلَبَة ، هي دون شك بَياضُ البَيْض المَضْرُوب والمُبَدَّد في قليلٍ من الماء . وهذا النَّوْع / من الموادّ المَطَّاطية هو الذي تُوصي باسْتِخْدامه الوَصْفاتُ الوَسيطةُ التي تقابلها في المُؤلَّفات اللاَّتينية المُعَاصِرَة لعَمَل الأزْرَق اللاَّزَوَرْدي .

وأخيرًا ، فإنَّنا نجد في مَخْطُوطي باريس رقمي ar. 2221, ar. 330 أسْطُحًا مَرْسومَةً ولامِعَة بوَجْهٍ خاصّ . ويمكن أن يكون أصْلُ هذا المَظْهَر اللاَّمِع ناتجًا عن اسْتِخْدام وَرْنيشٍ للحماية على قاعِدَةٍ من الصَّمْغ العربي أو صَمْغ الكُثَيْراء .

لقد اسْتَبْعَدْنا عن قَصْدٍ من هذه الدِّراسَة النَّتائج التي حَصَلْنا عليها عن الأمِدَّة السَّوْداء . فهذه الأمِدَّةُ في الحَقيقَة جَزئيَّةٌ جدًّا لتَسْمَح لنا ببدايةٍ للتَّفْسير . ومع ذلك ، فقد مَكَّنَتْنا القِياساتُ المُتَحَقِّقَة بالمِنْظار الطَّيْفي للامْتِصاص أن نُقارِنَ فيما

بين الأَصْباغ شِبْه السَّوْداء أو شِبْه الصَّفْراء المسمرة أو الحَمْراء المسمرة لهذه الأمِدَّة . هكذا يُظْهر المِدادُ المُسْتَخْدَم في كتابة أسْماء المَوَاضع داخِل خَرائط مَخْطُوط باريس رقم ar. 2221 أطْيافًا للامْتِصاص مماثلةً لأطْيافِ المِداد المُسْتَخْدَم في كتابة نُصُوص الصَّفحات المجاورة مُباشَرَةً . وبما أنَّ هذه الكتابات نفسها تتشابَه جدًّا ، من جانبٍ آخر ، فليس هناك ما يَسْتَبْعِد افْتِراضَ أنَّ هذين الخَطَّيْن قد دَوَّنَتْهما يَدٌ واحدة .

ونُشيرُ فقط إلى أنَّ وُجُودَ الحَديد كان نادِرَ المُلاحَظَة ، باستثناء أحَد الأمِدَّة المُسْتَخْدَمَة في الورقتين ١٤ظ و٣٦ظ من مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 324c، وهو مِدادٌ أسْوَدُ لامِع . ويَتَمَيَّزُ هذا المُصْحَفُ ذو الأبعاد الكبيرة حَقيقَةً عن المَخْطُوطات الأخرى ، فحُروفُه الكبيرة الحَجْم تَمَّت كتابتُها على فترتين . ففي البِداية خَطَّ النّاسِخُ خُطُوطَه باسْتِخْدام قَلَمٍ ذي حافَةٍ عَريضَة ومِدادٍ أسْمَر أحمر داكِن ، ثم شَعَّرَها بمِدادٍ أكثر سَوَادًا ، يُغَطِّي هذا المِدادُ الثّاني المِدادَ الأسْمَر الأحْمَر . واستِخْدامُ التَّشْعير بالسَّواد تِقْنيةٌ غالبًا ما نُلاحِظُها ، حيث شاهَدْناها في التَّذْهيب . وحالَةُ المَخْطُوط رقم ar. 385 حالَةٌ أُنْمُوذَجية حيث شُعِّرَت ألْوانُه بالسَّواد بطريقةٍ منتظمة جدًّا ، وهي مُمارَسَةٌ رُبَّما تجعلُنا نَضَع هذا المَخْطوط جانِبًا .

وكانت زَخْرَفَةُ بعض التَّجْليدات القَديمَة كذلك مَوْضوعًا للاخْتِبار . فنُلاحِظُ مَثَلًا في جِلْدَة لِسان مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 5844 زَخْرَفَةً مُذَهَّبة مَظْهَرُها مُحَبَّب بعض الشيء ، وكذلك آثارًا طَفيفَة لأصْباغ من الأزْرَق إلى الأزْرَق المُخْضر تُوَشِّي بعض تَفْريغات الرَّشْم ، واسْتُخْدِمَ هذا الأزْرَق المُخْضَر في زَخْرَفَة خُيُوط الإطار . ويتكوَّن هذا اللَّوْن من خَليطٍ من الأزْرَق اللاّزَوَرْدي وأزْرَق الأزُوريت مثل اللَّون الذي حَقَّقْنا هويته داخل المَخْطُوط في زَخْرَفَة الأوْراق ١ظ و١٧ظ و ٢٦. ومن ناحيةٍ أخرى ، تَكْشِفُ التَّحْليلاتُ التي أُجْرِيَت على تَذْهيب هذه الجِلْدَة وُجُودَ الزِّئْبَق وبعض النُّحاس إلى جانب الذَّهَب . إنَّ وُجُود الزِّئْبَق غير مُتَوَقَّع ، فلا يُوجد أيُّ لَوْنٍ أحْمَر زُنْجُفْري على مَقْرُبَةٍ منه . فلا يمكن أن يكون المَقْصود إذًا إلَّا زِئْبَقَ مَمْزوجًا بالذَّهَب . ومن ثَمَّ فإنَّ عملية التَّذهيب بمزيج الزِّئْبَق والذَّهَب ، إذا كانت مَعْرُوفَة ومنذ زَمَنٍ بعيد بالنِّسبة للمَعادِن ، فيبدو أنَّها لم تكن بعد قد اسْتُخدمت في تَذْهيب الجُلُود ، وعلى الأخَصّ المُتَعَلِّقَة بالتَّجاليد القديمة . وبالمقابِل ، فإنَّنا نجد / في كتاب «أسْرار ألكسيس البيمونتي» Secrets, d'Alexis le Piémontais وَصْفَةً لـ «ذَهَب المَسْحُوق»[١٦٠] المُخْتَصّ بنَوْعٍ خاصّ بالرَّسْم والكِتابَة[١٦١] . ويُخْلَطُ الذَّهَبُ المَسْحُوق النّاتج عن المَزْج بالزِّئْبَق بالكبريت الحَيّ ثم يُسَخَّن « ... ثم عندما تُريد اسْتِخْدامه ، انْقعه في ماءِ الوَرْد ، أو غيره ، الذي تكون قد حَلَّلْت فيه صَمْغًا عربيًّا ناصِعًا ، وبعد ذلك هَيِّئْه للكتابة أو الرَّسْم ، عندها ستحصُل على شيءٍ جميل . وعندما تكون قد كَتَبْت أو رَسَمْت وأصْبح جافًّا ، فيُمْكنك صَقْله باستخدام [مِصْقَلَة على شَكْل] سِنّ كَلْب وهو ما لم يمكن عمله مع الذَّهَب المَسْحُوق الآخر الذي يستخدمه الكُتّابُ والرَّسّامون في وَقْتِنا الحالي . وقد مارَسَ القُدَماءُ هذا السِّرّ كما نُشاهِدُه في بعض كُتُبهم . ولكن يجب أن نستعمل الآن التَّجْريب لصَقْله واضعين وَرَقَةً بَيْضاء فوق الذَّهَب ونَحُكُّ أوَّلًا الوَرَقَة البَيْضاء بسِنّ الكَلْب . وإذا بدا لك أنَّه لم يُصْقَل بعد يمكنك أن تَصْقله مَرَّةً أخرى بالسِّنّ فوق الذَّهَب بدون الوَرَقَة العازِلَة بينهما» .

خُصُوصِيَّةُ الألْوان والتِّقْنيات

يبدو أنَّ العَديدَ من الملاحَظات المُتَحَقِّقَة تبدو مُمَيَّزَةً ، بالرَّغْم من أنَّها تَتَعَلَّقُ بعَيِّناتٍ مَحْدُودَة ومُتَفَرِّقة في آنٍ (فيما يَخُصُّ مَصْدَر المَخْطُوطات) . وسنذكر فيما يلي أهَمَّها .

كان الذَّهَبُ دائمًا ما يُوضَع أوَّلًا ، وتكون له دائمًا هَيئةٌ مُحَبَّبَةٌ عندما نلاحظه بواسطة أداة . وقد اسْتُخْدِم ، سواء بالنِّسْبَة للمساحات الكبيرة أو للخُطُوط الرَّقيقة ، ذَهَبٌ مَسْحُوقٌ بدِقَّة ، ثم تُصْقَل التَّذْهيباتُ بعد ذلك بعنايةٍ بغَرَض الحُصُول على مِساحاتٍ مُتَّحِدَة تمامًا ولامِعَة . والمِساحاتُ المُذَهَّبة مُسَطَّحَةٌ ولا تَعْتَمِد إلَّا نادرًا على تشكيلة ألْوان سميكة . وللأسَف ، فغالبًا ما يَتَعَرَّضُ هذا الذَّهَبُ للتَّلَف وتَظْهَرُ فيه فجواتٌ كبيرة . وأغْلَبُ هذه التَّذْهيبات مُشَعَّرَة بالسَّوَاد ، واسْتُخْدِمَ كذلك هذا التَّشْعيرُ للعديد من الألْوان الأخرى .

١٦٠. ذهب مسحوق ناتج عن مزيج للزئبق ، ويتم تنقية معجون مزيج الزئبق بعصر قسم كبير من الزئبق الذي يكونه من خلال جلد شمواه .

١٦١. في ترجمة فرنسية لهذا المجموع : *Les Secrets de Reverend Seigneur Alexis Piemontois*, 2e éd., Paris, 1573.

والألْوانُ الصَّفْراء أو اللَّوْن الأصْفَر البُرْتُقالي ، على قاعِدَة من أصْفَر الزَّرْنيخ ، هي الأكثر اسْتِخْدَامًا ، وتَظْهر فيما يبدو في العَديد من المَخْطُوطات اللَّاتينية المعاصرة ، فيما عدا رُبَّما تلك القادِمَة من جنوب غَرْب فرنسا أو من أسبانيا . ويمكن أن نستدلَّ من ذلك على سَهُولَة التَّزَوُّد بهذا المَعْدِن المعروف ، في الغَرْب المسيحي ، كمُنْتَجٍ مُسْتَوْرَد [١٦٢]. ومَخْطوطُ باريس رقم BnF ar. 675 اسْتِثْناءٌ يستحِقُّ الذِّكْر ، فلا يُوجَد به لَوْنٌ أصْفَر ، بالرَّغْم من أنَّ هناك يَدَيْن مختلفتين تناوَبتا على زَخْرَفَة الأوْراق ١ظ و٧٦ظ و ٧٨ و ٧٩ظ .

أمَّا الألْوَانُ الحَمْراء القِرْمزية فكثيرةُ الاسْتِخْدام ، ويمكن إعْدادُها من الحَشَرات الجافَّة ، أو الحُصُولُ عليها بسُهُولَة من / «اللِّيق» ، وهو نَوْعٌ من الوَبَر (المُشاقة) القِرْمِزي ، المادَّة المُلَوِّنَة مُخزَّنَة فيه [١٦٣]. وأخيرًا ، فربَّما تتطابَق هذه الألْوان الحَمْراء مع مُصْطَلَح «لَكّ» الذي اسْتَخْدَمه ابنُ باديس : حيث يجب أن نَفْهَم كلمة «لَكّ» كما لو كانت تُعَيِّن لَوْنًا أحْمَر قريبًا من ذلك الذي يمكن أن نَسْتَخْلِصَ منه أحْمَر اللَّك وليس أحْمَر اللَّك نفسه [١٦٤]؛ وبالطَّريقة نفسها ، فإنَّ مُصْطَلَح «زَعْفَران *crocus*» الذي كثيرًا ما يقابلنا في الوَصْفات الوَسيطَة يجب أن يُتَرْجَم بعبارَة «لَوْن الزَّعْفَران» (أو ، بالنِّسْبَة لبعض النُّصُوص ذات الأصُول العربية ، بـ«لَوْن الصُّفْر») لا كاسْم للمادَّة المُلَوِّنَة

162

١٦٢. نعرف أن رهبان كوربي Corbie في فرنسا كانوا يذهبون في القرن التاسع الميلادي ، على سبيل المثال ، إلى فوس Fos، بالقرب من مرسيليا ، بحثا عن التوابل الضرورية للدير ، وكان يوجد من بين هذه التوابل الزرنيخ الأصفر . راجع بهذا الخصوص : L. Levillain, *Examen critique des chartes mérovingiennes et carolingiennes de l'Abbaye de Corbie.*

١٦٣. وَفقًا لتقنية تشبه تقريبا تقنية الألوان المسماة «بالمَرْوَحَة» ؛ انظر بهذا الخصوص : B. Guineau, «Le *folium* des enlumineurs, une couleur aujourdhui disparue. Ce que nous rapportent les textes sur l'origine de cette couleur, son procédé d'emmagasinage sur un morceau d'étoffe et son emploi dans l'enluminure médiévale. Identification de *folium* dans des peintures du IXe s., Xe s. et XIe s.», *Revue d'archéologie médiévale* 26 (1996), p. 23-44. B. Guineau, «Le *folium* des enlumineurs, une couleur aujourdhui disparue. Ce que nous rapportent les textes sur l'origine de cette couleur, son procédé d'emmagasinage sur un morceau d'étoffe et son emploi dans l'enluminure médiévale. Identification de *folium* dans des peintures du IXe s., Xe s. et XIe s.», *Revue d'archéologie médiévale* 26 (1996), p. 23-44.

١٦٤. اشتهرت قرمزيات أسبانيا أيضًا باستعمال التلوين في الحمَّام الثاني للصباغة ، مثلا بعد حَمَّام أوَّل بأحمر اللك .

المستخرجة من الزَّعْفَران ، والتي لا تَسْمَح إلَّا بالحُصُول على ألْوانٍ صَفْراء في غاية الشُّحُوب والبَهَتان .

ونُشِيرُ أخيرًا إلى أنَّ التَّجْليدات النَّادِرَة القَديمَة التي أمكن دراستُها تُقَدِّم آثارَ زَخارِف مَرْسُومَة أو مُذَهَّبَة أظْهَرَ فَحْصُها أنَّها اسْتَخْدَمَت تِقْنياتٌ تَبْدُو مُتَمَيِّزَة .

الخُلاصَات

هناك مُلاحَظَةٌ تَفْرِضُ نفسها على الفَوْر : فالعَيِّنَةُ المغربية في غايَة التَّجانُس وتَخْتلف بوُضُوحٍ عن مجموعة الشَّوَاهِد «الشَّرْقِيَّة» . ففي المجموعة الشَّرْقية يَتَوَافَق اللَّوْنُ الأحْمَر مع اسْتِخْدام الزُّنْجُفْر ، بينما يَسْتَخْدم المَغْرِب القِرْمِز ؛ ويَقْتَصِرُ اسْتِخْدامُ الأزُوريت كذلك على مَخْطُوطات المنطقة التي تَعْرِف في كلِّ الأحْوَال اللَّازَوَرْد . وقد أُضيفَ اللَّوْنُ الأسْوَدُ إلى العَديد من الألْوَان الزَّرْقاء . وأكَّدَت هذه التَّحْليلاتُ الخُصُوصية المَغْربية التي أبْرَزَها عِلْمُ تَطَوُّر الخَطِّ (البالْيُوجْرافيا) وعِلْمُ المَخْطُوطات (الكُوديكُولُوجيا) . كذلك ، فإنَّ صُنَّاعَ الكتاب المَخْطُوط الغَرْبي لم يَسْتَخْدموا تَشْكيلة المَوَادّ نفسها لإعْداد الألْوَان التي اسْتَخْدَمُوها ، والألْوَان الصَّفْراء على الأخَصّ هي التي مَيَّزَت هذا الاخْتلاف .

وأظْهَرَت مُقابَلَة هذه النَّتائج مع نَصِّ كِتاب ابن باديس المُؤَلَّف في القَيْرَوان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تَوافُقًا حَقيقيًّا : فـ«الزُّنْجُفْر» و «الزِّنْجار» و «الزَّرْنيخ الأصْفَر» و «السِّيلِقون» و «الزَّرْنيخ الأحْمَر» و «اللَّازَوَرْد» هي مُقَوِّمات كثير من الوَصْفات ؛ وتقوم المعادِنُ الخَمْس الأولى من هذه القائمة مع رَماد الرَّصَاص وسُخَام الدُّخَان بدَوْرٍ رَئيس في إعْداد أمِدَّة الألْوَان . وقد أشَارَ ابنُ باديس إلى مُنْتَجاتٍ أخرى ذات أصْلٍ مَعْدِني ، على سبيل المِثال كبريتات الحديد والنُّحاس وأيضًا المَرْقَشيا ، ولكنَّنا لم نَعْثُر عليها إبَّان التَّحْليلات . حَقيقَةً أنَّ اسْتِخْدامَها يتعلَّقُ بالأحْرَى بإعْدادِ الأمِدَّة السَّوْداء وأنَّ / مُكَوِّنات من هذه الأنْوَاع تَتَحَوَّل من بَعْد ، بحيث إنَّ الكبريت والحَديد فقط هما في العُمُوم اللَّذان يمكن كَشْفُهما . أمَّا فيما يخُصُّ المُقَوِّمات ذاتَ الأصْلِ النَّباتي ، فإنَّ وُجُودَ النِّيلَة فقط هو الذي يُعَزِّزُ نَصَّ كتاب «العُمْدَة» ، بالرَّغْم من أنَّ هذا الكتاب يُشيرُ إلى مُقَوِّماتٍ أخرى مثل القُرْطُم والزَّعْفَران والحَبَق أو السُّمَّاق . وبالمُقابل

163

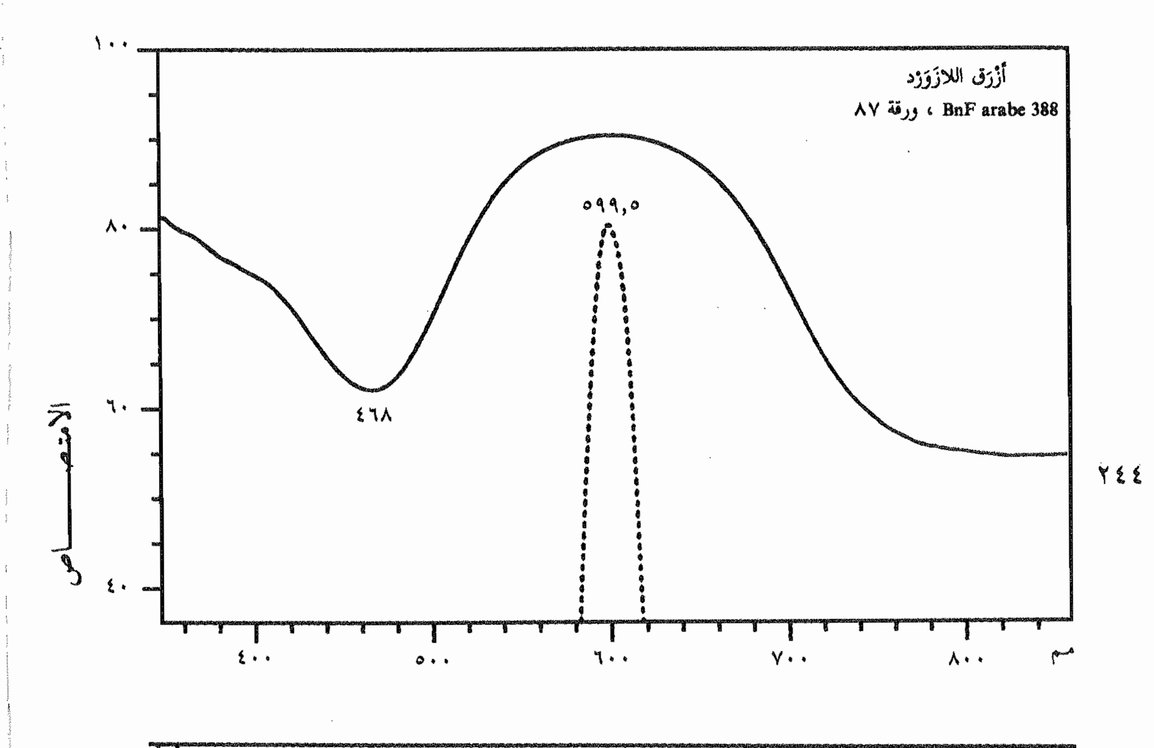
فهناك مَوَادُّ أخرى لم يعرفها ابنُ باديس : فهو لا يَذْكُر الأَزُوريت ولا حَجَر الدَّم ولا القِرْمِز أو القِرْمِز الأسْباني . ولكن يمكننا أن نُطابِقَ ، كما شاهَدْنا ، بين القِرمزية ، وهي مُنْتَج ذو أصْلٍ حَيَواني ، و«اللَّك» الذي تُشيرُ إليه الرِّسالَة ، وكذلك كان القِرْمِزُ الأسْباني الواسع الصِّيت في العُصُور الوُسْطىٰ لأغْراض الصِّباغَة ، غالبًا ما يُسْتَخْدَم مَخْلُوطًا بأحمر اللَّك .

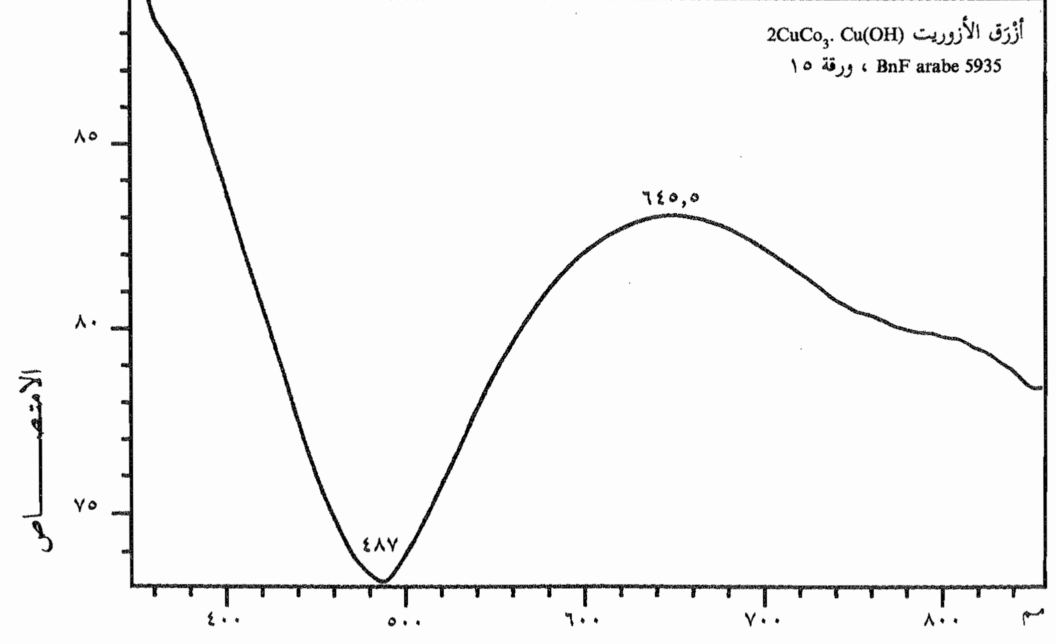
ويَشْتَمِلُ مُؤَلَّفٌ آخَر ، ألَّفه القَلْوَسي الأنْدَلُسي (٦٠٧-٧٠٧هـ/١٢١٠-١٣٠٧م) على بعض وَصْفات أمِدَّة الألْوَان ؛ فيذكُر أحَدُ مخطوطَيْه المعروفين ، وهو مَخْطوط باريس رقم BnF ar. 6844، في الوَرَقة ١١٥ظ - ١١٦ظ ، الزُّنْجُفْر واللَّازَوَرْد والزِّنْجار والزَّرْنيخ الأصْفَر والزَّرْنيخ الأحْمَر والنِّيلَة والجير ، وكُلُّها مَوَادٌّ كُشِفَ عنها في التَّحْليلات . وبالمقابِل فإنَّ الصُّفْر أو الزَّعْفَران ، اللذين ذُكِرا كذلك في النَّصّ ، لم يُكْشَف عنهما ؛ ورُبَّما يجب أن نَقْرأ هنا أيضًا : أزْرَق «بلَوْنِ الصُّفْر» أو أصْفَر «بلَوْنِ الزَّعْفَرَان» .

وتَحْمِلُ هذه التَّحْليلاتُ كذلك إلى عالِم المَخْطُوطات عَناصِرَ جَديدَة لفَهْم تَنْظيم عَمَلِ صُنَّاع الكتاب في الغَرْب الإسلامي . ويَمْنَحُ اسْتِخْدامُ المَوَادّ نفسها في عَناصِر نَصِّيَّة (مختلف مَراتب عَلامات ضَبْط الألْفاظ المُلَوَّنَة في المَصَاحِف) أو في الزَّخارِف وَزْنًا أكبر للمُلاحظات التي أمكننا اسْتِخْلاصُها من حَرْدِ المَتْن المُؤَرَّخ بسنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م الذي سَبَقَ ذِكْرُه [مُصْحَف الحاضِنَة] ؛ وعلى العَكْس فإنَّ الاسْتِخْدَامات المختلفة للَّوْنين الأزْرَقَيْن في مَخْطُوطي باريس رقمي ar. 388 و ar. 5935 تَدْعُونا إلى أن نأخُذ في الاعْتبار تَدَخُّلَيْن مُغايرَيْن . وهناك مَظْهَرٌ تِقْنيٌّ آخر يَجْذِب الانْتِباه ، هو الصَّقْل الذي عَرَفنا أهَمِّيَّته في عُصُورٍ مُتأخِّرَة والذي اسْتُخْدِم بكثرة في التَّذْهيب منذ العُصُور المُبَكِّرَة ؛ ويُوجَدُ كذلك حول هذه النُّقْطَة تَشَابُهٌ مُدْهِشٌ بين المجموعتين اللتين قُمْنا بتحليلهما .

وتَبْقى حالَةُ «جُغْرافية» الإدْريسي كحالةٍ مُنْفَرِدةٍ تمامًا عن المجموعتين اللَّتين تَمَّت دراستهما . فهناك في الواقِع عَدَدٌ من الخُصُوصيات التي يمكن أن نَسْتَخْلِصَها : فبعضُ الألْوَان مثل الوَرْدي - البَنَفسجي أو الأصْفَر الأمْغَر (ocre) أو الأخْضَر المُرَكَّب ، لا تَظْهَرُ إلَّا في هذا المَخْطُوط . واسْتُخْدِمَ فيه رَمَادُ الرَّصَاص لتَلْميع الألْوَان . ويبدو مع

ذلك أنَّه من السَّابقِ لأوانِه أن نَسْتَخْلِصَ نَتائج من هذه الاخْتِلافات . ولا يُوجَد في الوَاقِع ، في مُدَوَّنَة المَخْطُوطات المُنْتخبة سوى «جُغْرافية» الإدْريسي التي تُقَدِّم صُوَرًا بمِلْء الصَّفْحَة . سيكون إذًا من المُهِمّ أن نتمكن من تَحْليل مَخْطُوطاتٍ عربية ذات رُسُومٍ من العَصْر نفسه ، أُنْتِجَت في الغَرْب الإسْلامي وفي الشَّرْق على السَّوَاء ، والمُقارَنَة بينها ، بل وأيضًا مع مُنْتجاتٍ من الغَرْب المسيحي الوَسيط ومن الطَّوائفِ اليهودية في شَمال أفريقيا وأسبانيا .





٦١. أطياف امتصاص مقارنة للونين أزرقين مختلفين . ويُحدِّد المنحنى المُنَقَّط الذي حصلنا عليه بتمديد الخط البياني الرأسي ، الوضع الأقصى .

أصْفَر الزِّرْنيخ AS_2S_3
BnF arabe 378 ، ورقة ٣٧ظ
AsKα
AuLα
AuLβ
AsKβ
عدد دفعات العابرة
الطاقة
keV

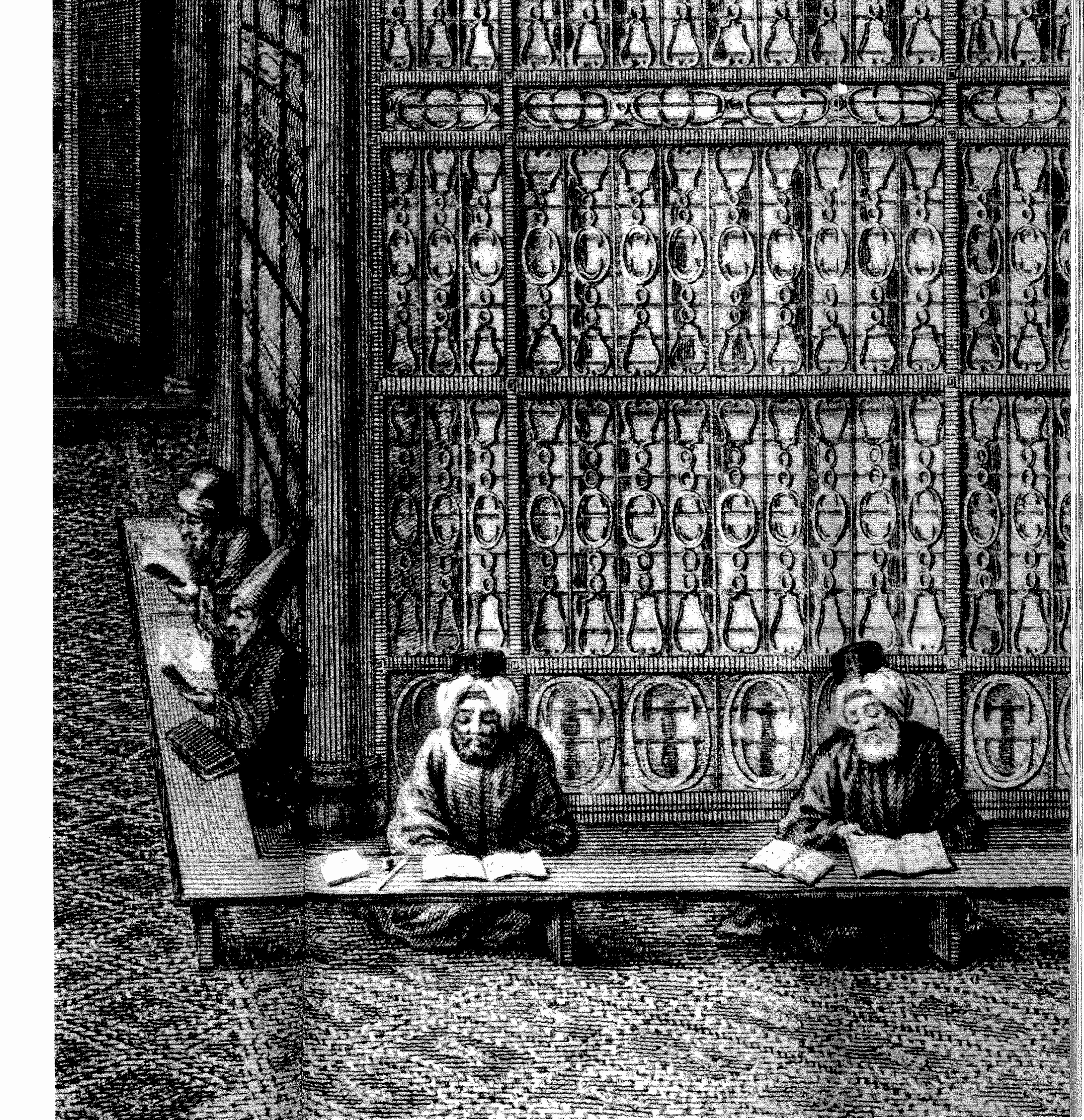
أصْفَر الزِّرْنيخ AS_2S_3
BnF arabe 378 ، ورقة ٣٧ظ
٤٢٣,٥
الامتصاص

٦٢. مقاييس ناتجة عن علامة ترقيم صفراء برتقالية
في أعلى طيف الاستشعاع السيني يُعَيِّن وجود الزِّرْنيخ وكذلك آثار ذَهَب . والذَّهَب هنا ناتج عن تَذْهيب مجاور (والخطوط المسجله بعلامات نجمية ناتجة عن جهاز تجريبي) . وفي أسْفَل ، أطْياف امتصاص تُعَيِّن أصْفر الزِّرْنيخ .

المخطوطات				الألوان الزّرْقاء			الألوان الخَضْراء	
رقمه في BnF	العنوان	الأصْل	التأريخ	لازورد	أزوريت	النّيلة	أخضر النحاس	النّيلَة
Arabe ٣٣٠b، الأوراق ١٠ظ،١٢ظ، ١٦ظ،١٨ظ	مصحف	مصر أو الشرق الأوسط	نهاية ق ٧- بداية ق ٨	√			√	
Arabe ٣٢٤a وc، الأوراق ٨ظ،١٤ظ، ١٨ظ،٣٦،٣٢ظ،٣٩	مصحف	مصر أو الشرق الأوسط	القرنان الثامن والثاني عشر	√			+رماد الرصاص	
Arabe ٣٧٨	مصحف	المغرب أو مصر	القرن التاسع				√	
Arabe ٣٥٠ A	مصحف	مصر أو الشرق الأوسط	القرن التاسع			+ الأسود	√	
Arabe ١٤٥١	مؤلف ابن تومرت	المغرب	١١٨٣	√				
Arabe ٢٢٢١	مؤلف الإدريسي	المغرب	القرن الثالث عشر	+النيلي + الأسود		+ رماد الرصاص		√
S.L.١٩٤	مصحف	المغرب	القرنان ١٣ و ١٤	√			√	
S.L.٢١٧	مصحف	المغرب	القرنان ١٣ و ١٤		+ الأسود			
Arabe ٥٩٣٥	مصحف	المغرب	القرنان ١٣ و ١٤	√	+ الأسود		√	
Arabe ٣٩٥	مصحف	الأندلس	القرنان ١٣ و ١٤	√				
Arabe ٦٥٢٩	مصحف	الأندلس	القرنان ١٣ و ١٤		√		√	
Arabe ٣٨٥	مصحف	الأندلس؟	١٣٠٤		+ الأسود		√	
Arabe ٦٧٥	مؤلف فقهي	الأندلس	١٣٢٦		√	(نصّ)	√	(أعيد صبغه)
Arabe ٤٢٣	مصحف	المغرب	١٣٤٨-١٣٥٨		√		√	
Arabe ٣٨٨	مصحف	بلاد المغرب	القرن ١٤	√		√	√	
Arabe ٥٨٤٤	مصحف	مصر	١٣٨٢-١٣٩٩	+ الأسود	+لازورد		√	
Arabe ٣٨٩ و ٣٩٠	مصحف	المغرب	١٤٠٥	+ الأزوريت	+لازورد			

الألوان الصفراء		الألوان البرتقالية		الألوان الحمراء				الألوان البيضاء		التذهيب
الزرنيخ	أصفر الأمغر	السلقون	الزرنيخ+ أحمر	الزُّنْجُفْر	الزَّرْنيخ	حَجَر الدم (هيماتيت)	اللّكْ الأحمر	أبيض الرصاص	فضة	ذهب
				√		+ الزنجفر				√
√				√				√		√
√				√	+ (؟) الزرنيخ					√
				√						√
							أحمر قرمزي			√
+أبيض الرصاص	+أبيض الرصاص	√		√			قرمزي+ أبيض الرصاص	√		√
√			+ زرنيخ أحمر		+ (؟) الزرنيخ		أحمر قرمزي			+ فضة
√			+ زرنيخ أحمر				أحمر قرمزي			√
		√					أحمر قرمزي			√
							أحمر قرمزي			√
		√					أحمر قرمزي			+ فضة؟
√							أحمر قرمزي	√		√
√		√	+ الزنجفر	√		√	على أبيض الرصاص؟			√
		√				+ السليقون	أحمر قرمزي			+ فضة
√							أحمر قرمزي			√
√		√		+ اللك لأحمر			على أبيض الطباشير؟	√		+ فضة
√				√			على أبيض الرصاص؟	√	+ ذهب	+ فضة

التَّسْطِيرُ وَإِخْرَاجُ الصَّفْحَة



يستجيبُ نَسْخُ النُّصوصِ لِمُتطلَّباتٍ شتَّى : فالطالِبُ الذي يَنْسَخُ كِتابًا يَحتاجُ إليه في عمله والنّاسِخُ الذي كَلَّفَه أحَدُ الأُمَرَاء بنَسْخِ دَواوين شِعْرية لا يُؤدِّيان مُهِمَّتهما في الظُّرُوف نفسها . ويَحْتَفِظُ المَظْهَرُ النِّهائي للمَخْطُوط غالِبًا بأثَر ذلك ، وعلى الأخَصّ العِنايَة المبذولة لانْسِجام الخَطّ واتِّساقه . وتَكْمُن هذه الاخْتِلافات التي تَفْصل نُسْخَةً مُعْتَنًى بها عن كُرّاسَةٍ للتَّقْييد ، في الواقع ، في عَمَلِيَّة الإعْداد وعلى الأخَصّ التَّسْطير . وجَميعُ المَخْطُوطات غير مُسَطَّرَة ، وعندما تَسْمَحُ المُلاحَظَةُ الدَّقيقةُ لِمَخْطُوطٍ من التَّحَقُّق من غِيابِ إعْدادٍ لتوجيه الكِتابَة ، فيجب أن نُسَجِّل إذا ما كان النّاسِخُ قد تَوَفَّر على بَديلٍ (على سبيل المثال الخُطُوط المُمَدَّدَة أو الأسْلاك النُّحاسية للوَرق) ليُوَجِّهَ سُطُورَه ، أو إذا كان على العكس قد مارَس عَمَلَه دون أن يُعيرَ انْتِظام سُطُوره أيَّ اهْتمام . قد يَحْدُث أن لا تُسْتَخْدم المِسْطَرَة ، ففي قِطْعَة المُصْحَف المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 383a تَمَّ تَسْطيرُ الرَّقّ بسِنٍّ جاف (مِنْحَت) ، وإن ظَلَّ هذا التَّسْطيرُ دون اسْتِخْدام ، ثم قامَ ناسِخٌ آخر بإعادة قَطْع الرَّقّ ثم كَتَب عليه المُصْحَف بغض النَّظَر عن علامات تَوْجيه الكِتابة [1] .

وإضَافَةً إلى فائِدَة التَّسْطير لإنْجاز سُطُورٍ مُسْتَقيمَة ، فإنَّه رُبَّما يُعَدّ وَسيلَةً لتقييم حَجْم النُّصُوص . ففي أحَد مَقالات كتاب «الفِهْرِسْت» المُخَصَّصة للشُّعَراء ، اقْتَرَح ابنُ النَّديم على قارئه لمعرفة مِقْدار حَجْم شِعْر كلِّ شاعرٍ منهم «إذا قُلْنا إنَّ شِعْرَ فُلان عشر وَرَقات فإنَّنا إنَّما عَنَيْنا بالوَرَقة أن تكون سُلَيْمانية ، ومِقْدار ما فيها عشرون سَطْرًا ، أعْني في صَفْحَة الوَرَقَة» [2] . ومن الممكن أن تكون هناك دَرَجَةٌ نسبيةٌ من المِعْيارية في بَيان

١. أو «سُطُور مُوَجِّهَة» : «كل من السُّطُور الأفقية التي تستعمل في توجيه الكتابة» . (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 107) .

٢. ابن النديم ، الفهرست ، تح . فلوجل ، ليبتج ، ١٨٧١ ، ١٥٩؛ نشرة رضا تجدد ، طهران ، ١٣٥٠هـ/١٩٧١م ، ١٨١؛ (الترجمة في : B. Dodge, *The Fihrist of al - Nadim. A tenth century survey of Muslim culture*, New York/Londres, 1970, p. 351) .

التَّسْطير (انظر فيما يلي) قد عُرِفَت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي .

إنَّ قَرارَ تَخْطيط التَّسْطير يكشف للوَهْلَة الأولى رَغْبَة النّاسِخ في إخْراج الصَّفْحَة . وقد تَحَقَّقَت هذه الرَّغْبَةُ في حقيقة الأمْر مُبَكِّرًا جدًّا في المَخْطُوطات الإسلامية ، بما أنَّ العَديدَ من المَصَاحِف بالخَطِّ الحجازي التي يرجعُ تأريخُها إلى نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السّابع الميلادي أو بداية القرن الثّاني الهجري/ الثّامِن الميلادي ، احْتَفَظَت بالعلامات / التي خَلَّفَها السِّنُّ الجاف (المِنْحَت) في أثناء إتْمام هذه العملية [3] : وكانت 171 عمليةُ إخراج الصَّفْحَة حينئذٍ بدائيةً نِسْبيًا ، لأنَّ عَدَدَ السُّطُور كان يَتفاوَت بشكلٍ ظاهِرٍ من صَفْحَةٍ إلى أخرى . غير أنَّ التِّقْنيات الأكثر تَعْقيدًا للتَّسْطير والتي عَرَفَها جَيِّدًا نُسّاخُ التَّقاليد المَخْطُوطاتية الشَّرْق أوْسَطية الأخرى ، قد تبنَّاها المسلمون سَريعًا ، رُبَّما منذ بداية القرن الثّاني الهجري/ الثّامن الميلادي ، وقاموا على الفَوْر بعَمَل إخْراجٍ أكثر تَكَلُّفًا للصَّفحات . وقد قامَ ناسِخُ قِطْعَة المُصْحَف المحفوظ في دار المَخْطُوطات بصَنْعاء برقم Inv. Nr. 17-15.3 بتَجْميل الكتابة بحيث رَسَمَ بها وِحْدات هندسية على مجموع الصَّفْحَة [4] . وفي مِثالٍ آخر ، هو قِطْعَة المُصْحَف المحفوظ في إستانبول برقم TIEM SE 362 بدأ النّاسِخُ بوَضْع خُطُوط التَّسْطير بعِنايَة (انظر فيما يلي) ، ثم قامَ بتَشْكيل وِحْدات مُرَبَّعة ـ أو مُعَيَّنة ـ بتَغْيير لَوْن الحِبْر تَبَعًا لِخِطَّة مَبْنِيَّة بدِقَّة تَنْفَصل ألْوانُها بالتَّبادل عن الأرضية [5] .

٣. انظر مثلا قطعتي باريس رقمي BNF arabe 328 a و328e (E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium* [Bonn 1914],, pl. 41 b; G. Bergsträsser et O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts* [*GdQ*, 3], fig. 8; N. Abbott, *The Rise of the North Arabic script and its Kur'anic development* [Chicago 1937], p. 24; F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 61, nº7; Déroche , S. Noja Noseda (eds.), *Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France* [Lesa 1998]. p. 24) .

٤. H. C. von Bothmer, "Ein seltenes Beispiel für die ornementale Verwendung der Schrift in frühen Koranhandschriften: die Fragmentgruppe Inv. Nr. 17 - 15. 3 im «Haus der Handschriften in Sanaa»", في *Ars et Ecclesia, Festschrift für Franz J. Ronig zum 60. Geburtstag*, Trier 1989, p. 45 - 67.

٥. F. Déroche, "Coran, couleur et calligraphie", *I Primi sessanta anni di scuola : Studi dedicati dagli amici a S. Noja Noseda nello 65ºcompleanno, 7 luglio 1997*, Lesa 2004, pp. 131-54.

ويمكن أن نَسْتَدِلّ على الرَّغْبَة في إخْراج الصَّفْحَة إذًا من خلال المُؤَشِّرات التي يُقَدِّمها التَّسْطِيرُ أو أيضًا من خلال الأوْضاع غير المعتادة للكتابة . وفي المقابل ، فإنَّه من الصُّعُوبة أن نَتَبَيَّن الأسَاسَ الذي وَجَّه النَّاسخ إلى اخْتيار هذا الوَضْع أو ذاك . ويمكن للوَصْفات ، التي ألَّفَها رِجالُ الفَنّ لعناية النُّسَّاخ الآخرين ، أن تُفيدَنا في الاسْتِدْلال على الأبْعاد التي كانت مُفَضَّلَةً فيما سَبَقَ : وكما سنرى فيما يلي ، فإنَّنا لم نَتَعَرَّفْ حتى الآن سوى على نَصٍّ واحِدٍ من هذا النَّوْع ، مازال يُحيطه الغُمُوض . وتُوجَدُ مُقارَنَةٌ أخرى ممكنة تقوم على مُلاحَظَة المَخْطُوطات ومُحاوَلَة اسْتِنْتاج القَواعِدَ التي كانت مُطَبَّقَةً .

التَّسْطير

المفاهيمُ الأسَاسِيَّة

إنَّ الأثَرَ الأكثر إدْراكًا على التَّصْميم على تَنْظيم فَراغ الصَّفْحَة ، بالنِّسْبَة لكلِّ دارسٍ للمَخْطُوطات ، هو دون أدْنَى شكّ التَّسْطير . ونُريدُ بهذا المُصْطَلَح أثَر السُّطُور المُسْتندة على المادَّة بحيث تَسْمَح للنَّاسِخ أن يكتب بطريقةٍ مُنتظمة ومُسْتقيمة قَدْر الإمْكان . / ولا يَقْتَصِرُ التَّسْطيرُ على إعْداد النُّسْخَة ، إذْ يستَخْدمه المُزَيِّنُون كذلك في المَخْطُوطات للاسْتِرْشاد به في عَمَلِ الزَّخارِف ، وغالبًا ما يُسَطِّر المُجَلِّدون سُطُورًا على جِلْدِ الغِشَاء قَبْل أن يبدأو في رَسْم تَزْيين الدُّفُوف .

ضَبْطُ الأسْطُر وقِياسُ أبْعادِها

بالرَّغْم من أنَّ التَّسْطير يَرْتَبِط بمفهوم «طول السَّطْر في الصَّفْحَة» ، أي «حُدُود المِسَاحة المكتوبَة من الصَّفْحَة»[٦] فإنَّ عَدَدَ النُّسَخ التي لم تُسطَّر تَفْرِضُ علينا أن نُمَيِّزَ جَيِّدًا بين تَسْطِير السُّطُور والكُتْلَة الحقيقية للنَّصّ . وفَضْلًا عن ذلك ، فإنَّ طُولَ السَّطْر في

٦. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 105. كلمة «المساحة المكتوبة» لها في الواقع عدة معان : فهي تشير في الطباعة إلى «عملية ضَبْط السطور ؛ ويُحَدَّد طول سطر الطباعة بعدد الحروف» (P. Robert, *Dictionnaire alphabétique de la langue française*, éd. 1981).

الصفحة ، في المَخْطُوطات بالحَرْف العربي ، لا يختلط تمامًا مع «إطار التَّسْطير» الذي يُشيرُ إلى «مجموع الخُطُوط الأربع التي تُحَدِّ المِسَاحَة المكتوبة على جوانِب الصَّفْحَة الأربعة مُكَوِّنة شَكْلًا رباعي الأضْلاع يمكن تقسيمه إلى عَواميد»[٧] . ولا تُوجَد صُعُوبَةٌ إطْلاقًا لأخْذ قِياسٍ على المستوى الأُفُقي ، لأنَّ تَعَدِّيات الهامِش محدودة ، فالنُّسَّخُ دائمًا في «سُطُورٍ طُولية» ، باسْتِثْناء النُّصُوص الشِّعْرية وبعض المَخْطُوطات العربية المسيحية[٨] . وبالمقابل ، فعلى المستوى الرأسي تَعَوَّدَ النُّسَّاخُ الكتابة على السَّطْر الأعلى للتسطير (أو سَطْر الرَّأس) عند وُجُوده[٩]؛ فتكون المساحةُ المكتوبة في الواقع أعلى من التَّسْطير ، وكذلك على السَّطْر الأسْفَل للتَّسطير (أو سَطْر الذَّيْل) ، فتَخْرُج كذلك الحروفُ العربية التي تتجاوَزُ أطْرافُها هذا السَّطْر إلى أسْفَلِ إطار التَّسْطير ، حتى وإن كانت الظَّاهِرَة أقَلّ أهَمِّيَّة من السَّطْر الأوَّل . لذلك فإنَّنا نَقْتَرِح لقِياس المِسَاحَة المكتوبة أن نُشيرَ إلى المسافَة التي تَفْصل السُّطُور الرَّئيسة عن أوَّلِ سُطُور الصَّفْحَة وآخِرِها ، وأن يسبق هذا الرَّقم رَقم العَرْض . وفي حالة مَخْطُوطٍ يكون ارْتِفاعُ المساحة المكتوبة فيه أكْبر من العَرْض تُسَجَّلُ أبْعادُه كالتالي ، على سبيل المثال ، ٢٥×١٣,٥سم ، بينما تعني الإشارة : ١٣,٥×٢٥سم أنَّ الأمر يتعلَّق بمَخْطُوطٍ عَرْض المساحة المكتوبة فيه أكبر من ارْتفاعها . إنَّ هذا القِياسَ لارْتفاع مِساحَة الكتابة يُقَدِّم لنا مَيْزَةً أنْ نُعْطي قيمةً نِسْبيةً / مُؤَكَّدةً لارتفاع السَّطْر : ونَحْصُل على هذه القيمة بقِسْمَة الارْتفاع (وهو في مِثالنا الأوَّل : ٢٥سم) على عَدَدِ الأسْطُر ناقص واحد . هب على سبيل المِثال أنَّ

٧. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 106؛ وكذلك M. Brown, *Understanding illuminated manuscripts: a guide to technical terms*, Malibu, CA/London 1994.

٨. مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 181 (*FIMMOD* 31).

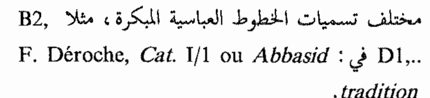
٩. توجد لذلك استثناءات : فالسطر الأعلى (أو سطر الرأس) لا يستعمل ويستخدم «كأشكُفَّه». ففي مصحف مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 4 يضم التسطير منهجيا ثلاثة سطور يُحدد أعلاها الطرف الأعلى للخطّ الصاعد ويقوم إذن بدور الأشكُفّه (D. James, *After Timur*, Londres, 1992, p. 42, n°9) ؛ وترجع النسخة إلى سنوات ٨٨٥ - ٨٩٦هـ/ ١٤٨٠ - ١٤٩٠م) . وفي نسخة إيرانية (ترجع إلى القرن السادس أو السابع الهجري/ الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي) من «تَفْسير» طاهر بن محمد الإشفَرايني وجدت أربعة خطوط سطرت لتوجيه الكتابة ذات أنموذج كبير مخصصة لنص القرآن : سطران في أعلى خطّ التَّوْجيه يشير أحدهما (الأعلى) إلى ارتفاع الحرف والآخر إلى ساق الحرف ؛ ويشير سطر سفلي إلى أقصى تمدد للعناصر التي تمرّ أسفل خطّ التوجيه (*The Qur'ân, scholarship and the Islamic arts of the book. A further selection of fine manuscript material* [cat. B. Quaritch sans n°], Londres, 1999, p. 20).

مَـخْطُوطًا نُسِخَ على أساس ١١ سطرًا في الصَّفْحَة بارْتفاع ٢٥سم ، سيكون النَّاتِج إذًا ٢٥/ (١١-١)= ٢,٥سم لكلِّ سَطْر . وتُطابق هذه النَّتيجة «وحْدَة التَّسْطير» . وسَمَح لنا حِسابُ هذه القيمة من تَوْضيح خُصُوصِيَّة أبْعاد كلٍّ من مجموعتين خَطِّيتين مُترابطتين من المصاحِف القديمة B2 و D1 [10]. وتُبْدي بعض المخطوطات للعيان خاصِّيَة أن تكون قد كُتِبَت (ولو أنَّ ناسِخها عادَةً واحد) بطريقتين أو أكثر تُظْهِر اختلافًا في الحَجْم يمكن إدْراكُه ، ومن بين أشهر نماذجها مخطوطات المصاحف ، وعلى الأخَصّ تلك التي تَضَمَّنَت شَرْحًا و/أو ترجمةً ، ونُسَخ «بُرْدَة» البوصيري . وفي هذه الحالات يجب تسجيل وِحْدَة تَسْطير كل حجمٍ منها .

نَمَاذِجُ التَّسْطير

تَخْتَلِفُ نَمَاذِجُ التَّسْطير ، وبعبارة أخرى «الرُّسُوم التي تُشَكِّلُها أسْطُرُ التَّسْطير»[11] على نَحْوٍ ظاهِر داخل العالم الإسلامي ، وعلى الأخَصِّ في العَصْر الذي سَادَ فيه اسْتِخْدامُ الرَّقِّ . وفيما بعد ، كما سنرى ، أدَّى إدْخالُ أداةٍ سَمَحَت بعَمَل تَسْطير المَخْطوطات الوَرَقية بطريقةٍ عملية ، إلى التَّوْحيد النِّسْبي للنَّماذِج . فالسُّطُورُ الأُفُقية التي تُوَجِّه الكتابة هي «مُوَجِّهات النَّصّ» ، وكان على النُّسَّاخ أن يجعلوا الكتابة إمَّا أن تَرْكب فوق هذه السُّطُور وإمَّا أن تستريح عليها . ومع ذلك فإنَّ «مُوَجِّهات النَّصّ» هذه لم تكن مَرْسُومة دائمًا ؛ ففي المغرب كان الخَطَّان الرأسيان اللَّذان يُحَدِّدان المِساحة المكتوبة من الصَّفْحَة هما غالبًا الإشارات الوحيدة التي يُوَفِّرها النَّاسِخ .

ويجب أن تكون نتيجةُ عَمَلِيَّة التَّسْطير غير ظاهرة ما أمكن ذلك ، وفي الحدود التي تُمَكِّن النَّاسِخ من اسْتِخْدامها : وقد عُرِفَت أساليبُ تَتْرُك آثارًا مرئية على الحامِل (رَصاصُ القَلَم والمِداد على سبيل المثال) ، غير أنَّ التَّسْطير البارِز ، الذي لا يُدْرَك بسهولة ، كان الأكثر تَفْضيلًا (شكل ٦٣) . وهذه الطَّريقَة كانت تُتيحُ تسطير جانبي الحامِل دَفْعَةً واحدة ؛ ويُطْلَق على الأثَر الغائِر الذي تُخَلِّفه الأداةُ «الثَّلْم» ، بينما تحمل العَلامَة البارِزَة اسم «الجِذْر» . ويتطَلَّبُ التَّسْطيرُ بالمِداد أو القَلَم الرَّصَاص بالمقابل ، أن



١٠. F. Déroche, «A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens», *Mss du MO*, p. 102 - 103; «The Qur'ân of Amâjûr», *MME* 5, 1990 - 1991, p. 61 - 62, Chart I؛ وعرض ديروش مختلف تسميات الخطوط العباسية المبكرة ، مثلا B2, D1,.. في : F. Déroche, *Cat.* I/1 ou *Abbasid tradition*.

١١. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 105.



٦٣. آثارُ مِسْطَرَة . دِمَشْق سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م . باريس رقم BnF arabe 6072، ورقة ٣٧ظ

175

يتم ذلك في كلِّ جانبٍ على حِدَة، وهو مأخَذٌ على هذه الطَّريقة يُعَوِّضُه إمكانية تَغْيير خَطِّ التَّرْسيم بين الوَجْه والظَّهْرَ عند الاقْتضاء.

وتَتَطَلَّبُ دِرَاسَةُ مَخْطوطٍ ما إذًا أن نُلاحِظَ بعِنَايَةٍ الآثار التي تحملها الأوْراق: ففي الواقع يمكن للاحْتكاكات والضُّغُوط الناتجة عن استعمال المَخْطُوط أن تُسْهِمَ في تَخفيف بُرُوز التَّسْطير، على الأخَصِّ على الوَرَق. إنَّ مُلاحَظَة «التَّلَمات» و«الجُذُور» المُتَخَلِّفة يَتَطَلَّب أحْيانًا تَوْضيحًا خاصًّا. وكما أشَرْنا إلى ذلك فيما سَبَقَ، فمن حَقِّنا أن نَفْتَرِضَ أنَّ التَّسطيرَ تَمَّ تنفيذُه بناءً على أُسُسٍ يكشف عنها إخْراجُ الصَّفْحَة: فاخْتيارُ عَدَدِ الأسْطُر وارْتِفاع كُلٍّ منها (أو «وحْدَة التَّسْطير») أو أيضًا / العَلاقَة بين عَرْضِ المِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة وارْتِفاعِها لم تُتْرَك بالطَّبْع للارْتجال. إذًا فمن المُهِمّ أن نُسَجِّلَ وبدِقَّةٍ كُلَّ هذه العَنَاصِر التي يمكن أن تُتيحَ الفَهْمَ الأمْثَل للاهْتمامات الجمالية للنُّسَّاخ. ومع ذلك، فقد يَنْتُج عن قَصِّ أطْرافِ المَخْطُوطات خِلالَ عملية التَّجْليد تَحْويرٌ لأبعادِ الأوْراق ممَّا يُقَلِّل من إمكانية إيجاد عَلاقَةٍ بين الشَّكْل وحَجْم المساحة المكتوبة.

تَسطِيرُ المَخْطُوطات العَرَبِيَّة الإسْلامية

لقد اسْتَخْدَمَ النُّسَّاخُ المسلمون التَّسْطير منذ القرن الأوَّل للهجرة / السَّابع للميلاد، كما سَبَقَ أن ذكرنا. وسيكون إذًا من الغَرَابَة أن نُلاحِظَ الآن الغِيابَ المُفْرِط لآثار التَّسْطير من أغْلَبِ المَصَاحِف الرَّقِّيَّة المكتوبة بالخَطِّ العَبَّاسي القديم[١٢]: ومع ذلك فإنَّ انْتظامَ الكتابة يَجْعَلنا نَفْتَرِض أنَّ النُّسَّاخَ اسْتَخْدَمُوا أُسْلُوبًا لتوجيه السُّطُور، ولكن لم يتبق منه أي أثَر[١٣]. فهل مُحيَ هذا النِّظام؟ ويَحْتَفِظُ كتابٌ في الغَرْب بوَصْفَةٍ لحِبْرٍ

١٢. هناك ظاهرتان تتعارضان مع هذا الوضع الشائع يجب أن نشير إليهما هنا: ١) المخطوطات المنسوخة على الرق المصبوغ (وبخاصة حالة المصحف الأزرق) تظهر آثار نظام كامل للتسطير؛ ٢) إبقاء المزوقين في أغلب الأحيان على التسطير المُهَيِّئ للزخارف على المخطوطات التي تفتقد من جهة أخرى إلى التسطير.

١٣. تبعًا لما ذكره ويلين E. Whelan, «Writing the Word of God: Some early Qur'anic manuscripts and their milieux, Part I», *Ars Orientalis* 20 (1990), p. 115، سيكون وجود التسطير للزخارف إضافةً كذلك إلى عدم الانتظام الطفيف لقاعدة الحروف هو البرهان على عدم وجود تسطير إطلاقًا للنَّص، وإنَّما اتَّكل الناسخ على نظرته الشخصية. ولا تبدو لنا هذه الحجة قاطعة: فالتسطير لا يعني استخدام المسطرة، والسطر المخطوط على الرق (أو الورق) ليس إلا مُوَجِّهًا لا يمنع تَحَرُّكَ اليد قليلًا أو كثيرًا عنه. ويبدو لنا =

176

خاصّ للتَّسْطير يمكن مَحْوُه بلُبابِ الخُبْز بعد اسْتِخْدامه[١٤]. وفي مجال المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي، كان الوَرَقُ هو المادَّةُ الأكثر انْتِشارًا منذ تأريخ قديم، الأمْر الذي يمكن أن يَشْرَح نَجَاحَ الأساليب التي تَتْرُك عَلامَةً بارِزَةً، وعلى الأخَصِّ للـ«مِسْطَرَة».

التَّسْطيرُ البارِز

اسْتُخْدِمَ كُلٌّ من السِّنّ الجاف (المِنْحَت)[١٥] أو الظُّفْر[١٦] ـ مع المِسْطَرَة أو بدونها ـ مع حَوَامِل مختلفة من الوَرَق والرَّقّ. وفي إطار معِارفنا الحالية، لا نمتلك مُؤَشِّرًا على أنَّ / النُّسَّاخَ المسلمين اسْتَغَلُّوا المَيْزَة التي يُقَدِّمها السِّنُّ الجاف (المِنْحَت) لتَسْطير عَدَدٍ من الأوْراق المتطابقة دَفْعَةً واحِدَةً، بحيث تَحْصُل الوَرَقَةُ الأولى على تَلَمات عَميقة، في حين لا يَكادُ يُرَى أثَرُها على الوَرَقَة الأخيرة؛ وكان ذلك مُمارَسَةً شَائِعَةً في أوروبا. ومن ناحِيةٍ أخرى، فإنَّ الأدَوات (الآلات) المُسْتَخْدَمَة للتَّسْطير البارِز تُتيحُ عَمَلَ تَنَوُّعٍ كبيرٍ للخُطُوط، كما تَظْهَر أشكالٌ دائرية للزَّخَارِف. ومن هنا، فإنَّ النُّسَّاخَ يتمتَّعون بحُرِّيَّةٍ كبيرة، كما أنَّ تَصْنيفَ التَّرْسيمات يمكن أن يُقَدِّم دون شك نتائج مُهِمَّة؛ غير أنَّ الأبْحاثَ في هذا المجال ما تَزالُ في بداياتها فيما يَخُصّ المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي. ونُشيرُ في مَعْرِض كلامِنا إلى طَريقَةٍ أخرى بدائية، تَتْرُكُ أثَرًا بارِزًا: تعتمد على طي الوَرَقَة تَبَعًا لمُرُور الجانب الرأسي المقابل لهامِش الطُّرَّة (الهامِش الخارجي) (التَّسْطير بالطَّيّ). وعادةً ما يُخَلِّف تَسْطيرُ الرَّق بسِنٍّ جاف (مِنْحَت) «شَكَّات» أو ثُقُوبًا اسْتُخْدِمَت في عَمَلِ التَّسْطير[١٧].

= فَضْلًا عن ذلك أن مُقارنَةً بين تِقْنيات التَّذْهيب والنَّسْخ ليست وثيقة الصِّلَة بالموضوع حتى نَبُتّ في المسألة.

١٤. M. Dukan, *La réglure des manuscrits hébreux au Moyen Age*, Paris, 1988, p. 15 - 16؛ المصدر هو A. Piémontois, *De secretis libri septem*, l. V, Lyon, 1558, p. 316.

١٥. استعملت العديد من المعادن: بعضها مرن (مثل الرصاص، والفضة ... إلخ)، يمكن أن يترك على الحامل آثارًا قد تفسد بالهواء.

١٦. لم نستطع التعرف على التسطير المرسوم بالظفر: وهو طريقة في التَّسْطير أشار إليها العلموي ونصح عند تنفيذها بالاحتراس من تمزيق الورقة، يقول: «إذا ظفر فلا يلَبس ظُفْرُه بحيث يُهَشِّم الوَرقة، ولو مآلًا» (F. Rosenthal, *The technique and approach of Muslim scholarship*, p. 11).

١٧. تظهر وَخْزات في المخطوطات المكتوبة على الورق في مصحفين، متحف الفن الإسلامي ببرلين: Inv. Nr. I. 42/68 (Museum für islamische Kunst Berlin, Katalog 1979, 2 éd., Berlin - Dahlem, 1979, p. 9 - 11, n°1, et pl. 1)؛ وباريس BnF arabe 418 (F.

ونَظَرًا لأنَّ وَضْعَ هذه الشَّكَّات يكون على حافَة هامِش الطُّرَّة ، فإنَّه عادَةً ما يَخْتفي عند القيام بعملية القَصّ .

المِسْطَرَة

وهناك أداةٌ أخرى تُخَلِّفُ آثارًا بارِزَةً اسْتُخْدِمَت بكَثْرَةٍ في المَخْطُوطات الوَرَقية ، هي «المِسْطَرَة»[١٨] ، وهي عبارَة عن قالَب من الوَرَق المُقَوَّى - وقد يكون أحيانًا من الخَشَب - تُثَبَّت عليه أسْلاكٌ ذات ثَخانَاتٍ مُتَغَيِّرَة تُوافِقُ حُدُود المِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة ومُوَجِّهات النَّصّ . يَضَعُ النَّاسِخُ «المِسْطَرَة» على الوَرَقَة التي سيَسْتَخْدِمها ويَضْغَط طُول الأسْلاك بإبْهامِه - الذي يكون قد غَلَّفه مُسْبَقًا عند الاقْتِضاء بخِرْقَة حتى لا تَتَّسِخ الوَرَقَة - وبهذه الطَّريقَة يُظْهِر على الصَّفْحَة بُرُوزًا خَفيفًا (شكل ٦٣) . ويَضَعُ بعضُ النُّسَّاخ بطَريقَةٍ مُنْتَظِمَة المِسْطَرَة في ظَهْر أوْراق الكُرَّاس ، في حين كان نُسَّاخٌ آخرون ، دون شك ، يُسَطِّرُون على التَّوالي كلَّ وَرَقَةٍ مُزْدَوَجَة : ويُمْكِنُنا مُلاحَظَةُ هذا التَّفاوتِ بتَسْجيل الوَضْع الخاصّ للثَّلَم والجُذُور في مختلف الكُرَّاسات . واسْتِخْدامُ «المِسْطَرَة» أمْرٌ سَلِسٌ للغايَة ، فيستطيعُ مُسْتَخْدِمُها أن يُعِدّ نُظُمًا للتَّسْطير في غاية التَّعْقيد ويُطَبِّقها بسهولة وبسُرْعَة على العَشَرات من الكُرَّاسات ؛ ويستطيعُ النَّاسِخُ ، عند الاقْتضاء ، أن يُضيفَ بواسِطة سِنٍّ جاف (مِنْحَت) على سبيل المثال سُطُورًا إضافية (نَتَحَدَّث عن التَّسْطير المُخْتَلَط) . إنَّ التَّسْطير الأساسي لنُسْخَة «تَخْميس بُرْدَة البُوصيري» المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 6072 أُنْجِزَ بـ «مِسْطَرَة» ، ثم عَمَدَ النَّاسِخُ إلى عَمَلِ خَطَّيْن رأسيين بسِنٍّ جاف (مِنْحَت) ليُحَدِّد المكان المُخَصَّص للشَّرْح[١٩] ؛ واسْتُخْدِمَت طَريقَةٌ مماثلة في مَخْطوطِ بروكسل رقم BR 19991 الذي حُدِّدت فيه مَواضِعُ العَناصِر / الزُّخْرفية بسِنٍّ جاف (مِنْحَت)[٢٠] . وتَشْتمل بعضُ المَخْطوطات الشِّعْرية الفارسية التي دَرَسَتها باولا

(Déroche, *Cat.* I/2, p. 128 - 129, nº535 et pl. I)، ويبدو أنها مرتبطة بإعداد الزخارف .

١٨. توجد مِسْطَرَة قديمة (من القرن السابع عشر أو الثامن عشر) مُصَوَّرَة في : NEW YORK 1994, p. 127, fig. 88 (New York, Metropolitan Museum of Art, Islamic art, acc. no. 1973. 1)؛ ويظهر أنموذج عثماني عند : U. Derman, «Hat», dans *Sabancî koleksiyonu*, Istanbul, 1995, p. 23, A.

١٩. *FiMMOD* 3.

٢٠. *FiMMOD* 195.

أورسَتِّي Paola Orsatti على عمودين ، وحتى أربعة أو ستة عواميد مُخَصَّصَة لكتابة الشِّعْر ويُحيطُ بها عمودان أصْغَر أو أيضًا سُطورٌ هامشية في وَضْعٍ مائل[٢١] . هكذا تُظْهِرُ نُسْخَةُ «خَمْسَة» نِظامي ، المُؤَرَّخة سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م ، والمحفوظة في چنيف في مكتبة Bibliotheca Bodmeriana 523، ثلاثة عواميد[٢٢] . وفي المُؤَلَّفات التي تَمْزِجُ بين النَّثْر والشِّعْر مثل «نِجارِستاني مُعيني» مَخْطُوط Accademia dei Lincei, Caetani 62 بروما ، تَشْتمل تَرْسيمَةُ التَّسْطير المعمولة بـ «المِسْطَرَة» على عَمُودَيْن وهامِشَيْن ، غير أنَّ النَّاسِخ لم يَلْتَزِم بها إلَّا عند كِتابَة المقاطِع الشِّعْرية[٢٣] .

تِقْنياتٌ أخرى للتَّسْطير

لم تكن الطُّرُقُ التي وَصَفْناها للتَّوّ هي طُرُقُ التَّسْطير الوحيدة التي عَرَفَها النُّسَّاخ ، فقد اسْتَخْدَمُوا ، كما رأينا ، كذلك المِداد أو رَصاص القَلَم . وهكذا تَحْتَفِظُ قِطْعَةُ المُصْحَف الموجودة في باريس برقم BnF ar. 328c (من نهاية القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي) بتَسْطيرٍ بالمِداد في وَجْهِ وظَهْر الأوْراق التي خُطَّت فيها مُوَجِّهات النَّصّ والخَطّ الرأسي لهامِش الطُّرَّة[٢٤] . ولم تَخْتصّ هذه الطَّريقَة فقط بالعَصْر القَديم ، فقد لجأ إليها ناسِخُ المُصْحَف السُّوداني (BnF ar. 5388) في القرن الثَّالث عشر الهجري/ التَّاسع عشر الميلادي[٢٥] . وأحْيانًا ما كانت الخُطُوطُ المُمَدَّدَة (الأسْلاكُ النُّحاسية) ظاهِرَةً جدًّا في الوَرَقِ المُنْتَج في العالم الشَّرْقي ممَّا يُساعِدُ على الكتابة الأُفُقِيَّة ، وهذا لا يَعْني أن تكون هذه طَريقَةً للتَّسْطير بمعنى الكلمة ، وإنَّما قد تكون مَحْصُورَةً في النُّسَخ المُخَصَّصة للدَّرْس .

٢١. P. Orsatti, «Epigraphes poétiques de manuscrits persans», dans *Mss du MO*, p. 73 - 75.

٢٢. *FiMMOD* 178.

٢٣. P. Orsatti, *op. cit.*, p. 73.

٢٤. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 60 - 61, nº4.

٢٥. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 51, fig. 341.

وَصْفُ التَّسْطير : بعض المُلاحَظات

لم يكن رَسْمُ التَّسْطير مُتماثِلًا . فبالإضافَة إلى الاخْتِلافات التي يَفْرِضُها اخْتيارُ تِقْنيةٍ أو أخرى ، تَتَفاوَتُ الطَّريقَةُ التي يتمّ بها تَناوُل الأوْراق لإكمال عَمَليةِ التَّسْطير : فنجد في بعض المَخْطُوطات أنَّ كُلَّ وَرَقَةٍ كانت تُسَطَّر بالتَّتابُع ، في حين نَجِد في بعضها الآخَر أنَّ كلَّ وَرَقَةٍ مُزْدَوَجة مَبْسُوطة قد تَمَّ تَسْطيرُها . وكان الغَرَضُ من هذه العملية ، في الحالَة الأولى ، تَرْكَ أثَرٍ بارِزٍ أو غائِرٍ على كُلِّ الأوْراق مُتشابهٍ في وَضْعِه ، سواء في وَجْه الوَرَقة أو ظَهْرِها : ومَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 5976، على سبيل المِثال ، هو أُنْمُوذَجٌ لهذه الطَّريقَة[٢٦] . وفي الحالَة الثَّانية ، سَجَّلَ الشَّخْصُ المَنُوطُ به العَمَلُ الخُطُوطَ من الجانب نفسه على نِصْفي الوَرَقَة المُزْدَوَجة ، وعند اسْتِخْدام سِنٍّ جاف (مِنْحَت) فإنّه يُتيحُ إمكانية خَطّ مُوَجِّهات النَّصّ دون وَضْع حَلٍّ للاسْتِمْرار من جانبٍ إلى آخَر من الوَرَقَة المُزْدَوَجة ، مثلما هي حالَةُ قطعة مُصْحَف إستانبول رقم TIEM SE 362 (على الرَّقّ) أو في مُصْحَف مجموعة ناصِر خَليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 89 و 89A (على الوَرَق)[٢٧] . ويبدو ، في المقابل ، أنَّ اسْتِخْدامَ / «المِسْطَرَة» فَرَضَ إعْداد كلٍّ من نِصْفي الوَرَقة على حِدَة ، وبمُجَرَّد اكتمال الكُرَّاس وطَيِّه فإنَّ خُطُوطَ التَّسْطير الموجودة على الوَرقة المُزْدَوَجة المَبْسُوطة تصبح معكوسَةً تَبَعًا لوَضْعها في النِّصْف الأوَّل أو الثَّاني من الكُرَّاس : هذا ما حَدَثَ في مَخْطُوط ستراسبورج رقم BNU 4252 حيث تظهر «الثُّلَم» في ظَهْر الأوْراق من ١ إلى ٥ من الكُرَّاسات ، ثم في ظَهْر الأوْراق من ٦ إلى ١٠[٢٨] .

178

ولوَصْفِ نُظُم التَّسْطير البارِز[٢٩] فإنَّ تأشيرًا يمكن أن يَتَوافَق مع المَخْطُوطات بالحَرْف العَرَبي يأخُذ في الاعْتبار اتِّجاه القِراءَة الخاصّ بها . وهكذا فالعَلامَةُ < تُشيرُ إلى وُجُود الثُّلَم في وَجْه الوَرَقَة المعنية ، والعَلامَة > تعني وُجُودها في الظَّهْر . وتكون النَّتيجَةُ أنَّ

٢٦. FiMMOD 172.

٢٧. F. Déroche, *Abbasid tradition*, p. 160.

٢٨. FiMMOD 196.

٢٩. أو «طريقة التسطير» ، وهو «المسار المتبع للحصول على ترسيمة التسطير في كل أوراق الكراسة ، ويمكن أن ينجز التسطير في كل ورقة أو في كل ورقة مزدوجة» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 104) .

التَّرْتيبَ الطَّبيعي للأوْراق سيَتَعَدَّل وسنقرأ التَّرْسيمة من اليَسار إلى اليمين : ففي التَّوالي التَّالي > > > > > / > > > > > تُوجَد الثُّلَم في الظَّهر من أوَّل الكُرَّاس إلى آخره .

ولوَصْفِ كُرَّاسٍ خُماسي تُوجَد فيه الثُّلَم في الوَجْه في نصفه الأوَّل ، بينما تُوجَد في الظَّهْر في نصفه الثَّاني نُسَجِّل : > > > > > / < < < < < (تُوجَد الأوْراقُ ١ـ٥ على يمين إشارَة مُنْتَصَف الكُرَّاس ، والأوْراق ٦ـ١٠ على اليَسار) .

إخْراجُ الصَّفْحَة

المفاهيمُ المُخْتَلِفَة لإخْراجِ الصَّفْحَة

نَعْني بهذا الاسم تَوْزيع التَّرْكيبات المُخْتَلفة التي تَظْهَر على الصَّفْحَة : إذًا فالكتابَةُ مَعْنيةٌ وكذلك الهَوَامِش والزَّخارِف وأيضًا العلاقات بين مختلف هذه العَناصِر . وتُعيننا دِراسَةُ التَّسْطير على الإحاطَة بمَشْرُوع النَّاسِخ (أو المُزَيِّن) ، ولكن من المهمّ أن نُوَسِّعَ مَجالَ البَحْث ليَشْمَل مجموع الصَّفْحَة وأيضًا الصَّفْحتان المُتقابلتان اللتان تظهران عند فَتْح المَخْطُوط ، إذْ يبدو أنَّها أُخِذَت بعين الاعْتبار من جانِبِ صُنَّاع الكتاب ، ومن ناحيةٍ أخرى ، فإنَّ احْتمالَ حُدُوثِ تَعْديلٍ في تَوازُن المجموع في أعْقاب قَصّ الهَوَامِش لا يجب أن يُقَلِّل من شأنه : من هنا يبدو التَّعْقيد الغريب لتَحْليل إخْراج الصَّفْحة .

ونجد مُشْكِلَة حَجْم المَخْطُوطات ، التي خُصِّصَت لها بعضُ البُحُوث القليلة ، مَطْرُوحَةً كذلك . وقد تَمَكَّنَّا أن نَحْصُل مع ذلك على بعض النَّتائج ذات المَغْزَى عن العُصُور الحَديثَة الأفْضَل تَوْثيقًا . هكذا يُظْهِرُ تَحْليلُ المجلَّدات التي صَدَرَت عن وَرْشَة طوبقبوسراي بإستانبول بين سنتي ٩٢٨هـ/١٥٢٠م و ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م وُجُود ثَلاثَة أحْجام[٣٠] (٢٥٫٥×١٦سم ، و٣٥×٢٥سم ، و٤٤٫٥×٣١سم) . وتُوحي الفَقْرَةُ التي أوْرَدَها ابنُ النَّديم ، والتي ذكرناها في بِدايَة هذا الفَصْل ، بأنَّ مَفْهُوم الحَجْم كان قد اكتمل بالفِعْل في القرن الرَّابع الهجري / العاشر الميلادي .

٣٠. Z. Tanindi, «Manuscript production in the Ottoman Palace workshop», *MME* 5, 1990 - 1991, p. 70 et fig. 23.

/ مُلاحَظَاتٌ عامَّة

المَصَادِرُ النَّصِّيَّة

يَوَدُّ عالِمُ المَخْطُوطات لو يُقابِل إشارات عن هذه القَضِيَّة الدَّقِيقة في المَصَادِر العربية الإسلامية . وفي الوَقْتِ الحاضِر ، بالرَّغْم من وَفْرَة الأدَب المُتَعَلِّق بالخَطِّ وفي نِطاقٍ أقَلّ بالتَّصْوير ، يُوجَد نَصٌّ واحِدٌ يُقَدِّمُ لنا عَناصِرَ الإجابَة . نَعْني بذلك وَصْفَةُ إخْراج الصَّفْحَة التي نَقَلَها لنا القَلُّوسي ، وهو أديبٌ أنْدَلُسي عاشَ في النِّصْف الثَّاني للقرن السَّابع الهجري/ الثَّالِث عشر الميلادي ، وأشارَت إلى هذا النَّصّ وترجمته إيڤيت سوڤون Yvette Sauvan [31] : « الطُّرَّة السُّفْلَى في الطُّول تخرج على طيّ الكاغد ، فهو الإمام . وصُورَة إخراجها أن تَفْتَح الضَّابِط في طَرَفي الصَّفْحَة مُقْتَدِيًا بالخطِّ من الطَّيّ وتَنْقُطُ نُقْطتين وتَصِلْهُما بالمِسْطَرَة ، فإذا أَخْرَجْت السُّفْلى أَخْرَجْت عليها العُلْيا وليس يخفى عليك صُورَة ذلك ، واجْعَل الطُّرَّة العُلْيا من العَرْضِ في خَطِّ الطُّرَّة السُّفْلى من الطُّول نُقْطة ودع السُّفْلَى إلى آخر ، وإن شِئْت قَرَّرْتها في الخَطّ الأسْفَل ، وأخرجها كالعُلْيا بنُقْطةٍ وقَسَمْتَ ما بين النُّقْطتين بقسمين متساويين وجَعَلْت الحَدَّ نُقْطةً تُخْرج عليها خَطًّا مُسْتقيمًا إلى الطُّرَّة العُلْيا، ولا يَخْرُج ذلك إلَّا بـ «الشِّيْحة» وهي نَوْعان : تامَّة ومُخْتَصَرَة ؛ فـ «التَّامَّةُ» أنَّ تزيد على النُّقْطَة التي جَعَلْت بين القسمين نصف دائرة على خطِّ الطُّرَّة السُّفْلى ثم تَجْعَل مَرْكَز الضَّابط ابتداء دائرة يكون حيث يَلْتقى نِصْفُ الدَّائِرَة مركزها وتُديرُها على اليمين وعلى الشِّمال بحيث يلتقى الخَطَّان مع النِّصْف الذي وَضَعْت أوَّلًا [كذا] انْقُط فيه نُقْطة وأدِر فوقها نِصْف دائرة ثم أدِرْه من الجانب الآخر بحيث يتداخل القَوْسان ، انْقُط نُقْطَة ـ وتلك النُّقْطَة مُوازية للنُّقْطَة التي في وَسَطِ نِصْف الدَّائرة الأولى ـ فصِلْ بينهما يَخْرُج لك خَطٌّ مُسْتَقِيمٌ على هذه الصُّورَة ؛ فهذه صُورة «الشِّيَحة» التَّامَّة . وأمَّا «المُخْتَصَرَة» فهي أن تُدير نِصْف دائرة ثم تَفْتَح الضَّابط عليه حتى تكون الفَتْحَة قدره ، ثم اجْعَل طَرَفَه مركزًا وأدِرْ بتلك الفَتْحَة دائرة ثم افْعَل

٣١. مخطوط باريس رقم BnF arabe 6844، ورقة ١٢٠، انظر : Y. Sauvan, «Un traité à l'usage des scribes à l'époque nasride», dans *Mss du MO*, p. 49 - 50. وانظر كذلك إبراهيم شبوح : «مصدران جديدان عن صناعة المخطوط : حول فنون تركيب المداد» ، دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ١٥ـ ٣٤. [يتقدَّم المترجم بالشكر الجزيل إلى السيدة M.-G. Guesdon على تَفَضُّلها بتزويده بصورة ضوئية للنّصّ التام لكلام القللوْسي حَوْل عمل المِسْطَرَة] .

كذلك من الطَّرَفِ الآخر بحيث يلتقي القَوْسان وانْقُط فيه نُقْطَة وصِلْها بنُقْطَة وَسَطِ النِّصْف الأوَّل يخرج خَطٌّ مُستقيمٌ على هذه الصُّورَة ، فإذا أخْرَجْت الطُّرَر بما ذكرت حَصَرْت وقَسَمْتَ بالضَّابط حتى يَصْدُر لك العَدَدُ الذي تُريد ؛ وإن شِئْتَ أن تُخْرِج السُّفْلَى كما تَقَدَّم ثم تَثْقُب بالإبْرَة في نُقْطَة الطُّرَّة العُلْيا من العَرْض على خَطّ الطُّرَّة السُّفْلى من الطُّول وتَنْقُط الطاقتين ثم تفتح الزَّوْج وتصل النُّقْطة السُّفْلى على النُّقْطة العُلْيا خَطًّا ينتهي به حَدُّ الطُّرَّة العُلْيا من الطُّول ، وتخرج العُلْيا في الطُّول كما تَقَدَّم من السُّفْلى نَظيرتها وتقسم من الثُّقْب إلى حيث ينتهي من ذلك الخَطّ ، واجْعَل الباقي من الصَّفْحَة الطُّرَّة السُّفْلى . وإن شِئت عملها بفَتْحَة واحدة فأَخْرِج الطُّرَر الأرْبَع كما تَقَدَّم وخُذ نِصْف الفَضَاء في مَوْضِعٍ آخر وعِدّ فيه نِصْف الأسْطار بفَتْحَةٍ ما بالضَّابط وأسْقط واحدًا أبدًا لأنَّ المُعْتَبَر هو الأَضْوَاء ، فحيث انْتَهَيْت بالعَدَدِ أدِر دائِرَةً واجْعَل المِسْطَرَة على ظهرها إلى نُقْطَة الطُّرَّة العُلْيا من العَرْض وخُطّ خَطًّا مُستقيمًا فحيث تلتقي مع الخَطّ الحاجز ، ذلك هو ضَوْء القُطْر الذي تُريد . فمِثال ذلك أنَّا نريك أن تقسم مِسْطَرَةً من أحد وعشرين سَطْرًا ، فلتأخُذ نِصْف الضَّوْء الذي تُريد أن تكون فيه ثم تَفْتَح الضَّابِط بفَتْحَةٍ أقلّ من ضَوء السَّطْر في التَّقْدير وتعد عشرة أسْطار وتُديرُ الدَّائرة كما تَقَدَّم على هذه الصُّورة ، وإن شِئْت جعلت خَطَّي نِصْف الفَضَاء دائمًا طرفيه خَطَّيْن على الخِلاف وتَتِمَّته كل خَطّ منها بأي فَتْحَة شِئْت بالعَدَد الذي تُريد أوَّلًا وآخِرًا ، فإنَّ الخَطَّ الذي هو نِصْف الفَضَاء ينقسم بالعَدَد الذي تُريد فخُذ منه الضَّوء الذي هو تَطْلُب وقسم المِسْطَرَة وصُورَة ذلك ؛ وليست الأعمال فيها تقف عند غاية فليُكْتَف منها بما تَقَدَّم ذكره » .

ويبدو أنَّ نَقْلَ النَّصِّ لم يكن تامًّا ، وأنَّ قِسْمًا من وَصْفِ العملية قد أُهْمِل دون شك أو حُوِّر . ورَغْم نَقْص هذه الوَصْفَة ، فإنَّها تُعَدُّ مع ذلك الدَّليلَ على أنَّه كانت تُتَداوَل في أوْسَاطِ النُّسَّاخ [في المَغْرب والأنْدَلُس] إرْشاداتٌ مُعَيَّنَة عن بِنَاء المِسَاحة المكتوبة من الصَّفْحَةِ بوَاسِطَة آلات (أدَوات) شائِعَة الاسْتِعْمال . ونأمَل أن نجد نُصُوصًا أخرى تُكْمِل هذه المعلومة .

مُلاحَظَةُ المَخْطُوطات

تُتيحُ لنا مُلاحَظَةُ المَخْطُوطات تَوْضيحَ الطَّريقَة التي يَشْغَل بها تَزْيينُ مَخْطُوطٍ مُعْتَنًى به وكتابته فَراغًا بُنِيَت نِسَبه العامَّة وتَقْسيماتُه الفَرْعية انْطِلاقًا من مِقْياس تَناسُبٍ مُحَدَّدٍ بدِقَّة .

وقد طُبِّقَت هذه المحاولة ، السَّهْلَة التَّنْفيذ ، على مَخْطُوطِ باريس رقم BnF Suppl. per. 226 الذي حَقَّقَ فيه شَهْريار أَدْل Chahrayar Adle هُوِيَّة هذا المِقْياس الرَّئيس الذي ما هو إلَّا نِقَاطٌ مُتكرِّرَة هي ، كما نعرف ، أَسَاسُ البِناء الكاليجرافي للخُطُوط . وفيما يَخُصُّ صفحات / النَّصّ أظْهر أدْل Adle كيف أنَّ أسْلُوبَ المِقْياس الذي حَدَّدَه يَتَوَافَق مع «العَنَاصِر المَرْسُومَة» [٣٢]، في حين يَرْتكز الخَطُّ على قيمة النُّقْطَة المَرْسُومَة بسِنّ القَلَم على الوَرَق وانْتِقالها الرأسي في مَسافَةٍ تُعادِل عَرْضَها . وهكذا ، يمكن لهذه الدِّراسَة التي تُعَرِّف شَيْئًا ثابتًا أن تكون ، بشَكْلٍ ما ، مَخْرَجًا مُشْتَرَكًا بين مختلف عَنَاصِر الكتاب .

180

النِّسَبُ البارِزَة

تُوَضِّحُ الأمْثِلَةُ السَّابِقُ ذكرها أهَمِّيَّة البِنَاء الهَنْدَسي في إخْراج الصَّفْحَة . ويُؤَكِّدُ لنا فَحْصُ المَخْطُوطات نفسها أنَّ صُنَّاعَ الكِتاب كانت بحَوْزَتِهم الأدوات الأساسية لعَمَل الأشْكال : فتَسْطيرُ زَخْرَفَة الوَرَقَة الثَّانية من قطعة المُصْحَف المحفوظة في إستانبول برقم TIEM SE 7 (من القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي) نُفِّذَ قِسْمٌ منه بالبِرْكار . وأمَّا المِسْطَرَة ، وهي من بين الأدَوَات الضَّرورِيَّة للخَطّ ، فإنَّها لا تُسْتَخْدَم فقط في تَخْطيط مُوَجِّهات النَّصّ ، وإنَّما أيضًا في تحقيق الوَصْلات بين «حـاء» و«ميم» كلمة «الرَّحْمَـٰن» في «البَسْمَلَة» في بعض المَصَاحِف المغربية والأنْدَلُسِيَّة [٣٣].

إنَّ مَيْلَ الجمهور المُثَقَّف الوَسيط للألْغَاز حَثَّ ، كما اقْتَرَحَ ذلك ڤاليري بولوزان Valery Polosin، الفَنَّانين على إعْداد تَزايين اسْتُمِدَّت نِسَبُها من أشْكالٍ لافِتَةٍ للنَّظَر [٣٤]. وكان النُّسَّاخُ أنفسهم مُرْهَفي الحِسّ لقضايا التَّوَازُن : فإذا كانت أبْعادُ الأوْراق تَرْتبط جُزْئيًّا بعَوَامِل خارجية فإنَّ إخْراجَ الصَّفْحَة يكشف أكثر عن اخْتيارات

181

٣٢. Ch. Adle, «Recherche sur le module et le tracé correcteur dans la miniature orientale I», *Le monde iranien et l'islam*, 3, 1975, p. 96.

٣٣. مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 386 (F.) Déroche, *Cat.* I/2, p. 33, n°299).

٣٤. V. Polosin, «To the method of describing illuminated Arabic manuscripts», *Manuscripta Orientalia*, 1/2, 1995, p. 19; « «All is numbers»? An unknown numerical component in the design of medieval Arabic manuscripts», *Manuscripta Orientalia*, 5/1, 1999, p. 7 - 11.

النَّاسِخ . فإذا كان النَّاسِخُ مُحْتَرِفًا أو خَطَّاطًا فإنَّه قادِرٌ ، دون شك ، على الاهْتِداء إلى الأبْعاد الصَّحيحَة ، ولكن من المُؤَكَّد أنَّه كان يَتَوَفَّر على الوَسائل الضَّرورية ـ المادِّية والنَّظَرية ـ لبناء فَرَاغ المِسَاحَة المكتوبَة من الصَّفْحَة .

ولم تَسْمَح الأبْحاثُ عن نِسَبِ هذه المِسَاحَة في المَخْطُوطات العربية الإسلامية بتَقَدُّمٍ جَوْهَري إلى الآن . فإضافَةً إلى مُلاحَظَات شهريار أدْل Chahrayar Adle التي ذكرناها فيما تقدَّم ، فإنَّ دِراسَة مجموعةٍ من المَصَاحِف التي تعود إلى القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي أوْضَحَت لنا تِكْرار نِسْبَة 66 ,0 (بعبارَة أخرى ٢/٣) بين ارْتفاع المِسَاحَة المكتوبة وارْتِفاع الصَّفْحَة [٣٥]. وهناك شكلان مُسْتطيلان يَلْفِتان الانْتباه : مُسْتَطيلُ الذَّهَب ومُسْتطيلُ فيثاغورس . يتألَّف المُسْتطيلُ الأوَّل من القِطْعَة AB فيُحَدِّدُ القِطْعَة AM على الخَطّ العمودي Ax، وعلى ذلك تُساوي القِطْعَة AM نصف القِطْعَة AB (AB/2=AM) . ونَضَع عندئذٍ أحد سِنَّي البِرْكار على النُّقْطة M والسِّن الآخر على النُّقْطة B، ونَشِيد على Ax القِطْعَة MC المساوية للقِطْعَة MB (MB=MC) . ولا يبقى سوى أن نَضَعَ D على نِصْف الخَطّ المستقيم By الموازي لـ Ax، بحيث يكون BD مساويًا AC (AC=BD) . وتكون نِسْبَةُ العَرْض إلى الطُّول في هذا المُستطيل ABCD/ هي 0.618 (في حين تكون نِسْبَة الطُّول إلى العَرْض 1,618) . وتكون نِسْبَةُ العَرْض إلى الطُّول في مُسْطيل فيثاغورس 3/4 أي 0,75 (والنِّسْبة العكسية الطُّول إلى العَرْض تساوي 1,333) .

وتُوجَدُ طَريقَةٌ أخرى للحُصُول على شَكْلٍ لافِتٍ للنَّظَر عن طريق الخُطُوط القُطْرية . يكون الشَّكْلُ الابْتدائي فيها مَرَبَّعًا ضِلْعُه a: ونُطَوِّر المُرَبَّع إلى مُسْتَطيل يَساوي طُولُه خَطَّ قُطْر المُرَبَّع . ومع المُحافَظَة على العَرْض a نَرْسِم مُسْتَطيلات جَديدَة يُساوي طُولُها خَطّ قُطْر المُسْتَطيل السَّابق الحُصُول عليه . فالضِلْعُ الكبير في الشَّكْل الأوَّل يُساوي ناتج عَرْض a مضروبًا في الجَذْر التَّرْبيعي لـ 2 (أي $a\sqrt{2}$) ؛ ويُعادِل الضِّلْعُ الكبير في الشَّكـل الثَّاني $a\sqrt{3}$ والثَّالِث ... إلخ . وسنُلاحِظ أنَّ العَلاقَة بين a و $a\sqrt{2}$ هي العلاقة بين قَطْعي الوَرَقِ A3 و A4 اللذين نستخدمهما الآن : حيث يُساوي طُولُ الوَرقة خَطَّ قُطْر المُربع الذي تُساوي أضْلاعُه العَرْض .

٣٥. F. Déroche, *op. cit.* (*Mss du MO*), p. 103.

وفي المُمارَسَة العملية يجب أن يأخُذ عالِمُ المَخْطُوطات في اعْتباره بعض التَّقْريب في إنْجاز نُسَّاخ العُصُور الوسطى لإخْراج الصَّفْحَة ، وكذلك التَّغَيُّرات المُتَّصِلَة بالحَامِل نفسه ، من مثل إنْكِماش الرَّقّ .

وأوْصَى المُتَخَصِّصون في المَخْطُوطات اللاّتينية بالتَّسامُح في فُرُوقٍ في حُدُود ٢٪ بالنِّسْبَة إلى النِّسَب المحسوبة بصَرَامَة . وهكذا فإنَّ الفارِقَ المُعادِل لمُستطيل الذَّهَب الذي قيمته الصَّحيحَة 1,618 يَتَرَاوَح بين 1,586 و1,650 [٣٦].

خارج القِسْمَة	القيمة القصوى	الأشكال الجديرة بالملاحظة
١	٠,٩٨/١,٠٢	مُرَبَّع
١,٢٣٦	١,٢١١/١,٢٦٠	مستطيلا ذَهَب متجاوران بطولهما
١,٣٣٣	١,٣٠٧/١,٣٥٩	مُستطيل فيثاغورس
١,٣٦٨	١,٣٤١/١,٣٩٥	مستطيل فيثاغورس ومستطيل الذهب متجاوران بطولهما
١,٤١٤	١,٣٨٦/١,٤٤٢	مستطيل على شكل $\sqrt{2}$ axa
١,٥	١,٤٧٠/١,٥٣٠	مُرَبع مستطيل فيثاغورس
١,٦١٨	١,٥٨٦/١,٦٥٠	مستطيل الذَّهب
١,٧٣٢	١,٦٩٨/١,٧٦٦	مستطيل على شكل $\sqrt{3}$ axa
٢	١,٩٦٠/٢,٠٤٠	مُرَبَّع المُرَبَّع

ويَتَطَلَّبُ هذا المجالُ البَحْثي أن يُشتَغَلّ باحْتِراس : فإضَافَةً إلى أنَّه كانت هناك صِيَغٌ أخرى قابلة للاسْتِخْدَام ، فالجَدْوَل السَّابق يُظْهِر وُجُودَ تَدَاخُلٍ يمكن أن يُوقِع عالم المَخْطُوطات في حَيْرَة . ومن النَّاحية العملية ، فعند اخْتِيار مَخْطُوطٍ نستطيع أن نُراجع بسهولة إذا ما كان يجب أن نَستمر بهذه المُقارَبة إلى الأمام بقِسْمَة / طُول الشَّكْل المعني على عَرْضِه : فنَحْصُل حينئذٍ على خارج قِسْمَة يمكن مُقارنته بما يَظْهَر في الجَدْوَل ، مع الأخْذ في الاعْتبار بالتَّسَامح في نسبة الـ ٢٪ التي أشَرْنا إليها سالِفًا .

٣٦. أشار جاك لومير إلى هذه القِيَم ، وكذلك إلى تلك التي تظهر في الجدول التالي ، J. Lemaire, *Introduction*, p. 138 - 139.

وِحْداتُ القِيَاس

عَرَفَ النُّسَّاخُ في الغَرْبِ الوَسيط النِّسَب التي تَحَدَّثنا عنها ، وكانوا يَرْسِمُون مِسَاحات مُستعينين بأدوات مثل البِرْكار والمِسْطَرَة . وقد يَحْدُثُ لهم أحْيانًا كذلك أن يُهَيِّؤا تَرْسيمتهم للتَّسْطير بإدْخالِ وِحْداتِ قِياسٍ مُسْتَخْدَمَة في الوَسَط الذي نشأوا فيه . ويمكن للمُلاحِظ أن يجد ، إمّا في أحَدِ السُّطُور المُحَدِّدَة لمِسَاحَة الصَّفْحَة أو في سَطْرَيْن ، القِيَمَ المُتَّفِقَة مع أحد هذه القِيَاسات المُسْتَخْدَمَة في عَصْرٍ وإقْليمٍ مُحَدَّدَيْن .

إن هذا التَّوَجُّه في البَحْث لم يُشْتَغَلّ حتى الآن أبَدًا في دِرَاسَة المَخْطُوطات العربية ، باستِثْناء مَقالٍ لفاليري بولوزان Valery Polosin يتناول ، في الحَقيقة ، التَّزْيين [٣٧]. يجب إذًا على عالِم المَخْطُوطات أن يكون مُتَنَبِّهًا إلى هذا الاحتمال ، ولكن ، وكما أشَارَ إلى ذلك جاك ليمير Jacques Lemaire، أن يَظَلّ كذلك مُتَيَقِّظًا جدًّا عند تَفْعيل هذه المُقارَبَة .

تَرْتيبُ السُّطُور

تُظْهِرُ أقْدَمُ المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي ، وهي المَصَاحِفُ المكتوبة بالخَطِّ الحجازي والتي تُؤَرَّخُ بالنِّصْف الثَّاني للقرن الهجري الأوَّل / نهاية القرن السَّابع - بداية القرن الثامن للميلاد (شكل ٦٤) أنَّ النُّسَّاخَ الأوائِل اختاروا السُّطُورَ الطَّويلة كما يُوَضِّحه مَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 328 a ومَخْطُوط لندن رقم BL Or. 2165 [٤٠]. وحُوفِظَ كذلك على هذا الوَضْع بالنِّسْبَة للمَخْطُوطات غير القرآنية كما نُشاهِده في أوَّل المَخْطُوطات المُؤَرَّخَة من القرن الثَّالث الهجري/ التاسع الميلادي [٤١]. وفيما بعد ظَلَّ

٣٧. V. Polosin, «Frontispieces on scale canvas in Arabic manuscripts», *Manuscripta Orientalia*, 2/1, 1996, p. 5 - 19.

٣٨. J. Lemaire, *op. cit.*

٣٩. انظر هامش ٣.

٤٠. W. Wright, *Facsimiles of manuscripts and inscriptions*, pl. LIX; M. Lings et Y. H. Safadi, LONDRES 1976, p. 20.

٤١. نشر أندريس قوائم المخطوطات المؤرخة من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في G. Endress, «Handschriftenkunde», *GAP* I, p. 281، وكذلك F. Déroche, «Les manuscrits arabes datés du III-/IX- siècle», *REI* 55 - 57, 1987 - 1989, p. 343 - 379.

التَّقْليدُ الخاصُّ بالمَخْطُوطات بالحَرْف العربي في الإجمال وَفِيًّا لهذا الأنموذج و، كقاعِدَةٍ عامَّة ، كانت الأسْطُرُ ثابتَةً في مجموع نُسْخَةٍ واحدة . وأثْبَتَت التَّجارِبُ التي أجْراها بولوزان Polosin حَوْل كثافَة النَّصِّ ، في الأمثلة التي دَرَسَها ، أنَّ عَدَدَ الحُرُوف في السَّطْر وفي الصَّفْحَة ظَلَّ مُسْتَقِرًّا نِسْبِيًّا[٤٢]. وإن كانت تُوجَدُ اخْتِلافاتٌ أو فُرُوقٌ لهذه القاعِدَة يجب أن يُشَار إليها .

وأدْخَلَ الشِّعْرُ اسْتِثْناءً على تَرْجيح السُّطُور الطَّويلَة : بسبب طَريقة بِنائه وعلى الأخَصِّ وُجود القَوَافي ، فتأقْلَم لذلك مع وَضْعٍ يُوَضِّح العَناصِر المُتَواتِرَة فيه . كذلك فإنَّنا نَجِد / بكثرةٍ أبْياتًا مُرَتَّبَةً على عَمُودَين أو أكثر (شكل ٦٥) ؛ حيث أُدْخِل فيما يبدو ، في مجال الثَّقافَة الفارسية «جَدْوَلٌ» لتَعْيين تَوْزيع العَناصِر النَّصِّيَّة[٤٣]. ورُتِّبَ النَّصُّ كذلك أحيانًا على عَواميد في المَخْطُوطات العربية المسيحية ، ولكن لأغْراضٍ مُغايِرَةٍ تمامًا[٤٤].

185

وكقاعِدَةٍ عامَّة ، كانت سُطُورُ الكِتابَة مُتعامِدَةً على هَامِش مُؤَخَّر الصَّفْحَة ؛ وبعبارة أخرى ، كانت أُفُقِيَّة (شكل ٤٠ و ٦٤) . وتَظْهَر مع ذلك اسْتِثْناءاتٌ تَتَعَلَّق بالدَّرَجَة الأولى بالمَخْطُوطات الشِّعْرية (الدَّواوين) : فالمُخْتَاراتُ الفارسيةُ المحفوظة في باريس برقم BnF suppl. per. 1473 تَشْتَمِل على ثلاثة أعْمِدَة ، يَشْتَمِلُ عَمُودُها الملاصِق لهامِش الطُّرَّة (صَدْر الكتاب) على سُطُورٍ مائلة ؛ واعْتَمَدَ التَّوَجُّه نَفْسَه ، ولكن على أحَدِ الأعْمِدَة هذه المَرَّة ، ناسِخُ نُسْخَة «غَزَلِيَّات» كاتِبي (باريس ، BnF Suppl. per. 1776) مع كِتابَة سَطْرٍ عَمُودي على يَسار ضَبْطِ المِسَاحَة المكتوبَة من الصَّفْحَة[٤٥] (شكل ٦٦) . وقامَ النُّسَّاخ ، فيما يَتَعَلَّق بنُصُوصٍ أخرى ، باخْتيار السُّطُور المائِلَة . وإذا كانت «الأحاديثُ» مع ترجمتها الفارسية المَنْظُومَة يمكن أن ترتبط بالتَّقاليد الشِّعْرية[٤٦]، فإنَّنا

---

٤٢. V. Polosin, «Arabic manuscripts: Text density and its convertibility in copies of the same work», *Manuscripta Orientalia* 3/2 (1997), pp. 3-17.

٤٣. P. Orsatti, *loc. cit.*؛ وأيضًا «Le manuscrit et le texte: éléments pour une interprétation du maxlas dans la poésie lyrique persane», dans *Scribes*, p. 291؛ وانظر كذلك فصل «تزويق المخطوط» في الكتاب الذي بين أيدينا .

٤٤. تُمَثِّل نسخة من كتاب الحاوي الكبير أنموذجًا لذلك (باريس رقم BnF arabe 181 (*FiMMOD* 31) .

٤٥. F. Richard, Paris 1997, p. 99, nº53 et p. 98, nº52.

٤٦. Ibid., p. 175, nº120 (Paris, BnF arabe 6063)؛ وأيضًا مخطوط الرياض ، مجموعة فرفور ١٥/٤ (الرياض ١٩٨٦، ١٨٠ - ١٨١، الرقم ١١٤) .

٦٤. خَطٌّ بالأسْلُوب الحجازي على رَقّ ، يُؤَرَّخ بالنِّصْف الثَّاني للقرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي .

باريس رقم BnF arabe 328، ورقة ٥٤.

نجد بالمُقابل أنَّ نُسْخَةَ «شَرْحِ الحِكَم العَطائية» للبُرُنُسي (تونس، المكتبة الأحمدية ١٢٣٢٠/٣٦١٦) تتَمَيَّزُ بالكتابة المائلة لمجموعِ النَّصّ[٤٧].

وعندما يُخَطِّطُ النَّاسِخُ لِكتابَة نَصٍّ ثانٍ أو حتى ثالِثٍ في الهامِش، فإنَّه يُجَهِّزُ لأجْلِ ذلك «مِسْطَرَةً»، فيُظْهِرُ تَنْسيقُ الصَّفْحَة تَكَيُّفًا مع مُتَطَلَّبات الفَرَاغ الزَّهيد بعض الشَّيء، وتكون السُّطُورُ المُتَوَقَّعة لهذه النُّصُوص مائلة في العُمُوم، وإن لم تكن هذه هي القاعِدَة دائمًا. ومُصْحَفُ باريس رقم BnF ar. 4955 الذي يَصْحَبَه تَفْسيرٌ كُتِبَ نَصُّه على سُطُورٍ مائلة خُطَّت بـ «المِسْطَرَة» تَبَعًا لتَخْطيطٍ راعَى الشَّكْلَ الكامِلَ للصَّفْحَة[٤٨].

التَّغَيُّرات

بَحَثَ النُّسَّاخُ في فَتْرةٍ مُبَكِّرَة، خِلال النِّصْف الثَّاني للقرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي، أو بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، عن وَسيلةٍ لتَقْليص المِسَاحَة المكتوبة في المَصَاحِف المَنْسُوخَة بخطٍّ ذي نِسَبٍ صغيرة يُشارُ إليها الآن بالرَّمْز EI[٤٩]: ويَتَمَيَّزُ العَديدُ من المَصاحف المكتوبة بهذا الأسْلُوب بأنَّ أحَدَ سُطُور الصَّفْحَة، غالبًا السَّطْر الأوْسَط، لا يشتمل إلَّا على عَدَدٍ / قليلٍ من الحُرُوف فقط، بينما يَشْغَل قِوام الفَراغ خُطُوطٌ تَرْبط بينها مُغَالَى في طُولها. ورُبَّما كانت طَريقَةٌ من هذا النَّوْع هي التي قَامَ بتنفيذها نحو سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م بعضُ نُسَّاخ المَخْطُوطات الفِقْهية المحفوظة في الجامع الكبير بالقَيْرَوان والتي تَحَدَّثَ عنها يوسف شاخْت Joseph Schacht، فالعَديدُ من المَخْطُوطات التي فَحَصَها هذا العالم تُظْهِرُ ضَبْطًا للأسْطُر يَقْطَعه إلى قسمين مُتساويين سَطْرٌ ـ أو جزءٌ من سَطْر ـ تُرِكَ فارِغًا، دون أن يُوجَد مع ذلك أيُّ سَقْطٍ في النَّصّ[٥٠]. وسَمَحت تِقْنيةُ «المَشْق»، وبعبارة أخرى خاصِّية إطالَة السَّطْر الأساسي الذي يَصِلُ حُروفَ كلمةٍ واحدة بعضها ببعض (وحتى بعض الحُروف المُنْفَرِدَة) بهذا النَّوع

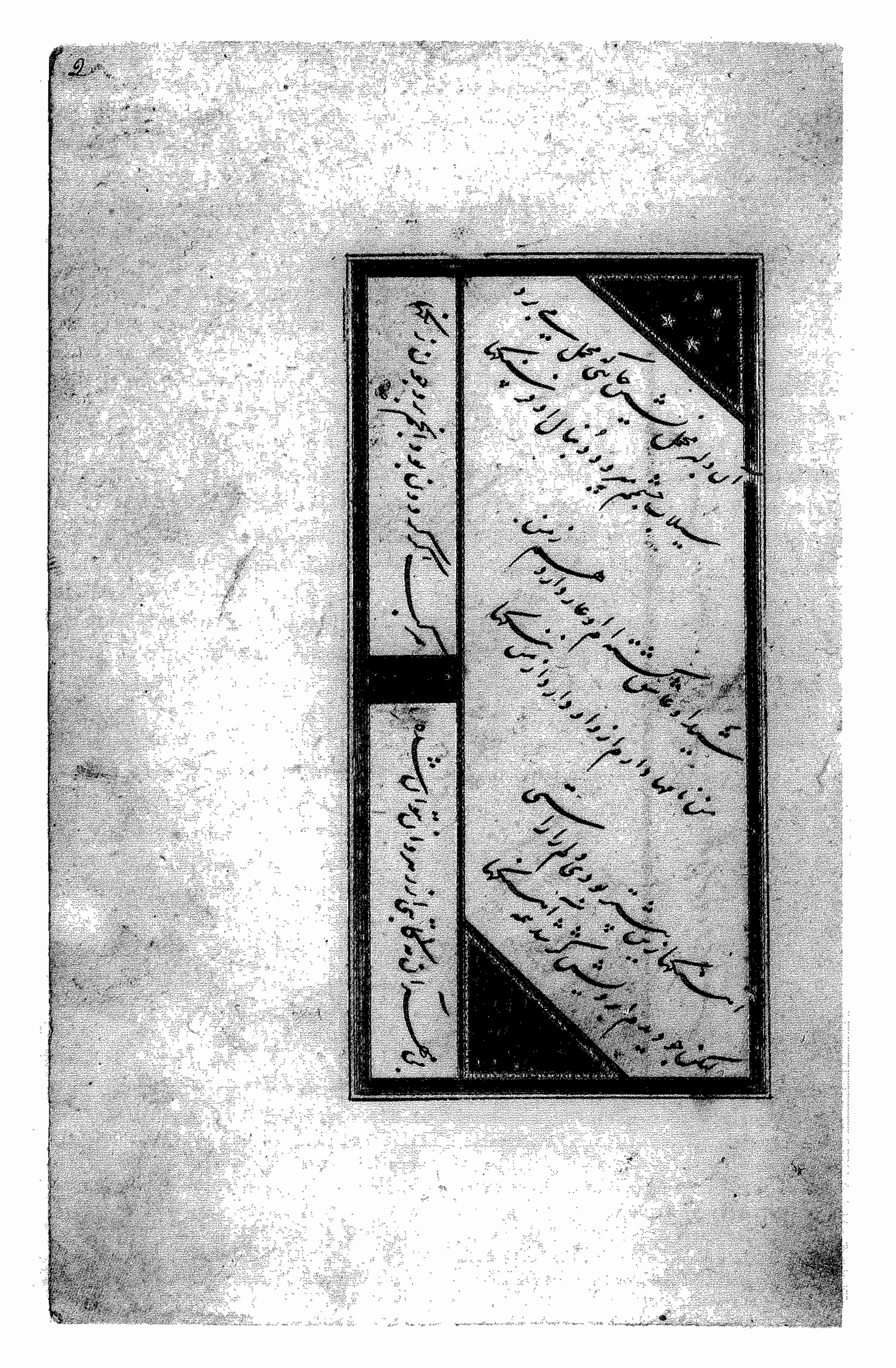
٤٧. إبراهيم شبوح: المخطوط، رقم ٤٧.

٤٨. Cat. I/2, p. 141 - 142, nº558؛ انظر أيضًا الرياض ١٩٨٦، ١٦٠ - ١٦١، ح. ١٩٤ (مخطوط الرياض، مركز الملك فيصل، ٢٨٢٩).

٤٩. لم تنشر إلى يومنا هذا صورة من هذا النوع من إخراج الصفحات الذي نصادفه في قطع مجموعة «أوراق دمشق» المحفوظة في متحف الفنون التركية والإسلامية بإستنبول.

٥٠. J. Schacht, «On some manuscripts in the libraries of Kairouan and Tunis», *Arabica*, 14, (1967), p. 225.

٦٥. تَرْتيبُ نَصٍّ في أعِمِدَة. خطّ نستعليق. هَراة سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠-١٤٩١م. باريس BnF suppl persan 822، ورقة ٤٣٠.



٦٦. تَرْتيبُ نَصٍّ على أعْمِدَة في خُطُوط مائلة. خطّ نَسْتعْليق.

هراة سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥-١٤٧٦م. باريس BnF suppl. persan 1776، ورقة ٢.

من التَّرْكيب [٥١]. فنجد أنَّ سَطْرًا أو أكثر (أحيانًا السَّطْر الأوْسَط، وأحيانًا السَّطْر الأوَّل والسَّطْر الأخير وأحيانًا بالتَّوْفيق بينها) يَشْتمل على عَدَدٍ صغيرٍ من الحُرُوف، مُقابل وُجودِ مَشْقٍ مُهِمٍّ وحتى أكثر من مَشْق.

واسْتَغَلَّ النُّسَّاخُ كذلك إمكانية تَغْيير نِسَب الخَطّ وحتى أسْلُوبه من سَطْرٍ إلى آخر. ونجد أوَّلَ شَاهِدٍ على ذلك في المُصْحَف المحفوظ في مكتبة شيستربيتي بدبلن برقم CBL 1438 والمُؤَرَّخ بسنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م [٥٢]، الذي بُني تركيبُه على أنَّ مجموعتين من السُّطُور الصَّغيرة الحَجْم تَسْبِقُ وتَلْحَق ثلاثة أسْطُر بخطٍّ ذي نِسَبٍ كبيرة. ولا تَتَطَلَّب هذه الطَّريقَةُ أيَّ تَدَرُّج بين مكوِّناتها المختلفة، خِلافًا لمَخْطُوط المكتبة الوطنية بتونس رقم 3357 [٥٣] أو مخطوط المكتبة الصَّادقية بتونس رقم 263/10441 [٥٤]، على سبيل المثال؛ وهي لا تَخْتَلِطُ إطْلاقًا بالعناوين والتَّزْويسات أو أيِّ طُرُقٍ أخرى تُنَظِّمُ انْسِياب النَّصِّ وتَقُودُ القارئ.

عَدَدُ السُّطُور في الصَّفْحَة

يَخْتلفُ عَدَدُ سُطُور الصَّفْحَة بين مَخْطُوطٍ وآخَر بشكلٍ كبير، ويمكن أن لا نجد أيَّ انْتِظام في مَخْطُوطٍ واحد، حتى وإنْ أعَدَّ النَّاسِخُ تَسْطيرًا له. وأحَدُ أقْدَم أمْثِلَة المَخْطُوطات المُسَطَّرَة، وهي قِطعة مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 328 a، يتراوَحُ عَدَدُ سُطُورها بين ٢٢ و ٢٦ سَطْرًا في الصَّفْحَة. ونستطيع أن نُمَيِّز تَطَوُّرًا في تَقْليد

---

٥١. وعلى هذا النحو، فإن المشق تقنيةٌ لا أسْلُوبٌ في الكتابة. ويظهر هذا المعنى في شروحات نقدية في غالب الأحيان واردة في المصادر العربية (مثلا عند الصولي: أدب الكتاب، تحقيق الأثري، ومراجعة الألوسي، القاهرة، ١٣٤١/١٩٢٢، ٥٥-٥٦)؛ وأشار ابن النديم إلى المشق باعتباره أسلوبا (المرجع السابق، نشرة فلوجل، ٦؛ نشرة تجدد، ٩؛ ترجمة Dodge، ١١).

٥٢. D. James, *Q. and B.*, p. 35, n°20.

٥٣. إبراهيم شبوح، المرجع السابق، ٢٢، واللوحة بالألوان. فالصِّيغ الدينية والأحاديث كتبت بخطوط مذهبة (مخطوط يعود إلى سنة ٦٠١هـ/١٢٠٥م).

٥٤. نفسه، ١٦، واللوحة؛ وبخصوص كتابة هذا التفسير المنسوخ في سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، فإنَّ الاستشهاد بالآية ٢٤ سورة النساء، تتمايز بناء على تغيير أسلوب الخط. ونجد الطريقة نفسها في تفسير نَسَخَه في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م عثمان بن الحسين الوراق (راجع أيمن فؤاد سيد. المخطوط، اللوحة ٧).

٥٥. انظر الصُّوَر عند D. James, *Qur'âns of the Mamluks*, London 1988, pp. 92-98.

المَخْطوطات الإسلامية يُفَضِّل أكثر فأكثر الأعْداد الفَرْدية. حَقًّا إنَّ إمْكانية امْتلاك سَطْرٍ أوْسَط هو وَرَقَةٌ رابحة لإخْراج الصَّفْحَة: فنجد أنَّ ناسِخَ قِطْعَة مُصْحَف إستانبول رقم TIEM SE 362، السَّابِق ذكره، وَجَدَ نفسه غير قادر على تَنْفيذ صَفَحاته المُتَعَدِّدَة الألْوان، على سبيل المثال / ورقة ٨ظ، بسبب اخْتياره لكتابة أربعة عشر سَطْرًا في الصَّفْحَة. وعلى العكس من ذلك فإنَّ السَّطْرَ الأوْسَط (السَّطْر الثَّالِث) في مُصْحَف أُولْجايتو (مَخْطُوط مكتبة الجامعة بليبتسج رقم Universitätsbibliothek XXXVII KI) المكتوب بالمِداد الذَّهَبي مَنَح مِحْوَرًا قَوِيًّا لإخْراج الصَّفْحَة بتمامها.

الهَوَامِش

لقد جَعَلَتْنا السُّطُورُ السَّابِقَة نَسْتَشِفُّ أَهَمِّيَّة الهَوَامِش. وهذا الجزء من الصَّفْحَة مُهَدَّدٌ دائمًا نتيجةً للتَّقْليب المُكَثَّف للصَّفحات والتَّرميم السَّيِّئ اللذين يُسَبِّبان أضْرارًا مُنْتَظِمة وحتى الضَّياع الكُلِّي للهَوَامِش. وفي هذه الحالة فإنَّه من الصَّعْب أن نُعيدَ بناء إخْراج الصَّفْحَة كما يوضِّحه تمامًا مُصْحَفا المكتبة البريطانية بلندن رقم BL Or. 2165 ومكتبة فرنسا الوطنية رقم BnF ar. 324 حيث إنَّ النَّصَّ الآن مُلامِسٌ لحافَة الوَرَقَة. ومن الصَّعْبِ القَوْل إذا كان النُّسَّاخُ المسلمون، منذ البداية، قد بدأوا بتَرْك هَوَامِشَ مُناسِبَة: فلا يَتَوَفَّر لأقْدَم قِطَع المَصَاحِف في وَضْعها الحالي إلَّا فَرَاغٌ صَغير في المحيط الخارجي للمِسَاحَة المكتوبة من الصَّفْحَة، ولكن يجب أن نأخُذ في الاعْتبار التَّمْزيق الممكن للأوْراق.

ومهما يكن من أمْرٍ فقد اكْتَشَفَ صُنَّاعُ الكتاب مُبكِّرًا جدًّا إمْكاناتِ الهَوَامش في تَلَقِّي إشارات إضافية للنَّصّ[٥٦]. وأحْيانًا ما كانت تُوجد أقْدَمُ تَزايين المَصَاحِف في الهامِش ـ غالِبًا في الهامش الخارجي (هامِش الطُّرَّة) ولكن أحْيانًا أيضًا في الهامِش الدَّاخلي ـ حيث تكون أكثر وُضُوحًا وتملأ هكذا بطَريقَةٍ مُرْضية دَوْرَ العَلامَة. وفيما

٥٦. لا تسمح حالة أقدم المخطوطات العربية، والمصاحف أن نعرف إذا ما كان لها هَوَامش جديرة بهذا الاسم أم لا. (انظر على سبيل المثال W. Wright, *Facsimiles of manuscripts and inscriptions*, pl. LIX; F. Déroche , S. Noja Noseda, *Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France.*

بعد، استخدم المُصَوِّرون أحيانًا هذا الفَرَاغ بطريقةٍ مُدْهِشَةٍ تمامًا. وهي تُقَدِّمُ في النُّسَخ الخَزَائنية مَجالًا للاخْتيار للمُزَيِّنين والمُزَخْرِفين، حيث سَمَحت ـ بوَجْهٍ خاصٍ ـ التِّقْنيةُ المعروفة بـ*vassali* [وَصَّالي] باسْتِخْدام أوْراقٍ مُزَخْرَفَةٍ في غاية التَّنَوُّع[٥٧] (شكل ١٠).

ولم تكن الهَوَامِشُ مع ذلك مَيْدانًا للمُزَيِّنين والمُصَوِّرين فقط: فقد رَحَّبَت دائمًا بالتَّقاييد والحَوَاشي والتَّعْليقات. ويمكن للنَّاسِخ من البداية أن يَتَوَقَّع هذه الإضافات، ولكنَّها تَتَوافَق في الأغْلَب مع قرار أو احْتياج القارئ. وبالرَّغْم من أنَّ بعضَ المُؤَلِّفين القُدَماء، مثل العَلْمَوي، طالَبوا بتَحْديد عَدَدِ التَّقاييد الهامِشِيَّة لتَجَنُّب امْتلاء الصَّفْحَة بالكتابة[٥٨]، فإنَّ بعض المَخْطوطات تُظْهِرُ غَزْوًا حَقيقيًّا لكلِّ المِسَاحَة المُتاحَة. وتَتَمَيَّزُ نُسْخَةُ كتاب «أنْوار التَّنْزيل وأسْرار التَّأويل» (المحفوظة في مركز الملك فيصل بالرِّياض برقم ٤٢٤٩) بالطَّريقَة التي غَزَت فيها الكتابَةُ هَوَامِشَها / بحيث لا يمكننا تَبَيُّن شكل إخْراج الصَّفْحَة. وتَتَمَيَّزُ نسخةٌ من «لَوَائِح» جامي (لندن BL Add. 16820) بإحْكام الطَّريقة التي قُيِّدَت بها تَعْليقاتُها الهامشية بحيث بَدَت كتجويدٍ حقيقي للخَطّ[٦٠].

بَعْضُ نَمَاذِج إخْراج الصَّفَحات

للأسْبابِ التي طَرَحْناها فيما سَبَق، لا يمكننا الآن أن نَفْعَل شيئًا أفْضَل من الحَديث عن أمْثِلَةٍ لإخْراج الصَّفَحات حتى نُعْطي لَمْحَةً عن الطَّريقَة التي أفادَ منها النُّسَّاخُ من الفَرَاغ المتاح أمامهم. وتَطْرَحُ المَخْطوطاتُ المُصَوَّرَة أو التي بها عَدَدٌ من الجَدَاوِل والأشْكال مُشكلات خاصَّة تَبْعُد عن ما يمكن أن نتناوَلَه هنا. والأمْثِلَةُ التي احْتفظنا بها

٥٧. انظر فصل «الحوامل: الورق».

٥٨. ذكرها روزنتال F. Rosenthal, *op. cit.*, p. 18.

٥٩. الرياض، ١٩٨٦، ٨٢ ـ ٨٣، ح. ١٨. وقد أعاد جاشيك إيراد صفحة من «خلاصة الحساب» للعاملي ملئت حواشيها بالهوامش والتصحيحات (مخطوط مونتريال رقم McGill BWL 230 المنسوخ سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م A. Gacek, *McGill*, p. 92, nº100/3 وشكل 29).

٦٠. M. I. Waley, «Illumination and its functions in Islamic manuscripts», *Scribes*, p. 104 وشكل 8؛ ويبدو أنَّ هذا النوع من إخراج الصفحات عَرَفَ فيما بعد شعبية نسبية في الطبعات الحجرية.

مُقْتَبَسَةٌ في الأساس من نُسَخٍ مُعْتَنًى بها (خَزَائنية)، ولكنَّها تشتمل كذلك على بعض التَّرْكيبات التي تظهر في النُّسَخ المتواضِعَة الصُّنْع.

ذكرنا فيما سَلَف بعض الإخْراجات الخاصَّة للصَّفَحات. وتُظْهِرُ عمليةُ «تَجْويد الخَطِّ» القديمة أنَّ الاهْتمامَ بجمالية الصَّفْحَة قد بدأ مُبَكِّرًا جدًّا. وتُقَدِّمُ قطعةُ المُصْحف المحفوظة في إستانبول برقم TIEM SE 362 الدَّليل على أنَّ النَّاسِخَ لا يأخُذ في اعْتباره سوى صَفْحَةٍ واحدة في الوقت نفسه[٦١]؛ ولم تبدأ العِنايَةُ بالصَّفْحَتين المتقابلتين إلَّا مُتأخِّرًا، كما تكشف عنه مُحاولاتٌ بدأت على اسْتِحْياءٍ في القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي لضَبْطِ تَوازُن نهاية المُصْحَف. وتَشْهَدُ قِطْعَةٌ من مُصْحَفٍ تعود إلى هذه الفَتْرَة (إستانبول TIEM SE 2002، ورقة ٤ظ – ٧ظ) على الجُهْد الذي بَذَلَه النَّاسِخُ ليَجْعَل عَناوينَ السُّوَر في وَضْعٍ مُتماثِلٍ على أرْبع صَفَحَات مُتقابلَة، حتى وإن لم يَدْفَع التَّزْيينُ هذا الفِعْل إلى نهايته[٦٢]. وظَلَّ التَّشَبُّث بتحقيق هذا الغَرَض على الأخَصّ حتى وَجَدَ التَّعْبيرَ عنه بطريقةٍ فَريدَةٍ في المَصَاحِف العُثْمانية أو المُسْتَوْحاة منها. لقد نَجَحَ نُسَّاخُ مَخْطُوطات إستانبول رقم TIEM 469 ومجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 33[٦٣] والمكتبة الوطنية بتونس رقم 14246، في إظْهار الكلمة أو الكلمات نفسها مكتوبةً بالمِداد الأحمر على السَّطْر نفسه للصَّفْحَة اليُمْنى والصَّفْحَة اليسرى في نفس الوَضْع النِّسبي بالنِّسْبَة للمِحْوَر المارّ بمُؤَخَّر الصَّفْحَة (شكل ٤٠)؛ وفي سُورَة الشُّعَراء (رقم ٢٦) كانت مُتتالياتٌ كامِلَة من النَّصّ تَظْهَرُ بطريقةٍ مُتماثِلَة[٦٤].

190 / إنَّ هذا الأُنْمُوذَج الأخير يُقَيِّم دَوْرَ إخْراج الصَّفْحَة في المحاولات التي قامَ بها النُّسَّاخُ المسلمون لتسويغ صِناعَة المَخْطُوطات. وتَرْتكز المُعالجَة التي جِئْنا على وَصْفِها على تَقْطيع النَّصّ القُرْآني إلى وِحْدات متساوية الأبْعاد: وقد نَفَّذَ هذا العَمَل بنجاحٍ

---

٦١. F. Déroche, *op. cit.*, (*I primi sessanta anni di scuola...*).

٦٢. F. Déroche, *op. cit.*, (*Mss du MO*), p. 110 - 111.

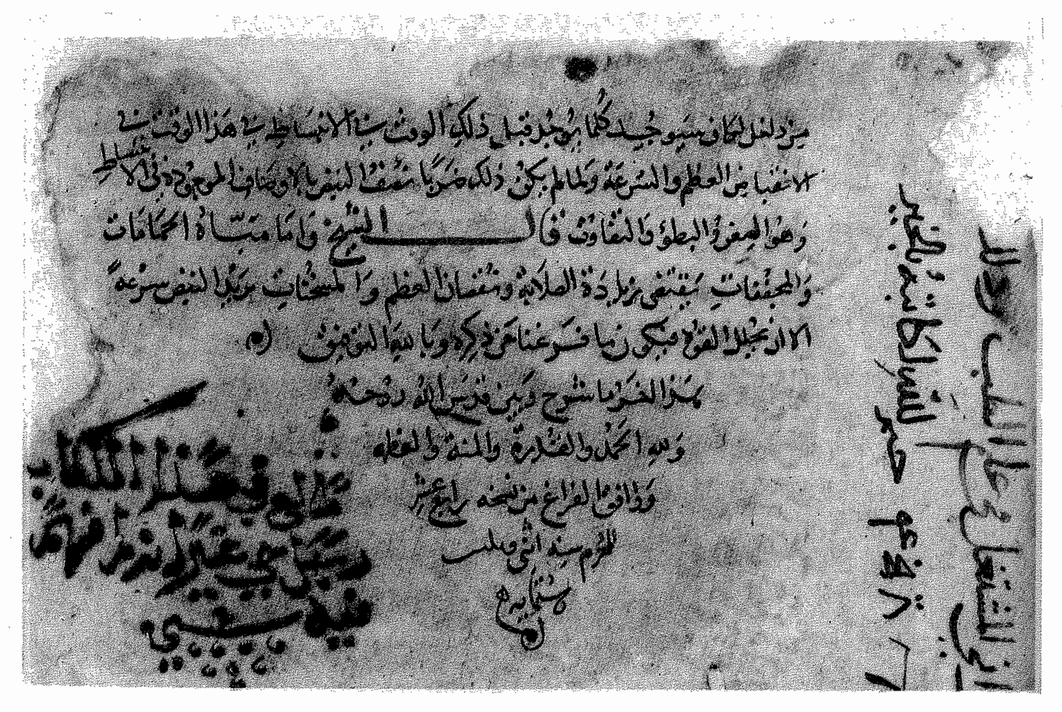
٦٣. M. Bayani, A. Contadini et T. Stanley, *The decorated word, Qur'ans of the 17th to 19th centuries* [The N. D. Khalili collection of Islamic art, 4], Londres, Azimuth editions, 1999, p. 121, n°40.

٦٤. F. Déroche, «The Ottoman roots of a Tunisian calligrapher's tour de force», in Z. Yasa Yaman (ed.), *Sanatta etkilesîm Interactions in art*, Ankara 2000, pp. 106-109.

٦٧. حَرْدُ مَتْنٍ مَغْرِبي، سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م. باريس BnF arabe 1451، ورقة ٩٨.



٦٨. حَرْدُ مَتْنٍ شَرْقي على هَيْئَة مستطيل مُؤَرَّخ في سنة ٥٨٤هـ/١١٤٨م



٦٩. حَرْدُ مَتْن على شكل مُثَلَّث مُؤرَّخ سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م

باريس رقم BnF arabe 6845 ، ورقة ١٢٠ظ.

٧٠. حَرْدُ مَتْنٍ مُزَيَّن . بُسْت سنة ٥٠٥هـ/١٠١٢م.

باريس BnF arabe 6041، ورقة ١٢٥.

٧١. حَرْدُ مَتْنٍ مسيحي مُزَخْرَف. مصر سنة ١١٥٦ للشُّهَداء/١٤٤٠م

باريس BnF arabe 131، ورقة ٧١ظ

النُّسَّاخُ العُثْمانيون الذين تَوَصَّلُوا انْطِلاقًا من التَّقْسيم التَّقْليدي للمصحف إلى «أجزاء» و «أحْزاب» ، إلى تحديد صَفَحات ذات خمسة عشر سَطْرًا لحَجْمٍ يُقارب غالِبًا ١٨×١٢سم ، باستثناء صفحات البداية والنِّهاية ، وكانت الزَّخْرَفَةُ نفسها مُوَحَّدَة النَّمَط (إطارات ، إشارات إلى الأقسام ... إلخ) . وخَضَعَت نُصُوصٌ أخرى ذائِعة الانتشار لإعْدادٍ مُماثِل . ومع ذلك ، فلا يجب أن نَتَجاهَل ، عند فَحْصِ سلسلةٍ من النُّسَخ المُتقاربة ، أن نأخُذَ بعين الاعْتبار التَّأثير الذي يفرضه الأُنْموذَج نفسه على النَّاسِخ . وقد حَلَّلَ رودلف سلهايم R. Sellheim مجموعًا من سِتِّ نُسَخٍ من كتاب «النُّقاية مُخْتَصَر كِتاب وِقايَة الرِّواية في مَسائِل الهِدايَة» لصَدْر الشَّريعة الثَّاني ، كُتِبَت خلال القرن التَّاسع عشر ، وتُظهر تَشابُهًا كبيرًا فيما بينها ، وتَوَصَّلَ إلى إمْكانية أن تكون قد كتبها عَدَدٌ من النُّسَّاخ في أحَد مَدَارِس أو خَوانِق آسيا الوُسْطَى[٦٥] (بُخَارَى أو سَمَرْقَنْد) .

وتُطابِقُ حُدُودُ ضَبْط المِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة شكل المُسْتَطيل ، باسْتثناء بعض المَصَاحِف المبكرة[٦٦] ، أو مَصَاحِف أخرى مَصْدَرُها من المغرب[٦٧] ، حيث نجد بها شَكْلًا أقْرَب إلى المُرَبَّع . فهل لجأ النُّسَّاخُ إلى الاهْتمام بتَناوُب أساليب الخَطّ ونِسَب حُرُوفه للتَّهَرُّب من الإخْراج المُتَكَرِّر بكثرة لشكل الصَّفْحَة ؟ ووُجِدَت منذ بِدايَة القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وعلى الأخَصّ في الدَّائرة الفارسية ، العَديدُ من المصاحف التي تشتمل على ثلاثة أسْطُر بحجمٍ كبير ، غالِبًا ما يُوضَع كُلُّ سَطْرٍ منها داخِل إطارٍ يَشْغَل أعلى الصَّفْحَة ووَسَطَها وأسْفَلَها ؛ ويُوجد بين الإطارَيْن الأوَّلين ثم بين الإطارَيْن الأخيرين مجموعتان من السُّطُور المكتوبة بأحْرُفٍ صغيرة ، عادَةً ما تكون

---

٦٥. R. Sellheim, *Materialen* 1, p. 125 - 127؛ والمخطوطات المدروسة محفوظة في مكتبة الدولة ببرلين (or. oct. 470, 1762, 1770, 1771, 1773 et 3531) ، وقياسها ما بين ٢٣×١٣ و٢٦×١٥,٥سم ، وتضم سبعة أسطر في الصفحة. (فيما عدى رقم or. oct. 1762 الذي يضم تسعة أسطر) في خُطُوطٍ ترتبط بتقليد واحد .

٦٦. وهي على الأخصّ في حالة قطع المصاحف من نوع B Ib، مثلا مصحف باريس رقم Paris, BnF arabe 327 الذي تبلغ المساحة المكتوبة فيه ، كما سبق أن شرحنا سابقا ، ٢٢×٢٢,٥سم ؛ (راجع : F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 68, nº19 ولوحة IV, A.) .

٦٧. يشيعُ الشكل المربع لمصاحف بلاد المغرب المنسوخة على الرق بما فيه الكفاية بشكل يجعل من غير المجدي أن نعود إليه الآن ، راجع مثلًا F. Déroche, «Cercles et entrelacs : format et décor des corans maghrébins médiévaux», *Académie des inscriptions et belles-lettres, Comptes rendus des séances de l'année 2001*, pp. 593-620.

بالمِدَاد الأسْوَد، في حين تكون السُّطُورُ الأخرى غالبًا بالمِداد المُلَوَّن ـ الأزْرَق أو الذَّهَبي.

وتُعَدُّ المَصَاحِفُ الصَّغيرة المُثَمَّنَة الأضْلاع استثناءً عن الوَضْع المألُوف للنَّصّ. وبسبب شكلها الخاصّ فإنَّ مِسَاحَة الكتابة داخلها تكون إمَّا دائرية وإمَّا مُثَمَّنَة[٦٨].

195 / وتُعالَج حُرُودُ المَتْن أحيانًا بطَريقةٍ مُخْتصَّةٍ بها (شكل ٦٧-٧١). وغالبًا ما نجدها مُسَجَّلَةً في حَيِّزٍ مُثَلَّثٍ في نهاية المَخْطُوط (شكل ٦٩). ويُقَدِّمُ مَخْطُوطُ لندن رقم BL Add. 5965، الذي يعود تأريخه إلى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م (ورقة ٨٨ظ)، أُنْموذَجًا قديمًا على ذلك، غير أنَّ حَرْدَ مَتْن أحَد نُسَخ كتاب «اللُّمَع في النَّحْو» لابن جِنِّي (برلين رقم SB or. oct. 3538، الورقة ٧٠، المؤرَّخ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) يمكن أن يُقَدِّم مَرحلَةً سابقةً على هذا الشَّكل المُثَلَّث، ويبدو أنَّ مَصْدَرَ الاثنين هو إيران. وفيما بعد اتَّخَذَت حُرُودُ المَتْن أشْكالًا أكثر تَنَوُّعًا: دَائِرَة (مَخْطُوط مجموعة ناصِر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 27 المُؤَرَّخة سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨ـ ٩٩م)[٦٩]، أو هالة مُتَعَدِّدَة الفُصُوص (مجموعة تبريز، رقم ٥١، المُؤرَّخة سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢ـ ١٣)[٧٠]... إلخ.

٦٨. تظهر هاتان الوضعيتان جنبا إلى جنب في كتالوج مبيعات سوسبي Sotheby (مبيعات يوم ١٦ أكتوبر، الحصة ٢٨ و ٢٦).

٦٩. J. Rogers, GENÈVE 1995, P 70, N 31.

٧٠. M. A. Karim Zadeh Tabrizi, *Ijazat nameh, Icâzet name*, the most unique and precious document in Ottoman calligraphy, London 1999, pp. 125-126.

الحرفيون وصناعة المخطوط

قد يَبْدو من قبيل التَّزَيُّد الحَديث عن عَمَلِ النَّاسِخ في إطارِ هذا المَدْخَل عن عِلْم المَخْطوطات العربية الإسلامية . فمن جِهَةٍ ليس من السَّهْلِ دائمًا الإحاطة بهذا الجانِب من صِناعَة الكتاب في شكله النِّهائي . إذْ ما تزالُ بعضُ القضايا الأساسية ، مثل هُوِيَّة من كُتِبَت له النُّسْخَة والمكان الذي أُنْجِزَت فيه والوَقتِ الذي اسْتَغرَقته ، غالبًا بدون إجابَة . ومن جِهَةٍ أخرى فإنَّ بعض النَّماذِج المُسْتَنَد إليها لتوضيح هذه النُّقْطَة أو تلك اسْتُمِدَّت من مَصَادِرَ أدبية أو مُصَادَفَةً من وثائِق أرْشيفية وتتَطَلَّبُ مقابلتها على المخطوطات نفسها . وأخيرًا ، فإنَّ الفُصُولَ السَّابقة أتاحَت لنا تَتَبُّع صِناعَة الكتاب ، ومن هذا المنطلق فقد أعْطَتْنا صورةً عن عَمَلِ النُّسَّاخ ؛ وفوق هذا فإنَّ حُرُودَ المَتْن ـ التي تُعَدُّ مَصْدَرًا قاطعًا في هذا المجال ـ تتطلَّبُ أن نَعْرِفها على حِدَة ، وهو ما سنقوم به بعد قليل . ونظنُّ مع ذلك أنَّه قد آنَ الأوانُ لكي نَلْفِتَ انْتباه الباحثين إلى أهمية هذه المسألة من المَنْظُورِ الأوْسَع لتاريخ الكتاب في العالم الإسلامي . لذلك فإنَّ هَدَفَنا في هذا الفَصْل هو الإشارة إلى بعض المجالات المفتوحة أمام البَحْث .

هُوِيَّةُ النُّسَّاخ

من هم هؤلاء الرِّجال ، وأحيانًا النِّساء [١] ، الذين تفانوا في هذه المِهْنَة الصَّعْبَة ، مِهْنَة نِسَاخَة المَخْطوطات ؟ إنَّ حُرُودَ المَتْن مقتضبة في العُمُوم بحيث إنَّها حينما لا تكشف عن اسْمِ شَخْصٍ معروفٍ في مصادر أخرى : مُؤَلِّف ، عالم ، طبيب ... إلخ ، يكون

١. إنَّ النساء الخطاطات هن اللواتي أثرن الانتباه هنا : راجع ز. م. عباس «نساء خطاطات» ، المورد ، ٤/١٥ (١٩٨٦) ، ١٤١ ـ ١٤٨ ؛ S. al-Munajjid, «Women's roles in the art of Arabic calligraphy», *The Book in the Islamic World*, p. 141-148.

199

من العسير علينا جِدًّا أن نتَعَرَّف على هُوِيَّة ناسِخ النَّص . ففي غِيابِ فهارِس المخطوطات المُؤَرَّخَة المُزَوَّده / بكشَّافات مُدَقَّقة ، وأيضًا بقوائم بأسماء النُّسَّاخ ، فإنَّ إعادَة بناء الأثَر أو البحث عن أحَدِ هذه العَنَاصِر يظلُّ حاليًا هَدَفًا بعيد المنال [٢] .

الحِرَفِيُّون

تَدْعُونا المكانَة السَّامية التي يحتلُّها فَنُّ الخَطِّ في العالم الإسلامي أن نَذْكُرَ بطبيعة الحال الخَطَّاطين الذين انْفَصَلوا بداءَةً عن مجموع النُّسَّاخ . وغالبًا ما نجد ترجماتهم مذكورةً بطريقة مُوجَزَةٍ في المؤلَّفات المُتَّصِلَة بفَنِّ الخَطّ [٣] ، كما أنَّ إنْتاجَهم يُحاطُ باحْتِرامٍ خاصّ . ونعرفُ من خلال ما وَرَدَ في حَرْدِ مَتْن مُصْحَفيّ مكتبة فرنسا الوطنية رقمي Bnf arabe 6082 و 6716 أنَّهُما بخَطِّ ياقُوت المُسْتَعْصِمي المشهور ، ويحمل كلا المُصْحَفَيْن تقاييد تَكْشِفُ التَّقْدير الذي أحاطَ بهما بالرَّغم من أنَّ النُّسْخَة رقم 6082 نسخة مُزَيَّفَة .

ومع ذلك ، ودون الدُّخُولِ في الجَدَلِ حول مسألة التَّزْوير التي يَطْرَحها هذان المخطوطان ، فإنَّ عالِم المخطوطات يجد نفسه في مُواجهة قَضِيَّةٍ مُحَيِّرَة حَقًّا : هل يجب أن نُدْرِجَ هذه النُّسَخ في فِئَةٍ خاصَّةٍ بها ؟ وإذا كان الحالُ كذلك فكيفَ نُحَدِّدُ شخصية الخَطَّاطين ؟ فبعضُ النُّسَخِ تُعْلِنُ بوضوح عن هذه النوعية : فإحدى نُسَخِ «كَليلَة ودِمْنَة» ، المكتوبة سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م ، وَقَّعها شَخْصٌ يُدْعَى محمد بن محمد بن عُمَر بن الكمال الخطَّاط .

٢. نجح «ريشارد» في كثير من الحالات في العثور على أثر ناسِخٍ واحدٍ عبر المخطوطات ، راجع : (Paris 1997, *passim*).

٣. من بين العديد من الكتب التي تنتمي إلى هذا النوع الأدبي ، نذكر سليمان مستقيم زاده : تحفة الخطاطين ، تحقيق م. ك . إينال ، إستانبول ، ١٩٢٨ ؛ Qadi Ahmad, *Calligraphers and Painters. A Treatise by Qadi Ahmad, son of Mir-Munshi (ca A. H. 1015/A. D. 1606)*, trad. V. Minorsky, Washington, 1959 ؛ أو أيضًا الزبيدي : حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٤م .

٤. مخطوطتا باريس رقما BnF arabe 6082, 6716 ، وانظر بخصوص ياقوتِ : (F. Déroche, Cat. I/2, p. 92-93, nº 458, et p. 122, nº 523 ولوحة XXVI A ؛ و N. D. James : *The Master Scribes*, p. 58-59 ؛ Çetin, «Yâqût Musta'simî», في *Islam Ansiklopedisi*, t. XIII, p. 352-357.

٥. مخطوط جنيف رقم B. Bodmer ms 527 ؛ *FiMMOD* 174 .

وكما ذكرنا فإنّ بعض المؤلَّفات المُتَخَصِّصَة اعتبارًا من فترة مُعَيَّنَة تقوم بإحْصَاءِ هؤلاء الفَنَّانين، وأدْخل نِظامُ تدريس الخَطِّ المطابق لِنِظام تَدْرِيس العلوم الدِّينية نِظامَ «الإجازَة» في فَنِّ الخَطّ. وتُمَكِّننا هذه المصادِرُ من تحديد هُوِيَّة بعض الخَطَّاطين، ولكنَّها أبْعَدُ من أن تُحِيطَ بكلِّ العالم الإسلامي، فالأمْرُ يَتَعَلَّقُ بممارسةٍ حَدِيثَةٍ نِسْبِيًّا ولا تُغَطِّي بطريقةٍ مُنْتَظِمَة كلَّ المناطِق. فكم من المخطوطات القديمة المعروضة في معارض أو في المؤلَّفات المُخَصَّصَة لفَنِّ الخَطِّ العربي وتَحْمِل في حَرْدِ مَتْنِها / اسم ناسِخٍ لا تعرفه كُتُبُ التَّراجِم التي بَحْوزَتنا؛ فهَل سنعتبر أنَّ الأمْرَ لا يَتَعَلَّق بخَطَّاط؟

يبدو إذًا أنّه من غير المُفيد أن نَصْنَع من كلِّ القِطَعِ فِئَةً خاصَّةً. ويكون من الأفْضَلِ - كما يقترح رودلف سلهايم Rudolf Sellheim[٧] - أن نَدْمِجَ الخَطَّاطين في المجموعة الواسعة للنَّسَّاخين المحترفين والذين جَمَعْنا بشأنهم بعض المعلومات لكي نُوَضِّح تَنَوُّع الحالات. ويخبرنا مُؤَلِّفُ تاريخٍ لقُرْطُبَة، أُلِّف في فَتْرَة الأُمَويين بالأنْدَلُس، أنّه كانت تُوجَد في الرَّبَضِ الشَّرْقي الوحيد للمَدينَة «مائة وسبعون امْرَأة يَنْسَخْن المَصَاحِفَ بالخَطِّ الكوفي»[٨]: ومن الممكن أن نَظُنَّ أنَّ الأمْرَ يتعلّق هنا بأشْخَاصٍ يتعيَّشون من نِساخَة الكُتُب. وفي العَصْرِ القديم نجد أمامَنا وَجْهًا مألُوفًا هو «الوَرَّاق»، بالرَّغْم من أنَّه قد يَصْعُب علينا أحيانًا أن نُدْرِجَ شَخْصًا مُتَعَدِّدَ الأنْشِطَة في فِئَةٍ محدَّدَة. وقد سَجَّلَ يوهان بدرسين Johannes Pedersen عددًا من الرِّوايات المرتبطة بالوَرَّاقين يبدو فيها «الوَرَّاق» في وَضْعٍ يُشْبه وَضْعَ ناشِرِ الكُتُب الحديث[٩]. فهو يُدير حانُوتًا ويبيع كُتُبًا:

٦. U. Derman, «Türk yazî san'atînda icazetna-meler ve teklid yazîlar», VII. *Türk tarih kongresi* II [T. T. K. yay. IX/7 a], Ankara, 1973, p. 716-728; F. Déroche, «Maîtres et disciples : la transmission de la culture calligraphique dans le monde ottoman», *REMMM*, 75-76, 1995, p. 85-87; M. A. Karimzadeh Tabrizi, *Ijazat nameh, Icazet name, The most unique and precious source on Ottoman calligraphy*, Londres, 1999.

٧. وضع سلهايم جنبًا إلى جنب في الكشاف رقم ٢ من *Materialen*، تحت عنوان «Ductus» فئتي «الخطاطين» و«الحرفيين»، (P. 411).

٨. ابن الفياض، مذكور في: J. Ribera, «Bibliófilos y bibliotecas en la España musulmana», dans *Disertaciones y opúsculos*, t. I, Madrid, 1928, p. 199.

٩. J. Sadan, *The Arabic book*, p. 43؛ «Nouveaux documents sur scribes et copistes», *REI*, 45, 1977, p. 41-56.

فهل نَسَخَ هذه الكُتُب؟ من الصَّعْبِ أن نقول ذلك[١٠]. ويَبْدو أنَّ تَعَدُّدَ الكفاءات هو القاعدة في مِهَنِ صناعة الكتاب[١١]: فعلى سبيل المثال تُوجَدُ مخطوطاتٌ كَتَبَها نُسَّاخٌ وَصَفُوا أنفسهم في حُرود المَتْن بأنّهم «وَرَّاقون» - فمُصْحَفُ «الحاضِنَة»[١٢] (المَنْسُوخ سنة ٤١٠هـ/١٠١٩-١٠٢٠م) ومُصْحَفُ مَشْهَد أسْتاني - قُدْس[١٣] ٤٣١٦ (المَنْسُوخ سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣-١٠٧٤) تنطبق عليهما هذه الحالة[١٤]. ويُوَضِّحُ النَّصُّ التالي طَبيعَة نَشَاط عليّ بن أحمد وعثمان بن حسين: فكلُّ واحِدٍ منهما انْتَسَخَ النَّصَّ ورَقَمَه وزَخْرَفَ المَخْطُوط وجَلَّدَه في النِّهايَة. فهل كانت مُهِمَّةُ الوَرَّاق هي السَّيْطَرَة على

١٠. وجد سعدان في وثائق جنيزة القاهرة جَرْدًا لممتلكات ناسخ يهودي، الشيء الذي يُمَكِّننا من أن نُكَوِّن فكرة عن الحالة التي كانت عليها أدَوَاتُ المهني في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

١١. يمكن أن نثير الملاحظة نفسها في ميدان قريب ألا وهو التَّجْليد، انظر: Y. Porter, *Peinture et art du livre*, p. 170، وسنصادف فيما بعد صورة مُجَلِّد وهو في الوقت نفسه ناسخ. (انظر فيما يلي).

١٢. مصدر هذا المخطوط الجامع الكبير بالقيروان (راجع: B. Roy et P. Poinssot, *Inscriptions arabes de Kairouan*, Paris, 1950, p. 27-32 et fig. 7-8). فحَرْدُ مَتْن الختام ليس أثرا للناسخ بمفهومه الصحيح، ولكنه من يد امرأة كاتبة اسمها دُرَّة. ويبدو أن العديد من المؤسسات التونسية تحتفظ بعناصر منه: وتوجد أوْراقٌ منه في مركز الفن الإسلامي بَرقَّادَة بجانب القيروان (راجع: (Paris 1983, p. 273, nº 356; Paris 1995, p. 9)، وهو الحال بالنسبة لمتحف باردو بتونس (cf. Inv. 277; Paris 1983, p. 273, nº 357). وبالنسبة للمكتبة الوطنية (مخطوط Rutbi 13 ينظر M. Lings et Y. H. Safadi, Londres 1976, p. 30, nº 26).

١٣. أحمد كلچين معاني: «شاهكار هاي هُنَري شِكِفْت انكيزي آزِ قرنِ پنْجم هجري وسَرْگَزَشْتِ جيرتَ آورِ آن»، هُنَرومَرْدُوم ١٧٥، ١٣٤٥/١٩٧٦، ص ٤٥-٦٥؛ وأيضًا رهمناي كنجينه هاي قرآن؛ مشهد ١٣٤٧/١٩٦٩، ص ٤٩ رقم ٢١. وقد يكون الناسخ نفسه قد أنجز أيضًا مخطوط إستانبول رقم TKS E.H. 209. راجع أيمن فؤاد سيد: المخطوط، اللوحة ٧). وقبل ذلك بقليل يحمل مخطوط آخر نُسِخَ في المنطقة أيضًا هو مخطوط Leyde, BRU Or. 437 توقيع وراق هو أبو بكر محمد بن أبي رافع، (انظر: P. de Jong et M. J. de Goeje, *Catalogus codicum orientalium bibliothecæ Academiæ Lugduno Batavorum*, t. IV, Leyde, 1866, p. 60-61, nº 1735; P. Voorhoeve, *Handlist of Arabic manuscripts in the Library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands* [Codices manuscripti, 7], 2 éd., La Haye/Boston/Londres, 1980, p. 162; S. M. Stern, «A manuscript from the library of the Ghaznawid Amir 'Abd al-Rashid», في R. Pinder-Wilson éd., *Painting from Islamic lands*, Oxford, 1969, p. 12 et pl. 8، ووَرَدَ الاسم في النص بصيغة ناقصة). وجَمَعَ حبيب الزيات عناصر من أصل أدبي في مقاله «الوراقة وصناعة الكتاب ومعجم السفن»، ص ٧ - ٤٠.

١٤. وهناك مصحف آخر، وقعه عثمان بن الحسين الوراق، انظر: F. Déroche, «Une reliure du Ve/XIe siècle», *NMMO* IV/1, 1995, p. 4-5 ولوحة I): ويتعلق الأمر فيما يبدو بحالة مُجانسة، ولكننا لا نستبعد أن يكون هذا التَّوْقيع بهَدَف رفع قيمة النسخة.

مجموع عملية صِناعَة الكتاب المخطوط ؟ إنَّ هذه القُدْرَة / قد تكون مطلوبةً في فَتْرَةٍ مُبَكِّرَة : فلم يكد يَمْضي على المثالَيْن اللذين أتينا على ذكرهما قَرْنٌ من الزَّمن ، حتى وَجَدْنا الرَّاوَنْدي صَاحِب «رَاحَة الصُّدُور» وهو أيضًا خَطَّاطٌ يُعْلن ، في نهاية القرن السَّادِس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، «أنَّه تَعَلَّم سبعين نَوْعًا من الخُطُوط العربية ، وبَاشَرَ نَسْخ المُصْحَف وزَخْرَفَة وتَجْليد الكُتُب ، وهي فنونٌ أجادَ إتْقانَها» [15]. إنَّ ناسِخ مخطوط مونتريال رقم McGill ISL 91، المؤرَّخ سنة ٩٦٧هـ/١٥٦٠م ، والذي لم يكن متعدِّد الكفاءة كسابقيه ، كان هو أيضًا مُزَخْرِفًا [16]. وهل كانت للنَّاسِخ الذي وَقَّعَ في سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م مخطوط المكتبة البريطانية بلندن رقم BL Add. 25026 [17] اختصاصاتٌ أقَلَّ مقارنة بالوَرَّاقين الذين ذكرناهم ؟ وتذكر المَصادِرُ أنَّ النَّسَّاخين المحترفين كانوا يَجْلِسون في الأسواق : وليس من السَّهْل دائمًا أن نعرف إذا كان الأمْرُ يتعلَّق بنُسَّاخٍ أو بباعَةِ كُتُبٍ عندما تَصفهم المَصادِرُ بالوَرَّاقين [18]. وفي مَطْلَع القرن السابع عشر الميلادي كانوا يُمارِسُون نشاطهم في آسيا الوُسْطى في السُّوق (bazar) [19].

وتَجْعَلُنا حُرُودُ المَتْن نُقابِل بالمُصَادَفَة مُمَثِّلين لمِهَنٍ أخرى للكتاب ، هكذا قَدَّمَ لنا ناسِخُ مخطوطِ المكتبة البريطانية بلندن رقم BL Add 7214 نفسه كـ «مُذَهِّب» [20]، ووَصَفَ محمود درويش ، ناسِخُ مخطوطِ باريس BnF الملحق الفارسي رقم 1411 ورقم 1528، نفسه بـ «النَّقَّاش» : فقد يكون قد نَسَخَ النَّصَّ وقام بعَمَلِ تصاوير المجلَّدين [21].

وقد يُضطَر بعضُ مُحْتَرفي الكتابة ، مثل «الكاتِب» إلى الخُرُوج عن هذه التَّخَصُّصات الصَّارِمَة لكتابة النُّصُوص . ففي سنة ٦٥٢هـ/١١٦٧م كَتَبَ علي ابن

١٥. D. Meneghini Correale, «Il capitolo sulla scrittura nel *Rahat al-sudur* di Muhammad ibn 'Ali ibn Sulayman al-Rawandi», *Annali di Ca'Foscari* 33/3, Série orientale, 25, 1994, p. 231.

١٦. A. Gacek, *Arabic manuscripts in the libraries of McGill University*, Union catalogue [Fontanus monograph series, 1], Montréal, 1991, p. 227, nº 253/1.

١٧. *FiMMOD* 157.

١٨. راجع ، حبيب الزيات : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

١٩. M. Szuppe, «Lettrés, patrons, libraires. L'apport des recueils biographiques sur le rôle du livre en Asie centrale aux XVIe et XVIIe siècles», *Cahiers d'Asie centrale*, 7, 1999, p. 109.

٢٠. *FiMMOD* 163.

٢١. F. Richard, *op. cit.*, p. 115, nº 77.

جَعْفَر بن أسَد الكاتِب نُسْخَةً من المُصْحَف وَقَفَها أبو القاسم محمود بن زَنْكي [22]. وبعد ذلك بقليل كَتَبَ كاتِبٌ آخَر هو أميرُ حاجّ بن آقْسُنْقُر القُونَوي مخطوط باريس BnF الملحق الفارسي رقم 1447 [23]، وهو مُعاصِرٌ تقريبًا للخَطَّاط الذي كَتَبَ نسخة «كَلِيلَة ودِمْنَة» المذكورة آنِفًا . وكَتَبَ حافِظ إبراهيم كاتِب طوبجي قَلْعَة كافية في سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م مخطوط باريس BnF / الملحق الفارسي رقم 2105. ونضيف إلى ذلك اسم سَيِّدي محمد المُفْشي ، الذي كَتَبَ العَديدَ من المخطوطات بأسلوبٍ شديد القُرْب من أسلُوب كتابَة ديوان إنْشَاء آق قويونلو [24]. ولم يُضِفْ هؤلاء بعد كل ذلك سوى أنهم اقْتَفَوا أثَر الخَطَّاط الشهير ابن مُقْلَة : وقد أتاحت دواوينُ الإنْشَاء للمُتَخَصِّصين في الخَطّ إمكانية مُمَارَسَة مِهْنَتِهم بجوار الأمير ، وإن تَخَلَّوا عن ذلك ، في حالةَ الضَّرورَة ، ليَعْمَلوا في الإدارة أو في المكتبة [25]. ففي مخطوط باريس رقم BnF ar. 6997 يُشير عبد القادر الشُّكْري إلى صِفَتِه كمعلِّم للخَطِّ لدى الباب العالي [26].

العُلَماءُ والهُوَاة

كان ياقوتُ الحَمَوي يتكَسَّبُ عَيْشَه بالنَّسْخ بالأُجْرَة [27]، تمامًا كما سَبَقَه إلى ذلك الفيلسوفُ يحيى بن عَديّ [28]. ولجأ العُلَماءُ وكذلك الطَّلَبَةُ إلى نَسْخ الكُتُب مقابل أجْر . وقد يَحْدُثُ أيضًا أن يَنْسَخُوا الكُتُب في إطار دراستهم ، فعلاوةً على أنَّ الأمْرَ يَتَعَلَّق بتوفيرهم للكُتُب التي يحتاجون إليها ، فإنَّ النُّسْخَة قد تُشَكِّل عُنْصُرًا في عملية نَقْل المَعْرِفَة كما تُوَضِّحه أحيانًا إجازاتُ السَّماع والقِراءة المُثْبَتَة عليها [29]. ويَخْتَلِفُ

٢٢. مخطوط كاير ريشموند Keir Richmond, Collection nº VII, 3 et 4 (B. Robinson, *Islamic painting and the arts of the book*, p. 287-288).

٢٣. *FiMMOD* 1.

٢٤. F. Richard, «Divani ou ta'liq», *Mss du MO*, p. 89-93.

٢٥. J. M. Rogers, Berlin 1988, p. 73-74.

٢٦. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 114, nº 508, ولوحة XXIV A.

٢٧. ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، د.ت ، ٦: ١٢٧.

٢٨. قد يكون هذا الفيلسوف العربي المسيحي قد نَسَخ تَفْسير الطَّبَري الضَّخْم مرتين . (J. Pedersen, *The Arabic book*, p. 43).

٢٩. انظر فيما يلي . وانظر أيضا J. Pedersen, *op. cit.*, p. 32-33, n. 32.

المَظْهَرُ النِّهائي للمَخْطوط بشَكْلٍ كبير حسب الحالات : ففي الواقِع هناك فَرْقٌ كبيرٌ بين العَمَلِ لِحِسابِ شَخْصٍ يَشْتَرِط دَرَجَةً من وُضوح الخَطّ ، أو أن يَكْتُبَ الإنْسانُ لنفسه وهو يعرف أنه قادِرٌ على إعادة قراءة ما كَتَبَه . ويمكن لبعض المعايير الخارجية مثل ترتيب الكتابة أو إخْراج الصَّفْحَة أن تمدّنا عند الاقتضاء بمُؤَشِّرات بهذا الخُصوص تتطلّب دراستها باحْتِراز . وقد يمدُّنا حَرْدُ المَتْن أحيانًا بإجابة حاسِمَة عندما يذكر النّاسِخُ أنّه كَتَبَ ذلك «لنفسه» [٣٠]، ولكن يجب أن نتجنَّب أن نَعْتَبِرَ كلَّ مَخْطوطٍ كُتِبَ في هذه الظُّرُوف مُهْمَلًا في خَطِّه . وأخيرًا يمكن أيضًا للـ«هُوَاة» أن يُصْبِحوا عند الحاجة نُسّاخًا ، ويَظْهَر هذا الأمر بوَجْهٍ خاصّ في المصاحف وكُتُب التَّوَسُّل . وكما أكَّدَ شادمان ڤاهيدوف Shadman Vahidov/ وأفْتنديل إركينوف Aftandil Erkinov فإنَّ 203 كثيرًا ممَّن خَدَمُوا لَدَى صَدْري ضِياء ، في آسيا الوُسْطَى في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، كانوا من أصدقائه . «فأيّ قاضٍ أو مُفْتٍ أو مُدَرِّس أو أي شَخْصٍ آخر يَمْتَلِكُ خطًّا جميلًا ، كان يمكنه نَسْخُ الكتب سواء بناءً على طَلَبٍ أو لاستخدامِه الشَّخْصي» [٣١]. والمَخْطوطُ الذي بخَطِّ مُؤَلِّفه يُعَدُّ أُنْموذَجًا خاصًّا يَجْذِب على الأخَصّ اهتمام مُحَقِّقي النُّصوص .

تقاليدُ شَخْصية

نادِرًا ما نجد في حَرْدِ مَتْنِ المخطوطات العربية الإسلامية إشارات عن شَخْصِيَّة النَّاسِخ أو عن الأحْوال التي وُجِدَ فيها وهو يُتِم نَسْخَ الكتاب . وقد تَتَسَرَّبُ أحيانًا تفصيلةٌ ذاتيةٌ كما في حالة مخطوط برلين رقم SB or. 4794 ، حيث يشير النَّاسِخُ إلى أنَّ والِدَه كان خَطيبَ جامِعِ أحمد باشا [٣٢]. وفي مخطوط باريس رقم BnF arabe 1612 نجد أنَّ النَّاسِخَ نفسه هو «إمام وخَطيب جامِع قِنَا» [٣٣]. وكانت الإيضاحات الموجودة على

٣٠. نشير إلى الأرقام التالية في FiMMOD: ٣٠، ٤٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٥، ٩٤، ١٧١، ١٨٧، ١٩٢، ٢٢٤، وانظر بهذا الخصوص الصيغ التي أثبتها أيمن فؤاد سيد : المخطوط ، ص ٤٥٥ - ٤٥٨.

٣١. Sh. Vahidov , A. Erkinov, «Le fihrist (catalogue) de la bibliothèque de Sadr-i Ziyâ': une image de la vie intellectuelle dans le Mavarannahr (fin XIX^{e} — début XX^{e} s.)», *Cahiers d'Asie centrale*, 7, 1999, p. 147.

٣٢. R. Quiring-Zoche, *Ar. Hss.*, 3, p. 35.

٣٣. Y. Sauvan , M.-G. Balty-Guesdon, *Cat.* 5, p. 159-160.

النُّسْخَة التي يَنْقل منها النَّاسِخُ ذات قيمة كبيرة في عَيْنِ النُّسَّاخ مثلما هو الحال مع مخطوطي مكتبة كوبريلي بإستانبول رقمي 949 و956 [٣٤]؛ وبالرَّغْم من نُدْرَتِها ، فإنَّنا نجد أصْدَاءً ذات صِبْغَة شَخْصية تَفْلِتُ عند الحاجة من القَلَم . وقد جَمَعَ ماكس ويسويلر Max Weisweiler بالنِّسْبَة للمخطوطات العربية وأنجلو ميشيل بيمونتيز Angelo Michele Piemontese بالنِّسْبَة للمخطوطات الفارسية [٣٦]، أبياتًا شعرية يُعَبَّر فيها عن أحاسيس مُصْطَنَعَة : وَرَع أو استجداء للقارئ ليَرْحَم النَّاسِخ على ضَعْفه .

ومُقارَنَةً بذلك ، نَجِد حُرُودَ مَتْنِ المخطوطات العربية المسيحية أكثر إطْنابًا . فكما أشار إلى ذلك جيرارد تروبو Gerard Troupeau، نجد أنَّ ذكر المكان الذي تَمَّ فيه النَّسْخُ أكثر تَرَدُّدًا في هذه المُدَوَّنات ، وتقابلنا العديدُ من صِيَغ التَّوَسُّل الصَّادرة عن النَّاسِخ وعبارات الاسْتِرْحام التي يُوَجِّهها إلى القارئ ، فتَدْخُل هذه النُّصُوصُ بذلك في مأثورِ آخر مخالِفٍ لحُرُودِ مَتْن المخطوطات العربية الإسلامية [٣٧].

204 /أماكِنُ النَّسْخ

إنَّنا نَفْتَقِد إلى المعلومات اللازمة التي تُمَكِّننا من تحديد المواضِع التي اسْتَقَرَّ فيها النُّسَّاخُ لمزاولة مُهِمَّتهم بنجاح . وتَمُدُّنا المَصَادِرُ أحيانًا ببعض المعلومات ، ولكنها تكون في أغلب الأحيان معلومات غير مكتملة . وقد تمكننا المعلوماتُ الواردة في حُرُودِ المَتْن كذلك من التَّعَرُّف على المحيط الذي عَمِلَ فيه النَّاسِخ . فنادِرًا ما نجد ذكرًا لاسم المَدينة التي نُسِخَ فيها المَخْطوط ، وأكثر نُدْرَةً أن نجد تحديدًا للمكان الذي أُنْجِزَ فيه العَمَل . وعند ظُهُور هذه المعلومة فإنَّها تُمَكِّنُنا من أن نُعيد تَصَوُّر الظُّرُوف التي باشَرَ فيها النُّسَّاخُ نَشَاطَهم .

٣٤. انظر مثلًا Sesen, R., «Esquisse d'une histoire du développement des colophons dans les manuscrits musulmans» في *Scribes*, p. 203 (nº 26) أو p. 204 (nº 29).

٣٥. R. Paret «Arabische Schreiberverse», في *Festschrift E. Littmann*, éd., Leyde, 1935, p. 101-120.

٣٦. «Devises et vers traditionnels des copistes entre explicit et colophon des manuscrits persans», في *Mss du MO*, p. 77-87.

٣٧. G. Troupeau, «Les colophons des manuscrits arabes chrétiens», في *Scribes*, p. 223-231.

ويدعو هذا الفَقْر في المعلومات إلى تَوَخّي الحَذَر ، فالتَّعْميماتُ والاسْتِقْراءُ أيضًا مغريان أكثر من كَوْنهما مَدْعاةً للمُجازَفَه . هكذا عَرَفَ مَفْهُوم Scriptiorum مُؤَخَّرًا بعض الشُّيُوع لوَصْف نَوْعٍ من مُنَظَّمات صِناعَة الكتاب في العالم العربي الإسلامي ، وعلى الأَخَصِّ في محيط بلاط الأُمَراء . غير أنَّ هذا المُصْطَلَح استعمله في الأصْل أهْلُ العُصُور الوُسْطىٰ للتَّدْليل على «مَواضِع في مُنْشأةٍ كَنَسية كانت تُمارَس فيها عملية نَسْخ الكُتُب» [٣٨]. ودون الحديث عن ما يحمله هذا المُصْطَلَح من تَنَوُّع لَدَى الغَرْب في العُصُور الوُسْطَىٰ ، يجب الاحْتِراز دون شك ممّا قد يُدْخله من انْحرافٍ في دراسة الطَّريقة التي نُسِخَت بها المخطوطات في الشَّرْق الإسلامي .

الـوِرَاش

لاشكَّ أنَّ وِرَشًا حقيقيةً ذات أَحجام متفاوتة قد وُجِدَت . فقد سَبَقَ أن ذكرنا واقِعًا عرفته الأنْدَلُس في العَصْر الأُمَوي ، وهو أنَّ الرَّبَض الشَّرْقي الوحيد لقُرْطُبَة عَمِلَت به «مائة وسبعون امْرَأةً في نَسْخ المَصَاحِف بالخطّ الكوفي» . فهل كُنَّ يَعْمَلْن مُنْعَزِلات عن بعضهن البعض ؟ أو كُنَّ يجتمعن في وِرَشٍ ؟ إنَّنا للأسف نَجْهَل هذا الأمْر . ولا يَشُك يوهان بدرسون Johannes Pedersen في أنَّ الوَرّاقين كانوا يَشْتَغِلُّون الغِلْمان في نَسْخ الكُتُب [٣٩] دون تحديدٍ للمَصْدَر ، الذي يمكن أن يكون إشارَةً مُخْتصرةً لابن النَّديم / في «الفِهْرِسْت» بأنَّ المماليك والجواري كانوا يَتَمَيَّزون بموهبتهم العالية في فَنّ الخطّ . ولا يُسْتَبْعَد أن يكونوا قد اشْتُغِلُّوا في نَسْخ الكتب [٤٠]، ولكن ، ومع افْتِراض أنَّهم عملوا بنَسْخ النُّصُوص ، فإنَّ ما ذكره ابنُ النَّديم لا يُشيرُ إلى الطَّريقة التي كان يتمُّ بها نَشَاطُهم . لقد كان ناسِخُ مخطوط خِزانَة القَرَويين بفاس رقم ٨٧٤ عَبْدًا للخَليفَة الأُمَوي الحَكَم الثّاني الذي نعرف تمامًا مَيْلَه للكتب [٤١]، فهل كان يعمل داخِل أحد

٣٨. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 66.

٣٩. J. Pedersen, *op. cit.*, p. 46 . ويظهر غلام في حَرْدِ مَتْنٍ نشره رمضان ششن : R. Sesen, *op. cit.*, p. 200, nº 21.

٤٠. ابن النديم : الفهرست ، تحقيق فلوجل ، ليبتسج ، ١٨٧١ ، ١/٧؛ نشرة رضا تجدد ، طهران ، ١٣٥٠/١٩٧١ ، ١٠ ، ترجمة دودج : B. Dodge, *The Fihrist of al-Nadim. A tenth century survey of Muslim culture*, New York/Londres, 1970, t. I, p. 12.

٤١. E. Lévi-Provençal, «Un manuscrit de la bibliothèque du calife al-Hakam II», *Hespéris*, 18, 1934, p. 198-200.

الوِرَش ؟ ورغم أنَّ عَدَدًا من المؤلِّفين ذَهَبُوا إلى أنَّ هذه المكتبة العامِرَة التي ارتبطت باسم الحَكَم الثّاني قد اسْتَخْدَمَت نُسّاخًا ، فلا شيء يجعلنا نَفْتَرِض وُجُود بناءٍ يُشْبِه الـ *Scriptorium* [٤٢].

وفي هذه الحالة فإنَّه يصْعُب علينا أن نعرف بوَجْهٍ خاصّ إذا كان العَمَلُ تم خِدْمَةً للخَليفَة الأُمَوي وحده . وبالمقابل ، يَتَّضح من حالاتٍ أخرى أنَّ الأمْرَ يتعلَّقُ بورَشٍ تستجيبُ لطَلَبات الأمَراء هُواة الكُتُب . وأحيانًا ما يُبْدي كُبَراءُ هذا العالم مَيْلًا مَلْحُوظًا لاقْتِنَاء الكُتُب ؛ ولا يكتفون فقط بجمع كلِّ نادِرٍ ونفيسٍ منها ، بل إنَّهم قد يُنَظِّمون نَشَاطَ النُّسّاخ بغَرَضِ الحُصُولِ على مخطوطاتٍ تُوافِق رغَباتهم . وخَيْرُ من يُمَثِّل هذا الأنموذج من رُعاة الآداب هو دون شك بايْسُنْجور بن شاه رُخ ، أَحَدُ الأمراء التَّيْمُوريين الذي جَمَعَ إلى جانبه في هَرَاة أشهر فنّاني عَصْره ، سواء من المُزَيِّنين أو المُصَوِّرين أو الخَطّاطين [٤٣]. ومع أنَّ أغْراضَ هذه الوَرْشة الأميرية - التي كانت تعمل باتِّحادٍ وَثيقٍ مع مكتبة (كُتُبْخانه) - لم يَنْحَصِر فقط في مجالِ فَنِّ الكتاب فقد اعتبرت المخطوطاتُ التي أَخْرَجَتْها مَرْجِعًا لهُواة جَمْعِ الكتب من اللاحقين .

وقد وَجَدَ صُنّاعُ الكتاب المحيطين بالقَصْر في إستانبول أيضًا بنيةً تَضْمَن لهم مَعَاشَهم . واسْتُثْمِرت الوَثائقُ الأرشيفية كثيرًا ، دون شك ، للتَّعَرُّف على أنْشِطَة المُصَوِّرين ، ولكنَّها تُمِدُّنا كذلك بمعلوماتٍ ثمينة حَوْل صناعة المخطوطات الفاخِرة . وربما كان ذلك انعكاسًا لهذا النَّوْع من الوِرَش الذي يظهر في عمل المُنَمْنِمات ، مثل ذلك الذي يُصَوِّر نُسْخَة من «أخْلاقي ناصِري» لنصير الدِّين الطُّوسي في

٤٢. D. Wasserstein, «The library of al-Hakam II al-Mustansir and the culture of Islamic Spain», *MME* 5, 1990-1991, p. 101.

٤٣. E. Sims، بالتعاون مع E. J. Grube, «The School of Herat from 1400 to 1450»، في B. Gray éd., *The arts of the book in Central Asia*, Paris/Londres, 1979, p. 154-158.

٤٤. يمكن أن توضح مقالات F. Çagman, «Nakkas Osman in 16th century documents and literature»، في G. Renda et M. Rogers éd., *Art turc/Turkish art. 10 Congrès international d'art turc*, Genève, 1999, p. 197-206) أو Z. Tanîndî («Manuscript production in the Ottoman Palace workshop», *MME* 5, 1990-1991, p. 67-98) على سبيل المثال ، الإمكانات التي تتيحها الوثائق العثمانية لتعقب مجرى حياة رسام ماهر ، والمشاريع التي شارك فيها .

مجموعة صَدْر الدِّين خان[٤٥] والذي اجْتمع فيه عِدَّةُ فَنَّانين وصُنَّاع .

وكانت الوَرْشَةُ في بعض الأحيان في حَجْمٍ مُتَوَاضِع : فنحو منتصف القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي يصف أحدُ الرَّحَّالة الفُرْس الطَّريقة التي كان يُنْتَجُ بها الكتابُ بشكلٍ منطقي داخل وِرَش عائلية كانت تجمع مختلف مراحل العَمَل : «كانت توجد في شيراز مجموعةٌ من النَّسَّاخين الحاذقين / لخَطِّ النَّسْتَعليق كُلٌّ منهم يُقَلِّد الآخَر ، الأمْر الذي يَصعُب معه معرفة عَمَلِهم . وكانت نِسَاءُ شيراز يشتغلن بالنِّساخَة ، وكانت الأُمِّيات منهن يكتبن كما لو كُنَّ يرسمن . وزار المُؤَلِّفُ شيراز وتَبَيَّن له أنَّ كُلَّ بَيْتٍ في المدينة كانت فيه المرأةُ ناسِخة والزَّوْجُ مُنَمْنِمًا والبِنْتُ مُزَخْرِفَةً والابنُ مُجَلِّدًا . وعلى هذا النَّحْو كان في الإمْكان إنْجاز كل مراحل صُنْع الكتاب داخِل أُسْرَةٍ واحِدَة»[٤٦] . وإلى يومنا هذا لم نجد في حُرُودِ المَتْنِ إشارات تُؤَكِّد هذا النَّوْع من العَمَل .

في هذا الوَصْف الذي يتناول مُنَظَّمَةً غير مألوفة في صناعة المخطوطات ، أصبح البَيْتُ الخاصّ إذًا وَرْشَةً مُدْمجةً فيه تمامًا . وكان الأمْرُ يتعلَّقُ في الحقيقة بانجاز أعمالٍ فاخِرة ، في حين أن النُّسَخَ المعتادة لم تكن تتطَلَّب حَشْدًا لفنَّانين متخصصين . وكان يقوم بنَسْخ المخْطوطات في غالب الأحيان أفْرادٌ مُنْفَرِدون كانوا يعملون في أماكن في غاية الاخْتلاف بحسب الظُّرُوف . وفي هذه الظُّرُوف كان السَّكَنُ الشَّخْصي أو الحانُوتُ الصَّغير يُعَدَّان ، دون شك ، مكان العَمَل المناسب للنُّسَّاخ . نحن لا نملك ، للأسف ، سوى إشارات غير مباشرة حول هذا الموضوع ، ومن ذلك لائِحَةٌ حُرِّرَت في القاهرة ، في القرن السَّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، توقفنا على ما يمكن أن يُشْبِهُه حانوت نَسَّاخ . ولم يَتَطَلَّبْ هذا النَّشَاطُ مَوْضِعًا مُعَيَّنًا ، فيُخْبرنا ياقوتُ الحَمَوي[٤٨] أنَّ إبراهيم الحَرْبي «كان له بَيْتٌ في دِهْليز داره فيه كُتُبُه ، كان يجلس فيه

---

٤٥. GENÈVE 1985, p. 153, nº 127; NEW YORK 1982, p. 171-5, nº 58.

٤٦. بوداق قزويني : جواهر الأخبار ، مخطوط سان بطرسبرج Bibl. mat. of Rusia Dorn 288، ورقة ١٠٩-١٠٩ظ ، وأشارَ إلى هذا المَقْطَع وترجمه O. F. Akimushkin et A. A. Ivanov, «The art of illumination» في B. Gray éd., *The art of the book in Central Asia, 14th-16th centuries*, Paris/Londres, 1979, p. 50.

٤٧. J. Sadan, *op. cit.*, p. 41-56.

٤٨. ياقوت الحموي : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق مرجليوث ، D. S. Margoliouth [E. J. W. Gibb memorial series, 6], 2 éd., Londres, 1923, t. I, p. 39.

للنَّسْخ والنَّظَر» ، ويُخْبِرنا أيضًا[٤٩] أنَّ إسماعيل بن صُبَيْح الكاتِب «أحْضَر أبا الحَسَن علي بن المُغيرَة الأثْرَم الوَرَّاق وجَعَلَه في دارٍ من دوره ، وأغْلَق عليه الباب ودَفَعَ إليه كُتُبَ أبي عُبَيْدَة ـ التي حَصَلَ عليها ـ وأمَرَه بنَسْخِها» . ومن المُحْتَمَلِ أنَّ أحْياءَ المُدُن الكبيرة التي كان يجتمع فيها بَائعو الكتب كانت تستقبل كذلك النُّسَّاخ[٥٠] .

المَكْتَبَاتُ

من بين الأمْثلة التي أتَيْنا على ذكرها إلى الآن نَلْمَحُ مكتبةً في العَديد من خَلْفياتها . ولا شَك أنَّ المُنْشآت التَّعْليمية التي تَحْتَلُّ فيها الكُتُبُ مَكانًا ظاهِرًا ، كانت أحَدَ الأماكِن المُفَضَّلَة لنَسْخ المخطوطات . ويبدو أنَّ ذلك كان على الأخَصِّ حالة «بَيْت الحِكْمَة» الذي ارْتَبَط به ناسِخٌ[٥١] أو حتى جُمْلَةٌ من النُّسَّاخ[٥٢] ./ وكانت خِزَانَةُ كُتُبِ الفاطميين بالقاهرة تَضَع الأدَوات اللازمة تحت تَصَرُّف من يَرْغَب في نَسْخِ النُّصُوص[٥٣] . وضَمَّت الخِزَانَةُ الملكية في المغرب على عَهْدِ العَلَويين ، في القرن الثامن عشر الميلادي ، قاعَةً مُخَصَّصَةً للنِّساخَة تَطَوَّعَ فيها عَدَدٌ من النُّسَّاخ لنَسْخِ نَفائِسِ المخطوطات[٥٤] . وكما يَذْكر بيدرسين Pedersen فقد كان النُّسَّاخُ إلى فترةٍ قريبة يُقَدِّمون خَدَماتهم إلى العلماء الذين يَرْغَبون في انْتِساخ نَصٍّ مُعَيَّنٍ في المكتبات الكبرى في الشَّرْقِ الأوْسَط[٥٥] . ويجب أن نذكر هنا حَرْدَ مَتْنِ مخطوط باريس رقم BnF ar.

---

٤٩. ياقوت : إرشاد الأريب ٥:٤٢١ ـ ٤٢٢ .

٥٠. J. Pedersen, *op. cit.*, p. 51.

٥١. Y. Eche, *Les bibliothèques arabes publiques et semi-publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Égypte au Moyen Âge*, p. 23.

٥٢. J. Pedersen, *op. cit.*, p. 44.

٥٣. Y. Eche, *op. cit.*, p. 79 , 85-86.

٥٤. A. Binebine, *Histoire des bibliothè ques au Maroc*, p. 77.

٥٥. J. Pedersen, *op. cit.*, p. 53. وتحتفظ خزانة Olser Library بمونتريال بعشرات المخطوطات التي نسخها محمود صدقي النساخ في بداية القرن العشرين بالمكتبة الخديوية ؛ انظر : (A. Gacek, *op. cit.*, p. 6, nº 8, p. 11, nº 16, إلخ) يتعلق الأمر دون شك بناسخ مخطوط شيكاغو Or.Inst. A 12060، الذي استخدم كمنطلق لترجمة ليفي لكتاب ابن باديس : M. Levey, *Medieval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*، وندين له أيضًا برسالة من مجموع باريس رقم BnF arabe 7068 (حَرْد مَتْن في ورقة ١٨١) ؛ ونجد في المكان نفسه (حَرْد مَتْن ورقة ١٢٤) نصًّا نسخه شخص يُعَرِّف نفسه بأنه ناسخ المكتبة الظَّاهرية قبل أن يشير إلى اسمه .

٥٦. يرجع المخطوط إلى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ، انظر

6690 الذي يُشير إلى أنَّ النَّصَّ قد تَمَّت كتابته في خِزانَة كُتُب المَدْرَسَة الأتابكية في زَنْجان [٥٦]؛ ولكن هذه الإشارة تبقى حالةً منفردة [٥٧].

وكانت المكتبةُ الأميرية (الكُتُبْخانه) في الشَّرْق الإسلامي تَرْتَبِطُ طواعِيَةً بـ «وَرْشَة» تُصْنَع فيها مخطوطاتٌ ذات قيمة كبيرة. ومن الصَّعْبِ تَتَبُّع السَّبيل الذي قادَ إلى بُزُوغ هذه الصِّيَغ الهَشَّة والمُتَقَلِّبَة مثل حالة مُنْشأة بايسُنْجور [٥٨]، التي تَحَدَّثنا عنها منذ قليل، والتي نَجَحَ في إقامتها بالقُرْب منه في هَرَاة في إيران التَّيْمورية. على كلِّ الأحْوال، فقد تنافَسَ بَلاطُ الأُمَرَاء فيما بينه لإقامة وِرَشٍ من هذا النَّوْع، وقد اسْتُنْبِط هذا الأُنْمُوذَج بنجاح في الهِنْد المُغُلِيَّة [٥٩].

مُنْشآتُ التَّعْليم

وبالمقابل، ذُكِرَت المُنْشآت التي تهدف إلى نَقْل المَعْرِفة بوضوح في حُرُودِ المَتْن، فقد زاوَلَ العَديدُ من النُّسَّاخ نَشاطَهم، كما هو مُتَوَقَّع، داخِل المدارِس، والأمْثِلَةُ على ذلك وفيرة وتُغَطِّي العالم الإسلامي على امْتِدادِه./ وسنكتفي بذكر بعض الحالات التي تُوَضِّحُ هذه الاسْتِمْرارية الجغرافية والتاريخية. فنجد آسْيا الوُسْطَى تُمَثِّلها (المَدْرَسَةُ السُّلْطانية بسَمَرْقَنْد) [٦٠] وتُمَثِّل إيران (المَدْرَسَة الرَّشيدية [٦١] ومَدْرَسَة ميرزا تقي ومَدْرَسَة شَهاربج أو إلْشي في أصْبَهان) [٦٢]. وتَظْهَر في الأناضُول والمناطِق المتاخمة لها كذلك (المَدْرَسَة الشِّفاعية [٦٣] والمَدْرَسَة الصَّاحِبية

(FiMMOD 55).

٥٧. يشير حَرْد مَتْن مخطوط كوبريلي بإستانبول رقم 1078، المؤرخ سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م، إلى مكتبة كمقر للمخطوط، ولكن هذا لا يعني أنه نسخ فيها، انظر: (cf. R. Sesen, op. cit., p. 206, nº 31).

٥٨. Th. W. Lentz, G. D. Lowry, WASHINGTON 1989, p. 159-169.

٥٩. M. Brand, G. D. Lowry, NEW YORK 1985, p. 57-85.

٦٠. مخطوط كوبريلي بإستانبول رقم 927/460. (انظر R. Sesen, *op. cit.*, p. 208, nº 36).

٦١. مخطوط شروم رقم Çorum 2450، والمنسوخ في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م (انظر R. Sesen, *op. cit.*, p. 207, nº 34).

٦٢. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 2073، والمنسوخ في سنة ١٠٦٠ - ١٠٦١هـ/١٦٥٠ - ١٦٥١م؛ ورقم suppl. persan 1638، المنسوخ في سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م؛ ورقم suppl. persan 1327، المنسوخ في سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م.

٦٣. مخطوط برلين برقم SB Or. 4437، والمنسوخ في سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م (R. Quiring-Zoche, *Ar. Hss.*, 3, p. 124).

الشَّمْسِيَّة [٦٤] في سيواس ومَدْرَسَة سَعْد الدِّين كوبك في قُونْية [٦٥]، والمَدْرَسَة السُّلْطانية بأنْقَرة [٦٦]، والمَدْرَسَة الصَّاحِبية بنَخْشَوان) [٦٧]. وفي العراق (المَدْرَسَة الصَّارِمِيَّة [٦٨] في المَوْصِل) وفي سوريا (المَدْرَسَة الكروسية [٦٩] في دِمَشْق)، ونَخْتِم هذه القائمة ـ بطريقة تَعَسُّفية ـ بمَدْرَسَة الظَّاهِر أبي سعيد بَرْقُوق بالقاهِرَة [٧٠].

المَساجِدُ والمُنْشآت الخَيْرِيَّة

يَتَرَدَّدُ اسْمُ المَسْجِد كثيرًا كمكانٍ للنِّساخَة، وقد أباحَ الفُقَهاءُ منذ وَقْتٍ مُبَكِّر نَسْخَ المُصْحَفِ في هذا الحَرَم [٧١]. وتُظْهِرُ لنا قِراءَةُ حُرُودِ المَتْن أنَّ اخْتِيارَ النُّصُوصِ كان أوْسَعَ من ذلك بكثير [٧٢]؛ فقد فُرِغَ من نَقْل الجزء الأوَّل من نُسْخَة من «مُوَطَّأ» مالِك بن أنس سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧-١١٤٨م في المَسْجِدِ الجامِع بغَرْناطة [٧٣]. وسَجَّلَ نُسَّاخُ المخطوطات الفارسية كذلك، في حالات كثيرة، أنَّهم أتَمُّوا عملهم داخِل جامِع، مثل جامِع كَرْبَلاء [٧٤]، وجامِع أصْبهان [٧٥] وجامِع سورت [٧٦] وأيضًا الجامِع الأزْهَر بالقاهِرة (بالرَّغْم من أنَّ النَّصَّ المَنْسُوخ وهو «حكايات واعِظ كاشْفي» بعيدٌ بعض

٦٤. مخطوط كوبريلي بإستانبول رقم 956، المنسوخ في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م. (انظر R. Sesen, *op. cit.*, p. 208, nº 36).

٦٥. مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1466، المنسوخ في ربيع الثاني سنة ٦٧٧هـ/سبتمبر١٢٧٨م. (A. J. Arberry, *The Koran illuminated*, Dublin, 1967, p. 17, nº 46; D. James, *Q. and B.*, 1980, p. 89, nº 69).

٦٦. مخطوط جار الله بإستانبول رقم 410 bis، والمنسوخ في سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م (انظر R. Sesen, *op. cit.*, p. 204, nº 28).

٦٧. مخطوط برلين رقم SB or.oct. 2291، ورقة ٢ - ٤٥، والمنسوخ في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م (انظر G. Schoeler, *Ar. Hss.*, 2, p. 312).

٦٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1694، والمنسوخ في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م، انظر (*FiMMOD* 44).

٦٩. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1296، والمنسوخ في سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، انظر (*FiMMOD* 140).

٧٠. مخطوط بروكسل رقم BR 19991، والمنسوخ في سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، انظر (*FiMMOD* 195).

٧١. M. Fierro, «The treatises against innovations (*kutub al-bida'*)», *Der Islam*, 69, 1992, p. 221.

٧٢. انظر: *FiMMOD* 76, 90, 196, 236 et 242.

٧٣. مزاد كريستي: كتالوج بيع أكتوبر ١٩٩٧، حصة ٦٩؛ *The Qur'an, scholarship and the Islamic arts of the book, Londres*, 1999, p. 33-36, nº 17.

٧٤. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1864، والمنسوخ في سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م.

٧٥. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 669، والمنسوخ في سنة ٩٩٢هـ/١٥٨١م.

٧٦. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 758، والمنسوخ في سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م.

الشيء عن نوعية النُّصوصِ التي تُنسَخ في هذا المكان[٧٧] . ونُسِخَت المَخْطوطاتُ كذلك في أماكِنَ أخرى مُخَصَّصَة للعِبادَة،/ نَذْكُر منها، دون ترتيب، «الزَّوايا» [٧٨]، و«المَزَارات» [٧٩]، و«تكايا الصُّوفية» [٨٠] و«الخَوانِق» [٨١]، أو أيضًا «حُجْرَة» مجهولة [٨٢].

ومن بين الأَهْدافِ التي عَيَّنَها رَشيدُ الدِّين للمُنْشأة التي أنْشأها في تَبْريز نَسْخُ مُؤَلَّفاتِهِ [٨٣]، ولم يُحَدِّدُ النَّصُّ في أيِّ مكانٍ كان يجب أن يعمل النُّسَّاخ: نعرف فقط أنَّه كانت هناك مَكْتَبَةٌ تَحْفَظُ الأُصول بينما كانت النُّسَخُ تُعْرَضُ في الجامِع.

أماكِنُ أخرى للنَّسْخ

تُوجَدُ أماكِنُ أخرى للنَّسْخ، أقلّ اتِّفاقًا، تَظْهَرُ في حُرُودِ المَتْن. فقد يَعْمَل النَّاسِخُ أحْيانًا في مَواضِعَ تبدو غير ملائمة لنَشاطِه، مثل القِلاع التي تَكَرَّرَ ذكرها - في

٧٧. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 916، والمنسوخ في سنة ٩٣١هـ/١٥٢٥م.

٧٨. زاوية الشافعي (BnF arabe 1652، المنسوخ سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م؛ FiMMOD 126, Y. Sauvan et M.-G. Balty-Guesdon, Cat. 5, p. 212-213)، وزاوية إسكندر باشا خارج جَلَطَة (مخطوط باريس رقم BnF persan 22، F. Richard, *Cat.* I, p. 49-50).

٧٩. مثلًا مزار شَيْخ بُخاري في بُورْصَة في مخطوط باريس رقم persan 266 (F. Richard, *Cat.* I, p. 277).

٨٠. مخطوط باريس رقم BnF suppl., persan 820 المنسوخ سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م في بيجابور، ورقم Suppl. persan 1439 المنسوخ سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م في أوسكودار؛ وفي شيراز، أستاني أحمدية (مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1785، المؤرخ سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م) وأستاني حسام الدين إبراهيم في سلسلة من المخطوطات المنسوخة بين سنتي ٨٨٥هـ/١٤٨٠م و٩٢٦هـ/١٥٢٠م.

٨١. على سبيل المثال خانقاه سعيد السعداء في القاهرة: راجع مخطوط برلين رقم SB or. oct. 3707 (G. Schoeler, *Ar. Hss.*, 2, p. 85).

٨٢. مخطوط باريس رقم BnF suppl. pers 395، المنسوخ في سنة ٩٧٩هـ/١٥٦٨م؛ ومخطوط طشقند رقم IOT 3907/1، المنسوخ في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م (*FiMMOD* 249).

٨٣. إيرج أفشار وم. منوفي: وقف نامه ربيعي رشيدي، طهران ١٣٥٦/١٩٧٨ (ترجمة لـ W. Thackston، في S. S. Blair, *A compendium of Chronicles, Rashid al-Din's illustrated history of the world* [The N. D. Khalili collection of Islamic art, 27], Londres, 1995, p. 114-115).

نَرْمُوذْذان [٨٤]، ومُوهَنْبور [٨٥] أو أحمدآباد [٨٦]، وسَمَرْقَنْد [٨٧]، وفيدين في بُلْغارْيا [٨٨].

مُعَدَّلُ النَّسْخ وتِقْنِياته

إنَّ نَقْصَ المعلومات يتعارَضُ بغَرَابَةٍ مع ما نَطْمَحُ إليه في هذه الفَقْرة. والمَصادِرُ الأَدَبِيَّة بالتأكيد ليست شحيحة بالمعلومات حَوْلَ إنتاج ناسِخٍ مُعَيَّنٍ [٨٩] - بل أكثر من ذلك حَوْلَ إنْتاج مُؤلِّفٍ / مُعَيَّن [٩٠]. ويجب أن نكون فَطِنين عندما يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بمُؤَلِّفين يَنْسَخون أيضًا النُّصوصَ سواء لكَسْبِ عَيْشِهم أو لتزويد مكتباتهم الشَّخْصية. وكما صَرَّحَ ابنُ الجَوْزي فقد كان يَنْسَخ بخَطِّه يوميًّا أربع كُرَّاسات [٩١]، وأوْصَى باسْتِخْدام بُرَايَةِ أقْلامِه - التي كَتَبَ بها حَديثَ رَسُولِ الله ﷺ - في تَسْخين ماءِ غُسْلِه بعد وَفاتِه [٩٢]. وبما أنَّ الأمْرَ هنا يتعلَّقُ بمُؤَلِّفٍ، فإنَّه من الصَّعْبِ التَّمْييز في هذا الإنْتاج الضَّخْم بين ما هو نَسْخٌ أو ما هو تأليف.

210

سُرْعَةُ النَّسْخ

اسْتَرْعَت سُرْعَةُ مباشرة الكتابة العربية انْتِباه المُسْتَخْدِمين لها منذ وَقْتٍ مُبَكِّرٍ. وقال الكِنْدي، كما وَرَدَ في «الفِهْرِسْت»: «لا أعْلَمُ كتابةً تَحْتَمِل من تَجْليل حُرُوفها وتَدْقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ولكن فيها من السُّرْعَة ما لا يمكن في غيرها من

٨٤. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 168، والمنسوخ في سنة ١٠٢٢ - ٣هـ/١٦١٤م.

٨٥. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 455، والمنسوخ في سنة ١٧٧٢.

٨٦. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 935، والمنسوخ في سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨م.

٨٧. مخطوط باريس رقم BnF persan 126، والمنسوخ في سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م (F. Richard. *Cat.* I, p.142).

٨٨. مخطوط باريس رقم BnF persan 189، والمنسوخ في سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦ - ١٥٤٧م (F. Richard, *Cat.* I, p. 205-206).

٨٩. فيما يخص نسخ المصحف، تمدّنا كتب الخط بإشارات بالأرقام. ويدقق النساخ في حُرُود المَتْن أيضا، في فترة متأخرة، في ذكر ترتيب المخطوط في إطار إنتاجهم، راجع: J. M. Rogers, Genève 1995, p. 70, nº 31, p. 73, nº 33.

٩٠. انظر بهذا الخصوص J. Pedersen, *op. cit.*, p. 37 sq.

٩١. يذكر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ١٤١، عدد تسع كراريس في اليوم.

٩٢. ابن خلكان: المصدر السابق.

الكتابات»[٩٣]. ويبدو أنَّ هذا المِعْيار قد وَجَدَ بعض المصداقية في عيون المؤلِّفين الإسلاميين مثل ابن باديس الذي شَرَحَ اسم بعض الأقلام بالإحالة إلى السُّرْعَة التي تُنْجَز بها الكتابة، يقول: «إنَّ الزَّمان الذي يكتب فيه صَاحِبِ الطُّومار رسالةً محدودة، يكتبها صَاحِبُ قَلَم الثُّلُثين في ثُلُثيه، ويكتبها صاحِبُ النِّصف في نصفه، ويكتبها صَاحِبُ الثُّلُث في ثُلُثِه»[٩٤]. وما زلنا لا نَمْلِك بعد دراسات حَوْل سُرْعة عملية النَّسْخ، ولعلّ دراسةً مُنَظَّمَةً للمخطوطات التي تَحْمِل حُرُودَ مَتْنٍ وسيطة تَسْمَح بتقييم أكثر دِقَّة لإيقاع الإنْتاج. وتستحق بعضُ الأرقام المسجلة حَوْل نُسَّاخ من آسيا الوُسْطى في نهاية القرن التاسع عشر ومَطْلَع القرن العشرين، أن تُذْكر، فيذكر صَدْري ضياء دائمًا في فهرس مكتبته عَدَدَ المجلَّدات التي نَسَخَها النُّسّاخ. وتبعًا لما ذكر داملّا ميرزا عبد الرحمن أعْلام مُلَّا فقد نَسَخَ ما ينيف على ألف مُؤلَّف مختلفة، ونَسَخ صِدِّيق خان خمس مائة، وداملّا رحيم خان مائتين، ونَسَخَ عِنايَةُ الله ما ينيف على مائة وخمسين وشقيقُه ميرزا حكمت الله محمود أكثر من ثلاث مائة وسبعين مؤلَّفًا. وللأسف فإنَّه لا توجد أيَّةُ إشارةٍ إلى قَطْعِ هذه الكُتُب تَسْمح لنا بالتَّعَرُّف الفعلي على حَجْمِ العَمَلِ المُنْجَز.

وفي بعض الأحْيان يُحَدِّد النَّاسِخُ الزَّمَنَ الذي اسْتَغْرَقه في نَسْخ نَصٍّ، سواء بتحديد التأريخ الذي بدأ فيه النَّسْخ، أو بتسجيل الزَّمَن الذي تَطَلَّبه عَمَلُه. هكذا يُصَرِّحُ درويش درمند علي / بن محمد في حَرْدِ مَتْن مخطوط باريس رقم BnF persan 266، أنَّه أمْضَى خمسة عشر يومًا لنَسْخ المائتين والثلاث والسبعين ورقة من «مَثْنَوي» جَلال الدِّين الرُّومي[٩٥]. واقْتَرَنَت الرِّواياتُ بالأعمال الباهِرَة، فقد أنْجز ناسِخٌ يُدْعى فاظِل ديوانا (المجنون)، في مطلع القرن التاسع عشر، نُسْخَةً من أعمال بيديل في أربعين يومًا بناءً على طَلَبِ أمير بُخارَى، في الوقت الذي كان يَنْسَخ فيه لنفسه في أثناء اللَّيْل رِوَايَةً مختصرَةً من الكتاب نفسه. ونَسَخَ عنايةُ الله، وهو ناسِخٌ

---

٩٣. ابن النديم، الفهرست، تحقيق فلوجل، ليبتسج، ١٨٧١، ١هـ/ ١٠م؛ نشرة رضا تجدد، ١٣، وترجمة دودج B. Dodge, *op. cit.*, p. 19.

٩٤. تبدو هذه الفقرة عند M. Levey., *op. cit.*, p. 41، ولكنها لا تظهر في النص العربي المنشور لابن باديس: «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب»، تحقيق الحلوجي وزكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٧، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

٩٥. F. Richard, *Cat.* I, p. 277.

ومُفْتٍ ومُدَرِّس، في ليلةٍ واحدةٍ «مُخْتَصَر الوِقَايَة»[٩٦].

وتُعطينا التَّوْجيهاتُ التي تَرَكَها رَشيدُ الدِّين فكرةً عن مُعَدَّلِ العَمَل الذي يمكن أن يَتَطَلَّبه أحَدُ رُعاةِ الآداب الأثْرياء، فقد كان يجب أن تُنْسَخ نُسْختان بعنايةٍ مَن كلٍّ من مؤلَّفات الوزير الإيلْخاني السِّتَّة سنويًّا، وبعضُ هذه المُؤلَّفات كان يتألَّف من عِدَّة أجزاء[٩٧]. والمخطوطاتُ التي وَصَلَت إلينا مُزَخْرَفَةً ومُصَوَّرَةً بِبَذَخٍ تُعْطينا فكرةً عن المهمة المُنَاطَة بصُنَّاعِ الكتاب[٩٨].

عَمَلٌ فَرْدي أم جماعي

يُظْهِرُ التَّعامُلُ مع المَخْطُوطات أنَّ النِّساخَة، في الغالبية العُظْمَى من الحالات، عَمَلٌ فَرْدي: حيث يقوم شَخْصٌ واحِدٌ بنَسْخ النَّصِّ من أوَّله إلى آخِره، ومع ذلك فقد تظهر نَماذِجُ لعَمَلٍ جماعي، وتَعْيينُ ذلك ليس مَيْسورًا دائمًا عندما لا يُقَدِّم لنا حَرْدُ المَتْن أيَّ تَحْديدٍ لذلك؛ وأيّ اخْتِلافٍ في الكتابة، وخاصَّةً قُرْب نهاية المخطوط، لا يعني بالضَّرورة تَغْييرًا للنَّاسِخ. وبالمقابل، بما أن تَعْليم الخَطِّ اعتمد كثيرًا على التَّقْليد، ومع وُجود العَديدِ من النُّصُوص التي تُشيرُ إلى بَرَاعَة البعض في تَقْليد خُطوط سابقيهم ومُعاصريهم[٩٩]، فمن الممكن أن نَجِدَ عَمَلًا جماعيًّا يَصْعُب جِدًّا كَشْفُه. ويَحْرِصُ الخَطَّاطون نَخْوَةً منهم على عَدَم إظْهار الخُصُوصِيّات الشَّخْصية في خَطِّهم باستثناء بعض الجُزْئيات الطَّفيفة. وتوجد طَرائِفُ تُوَضِّح لنا من جهةٍ أخرى تجاوُزات نَتَجَت عن هذا التَّطَوُّر، فعلى سبيل المثال كان الخَطّاطُ المصري ابن الوَحيد، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يقوم بتشغيل تلاميذه مقابل أجْرٍ زَهيد، ثم يُوَقِّع المخطوط ويَحْصُل من المُسْتَكْتِب على مبالغ هائلة[١٠٠]./ وأيضًا تِلْميذ الشَّيْخ حَمْد الله

---

٩٦. Sh. Vahidov, A. Erkinov, *op. cit.*, p. 147. ويشير المؤلفان كذلك إلى أن داملا ميرزا عبد الرحمن أعلام، الغزير الإنتاج، كان قد نسخ «جهار كتاب» في أمسية واحدة بمعاونة تلاميذه (ص ١٧٢، ح ١٩).

٩٧. انظر هـ[٨٣].

٩٨. مخطوط أدنبرة رقم Edinburgh, University Libr. Arabic Ms 20 + مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم 727؛ ومخطوط باريس رقم BnF arabe 2324.

٩٩. انظر مثلا D. S. Rice, *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library*, Dublin, 1955, p. 7-8.

١٠٠. D. James, «Some observations on the calligrapher and illuminators of the Koran of Rukn al-Din Baybars al-Jashnagir», *Muqarnas*, 2, (1984), p. 148.

[الأماسي] الذي خَلَطَ أعْمالَه بين أعْمال شَيْخه وجَعَلَه يُوَقِّع عليها ، ثم أطْلَعَه بعد ذلك على ما تَمَّ من غِشّ [101].

ومنذ بدايات الإسلام نجد حالاتٍ من المخطوطات التي كتبها أكثرُ من ناسخ . فالقِطعُ الموجودة من أقْدَم مُصْحَفَيْنِ كُتِبا في النِّصْف الثّاني للقرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي باريس رقم BnF arabe 328 a ودار المَخْطُوطات بصَنْعاء رقم DaM Inv. 01-25-1 [103]، كَتَبَ المصحفَ الأول ثلاثةُ نُسَّاخ بينما كتب الثاني ناسِخان . ولم يكن النُّسَّاخُ ، فيما يبدو ، يهتمُّون باستخدام خَطٍّ متجانس بقَدْر اهتمامهم بأسلوبهم الشَّخْصي في الخَطّ ، وقد تَمَّ فيما بعد إنْجازُ المخطوطات العادية بهذا الشَّكْل ، فمخطوط سراييفو رقم HBB 142 و 155-159، وهو نُسْخَةٌ من كتاب «الوقاية» لمَحْبُوب بن صَدْرِ الشَّريعة ، أنْمُوذجٌ لافِتٌ للانْتِباه بخُصُوص النَّسْخ الجماعي [104]؛ فقد تَضافَرَت جُهودُ خمسة وعشرين ناسخًا ، في سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م ، في فوشا لإنْجاز هذه المُهِمَّة بناءً على طَلَبِ جَماعَةٍ من رُعاة الآداب الذين شارَكَ بعضُهم في نَسْخ أجزاءٍ منه . وفي سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩-١٦٧٠م عَمِلَ ثلاثَةَ عشر ناسِخًا مَعًا لإنْجاز مَخْطُوطِ الزّاوية العَيّاشية في المَغْرب رقم ٥٠٥ [105] . وتُشيرُ فهارسُ المخطوطات أحيانًا إلى أنَّ هذا المجلَّد أو ذاك قد كُتِبَ بخطَّيْنْ وحَتَّى بعدَّة خطوط مختلفة [106]، فالأمْرُ لا يَتَعَلَّق بالضَّرورة بحالات

١٠١. C. Huart, *Les calligraphes et miniaturistes de l'Orient musulman*, p. 126-127.

١٠٢. F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 59-60, nº 2. (وقد نشر ديروش ونوسدا صورة طبق الأصل لهذه القطعة F. Déroche et S. Noja Noseda, *Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France*).

١٠٣. الكويت ١٩٨٥، ص ٦٠ Kuwait 1985, p. 60.

١٠٤. K. Dobraca, «Scriptorij u Foci u XVI stoljecu», *Anali Gazi Husrev-Begove Biblioteke* I, 1972, p. 67-74; *Katalog arapskih, turskih i perzijskih rukopisa*, t. II, Sarajevo, Starjesinstvo islamske zajednice za SR Bosmu i Hercegovinu, 1979, p. 251-256 (nº 1072-1077). وأشار كونسفيلد والسامرائي إلى نسخة من «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي ، أتمَّها العديد من النساخ في سنة ٩٤٥هـ/١٥٤٧م ، « يبدو أن العمل فيها تم تحت إشراف المانح » . (*Localities and dates in Arabic manuscripts. Descriptive catalogue of a collection of Arabic manuscripts in the possession of E. J. Brill*, Leyde, 1978, p. 62, nº 91).

١٠٥. أحمد شوقي بنبين : المرجع السابق، ١٠٦ ، ١٨١.

١٠٦. انظر مثلا كشاف سلهايم R. Sellheim, *Materialen*, 2 ويمكن أن نُحَدِّد في قطعتي مُصْحَف مصدرهما أفريقيا الغربية ، مخطوطي باريس رقمي BnF arabe 4854, 5035، استخدام أكثر من يد =

النَّسْخ الجماعي ، ولكن أيضًا بالإصْلاح ... إلخ . وهكذا فإنَّ نُسْخَةً قديمةً من «المُخْتَصَر في أخْبَار البَشَر» (باريس رقم BnF arab. 1511) ضَاعَ منها أوَّلُها ، توجد كاملةً الآن بفضل عناية ناسِخٍ ثانٍ قام بكتابة الثمانين وَرَقَة الأولى منها [107]. وفي جميع الأحْوال ، ينبغي أن نعير اهتمامًا إلى اخْتِلاف الخَطِّ وتَغَيُّر الحِبْر أو الوَرَق ، وهي أمورٌ تَسْمَح لنا أن نُقَرِّرَ أنَّ المخطوط المَدْروس كَتَبَه العَديدُ من النُّسّاخ .

213

/أوْضاعُ النُّسْخَة

إنَّ المخطوطات التي تَقَعُ في أيْدينا هي ، في أغْلَبِ الأحْيان ، نتيجة نَسْخ أصْلٍ كان أمام عَيْنَ النّاسِخ . ويأخُذُ هذا الوَضْعُ المألوف واقِعًا مَلْمُوسًا عندما يَتَضَمَّن حَرْدُ المَتْنِ إشارات مُحَدَّدَة تَتَعَلَّق بالأصْلِ المَنْقُول منه [108]. وليست هذه هي الحالة الوحيدة التي يمكن عرضها : فبصَرْف النَّظَر عن الحالة الخاصَّة جدًّا عندما يَتَعَلَّق الأمْرُ بالأصْلِ الذي كتبَه المؤلِّفُ بخَطِّه ، يجب أن نُشير إلى الأهَمية التي يحتلها «الإمْلاءُ» في سياق النِّساخَة . وتُوَضِّحُ لنا ذلك جَيِّدًا روايةٌ مَنْسُوبَةٌ إلى الفَرَّاء (المتوفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) : فقد أمْلَى خلال مَجالِسِه العامَّة نَصَّ أحَد التَّفاسير بينما وَرّاقان يكتبان عنه النَّصّ [109]. ويجعل هذا الوَضْعُ من الوَرّاق ، وكذلك في حالات أخرى ، كاتبًا للمؤلِّف ، مع أنَّ الصِّلات بين الطَّرَفَيْن ـ كما لاحَظَ ذلك بدرسين Pedersen ـ كانت هَشَّة نسبيًّا . وكان النّاسِخُ يكتُب النَّصَّ أيضًا من خلال الإمْلاء : فقد يلْجأ راوٍ إلى هذا السُّلوك من أجل إذاعة مُؤَلَّفٍ كما يُوَضِّح ذلك مخطوط طَشْقَنْد رقم IOB 3105، المكتوب سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م [110].

= F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 49-51, nº 337 et 340) . ويشير ويتكام إلى نسخة يمنية من للنصف الأول للقرآن أنجزها ثلاثة نساخ مختلفون «Manuscripts & Manuscripts [6] Qur'an fragments from Dawran (Yemen)», *MME* 4, 1989, p. 161, nº 32 وشكل 19.

١٠٧. Y. Sauvan et M.-G. Balty-Guesdon, *Cat.* 5, p. 62-63.

١٠٨. انظر مثلا مخطوط مكتبة كوبريلي بإستانبول رقم ٩٤٩، والذي يعود إلى سنة ٦٥٨هـ/١٥٠٠م، ورقم ١/١٢٦٠ الذي يعود إلى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م .. إلخ . راجع : R. Sesen, *op. cit.*, p. 203 nº 26, p. 207 nº 32.

١٠٩. J. Pedersen *op. cit.*, p. 45.

١١٠. *FiMMOD* 250.

وَضْعُ العَمَل

يُظْهِرُ رسمٌ مُنْفَصِلٌ ذو أصْلٍ فارسي ، يَجْمَع مختلف عمليّات صِناعَة الكتاب (Washington D. C., A.M. Sackler Gallery S 86. 0221 ، نحو سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)[١١١] أحَدَ الأشخاص مُقْبِلًا على الوُضُوء . فقد ألَحَّت العَديدُ من المصادر على أهميّة أن يكون النّاسِخُ في حالةٍ من الطَّهارَة لِيُنْجِزَ عَمَلَه ـ خُصُوصًا إذا تَعَلّق الأمْرُ بنَسْخ كتبٍ تَتَّصِل بموضوعاتٍ دينية[١١٢]. ويمكننا الاسْتِفادَة من المُنَمْنَمات التي تُمَثِّل صُوَر الكُتَّاب لِنَتَعَرَّف أكثر على الطَّريقَة التي كان يستقرُّ عليها النُّسَّاخُ لمباشرة عملهم . ولكن السُّؤال الذي يُثار دائمًا هو ما إذا كان المَشْهَدُ يُظْهِر عملية نَسْخ كتاب أم لا . عُمُومًا ، فقد كان الكاتِبُ يَضَعُ الوَرَقَة التي يكتب عليها على فَخْذِه الأيمن وهو جالِس ، ولكن زاوية جسمه مع فَخْذه يمكن أن تختلف تَبَعًا للأقاليم والعُصُور[١١٣]. وتُظهِرُ المُنَمنماتُ العُثْمانية ، من جانبها ، / النُّسّاخ وهم جالسون أمام أثاثٍ منخفض (طاوْلة أو صندوق ؟) عليه جميع أدَواتهم[١١٤]. وفي المقابِل ، فإنّه من الصُّعُوبة بمكان التَّعَرُّف على الطَّريقة التي كان يُمْسِك بها النُّسّاخُ القَلَم : فيبدو أن هذه النُّقطة البالغة الأهمية للفَهْم الجيِّد لبعض نِقاط عِلْم الخطّ ، لم تَلْفِت انتباه الباحثين .

النَّسَاخَة

لم يكن كُلُّ النُّسّاخ متعلِّمين ، بل إنّ بعضَهم ، كما يُشيرُ إلى ذلك نَصٌّ بودق قَزْويني ، يمكن أن يكونوا «أُمِّيين» . ولَسْنا في حاجةٍ إلى التأمُّل في هذا الوَضْع المغالى فيه

١١١. WASHINGTON 1988, p. 182-183, nº 59.

١١٢. F. Rosenthal, *The technique and approach of Muslim scholarship*, p. 12؛ وفوق هذا، حسب النص نفسه ، كان يجب أن يستقبل القبلة .

١١٣. قارن على سبيل المثال المنمنمات : Washington, A. M. Sackler Gallery S86.0221 (WASHINGTON 1988, p. 182-183, nº 59)، إيران نحو سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) و Cambridge (MA), Fogg art museum, مجموعة خاصّة (A. Schimmel, *Calligraphy and Islamic culture*, New York, 1984، الصورة بعد صفحة ٣٤، الهند نحو سنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٥م) .

١١٤. N. Atasoy et F. Cagman, *Turkish miniature painting*، ومخطوط طوبقبوسراي ـ بإستانبول رقم TKS H 1263، ورقة ٤٥ظ، نحو سنة ١٠٢٧-١٠٣٣هـ/١٦١٨-١٦٢٢م) ؛ Istanbul, 1974, p. 143; Y. H. Safadi, *Islamic calligraphy*, Londres, 1978, p. 88, ill. 93. ويُوجَدُ آثاثٌ من هذا الطِّراز محفوظٌ في متحف اللوفر بباريس : (VERSAILLES 1999, p. 167, nº 117 : dép. des Antiquités orientales, Inv. MAO 871).

لِنَشْرَح الأخطاء التي تُشين المخطوطات ، فنَسْخُ نَصٍّ هو عَمَلٌ مُضْجِر ويمكن لأجْوَد النُّسّاخ أن يَتَشَتَّت انتباهُهُم ويقعوا في أخطاء . وعندما يكون النَّصُّ مَنْقُولًا من مخطوطٍ آخر ، فإنّ بعض الأخطاء يمكن تفسيرها بصعوبة قراءة النُّسْخة المنقول منها : كما يُشيرُ إلى ذلك يان ياسـت ويتكام ، فالمخطوطُ الوحيد لكتابِ «طَوْق الحَمَامَة» لابن حَزْم (Leyde, BRU Or. 927) ناتج عن الجُهْد المَبْذول لتحويل أصْلٍ مكتوب بالخطّ المغربي إلى خَطٍّ مَشْرقي[١١٥]. ويفترض عَمَلُ النّاسِخ نظريًّا بعض المعرفة بعلم تَطَوُّر الخط ، التي يمكن أن تبدو غير كافية حال الممارسة . والأخطاءُ الأخرى من قبيل الديتوغرافيا[١١٦] والهابلوجرافيا[١١٧] وانتقال النَّظَر[١١٨] والقَلْب[١١٩]، أمورٌ معروفةٌ عند محقِّقي النُّصُوص ، بل وأيضًا من النُّسّاخ أنفسهم الذين غالبًا ما يُصَحِّحُونها عند المقابلة . والأكثر إزْعاجًا هو التَّصْحيفَ والتَّحْريفَ واسْتِبْدالَ كلمة محل أخرى[١٢٠]. وقد نجد في المخطوطات ما يَدُلُّنا على هذه الهَفَوات أحيانًا ، ففي الورقة ١٢٧ من مخطوط ليدن رقم Leyde, BRU 14424 قَفَزَ النّاسِخُ على مَقْطَعٍ تداركه فيما بعد بإضافته في هوامش الورقة[١٢١] . وأشارَ بدرسون Pedersen إلى أنّنا قد نجد من بين النُّسّاخ الذين ما زالوا يُقَدِّمُون خَدَماتهم/ في المكتبات الشَّرْقية الكبرى ، أفرادًا يعتقدون أنّ من واجبهم تصحيح الأخطاء الموجودة أو المُتَوَهَّمَة في المخطوط الذي يَنْسَخُونه ، بحيث إنّنا لا نكون متأكِّدين دائمًا من أنّ النَّصَّ المَنسوخ هو نَسْخٌ أمينٌ للنَّصِّ الأصْلي[١٢٢] .

١١٥. «Establishing the stemma, Fact or fiction?», *MME* 3, 1988, p. 90-92.

١١٦. «تكرير خاطئ لكلمة أو أكثر من كلمة» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 120) .

١١٧. «خطأ يَتَمَثَّل في عَدَم كتابة مَقْطَع لَفْظي أو كلمة يجب تكرارها إلا مرة واحدة» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 120) .

١١٨. «خطأ يظهر عند تِكْرار كلمة أو مجموعة كلمات على مسافات متقاربة ـ بأن ننسخ مباشرة عقب الكلمة الأولى ما يجب أن يتبع الثانية» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 120)، ويشير ويتكام إلى حالتين من هذا النوع في قِطَع المصاحف الموجودة في اليمن : (op. cit., p. 158, nº 5 et p. 159, nº 14).

١١٩. «تغيير عرضي أو إرادي لعنصرين من النص (حروف، كلمات، مقاطع ...) يأخُذ كُلٌّ منها مكان الآخر» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 121) .

١٢٠. «أن يدخل في النص عُنْصُرٌ أجنبي عنه (حاشية ...)» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 121) .

١٢١. نشر ويتكام صورة لهذه الصفحة J. J. Witkam, *Cat.* 5, p. 512 .

١٢٢. J. Pedersen, *op. cit.*, p. 53.
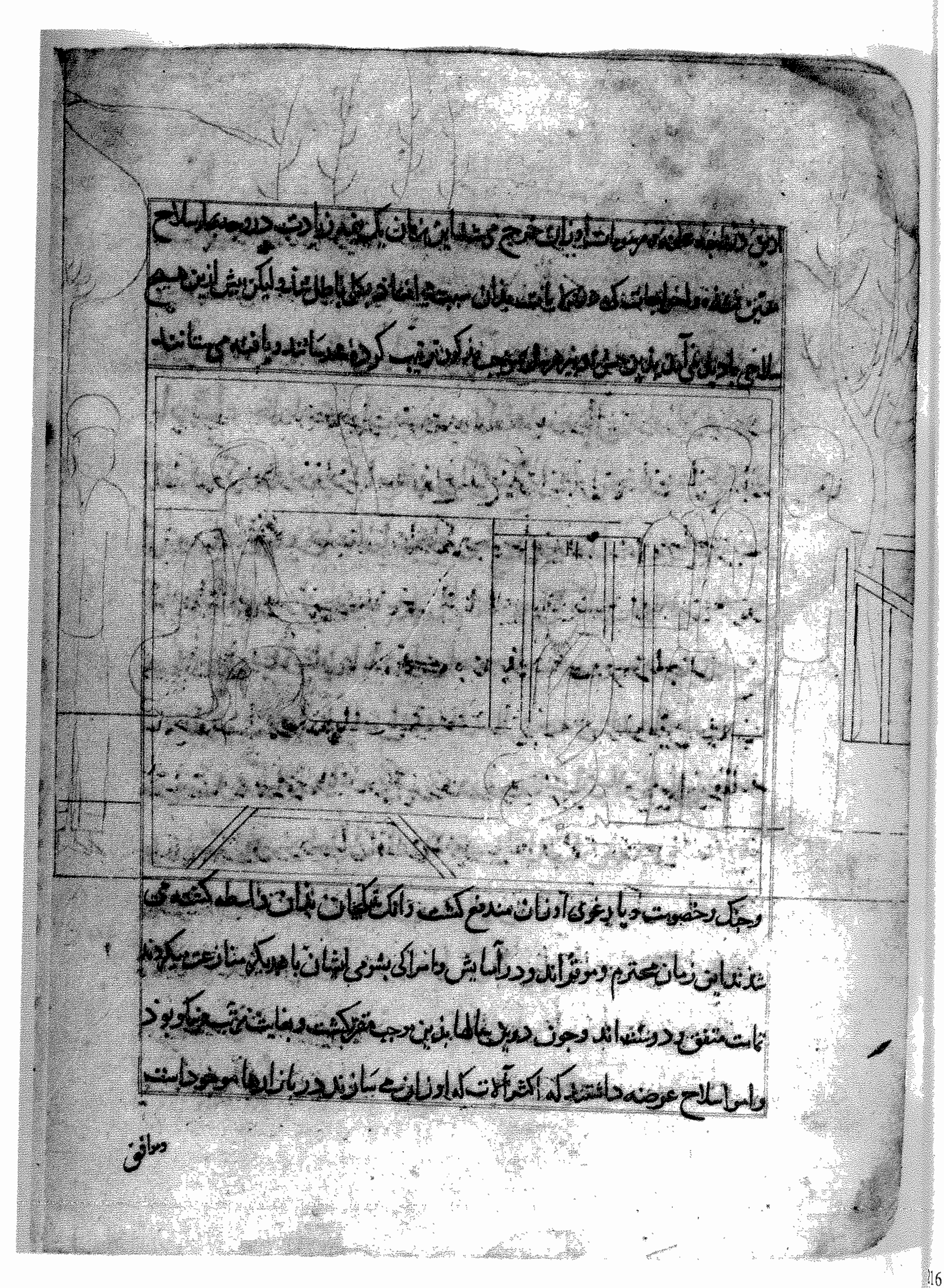
النُّسَّاخ في مُوَاجَهَة السُّوق

إنَّ الأوْضاعَ التي وَصَفْناها فيما سَبَقَ تَجْعَلُنا نَتساءل عن الكيفية التي كان يُنَظِّمُ النَّاسِخُ بها عمله . ولا يَتَعَلَّق هذا السُّؤَالُ بالمُنْتَسَخات المرتبطة بالقَصْر ، ولا بالنُّسَّاخ المُؤَقَّتين الذين لا يعملون إلَّا بناءً على طَلَبٍ مُحَدَّد . أمَّا النُّسَّاخُ المُحْتَرِفُون الذين يعملون بطريقةٍ مستقلَّة فمن الصَّعْب أن نَعْرف ما إذا كان لديهم تَخْطيطٌ حقيقي لعملية النِّسَاخَة أم لا ، فقد كانت المَخْطوطاتُ تُنْجَزُ عُمُومًا بناءً على طَلَبٍ ـ رُبَّما باستِثْناء المُصْحَف الشَّريف . ورغم أنَّ المثال التالي ، والذي يعود إلى شيراز نحو منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، يُمَثِّل حالَةً خاصَّةً تَجْعَلنا مع ذلك نَظُنُّ بوجود إنتاجٍ سابقٍ على الطَّلَب ؛ ورُبَّما تُقَدِّم دراسةُ المخطوطات «الشَّعْبِيَّة» ، التي لم تُعْمَل حتى الآن ، إضاءَةً جَديدَةً في هذا الاتِّجاه .

المُصَوِّرون والمُزَيِّنون

تَخْتَلِفُ الأَوساطُ الثَّقافية والحِرَفية التي كانت تُنْجَزُ فيها المَخْطوطاتُ المُزَيَّنَةُ والمُزَخْرَفَة بشكلٍ كبير . فكانت العَوامِلُ الاقتصادية تُشَكِّل عِبْئًا كبيرًا على طبيعة وتَقْسيم رُعاة الآداب والفُنُون ، وعلى المَوَاهِب والمواد المستعملة والأجور . إنَّها نقاطٌ عَديدَة تَستَحِقّ الدِّراسة مستقْبلًا . وقد قَدَّمنا فيما سَلَف مُخَطَّطًا حول تَنَوُّع أوضاع النُّسْخَة ، ويُوجَد بالمثل التَّنَوُّع نفسه فيما يخص التَّزْيين والزَّخْرَفَة .

ومن المُحَتَّم أنَّ المعلومات ستكون أكثر وَفْرَة عن الوسائل اللَّازِمَة لإنجاز النُّسَخ المُعْتَنى بها (الخِزَانية) عن تلك الخاصَّة بإنتاج الجملة . فكان لأعْيانِ رُعاة الآداب ورشهم الخاصَّة ، التي كان يعمل بها الفَنَّانُون ومعهم مساعدوهم وتلاميذهم تحت إشْراف شَيْخٍ أو عِدَّة شيوخ . هكذا أنْجَز العَديدُ من سلاطين العُثْمانيين مخطوطات بهذه الطَّريقَة ، وتُقَدِّمُ لنا الوَثائِقُ المحفوظة في أرْشيفات إستانبول تفصيل المبالغ المالية التي كانت تُدْفَع إلى مختلف المشاركين في مراحل هذه الصِّناعَة . وكانت أُجْرَةُ الفنان الماهر/ منطقية ، بينما لم يَحْصُل مُعاوِنُوهم إلَّا على أُقْجات aqce قليلة في اليوم ، الأمر الذي يُمَثِّل عائِدًا مُتَواضِعًا . وكان يَعْمل في



٧٢. خُطُوطٌ تمهيدية. مَخْطُوطٌ من نهاية القرن الرابع عشر .
باريس رقم BnF persan 1561، ورقة ١١١ظ.

المُحْتَرَف الإمبراطوري في كامِلِ أُبَّهَتِه ، في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، العديدُ من الفنّانين لزَخْرَفَة المخطوطات ، كلٌّ واحد منهم مُتَخَصِّصٌ في مجاله : تسطير وتَزْيين الهَوامِش ، ورَسْم وتَذْهيب وحدات الأرابِسْك ... إلخ . (شكل ٧٢)

وكانت الوِرَشُ التي تُلَبِّي احتياجات السُّوق عادةً ذات حَجْم متواضِع ، وتُنْجِزُ عَمَلًا يَبْلُغ غالِبًا مستوًى مرتفع من التَّنْفيذ ، لأنّه أقلُّ جَذْبًا للانْتِباه من نَظيره الذي تُنْتِجه المُحْتَرَفات الأميرية . فقد كانت أساليبُ التَّزْيين التي كانت تُعْمَل بشيراز ، على سبيل المِثال ، تَتَمَتَّع بحُظْوَةٍ كبيرة وأثَّرت بطريقةٍ ظاهِرَة على فَنّاني الهِنْد ومناطق أخرى . ولا يَنْطَبق هذا التَّقْريرُ فحَسْب على إنتاج الجُمْلة الذي يرجع إلى العَصْر الصَّفَوي[١٢٣] .

وكما سَبَق أن ذكرنا فإنَّ النُّسّاخَ كانوا مسئولين أحيانًا كذلك عن التَّزْيين ، مثل حالة سَعْد بن محمد الكَرْخي الذي يَظْهَر اسمه على مُصْحَف لندن رقم BL Or. 13002 (٤٠٢هـ/١٠١١م) ، والذي يمكن أن يُذْكَر إلى جانب علي بن أحمد الوَرّاق وعُثْمان بن حُسَيْن الوَرّاق الغَزْنَوي ، السابق ذكرهما . وفيما بعد ، في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، تُظْهِرُ حالة روزبهان محمد الطَّبْعي الشِّيرازي اسْتِمْرار هذا التَّقْليد[١٢٤] . ونستطيع أن نُعَيِّنَ أيضًا فِئَتين أخرَيَيْن تَضُم الأولى النُّسّاخ المُحْتَرِفين المُسْتَقِلِّين ، أو أيضًا «الكُتُبيين» الذين يُنَفِّذون تَزايين أقلّ طُمُوحًا ؛ وتتكون المجموعة الثانية من الذين يَنْسَخُون مخطوطات لاستخداماتهم الشَّخْصية ويضيفون إليها زخارف ، وبالرغم من أنَّ عملهم تَنْقُصه المهارة دائمًا ، إلَّا أنّه تُوجد أمثلةٌ تُظْهِر بعض المهارَة .

١٢٣. درس رايت Wright حالة من هذا النوع بشكل دقيق جدا : «An Indian Qur'an and its 14th-century model», *Oriental art*, Winter 1996/1997, p. 8-12.

١٢٤. D. James, *After Timur*, p. 144-149.

المُجَلِّدون

يَنتمي عليُّ بن محمد المُجَلِّد ، ناسِخُ مخطوط باريس رقم BnF ar. 6883، المُؤَرَّخ سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، دون شَكٍّ إلى طائفةِ الصُّنّاع مُتَعَدِّدي الكفاءات والذين ذكرنا بعضهم في السُّطُور السّالِفَة : فمِهْنَةُ المُجَلِّد التي كان يُمارِسُها وَجَدت تَتِمَّةً مُوافِقَةً مع مِهْنَة النّاسِخ والتي لا نستطيع أن نعرف إن كان ذلك قد تَمَّ مُصادَفَةً أم لا . وفي الحقيقة فإنّه من الصُّعُوبة بمكانٍ أن نُكَوِّن صُورَةً واضِحَةً عن وَضْعِ هؤلاء الصُّنّاع ؛ فكما سنرى فيما بعد ، فإنَّهم نادرًا ما كانوا يُوَقِّعون أعمالهم ، وما نعرفه عنهم نستمدّه بالأحرى من المصادر الأدبية . إنَّ المؤلَّفات التِّقْنية شحيحَةٌ في إشاراتها[١٢٥] ، ولا توجد أمامنا إذًا/ سوى المُؤَلَّفات المتأخِّرَة التي خُصِّصَت لذكر الخَطّاطين والمُصَوِّرين التي تذكر - بطريقةٍ هامِشِيةٍ جدًّا - مُجَلِّدًا مُتَمَيِّزًا[١٢٦] .

ومن المُؤَكَّد أنَّ هذه المِهْنَة كانت تَتَمَتَّع باعْترافٍ أكيد ، وكُلُّنا يَعرف نَصَّ كتاب «الفِهْرِسْت» الذي يُشيرُ إلى مُعَلِّمي هذه الصَّنْعَة في العَصْر القديم ، أمثال ابن أبي الحَرِيش الذي كان يُجَلِّد في خِزانَة الحكمة للمأمون[١٢٧] . ولكن ، وبعد تفكير ، تَظَلُّ الظُّرُوف التي عَمِلَ فيها هؤلاء الصُّنّاع غامِضَة : ولو لم تَكُنْ الرُّسُومُ الهامشية لـ «ألبوم جِهَانكير»[١٢٨]، لوَجَدْنا بعض المَشَقَّة في تَصَوُّر الحَرَكات التِّقْنية ، فالمُنَمْنَماتُ القليلة التي تُظْهِر المُجَلِّدين لا تَصِف إلّا سَطْحِيًّا الوَرْشَة والآلات[١٢٩] .

١٢٥. من أجل تذكير بهذا الأدب انظر : A. Gacek, «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbili in his 'Kitab al-taysir fi Sina'at al-tasfir'», *MME* 5, 1990-1991, p. 106-113.

١٢٦. خصص القاضي أحمد نبذة عن حياة المُجَلِّد مولانا قاسم بغ التبريزي (راجع Qadi Ahmad, trad. V. Minorsky, *op. cit.*, p. 193-194).

١٢٧. ابن النديم : الفهرست ، تحقيق فلوجل ، ليبتسج ، ١٨٧١، ص ١٠؛ تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٥٠هـ/١٩٧١م، ص ١٢.

١٢٨. نشرت صور لبعض الجزئيات المرتبطة بالتّجليد في معرض شيكاغو CHICAGO 1981, p. 45, fig. 5 , p. 52, fig. 8 .

١٢٩. *Scribes*, p. 57، مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 775، ورقة ١٥٢ظ .

الخطوط

«يجب أن أمْتَنِع عن إعْطاء تَحْليلٍ بالْيوجْرافي لنماذِج الخُطُوط بَعيدًا عن بعض مُلاحَظاتٍ عن الخُصُوصيات الأكثر وُضوحًا لهذه الخُطُوط. ويَرْجِعُ ذلك إلى أنَّ العَمَل التَّمْهيدي في هذا المجال لم يتم إنجازُه بعد. فإلى الآن لا يُوجَد أيُّ مِعْيارٍ كامِلٍ لوَصْفِ الخَطِّ العَرَبي. فالبَساطَةُ التي تَجْعَلنا نُطْلِق بسهولة على كُلِّ الخُطوط المذكورة هنا الخَطَّ النَّسْخي، تُثْبِتُ أن هذا الاسْم يُسْتَعْمل على مَضَضٍ، ويمكن كذلك أن نتركه كُلِّيَّةً. وحتى الإشَاراتُ الأكثر بدائية المرتبطة بمَصْدَرِ المَخْطُوطات العربية وتأريخها لم تُحَدَّد، ولا يمكن تَحْقيقُ هذه المُهِمَّة دون مُرَاعاة البالْيوجْرافيا الفارسية والتركية».

J.J. Witkam, *Seven specimens of Arabic manuscripts* ..., Leyde 1978, p. 18.

إنَّ عِلْمَ تَطَوُّرِ الخَطِّ paléographic، كما أشَرْنا إلى ذلك بطَريقَةٍ مُوجَزَة في المَدْخَل، لا يمكن فَصْلُه عن عِلْم المَخْطُوطات codicologie. ولا يَرْتَبِطُ هذا الوَضْعُ، الآن على الأَقَلِّ، بوَضْعِ عِلْمٍ للأشكال الخَطِّيَّة القَديمَة جَديرٍ بهذا الاسْم. وتَطْمَحُ السُّطُورُ التالية إلى تَعْويد القارئ على أهْدافِ عِلْم تَطَوُّر الخَطِّ ووَسائله، وأن تَعْرِضَ عليه ما جَدَّ من دِراساتٍ في هذا المجال وأن تُشيرَ إلى بعض تَوَجُّهات البَحْث.

عِلْمُ تَطَوُّر الخَطِّ (البالْيُوجْرافيا)، أهْدافُه ووَسائِلُه

تزامَنَ ظُهورُ كلمة بالْيُوجْرافيا تَقْريبًا مع ميلادِ هذا العِلْم، الذي يُعَرَّف بأنّه «مَعْرِفَةُ عِلْم الكتابات القَديمَة»[1]؛ وقد ظَهَرَ، في الواقِع، في عنوان كِتابِ الرَّاهِب البِنِدِكْتي برنارد دي مونت فوكون Bernard de Montfaucon، *De paleographia gracca*[2]

١. نستعيد التعريف الذي يقدمه قاموس روبير Robert, P., *Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française*.

٢. B. de Montfaucon, *Palæographia gr?ca, sive de ortu et progressu litterarum græcarum et de variis omnium sæculorum scriptionis græcæ generibus*, Paris, 1708.

الذي نَشَرَه سنة ١٧٠٨م بعد ما يَقْرُب من ثلاثين عامًا من صُدُور كتاب *De re diplomatica*[3] لجون مابيون Jean Mabillon، الذي يُعَدُّ / تَقْريبًا العَمَلَ المُؤسِّس لعِلْم البالْيُوجْرافيا. وبسرعة وُظِّفَت الكلمةُ في دائرة الدِّراسات العربية، حيث اسْتَخْدَمَها جاكوب چورچ كريستيان أدْلَر J. G. C. Adler، في نهاية القَرْن الثَّامن عشر للميلاد، في مَعْرِض حديثه عن النُّقُود الكُوفيَّة التي نَشَرَها في كتابه *Museum cuficum borgianum Velitris*[4].

المَعْرِفَةُ التَّجْريبية بالخُطُوط

لم يكن عِلْمُ تَطَوُّر الخَطِّ، مع ذلك، شيئًا مَجْهُولًا تمامًا قبل هذه الأعمال التي جِئْنا على ذكرها: فمُطالَعَةُ المَخْطُوطات القديمة أو نَسْخُها تَفْتَرِضُ بالفِعْل مَعْرِفَةً عَمَليةً من جانِب المُطالعين أو النُّسَّاخ بتَطَوُّر الخُطُوط القديمة. وسَيَشْهَدُ على هذه المَقْدِرَة في قِراءَة الخُطُوط على سبيل المثال إلى حَدٍّ ما: قُيُودُ مُطالَعَةٍ أحْدَث من المَخْطُوطِ نفسه، وبشكلٍ مختلف بعض الشيء، فإنَّ مُصْحَف إستانبول رقم TKS H. S. 17 يَحْمِل شاهِدًا على وُجودِ هذه البالْيُوجْرافية التجريبية: فيُوجَد في هَوَامِشه نَسْخٌ للنَّصِّ بيدٍ حَديثَة[5]. وكما ذَكَرَ يان ياست ويتكام Jan Just Witkam فإنَّ تاريخَ نَصِّ «طَوْقِ الحَمَامَة» لابن حَزْم يَفْتَرِضُ أنَّه في لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ قامَ ناسِخٌ بنَقْلِ نُسْخَةٍ بالخَطِّ المَشْرقي عن أَصْلِ الكتاب المكتوب بالخَطِّ المغربي[6]. ولا تَتَطَلَّبُ قِراءَةُ خُطُوط المَخْطُوطات القديمة، مع ذلك، امْتِلاكَ معرفةٍ تِقْنيةٍ مُتَقَدِّمَة جدًّا. ولا يبدو مُؤَكَّدًا أنَّ مُمارَسَة نُسَّاخ العالم العربي الإسلامي الذين لم يقوموا إلَّا باسْتخدامٍ مُعْتَدِلٍ جدًّا للمُخْتَصَرات انْحَصَر

٣. J. Mabillon, *De re diplomatica, libri vi, in quibus quidquid ad veterum instrumentorum antiquitatem, materiam, scripturam et stilum; quidquid ad sigilla, monogrammata, subscriptiones ac notas chronologicas; quidquid inde ad antiquitariam, historicam forensemque disciplinam pertinet explicatur et illustratur*..., Paris, 1681؛ وكما يشير إلى ذلك العنوان فإن الانشغال بالأخذ بعين الاعتبار المظاهر المادية ـ وبالتالي ليس فقط الخط ـ كان حاضرًا في تلك الفترة.

٤. J. G. C. Adler, *Museum cuficum borgianum Velitris*, Rome, 1782, p. 32.

٥. F. E. Karatay, *Topkapî Sarayî Müzesi kütüphanesi arapça yazmalar katalogu*, t. I, Istanbul, 1962, p. 22, n°64.

٦. «Establishing the stemma: fact or fiction?», *MME* 3, 1988, p. 90.

عمليًا في مُحيطِ النَّصّ، قد سَهَّلُوا مُطالَعَة المَخْطوطات رغم تَطَوُّر الخُطُوط؛ فلم تَتَطَلَّبْ القراءَةُ إجمالًا إلّا مَعْرِفَةً جَيِّدَةً باللُّغَة.

التَّصْنيفاتُ القَديمَةُ

تَوَفَّرَ مُطالِعُو المَخْطوطات ذات الكتابات القديمة كذلك على تصنيفٍ تجريبي للخُطوط القَديمَة: فقد كانوا يستطيعون عند الحاجَة أن يُسَمُّوها باسْمٍ نَوْعي ويقومون إذًا، دون أن يَعْلَموا، بعَمَلِ عُلَماء الخُطُـوطِ القديمة. وحَدَّدَ ناسِخُ مخطوط باريس رقم BnF ar. 167 أنَّ الأَصْلَ الذي نَقَلَ منه كان «بالخَطِّ العِراقي»[٧]. وكان مُحَرِّرُ أو مُحَرِّرو السِّجِلّ القديم لمكتبة جَامِعِ القَيْرَوان قادِرين مُباشَرَةً على تَمْييز الخَطّ الكوفي والصِّقِلّي والنُّوباري أو الشَّرْقي[٨]. وبسبب / خاصِّيتها التِّقْنية، فقد أدَّت مُمارَسَةُ المُطَالَعَة، في تقاليد مخطوطاتية مختلفة، إلى ميلاد مُؤَلَّفاتٍ تَجْمَع المُعْطيات المادِّية (القَلَم، الحِبْر، تَجْهيز حَوامِلِ الكتابة ...)، وتُعْطي أحيانًا إشارات عن تَنَوُّعِ الخُطوط المستخدمة. وسَاعَدَت المكانَةُ الاسْتِثْنائية للكتابة في الحَضَارَة الإسلامية، في الواقع، على ظُهُور نُصُوصٍ تُعنى كذلك بالممارسة «الكاليجرافية» وتُعْطي أسْماءً للخُطوط ونَماذِجَ لها في بعض الأحْيان. ونَتَجَت بعضُ هذه الأسماء من مُمارَسَة الكُتَّاب والخَطَّاطين المعاصرين لكتابة النَّصّ، وهي بذلك لا يمكن أن تكون من المعرفة الباليوجْرافية في شيء؛ وبالمقابل، فإنَّ بعض هذه الأسماء يرتبط بخُطُوطٍ لم تعد تُسْتَخْدَم منذ زَمَنٍ وتُـمَثِّل «مَعْرِفَةً بعِلْم الكتابات القَديمَة». ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ إنْتاجَ نُسَخٍ مُزَوَّرَةٍ من الكتابات القَديمَة يُؤَكِّدُ ذيوع هذه المَعْرِفَة، مثلما هي حالَةُ مَـخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6726 المَنْحُول للأصْمَعي[٩]، ويُعَزِّزُ ذلك نِسْبَةُ مَصَاحِف

224

٧. *FiMMOD* 30.

٨. إبراهيم شبوح: «سجل قديم لمكتبة جامع القيروان»، مجلة معهد المخطوطات العربية، ٢/١ (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م): انظر مثلا في ٣٤٦ (الشرقي)، ٣٤٧ (النوباري)، ٣٦٦ (صِقِلّي) وكذلك (كوفي؛ أو كوفي ريحاني ص ٣٤٦).

٩. G. Vajda, *Album de paléographie arabe*, pl. 3; F. Déroche, «A propos du manuscrit «arabe 6726», Bibliothèque nationale, Paris (Al-Asma'î, Ta'riI muluk al - 'Arab al - awwalîn)», *REI* 58, 1990, p. 209 - 215.

أو قِطَعٍ من مَصَاحِف بخُطُوطٍ قديمَة إلى شَخْصياتٍ بارزَةٍ من صَدْرِ الإسْلام[١٠]. وعلى الرَّغْم من هذه الخاصِّية غير الدَّقيقة التي تَتِمُّ بها هذه النَّماذِج التَّقْليدية، فإنَّ الأمْرَ يعني مع ذلك شَكْلًا أوَّلِيًّا للباليوجْرافيا التجريبية. وحتى وإن كان الاحْتِراسُ وَاجِبًا في استخدام هذه الأوْصاف التي انْتَشَرَت بهذا الشَّكْلِ (والتي لن تكون، كما سنرى فيما بعد، إلّا لأسبابٍ مُرْتبطة بتداول النُّصُوص) فإنَّ بَعْضَها مُؤَثِّر إلى حَدٍّ ما: فأسْمَاءٌ مثل «مَغْربي» وأيضًا «نَسْتَعْليق»[١١] يمكن أن تُعَيِّنَ خُطوطًا بذاتها بطريقةٍ فَعَّالة. وحتى المُصْطَلَح الفَضْفاض «نَسْخي» يُعْطي فكرَةً تَقْريبيةً لنَوْعِ الخَطِّ المقصود به هذا الاسْم. وهذه المُسَمَّياتُ المختلفة في العالم الإسلامي، والتي يعرفها المُسْتَشْرقون منذ زَمَنٍ بعيد، تَسْمَحُ إذًا بالحَديث عن الخُطُوط، ويمكن أيضًا أن تَتَعَدَّى إلى نَوْعٍ من التَّصْنيف، من المُؤَكَّد أنَّه ناقِص، لكُلِّ من ليس له اهْتِمامٌ بالتَّرْتيب الزَّمَني أو التاريخ.

مَنْهَجُ عِلْم تَطَوُّر الخَطّ

إنَّ القَطيعَة التي أدْخَلَتْها أعْمالُ جون مابيلون Jean Mabillon وبرنارد دي مونت فوكون Bernard de Montfaucon، بالنِّسْبَة إلى المَعْرِفَة التَّقْليدية لهذا النَّوْع، تَرَتَّب عليها إدْخالُ الخِبْرَة بالخُطُوط إلى مجال العُلُوم التاريخية / باعْتبارها عِلْمًا مُساعِدًا للتاريخ. فعِلْمُ تَطَوُّر الخَطّ بأخْذِه في الاعْتبار إلى حَدٍّ ما أغْراض التَّقْريب المبنية على المُلاحَظَة التي تَحَدَّثْنا عنها، قد مَنَحَ أبْعادًا جديدةً وأكثر اتِّساقًا لعِلْم الكتابات القَديمَة. ولا يَقْصِد علم تَطَوُّر الخَطّ أن يُعْطي فقط أُسُسًا صَلْبَةً لقِراءَة خُطُوطِ النُّصُوص المخطوطة القديمة، ولكنَّه يُريدُ كذلك أن يُقيم على قَوَاعِدَ ثابتة تحديد الأصَالَة والعَصْر والمَصْدَر الذي جاءَت منه الوَثائق التي تُشَكِّل مَوْضوعه. ويَفْتَرِضُ هذا القَصْدُ بالتأكيد أنَّ الخَطَّ مَوْضوع الدِّراسة قد تَغَيَّرَ خلال القُرُون وعَبْر المكان، وهي فَرْضِيةٌ نَنْطَلِق منها لنعرف جَميعًا بطريقةٍ تجريبية أنَّها تُطابِقُ تَقْريبًا الحَقيقَة فيما يتعَلَّق بالخَطِّ العربي.

225

١٠. جمع صلاح الدِّين المُنَجِّد العديد من الإسهامات من هذا النوع في كتابه عن الخطوط القديمة (دراسات في تاريخ الخط العربي، ٥٠ - ٦٠، ٦٤ - ٧٦).

١١. ومع ذلك يجب أن نحتاط من التنوعات الإقليمية في استعمال هذه الأسماء: هكذا عرف النَّسْتَعْليق في تركيا بالتَّعْليق.

إنَّ ضَبْطَ التَّصنيف إذًا أوْلويةٌ ضرورية في تَطَوُّر الباليوجرافيا . ومن أجْل إمكانية تكوين تَصْنيفٍ للأشْكال المختلفة لخَطٍّ ما ، فالباليُوجرافيا (عِلْم تَطَوُّر الخَطّ) تتكوَّن بَداءَةً من سِلْسِلَةٍ من الوَثائق (المُؤَرَّخَة أو التي يمكن تَعْيين تأريخها بطريقة مثالية) تُقَدِّمُ نَمَطَ الخَطِّ نفسه والتي تُقَدِّم له أيضًا ، من خلال الفَرْضية الأكثر ملاءَمَةً ، تحْديدًا للأماكِن التي يَنْحَدِر منها . وفَوْرَ جَمْع المراجع المُوَثَّقَة ، فإنَّه يتحتَّم القِيامُ بنَقْدِها بغَرَضِ اسْتِبْعاد العَيِّنات التي تبدو غريبةً عن المجموع : وتَدُورُ المرحلةُ الأولى (تكوين المجموعات) ، في الواقع ، على قَواعِد مبنية على المُلاحَظَة وبالتّالي فإنَّ نَتائِجها يجب تقديرها بعناية . وبمجرَّد تَجاوز هذه المرحلة فإنَّ عالِم الخَطِّ يُحَدِّد خَصَائِص الكتابة ، سواء على مستوى مَظْهَرِها العام أو شكل الحروف التي تُعَدُّ ذات طابع فردي . وفي نهاية هذه المحاولة ، فإنَّ الحُدُودَ التاريخية والجغرافية ، لكلِّ مجموعةٍ من الوَثائِق يمكن تحريرها عند الضَّرورة ، انْطِلاقًا من الإشارات التي تُقَدِّمها حُدُودُ المَتْن وعَلاماتٌ (مثل الوَقْف والسَّماعات ...) أو أيضًا باعْتبار البِنْيَة المادِّية للمَخْطُوط . وحَجْمُ المجموعات المختلفة المكَوَّنَة ينعكس على صِحَّتها ، فبقَدْر ما يكون عَدَدُ المَخْطُوطات المسجلة قد نُسِخَ نحو العَصْر نفسه ، وفي المنطقة نَفْسها ، ويُقَدِّم الخَصَائص الكتابية نَفْسها ، بقَدْر ما تكتسب المجموعةُ المكَوَّنة صَلابَةً وحُجِّيَّةً . فخُطُوطُ الفَترات والمناطِق التي تَنْحَصِر فيها مَوادُّنا المُوَثَّقَة لا يمكن إذًا أن تحْصَر بدَرَجَة التَّدقيق نَفْسها مع تلك المعروضة بوَفْرَة في المجموعات .

تَطْبيقاتُ عِلْم تَطَوُّر الخَطّ

ابتداءً من اللَّحْظَة التي يتأسَّس فيها الإطارُ المَرْجِعي عن طَريق هذا المَنْهج الباليوجرافي الذي يمكن أن نَصِفَه بالعام ، فإنَّ عالِم تَطَوُّر الخَطّ يجد نفسه قادِرًا على أن يَتَّخِذَ دَوْرَه كخبيرٍ في الخُطُوط القَديمَة : وأن نَنْتَظِرَ منه أوَّلًا أن يُؤَرِّخَ ويُحَدِّدَ مَكان وَثيقَةٍ *x* لا تحمل أيَّ دَليل مُباشِر للتأريخ أو تَحْديد المكان . فيجب عليه قبل كُلِّ شيءٍ تحديد تبايُن الخَطِّ الذي يُؤْخَذ رأيُه فيه/ ورَبْطه بالتالي بمجموعٍ *y* يعرف تمامًا أبْعادَه التَّاريخية والجُغْرافية ؛ فحينما تَتَطابَق الوَثيقَةُ *x* في الخَصَائص الخَطِّيَّة ؛ مع المجموع *y*، فإنَّهما تتقاسَم نظريًّا كذلك التأريخ والمكان . وبمجرَّد أن يقوم عالِم تَطَوُّر الخَطّ بإنجاز هذه المقارنة بنجاحٍ ، فإنَّه من الطَّبيعي أن يأخُذ في الاعْتبار العَوامِلَ المختلفة التي تحُدُّ

سَرَيان مَفْعُول هذه المهمة بالطَّريقة التي ذكرناها : فقد يَرْحَل النُّسَّاخ وقد يُعَمَّروا أحْيانًا لفترةٍ طَويلَة ، ويحافِظُون هكذا على أساليبَ خَطِّية قد عفي عليها ؛ وقد يُحْيُون خُطُوطًا أخرى لأجيالٍ عَديدَة بعد ذلك ، ويستطيعون فِعْل ذلك أحْيانًا بنِيَّة الغِشّ . كذلك ، يجب أن يَمْتَدّ عَمَل المقارَنَة هذا إلى المجالات الأخْرى التي يدرسها عِلْمُ المَخْطُوطات ؛ ولنَضْرِب مِثالًا واضِحًا على ذلك وسَهْلًا في الفَهْم ، فإنَّ عالِم الخُطُوط القَديمَة سيكتشف أنَّ الخَطَّ العَبَّاسي القديم المكتوب به الورقتان ٤ و٥ من مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 580 لا يَنْسَجِم من وِجْهَة نظَر تاريخية مع حَامِل الكتاب ، وهو وَرَقٌ غربي ذو علامة مائية يرجع إلى القرن الثَّامِن عشر الميلادي[١٢].

وكما فهمنا من السُّطُور السَّابقة ، فإنَّ عَمَلَ عالِم تَطَوُّر الخَطّ يرتكز أساسًا على مَنْهَجٍ مُقارَن . فالبَحْثُ عن وَثائِقَ مُؤَرَّخَة تُقَدِّم شَكْل الخَطِّ نفسه الذي يَفْحَصه أمْرٌ جَوْهري . ولا يجب أن نُهْمِل التَّعايُش مع المَخْطُوطات بما أنَّها تَسْمَحُ غالِبًا بتَعْميق المُلاحَظَة ، ولكن أرْصِدَة أيَّة مكتبة لها حُدُودُها : وظَهَرَت خِلالَ القرن الماضي تِقْنياتٌ وَسَّعَت نِطاق التَّوْثيق اللّازم لإتْمام البَحْث عن مُقارَنَاتٍ وتَمْنَحُها من الآن فصاعِدًا المزيد من الاتِّساع . ومثل سَائِر المجالات فقد أفادَ عِلْمُ الخُطُوط القَديمَة من التَّقَدُّم التِّقْني ، ورُبَّما كان أيضًا أكثر قابلية لها من هذه المجالات ، وعلى الأخَصِّ في مجال إنْتاج الوَثائِق ومُعَالَجَة الصُّوَر . وخِلال القَرْنَيْن اللذين وُجِد فيهما عِلْم الباليُوجرافيا شَاهَدَ إحْلال الكتابة باليد ، التي كانت أحيانًا الذَّاكرة البصرية الوحيدة ، بالتَّصوير الشَّمْسي الذي اسْتُكْمِل سَريعًا بالنَّسْخ التَّصْويري ثم بالمعلوماتية والتي سيكشف المستقبل عن مَدَى فائدتها لعُلَماءِ تَطَوُّر الخَطّ[١٣]. كذلك فإنَّ نَوْعِيَّة وكَمِّيَّة المادَّة المُوَثَّقَة المُتَوَفِّرة لعالِم تَطَوُّر الخَطّ تضاعَفَت بأبْعادٍ كبيرة ، مع أنَّ المَخْطوطات بالحَرْف العربي ، كما سنرى ،

---

١٢. يتعلّق الأمرُ بصورة طبق الأصل لأوراق أصلية محفوظة في كوبنهاجن (راجع : Déroche, *cat.* 1/1, P. 157, n° 294).

١٣. بدأ التفكير في التحليل الآلي منذ عقد السبعينيات من القرن العشرين (انظر على سبيل المثال : C. Sirat, *L'examen des écritures: l'œil et la machine. Essai de méthodologie*, Paris, 1981) : وطور حديثًا رضوان وكوندييايف أبحاثًا في هذا الاتجاه (E. Rezvan et N. S. Kondybaev «New tool for analysis of handwritten script», *Manuscripta orientalia*, 2/3, 1996, p. 43 - 53; «The ENTRAP software: test results», *Manuscripta orientalia*, 5/2, 1999, p. 58 - 64.

لم تستفد بشكلٍ كبير من الإمْكانات التي بدأت تُتاح . كذلك فإنَّ للتِّقْنياتِ المعملية التي تَحَسَّنَت وتَعَدَّدَت على مَرِّ السِّنين كلمتَها في هذا الشَّأن .

227 / إذًا فإنَّ للباليُوجْرافي دَوْرَ الخَبير : حيث تُتِيحُ له مَعارِفُه ومَناهِجُه نَظَرِيًّا تحديد زَمَن كتابةٍ مُعَيَّنَة وأصْلِها . ولكن اخْتِصاصاته وَاسِعَة جدًّا ، فهو أيضًا مُؤَرِّخٌ للكتابَة ، لأنَّ قِسْمًا من عَمَلِه يرتكز على أن يكون مُتابِعًا لتَطَوُّر شكل الخُطُوط وأن يَرُدَّ كُلًّا منها إلى سِياقه التَّاريخي والجُغْرافي ، وأن يأْخُذ في اعْتِباره مختلف العَوامِل التي يمكن أن تُؤَثِّر فيها . ويُشَكِّل عَمَلُ التَّصْنيف والتَّحليل الذي عَرَضْنا سَريعًا لأُسُسِه قاعِدَة التَّراكيب التَّاريخية[١٤] .

خُطُوط الكُتُب العربية : مُلاحَظاتٌ أوَّليَّة

يَبْقَى أن نَسْتَخْدِم السِّياقَ الذي أجْمَلْنا مَسْلَكه النَّظَري ، في نطاقٍ واسِع ، فيما يخُصُّ الكتابات العربية للكُتُب .

الصُّعُوباتُ التي نُصادِفها

يَصْطَدِمُ العَمَلُ حتى الآن بعَراقيل مُخْتلفة لن نَذْكُر منها سَريعًا إلَّا أكثرها بُروزًا : وهو غِيابُ الملاحَظات حَوْل الأُصول المُسْتَخْدَمَة لتَحليل الكتابة العربية ، وصُعُوبَة تَجْميع مَراجِع جِدِّية ، وصُعُوبَة تَحْديد الانْتِقال من أُسْلوبٍ إلى آخر ، وإعادَة اسْتِعْمال خُطُوطٍ مُتَنَوِّعَة في فَتْرَةٍ متأخِّرة ، وغِياب العَناصر المباشِرَة للتأريخ أو أيضًا وُجود إشارات خادِعَة (مَثَلًا حَرْفُ مَتْنٍ نُقِلَ كما هو عن أصْلٍ قديم) ، أو تَنَوُّع في طَريقة كِتابَة النَّاسِخ نفسه . وفَوْق ذلك ، فإنَّ أهَمِّيَّة الكاليجرافية تَنْزِع إلى خَلْطِ الأوْراق بإيجاد تيَّارٍ من الأبحاث والنَّشَرات يَصْعُب فيها التَّوْفيقُ بين جانب التَّقْويم الجمالي وأيضًا الأحْكام الانْفعالية ودَواعي الصَّرامَة التي يَفْرِضُها عِلْمُ تَطَوُّر الخَطّ . ومن المُؤَكَّد أنَّ هذه

١٤. يظهر أنه المعنى الوحيد للمُصْطَلح الذي اعتمده المُنَجِّد : المرجع السابق ، ٧: «علم الباليوجرافيا أو علم تطور الخط العربي» .

الصُّعُوبات كبيرة ، ولكن بينما يكون بعضُها لازِمًا للتَّوْثيق ، فإنَّ بعضَها الآخر يكون أساسًا نتيجة النَّقْص البَيِّن في عَمَلِ المُسْتَعْرِبين : ولنُؤَدي الأشياء بطريقة فَظَّة قليلًا ، فإنَّ عِلْم تَطَوُّر الخَطِّ العربي المستخدم في الكُتُب متأخِّر بنحو قَرْنَيْن قِياسًا بما تَمَّ بالنِّسْبَة للمَخْطُوطات اللَّاتينية أو اليونانية . وتَعَقُّب مَسْلَك هذا العِلْم لن يكون مُجْدِيًا في إطار هذا الكتاب . وبالمقابِل يبدو أنَّ الأكثرَ أهَمِّيَة هو إبْراز التَّوَجُّهات التي اتُّبِعَت والطَّريقة التي تَمَّت بها الإجابَة على الأسْئِلَة الجَوْهَرِيَّة التي تَطْرَحُها دِراسَةُ الخُطُوط القديمة .

228 / وكما أشَرْنا إلى ذلك في بداية هذا الفَصْل ، فإنَّ الباليُوجْرافيا (عِلْم تَطَوُّر الخَطّ) دَخَلَت في حَقْلِ الدِّراسات العربية الإسلامية منذ ما يزيد على قَرْنَيْن . فقد ظَنَّ مُسْتَشْرِقو هذا العَصْر ، متأثِّرين رُبَّما بمعرفتهم بتَطَوُّر الدِّراسات اليونانية واللَّاتينية ، أنَّهم قد يجدون في المعارف التَّقْليدية للكُتَّاب والنُّسَّاخ المسلمين ، فيما يَخُصّ الخَطّ ، عَناصِرَ تَسْمَح بالبناء السَّريع لباليُوغْرافيا شَرْقية[١٥] . وقد تَرَتَّب على هذا اللَّبْس النَّسْبي الأوَّلي بَعضُ المشاكِل التي قُوبِلَت فيما بعد . فقد اسْتَأثَرت إلْحاحاتٌ أخرى ، ولفَتْرَةٍ طَويلَة ، بانْتِباه المُتَخَصِّصين بحيث إنَّهم قَنِعوا بهذا الوَضْع للأشْياء . ولم يَغِب الوَضْعُ مع ذلك عن الباحثين بعيدي النَّظَر ، فنجد فرنسيسكو كوديرا Francisco Codera، في سنة ١٨٩٨، يُعاين هذه النَّواقِص ويَقْتَرِحُ إمْكانات لتَطْويرها : «إذا كان عِلْمُ الخُطُوط ما زال في طَوْر الإنْشاء ، على الأقَلّ فيما يَخُصّ المَخْطوطات ، فماذا يجب أن يَفْعَل المُسْتَعْرِبون ليتوَجَّهوا في هذا البَحْث ؟ [...] فتَعْتَمد الطَّريقَةُ الطَّبيعية والسَّهْلَة نسبيًّا اليوم بفَضْل طُرُق الطِّباعَة التَّصْويرية ، على اسْتِنْساخ العديد من المَخْطُوطات ذات التأريخ المؤكَّد ، التي يمكن أن تكون نُقْطَة انْطِلاقٍ لتحديد الأشكال التي اتَّخَذَتها الحُرُوفُ على امْتِداد العُصُور المختلفة ، وتعريف العلامات المساعِدَة الخارجية التي اسْتُخْدِمَت في كتابة مختلف المناطِق والعُصُور»[١٦] .

١٥. انظر: F. Déroche, «Les études de paléographie des écritures livresques arabes: quelques observations», *al - Qan'ara*, 19, 1998, p. 365 - 381.

١٦. F. Codera, «Paleografia àrabe: dificultades que ofrece; su estado; medios de desarrollo», *Boletin de la Real Academia de la Historia*, 33, 1898, p. 303.

أدواتُ العَمَل : الألْبومات

إنَّ المُقارَبَة التي وَصَفَها المُسْتَعْرِبُ الأسباني الكبير (Codera)، والقريبة جِدًّا من تلك التي يتَّبعها الباليوجْرافيون الآخرون ، بدأت تَتَحقَّقُ بسلسلةٍ من الألْبومات التي نُشِرَت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وأهَمُّ هذه الألْبومات هو بلا رَيْب ألْبوم وليم رايت William Wright الذي رَبَطَ مُصَوَّرات لنَماذِج للخَطِّ العربي بوَصْفٍ دقيقٍ للمَظْهَر المادِّي للمَخْطُوطات[١٧]. وأمَّا المَجْمُوعُ الذي نَشَرَه برنارد موريتس Bernard Moritz واصْطَنَعَ له عُنْوانًا مُبالغًا فيه بعض الشَّيء دون شك ـ Arabic Palæography تَطَوُّر الخَطِّ العَرَبي[١٨] ـ فقد اسْتَحَقَّ مُؤلِّفُه عليه نَقْدًا شَديدًا من جوزيف فون كراباتشيك Joseph von Karabacek[١٩]: ومع ذلك فقد تَضَمَّن صُوَرًا لعَدَدٍ قَيِّم من المَخْطُوطات المحفوظة في مصر يمكن أن يُثْري الدِّراسات المُخَصَّصَة للخطِّ وكذلك لزَخْرَفَة المَخْطُوطات العربية . وأخيرًا ، حريٌّ بنا أن نُشيرَ إلى الألْبومات التي نَشَرها Agnes S. Lewis و Margaret D. Gibson[٢٠]، و/مُؤخرًا Eugène Tisserant[٢١]؛ وهذا الألْبومُ الأخير مُوَجَّهٌ أكثر إلى الاسْتِخْدام المَدْرَسي . وفيما بعد ، جاءَت مجموعاتٌ من اللَّوْحات لتُكْمِل هذه الإسْهامات الأولى : جَمَعَها أرثر أربري Arthur J. Arberry[٢٢]، وجورج ڤايدا Georges Vajda[٢٣]، وصلاح الدِّين المُنَجِّد[٢٤]، ويان ياست ويتكام Jan Just Witkam[٢٥]. وفي الخِتام نُشيرُ إلى «بطاقات

١٧. W. Wright, *Facsimiles of manuscripts and inscriptions (Oriental series).*

١٨. B. Moritz, *Arabic Palæography.*

١٩. «Arabic palæography», *WZKM* 20, 1906, p. 131 - 148.

٢٠. A. Smith Lewis et M. Dunlop Gibson, *Forty-one facsimiles of dated Christian Arabic manuscripts, with text and English translation.*

٢١. E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium.*

٢٢. A. J. Arberry, *India Office Library specimens of Arabic and Persian palæography.*

٢٣. G. Vajda, *op. cit.*

٢٤. صلاح الدين المنجد : الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري ، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٦٠.

٢٥. J. J. Witkam, *Seven specimens of Arabic manuscripts preserved in the Library of the University of Leiden.*

المَخْطُوطات الشَّرْق أوْسطية المؤرَّخة» (FiMMOD) والتي بدأ نشْرُها في سنة ١٩٩٢، وهي تَتَكَوَّن من بطاقاتٍ يصف كُلٌّ منها مَخْطُوطًا مع إيراد أُنْمُوذَجٍ لخَطِّه وحَرْد مَتْنه[٢٦].

وهذه الأدَواتُ الضَّرُورية للمَنْهَج المَوْصُوف فيما تَقَدَّم ما زالت غير كافيةٍ ، خاصَّةً بالقياس إلى العَدَدِ المُدْهِش من المَخْطُوطات بالحَرْفِ العَرَبي . حَقيقةً أنَّ فَهارِسَ المجموعات وأيضًا العَديدَ من المعارِض تشتمل على مُسْتَنْسَخاتٍ يمكن الاسْتِفادَة منها . ولكن يجب أن نُلاحِظ أنَّ المعلومات الجَوْهرية غائبة غالبًا ، كما أنَّ تَشَتُّت هذه المادَّة يجعل مُراجعتها أمْرًا مُضْجِرًا . ففي الحَقيقَة لا يُوجَد شيءٌ يُعَوِّض عمليًّا الغِيابَ المُؤْسِف لفهارس المَخْطُوطات المُؤَرَّخَة .

الدِّراسَاتُ النَّظَرِيَّة

وفيما يَخُصُّ الدِّراسات النَّظَرية ، وهي تلك الدِّراسات التي تَقْتَرح تَصْنيفًا للمادَّة الخَطِّيَّة وتأريخًا للمجموعات التي كَوَّنَتْها ، فقد ظَلَّت لفترةٍ طَويلَة تحت هَيْمَنَة الطَّريقة التي اتَّبَعَها رُوَّادُ هذه الأبْحاث . وبَرْهَنَ مُؤلَّفٌ مُهِمٌّ نُشِرَ عَشِيَّةَ الحَرْب العالمية الثَّانية على حُدُود هذه الطَّريقَة البَحْثية . فقد احْتَجَّت نَبِيَّة عَبُّود Nabia Abbot في كتابها *The Rise of the North Arabic Script and its Qur'anic Development* «نَشْأَةُ الكِتَابَة العربية الشَّمالية وتَطَوُّرُ اسْتِخْدامها في كِتابَة المَصَاحِف» بمجموعةٍ من سبع عشرة ورقة وقِطَعٍ من مَصَاحِف قديمة (من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ـ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) محفوظة في المعهد الشَّرْقي بشيكاغو ، لتُعاوِد طَرْح قَضِيَّة كتابات صَدْر الإسْلام[٢٧]. وتبعًا لها فإنَّ دراسة المَصَادِر العربية تَسْمَحُ بتَعْريف أنْواع الخُطُوط المختلفة وتَصْنيف الخُطُوط التي تَظْهَر في المَخْطُوطات : وقد دَفَعَت نَبِيَّة عَبُّود ، التي استطاعت أن تَسْتَثْمِر النُّصُوصَ العَديدة التي نُشِرَت منذ عَصْر جاكوب جورج كريستيان أذْلَر Jacob Georg

٢٦. تم وصف ٣٠٠ مخطوط وتصويرها في هذه السلسلة حتى سنة ١٩٩٩.

٢٧. N. Abbott, *The Rise of the North Arabic Script and its kur'anic Development.*

Christian Adler [٢٨]، المَنْهَج الذي اتَّبعه قَديمًا العالم الدانماركي ، إلى دَرَجَةٍ كبيرةٍ من الدِّقَّة .

230 / وتَطْرَحُ هذه الخُطَّةُ من وِجْهَة نَظَرٍ مَنْهَجِيَّة العَديدَ من الإشْكالات : فهي تَفْتَرِضُ أوَّلًا أنَّ نَشَرات النُّصُوص المُسْتَخْدَمَة قد حُقِّقَت بدِقَّة ، غير أنَّ الوَضْعَ في هذا المجال بعيدٌ عن أن يكون كذلك . وهناك مثالان يُصَوِّران الصُّعُوبات التي يمكن أن نقابلها . يرتبطُ المِثالُ الأوَّل بنَقْلِ النُّصُوص : فيُعَدِّد ابنُ النَّديم في «الفِهْرِسْت» أسْماءَ الخُطُوط القديمة ، ومن بين هذه الخُطُوط ، في نَشْرَة جوستاف فلوجل التي صَدَرَت في القرن التاسع عشر ، يظهر «الخَطُّ المائل» [٢٩]، وهي تسميةٌ وَصْفية اعْتَمَدَها أغْلَبُ المُتَخَصصين لتَعْريف خَطِّ العَديد من مَخْطُوطات القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي والثَّاني الهجري/ الثَّامن الميلادي [٣٠]. وتُقَدِّمُ نَشْرَةٌ حَديثَة لـ«الفِهْرِست» اعتمدت على مَخْطُوطاتٍ أقْدَم ، بَدَلًا من «المائِل» : «المُنابِذ» (خَطٌّ حُرُوفُه مُتباعِدَة) [٣١]. والمِثالُ الثَّاني ، رِسَالَةٌ مُوجَزَة في الخَطِّ مَنسُوبة إلى الخَطَّاط الشَّهير ابن مُقْلَة في أوَّل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، تَمَسُّ قضايا نَقْد النُّصُوص [٣٢]. ومع أنَّه لم يَتِمَّ إطْلاقًا مُراجعة صِحَّة نِسْبَة الرِّسالة إليه ، فلا يَتَرَدَّد الكثيرون في الاحتجاج بهذا النَّصِّ دون حتى أن يُثيروا قَضِيَّة أصالَتِه . إنَّ الإشْكالية المَنْهَجية الجَوْهَرية التي يَفْرِضُها اسْتِخْدامُ المصادرِ ليست مع ذلك مجهولةً في دائرة الدِّراسات الشَّرقية . فتُنبِّه مُتَخَصِّصَةٌ في المَنْسُوجات العربية إلى «أنَّ أصْعَبَ شيءٍ في مجالها هو تَعْريفُ المَنْسُوجات في إطار المُعْجَم العَرَبي

٢٨. في كتاب *Descriptio codicum quorumdam cuficorum partes Corani exhibentium in Bibliotheca regia hafniensi et ex iisdem de scriptura Arabum observationes novæ, Præmittitur disquisitio generalis de arte scribendi apud Arabes ex ipsis auctoribus arabicis adhuc ineditis sumpta*، الصادر في ألتونا Altona عام ١٧٨٠، شرع أدلر Adler، في استغلال النصوص العربية بشكل ممنهج لكي يؤسس لتصنيف الخطوط .

٢٩. ابن النديم ، الفهرست ، تح فلوجل ، ليبتسج ، ١٨٧١، ٦.

٣٠. J. von Karabacek, «Julius Euting's Sinaitische Inschriften», *WZKM* 5, 1891, p. 323 - 324.

٣١. ابن النديم ، الفهرست ، تح . تجدد ، طهران ، ١٣٥٠هـ/١٩٧١م ، ٩ (وأيضًا في ترجمة دودج : B. Dodge, *The Fihrist of al-Nadim. A tenth century survey of Muslim culture*, t. I, New York/Londres, 1970, p. 11) .

٣٢. A. M. Rayef, «*Die ästhetischen Grundlagen der arabischen Schrift bei Ibn Muqlah*»، رسالة دكتوراه في جامعة كولونيا ١٩٧٤.

لتلك الفَتْرَة ، فلا تُزَوِّدُنا النُّصُوصُ إطْلاقًا بوَصْفٍ مُفَصَّلٍ لنتأكَّد من أنَّ هذا المُصْطَلَح يَنْطَبِق على هذه العَيِّنَة أو تلك من المجموعة ، فنكتفي إذًا بالفَرَضيات» [٣٣]، ومن المُؤْسف أنَّ مُلاحَظَةً دقيقةً من هذا النَّوْع لم تَفْرِض نفسها مُبَكِّرًا على المهتمين بالخَطِّ ، وأنَّهم لم يَشْعُروا أنَّه في غِياب الرُّسُوم الواضِحَة المُصَاحِبَة للمُصْطَلَح ، سيكون من المُتَعَذِّر أن نَجِدَ حَلًّا بطريقةٍ أخرى لمُشْكِلَة نِسْبَة اسْمٍ إلى نَوْعٍ مُعَيَّن من الخَطِّ ، اللَّهم إلَّا إذا كان ذلك بشكلٍ اعتباطي . وكان مُؤَلِّفُو العُصُور الوسطى يلجأون إلى نُظَرائهم ، ولم يُؤَلِّفوا رسائل في عِلْم الخَطّ .

وإذا كُنَّا لا نأمَل كثيرًا في أن نجد تَحْديدًا دَقيقًا للخُطُوط انْطلاقًا من المَصَادِر ، فإنَّ الطَّريقَة التي ضَبَطَ بها مُؤَلِّفو العُصُور الوُسْطَىٰ تَصْنيف الخُطُوط يمكن أن تُقَدِّم إلى عالِم تَطَوُّر الخَطِّ مُؤَشِّرات قَيِّمَة حَوْلَ المعايير التي يمكن اسْتِخْدامُها في البَحْث عن تَصْنيفٍ مُلائم : والتَّحْليلُ الذي قَدَّمَه آدَم كچيك Adam Gacek لمحاولة النُّوَيْري هو من هذا المَفْهوم دالٌّ للغاية [٣٤].

231 / ومع ذلك فلم تَنْحَصِر الدِّراساتُ المُخَصَّصَة للكتابات (الخُطوط) القَديمَة في قِراءَةِ المَصَادِر فقط . ففي الفَتْرَة نفسها التي ظَهَرَ فيها كتابُ نَبِيَّة عَبُّود تَقْريبًا ، أثْبَتَ مَقالٌ لإريك شرويدر Eric Schroeder، اعْتمادًا على رَكائِز من المُؤَكَّد أنَّها مَحْدُودَة قليلًا ، سلسلةً مُتجانسةً من الخُطُوط [٣٥]، أرادَ أن يُعْطيها اسْمًا الْتَقَطَه من تَعْليقٍ هامشي ، فَسَارَ في حَقْلِ الدِّراسات الفيلولوجية بحُجَجٍ واهية عَرَّضَتْه لانْتِقاداتٍ عنيفَة - من بينها انْتقاداتُ نَبِيَّة عَبُّود [٣٦]. وبغَضِّ النَّظَر عن هذه المُؤَاخَذَة ، فقد كان لإسْهامِ شرويدر فَضْلٌ كبيرٌ في إظْهار إمْكانية تَطْبيق المَنْهج الباليوجْرافي على الخَطِّ العَرَبي ؛ وللأسَف فإنَّه لم يلْق إطْلاقًا صَدًى في وَقْتِه . ومنذ ذلك الحين ، حاوَلَ العديدُ من الباحثين ،

٣٣. G. Cornu, *Tissus d'Egypte, témoins du monde arabe. Collection Bouvier*, Genève/Paris, 1993, p. 28.

٣٤. «Al-Nuwayri's classification of Arabic scripts», *MME* 2, 1987, p. 126 - 130، ويُسْتَكْمَل بقراءة الكاتب نفسه في مقاله «Arabic scripts and their characteristics as seen through the eyes of Mamluk authors», *MME* 4, 1989, p. 144 - 149.

٣٥. E. Schroeder, «What was the badi' script?», *Ars Islamica*, 4, 1937, p. 232 - 248.

٣٦. «The contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic script», *Am. J. of Sem. Languages and Literatures* 56, 1939, p. 70 - 83.

بأَنْصِبَةٍ متفاوِتَة، أن يُحَلِّلُوا بطريقَةٍ مَنْهجيةٍ مختلف أنْواع الخُطُوط. هكذا خَصَّصَ نيكو فان دن بوجرت Nico Van den Boogert مُقارَبَةً مُدَقِّقَةً لأشْكالِ الخَطِّ المغربي وقَدَّمَ وَصْفًا دَقيقًا لخُطُوطِه المُمَيِّزة[٣٧].

وفيما يَخُصُّ خُطُوط المَصَاحِف التي تعود إلى بدايات الإسلام (خاصَّةً من القرن الأوَّل الهجري/ السَّابع الميلادي إلى القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي)، فإنَّ الدِّراسَةَ المباشِرَة لِقِطَعٍ من المجموعات الكبرى فَتَحَت البابَ لعَمَلِ تَصْنيفٍ يَرْجِع إليه الفَضْل ـ بقدر ما تُظْهِر الاكتشافات ـ في تحديد التَّسَلْسُل التَّاريخي وتَحْرير قَواعِد اسْتِخدام مختلف الخُطُوط[٣٨]. فلاشك أنَّ هناك تَطَوُّرًا مَلْحُوظًا: ففي الوَقْتِ الذي كان فيه، في الماضي، عَدَدُ المَخْطُوطات المَدْروسَة في العُمُوم قليلًا للغاية[٣٩]، فإنَّ الأبْحاث الحَديثَة تَعْتَمِد على سلسلةٍ مُهِمَّة من الوَثائق.

آفاقُ البَحْث

ما تزالُ دِراسَةُ خُطُوطِ المَخْطُوطات المكتوبة بالحُرُوفِ العربية لا تُوجَد إلَّا في هَيْئَة نُتَفٍ، وسيكون من الادِّعاء أن نتجاوَزَ بعض المُؤَشِّرات حَوْل النَّتائج التي حَصَلْنا عليها وحَوْل مَحَاوِر الأبْحاث التي يمكن أن تُسْهِم في تَطَوُّر هذا العِلْم.

قَضايا المُصْطَلَح

لقد تأثَّرت دِراسَةُ خُطُوط الكُتُب العربية بقُوَّةٍ بعُلُوم الباليوجْرافيا الغربية لأنَّها وُلِدَت في ظِلِّها. ورُبَّما نَتَجَ عن ذلك أنَّ خَصائِصَ الأسْلُوب العربي لم تُؤْخَذ نسبيًّا / بعين الاعْتِبار، وأنَّ العَديدَ من المفاهيم التي لا نَشُكّ في صَلاحيتها بالنِّسْبَة للكِتابَة اللَّاتينية واليونانية لا تبدو ملائِمَةً للمشاكل التي تُقابلنا عند تَحْليل الكتابة العربية. هكذا هو

٣٧. «Some notes on Maghribi script», *MME* 4, 1989, p. 30 - 43.

٣٨. F. Déroche, *Cat.* I/1. وللمُؤلِّف نفسه: *Abbasid tradition*, E. Whelan, «Writing the word of God I», Ars Orientalis, 20, 1990, p. 113 - 147.

٣٩. وبشكل خاص حالة كتاب نبية عبود المذكور سابقا (*The rise...*).

الحال بالنِّسْبَة لمفهوم الكتابة السَّريعة: فالكتابَةُ السَّريعة في الغَرْب هي الكتابة التي يُنْجِز فيها النَّاسِخُ أكثر من جزءٍ من الحَرْف وحتى أكثر من حَرْفٍ دون أن يَرْفَع قَلَمَه؛ وهذا التَّعْريفُ مفيدٌ في الإطار الذي يَسْمَح بتَمْييز سُرْعَة كتابَة الخُطُوط التي يَتَطَلَّبُ فيها إنْجازُ كُلِّ جزء من حَرْفٍ جَرَّة قَلَم. ولم تَعْرِف العربية حَصْريًّا هذه المُعارَضَة: فالحُرُوف التي تُنْجَز بجَرَّة قَلَمٍ واحدة كثيرَة، ويَفْرِضُ الأُسْلُوبُ أن تكون مُتَرابِطَة، حتى إنَّ أغْلَب تنوُّعات الكتابة يمكن وَصْفُها بالسَّريعة، إذًا فهذا المَفْهوم، بهذا الوَصْف، يبدو ذا فائِدَة محدودة.

وبالمقابِل، فحتى الآن لم يتم عَمَلُ تَمْييز جَوْهَري بطريقَةٍ مُتماسكة بين شَكْلِ الخُطُوط المعتنى بها (المُجَوَّدَة) والتي كَتَبَها خَطَّاطُون مُحْتَرِفون مع الاهْتمام بالانْتظام بقَصْد الحُصُول على نتيجةٍ أنيقة، من جانب؛ والكتابات التي لا تُعْنَى بالمَظْهَر[٤٠]، والتي نَفَّذَها أشْخَاصٌ لا يُسَيْطِرون بكفاءَةٍ على الكتابة أو لا يَشْعُرون بالحاجة لاسْتخدام كتابةٍ مُتجانِسَة، من جانِبٍ آخر. وبالنِّسْبَة للحُروف المُعْتَنَى بها (المُجَوَّدَة) فقد أُتيحت لنا الفُرْصَةُ لنَقْتَرِح وجود تَوَجُّهين أساسيين، الكتابة التَّرْكيبية من جهة، والكتابة المُعْتادَة (chirodictique) من جهة أخرى: ويَسْتَنِدُ التَّعارُض بينهما على مُلاحَظَة خَطّ الرَّبط، الذي يُخْفي في الحالة الأولى آثار انْتِقالِ اليد من حَرْفٍ إلى آخر، ولكن يجعلها ظاهِرَةً في الحالة الثَّانية[٤١].

ويمكن لهذا التَّمْييز أن يلتقي، في بعض الجوانِب، بمَفْهوم عَرَفَه جَيِّدًا مُنَظِّرو الخَطّ في العُصُور الوسطى: ففي الواقع، ومنذ وَقْتٍ مُبَكِّر، شَقَّ تَقْنينٌ لاسْتِخْدام أساليب الخَطّ طريقه، بشكل أوْضَح في مجال دواوين الإنْشَاء، وكذلك في مجال نَسْخ المَخْطُوطات. ويَتَّضِح هذا الأمْرُ نِسْبيًّا فيما يَتَعَلَّق بالمَصَاحِف التي كان لها خُطُوطُها الخاصَّة (خُطُوط المَصَاحِف)، وشَدَّدَت نَبِيَّة عَبُّود على تَجانُس الأيدي التي تَظْهَر على

٤٠. كان هوداس ـ حسب معرفتنا ـ هو أوَّل من أولى أهمية لهذا التمييز: (Houdas, «Essai sur l'écriture maghrébine», *Nouveaux mélanges orientaux*, Paris, 1886, p. 105 et 110)، وأدخلت نبية عبود نوعا لقبته «المطلق» للإشارة إلى الخطوط المنجزة بدون تطبيقات مسبقة: (*Studies in Arabic literary papyri*, t. I, Historical texts [Oriental Institute publ., 75], Chicago, 1957, p. 3)، وتجهل ألبومات الباليوغرافيا هذا التمييز بشكل عام؛ وإن كانت موجودة في الواقع في مؤلّفات الخط، دون الإشارة إلى ذلك.

٤١. F. Déroche, *op. cit.* (1998), p. 376 - 378.

المَخْطوطات العربية المسيحية القديمة ٤٢؛ والسُّؤالَ المَطْرُوح هو هل يكون من الحَصَافَة أن نَتَعَرَّضَ لدراسة خُطُوط الكُتُب القديمة اعتمادًا على ما يُقَدِّمه محتوى المَخْطُوط . وبعبارَةٍ أخرى ، على سبيل المثال ، هل سيكون من المُفيد أن ندرس بطريقةٍ منهجية شكل خُطُوط المَخْطوطات الطِّبية أو المَخْطوطات الدِّيوانية ؟

233 / إنَّ رَبْطَ الحُرُوف فيما بينها هو مُكَوِّن جَوْهري للكتابة العربية ، وكذلك الفَراغ الموجود بين الحروف في الكلمة . وتُغُوضي عن رَبْطِ الحُرُوف عُمُومًا في التَّحْليلات ، بالرَّغْم من الاخْتلافات المُهِمَّة التي يمكن أن نُشاهِدها في هَيْئته وفي الأَوْضاع الخاصَّة للحُرُوف التي يجمع بينها ؛ ويمكننا أن نلاحِظ بطريقةٍ أفْضل علامات الرَّبْط التَّعَسُّفية التي تَرْبِط حَرْفَيْن لا يجب أن يَتَّصِلا . ومن جانبٍ آخر ، هناك دَوْرٌ مهم للفَرَاغات التي تتكَفَّل تارَةً بفَصْلِ كلمةٍ عن أخرى ، وتارَةً بفَصْلِ حَرْفٍ لا يَتَّصل إطْلاقًا بما يليه ، وتَخْتلِفُ طَريقَةُ اسْتِخْدام هذه القَراغات وتَنْتمي إلى الأسْلُوب الذي يُمَيِّز العُصُور المختلفة .

ويجب على عالِم تَطَوُّر الخَطّ أن يُعيرَ انْتِباهًا إلى شَكْل وخَصائِص الحُرُوف : ولا يُوجَد حتى الآن مُعْجَمٌ اصْطِلاحي خَاصٌّ بها لوَصْفها بدِقَّة ، ويجب دون شك أن يَتَّفِقَ المُتَخَصِّصون على مُفْرَداتٍ تَسْمَح بتَقْديم العَنَاصِر المُكَوِّنَة له . وعلى سبيل المِثال ، فإنَّ الجِرَّات الرأسية المرتفعة نِسْبيًّا يمكن أن تُوصَف في تَدَرُّج تنازُلي للحَجْم ، «ذَيْل الحَرْف» ، و«سَاق الحَرْف» ، و «نُتُوء (أو سِنّ) الحَرْف» . وبسبب البَسَاطَة المُتَناهية للأَشْكال فهناك تفاصيلُ صغيرة هي التي تصنع هُوِيَّة أسْلُوبٍ ما : والطَّريقة التي يعالج بها رأس الألِف لها معنى خاصّ ضِمن هذه المُفاضَلات الدَّقيقة ٤٣.

٤٢. N. Abbott, *The Rise...*, pp. 20 - 21; *Studies...*, p. 2.

٤٣. انظر ، A. Gacek, «The head-serif (*tarwîs*) and the typology of Arabic scripts: preliminary observations», *Manuscripta Orientalia* 9/3 (2003), pp. 27-33.

كتاباتُ القُرُون الأولى المَفْقُودة ٤٤

مع أنَّه لم يُنْشَر حتى اليوم أيُّ مَخْطُوطٍ مُؤَرَّخ سابِقٍ على القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ٤٥، فإنَّ للعَصْر القديم أهَمِّيَّةً بالِغَةً لدى عُلَماء الخُطُوط القديمة . وتُقَدِّمُ خُطُوطُ المَصَاحِف ، التي تُشَكِّل القِسْم الأكثر أهَمِّيَّة بين المادَّة المَحْفُوظَة ، خَصَائِصَ قاطِعة ، الأَمْرُ الذي يُسَهِّل التَّحْليل . وهذا العَمَلُ حتى الآن مَحْدُودٌ في تَعْريف مجموعاتٍ مُتماسِكة وإقامَةِ ترتيبها التَّاريخي ؛ ومع التَّنْقيب عن أرْصِدَةٍ جَديدَة ، فإنَّ هذا البَحْث يتطَلَّب الاسْتِمْرار . ويبقى كذلك أن نَسْتَكْشِف إمْكانية تَعْريف الأساليب الإقليمية .

234 / البِداياتُ أو فَتْرَة التَّشَكُّل

إنَّ أقْدَمَ الخُطُوط ، وهو الخَطُّ الحِجازي (انظر شكل ١١ و ٦٤) ، له مَظْهَرٌ يَسْهُل التَّعَرُّف عليه بفَضْلِ خَصائصه التي سَبَقَ أن أشَارَ إليها ابنُ النَّديم في القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي ٤٦. ومع ذلك ، فيَصْعُب حَصْرُ هُوِيَّة هذا الخَطّ إذا حاوَلْنا أن نتجاوَزَ المعايير الظَّاهِرَة في نَصّ «الفِهْرِسْت» : فتُظْهِرُ المَخْطُوطاتُ في الواقع تَنَوُّعًا كبيرًا في رَسْم الحُرُوف وإخْرَاج الصَّفَحات ٤٧.

٤٤. لن نتناول في هذا الباب إلا الخُطُوط التي أهملت شيئًا فشيئًا ، أمَّا الخَطُّ النَّسْخي الذي أُقِرَّ بشكلٍ متزامن فسنتناوله فيما يلي . وللوقوف على أوصاف مختلف الأنواع التي سنذكرها ، يمكن للقارئ أن يعود إلى المراجع المذكورة في الهوامش .

٤٥. G. Endress, «Handschriftenkunde», *GAP* I, p. 281; F. Déroche, «Les manuscrits arabes datés du II^e/IX^e siècle», *REI* 55 - 57, 1987 - 1989, p. 343 - 379؛ وتفيد مُرَاجعة كتاب كوركيس عواد : أقدم المخطوطات العربية في العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ، بغداد ، ١٩٨٢ ، في إعطاء نَظْرَة تاريخية مُوَسَّعَة ، وإن كانت جميع المراجع المذكورة لم يتم التأكد من صحتها . وينطبق الأمر نفسه على بعض المخطوطات القرآنية القديمة التي أوردها جروهمان A. Grohmann, «The problem of dating early Qur'ans», *Der Islam*, 33, 1958, p. 216, n. 17.

٤٦. ابن النديم ، الفهرست ، تح. فلوجل ، ليبتسج ، ١٨٧١ ، ٦؛ نشرة رضا تجدد ، طهران ، ١٣٥٠هـ/ ١٩٧١م ، ٩. وانظر كذلك G. Puin, «Methods of research on qur'anic manuscripts A few ideas» (الكويت ، ١٩٨٥ ، ٩-١٧) و F. Déroche, *Les manuscrits du Coran en caractères higâzî* (sic!) [Quinterni, 1], Lesa, 1996).

٤٧. تختلف الأشكال : فهناك مخطوطاتٌ عمودية في حين أن هناك مخطوطات أخرى مستطيلة .

ونحن نَعْرف بطريقةٍ أفْضَل كتابات مَصَاحِف القرن الثاني الهجري/ الثَّامن الميلادي وعلى الأخَصِّ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٤٨]، فهي مَصْفُوفَة بشَكْلٍ واضِح، وتميلُ قاعِدَةُ السَّطْر إلى أن تُصْبِح خطًّا مُستقيمًا مُستمِرًّا. ويَتَمَيَّز أسْلُوبُها في آنٍ واحِدٍ بتناسُبِه وشَكْل حُرُوفِه[٤٩]، وهذه الحُرُوف في غاية الثَّبات ويُتَجَنَّب فيها الاخْتِلافُ في رَسْم الحَرْف. وعادَةً ما يُطْلَق على هذا الخَطّ «الخَطّ الكوفي»: وبالرَّغم من السُّهُولة التي تُتيحُها هذه التَّسْمية، فيبدو لنا من الخُطُورة أن نُطَبِّقها على مجموعٍ كبيرٍ مُتنَوِّعٍ وله انْتِشارٌ واسِع، لذا نَقْترح أن نُطْلِق عليه اسْم «الخُطُوط العَبَّاسية المُبكِّرَة» (شكل ١٠ و ١٠ مكرَّر و٤١).

خُطوطُ الكُتُبِ العَبَّاسية

لقد تَرَدَّدَ المُتَخَصِّصُون في الغَرْب، منذ القَرْن التاسع عشر، بين العَديد من التَّسْميات للتَّعْبير عن الخُطُوطِ التي تُشَكِّل هذا المجموع، وكَشَفَ هذا التَّرَدُّد كيف أنَّ تَحْديد هُويَّتها كان مُشكلةً أمامهم. فمن ناحيةٍ لم تكن صِلاتُ التَّشَابُه بين هذه الأشْكال المختلفة مُدْرَكَةً دائمًا، لذلك فإنَّها غالِبًا ما عُرِضَت بطريقةٍ مُنْفَصِلَة. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ بعض التَّسْميات المُسْتَخْدَمَة تُظْهِر أنَّ تَرْتيبها لم يكن مُيَسَّرًا بسبب طابَعها الهجين والذي كان أحيانًا مُعْتَرَفًا به[٥٠].

وقد أُقِرَّت هذه الخُطُوطُ خارِج مجال الكتاب المَخْطُوط منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ويُتَعَرَّفُ عليها على الأخَصِّ من طريقة إشاعتها اسْتِخْدام تَوَقُّفات، بِنِسَبٍ مُتفاوِتة، في رَسْم العَناصِر، التي تُسْتَخْدَم في الخَطِّ النَّسْخي على هَيْئَة أقْواس: مثل حالة حَرْف النون المفردة أو النِّهائية، وكذلك «رُؤوس» الحُرُوف مثل الفاء والقاف أو الميم (شكل ٤٢). وتَعَدَّدَت الأمْثِلَة منذ القرن الثَّالث الهجري/ التَّاسع الميلادي، فبينما

٤٨. F. Déroche, *Cat.* I/1, passim. وللمؤلف نفسه *Abbasid tradition*, passim؛ وكذلك E. Whelan, «Writing the word of God, Part I», *Ars Orientalis*, 20, 1990, p. 113 - 147.

٤٩. F. Déroche, «A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens», *Mss du MO*, p. 101 - 111؛ وللمؤلف نفسه «The Qur'an of Amajur», *MME* 5, 1990 - 1991, p. 59 - 66.

٥٠. تم اقتراح الكوفي النسخي، الكوفي الفارسي، الكوفي المشرقي، السريع المقطع.

اسْتُخْدِمَت أشكالٌ مختلفة على امْتِدادِ العالم الإسلامي، يَتَعَلَّقُ بعضُها بوُضوحٍ بالكتابات المُرَكَّبَة[٥١]،/ فإنَّ بعضَها الآخر بالمقابل جديرٌ تمامًا بأن نصفه بالكتابة المُعْتادَة chirodictique[٥٢]. وإذا اسْتَثْنينا بعض الأشْكال الزُّخْرُفية المُبَكِّرَة جِدًّا، إذا صَحَّ التَّعْبير، والتي اسْتَمَرَّت حتى يومنا هذا، فإنَّ خُطُوطَ الكُتُب العَبَّاسية أُقِرَّت في نَسْخِ المَخْطوطات المُؤَرَّخَة الممتدة بين القرنين الثالث والسابع للهجرة/ التاسع والثالث عشر للميلاد[٥٣].

235

وبالرَّغْم من أنَّ الخُطُوطَ العَريضَة لتَطَوُّر هذا المجموع من الكتابات قد دُرِسَ جُزْئيًّا، فإنَّ تَصْنيفَه يظلّ بَعْدُ غير مكتمل، ويبدو من الصَّعْب أن نأمل بتَقَدُّمٍ جَوْهَري في هذا المجال طالما لم تَتَقَدَّم الدِّراسَةُ المَنْهَجية للمَخْطُوطات المُؤرَّخَة المكتوبة وَفْقًا لأيٍّ من أشْكالِ خُطُوطِ الكُتُب العَبَّاسية. وقد أثَّرت هذه الخُطُوطُ على الأساليب التي سنتناولها فيما بعد: فالمَخْطُوطاتُ التي يُعَدُّ خَطُّها مثل الخط النَّسْخي تَطْرَح قَضِيَّة وُجود أشْكالٍ للتَّحَوُّل.

الخُطُوطُ المُعْتادَة (chirodictique) المتأخِّرة

الإشْكالات

إنَّ مَجموعَ الخُطُوط الأكثر ذُيوعًا في المَخْطُوطات، كما يُذَكِّرنا بذلك يان ياست ويتكام[٥٤]، هي الخُطُوطُ الأكثر صُمُودًا أمام التَّحْليل الباليوجْرافي، أو تلك التي تُثَبِّط

٥١. مخطوط باريس رقم BnF arabe 342 b (راجع: F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 136, nº241 ولوحة XXI).

٥٢. قطعة مخطوط شيكاغو Or. Inst. No. 17620، (راجع: N. Abbott, *Studies in Arabic literary papyri* II, *Qur'anic commentary and tradition* [Oriental Institute publ., 76], Chicago, 1967, pl. 1 - 2).

٥٣. بالنسبة لأقدم هذه الخطوط راجع: G. Endress *loc. cit.* و F. Déroche, *op. cit.*, p. 356 - 365. وأحدثها الذي تم التعرف عليه الآن (بصرف النظر عن مخطوط إستانبول رقم TKS R. 18، الذي يعود إلى سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، والذي يبدو أنه تمرين خطي) هو مخطوط مشهد، آستاني - قدس رقم ٨٤ الذي يعود إلى سنة ٦٢١هـ/١٢٢٣م. (راجع، M. Lings, *The Quranic art of calligraphy and illumination*, p. 19 et pl. 21).

٥٤. J. J. Witkam, *op. cit.* (1978), p. 18.

مُحاولات المُخاطَرَة في هذا الاتِّجاه . وفي النِّهاية تَتَّصِلُ مع ذلك بهذا المجموع الوَاسِع الخُطُوطُ التي تهتمُّ بها خُصُوصًا النَّشَراتُ التي تتناول فَنَّ الخَطِّ ؛ ففي هذه النَّشَرات يُقابِلُ القارئُ أسماءَ مختلفة لتَعْريف الخُطُوط ويستطيعُ أن يَسْتَنْبِط إمكانية اسْتِخلاص عَناصِرَ تَصْنيفٍ لها . وقد وَجَّه A. D. H. Bivar مُلاحَظَةً نَقْدِيةً إلى الطَّريقة المُطَبَّقة على النُّقُوش والتي يمكن أن تَمْتَدَّ إلى المَخْطُوطات : «فكُتُبُ فَنِّ الخَطِّ العربية ، التي تَبِعها العَديدُ من الشُّرَّاح المُحْدَثين ، أطْلَقَت مُصْطَلَحات خاصَّة (الثُّلُث والمُحَقَّق والرَّيْحان والرُّقْعَة ... إلخ) على أنْواعِ الخَطِّ النَّسْخي ؛ ولكن كما أنَّ إطْلاقَ هذه المُصْطَلَحات على عُصُورٍ متتالية ليس له أي معنى ، وكما أنَّ الأنْواع التي تَظْهَر على الآثار لا تُماثلها دائمًا ، فالأسْلَمُ هو أن نَسْتَخْدِمَ المُصْطَلَح العام»[٥٥]. وعِلاوَةً على الانْحِرافات التي قد يُدْخلها الطَّابعُ غير التَّاريخي لهذه التَّسْميات ، فإنَّ الخطأ الأكبر لهذه التَّسْميات يَكْمُن في غِيابِ تَعْريفٍ واضِحٍ ومَقْبولٍ بشكلٍ واسِعٍ للأساليب التي يمكن أن تَنْطَبق عليها .

/ ويجب علينا ، دون شك ، أن نَسْتَسْلِمَ إلى عَدَمِ إمكانية تَهْيِئة تَصْنيفٍ في المُسْتَقْبَل القريب يُتيحُ لنا التَّعَرُّف على تَعَدُّدِ هذه الخُطُوط . ويَظَلُّ المَنْهَجُ الذي يمكِّننا من إنْشاء مجموعات مُتماسِكة هو أحْسَن التَّناوُلات : وليس من السَّهْل اسْتِخْدامه بسبب غِيابِ جَامِعٍ للمَخْطُوطات المُؤَرَّخَة من جانب ، وبسَبَبِ نُدْرَة الإشارات إلى مَكانِ النَّسْخ من جانبٍ آخر .

الاخْتِصاصات

إنَّ اسْتِخْدَامَ أُسْلوبِ خَطٍّ مَحَلَّ آخر يَسْتجيب ، كما رأينا ، إلى قَواعِدَ دَقيقة : وهذه المُلاحَظَةُ التي تَصْلُح على الكتابات المُجَوَّدَة تدعو عالِمَ الخَطِّ إلى عَدَمِ إهْمال المقاربة التي تهتم أساسًا بمجالٍ نَصِّي خاصّ ، ففيما يَخُصُّ إخْراج الصَّفْحة فإنَّ تحليل التَّقاليد المَخطوطاتية لنَصٍّ تِقْني واحِد في لُغاتٍ مختلفة

٥٥. *EI*², 5, s. v. «Kitabat, IX-Iran et Transoxiane», p. 228.

يَفْتَرِضُ أن لا تَتَعَرَّض العَلاقَةُ بين الأشْكال التَّوْضيحية والنَّصّ إلى تَعْديلات تُسَبِّبها التَّرْجَمَة.[٥٦] فنجد في حالَة كتاب «النُّقاية مُخْتَصَر كتاب الوِقاية والرِّواية في مَسائِل الهِداية» ، الذي سَبَقَت الإشارَة إليه ، تَشابُهات قوية ، فَسَّرها رودلف سلهايم Rudolf Sellheim بتأثير أنْمُوذَجٍ مُعَيَّن[٥٧]. وإذا كان من الممكن أن نُدَلِّلَ على استمرارية لهذا النَّمَط ، فإنَّنا لا يمكن أن نَسْتَثْني إلَّا الدَّوْر الذي يَلْعَبه أحيانًا الخَطُّ العَرَبي كمُوَجِّه لاخْتِيار أُسْلوبٍ خاصٍّ للنَّسْخ في مَرْحَلَةٍ ما لنَصٍّ أو مجموعةٍ من النُّصُوص تَتَعَلَّقُ بالمجال المعرفي نفسه . ويُعَدُّ المُصْحَفُ أُنْمُوذَجًا ذا دَلالَة بوَجْهٍ خاصٍّ لهذا التَّوَجُّه (شكل ٤٠ و ٤١) ، بسبب عَدَدِ النُّسَخ المُتَوَفِّرة له من كُلِّ العُصُور ، بل إنَّه يُعَدُّ مَجالًا واسِعًا مُفضَّلًا لعِلْم تَطَوُّر الخَطّ ، إلَّا أنَّ هذه المُقارَبَة يمكن أن تَمْتَدَّ لتَشْمَل مجالاتٍ أخرى . وفَضْلًا عن ذلك ، فيجب أن نأخُذ في الاعْتبار الانْزِلاقات المحتملة لاسْتِخْدام من مجالٍ إلى آخر ، وأحيانًا خارج حَقْل الكتاب المَخْطُوط : ويُمَثِّلُ خَطُّ النَّسْتَعْليق مِثالًا ذا دَلالَة بما أنَّه مُسْتَمَدٌّ من خُطُوط ديوان إنْشاء نهاية القرن الثَّامِن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي[٥٨].

الإقْليميات

يجب أن يأخُذ تَصْنيفُ الخُطُوط العربية كذلك في الاعْتبار الخُصُوصِيَّات الإقْليمية . وهذه الخُصُوصياتُ التي راجَت في الغَرْب الإسلامي وفي إيران وفي الهند أو في الصِّين معروفةٌ جيِّدًا ، ولكنَّها تَطْرَح سؤالًا عمَّا إذا كانت هذه التَّعْريفات الإقْليمية قابلة لأنْ نَتَوَسَّع فيها بفائِدَة[٥٩]: فبعضُ فَهارِس المَخْطُوطات

٥٦. E. Irblich, «Einfluss von Vorlage und Text im Hinblick auf kodikologische Erscheinun- gsformen am Beispiel der Uberlieferung der «Chirurgie» des Abu'l Qasim Khalaf Ibn 'Abbas al-Zahrawi vom G. Silagi ed., في 13. Jahrhundert bis 1500», *Paläographie 1981. Colloquium des Comité international de paléographie* (Münchener Beiträge zur Mediävistik und Renaissance-Forschung, 32), Munich, 1982, p. 209 - 231.

٥٧. R. Sellheim, *Materialen*, 1, p. 125 - 127.

٥٨. F. Richard, Paris 1997, p. 61 - 62; id., «Autour de la naissance de *nasta'lîq* en Perse : les écritures de chancellerie et la foisennement des styles durant les annés 1350-1400», *Manuscripta Orientalia* 9/3 (2003), pp. 8-15؛ وانظر كذلك Wright, E., «The Calligraphers of Shîrâz and the Development of *nasta'liq* script», *Manuscripta Orientalia* 9/9 (2003), pp. 16-26.

٥٩. توجد هذه المقاربة ضمنيا في الألبوم الذي نشره G. Vajda, *op. cit.* : ڤايدا ، وتفتقد للأسف إلى التعليق

تَتَحدَّثُ على سبيل المِثال عن النَّسْخ المصري، دون أن تُحَدِّد مع ذلك أوْجُه الاخْتِلاف بينه وبين النَّسْخ العراقي. فالتَّخَصُّص / والإقْليمية لا يتعارَضان إطْلاقًا. وهو ما يُشيرُ إليه مِثالُ «الخَطِّ البِهَاري» الذي يبدو أنَّه، قبل كُلِّ شيء، نَسْخٌ للمَصَاحِف خاصٌّ بالهِنْد الإسلامية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي [٦٠].

وفَضْلًا عن ذلك، فإنَّ المجموعات التي تَمْتَلِك هُوِيَّة ، مثل الخَطِّ المغربي (أشكال ٣٧ و ٣٩ و ٤٠)، لم تَحْظ بدراساتٍ مُتَقَدِّمَة تَسْعى إلى التَّعَرُّف على الاخْتِلافات أو المَرَاحِل الكبرى، وقد اقْتَرَحت على الأكثر أنَّ ما يَشْرَح أشْكال هذا الخَطِّ هو خُصُوصياتٌ تِقْنية [٦١]. وهذه المُلاحَظَةُ التي تَرْتَبط تمامًا بملاحَظَة الواقع الإقْليمي، لم تُتِح مَجالًا لعَمَلِ أبْحاثٍ تكميلية. ويمكن أن نُقارنها بالتَّحْليلات التي اقْتُرِحت مُؤَخَّرًا بصَدَدِ النَّسْتَعْليق والتي تَرَى أن تَرْكيبَ الخَطِّ الفارسي وتَعاقُب حُرُوفه، له تأثيرٌ على ظُهُورِ هذا الأسْلُوب النَّوْعي [٦٢] (شكل ٦٥ و ٦٦).

---

٦٠. J. Losty, *The art of the book in India*, Londres, 1982, p. 38 - 40.

٦١. O. Houdas, *op. cit.*, p. 98.

٦٢. V. Atanasiu, *De la fréquence des lettres et de son influence en calligraphie arabe* (Sémantiques, 40), Paris, L'Harmattan, 1999.

/مُلْحَق: الشَّكْلُ وعَلاماتُ الإعْجام

تَخْتَلِفُ الاسْتِعانَة بعلامات الشَّكل والإعْجام بشكلٍ كبيرٍ من مَخْطُوطٍ إلى آخَر ومن لغةٍ إلى أخرى [٦٣]. وقد حَظِي النَّصُّ القُرْآني في هذا المجال بعنايةٍ خاصَّة، وتُظْهِرُ الشَّوَاهِدُ المحفوظة الجُهُودَ المبذولة خلال القرون الهجرية الأولى. ومع ذلك فيبدو أحيانًا من الصُّعُوبة أن نُجيبَ إجابَةً قَطْعِيَّةً عن السُّؤال الشَّائِك عن التَّأريخ الذي تَمَّ فيه وَضْعُ هذه العلامات، وعلى الأخَصِّ عندما يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بعلاماتٍ ذات لَوْنٍ مخالِفٍ للَوْن الحِبْر المكتوب به.

عَلاماتُ الإعْجام

المَنْشَأ

لقد ظَهَرَت عَلاماتُ الإعْجام حَقًّا في أقْدَم الوَثائقِ المكتوبة بالخَطِّ العربي لتَمْييز الحُرُوف المُتجانِسَة [٦٤]؛ ومع أنَّها وُضِعَت بتَقْتيرٍ شَديدٍ فإنَّها تُظْهِرُ أنَّ هذا الشَّكْل الإضافي في الكتابة قد عَرَفَه الكُتَّابُ منذ الأزْمِنَة الأولى ويمكن أن يُسَجَّل كامْتِدادٍ لتَقْليدٍ أسَّسَتْه في هذا المجال الكِتاباتُ النَّبَطية والسُّرْيانية. وتُؤَكِّدُ أقْدَمُ المَصَاحِف هذا الواقِع: فالنُّسَّاخُ الذين تَعاقَبُوا على كِتابَة قِطْعَة المُصْحَف المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 328 a أدْخَلُوا نُقَطَ الإعْجام باخْتلافٍ بينهم في اخْتيار الحُرُوف التي يجب إعْجامُها [٦٥].

---

٦٣. اقترح أندريس حديثًا تركيبًا لمختلف الطرق المستعملة: G. Endress, «Die arabische Schrift», *GAP* I, p. 174 - 176 et p. 178 - 181).

٦٤. دون أن نأخذ بعين الاعتبار النادرة المشهورة، والمشكوك فيها، المتعلقة بمُخَنَّث المدينة في عهد الخليفة هشام (حكم بين سنتي ١٠٦-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)، كما يمكن أن نذكر بردية فيينا رقم ÖNB PERF 558 الذي يعود تأريخها إلى سنة ٢٢هـ/٦٤٣م والتي أشار إليها جروهمان: (A. Grohmann, *Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri* [CPR III, I/1], Vienne, 1924, p. 70; id., *From the world of Arabic papyri*, Le Caire, 1952, p. 82).

٦٥. قارن على سبيل المثال الأوراق ١٣ظ و ٣٧، راجع: F. Déroche et S. Noja Noseda, *Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France.*

وقد اعْتُبِرَت هذه العلامات جزءًا من الكتابة وبالتالي فقد سُجِّلَت بنفس لَوْنِ مِدادِ النَّصِّ ؛ وقد تُوجَد اسْتِثْناءاتٌ ولكنَّها تَتَعَلَّقُ أحْيانًا بإضافاتٍ مُتأخِّرَة [٦٦]. ويَخْتَلِفُ شكلُ هذه العَلامات : فَتَظْهَرُ على شكل خُطُوطٍ رَفيعَة على الكتابات الغَليظَة القَديمَة ، ولكن نُسَّاخَ قِطَعِ المَصَاحِف المُبَكِّرَة المكتوبة بالخَطِّ الحجازي أعْطَوا هذه العلامات شكل النُّقْطَة . ويَخْتَلِفُ كذلك وَضْعُها الخاصّ عندما تكون نقطتين أو ثلاثة : فلم تُوضَع نِقاطُ الشِّين الثلاث دائمًا في شكلٍ مُثَلَّث ، وإنَّما وُضِعَت أحيانًا على سَطْرٍ واحِدٍ / بحيث حَمَلَ كُلُّ نُتُوءٍ (سِنٍّ) للشين خَطًّا أو نُقْطَة ، وكانت التَّاءُ والثَّاءُ تعلوهما نِقاطٌ أو خُطُوطٌ على شكل عَمُودٍ رأسي أو مائل ، وهو وَضْعٌ نجده تحت السَّطْر بالنِّسْبَة للياء .

حالَةُ الفَاء والقَاف

وأخيرًا ، فإنَّه يُوجَد تفاوُتٌ في طريقة نَقْط «الفاء» و«القاف» ؛ ففي المَغْرِب جَرَت العادَةُ (أو كانت) بتَمْييز الحَرْفِ الأوَّل بنُقْطَةٍ تُوضَع أسْفَلَه ، والحَرْفُ الثَّاني بنُقْطة من أعْلاه - وتُؤكِّدُ بعضُ قِطَعِ المَصَاحِف القديمة (نهاية القرن الأوَّل الهجري / السَّابع الميلادي - بداية القرن الثاني الهجري/ الثَّامن الميلادي) قِدَمَ هذه الطَّريقة ، مع أنَّنا لا نستطيع أن نُحَدِّدَ بدِقَّةٍ أصْلَ هذه القِطَع ، التي يبدو أنَّها لم تُكْتَب في المَغْرِب ، الأمْرُ الذي يعني أنَّ هذه الطَّريقة في النَّقْط رُبَّما كانت مُنْتَشِرَةً في الأصْلِ خارج حُدُودِ المَغْرِب الإسلامي [٦٧]. وفي بعض القِطَع الأخرى التي ترجع إلى العَصْر نفسه نجد عكس ذلك : فالنُّقْطَةُ التي تُمَيِّزُ الفاء جُعِلَت على رأسِ الحَرْف بينما جُعِلَت التي تُمَيِّزُ القاف

٦٦. توجد بعضُ الأمثلة لمخطوطات وُضِعَت علاماتُ الشكل فيها ، بالرغم من قِدَمِها ، بغير لَوْن مِداد الكتابة (انظر مثلا مخطوط مشهد آستآني قدس ٤٣١٦، الذي يعود إلى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣ - ١٠٧٤م ومخطوط إستانبول TKS E. H. 42، والذي يعود إلى سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧ - ١١٧٨م ، في الصور الملونة التي أوردها مارتن ليْنجز M. Lings, *The Quranic art of calligraphy and illumination*, 1976، اللوحتين 11 و 19، وبالنسبة لـ EH42، كذلك *FiMMOD* 145) .

٦٧. - وتعكس القِطَع المجلوبة من مصر (والمنسوخة فيها ؟) هذه العادة : راجع القِطَع المحفوظة في المعهد الشرقي بشيكاغو أرقام Oriental Institute A 6960, A 6963, A 6988, A 6992 et A 7001 (N. Abbott, *op. cit.*, p. 61 - 67, nº 3, 7, 8, 10 et 15); باريس arabe 326 b, 330 f, 330 g, 7193, 7194, 7195 et 7197 (F. Déroche, *Cat.* I/1, *passim*))، ويشير جروهمان A. Grohmann, *op. cit.*, 1952, p. 84 - 85) إلى هذه التنوعات بالنسبة للبردي والنقوش.

أسْفَلَه [٦٨]. ويبدو أنَّه يجب أن نُلْحِق بهذا المجموع قِطَعًا قديمةً أخرى نُقِطَت فيها الفاءُ بخَطٍّ فوق الحَرْف ، بينما مَكَّن غِيابُ العلامَة من التعرُّف على القاف [٦٩].

حَالاتٌ خاصَّة

وعِلاوَةً على هذه الأوْضاع المعروفة جَيِّدًا ، تُوجَدُ أساليبُ أكثر نُدْرَةً أو أكثر تَعْقيدًا تَكْشِفُ إمَّا عن خُصُوصِيَّاتٍ إقْليمية ، وإمَّا عن تَدْقيقِ النُّسَّاخ . ونعني بذلك الثُّنائيات المُتجانِسَة في الإمْلاء (الدَّال والذَّال ، والرَّاء والزَّاي ، والسِّين والشِّين ، والصَّاد والضَّاد ، والطَّاء والظَّاء ، والعَيْن والغَيْن ، والحَاء والخَاء ، بينما تُعَدُّ الجيم حالةً مُنْفَرِدَة) : أمَّا ثُنائيات الحُرُوف غير المَنْقُوطة (المُهْمَلَة) فإنَّه يُشارُ إليها إمَّا بحَرْفٍ صغيرٍ من نَفْس الشَّكْل يُوضَع أسْفَل أو أعْلى الحَرْف [٧٠]، أو بعلامَةٍ خاصَّة [٧١]، أو بقَلْبِ / علامات الإعْجام. [٧٢] وهذه

٦٨. Chicago, Oriental Institute A 6959 (N. Abbott, *op. cit.*, p. 60, nº1); Istanbul, TKS E. H. 4 et M. 1 (F. E. Karatay, *op. cit.*, p. 8, nº23 et p. 1 - 2, nº3); Paris, BnF arabe 326 a, 330 b, 330 c, 331, 333 b, 334 a, 335, 348 b , 379 e (F. Déroche, *Cat.* I/1, *passim*); Saint Pétersbourg, IOS E 20 (E. Rezvan, «The Qur'an and its world: VI. Emergence of the Canon: the struggle for uniformity», *Manuscripta Orientalia*, 4/2, 1998, p. 24) .

٦٩. مخطوط إستانبول رقم TKS M. 3 (F. E. Karatay, *op. cit.*, p. 1, nº2)؛ Vienne, ÖNB, A Perg. 197 (H. Loebenstein, *Koranfragmente auf Pergament aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek* [Mitteilungen aus der Papyrussammlung der ÖNB, Neue Serie, XIV. Folge], Vienne, Verlag Brüder Hollinck, 1982, pp. 42 - 43, nº10).

٧٠. راجع مخطوط مكتبة ولي الدين بإستانبول رقم 3139، المنسوخ في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م (R. Sesen, «Les caractéristiques de l'écriture de quatre manuscrits du IV^e-s. H. /X^e-s. A. D.», *Mss du MO*, p. 45, fig. 1, A - 1 , pl. IV a)، ومخطوط ليبتسج رقم UB V. 505، المنسوخ في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م. (W. Wright, *op. cit.*, pl. VII; *FiMMOD* 94,)، ورقم UB V. 510 المنسوخ في سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م (*FiMMOD* 151)، ومخطوط البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Libr. Hunt. 228، (المنسوخ في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م) (W. Wright, *op. cit.*, pl. LX)، ومخطوط سان بطرسبورج رقم IOS B 876، المنسوخ في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (New York, 1996, p. 46) . ووَصَف Gabriel Sionita و John Hesronita هذا الأسلوب في كتابهما *Grammatica arabica Maronitarum*... (Paris 1616, p. 6)، فقد كان يكتب شكلٌ مصغَّر للحرف أسْفَل الحاء والسين والصاد والعين ، ويُمَيِّز بين الهاء المنفردة أو النهائية والتاء المربوطة بكتابة هاء صغيرة فوقها .

٧١. في مخطوط لندن رقم BL Add. 19357 المنسوخ في ٣٩٨هـ/١٠٠٨م ، تعلو نصف دائرة حروف الراء والسين والصاد (W. Wright, *op. cit.*, pl. XLVII) . ويشير Sionita و Hesronitaإلى علامة تشبه علامة «جامة (Y)» صغيرة أعلى الراء والسِّين ويقلّ وجودُها فوق الدَّال (*Ibid.*).

٧٢. توضع علاماتُ إعْجام الحَرْف المَنْقُوط عادَةً أسْفَل الحرف المجانس له غير المنقوط : راجع مخطوط جار الله بإستانبول رقم Süleymaniye Carullah Ef. 1508، المنسوخ في سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م -R. Sesen, *op. cit.*, p. 46, fig. 1, B

الأساليبُ المُخْتَلِفَة ليست قاصِرَةً الواحدة عن الأخرى في إطار أنَّها تَبْدُو جُزْئيًّا على الأقَلِّ مُخْتَصَّةً بحُروفٍ مُعَيَّنَة : وهكذا يُصاحِبُ الحُرُوف المهملة «الحاء» و«العَيْن» حَرْفٌ صغير ، بينما تُحَدِّدُ النُّقْطَةُ المكتوبة أسْفَل الحرف الدَّال أو الرَّاء أو الطَّاء . وتُمَكِّنُنا المَخْطوطاتُ المُؤَرَّخَة التي تَظْهَرُ فيها هذه الأَوْضاع حتى الآن من نسبة هذه الأساليب إلى الفَتْرَة بين القرنين الثَّالث والرَّابع للهجرة/ التَّاسع والعاشر للميلاد .

علاماتُ العِلَّة وضَبْط الحُرُوف

كانت عَلامَةُ الحَرَكات (العِلَّة) في فَتْرَة ظُهُور الإسلام مُشْكِلَةً وَضَعَت لها اللُّغَةُ السُّرْيانية ، وهي كِتابَةٌ مُشابِهَةٌ للعربية من بعض النَّواحي ، بعض الحُلُول بالفِعْل . كان على عَلامَة الحركات أن تُلَبِّي مُتطلَّبات النَّقْل الخَطِّي للمُصْحَف والعلامات الخارِجَة على «الرَّسْم» (أو القالَب الصَّامِت) التي تَتَطَلَّب أن تَتَمَيَّز عنها بوُضُوح .

نَقْطُ الإعْراب

لجأت الطَّريقةُ الأولى إلى وَضْع نِقاطٍ باللَّوْن الأحْمَر يُحَدِّد مَوْضعها بالنِّسْبَة إلى الحَرْف الحَرَكة الصَّوْتية : فكانت «الفَتْحَة» تُوضَع فَوْق الحَرْف ، و«الكَسْرَة» تحت الحَرْف ، و«الضَّمَّة» على يسار الحَرْف[٧٣] (شكل ٤١) . ومن الصُّعُوبة أن نُحَدِّد الفَتْرَة التي شاعَ فيها هذا الابْتِكار ، إذْ إنَّ اسْتِخْدامَ اللَّوْن الأحمر يَفْتَرِضُ أنَّ هذه العَلامات أُضيفَت خلال مَرْحَلَةٍ مُغايِرَة للكتابة ، ومن هنا صَعُبَت إمْكانية تحديد المُدَّة الزَّمنية المُنْقَضية بين النَّسْخ ووَضْع هذه العلامات على أقْدَم المَصَاحِف التي ظهرت فيها هذه

(B-m)، أكسفورد Bodleian Libr. Hunt. 228، المنسوخ في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م) ، (W. Wright, op. cit., pl. LX) ، ليبتسج UB V. 505، المنسوخ في ٣٨٠هـ/٩٩٠م (W. Wright, op. cit., pl. VII; FiMMOD 94)، لندن ، BL Add. 19357 المنسوخ في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م ، (W. Wright, op. cit., pl. XLVII)، ومخطوط برلين رقم SB Sprenger 1184، المنسوخ في سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م .(FiMMOD 186) وقد يكون حصل في اليمن تنقيط مقلوب من هذا النوع في وقت متأخر (معلومات قدمها G. R. Puin) .

٧٣. تنسب ابتكار هذا النظام إلى أبي الأسود الدُّؤَلي المتوفى سنة ٦٩هـ/٦٨٨م). وينظر EI², 1, p. 110؛ وكمثال انظر : F. Déroche, Cat. I/1, pl. II B، وتشير النقطتان المتجاوتان إلى التنوين .

241

الطَّريقة[٧٤] . ويبدو أنَّ اسْتِخْدَامَ هذه الطَّريقة لم يَخْضَع لمعايير ثابتة : ففي داخِل مجموعة مَخْطُوطاتٍ مُتجانسةٍ من وِجْهَة النَّظَر الباليوغْرافية تُوجَد اخْتِلافاتٌ مَلْمُوسَة في نِسَب الحُرُوف المَشْكُولَة[٧٥] . وظَهَرَت بعضُ الفُرُوق الهامِشية / المُرْتبطة في الأساس باسْتِخْدام ألْوانٍ أخرى : مثل اللَّوْن الذَّهبي واللَّوْن الفِضِّي[٧٦] . وقد اسْتُخْدِمَت في إحدى الحالات ثَلاثَةُ ألْوان مختلفة : الذَّهبي والأخْضَر والأحْمَر ، للتعبير عن نِقَاط الفَتْحَة والكَسْرَة والضَّمَّة على التَّوالي[٧٧] . وظَهَرَت في القِطْعَة المحفوظة في باريس برقم BnF ar. 334 a علامَة على شكل مُعَيَّنات مُنْتَظِمَة على نحوٍ ما ، سُجِّلَت فيها الحركاتُ بسِنِّ القَلَم[٧٨] . ومن المحتمل أن يَرْجِعَ اسْتِخْدَامُ الألْوان في تَسْجيل النِّقاط الدَّالَّة على الحَرَكات إلى القرن الثَّاني الهجري/ الثَّامِن الميلادي[٧٩] ، وظَلَّ مُسْتَخْدَمًا حتى القرن السَّادس الهجري / الثَّاني عشر الميلادي[٨٠] ، ورُبما احْتُفِظَ به كذلك لفترةٍ بعد ذلك[٨١] .

٧٤. إضافةً إلى ذلك فإنَّها تطرح مسألة هوية المُنَقِّط ؛ فوجود حرود متن تشير إلى أنَّ النَّاسخ هو الذي نَقَّطَ النَّصّ تجعلنا نظن أن ذلك كان يتم في فترة سابقة بطريقة مخالفة .

٧٥. من الممكن أن نتحقَّق منه مثلًا لمجموع قطع المجموعة B2، بمكتبة فرنسا الوطنية : فقد غابَ الضَّبْطُ في القِطْعَة رقم arabe 329a، في حين أنه وجد بشكل شبه كامل في القطعة رقم arabe 340 i (F. Déroche, Cat. I/1, p. 70, nº24 et p. 72, nº35) . ويمكن أن نُطَبِّق الملاحظة نفسها على القطعتين رقمي arabe 33 I، و 6087، دون أن يكون من الممكن أن نتعرّف على إذا ما تعلق الأمر بإضافة لاحقة في الحالة الأولى (F. Déroche, Cat. I/1, p. 67, nº| 15, 16) . وعلى العكس من ذلك فإن هذه المجموعة D2 منسجمة نسبيا في طريقة ضبطها : الهمزة بالأصفر ، الشدة في شكلها المعاصر بالأحمر (راجع : F. Déroche, Cat. I/1, p. 98 - 99) .

٧٦. راجع قطعتي باريس رقم BnF arabe 346 a (F. Déroche, Cat. I/1, p. 86, nº64) ، وإستانبول رقم TKS E. H. 23 (F. E. Karatay, op. cit., p. 25, nº75) .

٧٧. قطعة باريس رقم BnF arabe 348 e (F. Déroche, Cat. I/1, p. 87, nº71) ؛ ويستعمل مخطوط إستانبول رقم TKS EH 211 نقاطًا مذهبة بالنسبة للفَتْحة والكَسْرَة وواوًا مُذَهَّبةً بالنسبة للضَّمَّة (F. E. Karatay, op. cit., p. 23, nº67) .

٧٨. F. Déroche, Cat. I/1, p. 79, nº50.

٧٩. يذكرنا أندرس Endress. أنه ابتداء من منتصف هذا القرن بدأ الفقهاء والقراء يناقشون الوجه الشرعي لهذه العلامات الصَّوْتية ، ويبدو أن ذلك يتطابق مع ما اقترحته المخطوطات (op. cit., p. 179) .

٨٠. راجع مخطوط باريس رقم BnF Smith-Lesouëf 214، المنسوخ في سنة ٥١٦هـ/١١٢٣م (F. Déroche, Cat. I/1, p. 137, nº247; FiMMOD 2) . وتمَّ تشكيل أقدم مخطوطين بالخط المغربي (٣٩٨هـ/١٠٠٨م و ٤٣٢هـ/١٠٤٠م) بنقاط حمراء (راجع : F. Déroche, «Deux fragments coraniques maghrébins anciens au musée des Arts turc et islamique d'Istanbul», REI 59, 1991, p. 231) .

٨١. ـ قطعة مصدرها اليمن ونشرها ويتكام ، تتميز باستعمال نظام ضبط بنقاط حمراء تبدو مشابهة لنقط المصاحف القديمة ؛ بالرغم من أن الأمر يتعلق بنسخة حديثة (القرن ١٦ أو ١٧؟) (J. J. Witkam, «Manuscripts & Manuscripts [6] Qur'an fragments from Dawrân (Yémen)», MME 4, 1989, p. 159, nº19 et fig. 15) .

نِقاطُ الشَّكْل

وطُوِّرَ هذا النِّظامُ عندما اسْتُعينَ بألْوانٍ مختلفة للإشارَة إلى خَصَائص أخرى للنُّطْق. هكذا أُشيرَ إلى «الهَمْزَة» بنُقْطةٍ كانت غَالِبًا باللَّوْن الأخْضَر[٨٢] ونادِرًا ما كانت باللَّوْن الأصْفَر[٨٣]؛ وتُظْهِرُ بعضُ المَخْطُوطات أنَّ «الهَمْزَة» والشَّكل كانا يُنَسَّقان عن طَريق خَلْطِ وَضْع النُّقْطَة تَبَعًا للقواعِد المُتَّبَعَة مع حُرُوف العِلَّة. ونادِرًا ما نجد إشارَةً إلى «الشَّدَّة». وهنا تَكْمُن غالِبًا العِلَّة في تَغَيُّرِ لَوْن النُّقْطَة الذي كان له أحْيانًا قِيمَةٌ صَوْتية في الوَقْت نفسه[٨٤]. أمَّا «السُّكون» فكان وُجُودُها نادِرًا جِدًّا في المَصَاحِف المُبَكِّرَة[٨٥]. ويبدو أنَّ هذه التَّحْسينات كانت أقلَّ اسْتِخْدامًا من النِّقاط الدَّالَّة على الحَرَكات نفسها. ويَرْجِعُ سَبَبُ هذا الإخْفاق ـ فيما يبدو ـ إلى أنَّ أساليبَ مُنافِسَة قريبة من تلك التي نستخدمها حاليًا، كانت قد بَدَأت تَنْتَشِرُ مُتَزامِنَةً معها. / ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ «الهَمْزَة» و«الشَّدَّة» كانتا تُسَجَّلان في المَصَاحِف المُبَكِّرَة المُشَكَّلَة بواسطة النُّقَط بنصف دائرة مُلَوَّنَة[٨٦]، وهي أحْيانًا العلامة نفسها التي ما تزال تُسْتَخْدَم حاليًا[٨٧].

٨٢. يبدو الأمْرُ هكذا في قطع باريس أرقام BnF arabe 325 a, 339, 358 d, 349 a, 349 d, 351, 382 c,.. (F. Déroche, *Cat.* I/1, passim).

٨٣. في قطع باريس أرقام BnF arabe 348 a, 6982, 374 d (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 86, n°67, p. 74, n°43 و p. 140, n°256).

٨٤. أشير إليها بنقطة صفراء (قطعتا باريس رقمي BnF arabe 347 a et 377 a; F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 113, n°162 و p. 136, n°242)، ونقطة برتقالية (قطعة باريس رقم BnF arabe 325 (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 98, n°113) وأيضًا زرقاء (قطعة باريس رقم BnF arabe 5178 f (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 96, n°111).

٨٥. يبدو في قطعة باريس رقم BnF arabe 368، على شكل دوائر صفراء حينما يكون في نهاية الكلمة، وفي شكل نصف دائرة حينما يكون في الداخل (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 117, n°174).

٨٦. تستحدم نصف دائرة للإشارة إلى الهمزة والشَّدَّة (قطعة باريس رقم BnF arabe 349 f (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 73, n°36)، أو الشَّدَّة فقط (بالأحمر: قطعة باريس رقم BnF arabe 6982، إضافة بالأخضر: قطعة باريس رقم BnF arabe 337 c، (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 74, n°43 و p. 109, n°146). وتمت الإشارة إلى الشَّدَّة في مَخْطوط نور عثمانية بإستانبول رقم Nuruosmaniye 23، المنسوخ في صِقِلِّيَّة سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م إما بنصف دائرة حمراء أو بالعلامة الحديثة (F. Déroche, *Abbasid tradition*, p. 146 - 151).

٨٧. انظر مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم KFQ 89، حيث رسمت الهمزة والشدة بالشكل الحالي، ووضعتا بالتوالي يالأخضر والأزرق: (F. Déroche, *Abbasid tradition*, p. 109 - 110, n°57).

النِّظامُ الحَديث

بدأ نِظامُ الشَّكْل الذي ما زالَ مُسْتَخْدَمًا إلى يومنا هذا متأخِّرًا. وبدأ ظُهُورُه في المَخْطُوطات خلال القرن الثَّالث الهجري / التَّاسع الميلادي، ويُعَدُّ مَخْطُوطُ وَليّ الدِّين أفندي بالمكتبة السُّلَيْمانية بإستانبول رقم 3139 والمَنْسُوخ سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م مثالًا على ذلك[٨٨].

أمَّا فيما يَتَعَلَّق بالمَصَاحِف فإنَّ إقْرارَ الشَّكْل لم يَحْدُث إلَّا خلال القرن التَّالي[٨٩]. فقد كان النُّسَّاخُ يشعرون جَيِّدًا بما يَعنيه إضافةُ أيّ شيءٍ إلى «رَسْم» المُصْحَف: فقد ظَلَّت علاماتُ العِلَّة في العَديد من المَخْطُوطات الشَّرْقية تُدَوَّن باللَّوْن الأحْمَر على نُسَخٍ تَرْجِعُ إلى القرنين الخامس والسَّادس للهجرة/ الحادي عشر والثَّاني عشر للميلاد[٩٠] (شكل ٤٢).

وفيما يَخُصُّ علامات الضَّبْط الأخرى، فقد أَخَذَت في الدُّخُول تَدْريجيًّا، كما يَظْهَر ذلك من خلال العديد من المَخْطُوطات «المُخْتَلَطَة»، أي التي تتواجَد فيها نِقاطُ الحَرَكات مع الأشْكال الحَديثَة لـ «الهَمْزَة» و«الشَّدَّة» و«السُّكون»[٩١]. واحْتَفَظَت هذه الأشْكالُ أحْيانًا في المغرب بالألْوان التي اخْتَصَّت بها في الأنْظِمَة السَّابقة، يَشْهَدُ على ذلك «مُصْحَفُ الحاضِنَة» الشَّهير الذي يعود تأريخُه إلى بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

٨٨. R. Sesen, *op. cit.*, p. 45 et pl. IV A. أيضا في مخطوط شيستر بيتي بدبلن رقم CBL 3494، المنسوخ في سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م (راجع: A. J. Arberry, *The Chester Beatty Library. A handlist of the Arabic manuscripts*, t. II, Dublin, 1956, p. 108 et pl. 68).

٨٩. من الدقة دائما أن نكتشف الإضافات الحديثة في النسخ القديمة: وتطرح المسألة بشكل خاص بخصوص مخطوط شيستر بيتي بدبلن رقم CBL1417، المنسوخ قبل سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، حيث يتواجد نظاما الضبط إلى جانبي بعضهما البعض (A. J. Arberry, «A Koran in 'Persian' kufic», *Oriental College Magazine*, 40/3 - 4, 1964, p. 9 - 16; D. James, *Q. and B.*, p. 26, n°12)، وتظهر أمثلة أخرى في قطعتي باريس رقمي BnF arabe 332, 342 a، (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 77, n° 47 و p. 112, n°158).

٩٠. أضيفت علامات حديثة بالأحمر إلى قطعة من مخطوط يعود إلى بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، باريس رقم BnF arabe 383 c، (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 137, n°245)، ويصعب أن نُحَدِّد إذا ما كانت مضافة أم لا.

٩١. انظر مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 575، المنسوخ في سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م، ورقم arabe 576 المنسوخ في سنة ١١٩٥هـ/١٧٨١م، ورقم arabe 589، المنسوخ في سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦ - ١٨٢٧م، (F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 44 - 45, n°325, 326, 328).

٩٢. ما زلنا بعد لم نضبط شكل هذه العلامات واستعمالها في الأزمنة الأولى: وحلل «رايت» هذه المتغيرات في تعليقه على مخطوط لندن رقم BL Add. 19357 (*op. cit.*, pl. XLVII).

تزويق الكتاب

دِراسَةُ الزَّخَارِف : الأَهْدَافُ والوَسَائل

كان تَزْويقُ المَخْطُوطاتِ مُمارَسَةً راسِخَةً منذ ما قَبْل ظُهُور الإسلام في هذه المَنْطِقَة من العالم التي شَهِدَت بدايات هذا الدِّين الجديد. هكذا باشَرَ المُسْلِمُون مُبَكِّرًا جِدًّا الاهْتمامَ بتزويق الكُتُب التي قامُوا بنَسْخِها، الأمْرُ الذي أوْجَدَ جَدَلًا قَوِيًّا في وَسَطِ الأُمَّة حَوْل مَدَى مَشْرُوعية ذلك من عَدَمِه. وتَتَعَلَّقُ القَضِيَّةُ المعروفة جَيِّدًا في هذا الجَدَل بتَحْريم تَصْوير الكائِنات الحَيَّة، وإن لم يَمْنَع ذلك من ظُهُورِ المَخطوطات المُزَيَّنَة بالصُّوَر، واسْتَمَرَّ الجَدَلُ حَوْلَ هذا السُّؤال المُهِمّ مَوْضوع أبْحاثٍ سنُفيد من نتائجها [٢]. ومن المُهِمّ أن نُشيرَ إلى أنَّه في حين ما تَعْني كلمة «التَّزْيين» في المَخْطُوطات الأوروبية (أو تَتَضَمَّن) «التَّصْوير» فإنَّ الدِّراسات الإسلامية تُمَيِّزُ بوُضُوحٍ بينهما.

ويَسْعَى عَرْضُ التَّزايين، في مَنْظُور هذا الكتاب على الأخَصّ، إلى تَيْسير فَهْمِها ووَصْفِها، ويَتَطَلَّبُ تناولها دِقَّةً خاصَّةً في اسْتِخْدام المُصْطَلَحات التِّقْنية. إلَّا أنَّ اسْتِخْدامَ الكلمات الأكثر شُيُوعًا مثل Frontispice[٣] أو سَرْلَوْح[٤] على سبيل المِثال، لم يُتَّفق عليه بعد بين المُتَخَصِّصين، حتى إنَّ المُصْطَلَح نفسه يمكن أن يُحيلَ إلى حقَائِقَ مختلفة من مُؤَلِّفٍ إلى آخر. وسيكون من المُسْتَحَبّ أن يتمَّ اتِّفاقٌ في المُسْتَقْبل يُوَحِّدُ

---

١. كتب هذا الفصل محمد عيسى ولي Muhammad 'Isa Waley، مع بعض الإسْهامات من فرنسوا ديروش François Déroche.

٢. انظر لمقاربة مبدئية، Wensink (T. Fahd), *EI* [2] art. *Sûra*, IX, p. 925 - 928.

٣. احتفظ بهذا المصطلح للعنوان الذي تصحبه زخارف، غير أن المعاني التي ينسبها إليه الباحثون مختلفة جدا.

٤. A. Gacek, *AMT* p. 67، ويرى البعض أنَّ السَّرْلَوْح هو إطارٌ مزخَرف ذو حجم كبير يوجد في بداية نصٍّ أو في بداية مقطع من نصٍّ؛ وهي مقابل «العنوان» الذي لا ينطبق إلا على إطارات صغيرة تشغل أقل من ربع مساحة الصفحة. وتنطبق كلمة «سَرْلَوْح» هنا على مأطورة العنوان.

هذه الاسْتِخْدامات، وفي انْتِظار ذلك لا يَسَعُنا إلَّا أن نَطْلُبَ إلى كُلِّ كاتِبِ المحافَظَة على اسْتِخْدام مُعْجمه الشَّخْصي بطريقةٍ مُنْسَجِمة.

زَخْرَفَةُ المَخْطُوطات وأَهَمِّيتُها لعِلْم المَخْطُوطات (الكُوديكُولُوجيا)

يمكن للقارئ أن يَتَساءَل بحَقٍّ عن فائِدَة دراسَة زَخْرَفَة المَخْطُوطات وهَدَفِها بالنِّسبَة لمن يهتم بدراسة المَخْطُوطات نفسها لا تاريخ الفَنّ. وكما سنرى فإنَّ بعضَ / المَعْرِفَة في هذا المجال لن تَخْلو من فائِدَة إن لم تكن أساسيةً في عِلْم المَخْطُوطات، وعلى الأخَصّ عند محاولة تَعْيين الانْتِماء الجُغْرافي للمَخْطُوط وتأريخه عندما لا يُقَدِّم النَّاسِخُ أو المالِكُ الأوَّل للمُجَلَّد هذه المعلومة، وهي الحالَةُ أيضًا عندما نبحث عن إشاراتٍ عن رِحْلَة مَخْطُوط أو مُلَّاكِه اللَّاحِقين خاصَّةً عندما تكون الزَّخْرَفَةُ قد أُضيفَت إليه في فَتْرَةٍ أحْدَث من تلك التي تَمَّ فيها نَسْخُه [٥].

وعِلاوَةً على ذلك، يمتازُ تَطَوُّرُ الكتاب بالحَرْف العربي، على الأقَلّ فيما يَخُصّ النَّماذِج المكتملة، بالنُّزُوع إلى تَوْحيد مَجْموع الزَّخْرَفَة في الكتاب، فالتَّجاليدُ والألْواحُ الواقية تُكْمِل أو تعكس التَّزْيين حتى وإن اخْتَلَفَت التِّقْنياتُ المستخدمة كالتَّذْهيب والتَّصْوير وخُيوط الذَّهَب المَجْدُولَة ... إلخ. ويجب أن يُؤْخَذ ذلك في الاعْتبار عند مُتابَعَة فَحْصِ كلِّ ما يُسْهِم في تَزْويق الكتاب المَخْطُوط.

ومن الطَّبيعي أن يُمِدّنا كذلك وُجودُ التَّزْيين أو غِيابُه بمُؤَشِّراتٍ حَوْل وَضْع المَخْطُوط ذاته أو الشَّخْص الذي نُسِخَ من أجْله. ويجب أن نَأْخُذَ كذلك في الاعْتبار مجموعةً من الثَّوابِت الأخرى، مثل أسْلوب الخَطّ أو نَوْع الوَرَق؛ ومع ذلك فتُوجَد حالاتٌ يكون فيها أسْلُوبُ التَّزْيين ـ الذي يَتَضَمَّن كذلك التَّجْليد وكلّ أنْواع الزَّخْرَفَة ـ هو العُنْصُرُ الوحيد الكاشِف لمَصْدَر النُّسْخَة. ولكن يجب مع ذلك أن نَحْتاطَ في هذه الأمُور، فليس من النَّادِر أن نجد تَزايين قد أُضيفَت إلى مَخْطُوطٍ في الغالب بعد زَمَنٍ

---

٥. M. I. Waley, «Problems and possibilities in dating Persian manuscripts», *Mss du MO*, p. 7-15.

طويلٍ من نَسْخِه[٦]، كما نَجِدُ نَماذِجَ لزَخارِفَ (مثل المُنَمْنَمات) أُخِذَت من مَخْطُوطٍ وأُدْمِجَت في مَخْطُوطٍ آخر[٧].

وجميعُ التَّزايين جَديرَةٌ بالالْتِفات من مَنْظُور عِلْم المَخْطُوطات : فالتَّزايين المُتَواضِعة وحتى غير المُتْقَنة لا تَخلو من فائِدَةٍ، فهي تُشَكِّل في الحَقِيقَة أغْلَبَ الزَّخارِف التي وَصَلَت إلينا ويمكن أن تكون كبيرة الفائدة ليس فقط لتأريخ مَخْطُوطٍ ما أو تَحْديد مَصْدَره، وإنَّما كذلك لتَقْدير نَوْعية إنْتاج الكُتُب بالحَرْفِ العَرَبي بطريقةٍ أكثر دِقَّة في كُلِّ صُنُوفها .

ويمكن أن تُشَكِّل الموادُّ المستخدمة في زَخْرَفَة المَخْطُوطات مَصْدَرًا غَنِيًّا بالمعلومات حول مكان الصُّنْع وظُرُوفِه[٨]. ورغم أنَّ التَّحاليل الفيزيائية ـ الكيميائية مازالت قليلة، إلَّا أنَّها تُعْطينا الأمَل في أنَّ تَطْويرها في الأعْوام القادمة سيُتيحُ لنا القيامَ بمُقارَناتٍ على قاعِدَةٍ أوْسَع نِطاقًا[٩].

/ مُجْمَل هذا الفَصْل

يمكن أن يُدْرَسُ تَزْويقُ المَخْطُوطات إمَّا في إطارِ تاريخ الفُنُون الزُّخْرُفية، وإمَّا مع تاريخ الكتاب، وسنُرَكِّز في هذا العَرْض على المَظْهَر الثَّاني . لقد فُتِحت مَجالاتٌ جديدة للبَحْث فيما يتعلَّق بفَنِّ الكتاب في العالم الإسلامي، وأتاحَت الاكتِشافاتُ تَسْليطَ أضْواء جديدةٍ ليس فقط على مِهَنِ صِناعَة الكتاب والتَّطَوُّرات الإبْداعية المُصاحِبَة لها، وإنَّما أيضًا حَوْل طَبيعَة وإيْديولوجية رُعاة الفُنُون، وكذلك البِنَى التي سَمَحت بظُهُور فَنٍّ رَفيعٍ بالِغ الأهَمِّيَّة للمُتَخَصصين في هذا المَجال . ولا تَقِلُّ زَخْرَفَةُ المَخْطُوطات المَألُوفة الصُّنْع بالنِّسْبَة لعُلَماء المَخْطُوطات عن تلك المُتَضَمِّنَة لنُصُوصٍ عادية ذات اسْتِخدام يومي . إنَّ هَدَفَنا هنا هو تَقْديم لَمْحَةٍ مُوجَزَةٍ

٦. يمكن أن نذكر من ضمن الأمثلة الممكنة نسخة تيمورية ليُوسُف وزُلَيْخَا للجامي (لندن رقم BL Or. 10903) .

٧. تشتمل نُسْخَة «رِسَالَة في مَدْح الكُتُب»، للجاحِظ (مخطوط لندن رقم BL Or. 10903) على بَسْمَلَة «مُسْتعارَة» .

٨. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صُنَّاع الكتاب» .

٩. انظر الفصل نفسه .

للمقاصِد وللتَّطَوُّر التَّاريخي لتَصْنيف وتِقْنية تَزْويق الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العربي .

ونَظَرًا للتاريخ الطَّويل الممتدِّ على عِدَّة قُرون والذي يُغَطِّي مِساحَةً جُغْرافيةً واسِعَةً، فإنَّه من الصَّعْب أن نتناوَل التَّزْويق الإسلامي بطريقةٍ مُتَقَصِّيةٍ حَقًّا في عَدَدٍ من الصَّفحات؛ كما أنَّنا سنستعين بعَدَدٍ مَحْدودٍ من الأمْثِلَة الكفيلة بتَوْضيح المُلاحَظات التي سنُبَيِّنها . وخِلافًا للفُصُولِ الأخرى لهذا الكتاب، فسيأخُذ هذا الفَصْلُ بعَيْنِ الاعْتبار على الأخَصِّ المَخْطُوطات المُنْتَجة خارج العالم العَرَبي؛ فقد طَرَأت العَديدُ من التَّطَوُّرات المُهِمَّة على فَنِّ التَّزْيين في الأقاليم النَّاطِقة بالفارسية والتُّرْكية، وكذلك في الهِنْد وأماكِن أخرى، وقد حُفِظَت لنا كَمِيَّةٌ كبيرةٌ من النُّصُوصِ العربية في نُسَخٍ كُتِبَت وزُخْرِفَت في هذه الأقاليم وفي غيرها .

المَصَادِرُ : أُصُولُ مَعْلُوماتِنا وامْتِدادُها

إنَّ تَقَدُّمَ البَحْث في مجال المَخْطُوطات يجعلنا نأْمَل في اكْتِشافاتٍ مُسْتَقْبلية تُوَسِّع مَجال مَعْرِفَتِنا : وفي الحَقِيقة فإنَّ هناك أسْبابًا تَجْعلنا نأمَل في ظُهُور مَصَادِرَ جَديدَة إلى النُّور . وتأتي في المَرْتَبَة الأولى في مَجال المَصَادِر المكتوبة، المُؤَلَّفاتُ التِّقْنية أو المُؤَلَّفات التي كتبها الحِرَفِيُّون أو كُتِبَت لهم . ولا يَرْجِع أيٌّ من هذه المُؤَلَّفات المعروفة حتى الآن إلى ما قَبْل خمسة قُرُون، ولكنَّها تَشْتَمِل على معلوماتٍ غَنِيَّة حول التِّقْنيات والصُّنَّاع المشهورين وآثارهم؛ وفي هذا المجال أُنْجِزَ عَمَلٌ مهمٌّ قامَ به إيڤ بورتيه Yves Porter وآخرون[١٠]؛ وسيجدُ القارئُ في بعض الحالات، مثل الكتاب الفارسي الشهير لقاضي أحمد[١١]، تَرَاجِمَ (أو ما يُشْبِه التَّراجم) لبعض الفَنَّانين المُتَمَيِّزين، وكذلك عن الأشْكال والتِّقْنيات المُتَّصِلَة بهم .

وتُعَدُّ وَثائِقُ الأرْشيف والنُّقُوشُ المتعلِّقة بتَنْظيم المِهَن وبالوِرَشِ مجموعةً ثانيةً من المَصَادِر المُهِمَّة . وجَمَعَ باحِثُون من أمْثال إيرج أفْشار وآن ماري شيميل Annemarie Schimmel وويلر تاكِسْتون Wheeler Thackston كذلك إشارات أدبية مُتَفَرِّقة شِعْرًا

١٠. Y. Porter, *Peinture et arts du livre*, 1992.

١١. *Calligraphers and painters*, trad. V. Minorsky, 1959.

ونَثْرًا عن إنْتاجِ المَخْطُوطات وزَخْرَفتها . ويبدو أنَّ هذا النَّوْع من الإحالَة قد شَاعَ أكثر في العالم النَّاطِق بالفارسية ، أحَد المناطِق التي بَلَغَ فيها فَنُّ التَّزْيين دَرَجَةً عاليةً من الدِّقَّة . ولا يجب أن نَنْسى أنَّ الطُّرُقَ التي اسْتَخْدَمَها الفَنَّانُون لتَقْلِ فَنِّهم إلى تلاميذهم كانت تتمُّ غالِبًا بطريقةٍ شَفَهيَّة أو ببُرْهانٍ عملي ، أمَّا «أسْرارُ الصَّنْعَة» فقد حَرَصَ الفَنَّانُون على الاحْتِفاظ بها لأنفسهم . وتستفيدُ معرفة هذه الطُّرُق في وَقْتِنا الحالي من حِدَّة ذِهْن الفَنَّانين المُعاصِرين ، سواءً في الغَرْب أو في العالم الإسلامي ، وكذلك من عَمَلِ وتَجارِبِ المُحافِظين المُتَخَصِّصين الذين يُعيدُون اكْتشافَ التِّقْنيات التَّقْليدية .

ويبقى المَصْدَرُ الأكثر أهَمِّيَّة في نهاية المَطَاف هو الشَّهادَة الدَّاخلية التي تُقدِّمُها المَخْطُوطاتُ المُزَيَّنة نفسُها والوَثائق المرتبطة بها . وكما هو الحالُ بالنِّسْبَة لجميع أشْكالِ الفَنِّ ، فإنَّ الفَحْصَ المُتأنِّي والأبْحاثَ المقارَنَة التي يقوم بها المُتَخَصِّصُون تَحْمل لنا معلومات وَفيرة . وتُعْطي حُرُودُ المَتْن والنُّصُوص الإخْبارية الأخرى تَشْكيلةً واسعةً من المعلومات حول الأنْشِطة المُحَدَّدَة للمُزَيِّنين (وكذلك عن النُّسَّاخ والفَنَّانين الآخرين) تَنْتَظِرُ أن تُرفَع بطريقةٍ مَنْهجيةٍ ليتمّ تَحْليلُها وتَفْسيرُها من قِبَل الباحثين .

المَخْطُوطاتُ والفُنونُ الزُّخْرُفية

سنتناوَلُ فيما يلي بالتَّفصيل اسْتِخْدامات المَخْطُوطات وأشْكالها و ،إذا جازَ لنا القَوْل ، أنْواعَ تَزْيينها (التَّذْهيب)[١٢] أكثر من تناولنا لتاريخها . ومع ذلك ، فسيكون مُناسِبًا أن نَنْظُر في بعض مَظاهر التَّزْيين المُتَعَلِّقَة بالفُنون الزُّخْرُفية ، باعْتِبار الرَّوابط الأصْلية التي تُوجَد في الواقع بين هذه الأشكال الفنية وبين الأوْساط الفنية التي نشأت فيها .

١٢. A. Gacek, *AMT*, p. 51.

250

دَوْرُ الزَّخارِف

يَطْرَحُ سُؤالٌ ابْتدائيٌّ ولكن رئيسي نفسه هنا وهو : لماذا أُضيفَت وتُضافُ أيضًا الزَّخارِفُ إلى المَخْطُوطات ؟ يجب أن نأخُذَ أوَّلًا في الاعْتِبار مَكانَة الكتاب وأهمِّيته قَبْل ظُهُور المَطْبَعَة ، ثم أيضًا قَبْل الإنْتاج الإجْمالي للكُتُب . فكلُّ مَخْطُوطٍ يُعْتَبَرُ فَريدًا في حَدِّ ذاته ، طالما هو مَصْنُوعٌ باليد . وفوق ذلك ، فقد كانت النُّسَخُ المُجَوَّدَة [أو المُعْتَنَى بها] تُمَثِّلُ/ في العُصُور الوُسْطَى قِطَعًا فاخِرَة ، حتى إذا كان نَصيبُ التَّزْيين فيها مَحْدُودًا ، بسبب نُدْرَة الموادّ المُسْتَخْدَمَة فيها وكذلك بسبب المَهارَة والوَقْت اللازمين لإنْجازها . وفي الوقت الحاضِر ، الذي غَلَبَ فيه الإنْتاجُ الكَثيف والتَّوْزيعُ العالمي للكُتُب ، لابد من بَذْلِ جُهْدٍ تَصَوُّري لفَهْم الهالة التي كانت تُحيطُ بالكُتُب ، ليس فقط في عُيُون العارِفين بها وإنَّما أيضًا لدى جانِبٍ عَريضٍ من الأُمِّيين ، وكذلك أولئك الذين تَعَمَّدوا إحْراقَ الكُتُب . إنَّ الحُظْوَةَ التي أحاطَت بالكُتُب ذات القيمة باعتبارها قِطَعًا فنِّية وأوْعيةً لنَصٍّ مُعَيَّن ، تعكسها الرِّعايَة التي مَنَحَها لها الأفْرادُ أو المُؤَسَّساتُ على السَّواء . وسَواءٌ أكان الشَّخْصُ هو مالِكَ هذه النُّسْخَة أم الآمِر بكتابتها (مُسْتَكْتِبها) ، فإنَّ ذلك كان يُضْفي عليه هَيْبَةً بين العُلَماء والجُهَّال على حَدٍّ سواء . وتَشْتَمل العَديدُ من المَخْطُوطاتِ الفاخِرة على أُطُرٍ مُزَيَّنَة تَحْفَظ اسْم الآمِر بكتابتها ، رَجُلًا كان أم امرأةً ، أو ذِكْر وَقْفِها على مُؤَسَّسَة مُعَيَّنَة .

واقْتَرَحْنا في مَقالٍ سابِقٍ[١٣] تَصْنيفًا لتَزايين المَخْطُوطات الإسلامية تَبَعًا لوَظيفتها : وحَدَّدْنا أرْبع فِئات تَبَعًا لنَوْعِ النَّصِّ أو الوَثيقة المَعْنِيَّة . ولن نَعُود هنا إلى هذا التَّصْنيف ، قبل مُعالَجَة أشكال التَّزايين المختلفة ، إلَّا بشَكْلٍ مُوجَز . فتَصْنيفٌ مُتَكَلَّف من هذا النَّوْع لا يَصْلُح أن يكون أساسًا لتَحليلٍ أكثر دِقَّة ، كما أنَّ العَديدَ من المَخْطُوطات يمكن أن تَدْخُل في أكثر من فِئَة مُمْكِنَة . ويجب كذلك أن نَتَذَكَّر أنَّ الجَمَالَ والفائِدَة من التَّزْيين ليسا دائمًا اهْتمامَين مستقلَّيْن أحَدُهما عن الآخَر . ففي الواقع يَسْتدعي أحَدُها الآخر ، كما هو الحالُ في كلِّ أشْكال الإبْداع (شكل ٣٩ و ٤٠) .

١٣. M. I. Waley, «Illumination and its functions in Islamic manuscripts», *Scribes*, p. 87 - 112.

وتَظْهَرُ الفائِدَةُ العَمَلية في التَّقْليد الغَرْبي لِصِناعَة المَخْطوط كأحَد الأهْدافِ الأولى للتَّزْيين : فالعَناوِينُ والاخْتصاراتُ ، المُلَوَّنة أو المُذَهَّبة ، المَصْحُوبة بزَخْرَفَةٍ أو لا ، تُعينُ القارئَ على الاهْتِداء إلى النَّصِّ . وتَنْطَبِقُ الملاحَظَةُ نفسُها على الكتاب الإسلامي . فقارئُ المُصْحَف أو النُّصُوصِ الدِّينية أو الدُّنْيَوية الأخرى يَشْعُرُ دائمًا بالحاجَة إلى مُؤَشِّراتٍ تُحَدِّدُ له بدايات الفُصُول والوِحْدات النَّصِّيَّة الأخرى . ونَظَرًا لأنَّ الكِتابة العربية لا تَعْرف حُرُوفَ البِدايَة الكبيرة (Les Majuscules) ، والتي تُعَدُّ أحَدَ العَناصِر الزُّخْرفية المُهِمَّة للكُتُبِ المسيحية ، فإنَّ القارئَ المُسْلم يحتاجُ أن يبحث عن مُؤَشِّراتٍ أخرى (دون أن يجدها دائمًا) لتُعينه على «السَّفَر» عَبْر النَّصّ . وثَمَّة عُنْصُرٌ آخَر هو ضَبْط كِتابَة الكلمات : فلتَجَنُّب غُمُوضِ القراءَة وصُعُوبتها ، ابْتُكِرَت عَلاماتٌ للإشارَة إلى حُرُوفِ العِلَّة التي لا يُوجَد لها تَمْثِيلٌ تَصْويري بمعنى الكلمة في حُرُوفِ الهِجَاء المعروفة ، وقد مُيِّزَت هذه العلاماتُ أحيانًا بكتابتها بالألوان وحتى بتَحْويلها إلى عُنْصُرٍ زُخْرُفي . وسنتناولُ مَظاهِرَ اسْتِخْدام التَّزْيين الأخرى لأغْراضٍ نَفْعية عند مُناقشَة الأنْواع المختلفة للنُّصُوص المُزَيَّنَة .

251

/ مَظاهِرُ تَزْويقية

تَظْهَرُ هذه الفِئَة مَثلًا في المُؤلَّفات الأدبية . فيمكن أن يَرْتبط تَزْيِينُ نَصٍّ ما بطبيعته وإن تَعَلَّق الأمْرُ بأثَرٍ خيالي . فتُشَكِّلُ الإطاراتُ الزُّخْرفية على صَفْحَة عُنْوان ديوان شِعْرٍ وَصْفي ، على سبيل المِثال ، تُشبه دِهْليزًا يُفْضي إلى عالَمٍ آخر ، ويمكن كذلك أن تكون السَّرْلَوْحَة قريبة من بساطٍ طائرٍ يَنْقلنا إلى أصْقاعٍ بعيدة ومُتَخَيَّلَة . وقد نجد مُصادَفَةً داخِل هذه الأُطُر المُزَيَّنَة الموجودة في بداية النَّصّ عبارَة مَدْحٍ قصيرة للمُؤلِّف أو لعَمَلِه .

مَظاهِرُ دِينِيَّة

كانت المَخْطوطاتُ غالِبًا ما تُزَخْرَف ، مثلما هو الحالُ في الغَرْب ، بحيث تملأ القارئَ (أو على الأعَمّ من يَنْظُر إليها) هَيْبَةً وإحْساسًا بالجمال الفائِق للعالم الرُّوحي . وكانت النُّصُوصُ الأولى التي زَيَّنَها المسلمون هي نُسَخُ المُصْحَف : وقد سَبَقَ لنا أن ذكرنا الأسْبابَ العملية لهذا الاخْتيار . ولم تكن الكِتَابَةُ بماءِ الذَّهَب نادِرَة ، ووَصَلَ إلينا

العَديدُ من المَصَاحِف التي كُتِبَ نَصُّها جميعُه بماءِ الذَّهَب وشُعِّرَت حُدُودُ حُرُوفها بالمِداد الأسْوَد . واسْتُخْدِمَ الذَّهَبُ كذلك في مجلَّداتٍ مُتواضِعةٍ نسبيًّا لتَمْييز كلماتٍ أو عِبارات مُهِمَّة ـ على سبيل المِثال لَفْظُ الجَلالَة أو الأسْماءُ الحُسْنَى ـ واسْتِخْدامُ التَّزْيين لتَزْويق فاتِحَة النَّصِّ القُرْآني وهَوامِش كلِّ صَفْحَة في المُصْحَف معروفٌ جَيِّدًا وذو دلالَة واضِحة . وقد خُصِّصَت بالفِعْل دراساتٌ لدِراسَة هذه الأشْكال الفَنِّيَّة الإسْلامية الخالِصَة وتَقْييمها [١٤].

مَظاهِرُ طَبَقِيَّة

ويمكن أن تُشَكِّل زَخْرَفَةُ الكتاب ، في المقام الثَّالِث ، إعْلانًا عن وَضْعٍ سياسي و/ أو اجتماعي . فإلى جانِبِ مَخْطُوطات اسْتُوْحِيَت زَخْرَفَتُها من بَواعِث خَيْرية و / أو بَحْثًا عن التَّمْجيد الشَّخْصي للمُسْتكتب ، يجب أن نأخُذ في الاعْتبار تَزْيين الوَثائق الرَّسمية والسِّجلَّات والرَّسائل الرَّسْمية ، الذي كان من شأنه إعْلاء قيمتها وتَحْسين مَظْهرها . وعلاوَةً على ذلك ، فإنَّ ما يَنْطَبِق على المَخْطوطات يمكن تَطْبيقه كذلك على الوَثائق الصَّادِرَة عن السُّلْطة العُلْيا . وبما أنَّ كُلَّ رِسالَةٍ (أو تَصَرُّفٍ على شاكلتها) كانت مُرْتَبِطة بالتأكيد بالشَّخْصِ الصَّادِرَة عنه / أو المُسْتَفيد منها ، فإنَّه تُوجَد صِلَةٌ وَثيقَةٌ بين الإقليم الجُغْرافي وأُسْلُوب الزَّخْرَفَة ، الذي يمكن أن يبدو بالغ القِمَة لتحديد التَّوْزيع المكاني والتَّطَوُّر التاريخي للزَّخارِف .

252

/ مَظاهِرُ إجْرائية

لقد صِيغَت العَديدُ من النُّصُوص من طَرَفِ مِهَنيين أو لأجْلهم في هذا المجال المَعْرفي أو ذاك . وكانت هذه النُّصُوصُ تُزَيَّنُ أحيانًا بطريقةٍ تجعل مُحْتواها مَيْسُورًا على الفَهْم . وتَظْهَرُ من بين نماذِج هذه المُقارَبَة المُؤَلَّفاتُ ذات الطَّابَع العِلْمي أو التِّقْني التي يمكن للعَناصِر الزُّخْرُفية فيها أن تُعينَ على تَحْسين فَهْم النَّصّ و/ أو الرُّسُوم التَّوْضيحية

---

١٤. انظر بشكل خاص ، M. Lings, *The Quranic art of calligraphy and illumination*, 1976.

المُصَاحِبَة له . وتَنْضَوي تحت هذه الفِئَة الرُّسُومُ البيانية ، والخَرَائطُ السَّماوية أو الأرْضية ، والرُّسُومُ التِّقْنية ، وجَدَاوِلُ الأرْقام ، ومُعْطياتٌ أخرى .

المَخْطُوطاتُ غير الإسْلامية السّابقة والمُماثِلَة

تحتوي مَخْطوطاتٌ يونانيةٌ ولاتينيةٌ ترجعُ إلى الأزْمانِ القَديمَة المُتَأخِّرة أو إلى العَصْرِ البيزنطي على عَناصِرَ زُخْرُفية مختلفة ، يَتَّفِقُ بشأنها ريتشادر إيتيجهاوزن Richard Ettinghausen مع وجهة نَظَر أدُولْف جروهمان Adolf Grohmann في أنَّ شَكْلَ الإطار الذي يَظْهَر في أقْدَم أمثلة التَّزايين الإسلامية مُشْتَقٌّ من أُنْمُوذَجٍ كلاسيكي ، هو «الأنْسَا *ansa*» أو الـ«تبولا أنساتا *tabula ansata*» ، الذي يَسْتَدْعي شكله صينية ذات مَقابِض على شكل وَتَد [١٥]. ومن ناحيةٍ أخرى تَعَرَّفَ مُؤَرِّخُو الفَنّ في الرُّسُوم والتَّزايين الفارسية القديمة على تأثيراتٍ للرَّسْم الجداري وموضوعات فَنِّية أخرى لآسيا الوُسْطَى وإيران . ويُوجَدُ شَبَهٌ كبيرٌ بين مَخْطُوطٍ صُغْدي من آسيا الوُسْطَى مَحْفُوظٍ في المكتبة البريطانية BL والزَّخْرَفَة الرَّمْزية للنُّصُوص في المَخْطُوطات الإسلامية : يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بلُفافةٍ تَنْبَسط وتَكْشِفُ في بدايتها عن زُخْرُفٍ رَمْزي لعُنْوانٍ يُصَوِّر بَطًّا . وتَميلُ الدِّراساتُ المُخَصَّصَة للكتاب المانَوي وزَخْرفته إلى تأكيد فِكْرَة وُجود جانِبٍ من الحَقيقَة في الأساطير التي تَتَحَدَّث عن جَدَاوِل الذَّهَب والفِضَّة التي كانت تَتَدَفَّقُ من المَحَارِق التي ألْقى فيها الفاتِحُ المُسْلِمُ مَخْطوطات مُزَيَّنَة ومُزَخْرَفَة ببَذَخ . وأرْجَعَ مُؤَرِّخُو الفَنّ بطريقةٍ مُقْنِعَة عَناصِرَ زُخْرُفية مثل السُّحُب التي على شكل شَريط إلى الطُّرُز الصِّينية ، وأزْهار اللُّوتس إلى الأساليب الهِنْدية . ويبدو أنَّ أصْلَ عَناصِر سَعَفِ النَّخْل المَوْجُودَة في هَوَامِش العَديد من المَصَاحِف المُبَكِّرَة يرجع إلى إيران السَّاسانية . وأخيرًا ، فإنَّه تُوجَدُ صِلاتٌ وَثيقةٌ بين بعض الوِحْدات الزُّخْرفية المستخدمة في النَّسيج القِبْطي وفي المَصَاحِف المُبَكِّرَة ، يَدُلُّ عليها أُنْمُوذجُ النَّجْمة ذات الثمانية شُعَب .

١٥. R. Ettinghausen «Manuscript illumination», *SPA*, p. 1943 - 1944 وانظر أيضًا، T. W. Arnold et A. Grohmann, *The Islamic book*, p. 25.

٧٣. تَزْيين عُثْماني لمبادئ أوَّلية ، النِّصف الأوَّل للقرن التاسع عشر

إستانبول ، متحف طوبقبوسراي رقم EH 435، ورقة ١ظ .

وإلى الغَرْبِ وبعد عِدَّةِ قُرُونٍ وَاصَلَ تاريخُ زَخْرَفَة الكِتاب والمَخْطُوط تَطَوُّرَه في أوروبا ، ولكن تَبَعًا لمسارٍ مُخْتَلِفٍ تمامًا عن مَسار التَّزْيين الإسلامي . ويبدو بالمقابل أنَّ تَصْويرَ الكِتاب المسيحي في الشَّرْق الأوْسط قد أثَّرَ / على تَصاوير الكُتُب في العِراق وإيران إبَّانَ فَتْرَة تَشَكُّلها . ونلاحِظُ كذلك خِلالَ القُرُونِ الأخيرة أنَّه قد وُجِدَت تقاطُعاتٌ أخرى في بعض الأماكن وفي بعض الأوْقات ، وعلى الأخَصّ عندما تَسَرَّبَت بعضُ عَناصِر الرُّكُوكو Rococo الأوروبية إلى قائمة زَخارِف الفَنَّانين والمُزَيِّنين المسلمين . ومن جانبٍ آخر ، فقد أثَّرَت وِحْداتٌ زُخْرُفية إسلامية إلى جانب وِحْداتٍ أخرى قادِمة من أوروبا بوُضُوحٍ على إنْتاجِ الحِرَفِيين اليَهُود أو الأرْمَن أو المسيحيين الشَّرْقيين . وخَيْرُ مِثالٍ على ذلك المَخْطُوطاتُ العِبْرية البالِغَة القيمة والقادِمَة من اليمن[16].

العَلاقَةُ بين التَّزْيين والفُنُون الزُّخْرفية الأخرى

كيف نُفَسِّرُ التَّشابُه الذي يبدو أحْيانًا بين عَناصِرِ زَخْرَفَة المَخْطُوطات وتلك التي تَظْهَر في أعْمالٍ فَنِّيةٍ إسلامية أخرى ؟ هل هذا مُجَرَّد اتِّفاقٍ أم اقْتِباس مَقْصُود ؟ وإذا تَعَلَّقَ الأمْرُ باقْتِباسٍ ، فهل كان المُزَيِّن غالِبًا هو المَصْدَر أم المُقْتَبِس ؟ كيف يجب أن «تُقْرأ» الوِحْداتُ الزُّخْرفية المختلفة أو تُفَسَّر كمُصْطلحاتٍ رَمْزية أو إيْديولُوجية ثقافية ؟ تَظَلُّ هذه الأسْئلة المُشَوِّقة خارِجَ إطار هذا الكتاب ، ولكن يمكن للقارئِ الفُضُولي أن يُراجع بخُصُوصِها بفائِدَةٍ كبيرة الدِّراسات التي خَصَّصَها لهذه الأسئلة العديدُ من مُؤَرِّخي الفنّ ، وعلى الأخَصِّ دِراساتُ إيڤا باير Eva Baer[17] عن تَصْنيف الزَّخارِف وتَنْظيمها في الفُنُون الفَرْعية والعِمارَة والصِّلات بين أشْكال الفَنّ ، أو أيضًا دراساتُ أوليج جرابار Oleg Grabar[18] عن دَوْر العَناصِر التَّزْويقية في الفَنِّ الإسلامي وتَفْسيرها .

١٦. انظر على سبيل المثال ورقتين من أسفار موسى الخمسة المتحدرة من اليمن تعودان إلى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م ، والمنشورة في : J. Gutmann, *Hebrew manuscript painting*, New York, 1978, pl. 1 et 2.

١٧. E. Baer, *Islamic ornament*, Edinburgh, 1998.

١٨. O. Grabar, *L'ornement. Formes et fonctions dans l'art islamique*, Paris, 1996.

ولنُوجِزْ فنقول : إنَّه تُوجَدُ العَديدُ من أوْجُه التَّشابُه الحادَّة غالِبًا ـ ولكنَّها ليست دائمًا علاقاتٌ سَبَبيَّة ـ بين زَخْرَفَة المَخْطُوطات وزَخْرَفَة الخَزَف والنَّسيج والأدَوات المَعْدِنية والحَفْر على الخَشَبِ أو الحَجَر وحتى المُلْصَقات الحَديثَة أو مُلْصَقات الشَّاحِنات . واقْتَرَحَ إتينجْهوزِن Ettinghausen أنَّ تَزْيين المَخْطُوطات كان نَوْعًا من «الفَنّ الأم» ، والذي يُعَدُّ غالِبًا مَصْدَرَ الوَحْي الأصْلي فيما يتعلَّق بالوِحْدَة الزُّخْرفية نفسها ، للحِرَفِيين الذين يَعْمَلُون في المجالات التي تَفْرِضُ الأبْعاد الثَّلاثَة[19]. وإضافَةً إلى المقارَنات التي سَاقَها لدَعْم أُطْرُوحَته ، فمن اليسير أن نَرَى أنَّه كان من السَّهْل التَّجْديد في أثْناء العَمَلَ في بُعْدَيْن أوْلى من العَمَلَ في ثلاثة أبْعاد .

/ تَزَايينُ المَخْطُوط

تُقَدِّمُ المَخْطُوطاتُ المُزَيَّنَة بالخَطِّ العربي تَنَوُّعًا هائِلًا للعَناصِر الزُّخْرفية ، وهو أمْرٌ لا يُثيرُ الدَّهْشَة بالنَّظَرِ إلى الامْتِدادِ التاريخي والجُغْرافي الذي تَشغله . وكان التَّصْنيفُ الأسْلُوبي القائم على تاريخ الأُسْرات الحاكمة مُفيدًا في الفَتَرات الأولى لدِراسَة الفَنّ الإسلامي ؛ ولكنه لم يَعد كذلك الآن ، حيث انْكَبَّ العُلَماءُ على فَحْص التَّفاصيل عن قُرْبٍ واقْتَحَموا آفاقًا أوْسَع للبَحْثِ عن الاتِّجاهات والتَّأْثيرات الممكنة . وتَدْخُلُ هذه العَناصِرُ الزُّخْرفية ضِمْن كمٍّ من الأشْكال والتَّكْوينات من أصْغَر الفَوَاصِل بين الوِحْدات النَّصِّيَّة حتى الزَّخارِف الضَّخْمَة التي تملأ صَفحةً كاملةً : لكلِّ ذلك يتطَلَّبُ عَرْضُها تَخْصيصَ مكانٍ أكبر من ذلك الذي يتطلَّبه فَحْصُ المظاهِر الأخرى .

ولعَلَّ أحَدَ الوَظائِف الكبرى للتَّزيين هو مُصَاحَبته للوَصَلات المُهِمَّة للنَّصّ ، فمن الطَّبيعي أن تَظْهر هذه التَّزايين لتُوَضِّح نِقاطَ الاتِّصال الأساسية بين ما هو نَصٌّ وما ليس بنَصٍّ ، أي بِدايَة مخْطُوطٍ ونهايته . ويمكن أن نجد كذلك في هذه المَوَاضِع مَهامَّ أكثر تَخَصُّصًا تُضافُ إلى ما سَبَقَ أن أشَرْنا إليه . ولتَيْسير العَرْضِ فإنَّنا سنُحيلُ إلى التَّرْقيم المِثالي لمَخْطُوطٍ «أنْموذَجي» ، مع العِلْم بأنَّه من النَّاحية العَمَلية يمكن أن تختلف أرْقامُ الأوْراق ليس فقط بسبب ما يُضافُ قبل ما نعتبره يُمَثِّل «الوَرَقَة الأولى» ، وإنَّما أيضًا

١٩. R. Ettinghausen, *op. cit.*, p. 1938.

بسبب فَقْد هذه الوَرَقَة . وأحيانًا ، على سبيل المِثال ، قد تُنْزَع الوَرقةُ المُشْتَمِلَة على اسم المالِك أو التي تُحَدِّد أنَّ المَخْطُوطَ كان مَوْقُوفًا ، في حين لا تبقى سوى الصَّفْحتين المُتقابلتين الأولتين للمَخْطُوط . وللأسَف ، فإنَّ الأضْرار من هذا النَّوْع ليست نادِرَة .

العَناصِرُ المُصَاحِبَة لبدايَة النَّصِّ

إنَّ الحُلُولَ التي اسْتَقَرَّ عليها المُزَيِّنُون عَبْر الزَّمَن مُتَنَوِّعَةٌ جِدًّا ، وتكَيَّفَت مع تَنَوُّع الأوْضاع والوَسَائِل المستهدفة . فتُوجَدُ مَخْطُوطاتٌ تَشْتَمِل فقط على أحد التَّزَايين التي سنصفها فيما يلي ، بينما تُحَدِّدُ بِدايَةَ النَّصِّ في مَخْطُوطاتٍ أخرى العَديدُ من الصَّفحات المُزَوَّقَة [٢٠] . فالأنْواعُ المَعْرُوضَة هنا إذًا لا يَحِلّ بعضُها مَحَلّ بَعْضٍ ، وإنَّما يمكن لها أن تجتمع مَعًا . وفَضْلًا عن ذلك ، فالمَخْطُوطُ لا يُعادل منهجيًّا وِحْدَةً نَصِّيَّةً واحِدَةً ، وليس نادِرًا أن نجد نَصًّا ثانيًا أو ثالِثًا لا يبدأ بصفحةٍ جديدة ، ولكي يُعَيِّنه المُزَيِّن للقارئ فإنَّه يَضَع عند هذا المَوْضِع زَخْرَفَةً مُماثِلَةً لأحَدِ الزَّخارِف التي سنأتي على وَصْفِها .

/ المَصَاحِف

من غير المُسْتَبْعد أن تكون هناك نُصُوصٌ أخرى غير المُصْحَف قد زُيِّنَت خلال القُرُون الهجرية الأولى . فالمراجِعُ التي نَتَوَفَّرُ عليها الآن لدراسة زَخارِف هذه الفَتْرَة تتكوَّن حَصْريًّا من المَصَاحِف ؛ وكان نَصُّ المُصْحَف هو الأكثر تَزْيينًا دون شك في الفَتَرات التَّالية وكانت مجموعاته الزُّخْرفية مُتجانِسَةً لفَتْرةٍ طويلة . لذلك فهناك ما يُبَرِّرُ لنا أن نَبْدأ بتَحْليل نُسَخِ المَصَاحِف والتي تَتَشابه كثيرًا ، كما سنرى ، فيما عدا بعض الخُصُوصيَّات ، عن نُسَخ سَائِر النُّصُوصِ الأخرى .

ولم يكن هناك عنوانٌ للكتاب بمعنى الكلمة . على كُلِّ حال ، فقد سَمَحت العَديدُ من العَناصِر على مَرِّ العُصُور ، أنْ نُمَيِّزَ هذه المَخْطُوطات عن المَخْطُوطات الأخرى من

٢٠. راجع مخطوط باريس رقم (BnF suppl. persan 1525) ، (F. Richard, Paris 1997, p. 106, n°62) .

خِلالِ المَظْهَر المادي الخارجي لها : وتَبَعًا لتوصِيات المُؤَلِّفين من أمْثالِ العَلْمَوي يجب أن تُحْفَظَ المَصَاحِفُ بطريقةٍ مُسْتَقِلَّة ، أو تَحْتَلّ المكانَ الأعلى إذا كانت وَسَطَ كومة من الكُتُب [٢١] . وعِلاوَةً على ذلك ، فقد كان للمَصَاحِف شَكْلٌ وتَجْليدٌ مُمَيَّزان منذ فَتْرَةٍ مُبَكِّرَة ، وهو دَوْرٌ قامَ به الخَطُّ في كلِّ العُصُور ، وفيما بعد كان ذِكْرُ الآية رقم ٧٩ من سورة الوَاقِعَة على تَجْليدِ المُصْحَفِ بديلًا تَلْميحِيًّا عن العُنْوان [٢٢] .

وسنجد عادَةً في وَجْه الوَرَقَة الأولى للمُصْحَف هذه الآية ، التي تَحِلُّ مَحَلَّ وَظيفَة العُنْوان [٢٣]؛ وتُكْتَب في العُمُوم داخِل زَخْرَفَةٍ دائرية أو داخِل «شَمْسَة» في وَسَطِ الصَّفْحَة . وتَشِيعُ من هذه الوِحْدات غالبًا سيقانٌ قصيرة (بالفارسية «تيج» (رُمْح)) تُوضَع بطريقةٍ مُتماثِلَةٍ حول مُحيطها وتُزَوَّد بوِحْدات زُخْرفية مُسْتوحاة من الأشكال الهندسية أو النَّباتية ؛ وكانت هذه السِّيقانُ في الأصْلِ زَرْقاء أو سَوْداء اللَّوْن ، ثم أخَذَت فيما بعد ألْوانًا أخرى . وفي التَّزْيين العُثْماني المتأخِّر كان يُفَضَّلُ اسْتِخْدامُ باقاتٍ ذات ثلاثة سيقان أو سيقانٍ مُتَفَرِّقَة [٢٤] .

ويُخَصَّصُ وَجْهُ الوَرَقَة الأولى ، في المَصَاحِف ذات الأجزاء المُتَعَدِّدَة ، أحيانًا ، لزَخْرَفَةٍ تُشيرُ إلى رقم المُجَلَّد في المَجْمُوع [٢٥]، ونادِرًا ما تَظْهَر عَلامَةُ وَقْفٍ في هذا المَوْضع .

وأتاحَت الصَّفْحَتان المُتقابلتان الأولتان للفنَّانين الفُرْصَة لطَرْحِ حُلُولٍ مُتنوِّعَةٍ تَدْمِج أو لا تُدْمِج فاتِحَةَ المُصْحف نفسه . وفي الفَتْرَة المُبَكِّرَة كانت هناك صَفْحَتان متقابلتان بهما زَخْرَفَةٌ بدون كتابة تَسْبِق عادَةً النَّصّ [٢٦]؛ ولم تَخْتف هذه الطَّريقة في التَّعامُل مع

٢١. F. Rosenthal, *The technique and approach of Muslim scholarship*, p. 10.

٢٢. انظر فصل «التَّجْليد» .

٢٣. مخطوط شيستر بيتي بدبلن رقم Dublin, CBL 1470 ورقة ١ (انظر D. James, *Q and B*, p. 64, n°47) .

٢٤. A. Ersoy, *Türk tezhip sanatî*, Istanbul, 1988, fig. 22 et 24 (بورصة : إينبي مدرسة أولو جامع ٢٦ وأورهان ٦) .

٢٥. مخطوط شيستر بيتي بدبلن رقم Dublin, CBL 1448 ورقة ١ (انظر D. James, *Q and B*, p. 37, n°22) ؛ ومخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 298 ورقة ١ (انظر D. James, Aftar *Timur*, pp. 62-63, n°14) .

٢٦. مثلًا في مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 372 (F. Déroche, *Abbasid tradition*, p. 72 - 75) ، ورقة ٢و التي قدمت خطأً على أنها ورقة ٣و في ص ٧٢). وليس من النادر في هذه الفترة أن نجد أكثر من صفحتين متقابلتين مزينتين تسبقان النص (*Ibid.*, pp. 123-124, KFQ 70) .

256

المَخْطُوطات فقد وُجِدَت صَفحاتٌ مُتقابِلَة أولى / مُزَخْرَفَة فقط فيما بعد [٢٧]. ويبدو أنَّ كَرَاهَةَ الفَنَّانِين (أو رجال الدِّين) لرُؤية نَصٍّ في هذا المَوْضِع لم تبدأ في التَّراجُع ـ في إطار الوَضْع الرَّاهن لمعارِفنا ـ إلَّا في النِّصْف الثَّاني للقرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي، عندما بدأت تَشيعُ صِيَغٌ دينية أو، بعد ذلك بقليل، حِسابُ حُرُوف وكلمات وآيات ... ـ إلخ ـ القُرْآن [٢٨]، وهي طريقةٌ إجمالية للإشارة التَّلْميحية لمحتوى المَخْطُوط. وتوالى على زَخْرَفَة الصَّفْحتين المُتقابلتين الأولَيين مَفْهومان للزَّخْرَفَة: ففي أوَّل الأمر أَنْجزَ المُزَيِّنُون زَخْرَفَتَيْن مُتماثلتين ولكنْ مُسْتَقِلَّتان، في حين أنَّهم فَضَّلُوا بعد ذلك وَضْعَ زَخْرَفَةٍ واحِدَةٍ تُغَطِّي الصَّفْحتين المتقابلتين بكاملهما.

ويبدو أنَّ الفَنَّانين قد اكْتَفَوا أحيانًا بنَقْلِ زُخْرُفٍ مُشابِهٍ للزُّخرف الموجود في وَجْه الوَرَقَة الأولى مع تِكراره على الصَّفْحتين المتقابلتين، دون أن يُغَيِّروا الوِحْدَة الزُّخرفية المركزية الدائرية أو البَيْضاوية [٢٩]، التي كانت تُدْمَجُ أحيانًا في تَزْيين مُستطيلٍ يُغَطِّي كُلًّا من الصَّفْحتين المُتقابلتين [٣٠]. ومَنَح ذِكرُ الآيات أرْقام ٧٧ ـ ٨٠ من سورة الوَاقِعَة بالأحرى الفُرْصَة لتَوزيع هذه الآيات على أرْبَع إطارات، مع حَجْز مركز الزَّخْرَفَة لذكر الآيات ٨٦ ـ ٨٨ من سورة الإسْراء [٣١].

وتُوجَدُ فاتِحَةُ القُرآن بالضَّرورة في صَفْحتين مُتقابلتين، سواء أكانت أوَّل صفحةٍ في المجلَّد أم تلي صَفْحتين مُتقابلتين مُزَيَّنتين بالزَّخارِف، وغالبًا ما تأخذ مكانًا مُتوازِنًا داخل إطارٍ (بِرْواز). وغالِبًا ما يُوجَد أعْلى الفَضَاء المُخَصَّص للكتابة وأسْفَله، إطاران يشتملان على معلوماتٍ مُتَّصِلَة بالنَّص (عنوان، رقم المجلَّد)، أو شَواهِدَ قُرْآنية. وتُوجَد اخْتلافاتٌ في المَصَاحِف ذات المجلَّد الواحد، فقد تُخَصَّصُ الصَّفْحتان المُتقابِلَتان

٢٧. انظر مخطوطي لندن رقم BL Or. 4945, f. 1 vº-2 ورقة ١ظ ـ ٢و، دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٠، ورقة ١ظ ـ ٢و و، اللذين يرجعان على التوالي إلى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م وسنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢م (راجع M. Lings, *The Quranic art of calligraphy and illumination*, pl. 52 et 71).

٢٨. مخطوط شستر بتي بدبلن رقم Dublin CBL 1434 (انظر D. James, *Q and B.*, p. 27, nº13).

٢٩. انظر مثلا ورقة ١ظ ٢ من مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلام بلندن رقم QUR 420 (D. James, *After Timur*, p. 232-233, nº56).

٣٠. ينظر ورقة ٢ظ ـ ٣ من مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 323 (D. James, *After Timur*, p. 116-17, nº30).

٣١. ورقة ٢ظ ـ ٣ من مخطوط باريس رقم BnF arabe 418 (F. Déroche, *Cat.* I/2, pp. 128-129, nº535 et pl. 1).

الأوليان فقط للفاتِحَة أو تُوجَدُ الفاتِحَة على اليمين وبِدايَةُ سورة البَقَرَة على اليسار. وفي الحالة الأولى ستكون إذًا بِدايَةُ سُورَة البَقَرة في ظَهْر الوَرَقَة الثانية، وغالبًا ما يسْبقها إطارٌ يَعْلوه ما يُشْبه القُبَّة ويكون الإطارُ حينئذٍ بسيطًا.

كانت خِطَطُ عَمَلِ الزَّخارِف «الثَّقيلَة» تُمَيِّزُ بداية المصاحِف الكبيرة الحَجْم، منذ فَتْرَةٍ مُبكِّرَة، مثل تلك التي وُجِدَت قِطَعٌ منها في صَنْعَاء. وكان توالي الصَّفحات الأولى يَشْتَمِلُ على الأقلِّ على أربع صَفَحات مُتقابلة ذات زَخارِف غير مَنْقُوشة (حيث بدأ يَظْهَرُ الرَّسْمُ الشَّهير للحَرَمين) ثم يَتْلوها صَفحاتٌ كُتِبَ فيها النَّصُّ داخِل إطارٍ تضاءَلَت أهَمِّيتُه شيئًا فشيئًا [٣٢]. وحُوفظَ على هذا الوَضْعُ باستثناء أنَّ المُزَيِّنين كانوا يميلون إلى تَضْمين الزَّخارِف عَناصِرَ نَصِّيَّة (شَواهِد قُرْآنية، حِسَاب الآيات ... إلخ).

257

/ النُّصُوصُ غير القُرْآنية

تَحْديدُ النَّصِّ في وَجْهِ الوَرَقَة الأولى

كثيرًا ما نجد على وَجْهِ الوَرَقَة الأولى، الذي يُعَدُّ المَدْخَلَ المُفَصَّل للنَّصِّ الذي يشتمل عليه المَخْطُوط، إشاراتٍ مُخَصَّصَةٍ لإرْشاد القارئ الذي سيجد فيها في أغْلَب الأحيان عُنْوانَ الكتاب الذي يمكن أن يُضافَ إليه أحيانًا مُعْطيات تَرْتَبط بالنُّسْخَة التي يَشْرَعُ القارئ في فَتْحها أكثر من ارْتباطها بالنَّصِّ نفسه. وبما أنَّ هذه الوَرَقَة لا يُوجَد لها مُناظِر، فإنَّ تكوين زَخَارِفها يكون مُتَغَيِّرًا.

وبدأت المساحَةُ المُزَخْرَفَة المُحيطة بالمُعْطى الرَّئيس، الذي هو عُنْوانُ المُؤَلَّف، تَنْتَظم شيئًا فشيئًا [٣٣]. وكُتِبَ عُنْوانُ الكتاب غالِبًا في شَكْلٍ دائري بسيط أو مُتَعَدِّد التَّقْويسات («شَمْسَة»)، ومَصْحوبًا أحيانًا باسْم المُؤَلِّف. ويقوم الحَلُّ المُتَّبع عادَةً على وَضْعِ هذه الزَّخْرَفَة في مُنْتَصَفِ الصَّفْحَة. وأضافَ المُزَيِّنُون إلى الدَّائِرَة

٣٢. H. C. von Bothmer, «Architekturbilder im Koran, Eine Prachthandschrift der Umayyadenzeit aus dem Yemen», *Pantheon*, 45, (1987), p. 4 - 20.

٣٣. ينظر أيضا فصل «تاريخ النُّسْخَة».

مُثَلَّثات كُرَوية (دَلّايات) بين الأَقْواس قابلة لأن تحتوي على معلوماتٍ تَتَّصلُ بالنَّصِّ الذي سيأتي. ويمكن أن تُصَفَّ الهالات ذات النِّطاقات المُعَقَّدَة تَقْريبًا في جوانب الزَّخارِف الدَّائرية.

وعندما تكون الزَّخْرَفَةُ على شكل إطارٍ مُستطيلٍ، فإنَّها تَظْهرُ في النِّصف الأَعْلى للوَرَقة. وفي الإخراجات المُتَطَوِّرَة جدًّا تَشْغَلُ الزَّخْرَفَةُ الصَّفْحَة كلَّها: وتأخُذُ إذًا شكل مُستطيلٍ تُعَيَّنُ في داخله بسهولة العَناصِر التي كانت مُنْعَزلة في الصَّفْحَة كالإطار والشَّمْسَة[٣٤]. وأحْيانًا ما تُذْكر مُحْتَوياتُ المَخْطُوط تَفْصيليًّا بطريقةٍ دقيقة. فتبدأ نُسْخَةُ «خمسة نِظامي» المحفوظة في ڤيينا برقم Cod. A.F. 66 بزَخْرَفَةٍ على شَكْل وَرْدَةٍ أو نَجْمَة دُوِّن في وَسَطِها عُنْوانُ «يُوسُف وزُلَيْخا»، بينما تظهر عناوينُ القَصائد الأربعة الأخرى في أربعة أُطُرٍ مُزَخْرَفَةٍ رتِّبت بشكلٍ مُتناظِر[٣٥].

الإشارَةُ إلى المُسْتَكْتِب أو المكتبة المكتوبة لها النُّسخَة

إنَّ وَجْه الوَرقة الأولى هو المكان المُناسِب للَفْت عَيْن القارئ إلى مُسْتكتِب هذه النُّسْخَة (شكل ٤٧) الذي كان يُشارُ إليه في تَزايين ذات أشْكالٍ تُشْبه تلك المُسْتَخْدَمَة في كِتابة العناوين[٣٦]. والفَحْصُ المُتَنَبِّه يمكّننا من أن نُقَدِّر إذا ما كانت الكتابةُ أصيلةً أو زُوِّرَت في وَقْتٍ لاحِق. وبالمقابل، فإنَّنا نجد أنَّ الفَراغَ الذي خُصِّصَ في بعض المَخْطوطات لوَضْع اسم المُسْتكتب ظَلَّ بدون أيَّة كتابة.

٣٤. انظر مخطوطي ڤيينا رقم ÖNB A.F. f. 84 b ورقة ١، ورقم N.F. f. 381 ورقة ١ (Duda, *Isl. Hss* 2, pp. 77-78، وشكل ٤٤)، ومخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1375, f. 1 (F. Richard, Paris 1997, p. 65, nº24).

٣٥. Duda, *Isl. Hss* I, pp. 22-25 شكل ٣٤؛ وينطبق الشيء نفسه على المخطوط رقم A. F 93 الورقة ١ في المجموعة نفسها (Duda, *op. cit.*, pp. 33-37 وشكل ١٠٧).

٣٦. مخطوط ڤيينا رقم ÖNB N.F. 442 f. 2 (Duda, *op. cit.*, I, pp. 95-96 وشكل ٢٢).

258

/ بِدايَةُ النَّصِّ في ظَهْر الوَرَقَة الأولى

إنَّ ظَهْرَ الوَرَقَة الأولى هو المكانُ المُناسِب لبَدْءِ نَسْخ النَّصِّ. وغالِبًا ما يَضَعُ فيه الفَنَّانُ زَخْرَفَةً تُشيرُ إلى هذا المَدْخَل دون أن يأخُذَ في اعْتباره الصَّفْحَتين المُتقابلتين. ولكن على خِلافِ وَجْه الوَرَقة، الذي يَضَعُ صَفْحَةً فارغَةً تحت تَصَرُّفه، فإنَّ زَخْرَفَة ظَهْر الوَرَقَة تتعايش مع مُسْتهلِّ الكتاب، بحيث إنَّها تَأْخُذ شكل سَرْلَوْحَة مَوْضُوعة في القسم الأعْلى من الصَّفْحَة وغالبًا ما تُدْمَج في إطارٍ بسيط الشَّكْل، وكثيرًا ما تتلقَّى السَّرلَوْحَة كتاباتٌ (شكل ٤٣)، فليس من النَّادر أن نَقْرأ فيها عُنْوان المُؤلَّف[٣٧]، ولكن الأكثر شُيُوعًا أن نجد فيها صِيَغًا دينيةً («البَسْمَلَة» أو غيرها)[٣٨].

لقد اهْتمَّ بَعْضُ الفَنَّانين بتَوْسيع حَجْم هذه الزَّخْرَفَة ونَتَجَ عن ذلك ابْتكارُ عُنْصُرٍ زُخْرُفي مَحْض يُتَوِّجها، أَخَذَ في العَصْر العُثْماني شكل القُبَّة[٣٩] وُضِعَت بها العَديدُ من السِّيقان المُتَعَامِدَة الواحدة إلى جانب الأخرى (شكل ٤٤).

ولتَحقيق التَّوازُن بين الأقسام اليُمْنى واليُسْرى للصَّفْحتين المُتقابلتين ولمنع النَّشاز بينهما، كان هناك إطارٌ بَسِيطٌ في العُمُوم (خَيْط أو عِدَّة خُيُوط مُذَهَّبَة أو مُلَوَّنة) يُحيطُ بالنَّصِّ. إذًا فالحَدُّ الذي يَفْصلُ هذا العَرْض عن العُرُوض التي سنذكرها فيما يلي بسيطٌ جدًّا: فتُوَضِّحُ الأوْراقُ الأولى من نُسْخَة «مَنْطِق الطَّيْر» المحفوظة في باريس برقم BnF persan 348 كَمْ هو يسيرٌ أن نَحْصُل عن طريق تِكرار السَّرلَوْحة على تَوْكِيبٍ مُتوازِنٍ[٤٠].

٣٧. راجع، F. Richard, Paris 1997, p. 67, nº26 مع عبارات ورع (مخطوط باريس Paris, BnF persan 276، ورقة ٢ظ).

٣٨. راجع، F. Richard, Paris 1997, p. 65 et 67, nº| 23 et 27 (mss Paris, BnF suppl. persan 1817, f. 18 vº; suppl. persan 745, f. 1 vº).

٣٩. راجع: - D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, fig. 268، 273 et 275 - 279; A. Ersoy, *op. cit.*, fig. 20, 21 ويُطْلِقُ المؤلِّفون الأتراك على هذا النوع من الزَّخْرَفَة مصطلح مِحْرابي *mihrabiye*.

٤٠. F. Richard, Paris 1997, p. 109, nº68.

الصَّفْحَتان المُتقابِلَتان الأوليان

لقد دَفَعَت جماليَّةُ إنْتاج الكُتُب بالخَطِّ العربي المُزَيَّنين إلى الاستفادة القُصْوَى من الصَّفْحَتين المُتقابِلَتين الأوليين باسْتِغْلالهما كُلِّيةً. وهذا الحَلُّ كقاعِدَةٍ عامَّةٍ خاصٌّ بالنُّسَخ الخَزائنية. ومن الصَّعْب أن نُحَدِّدَ الفَتْرَة التي بدأ فيها هذا الاسْتِخْدام. وفيما يَخُصُّ النُّصُوص غير القُرْآنية فإنَّ نسخة كتاب «خَلْق النَّبيّ وخُلُقه» المحفوظة في ليدن برقم BRU Or. 437، والتي نُسِخَت خلال الرُّبْع الثَّاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، يمكن أن تُعَدَّ من بين أقْدَم هذه الأمْثلة[٤١]؛ فيُذَكِّرُ أسْلُوبُها في العَديد من المواضع ببَعْض التَّزايين القرآنية المُعاصِرَة و، الحَقُّ يُقال، أنَّ هذا النَّصّ قَريبُ الصِّلَة جِدًّا من الدَّائرة الدِّينية.

ويمكن أن يبدأ النَّصُّ داخل المُسْتطيلين المكوِّنين لقَلْب الزَّخْرَفة، وعندئذٍ تشتمل السَّرلَوْحة على عُنْوانِ المُؤَلَّف وكذلك اسْم المؤلِّف[٤٢]. / وليس من النَّادِر بالمَرَّة أن نجد في هذا المَوْضِع فقط العُنْوان وفهرست المَوْضوعات. فقد طَوَّرَ المُزَيِّنُون إذًا بنجاحٍ تَشَكُّلات مُسْتَوْحاة من تلك التي أشَرْنا إليها بخُصُوص وَجْه الوَرَقَة الأولى. فنجد في الوَرَقَة ١ظ - ٢ من نُسْخَة «ديوان» شِعْري مَحْفُوظ في باريس برقم BnF Suppl. persan 1469 أنَّ الشَّمْسَتين مُزخرفتان كلِّيًّا، ويَظْهَر عُنْوانُ الآثار في السَّرلَوْحة التي تُحيطُ بها من أعلى ومن أسْفل تَبَعًا للتَّنْسِيق الذي نجده في نُسْخَة «ديوان» سَعْدي المحفوظة في المكتبة نفسها (Suppl. persan 1357، ورقة ٢)[٤٣]. وقد يحدث أن نجد في هذا المَوْضِع عِبارَةً تَمْتَدِحُ الأثَرَ نفسه؛ وخَيْرُ مِثالٍ على ذلك نُسْخَةُ «كَليلَة ودِمْنَة»، المُؤَرَّخَة سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧ - ١٣٠٨م التي مَصْدَرُها جنوب إيران، المحفوظة في المكتبة البريطانية بلندن (BL. Or. 13506)، ونُسْخَةُ «جاويداني

٤١. S. Stern, «A manuscript from the library of the Ghaznawid Amîr ‘Abd al-Rashîd», dans R. Pinder - Wilson éd., *Paintings from Islamic lands*, Oxford, 1969, p. 24 - 25, fig. 2, 3.

٤٢. مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1426 ورقة ١ظ-٢ (F. Richard, PARIS 1997, p. 156, n°109)، وانظر كذلك D. Duda, *Isl. Hss*, I, fig. 30-31, 36-37, 72, 151-152 (مخطوط ڤيينا رقم ÖNB Cod. Mixt. 1480، ورقة ١ظ-٢؛ ورقم A.F. 66، ورقة ١ظ-٢؛ ورقم N.F. 155، ورقة ١ظ-٢؛ ورقم 116، ورقة ٢ظ-٣).

٤٣. F. Richard, PARIS 1997, p. 98, n°51 واللوحة p. 92.

خِرات» لمحمد قَزْويني المحفوظة في المعهد الشَّرْقي بسان بُطْرُسْبُرج برقم C 650.

والأكْثَر نُدْرَةً أن نجد في هاتين الصَّفْحَتين المُتقابِلتين مُنَمْنَمَتَيْن مُتقابِلَتَيْن داخِلَ إطارٍ مُزَخْرَف. وقد اسْتُخْدِمَ هذا الحَلُّ في الوَرَقَة ١ظ - ٢ من نُسْخَة مُخْتارات أمير خُسْرُو دَهْلَوي المحفوظة في ڤيينا برقم ÖNB Cod. Mixt. 356[٤٤]؛ فقد رُحِّلَ بدايةُ النَّصّ في صَفْحتين مُتقابِلتين ثانيتين، إمَّا تحت سَرلَوْحة وإمَّا أيضًا، في النُّسَخ المُرْهَفَة، في صفحتين مُتقابلتين ثانيتين مُشابهتين من وجهة نَظَرِ هذا المَفْهوم لتلك التي جِئْنا على وَصْفِها، في النُّسَخ الفاخرة[٤٥].

التَّقْسيماتُ الدَّاخِلية

تُعَدُّ التَّزايين الموجودة داخل المُجَلَّد، كما سَبَقَ أن أشَرْنا إلى ذلك، بمثابة نِقاطِ اسْتِدْلالٍ للقارئ الباحِث عن مَوْضُوعٍ مُحَدَّد: فطبيعتُها الوَظيفية إذًا ظاهِرَةٌ جدًّا للعَيان.

وقبل أن نَذْهَب أبْعَد من ذلك، يجب أن نُشيرَ مُجَدَّدًا إلى أنَّ جَميعَ المُصْطَلحات التي سنستخدمها لم تُعْتَمَد عالميًّا، سواء من حيث مَعْناها أو من حيث تَطْبيقها. فكلمةُ «عُنْوان»، على سبيل المثال، تعْني سَرلَوْحَة عُنْوان مُزَيَّنة، ولكن مُؤَرِّخي الفَنّ وواضعي فهارس المَخْطوطات يستخدمونها للتَّعْبير عن زَخْرَفَةٍ لصَفْحَةٍ كاملةٍ سواء أكانت بداية كتابٍ أم لا؛ ويُفضِّلُ آخرون، في هذا الحالة، الحديث عن «السَّرلَوْح».

الوِحْداتُ النَّصِّيَّة الكبرى

تَكْشِفُ المَصَاحِفُ المبكِّرة (نهاية القرن الأوَّل الهجري/ بداية القرن الثَّامِن الميلادي) عن أنَّه كانت تُوجَد بالفِعْل عادَةُ فَصْلِ سُوَرِ القُرْآن بسَطْرٍ أو بتَرْك جزءٍ فارِغ

٤٤. D. Duda, *Isl. Hss.*, 1, p. 178 - 180, fig. 155 - 156.

٤٥. راجع مخطوط باريس رقم: BnF suppl. persan 1357، ورقة ٢ظ-٣ (F. Richard, PARIS 1997, p. 98, n°51).

٤٦. على سبيل المثال مخطوط باريس رقم BnF arabe 328 a (راجع: F. Déroche et S. Noja Noseda, *Le manuscrit arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France*, 1998.

من السَّطْرِ بينها ، وتَحْدِيد نهاية «الآية» بعَلامَة[٤٦] (شكل ٦٤) . / وسُرْعان ما تَمَّت زَخْرَفَةُ الفَضَاءِ الذي كان يُتْرَكُ شاغِرًا بين سُورَتَيْن منذ وَقْتٍ باكِر ، وأُضيفَت تَزايينُ بدون كتابة في هذا الفَرَاغ المُستطيل في فَتْرَةٍ مُبَكِّرَة ، ولكن سُرْعان ما أدَّى الاهْتمامُ بتوظيفه إلى الإشارَة إلى اسْمِ السُّورَة مَصْحوبًا أو غير مَصْحُوب بعَدَد آياتها ومكان نُزُولها . وهو ما أصْبَح بعد ذلك بطريقةٍ نهائية عُنْصُرًا أساسيًّا في هذه الزَّخْرَفَة . وأحْيانًا يتضاءَل هذا التَّزْيين إلى مُجَرَّد الكتابة المُذَهَّبَة ، ولكنَّ الأغْلَبَ كان دَمْجَ هذه الكتابة دَاخِل زَخْرَفَةٍ (شكل ٣٩، ٤١، ٤٢) .

فماذا عن الوِحْدات النَّصِّيَّة الأهَمّ (كِتاب ، وباب ، وفَصْل ... إلخ) في المُؤَلَّفات النَّثْرية ؟ لقد كان يُشارُ إليها عند الحاجَة بسرلَوْحات مُزَيَّنَة ويكون بعضُها مُزَخْرَفًا . ويبدو أنَّ حَظَّ ظُهُور التَّزْيين كان أوْفَرَ في المُؤَلَّفات ذات الطَّابع العِلْمي ، وعلى الأخَصِّ إذا كانت نُسَخُها مكتوبةً لمُشتكتبين أثْرياء . ويَدْخُل في هذه الفِئَة مَجْموعاتُ الرَّسائل وكذلك الرُّوزْنامْجات والتَّقاويمُ الفَلَكية ونُصُوصٌ فلكية وتَنْجيمة أخرى ، غالبًا ما تكون في شكل لُفافات .

وتَتَمَثَّلُ فِئَةٌ أخرى من النُّصُوص المُزيَّنَة في القَصَائِد المُطَوَّلَة أو المجموعات الشِّعْرية الوَصْفية (الملاحِم) و / أو التَّعْليمية ـ وتُوجَدُ هاتين الفِئتين غالبًا في الآداب الفارسية والتُّرْكية والأُرْدية . وتَظْهَرُ من بين أشهر المَخْطُوطات الإسلامية النُّسَخُ المُزَيَّنَة والمُصَوَّرَة للأدَب الكلاسيكي الفارسي مثل «الشَّاهْنامَه» (أو «كتاب المُلُوك») للفِرْدَوْسي و «خَمْسَة نِظامي» . وقَلَّما نجد بينها عُنْوانًا يَفْتَقِدُ إلى سَرلَوْحَة مُزَيَّنَة لكلِّ قصيدَةٍ أو كتاب ، بل إنَّ بعضًا منها يُوجد به سَرلَوْحات صُغْرى خاصَّةً بكلِّ فَصْلٍ من الرِّواية أو ما نَخْرُج به من دُرُوسٍ من الأحْداثِ المَرْوية . ويُوجَدُ كذلك في فِئة الدَّواوين الشِّعْرية مَخْطوطاتٌ تَشْتَمِل على العَمَلِ الكامِل لمُؤَلِّفٍ ما أو لاخْتياراتٍ من أشْعارِه الغِنائية ، أو أيضًا مُنْتَخباتٍ شِعْرية ؛ وتَحْتَوي المَخْطوطاتُ الخَزائنية عادةً على سَرلَوْحات مُزَيَّنَة (a) لكُلِّ مُؤَلِّف في المُنْتَخَبات ؛ (b) لكُلِّ نَوْعٍ من الأشْعار ، حيث تُقَسَّمُ القَصائِدُ إلى «الغَزَل» و «الرُّباعِيَّات» ... إلخ ؛ (c) وللأشْعار ذات الرَّوي الواحِد ؛ (d) ولفَصْلِ قَصائِد الشَّاعِر الواحِد ، الواحِدَة عن الأخرى بعبارة : (وَلَهُ) (شكل ٦٥) . ويتَطَلَّبُ تَرْتيبُ الأعْمال الكامِلة («الكُلِّيَّات») لمُؤَلِّفٍ ما ، شِعْرًا أو نَثْرًا ، البَرَاعَة في إخْرَاجِ الصَّفْحَة وإحْكام التَّزْيين .

التَّقْسيماتُ الفَرْعية

سَعَى النُّسَاخُ ، في غَيْبَة تَرْقِيمٍ مُقَنَّنٍ ، للبَحْث عن علاماتٍ يُشيرون بها إلى بداية عِبارَة أو فَقْرَة ، أو على التَّدْقيق بداية وِحْدَةٍ نَصِّيَّة يمكن أن نُطْلِق عليها عبارَة أو فَقْرَة . وسَعَوْا كذلك فيما يَخُصّ الشَّكْل إلى وَضْعِ نُقْطَةٍ بالمِداد الأحْمَر أو الأسْوَد ، فيوجد في المَخْطوطات القيِّمة إمَّا زَخارِفُ على شَكْل كَرْمَة صغيرة وإما وَرْدات تُشْبه العلامات التي تُشير إلى الآيات في المَصَاحِف . ونَلْحَظ ظُهُور تَنَوُّعٍ كبير في زخارِف المَصَاحِف / حاوَل أن يحلّ مَحَلّ العلامات المُدَوَّنة بالحِبْرِ التي اسْتُخْدِمَت أوَّلًا لفَصْلِ الآيات[٤٧] .

ولنعود إلى التَّقْسيمات بين الوِحدات النَّصِّيَّة ، يبقى أن نَعْتَبر طريقَة الفَصْل بين «الأبْيات» أو «المَصاريع» . فعندما تُقْحَم الأبْياتُ في نَصٍّ نَثْري ، إمَّا للتَّنْويع أو للاسْتِشْهاد ، فإنَّه يُشارُ إليها عادَةً بعلاماتٍ مثل تلك التي أتَيْنا على وَصْفِها . وعندما تُعْرض ، في المُقابل ، بالطَّريقة نفسها المُسْتَخْدَمَة في أوروبا ، فإنَّ الفَصْل يأخُذ في العُمُوم شكل عَواميد مُنْتَظِمة تتألَّف من سَطْرٍ عَمُودي أو أكثر ، وتكون في الأغْلَب في شكل ثُنائيات (شكل ٦٥ و ٦٦) .

ويَخْضَعُ الشَّكْلُ الصَّحيحُ لوَضْعِ الأعْمِدَة لشَكْل الإطار أو الجَدْوَل الذي سنتناوله فيما بعد[٤٨] . ويَتَعَلَّقُ الأمْرُ بخُيُوطٍ مُفْرَدَةٍ أو مُجَمَّعَةٍ تَفْصِلُ النَّصَّ عن الهَوَامِش ، سواء رأسيًّا أو أُفُقِيًّا ، وأحْيانًا حتى بشكلٍ مُتقاطِع عندما تكون سُطُورُ النَّصِّ قد كُتِبت بانْحِرافٍ في الهامِش . وتَحْتَمِل «الجَداوِل» ، في العَديد من المَخْطُوطات الأدبية التي تَرْجِعُ إلى الفترة بين القرنين التَّاسع والثَّالِث عشر للهجرة / الخامس عشر والتاسع عشر للميلاد ، خُطُوطًا مُذَهَّبة وَسَط خُطُوطٍ مُلَوَّنَة أو سَوْداء . وقد نال فَنُّ تَنْفيذ هذه الإطارات ، المُسَمَّى بالفارسية «جَدْوَلْكشي» ،

---

٤٧. يوجد مخطط لتصنيف المخطوطات القديمة عند : (F. Déroche, *Cat.* I/1, p. 27 - 28) .

٤٨. يُقْصَد بكلمة «جدول» الهوامش المسطرة لمخطوط ، وندخل فيها غالبًا السطور المذهبة أو الملونة ؛ وبمعنًى آخر هي «فهرست الموضوعات» أو جدولًا (مثلا في مخطوط علمي) .

تَقْديرًا كبيرًا ، بحيث خُصِّصَت له فُصُولٌ في الكُتُب التي تَناوَلت فَنَّ الكتاب[٤٩].

خَصَائِصُ المَصَاحِف

لقد تَطَلَّبت احتياجاتُ قُرّاء المُصْحَف وخُصُوصِيَّة النَّصّ القرآني فوق ذلك ، ظُهُورَ زَخارِف في غاية التَّنَوُّع يستجيب كُلٌّ منها إلى مَهامَّ مُعَيَّنَة : فيُحَدِّدُ بَعْضُها مجموع كلِّ خمس أو عشر آيات وأماكِن السُّجود ، أو تقسيم النَّصّ إلى وِحْدات ذات طُولٍ واحد تيسيرًا لتَرْتيل القُرْآن (أنْصاف ، وأسْباع ، وأجْزاء ، وأحْزاب ، وتقْسيمات أخرى)[٥٠]. وهذه الزَّخارِفُ هي في الأغْلب زخارِفُ هامِشية ، غير أنَّ بعضَ النُّسَخ النَّفيسة تُشيرُ إلى مَوَاضِع التَّقْسيمات بمَدِّ التَّزْيين على كامِل الصَّفْحَة . وهكذا تَمَّ تَحْديدُ مُنْتصف المُصْحَف في القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، على سبيل المثال في الوَرَقَة ١٩٣ من مُصْحَف مكتبة شيستر بيتي بدَبْلِن رقم CBL 1473 المُؤَرَّخ سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م[٥١]، وأخَذت هذه الزَّخْرَفَةُ ، بفَضْل عناية الفَنَّانين الفُرْس في القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي ، شَكْل إطارٍ كامِل الصَّنْعَة . وامْتَدَّ هذا الأسْلُوبُ إلى بداية كُلِّ «جُزْء» ، بحيث إنَّ عَدَدًا من النُّسَخ الفاخِرة كمُصْحَفي برلين رقم SB Or. 10450[٥٢] وشيستر بيتي بدَبْلِن رقم CBL 1542[٥٣] يشتملان على تسعٍ وعشرين زَخْرَفَةٍ هامشيةٍ من هذا النَّوْع ، دون أن نَحْسب الزَّخارِف الافْتتاحية والخِتامية الكبرى .

٤٩. سيد يوسف حسيني ، «رسالة بي صَحَّافي ، فصل ٩» في كتاب نجيب مايل هروي : «كتاب أرائي دار تمدن إسلامي ، طهران ، ١٣٧٢هـ/١٩٩٣م ، ٤٨١ - ٤٨٥.

٥٠. راجع ، G. Humbert, «Le guz' dans les manuscrits arabes médiévaux», dans *Scribes*, p. 78.

٥١. D. James, *Qur'âns of the Mamlûks*, p. 73، شكل ٤٣.

٥٢. F. Déroche et A. von Gladiss, *Buchkunst zur Ehre Allahs. Der Prachtkoran im Museum für Islamische Kunst (Veröffentlichungen des Museums für islamische Kunst, 3)*, Berlin, 1999, p. 36, fig. 14.

٥٣. A. J. Arberry, *The Koran illuminated*, Dublin, 1967, p. 49 - 50, n°161.

262 / زَخارِفُ نَصِّيَّة أخرى

الجَدَاوِلُ وزَخْرَفَةُ الهَوَامِش

ظَهَرَت الإطاراتُ (الجَدَاوِل) مُبَكِّرًا جدًّا في المَصَاحِف ، مثلما هو الحالُ في مُصْحَفِ دار المَخْطُوطات بصَنْعَاء رقم Inv.-Nr. 20. 33.1[٥٤]؛ وهي سميكة نسبيًّا ومُسْتَمَدَّة من وِحْدات زُخْرفية مُلْتوية أو مُضَفَّرَة . وفيما بعد ، من القرن التَّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى القرن الثَّالِث عشر الهجري / التَّاسع عشر الميلادي شَاعَ شَكْلٌ أكثر رَشَاقَة مُكَوَّنٌ من سِلْكٍ مُذَهَّبٍ أو أكثر و / أو مُلَوَّن في جميع المَخْطُوطات (شكل ٣٩ ، ٦٥ ، ٦٦) . وتَسْتَحِقُّ الألْوانُ المستخدمَة دون شَكّ المُلاحَظَة لأنَّها تَكْشِف عن مُمارَساتٍ مَحَلِّيَّة . ولم يكن تَنْفيذُ هذه الجَدَاوِل شيئًا لا يُكْتَرَثُ به ، ففي العالم الإيراني كانت هناك وَصَفاتٌ تُشير إلى طريقة صُنْعها .

وتَتَمَيَّزُ نُسْخَةٌ مُغْلية من «مَثْنَويَّات» ظَفَرْخان تَرْجِعُ إلى القرن الحادي عشر الهجري / السَّابع عشر الميلادي (مجموعة الجمعية الملكية الآسيوية بلنَدْن) بهَوَامِشِها[٥٥] المُزْدانَة بالذَّهَب من أوَّل المَخْطُوط إلى آخره ، وهو أمْرٌ نادِرٌ نسْبيًّا . واعْتبارًا من بِدايَة القرن التَّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي أُضيفَت غالبًا وِحْداتٌ زُخْرُفيةٌ مُلَوَّنَةٌ نُفِّذَت بمِرْسام[٥٦] [وهو صفيحة من وَرَقٍ مُقَوًّى أو من من مَعْدِن تُمَرَّر عليها فُوشاة أو ريشة لرَسْم الصُّوَر] وبخاصَّةٍ في إيران وفي الهِنْد المُغْلِيَّة وفيما وَرَاء النَّهْر وفي الدَّوْلَة العُثْمانية . وتُلاحَظُ أيضًا في «مجموع إسْكَنْدَر سُلْطان» المَحْفُوظ في المكتبة البريطانية بلندن (BL Add. 27261) نماذِجُ الأرابِسْك المُذَهَّب ورُسُومٌ أخرى ليس فقط في الهَوَامِش وإنَّما كذلك في المِسَاحَة المكتوبة من الصَّفْحَة . وظَهَرَت على الأخَصّ في إيران الصَّفَوِيَّة وفي الهِنْد المُغْلية ، في

٥٤. H. C. von Bothmer, «Architekturbilder im Koran, Eine Prachthandschrift der Umayyadenzeit aus dem Yemen», *Pantheon*, 45, 1987, p. 14-16, fig. 10, 11, 26 et 27، وانظر كذلك مخطوط دار المخطوطات بصنعاء رقم Inv. Nr. 20-29. 1 H. C. von Bothmer, «Frühislamische Koran-Illuminationen», *Kunst und Antiquitäten*, 1, 1986, p. 30 - 31 et fig. 10.

٥٥. يقال للهامش حاشية ؛ واتسع معناه فأصبح يشير إلى الزخرف الهامشي .

٥٦. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صناع الكتاب» .

٧٤. صَفْحَةٌ افْتِتاحية لِمُصْحَفٍ عُثْماني (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

إستانبول. مكتبة برتف ينال بالسُّليمانية رقم ٨، ورقة ٢.

القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السَّادِس عشر والسَّابع عشر للميلاد، في المخطوطات العالية الجَوْدة الصُّوَر التَّشْخيصية - التي غَلَبَ عليها صُوَر الطُّيُور وَفْق الطَّريقة الصِّينية أو صُوَر الحَيَوانات الحقيقية أو الأسْطُورية - ورُسِمَت في هَوَامِشها بدَرَجتين من الذَّهب أو من الذَّهَب والفِضَّة. ورُبَّما تَعَلَّق الأمْرُ أحيانًا بعَمَلٍ مُنَفِّذٍ بمِرْسام، ونحن لا نَفْتَقِدُ إلى هذه النَّماذِج التي نُفِّذت بمهارَةٍ يَدَوية.

وتُوجَدُ طَريقةٌ أخرى لعَمَلِ الزَّخارِف الهامِشِيَّة تعتمدُ على اللُّجُوء إلى التِّقْنية المعروفة بـ«فسَّالي *Vassâli*» [الوَصْل] (شكل ١٠)، حيث تُمْنَحُ الأوْراقُ المَصْبُوغَة أو المُزَخْرَفَة نَسَقًا عَرِيضًا من الأفْعال قامَ به صُنَّاعُ الكتاب بارْتياح[٥٧].

إدْماجُ إطاراتٍ زُخْرُفية في المِساحَة المكتوبة

ظَهَرَت العَديدُ من العَناصِر الزُّخْرُفية الإضافية اعْتِبارًا من القرن التَّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، على سبيل المثال لَوْحات مُؤَطَّرَة مُثَلَّثَة تَشْتَمل على وِحْدات زُخْرفية مُذَهَّبَة أو من الأرابسك على خَلْفية بسيطة أو مُلَوَّنَة ارْتَبَطَت في بادئ الأمْر برُعاةِ الفُنون التَّيموريين كإسْكَنْدَر سُلْطان، الذي شَهِدَت إيرانُ الجنوبية في ظِلِّ فَتْرَة حُكْمه القصيرَة إنْتاجَ مَخْطوطاتٍ مُزَيَّنَة عالية الجَوْدَة. كان ذلك جزءًا من اتِّجاهٍ يُدْرِكُ ضَرُورَة إيجاد / تَرْكيبات مُتَكَلِّفَة تَحْتَضِنُ كلَّ شيءٍ، اتِّجاه لا يهتمُّ فقط بتَنْظيم أُسْلُوب تَزْيين بداية الكتاب ولكن كذلك تَزايين التَّجْليد والبِطانات (شكل ٤٦). وقد تَحَقَّق ذلك بالفِعْل في النُّسَخ الطَّمُوحة التي أُنْجِزت، على سبيل المثال، لرُعاة الفُنُون السَّلاجِقَة والإنْجُويين [أُسْرَةٌ حَكَمت شيراز، عاصِمَة إقْليم فارس، في الفترة من ٧٠٣-٧٥٨هـ/ ١٣٠٣-١٣٥٧م أسَّسَها شَرَفُ الدِّين محمود شَاه] والجَلائِريين والمماليك (القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي وبداية الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي)، ولكنَّها تَزايدَت ابتداءً من القرن التَّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في المجلَّدات الفاخِرَة التي نُسِخَت للتَّيموريين والتُّرْكُمانيين والصَّفَويين والمُغُل وكذلك لِمُستكتبين

263

٥٧. انظر فيما يلي.

آخرين (من القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى القرن الحادي عشر الهجري / السَّابع عشر الميلادي) (شكل ٦٦) .

ويَتَّصِلُ كذلك بإخْراج الصَّفحات ، إضافَةُ لَوْحاتٍ مُؤَطَّرَة مُزَيَّنَة هنا وهناك في نَصٍّ (غالبًا قَصيدَة) بهَدَفِ دَفْعِ نهاية النَّصِّ إلى الصَّفْحَة التَّالية ، أو على الأَقَلّ حتى النِّصف الأدْنى لهذه الصَّفْحَة . وتُماثِلُ هذه العَمَلِيَّة ما يتمُّ في عَصْرِ الكتابِ المَطْبوع من تَحاشي تَواجُد أسْطُرٍ مُفْرَدَةٍ من نَصٍّ في نهاية صَفْحَة أو في بدايتها يسبقه أو يتْلوه سَطْرٌ فارِغٌ (أو ما يُطْلَقُ عليه «الأرامِل» و«اليَتامَى») . ويمكن أن تَتَواجَد أُطُرُ اللَّوْحات المُزَيَّنة أحْيانًا في عَدَدٍ من الصَّفَحات المتتالية ، ويُكتب النَّصُّ حَوْلها ، كُلُّه أو قِسْمٌ منه ، بطريقةٍ مائلةٍ ، بحيث يُكْمل مجموع إخْراج الصَّفْحة . وكانت هذه التَّرْتيباتُ مثلًا واضِحَةً في نُسْخَة «خَمْسَة» نِظامي المنسوخة في هَرَاة والمُصَوَّرة على أُسْلُوب مَدْرَسَة بِهْزاد أو في النُّسْخَة التي كُتِبَت لشاه طهماسْبْ سنتي ٩٤٥هـ/١٥٣٩م و٩٤٩هـ/١٥٤٣م (لندن ، المكتبة البريطانية BL Or. 6810, Or 2265) . وشَاعَ هذا الشَّكْلُ من التَّزْيين ابتداءً من مُنْتَصَف القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي في المَخْطُوطات التي نُسِخَت لرُعاةِ الفُنُون التَّيموريين والتُّرْكُمانيين .

زَخْرَفَةُ ما بَيْنَ السُّطور

بدأت تَظْهَرُ في المَخْطُوطات منذ القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي سُطُورٌ من نَصٍّ موضوعة داخل شَرائِط على هَيْئَة السُّحُب (أو أيضًا مُؤَطَّرات رَقيقة في الحَوَاف) على خَلْفية من التَّظْليلات المُلَوَّنة . وفي النُّسَخ الفاخِرة التي أُنْتِجَت في القَرْن التَّالي حَلَّ التَّذْهيبُ مَحَلَّ التَّظْليل ، فيما عَدَا ما يتعلَّق بعناوين المقاطِع . وتُظْهِر العديدُ من المَخْطوطات الجَيِّدَة الصُّنْع سُطُورَ نَصِّ الصَّفْحَتين المُتَقابِلتين الأولَيين محصورة بين تَذْهيبٍ فيما بين السُّطُور ، غالبًا على شكل شَرائِط من السُّحُب . وتُظْهر أيضًا المجلَّدات الخَزائنية هذه المعالجة ، وقد امْتدت على كُلِّ صفحة من صفحات المُجَلَّد . ومِثالُ ذلك نُسْخَةُ «مَثْنَويات» ظَفَرْخان المُغُلِيَّة التي ترجع إلى القرن الحادي عشر الهجري / السَّابع عشر الميلادي المحفوظة في مجموعة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن .

الزَّخارِفُ المُصَاحِبَة لنِهايَة النَّصّ

تُمَثِّل نهايةُ النَّصّ نُقْطَةً مُهِمَّةً حيث تكون غالبًا مَصْحوبةً بالزَّخارِف . وبعضُ هذه الزَّخارف يَرْتبط مباشَرَة بحُرُودِ المَتْن التي تَتَمَتَّع بوَضْعٍ خاصّ ؛ ويبدو أنَّ بعضها الآخر ، بالمقابل ، لا نُصادِفُه إلَّا في المَصَاحِف .

/ وفي العُمُوم تكون نهايَةُ المَخْطُوط أقَلَّ زَخْرَفَةٍ من بدايته . وكان الاهْتمامُ بالتَّماثُل في المَصَاحِف يُحَسُّ منذ زَمَنٍ بعيد ، حيث قادَ عَدَدًا من الفَنَّانين إلى اخْتِتام النُّسْخَة بعَلامَةٍ تُذَكِّرُ بعَلامَة البِدايَة . فنجد إذًا زَخارِفَ تملأ الصَّفْحَة[٥٨] أو تأطيرات[٥٩] ونادِرًا وِحدات زُخْرُفية مُسْتَديرة[٦٠] في تكوينِ مُناظِرَ لذلك الذي لاحظناه في الأَوْراقِ الأولى . 264

وليس من النَّادِر أبَدًا أن نتأكَّد من أنَّ نِهايَة النَّصِّ تَصْحَبه زَخَارِفُ لها ظاهِريًّا وَظيفَةٌ مُعادِلَةٌ لوَظيفة الإطارات الزُّخْرُفية التي وَصَفْناها فيما سَبَقَ ، بحيث تَسُدُّ الفَراغات التي يَصْعُبُ أن تملأها الكتابة . وهذه الطَّريقةُ مألُوفَةٌ منذ فَتْرَةٍ مُبَكِّرَة بما أنَّنا نجدها بالفِعْل في مُصْحَفٍ يَعُودُ إلى النِّصْف الثَّاني من القرن الثَّالث الهجري / التَّاسع الميلادي[٦١]. وهل يَدْخُل في القَصْد نفسه أن نَجِد أحْيانًا في أعْقابِ نهاية النَّصِّ دائرةً مُزَيَّنَةً تحمل الآية ٢٦ من سُورَة المُطَفِّفين[٦٢]؟

٥٨. انظر مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1407 ورقة ٣ظ-٤ (انظر ، D. James, *Q and B*, p. 17 nº4) أو مُصْحَف ابن البَوَّاب بشيستربيتي بدبلن رقم CBL 1431 ورقة ٢٨٤ظ-٢٨٥ (انظر D. James *Q and B*, p. 34, nº 19) ، ونشير كذلك إلى مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1457 ورقة ٢٩٣ظ (D. James, *Qur'ans of the Mamluks*, fig. 28) .

٥٩. مخطوط باريس رقم BnF Smith Lesouëf 220 (*CAT.* I/2, p. 58, nº352) ؛ ويظهر هذا الوضع كذلك في مصاحف القرن السادس عشر .

٦٠. انظر على سبيل المثال الورقة ٣٧٣ظ - ٣٧٤ من مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 420 (D. James, *After Timur*, pp. 232-233, nº 56) .

٦١. مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1421 ورقة ١ظ - ٢ (انظر D. James, *Q and B*, p. 20, nº 7) . وهذه الطريقة في العمل ليست بالضرورة عمل مُزَيِّنين أو نساخ متواضعين . انظر قطعة مصحف متحف طوبقبو سراي بإستانبول رقم TKS E.H. 245 (D. James, *Qu'râns of the Mamluks* ، شكل ٦٣) .

٦٢. على سبيل المثال مخطوط باريس رقم BnF arabe 5848، ورقة ٢٩؛ ورقم 5850 ورقة ٢٥ (F. Déroche, *Cat.* I/2, pp. 56-57, nº349 et 350) .

ويمكن للنَّصّ القُرآني أن تتبعه عَناصِرُ أخرى، وعلى الأخصّ الدَّعَوات أو «الفالْنامَة» التي تَمْنَح الفُرصَة لزيادة الزَّخارِف في نهاية المُجَلَّد. وبالرَّغْم من وُجُودِ تَشابُهاتٍ بين تَزْيين المُصْحَف وتَزْيين هذه القِطع الطَّارِئة، فإنَّ الاهْتمامَ بتَمْييز هذه القِطَع قادَ الفَنَّانين إلى اخْتيار البَدَائل. ويُكْتَب أحْيانًا في هذا المَوْضِعِ كذلك داخل زَخْرَفةٍ النَّقْشُ الذي يُذَكِّر بطَلَبٍ أميري لكتابة هذه النُّسْخَة أو نصُّ حُجَّة وَقْفٍ [٦٣].

ورُبَّما يَشْرَحُ الوَضْعُ المُلْتَبِس لحَرْدِ المَتْن بالنِّسبة للنَّصّ ما سَعَى إليه النُّسَّاخُ ليحتفظوا له بوَضْعٍ مُسْتَقِلّ. لقد سَبَقَ أن أُثيرَ مَوْضُوعُ الإخْراج الخاصّ لحُرُودِ المَتْن، سواء أكان مَصْحُوبًا بزَخْرَفَةٍ أم لا (شكل ٦٧ إلى ٧١). وبدأت تَظْهَرُ منذ القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي حُلولٌ مُتنوِّعَةٌ لتَعْيين الوَضْع المُسْتَقِلّ لحُرُود المَتْن: رُبَّما كان ذلك عن طريق اسْتِخدام أُسْلوبٍ خاصٍّ في الخَطّ، أو إدْماجِه داخِل زَخْرَفَة [٦٤] - ابْتُكِرَت تَقْريبًا لهذا الغَرَض. وكان تَوْقيعُ النَّاسِخ مُنْفَصِلًا كذلك بوُضُوحٍ عن بَقية النَّصّ، وله أيضًا حَظُّه من الاهْتمام. وفي المَصَاحِف الخَزائنية، نجد حَرْدَ المَتْن قد أُفْرِدَ قَصْدًا بوَضْعٍ مُسْتَقِلّ [٦٥]./ وعندما يأخُذُ حَرْدُ المَتْن شكل المُثَلَّث أو المُرَبَّع المُنْحَرِف نجد أنَّ المُزَيِّنين اسْتَغَلُّوا أحيانًا الفَضَاءَ التَّماثُلي النَّاتِج عن المُثَلَّثَيْن المُسْتطيلين المُحيطين به [٦٦].

٦٣. انظر الإخراج الرائع للصفحة المُزَيَّنة التي تحمل النَّصّ الاحتفائي الذي يطلب فيه السلطان أولْجايْتُو «مُصْحَف المَوْصل» إستانبول رقم TIEM 541 (D. James, *Qur'âns of the Mamluks*، شكل ٧٢).

٦٤. على سبيل المثال مخطوط ڤيينا رقم ÖNB N.F. 251، ورقة ٢٥ (D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pp. 124-125، شكل ١٠٨).

٦٥. انظر D. James, *Qur'âns of the Mamluks*، الأشكال ٣٥ و٤٥ و٦٥ (مخطوط إستانبول رقم TIEM 450، ومخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1481 ورقة ٣١٠ظ، ومخطوط متحف طوبقبو سراي بإستانبول رقم TKS E.H. 232، ورقة ٦١).

٦٦. على سبيل المثال في مخطوط ڤيينا رقم ÖNB Cod. mixt. 1002، ورقة ٦١٤ (D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, p. 222-223).

المُدَوَّنة: بَعْضُ التَّوَجُّهات

إنَّ الإحاطَة الإجْمالية بمُدَوَّنَةٍ سابقٌ لأَوَانِه إذا أخَذْنا في الاعْتبار تَفرُّق مَوَادّ التَّوثيق والعَدَدَ القليل من الدِّراسات المَنْشُورة. وتبدو القوائمُ الوَصْفية مثل تلك التي أَعَدَّتها دوروتيا دودا Dorotia Duda لمجموعة ڤيينا بالِغة النَّفاسَة [٦٧]، كذلك فإنَّ بعضَ المخطوطات المُزَخْرَفَة ببَذَخٍ مثل النُّسْخَة الباريسية للأعمال الكلامية لرَشيد الدِّين رقم BnF ar. 2324 [٦٨] تُقَدِّم شكلًا لمُدَوَّنَةٍ للزَّخارِف تستحقّ أن تُفْحَص بعنايةٍ أكثر.

العِمارَة

تَرْجِعُ النَّماذِجُ المثيرة بين العَناصِر المعمارية المُسْتَخْدَمة في التَّزْيين إلى فَتْرَةٍ مبكِّرة. ولا يتعلَّقُ الأمْرُ بزَخارِف تَشْخيصية حقيقية وإنَّما بالأحرى بتَلْميحات لعالَمٍ مأْلوفٍ عند المسلمين. ولجأت المَخْطُوطاتُ المسيحية العربية شِبْه المُعاصِرة كذلك إلى زَخارِفَ مُسْتوحاةٍ من العِمارَة [٦٩]. وبدأت تظهرُ في المَخْطُوطات في فَتْرَةٍ أحْدَث أشْكالٌ تحمل تَلْميحًا مُباشِرًا إلى مَبانٍ حقيقية: هي الأشْكالُ التي تُمَثِّل الحَرَم المكِّي أو المَسْجِد النَّبَوي التي نجدها على سبيل المثال في نُسَخ «دَلائِل الخَيْرات» للجُزُولي [٧٠]، أو أيضًا على شكل مُسْتَنْسخاتٍ مِجْهَرية في تَزْيين مُصْحَفِ مكتبة برتف ينال بالسُّليمانية بإستانبول رقم ٨ [٧١].

والأقَلُّ تَحْديدًا هي الأشْكالُ التي تُصَوِّر قَوْسًا أو عَقْدًا أو مِحْرابًا، وهي تَظْهَرُ في الأساسِ كإطارٍ لعُنْوانٍ مُزَيَّن. ونادِرًا ما تُؤدِّي هذه الوَظيفة بالنِّسْبة لنَصٍّ أو لفِهْرِسْت مَوْضوعات.

٦٧. D. Duda, *Isl. Hss.*, I (*Persische Handschriften*) , 2 (*Arabische Handschriften)*, Vienne 1983, 1992.

٦٨. F. Richard, Paris 1997, p. 44, nº12.

٦٩. I. E. Meïmari, *Katalogos tôn neôn arabikôn cheirographôn tês hieras monês Hagias Aikaterinês tou oru Sina*, Athènes 1985, pl. 20.

٧٠. على سبيل المثال في مخطوط ڤيينا رقم ÖNB Cod. mixt. 837، ورقة ٢١ظ-٢٢؛ ورقم 1554، ورقة ٢١ظ-٢٢ (D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pp. 205-206, والشكل 197-198 وpp. 250-251 والشكل 199-200).

٧١. A. Ersoy, *op. cit.*, pl. 28.

/ العَالَمُ النَّباتي

لقد قَدَّمَ العالَمُ النَّباتي للمُزَيِّنين مُدَوَّنَةً لا تَنْفَد ، سواء تعاملوا معه بطريقةٍ واقعيةٍ أو مُنَمْنَمَة ؛ فقد اسْتَمَدُّوا منه عَناصِرَ مُفْرَدَة ـ الزُّهور والأوْراق والفَواكِه ـ وتَرْكيبات سواء تَعَلَّق الأمْرُ بأشكالِ الشَّجَر أو الغُصُون المُتَمَوِّجة . واعتبرت فُنُونُ الأرابسك في عُيُون الغَرْبيين أجْوَدَ أنْواعِ الزَّخْرَفَة التي هَيَّأها فَنَّانو العالم العربي الإسلامي . وقد سَجَّلَ إرنست كونل Ernest Kühnel تَطَوُّرَها عبر مُخْتَلِف المجالات الفَنِّيَّة[٧٢] . فقد ظَهَرَت السَّعَفَة أو نصف السَّعَفَة المستمدَّة من نَمْنَمَة زَهْرَة النَّخْل في المَصَاحِف المُبَكِّرَة . وفي أعْقابِ الغَزْو المُغُولي للقسم الشَّرْقي من العالم الإسلامي خلال القرن السَّابع الهجري / الثَّالث عشر الميلادي عَرَفَت عَناصِرُ من أصْلٍ صيني ، مثل عُود الصَّليب وزَهْرَة اللُّوتس وبَرَاعِم الزُّهور أو الوِحْدات الزُّخْرُفية الزَّهرية الأكثر تَعْقيدًا ، نَجَاحًا سَريعًا . ونحو نهاية القَرْن التالي ، ابْتَكَرَ فَنَّانُو آسيا الوُسْطى وإيران وِحْدات زُخْرُفية زَهْرية طَبيعية نِسْبيًّا انْتَشَرَت إلى جانِب فُنُون الأرابِسْك . وقد تابَعَت هذه المُدَوَّنَةُ تَطَوُّرَها فيما بعد ـ وعلى الأخَصِّ بفَضْلِ جُهُود الفَنَّانين العُثْمانيين الذين ابْتَكروا وِحْدات زُخْرُفية مثل «الرُّومي» : زُخْرف نَباتي مُلْتَفّ كالأغْصَان ، والـ«إسْليمي» ذي الحجم الأصْغَر .

الهَنْدَسَةُ وامْتِداداتُها

تُوجَدُ من بين أقْدَم تَزَايين المَصَاحِف بعضُ التَّزايين المكوَّنة من أشْكالٍ مُجَرَّدَةٍ مُسْتَوْحاةٍ من الهَنْدَسَة : مجموعات من الدَّوائر والمُثَلَّثات والمُرَبَّعات مُزَيَّنَة بالألْوان تَفْصِلُ سُوَر المُصْحَف بعضها عن بعض[٧٣] . وظَهَرَ في زَخارِف الصَّفْحَة الكاملة التي ترجع إلى القَرْن الثَّالث الهجري / التَّاسع الميلادي المَيْلُ إلى تَهْيِئَة رُسُومٍ مُرَكَّبة تَبْنى

٧٢. E. Kühnel, *The arabesque, Meaning and transformation of an ornament*, trad. R. Ettinghausen, Graz, s. d.

٧٣. راجع قطعة باريس رقم BnF arabe 324c (F.) (Déroche, *Cat.* I/1, p. 75 - 77, nº45) التي يجب مقارنتها بأوراق من المخطوط نفسه محفوظة بالقاهرة (B.) (Moritz, *Arabic palaeography*, pl. 1 - 12) .

الزَّخْرَفة بقُوَّة[٧٤] . ولكن الأمْثِلَة الأكثر نُضْجًا لهذه القَريحَة الهَنْدَسية هي دون أدْنى شك زخارِفُ المَصَاحِف الإيلْخانية والمملوكية التي ترجع إلى القرن الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي ، التي تَتْرُك انْطباعًا بأنَّها اسْتَنْفَدَت كلَّ إمكاناتِ هذا النَّوْع[٧٥] .

وهناك طريقتان لتَنْفيذ الأشكال الهَنْدَسية وُجِدَتا مَعًا . تَرْتكزُ الأولى على اسْتِخْدَام هذه الأشْكال في تَرْكيبات مُغْلَقَةٍ على نفسها ، سواء ظَلَّ هذا التَّرْكيب مُفْتَقِدًا لأي نَوْعٍ من الزَّخْرَفَة أو تَلَقَّى زَخْرَفَةً من مثل التَّظْليلات أو الأرابِسْك في الفَرَاغات التي يُحَدِّدها . ويَسْتَخْدِم الفَنَّانُ في الطَّريقَة الثَّانية وِحْدات زُخْرُفية يُكَرِّرها أو يُطَوِّرها عن طَريق تَضْفيرها بحيث تُشَكِّل الخَلْفِيَّة أو المُستوى الأوَّل لزَخْرَفَةٍ مُرَكَّبَة / تَمْزِجُ أشكالًا هَنْدسية أخرى و/ أو عَناصِر نباتية . وأكثرُ الأشْكال الهَنْدسية الرئيسة تِكْرارًا هي في الغالِب المُرَبَّعات والمُعَيَّنات والمُضَلَّعات والمُثَلَّثات والنُّجُوم والدَّوائر (شكل ٤٦) . ولم يلْجأ المُزَيِّنون المُسْلمون فقط إلى خَيالهم وإحْساسهم لتَنْفيذ التَّزايين المُرَكَّبَة ، بل أيضًا إلى معارفهم الرِّياضية عن طَريق شَبْكِ الخُطُوط وتَفْريعها وتَمْديدها على سبيل المثال في جوانب النُّجُوم ذات السِّتّ أو الثَّمان شُعَب[٧٦] .

عَناصِرُ زُخْرُفِيَّة أُخْرى

كان الاقْتِباسُ من المجالات الأخرى مَحْدودًا بالقِياس إلى مَصَادِر الإيحاء الثَّلاثة التي جِئْنا على ذِكْرِها . وبالرَّغْم من حُظْوَة «الفُنُون الصِّينية» فقد انْحَصَرَ المُزَيِّنُون عُمُومًا في اسْتِعادَة شَرَائط السُّحُب . ويُصَوِّرُ مَجْموعٌ شِعْري من يَزْد ، يَرجع إلى القرن التَّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي مَحْفوظٌ في المكتبة البريطانية بلَنْدَن برقم BL Or. 8193 بطَريقَةٍ مُدْهِشَةٍ مُدَوَّنَةً تَجْمع بين التَّزاويق النَّباتية والحيوانية : يبدو أنَّ زخْرَفَتَها ، التي أُنْجِزَت فيما يبدو بواسِطة مِرْسام ، لا تَتَضَمَّن فقط مَشَاهِدَ طبيعية مُنَمْنَمَة بالأشْجار و ،

٧٤. انظر بناء زَخْرَفَة مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1407، ورقة ٣ظ - ٤ (D. James, *Q. and B.*, p. 17, nº4) .

٧٥. D. James, *Qur'âns of the Mamlûks*, passim.

٧٦. راجع : I. el-Said et A. Parman, *Geometrical concepts in Islamic art*, London, 1976; K. Critchlow, *Islamic patterns: an analytical and cosmological approach*, London, 1976, وأعيد طبعه سنة ١٩٨٩ .

في أحد الحالات، سَمَكة في بِرْكة، ولكن كذلك صَفْحَةً مُزدانَةً بمُنَمْنَماتٍ لرُؤوس بَشرية ومَلائكية[٧٧] طَوَّرَت بطريقةٍ لافِتَةٍ مَوْضُوعًا مَوْجُودًا بالفِعْل في مَخْطُوطِ باريس رقم BnF ar. 2324. ولكن في هذه الحالَة، كما في حالة الرُّسُوم الواقعية المُنَفَّذَة في الهَوامِش، فإنّنا رُبّما نَبْتَعِد عن مجال التَّزْيين، كما تَمَّ تَعْريفُه فيما سَبَق، لنَدْخُل في مجالِ التَّصْوير. وإلى حَدٍّ ما، تُعَدُّ السِّماتُ المُتَكَلِّفَة المستخدمة في نُقُوش التَّزَايين كذلك نَوْعًا من الزَّخْرَفَة.

الأَوْراقُ المُزَخْرَفَة

لا يُعَدُّ التَّزْيين هو الوَسيلَةَ الوَحيدة التي يَلْجأ إليها صُنَّاعُ الكِتاب لإعْلاء جمالية ورَوْنَق مَخْطُوط. فقد ظَهَرت عَبْر القُرُون العَديدُ من التِّقْنِيّات التي سمحت إمّا بإنْتاجِ وَرَقٍ مُزَخْرَفٍ بمُعَدَّلٍ شِبْه ثابِتٍ، أو بتَزْويق أوْراقِ المَخْطوط التي كُتِبَ عليها بالفِعْل جُزْئيًّا أو كُلِّيًّا / بطريقةٍ سريعة[٧٩]. وقد انْتَشَرَت في العالَم الإسلامي عَمَلِيَّةُ صَبْغِ الرَّقِّ، التي أشَرْنا إلى تَطْبيقاتها فيما سَبَق[٨٠].

الوَرَقُ المُظَلَّل

لقد سَمَحَت تِقْنِيَةُ «الصُّوَر الظِّلِّيَّة» التي عَرَفتها بلادُ فارس في القَرْن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بالحُصُول بواسطة المِرْسامُ في أكثر الأحْيان باللَّوْن الأحْمَر أو البَنَفْسجي، على أَشْكالِ الأرابِسْك أو أَشْكالٍ نباتية أو حَيَوانية، وصُوَر الملائكة... إلخ (شكل ٤٥). وتَكْسِر الأَوْراقُ المُزَخْرَفَة بهذه الطَّريقَة رَتابة المُجَلَّد[٨١]. وفَضَّلَ النُّسَّاخُ عُمُومًا تَجَنُّب كِتابَة النَّصِّ مُباشَرَةً على الوَرَقِ المُظَلَّل Silhouettés، إلَّا أنَّ بعض المَخْطُوطات العُثْمانية أدْمَجَتْها في المِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة.

واسْتَدْعى الوَرَقُ المُظَلَّل العُثْماني الذي يرجع إلى نهاية القرن العاشر الهجري / السَّادس عشـر الميلادي[٨٢] أو القرن الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي[٨٣] (شكل ٤٩) تِقْنيةً مختلفةً: حيث نُفِّذَت الزَّخارِفُ بإشْباعِ كُلِّ سُمْكِ الوَرَقَة بواسطة أخْتامٍ مُقَطَّعَة في اللِّبْد، ويتعلّق الأمْرُ في الأغْلَب بأشكال الأشْجار أو الأزْهار الخَضْراء أو الوَرْدية اللَّوْن، وتُثْبَت الألْوان كذلك على كُلٍّ من جانبي الوَرَقَة.

التَّرْقيشُ أو التَّرْميلُ بالذَّهَب

وعُرِفَت مُمارَسَةٌ أخرى في بلاد فارِس في القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، هي التَّرْقيش أو التَّرْميل بالذَّهَب (شكل ٤٨)، حيث تُمَطَّرُ نُقَطٌ رَقيقةٌ من الذَّهَب السَّائل بواسطة مِرْقاش، أو تُوضَع بطَرَفِ المِرْقاش، على سَطْح الوَرَقَة قَبْل ـ أو بَعْد ـ الكتابة، مع تَرْكِ الهامِش غالِبًا أبْيَض. وتُوجَدُ تِقْنيةٌ أخرى تَرْتكز على اسْتِخْدام قِطَعٍ رَقيقةٍ من وَرَقِ الذَّهَب: تُوضَع في كيسٍ به ثُقُوبٌ صغيرة وتُنْخَل فوق الوَرَقَة مع تَحْريك الكيس في حَرَكَة ذَهابٍ وإياب. ونجِدُ كذلك في الهِنْد، في القرن الثَّاني عشر الهجري / الثَّامن عشر الميلادي، أوْراقًا مُرَقَّشَة بالفِضَّة... إلخ./ ولم يَظْهَر التَّرْميلُ بالذَّهَب («الزَّارافْشَان») إلَّا نحو سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٠م في فارس، ثم تَبَنَّاهُ العُثْمانيون؛ وهو يُسْتَخْدَم لتَثْبيت تأَلُّق الورقة في المَخْطُوطات الفاخرة، إلَّا أنَّه يتَطَلَّبُ التَّحْضير[٨٤].

٧٧. O. F. Akimushkin et A. A. Ivanov, «The art of illumination»، في B. Gray ed., *The arts of the book in Central Asia*, Paris/Londres, 1979, p. 42, 48 - 50; M. I. Waley, *op. cit.*, p. 105 - 106.

٧٨. حَرَّرَ هذه الفَقْرَة فرنسيس ريشارد F. Richard.

٧٩. يوجد عرض أكثر تفصيلًا في كتاب: Y. Porter, *Peinture et arts du livre*, p. 41 - 60.

٨٠. انظر فصل «الحوامل: الورق».

٨١. راجع مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1425، ورقة ٢٧ظ-٢٨ (انظر F. Richard, Paris 1997, p. 100 nº55, pp. 88-89). ويوجد زخرف مشابه في مخطوطات آسيا الوسطى من القرنين ١٨ و ١٩: حيث يتلقّى جزء الصفحة قبل كتابة النَّصّ نَثْر نِقاط رقيقة من لَوْنِ الزُّنْجُفْر أو للَوْنٍ آخر.

٨٢. مثلًا في *Libri amicorum* مثل مخطوطات باريس أرقام BnF latin 18596، arabe 3416، أو في المخطوط رقم turc 288 من المكتبة نفسها. راجع أيضًا مخطوط باريس رقم suppl. persan 770، ورقة ١٦ظ-١٧ (F. Richard, Paris 1997, p. 125, nº 121, pp. 160-161).

٨٣. وهكذا في هَوَامِش مخطوط باريس رقم BnF arabe 169 (مصر، القرن السابع عشر). ونجد ذلك أيضا في القرن الثامن عشر مثلا في مخطوط باريس رقم BnF suppl. turc 1144.

٨٤. انظر مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 485 ورقة ٢ظ - ٣، (انظر F. Richard, Paris 1997, p. 168 nº 111 و pp. 158-159).

الوَرَقُ المُجَزَّع (الإبْرو)

أذاعَت تِقْنيةٌ فارسيةٌ فَنَّ تَجْزيعِ الوَرَقِ ، وهو نَوْعٌ من الوَرَقِ «المُقَطَّر» . وهذا الوَرَقُ مُزَيَّنٌ من جانبٍ واحِدٍ بزَخْرَفَةٍ سائلة باللَّوْن الأمْغَر (ocre) أو الأصْفَر أو الأسْمَر الدَّاكن أو الأحْمَر أو البَنَفْسجي الذي نَحْصُل عليه بالانسياب البطيء والمُتَعَرِّج للَّوْن على وَرَقَةٍ مائلة . ويَظْهَرُ هذا الوَرَقُ في عَدَدٍ مَحْدُودٍ نِسْبيًّا من المَخْطوطات التي تتراوح بين سنتي ٨٧٥هـ/١٤٧٠م و٨٩٧هـ/١٤٩٠م [85]، ورُبَّما كان هذا الوَرَقُ ابْتِكار وَرْشَةٍ واحِدَةٍ من العَصْر التَّيموري أو ، على الأرْجح ، من عَصْر آق قوينلو .

ويَتَلَقَّى الوَرَقُ المُجَزَّع (شكل ٥٠) كذلك زَخْرَفَةً من جانبٍ واحِد ؛ ونَحْصُل عليها عن طريق وَضْع الوَرَقَة على سَطْحِ حَوْضِ الألْوان ، وبَدَأت هذه الطَّريقَةُ في الظُّهور في منتصف القرن العاشر الهجري / السَّادس عشر الميلادي . وانْحصَر هذا الوَضْعُ في بادئ الأمر في لَوْنَيْن ، ثم أخَذَت مجموعةُ الألوان في التَّزايد شيئًا فشيئًا ، كما أصْبَحَت الوِحْداتُ الزُّخْرفية أكثر تَعْقيدًا تَدْريجيًّا . ومع ذلك ، فيجب أن نُسَجِّل أنَّ هناك تَواريخ أقْدَم افْتَرَضَت ظُهُورَه في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ولكن دون أن تُوجَد أمْثِلَةٌ تُعَزِّزُ هذه الإشارات في كُتُب الأدَب . أمَّا أوْراقُ الباستيل Pastel فيَسْتَخْدِمها فقط الخَطَّاطُون ، بينما تستخدم بقاياها الأخرى في الهَوَامِش . ونجد الوَرَقَ المُجَزَّع (الإبْرو) في فارس منذ سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ، ثم بعد ذلك بقليل في الدَّوْلَة العُثْمانية ونَجَح نَجاحًا كبيرًا بحيث أصْبَح يُصَدَّر إلى أوروبا ثم يُقَلَّد بها منذ نهاية القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي . وقد أُنْجِزَ هذا الوَرَقُ ، مثل الوَرَقِ المُلَوَّن ، من نَوْعِ الوَرَقِ نفسه المُسْتَخْدَم في كتابة المَخْطُوطات .

٨٥. نجد في مكتبة فرنسا الوطنية أوراقًا من هذا النوع في المخطوطات أرقام BnF suppl. persan 1102, 1398, 1417, 1425, 1473, 1557، (انظر F. Richard, «Un manuscrit méconnu, l'anthologie poétique de la B. N. illustrée et signée par Behzâd», *Studia iranica*, 20, 1991, p. 269 et fig. 2، وللكاتب نفسه (Paris 1997, p. 99, nº53 et p. 100, nº55) قد يتعلق الأمر بورق ملون مسبقا قبل وَضْع الزُّخْرُف «السَّائل» .

تَصْوِيرُ المَخْطُوطات [86]

نستطيعُ أن نُمَيِّزَ العَديدَ من أنْواعِ الصُّوَر الرَّمْزية المُخَصَّصَة لتَزْيين المَخْطُوطات [87]. نذكرُ منها قبل كُلِّ شيءٍ الأشْكال المصاحِبَة لكُتُب الرِّياضيَّات والتي تَتَضَمَّن الجَداول وعلى الأخَصِّ التي تُمَثِّل / أوْضاع النُّجوم في المُؤلَّفات الفَلَكية مثل كِتاب «صُوَر الكواكِب» لعبد الرحمن الصُّوفي الذي تُوجَد له نُسَخٌ مُصَوَّرَةٌ منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، أو تلك التي تُصَوِّرُ الأشْخاص في مَخْطُوطات عِلْم التَّنْجيم . وتُقَدِّمُ الرَّسائِلُ الخاصَّة بعِلْم الجِرَاحَة المَصْحُوبَة بأشكالٍ للآلات الجِراحِيَّة ، أو أيضًا أشْكالُ المعارِك المَوْجودة في كُتُبِ الفَنِّ الحَرْبي («الفُرُوسية») أمْثِلَةً تَصْويريةً أخرى ، وكذلك أيضًا المُؤَلَّفاتُ الجُغْرافية وخارطاتُها (شكل ٣٦) . ويَتَضَمَّن نَصُّ كتاب «الحَشَائِش» لدِيسْقُوريدس وكتاب «التِّرْياق» المَنْسوب لجالينوس أشْكالًا لصُوَر النَّباتات . وهذه الصُّوَرُ ، التي تَرْجِع إلى تَقْليدٍ قديم ، يمكن فَصْلُها بصُعوبةٍ عن النَّصِّ ، الذي لا يمكن فَهْمُه أحيانًا بدونها ، وتَمْنَحُ المُؤَلَّفاتُ المَوْسوعية مثل مُؤلَّفات القَزْويني مكانَةً شِبْه مُتعادِلَة للصُّورَة والنَّصّ .

أمَّا في المُؤَلَّفات الأدبية والتَّاريخية فتتَمَتَّعُ الصُّوَرُ - حالَ وُجُودها - بوَضْعٍ آخر ، فهي ليست ضَرورِيةً لفَهْم النَّصِّ ، ولكنَّها تُعَدُّ لَوْحَةً تُمَثِّلُ هذا المَشْهَد أو ذاك من الرِّواية ؛ وفي بعض الحالات ، عندما يَخْتلف مَصْدَرُ الصُّورَة عن النَّصِّ نفسه (غالبًا بسبب وُجُود روايتين مختلفتين للعَمَل نفسه) ، فإنَّه يُمَثِّل صَدًى للرِّواية الرَّئيسة . وقد مَنَحَت الثَّقافَةُ الأدبية العربية الوَسيطة بعض المُحاباة للرِّوايات المُصَوَّرَة لـ «مَقامات» الحَريري أو حكايات بَيْدَبا على لِسانِ الحَيَوان («كَليلَة ودِمْنَة») ، التي استعارَت غالبًا نَماذِج تصاويرها من ديسقوريدس أو الأناجيل المسيحية . وشاعَ التَّصْوِيرُ في المَخْطوطات

٨٦. كتب هذه الفَقْرَة فرنسيس ريشارد Francis Richard.

٨٧. كان هذا المجال موضوع دراسات متعددة : ويمكن للقارئ أن يجد بيليوغرافيا حول هذا الموضوع لدى K. A. C. Creswell, *A bibliography of the architecture, arts and crafts of Islam*, Le Caire, 1961; Supplement, Le Caire, 1973; Supplement, Oxford, 1984، وهناك ملحق في طور الإعداد سيظهر قريبًا .

الأدبية الفارسية ـ المُوَجَّهَة غالِبًا إلى أهْلِ البَلاط عاشقي الصُّوَر ـ ابتداءً من العَصْر الإيلْخاني ، خاصَّةً مُؤلَّفات الفِرْدَوْسي ثم مُؤلَّفات نِظامي ، وحَشْدًا من الشُّعَراء من مُقَلِّديهم أو مُتابعيهم . وفي العديد من المَخْطُوطات الفارسية التَّاريخية تُوافِقُ التَّصاويرُ التي تُسَجِّل أحْداثَها برنامجًا أُعِدَّ أحيانًا بعنايةٍ لأغْراضٍ سياسية أو أيديولوجية . ويمكن كذلك أن نجد مَخْطُوطات فاخِرَة تُسْتَفْتَح بِرَسْمٍ إهْدائي يُخْبِر عن مَجْد الشَّخْصية التي أُنْجِزَ لأجْلها المُجَلَّد (مَشْهَد من البَلاط ، مَعْرَكة أو مَنْظَر صَيْد) ، دون أي رابطة بينه وبين النَّصِّ الذي يَتْلوه . وقد اسْتعادَ التَّقْليدُ التُّرْكي العُثْماني بعضَ عَناصِر التَّقْليد الفارسي ، وإن احْتَفَظَ بخُطُوطِه الخاصَّة ، فيَحْتَلُّ فيه تَصْويرُ كُتُب التاريخ على الأخَصِّ مكانَةً مُهِمَّةً .

ونُقابِلُ في النُّسَخِ المُصَوَّرَة أنْماطًا مختلفةً لتركيب المُنَمْنَمات في الصَّفحات : فقد تُوضَع المُنَمْنَمَةُ داخل إطارٍ مُستطيلٍ وتُدْمَج في الإطار المُعَدّ للنَّص ، وغالِبًا ما لا يكون الإطارُ قد خُطّ . وتُوجَد تركيباتٌ أخرى أكثر كمالًا تَجْعل الصُّورة في الهامِش ، أو تُظْهِر بعض الصُّور خارج الإطار المُعَدّ للنَّصّ بغَرَضِ تَجَنُّب الرَّتابَة . وهكذا يَسْمَحُ تَرْكيبٌ هَنْدَسيٌّ مُرَكَّب بامْتِزاج الصُّورَة والنَّصّ بأقْصى ما يمكن من التَّداخُل مُذَكِّرًا بالصِّلَة الموجودة بين الصُّورَة والخَطّ المُجَوَّد (الكاليجْرافي) . ونذكر مع ذلك أنَّ الصُّورَة يمكن أن تكون قد عُمِلَت دون مُراعاة النَّصّ ، الأمْرُ الذي يُوجد اخْتِلالًا بين النَّصّ والصُّورَة [٨٨].

وكما هو الحالُ بالنِّسبة للعَناصِر الأخرى المُكَوِّنَة للكتاب المَخْطُوط ، فإنَّ المُلاحَظَة المتأنية للصُّوَر تُقَدِّمُ غالِبًا مُؤشِّرات ثمينة . / 271 فقد نجد مُنَمْنَمَةً غير تامَّة (شكل ٧٢) أو مُنَقَّحَة ، أو حتى مُضافَةً بعد عِدَّة عُقُودٍ من نَسْخ النُّسْخَة ، وقد يَحْدُث أيضًا أن تكون نُزِعَت من مَخْطوطٍ وأُدْمِجَت في مَخْطوطٍ آخر . فيُعَدُّ عِلْمُ المَخْطُوطات إذًا مُعينًا لا غِنَى عنه للدِّراسَة الأيْقونية والفَنِّية . وتَسْتَوْجِبُ الدِّراسَةُ العلمية للصُّورَة القيامَ بفَحْصٍ مُتأنٍّ لحامِلِ الكتابة والمُؤَشِّرات المختلفة المجموعة عن المَخْطُوط ؛ كما تُقَدِّمُ التَّحاليلُ

---

٨٨. أظهرت دراسةٌ حديثة وجود إشارات مكتوبة لعناية المُصَوِّر في سلسلة من المخطوطات الفارسية والهندية وربما العثمانية (John Seyller, «Painter's directions in early Indian painting», *Artibus Asiæ*, 59, 2000, p. 303 - 318) .

الفيزيائية ـ الكيميائية إمكانات جَديدَة لدراسة التَّصْوير [٨٩]. وفَضْلًا عن ذلك ، فإنَّ الإشارَة إلى مَوْضِع المُنَمْنَمات وعَدَدِها وأبْعادِها ومَوْضُوعاتها هي عَناصِر قَيِّمَة للوَصْفِ الشَّامل للمَخْطُوط . وتُوجَدُ في المُنَمْنَمات الفارِسية والعَرَبية والتُّرْكية بعضُ العَناصِر الخَطِّيَّة التي قامَ بها الفَنَّانُ وتحتاجُ كذلك إلى تَوْضيح عَلاقَتِها مع أنْواعٍ زُخْرفيةٍ غير تَصْويرية أخرى في المَخْطُوط : فالدَّوْرُ الذي يقوم به المُزَيِّن في الواقِع هو دَوْرٌ مُهِمٌّ للغاية .

وما زالَ الأدَبُ الوَفيرُ المُتَعَلِّقُ بالتَّصْوير العَرَبي والفارِسي والتُّرْكي يُكَوِّن دراسات مُتبايِنَة ـ ومُتَفَرِّقة ـ لا تأخُذ دائمًا في الاعْتبار المَخْطُوط الذي تُوجَد فيه التَّصاويرُ المَوْصُوفَة .

---

٨٩. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صناع الكتاب» .

التَّجْلِيد

بإتمام عَمَلِيّة التَّجْليد تَنْتَهي في العُمُوم مَراحِلُ صِناعَة الكِتاب : حيث يَحْصُل المَخْطُوطُ على «غِلافِه» ، أي «مَجْمُوع العَناصِر التي تَحْمي خارجيًّا مَجْموعة الكراريس المَشْدودَة بعضها إلى بعض ، وتتألّف في العُمُوم من دَفَّتَيْن وكَعْب» [١] . وكما سنرى ، فإنَّ المَوَادَّ والتِّقْنيات المختلفة المُسْتَخْدَمَة تُقَدِّمُ تَنَوُّعًا وَاسِعًا من الحُلُول على المستوى الاقْتِصادي ، الأمْرُ الذي يعني أنَّ تَجْليدَ كتابٍ لا يُمَثِّلُ بالضَّرُورَة عِبْئًا ثَقيلًا لعَامَّة النَّاس . ورَغْم ذلك ، فيبدو أنَّ جميعَ المَخْطُوطات لم تكن مُجَلَّدَة ـ أو على الأقَلّ لم تُجَلَّد فَوْر إتْمام نَسْخِها [٢] .

ومن جَانِبٍ آخَر ، فإنَّ هذا العُنْصُر من الكتاب ، بسبب وَضْعه (ووَظيفته) مُعَرَّضٌ جِدًّا للتَّلَف : كذلك قد يَحْدُث أن يتم إصْلاحُ تَجْليدٍ أو إحْلالُ آخَرَ محلَّه . وعندما تَقْتَضي الضَّرُورَةُ ذلك ، ويكون المَخْطُوطُ ضِمن مجموعة غربية ، فإنَّ التَّجْليدَ الجَديد غالبًا ما يُصْنع وَفْقًا للعادات المَحَلِّيَّة ، وسيقودنا اتِّجاهُ العَرْض التَّالي أنَّ نتناوَل بإيجازٍ هذا النَّوْع من الأغْلِفَة وأنْ نُخَصِّصَ مِساحَةً أكبر لدراسة التَّجاليد التي أُنْتِجَت داخل العالم العَرَبي الإسلامي . وتَرْتَكِزُ مَعَارِفُنا في هذا المجال من جانِبٍ على الملاحَظَة المُباشِرَة [٣] ، ومن جانِبٍ آخر على اسْتِخْدام المُؤشِّرات التي يُقَدِّمها لنا أدَبٌ مُتَخَصِّصٌ تَعُودُ أقْدَمُ شَوَاهِدِه إلى القَرْن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي [٤] .

---

١. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 183.

٢. CHICAGO 1981, p. 45 et n. 156؛ وذكر المُؤرِّخون حكاية رواها التّنوخي تفيد أن مخطوطًا احْتُفِظ به في شكل مجموعة كراريس كان يستعيرها من يريد لنسخها . ويستدعي هذا الوضع حالة مخطوطات باريس أرقام BnF turc 983, 984, 986 التي تجمع في تجليدٍ مُحْدَث كراسات كانت تتداول في الأصل بطريقة مستقلة ؛ وإضافة إلى ذلك فإنَّ العديد منها كانت تحميه وَرَقَةٌ مزدوجةٌ من الرَّقّ (راجع ، فصل «كراسات المخطوطات» ؛ G. Vajda, «Trois manuscrits de la bibliothèque du savant damscain Yûsuf ibn 'Abd al-Hâdî», *JA* 270 (1982), pp. 229-256) .

٣. يجب أن نأسف لأنَّ الدِّراسات عن تِقْنيات التَّجْليد ما زالت قليلة .

٤. لقد تَمَّ إحْصاءُ خمسة مؤلفين في اللغة العربية سابقين على القرن التاسع عشر : ابن باديس وبكر الإشْبيلي ، =

275 / وفي قَلْبِ الإنْتاج الضَّخْم للمُجَلِّدين في العالم الإسلامي ، جَذَبَت بعضُ التَّجاليد باكِرًا جِدًّا انْتِباهَ المُتَخَصصين في تاريخ الكتاب ، الذين وَجَدوا فيها الأُنْموذَج الذي سارَت عليه التَّجاليدُ الغربية . غير أنَّ هذا الاهْتمام لا يمكن أن يكون إلَّا انْتِقائيًّا جِدًّا ، فلم تُسْتكشَف بعدُ كلُّ الفَتَرات الزَّمَنية والمَناطِق الجُغْرافية بالاهْتمام نفسه . وكما أُتيحَ لنا أن نُشيرَ إلى أنَّ تَبنِّي «الكُوديكس *Codex*» كشكلٍ خاصٍّ للكتاب المخطوط في العالم الإسلامي قد تَمَّ بطريقَةٍ طبيعيةٍ جِدًّا ، فإنَّ الطُّرُقَ التي اسْتُخْدِمَت في السَّابق لحماية الكُتُب يُحْتَمل أنَّها انْتَقَلَت إليه بالطَّريقة نفسها . فهل يجب أن نَبْحَثَ عن أُصُولِ التَّجْليد الإسلامي في مصر؟ يرى بِرث فان ريجيمورتر Berthe Van Regemorter «أنَّ تِقْنية التَّجْليد تَتَشَابَه تَقْريبًا في كلِّ الحَوْض الشَّرْقي للبَحْر المُتَوَسِّط ، وأنَّها مُسْتَمَدَّةٌ من التِّقْنية المصرية [... غير أنَّها] تَخْتَلِفُ تمامًا [...] عن تِقْنِيَة الكتاب الإسْلامي» [٥] . وبالمقابل ، كَتَبَ أدولف جروهمان Adolf Grohmann، قَبْل ذلك بسنوات ، أنَّ «التَّجاليدَ الإسلامية المُبَكِّرَة تكشف عن صِلَةٍ بينها وبين التَّجاليد القِبْطية فيما يَتَعَلَّق بالشَّكل والتِّقْنية» [٦] . وكما هو واضِحٌ ، فإنَّ قَضِيَّة الأُصُول تُثيرُ إجابات مُتباينة جِدًّا ، ورُبَّما يكون من السَّابِق لأوانِه أن نُحاوِلَ أن نجد إجابَةً قاطِعَةً ، في حين أنَّ المَوَادَّ ما تَزَالُ غير معروفَةٍ جَيِّدًا .

= والملك المُظَفَّر الرَّسُولي ، وابن أبي حَميدَة والسُّفْياني . ابن باديس : عُمْدَة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألْباب ، تحقيق عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ٤٤ - ١٧٢ (ترجمة إلى الإنجليزية M. Levey, *Medieval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*, pp. 13-50) ؛ A. Gacek, «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbîlî in his 'Kitab al-taysîr fî sinà'at al-tasfîr'» *MME* 5 (1990-91), pp. 106-103; id., «Ibn Abî Hamîdah's didactic poem for bookbinders», *MME* 6 (1992), pp. 41-58; id., «Instructions on the art of bookbinding attributed to the Rasulid ruler of Yemen al-Malik al-Muzaffar», dans *Scribes*, pp. 58-63; al-Sufyânî, *Art de la reliure et de la dorure*, éd. P. Ricard, Paris 1925 (وترجمة M. Levey, *op. cit.*, pp. 51-55) .

٥. B. Van Regemorter, «La reliure byzantine», *Revue belge d'archéologie et d'histoire de l'art*, 36, (1967), p. 102.

٦. T. W. Arnold et A. Grohmann, *The Islamic book*, p. 34. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 13 والذي يُؤيد الموقف نفسه .

عَرْضٌ عام

يَجِدُ التَّجْليدُ نفسه بسبب وَضْعه على هذا النحو في المَحَلِّ الأوَّل في مُوَاجَهَة الاعْتداءات الخارجية ، وعلى الأخَصِّ تلك التي يَخضع لها اسْتِخدامُ مَخْطُوطٍ : فَتْح المَخْطُوط وغَلْقِه ، وأخْذه من مَوْضعه أو إعادَته إليه في العَديد من المُناسَبات ، كلُّ ذلك يُعَرِّض المَخْطُوط للأذَى القليل أو الكثير . ومع الوَقْت ، يَتَعَرَّضُ التَّجْليدُ للتَّلَف الذي قد يَفْرِضُ إصْلاحَه أو اسْتِبدالَه . ولهذه البَديهية تَبِعَةٌ مُباشِرَةٌ على دِراسَة تَجْليد مَخْطُوطٍ ما ، يمكن أن نُلَخِّصها في السُّؤال التالي : «ما هي الصِّلَةُ القائِمَة بين التَّجْليد المَوْجُود والمَخْطُوط الذي يُغَلِّفه ؟» . إنَّ الإجابَة على هذا السُّؤال قد تكون سَهْلَةً أحْيانًا : فمَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 405 ـ وهو مُصْحَفٌ نُسِخَ قبل منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ـ يحميه تَجْليدٌ على الطَّريقة اليونانية من السِّخْتيان (جِلْد الماعِز المَدْبُوغ المُلَوَّن) الأحْمَر ، وعليه شاراتُ ملك فرنسا هنري الرابع Henri IV والأحْرُفُ الأولى لاسْمِه ؛ يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بالطَّبْع بإحْلالٍ للتَّجْليد ، تمَّ سنة ١٦٠٢ ، يُحْتَمل جِدًّا أن يكون قد تمَّ في باريس ، لمَخْطُوطٍ نُسِخَ في تأريخ سابق ، على الأرْجح في تركيا[٧] . وعندما يكون الكتابُ قد جُلِّدَ في الشَّرق ، فإنَّ اخْتبارًا مُتَنَبِّهًا فقط يَسْمحُ عند الاقْتِضاء بالإجابة على هذا التَّساؤل .

276 / تَفْتَرِضُ دِراسَةُ التَّجْليد إذًا اخْتبارًا مُدَقِّقًا جِدًّا لمختلف الأجزاء المُكَوِّنة له ؛ وكذلك تَوَفُّر حَدٍّ أدْنى من المعارف التِّقْنية حتى يتمَّ هذا الاخْتِبار بنجاح ، قبل الانْتِقال إلى تَحْليل الزُّخْرُف .

ويجب الاهْتمامُ قبل كُلِّ شيءٍ بتَسْجيل حالة حِفْظ المجلَّد : هل التَّجْليدُ قِطْعَة واحدة ، أو يمكن أن نُلاحِظ على سبيل المثال آثار تَرْميم على مستوى الكَعْب ؟ إنَّ وُجُودَ قطعةٍ من الجِلْد بلَوْنٍ مُخالِفٍ قد تَعْني أنَّ هناك تَرْميمًا قد تَمَّ . ويمكن لأبْعادِ الدَّفَّتين نفسيهما أن تُقَدِّما إشاراتٍ قَيِّمَة : فحَوافُّ التَّجْليد في العالم الإسلامي تَتَوَافَقُ مع حَوَافِّ مجموع الكراريس . وإذا كانت حَوافُّ الكراريس أصْغَر من الدَّفَّتين بشكلٍ

---

٧. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 88 - 89 n°450.



٧٥. تَجْليد من آسيا الوسطى، مع توقيع للصَّانع ، القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي
باريس رقم BnF arabe 6772، الدَّفَّة العُلْيا

واضِحٍ ، أو على العكس إذا كان مُحيطُ هذه الحَواف قد تَمَّ تكبيره بشريطٍ من مادَّة مُغايرَة ، فيمكننا أن نَشُكَّ في أنَّ التَّجْليدَ كان يُغَلِّفُ في الأَصْلِ مَخْطُوطًا آخر أُخذ منه ثم وُفِّق مع المَخْطُوط الذي يحميه الآن . ومَخْطُوطُ باريس رقم BnF ar. 400 الذي دَفَّتا تَجْليده أكبر من مجموع الكراريس ، هو دون شك مِثالٌ على تَعْويضِ التَّجْليد بتَجْليدٍ اسْتُعير من مَخْطُوطٍ آخر[٨]. وكما يرى ريتشارد إيتينجهوزن Richard Ettinghausen فإنَّ الدَّفَّتين الأصليتين لمَخْطُوطِ مكتبة Pierpont Morgan Library بنيويورك رقم M 500 قد حُوفِظَ عليهما عند تَرْميم المَخْطُوط ثم أُلصِقتا على التَّجْليد الجديد ، حيث إنَّ أبعادَهما أعلى قليلًا من أبْعاد الدَّفَّتين القديمتين[٩]. ويمكن أيضًا استثنائيًا أن يكون الغِلافُ سابقًا على مجموع الكراريس إذا كان قد اسْتُحْضِر من مَخْطوطٍ قديمٍ بغَرَضِ إعادَة اسْتِخْدامه . وقد يَحْدُث كذلك خلال عملية تَرْميم للتَّجْليد أن يَحْتَفِظ المُجَلِّدُ بدَفَّةٍ قديمَة مُضارَة ليُعيدَ اسْتِخْدامها كدَفَّة وِقاية .

وأخيرًا ، يجب الاسْتفادَة من معرفة تاريخ التَّجْليد في العالم الإسلامي لإبْداء الرأي حَوْل المسألة الحَسَّاسَة للعَلاقة بين المَخْطوط وغِلافِه . وإذا كانت الدَّفَّتان مُزَخْرَفتين ، فإنَّ فَحْصَ الزَّخْرَفَة قد يسمح ، على وَجْه التَّقْريب ، بتَحْديد عُمْر التَّجْليد . ويمكن كذلك أن يُعَدَّ اسْتِخْدامُ هذه التِّقْنية أو تلك أو مادَّة دون أخرى ـ مُؤشِّرًا دَالًّا : وهكذا ، فإنَّ التَّجليد النِّصْفي الذي يُغَطِّي دَفَّتيه وَرَقٌ مُجَزَّع لا يمكن أن يكون مُعَاصِرًا لمَخْطُوطٍ نُسِخَ في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .

278 / واسْتِثناءًا من ذلك ، يمكن تأريخُ التَّجْليد في حالة وُجُودِ تَوْقيع : ويَحْدُث هذا غالِبًا في التَّجاليد التي مَصْدَرُها آسيا الوُسطى أو أفْغانِسْتان ، حيث يُدَوَّن اسْمُ المُجَلِّد والتَّأْريخ في الزَّخْرَفَة المركزية للدَّفَّة أو داخِلِ أحَد المُثَلَّثات الكروية (الدَّلَّايات) الواقعة بين أقْواسِ الزَّخْرَفَة ـ على سبيل المثال في مَخْطُوطِ طَشْقَنْد رقم IOB 3105 أو

٨. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 138 - 139 n°552.

٩. «The covers of the Morgan *Manâfi‘* manuscript and other early Persian bookbindings», في D. Miner éd., *Studies in art and literature for Belle da Costa Greene*, Princeton, 1954, p. 460; B. Schmitz, *Islamic and Indian manuscripts in the Pierpont Morgan Library*, p. 10؛ ويعارض B. Schmitz هذا الشرح ويعتبر أنَّ الأمر يتعلق بتجليدٍ تَمَّ في القرن الثامن عشر على غرار الأصل .

مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 6772[١٠] (شكل ٧٣) . ولكن الأمْرَ يعني في هذه الحالة أمْثلةً مُتَخَصِّصَةً جدًّا لفَتْرَةٍ ومَنْطِقةٍ مُعَيَّنتين بدِقَّة . والأعْمالُ المُوَقَّعة نادِرةٌ جِدًّا في المجموع : وتَظْهَرُ التَّوْقيعاتُ عادَةً بطريقةٍ خَفِيَّة في أخْتام صغيرة الحَجْم لا تحمل تأريخًا ، وقد تَظْهَرُ كذلك أحيانًا في زَخَارِف اللَّوْح الواقي[١١]. ووَقَّع الفَنَّانون الذين نَفَّذُوا زَخارِفَ تَجاليدِ مُلَيَّكة أعْمالَهم ، كذلك بطريقةٍ خَفِيَّة ، أكثر من المُجَلِّدين «التَّقْليديين»[١٢].

المَـوَادُ والتِّقْنـيَّات

عَناصِرُ التَّجْليد

عَرِفَ العالَمُ الإسلامي أنْماطًا مختلفةً للأغْلِفَة التي نُقَسِّمها تَيْسيرًا إلى ثَلاثِ مجموعاتٍ كبيرة (الأنْماط I وII وIII) . وتَشْتَمِلُ كُلُّ هذه الأنْماط على عَناصِر مُشْتَرَكَة : الدَّفَّتان والكَعْب . و«الدَّفَّتان» هما «قِطْعتان من مادَّةٍ صَلْبَة بعض الشَّيء تُشَدُّ إلى أوَّل أو آخر وَرَقَة من المُجَلَّد» لحمايته في حالة الاسْتِخْدام والتَّخْزين[١٣]. و «الدَّفَّةُ العُلْيا» (أو «دَفَّةُ الرَّأس») هي الدَّفَّة التي تُرى عندما يكون المُجَلَّد مُغْلَقًا ، ويُوجَد «الكَعْبُ» ـ الذي يُطابِق جانِب مجموع الكراريس الذي تُوجَد فيه الخياطَة ـ على يمين

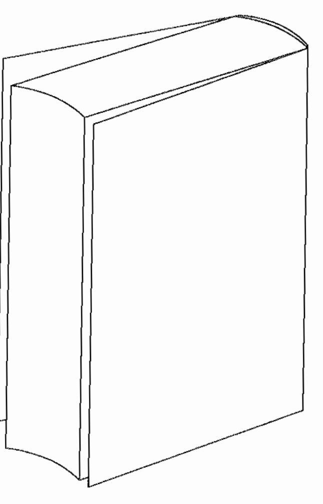
١٠. انظر F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 744, n°564 ; *FiMMOD* 250. توجد صورة لحديد نَقْش (قالب) من هذا النَّوْع عند J. J. Witkam, *Cat.* 5, p. 505، وإيرج أفشار : صَحّافيي سُنَّتي ، طهران ١٣٥٧هـ/١٩٧٨م ، لوحة تجليد أبيض وأسود (٤٠-٤٥) ، ويُرْجع O. F. Akimushkin, E. A. Rezvan أصْل هذا النوع من التَّوْقيع إلى نحو سنة ١٧٣٠م في كشمير . (E. A. Rezvan, «Yet another «Uthmânic Qur'ân» (On the history of manuscript E20 from the St. Petersburg Branch of the Institute of oriental studies)», *Manuscripta orientalia* G/1 (2000), p. 65-66, n.8) .

١١. سَجَّلَ ويسويلر (M. Weisweiler, *Bucheinband*, p. 38) العديد من النماذج ، وأشار هالدن وبوش (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 10; G. Bosch Chicago 1981, p. 13, p. 87 n[os] 2, p. 126و n° 30 و 31 etc) إلى نماذج أخرى مماثلة . وتعرَّفنا على أسماء بعض المجلِّدين من المصادر الأدبية ، منذ ابن النَّديم وحتى القرن التاسع عشر : وكما هو الوَضْع في حالات أخرى ، فالمشكلة هي جمعهم في عمل أو أكثر وَصَلَ إلينا .

١٢. يوجد سجل لـ ٢١١ صورة من التوقيعات في نهاية N. D. Khalili, B. W. Robinson et T. Stanley, *Lacquer of the Islamic lands*, t. I, p. 262-268 (علمًا بأنَّ جميع الآثار المُوَقَّعَة ليست تجليدات) .

١٣. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 183; M.T. Roberts , D. Etherington, *Bookbinding and the conservation of books: a dictionary of descriptive terminology*, Washington D. C. 1982, p. 67.

النَّاظِر ؛ وفي هذا الوَضْع ، فإنَّ «الدَّفَّة السُّفْلى» (أو «دَفَّة الذَّيْل») تُوجَد أسْفَل المُجَلَّد . وتكفي العَنَاصِرُ التي أحْصَيْنَاها لتكوين التَّجْليد الذي نُطْلِقُ عليه النَّمَط III (شكل ٧٤) .



٧٦. النَّمطَ الثَّالث للتَّجْليد

[279] / وتُوجَدُ بَقِيَّةُ الأجزاء المكوِّنة للنَّمَط III بطريقةٍ شِبْه ثابِتَة ويمكن كذلك أن نَعْرِضها هنا . نَذْكُر ـ على سبيل المِثَال ـ «الألْوَاح الواقية» (أو «الدَّفَّة الدَّاخلية») ، وبعبارة أخرى جزء الدَّفَّة المُلامِس لمجموع الكراريس ، أو أيضًا «اللَّوْح» الذي يُعَدُّ العُنْصُرَ الصَّلْب من الدَّفَّة ؛ ويمكن أن تُعْمَل هذه الألْوَاحُ من الخَشَب أو من الوَرَقِ المُقَوَّى ، ورُبَّما أيضًا من البَرْدي . وفي العُمُوم تُغَطَّى الألْوَاحُ بالعَديد من المَوَادِّ : فكلمة «غِشَاء» (أو «تَلْبيس») تَعْني «تَغْشِيَة دَفَّتي المُجَلَّد وكَعْبه بمادَّةٍ لَيِّنَة كالجِلْد والقُماش ... إلخ»[١٤]، وعندما يُغَطِّي الغِشَاءُ مجموع ظاهِر الألْوَاح الخَشَبِيَّة ، فإنَّنا نتحدَّث عن «التَّجْليد التَّام» ؛ وعندما لا يُغَطِّي التَّلْبيسُ سوى كَعْب المجلَّد والقِسْم المجاور له من الألْوَاح ، فيتَعَلَّق الأمْرُ حينئذٍ بـ«نِصْف تَجْليد» . ويمكن كذلك تَغْطية الألْوَاح الواقية ، كما يمكن عَمَل «البِطَانَة» من الجِلْد والرَّقّ والوَرَق أو القُماش . وقَبْل أن نَخْتَتِم هذه الفَقْرَة نُشيرُ إلى وُجود تَجْليداتٍ تَتَميَّز بغِيابِ الألْوَاح الخَشبية يُطْلَق عليها «التَّجْليدات اللَّيِّنَة» : وأمكننا تَسْجيل أمْثلةٍ قديمة لها من الجِلْدِ والرَّقّ .

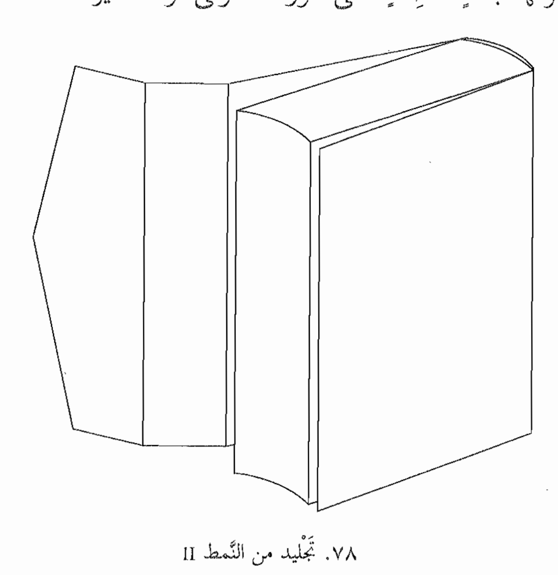
ويَرْتَبِطُ بالنَّمَط III بعضُ التَّجْليدات الشَّرْقية : يَظْهَر من بينها في الدَّرَجة الأولى تَجْليداتُ

١٤. D. Muzerelle, *op. cit.*, p. 185; Roberts and Etherington, *op. cit.*, p. 67.

٧٧. تَجْليدٌ غَربي تقليدي من القرن السابع عشر . باريس رقم BnF persan 297

المَخْطُوطات العربية المسيحية المُجَلَّدة وَفْقًا للتِّقْنيات البيزنطية ، وكذلك تَجْليداتُ المَخْطُوطات المُنْتَجة في آسيا الوُسْطى - بمعناها الواسِع - في العَصْر الحديث . وتَتَمَيَّزُ هذه التَّجْليداتُ بوُضُوحٍ عن التَّجْليدات التي يجدها عالِمُ المَخْطُوطات بوَفْرَةٍ في المجموعات الغربية الكبرى والتي نَفَّذَها صُنَّاعٌ غربيون (شكل ٧٥) يَعْمَلون على سبيل المِثال في وِرَشِ التَّرْميم ، لاسْتِخْدامها تِقْنيات مختلفة على الأخَصِّ في طَريقة حَبْكِ مجموع الكراريس والغِلاف .

/ أمَّا النَّمَطُ II فهو أُنْمُوذَجُ التَّجْليد الأكثر شُيُوعًا في القِسم الأكبر من العالم الإسلامي (شكل ٧٨) . وهو يَرْتَبط من وِجْهَة نَظَرٍ تِقْنية بطَريقة التَّجْليد بـ «الوَرَق المُقَوَّى» التي يَتَّحِدُ فيها الغِلافُ بجسم المُجَلَّد بتَغْرِيَةِ أوْراق الحِفْظ مع الأَلْواح الواقية»[١٥] - ووَرَقَةُ «الحِفْظ» هي «وَرَقَة الحماية البَيْضاء أو المُضافَة [...] في صَدْر المجلَّد أو آخره»[١٦] . وفَوْرَ خِياطَة الكُرَّاسات يُقَوَّى كعْبُها بقطعة نَسيجٍ يَتَجاوَزُ عَرْضُها سُمْكَ المُجَلَّد ، بحيث يمكن تَغْرِية طَرَفِها على اللَّوْح ؛ وتَبَعًا لتقاليد المُجَلِّد فإنَّه يُكْمِل عملية التَّثْبيت بواسِطَة وَرَقَة داعِمَة تُمَثِّل تَصَوُّريًّا نِصْف الوَرَقَة المُزْدَوَجَة الافتتاحية أو الأخيرة[١٧]، أو بِطانَة يُثَبَّت طَرَفُها بمادَّةٍ لاصِقَةٍ على الوَرَقَة الأولى أو الأخيرة[١٨] .



٧٨. تَجْليد من النَّمط II

١٥. D. Muzerelle, *op. cit.*, p. 185; Roberts and Etherington, *op. cit.*, p. 60.

١٦. *Ibid.*, p. 96; *Ibid.*, p. 89.

١٧. كانت تستعمل أيضا في المخطوطات الرقية قِطَعٌ مُتَواضِعَة الأحجام في هذا المَوْضِع .

١٨. تظهر هذه الأساليب كذلك في التجليدات المشرقية من النَّمَط II.

ولعلَّ أبْرَزَ ما يُمَيِّزُ النَّمَطَ II هو بالتأكيد وُجُودُ صَدْرٍ أو مُقَدَّمٍ وأُذُنٍ [المَرْجِع] ، وهما عُنْصُران يَمْتَدَّان من الجانب الأكبر الخارجي للدَّفَّة السُّفْلى ويَرْتَبِطان بها بمُفَصَّلَةٍ لَيِّنَة . و«الصَّدْرُ أو المُقَدَّمُ» الذي على شَكْل مُسْتطيل ، هو جُزْءُ الغِشَاء الواقِع أمام حافَة الكتاب والذي يحمي الحافَة حال غَلْق الكتاب . ويُعادِلُ ارْتِفاعُ الصَّدْر أو المُقَدَّم سُمْكَ الكتاب ويَتَّصِلُ عن طَريق مُفَصَّلَةٍ ثانيةٍ بـ «الأُذُن» [أو المَرْجِع] التي على شكلٍ خُماسي أضْلاع يَنْتَهي بطَرَفٍ يُطابِقُ المِحْوَر الأَوْسَط للمَخْطُوط[١٩]؛ وللتَّيْسير ،/ احْتَفَظَ النَّمَطُ II بتَعْريفه التَّقْليدي «التَّجْليد ذو اللِّسان» . وتُوجَد مَيْزَةٌ أخرى لهذا النَّمَطِ من التَّجْليد هي غِيابُ «الشَّكيمة» ، أي «بُرُوزٌ يَتَشَكَّل بعد الطَّرْق من أعْقابِ الكُرَّاسات الأولى والأخيرة ، بغَرَضِ تَعْويض سُمْك الدَّفَّة»[٢٠] . وتُلِحُّ كُتُبُ التَّجْليد العربية ، من جهةٍ أخرى ، على ضرورة الاهْتمام بزَوَال هذا البُرُوز ، إمَّا بواسِطَة مِطْرَقَة خَشبية [النِّصَاب] وإمَّا مِكْبَس [مِعْصَرَة][٢١] . والحاصِلُ ، أنَّ حَوافَّ مجموع الكراريس تُصْبح عمليًّا في مستوى الأَلْوَاح ، أي أن تصير أطْرافُها وَوَسَطُها شيئًا واحِدًا .

وتَنْتمي أقْدَمُ أمْثِلَة التَّجْليد الإسلامي المعروفة حتى الآن إلى النَّمَطِ I (شكل ٧٩) . وهي غالبًا ذات شَكْلٍ مُتطاوِل [مُسْتطيل] ، مع أَلْواح خشبية ، وتَتَمَيَّزُ بوُجُود حاشية مُتَّصلة من الجِلْد بارتفاع مجموع الكراريس مُلْتَصِقَة بالجوانب الثَّلاثَة السُّفْلية للأَلْوَاح الواقية بحيث تُشَكِّل هَيْئَة صُنْدُوق (قِراب) يُشَكِّلُ كَعْبُه الجانِب الرابع[٢٢] . وعندما يُغْلَق الكتاب تُغَطِّي هذه الحاشية حَوافَّه . وهذا «التَّجْليدُ المُعَلَّب» يكون عُمُومًا مُزَوَّدًا بمَشْبَك (قِفْل) .

١٩. سنحتاط كثيرا في أن لا نخلط هذا العنصر بالقطعة المتجانسة للمخطوطات الغربية (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 185) .

٢٠. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 184.

٢١. ابن باديس : المرجع السابق، ص ١٥٨.؛ (الترجمة : M. Levey, *op. cit.*, p. 42)؛ السفياني : المرجع السابق ، ١٠ (الترجمة : M. Levey, *op. cit.*, p. 52).

٢٢. لقد اقترح (Chicago 1981, p. 56) أن الأضلاع الثلاثة لا تشكل بالضرورة حماية مستمرة الواحدة مع الأخرى ؛ ويرتكز الاعتراض على أنه في ثلاث حالات فقط بقي هذا العنصر محفوظًا في وضع يسمح بملاحظته . وبعد ذلك ، تم اكتشاف تجاليد أخرى من هذا النوع : لوحِظَ فيها تماسك الحواف في التجاليد الجَيِّدَة الحِفْظ .

٧٩. تجْليد من النَّمَط I

283 /وحِمايَة الكُتُب بشَكْلٍ جَيِّد، كانت تُسْتَخْدَمُ أنْواعٌ مختلفة من الأقْرِبَة [العُلَب] ابتداءً من حَقَائِب القُماش البسيطة حتى الصَّناديق المَتينة الحقيقية[٢٣]. وكانت المَصَاحِفُ الصَّغيرة الحَجْم، في العالم العُثْماني، تُزَوَّدُ دائمًا بغِلافٍ مُحكَم مكوَّن من لَوْحَيْن من الوَرَق المُقَوَّى المُغَشَّى بالجِلْد، ويُشَدُّ مَجْموعُها من ثَلاثَة جَوانِب برباطٍ من النَّسيج. ويَسْمَح وُجُودُ صَدْرٍ أو مُقَدَّم، يُذَكِّرنا بصَدْر التَّجاليد، بإغْلاق القِراب بإحْكامٍ بمَجَّرد وَضْع المَخْطوط بداخله، ويَسْمَحُ شَريطٌ من النَّسيج مُتَّصِلٌ بداخل

٢٣. انظر فيما يلي.

٢٤. عُرِفَت أقدم أمثلة الأقْرِبَة من هذا النوع من خلال حُجَج الوَقْف (مثلا مصحف أماجور، انظر: Déroche, «The Qur'ân of Amâjûr», *MME* 5, 1990 - 1991, p. 61)؛ واحْتُفِظَ بعنصر منقوش من القراب الذي كان يُحْفَظ فيه «مُصْحَف الحاضِنَة»: P. و B. Roy Poinssot, *Inscriptions arabes de Kairouan*, Paris, 1950, p. 27-28, الشكل 6 واللوحة 2. وبالنسبة للفترات اللاحقة فقد بقيت العديد من النماذج المعدنية أو الخشبية، انظر مثلا: D. James, *Qur'ans of the Mamluks*, BERLIN 1988, p. 13, 14؛ الشكلان 173-174, nº| 99-101.

القِرَاب باسْتِخْراج المُصْحَف منه[٢٥]. وكانت الإطاراتُ الجِلْدية تُزَخْرَفُ عُمُومًا بأُسْلُوبٍ شبيه بأسْلُوبِ التَّجْليد. واسْتُخْدِمَ هذا النَّوْعُ من الأقْرِبَة الذي شَاعَ اسْتِعمالُه بالنسبة للمَصَاحِف كذلك لنُسَخ سَائِر النُّصُوص. وكانت هناك حَقائِبُ جِلْدية حقيقية مُزَوَّدَة بسَيْرٍ من الجِلْد تُسْتَخْدَم في أفْريقيا الغربية لنَقْلِ المَصَاحِف أو سَائِر المُؤَلَّفات الأخرى ذات الطَّابع الدِّيني، وهي تُحَسِّن بذلك بطريقةٍ فَعَّالَة حِمايَة الكتاب[٢٦].

المَــوَادّ

الألْـوَاح[٢٧]

الخَشَب

كانت الألْوَاحُ تُصْنَعُ من الخَشَب، وعلى الأخَصِّ في حالَة التَّجاليد التي على شكل عُلَب (أقْرِبَة) التي تُمَثِّلُ الشَّكْلَ القديم لتَغْليف المَصَاحِف (انظر فيما يلي). وكانت الألْوَاحُ المُسْتَخْدَمَة في هذه الحالة ذات ثَخانات مُتَغَيِّرَة بقِيمٍ قُصْوى تتراوح بين ٤ إلى ١١مم[٢٨]. وقد تكـون أحْجامُها كبيرةً جِدًّا: فقِياسُ مَخْطُوطِ إستانبول رقم TIEM SE 43 / ٢٩,٥×٤٠,٥سم[٢٩]. وبالرَّغم من الشَّكْل المُتَوَاضِع غالبًا 284

٢٥. انظر مثلًا مُصَوَّر مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1587، المُؤَرَّخ بسنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م عند D. James, *Q. and B.*, p. 135, nº102 (A. J. Arberry, *The Koran illuminated*, p. 70, nº224).

٢٦. تألَّفت بعض مخطوطات هذه المنطقة في شكلها النهائي من مجموعة من الأوْراق أو الأوراق المزدوجة غير المخيطة، وفي هذه الحالة فإنَّ القِراب يُسْهِم بضمان إضافي في حماية ترتيب الأوْراق. وقد أوْرد D. James أمثلة جَيِّدَة على ذلك: D. James, *Q. and B.*, p. 138, nº 105: مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1599 (انظر، A. J. Arberry, *op. cit.*, p. 76, nº 241)، وتبدو المخطوطات أرقام 1597، و1598 و1601 من المجموعة نفسها، بالهَيْئَة نفسها)؛ A. Brockett, «Aspects of the phusical transmission of the Qur'ân in 19th century Sudan. Script, decoration, binding and paper», *MME* 2 (1987), pp. 47-48 وشكل 1 (مخطوط مكتبة جامعة ليدز رقم Leeds, University Libr. Arabic MS. 301). انظر كذلك مخطوط ميونخ رقم MUNICH, BSB Cod. arab 2641 (MUNICH 1982, p. 140, fig. 24).

٢٧. كما أشرنا إلى ذلك سابقا فإنَّ بعض التجاليد لا تحمل لَوْحًا خشبيًّا.

٢٨. راجع G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 15.

٢٩. لم يؤخذ بعين الاعتبار هنا تغليف برلين المنحول (انظر فيما يلي وهامش رقم ٧٦).

لغالبية المَخْطُوطات المُبَكِّرَة، فلم تكن أَلْوَاحُها من قِطعةٍ واحدةٍ بطريقة مُنَظَّمَة: وقد يَحْدُث أن تكون مُجَمَّعَة بواسِطَة الغِراء والدِّسَار. ونعرف كذلك حالات أُعيدَ فيها اسْتِخْدَامُ قِطَعٍ من الخَشَب احْتَفَظَت بآثار اسْتِخْداماتها الأَصْلية [٣٠].

وتَبَعًا لتَوْضيحاتِ چورج مارسيه Georges Marçais ولويس بوانسو Louis Poinssot، كانت أكثرُ أنْواع الخَشَب شُيُوعًا في القَيْرَوان الحُور الأَبْيَض أو الأَسْوَد (*Populus alba* أو *nigra*) وصَنَوْبَر حَلَب (*Pinus halepensis*)، واسْتُخْدِمَ كذلك شَجَرُ التِّين (*Ficus carica*) وشَجَرُ الغار (*Laurus nobilis*) و (*Tamarix gallica*). وفي كتابه عن التَّسْفير، الذي يرجع إلى القرن السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي، أَوْصَى بكر بن إبراهيم الإشْبيلي باستِخْدَام خَشَب شَجَرِ الأَرْز [٣٢]. وقد أُضيفَت أَغْشِيَةٌ إلى أَغْلَب التَّجاليد ذات الأَلْوَاح الخشبية التي دَرَسْناها. وتُوجَد مع ذلك اسْتِثْناءاتٌ يَصْعُبُ تَمْييز مادَّتها [٣٣].

٣٠. G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 139, nº 62; p. 149, nº 66; p. 190, nº 95; p. 202, p. 207, nº 104; U. Dreibholz, op. cit., و nº 101, p. 27 وشكل 10.

٣١. وضع مارسيه وبوانسو قائمة بالتجليدات المعنية (*Objets*, t. II, p. 509).

٣٢. A. Gacek, *op. cit.* (*MME* 5), p. 107.

٣٣. هي على وجه الخصوص حالة مُصْحَفي مكتبة الأمبروزيانا بميلانو رقمي Biblioteca Ambrosiana H 144 et 145: المحفوظين بنصف تجليد، حيث إن ألواحهما الخشبية لم تغط إلا جزئيًا بجلد الكعب (E. Griffini, «Die jüngste ambrosianische Sammlung arabischer Handschriften», *ZDMG* 69, 1915, p. 80).

٣٤. لم يُقدِّم داڤيد ڤيل أي تحديد للطريقة التي كان عليها تجليد مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢١٢٣ حديث (J. David- Weill, *Le Djâmi' d'Ibn Wahb*, t. I [IFAO, Textes arabes, 3], Le Caire, 1939)؛ وقد قارنها جروهمان في (T. W. Arnold et A. Grohmann, *op. cit.*, p. 112, n. 202) بتجليد قبطي من المحتمل أن يكون سابقا عليه، وصفه Scheil بإيجاز، انظر (V. Scheil, «Deux traités de Philon», *Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire*, IX/2, Paris, 1893, p. 1) والذي تشكلت دفتيه «من العديد من قطع الورق (وحتى البَرْدي) الملصقة معًا». وأشار هالدن إلى أن التجاليد القبطية المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت لها ألواح من البردي؛ ويضيف، دون أن تستند فرضيته إلى مرجع محدد، إلى أن العديد من التجاليد [الإسلامية] صُنِعَت من البردي المُقَوَّى مع أغلفة من الجلد متصلة بها» (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 11).

البَــرْدي

لا تُوجَدُ، على حَدِّ عِلْمنا، أَمْثِلَةٌ لمَخْطُوطاتٍ عربية احْتَفَظَ تَجْليدُها بأَلْوَاحٍ مُقَوَّاة اسْتُخْدِمَ فيها البَرْدي [٣٤]. وقد عُرِفَت هذه التِّقْنيةُ جَيِّدًا في مصر، حيث نَعْلَم أنَّ العَديدَ من التَّجاليد القِبْطية القَديمَة تَشْتَمِلُ على أَلْوَاحٍ صُنِعت من هذه المادَّة [٣٥]. وفي الغَرْب احْتَفَظَت أناجيلُ سارِزَّانو Sarezzano في إيطاليا بقِطْعَةٍ من تَجْليدها القَديم يَتَضَمَّن لَوْحًا من البَرْدي [٣٦]. ولا يُوجَدُ ما يَمْنَع من التَّفْكير بأنَّ هذه الطَّريقَة قد اسْتُخْدِمَت كذلك مع المَخْطُوطات العربية في العَصْر الذي ذَاعَ فيه اسْتِخْدَامُ البَرْدي.

285

/ الوَرَق

إنَّ أكثَرَ الأَلْوَاحِ اسْتِخْدَامًا من المُجَلِّدين هي ـ دون شك ـ الأَلْوَاحُ المَصْنُوعة من الوَرَقِ المُقَوَّى (المَضْغُوط). وصِناعَةُ هذه الأَلْوَاح، كما وَصَفَها مُؤَلِّفو الكُتُب المُخَصَّصَة للتَّجْليد، بَسيطةٌ للغاية وغير مُكَلِّفَة على الإطْلاق [٣٧]. ففي الوَاقِع كان يُعادُ اسْتِخْدامُ الأَوْراق المستعملة وتَغْرِيتها مع بعضها البعض بغَرَضِ الحُصُولِ على السُّمْك الذي يجعلها قادِرَةً على المُقاوَمَة. وفي العالم العُثْماني، أو حيث عُرِفَت التِّقْنياتُ العُثْمانية، تُقَدِّمُ التَّجاليدُ المُعْتَنَى بها أحيانًا اخْتِلافات في مستوى تَقْدير المُكَوِّنات المختلفة للزَّخْرَفَة،

٣٥. انظر J. Doresse, «Les reliures des manuscrits gnostiques coptes découverts à Khénoboskion», *Revue d'égyptologie*, 13, 1961, p. 34, 41, 47; *The facsimile edition of the Nag Hammadi codices*, t. I, *Introduction*, Leyde, 1984, p. 75-77؛ (يشير إلى أنموذج من القرن الرابع الميلادي مخطوط المكتبة البريطانية رقم BL Or. 7594).

٣٦. انظر G. Godu, *Codex Sarzanensis, fragments d'ancienne version latine du quatrième évangile*, Montecassino, 1936; E. A. Lowe, *Codices latini antiquiores*, 4, Oxford, 1937, p. 436 a, b; N. Ghiglione, *L'evangeliario purpureo di Sarezzano (sec. V-VI)*, Vicenza, 1984, p. 26 والشكل 354 واللوحة 355. ونشكر جون فيزان J. Vezin الذي أفادنا بهذه المعلومة.

٣٧. السفياني: المرجع السابق، ص ٥ - ٨ (ترجمة A. Levey, *op. cit.*, p. 51).

٣٨. ذكر السُّفْياني في مقدمة نصه (المرجع السابق، ١) استشهادًا لابن عرضون يوصي بعَدَم استخدام أوْراق فيها اسم الجلالة أو اسم النبي محمد ﷺ لصناعة الألواح الخشبية ما لم تكن ستستخدم في تجليد مصحف.

التي تبدو بشكلٍ صَارِخ ؛ وقد تَمَّ الحُصُولُ على هذه النَّتيجَة في وَقْتِ إعْدادِ الوَرَقِ المُقَوَّى : حيث يَقْطَع الصَّانِعُ في وَرَقَةٍ مُقَوَّاةٍ الشَّكْل الملائم لمحيط الزَّخْرفَة التي يَوَدُّ دَمْغَها ، ثم يَلْصِق هذه الوَرَقَة على وَرَقَةٍ مُقَوَّاة تُسْتَخْدَم حينئذٍ كحامِلٍ [٣٩]. أمَّا ألْوَاحُ التَّجْليد المُلَكَّكة ، التي سنتناولها فيما بعد ، فتُوصَفُ تَقْليديًّا كما لو كانت مُكَوَّنَةً من وَرَقٍ مُلَوَّن : ويَنْدَرِجُ تحت هذا المُصْطَلَح الوَرَقُ المُقَوَّى المُعْتاد النَّاتِج عن تَغْرية مجموعةِ أوْراقٍ مَرْصُوصَة فوْق بعضها البَعْض [٤٠].

مَوَادُّ أخرى

ومن أجْلِ اسْتِكْمال هذه اللَّمْحَة يجب أن نُشيرَ إلى بعض الحالات النَّادِرَة : وهي اسْتِخْدَام المَعْدِن كحامِلٍ لصَفائح الفِلْس ، أو صَفَائِح حَجَر اليَشْب المُغَشَّاه [٤١]... إلخ [٤٢].

التَّغْشِية

إنَّ المَوَادَّ التي سنذكرها فيما يلي لم تُزَخْرَف بشكلٍ مُنْتظم . وعندما يُزَوَّق الغِلافُ ، تَرْتَبِطُ جَوْدَةُ هذا التَّزويق بالمَواد ، سَوَاء قَبْل اسْتِعْمالها (وهي حالة الوَرَق المُجَزَّع) ، أو فَوْر أن تُوضَع على اللَّوْح (وهذا يَصْدُق على الجِلْد) . ولم يكن من السَّهْلِ دائمًا في السَّرْدِ التَّالي أن لا نَذْكُر في آنٍ واحِدٍ المادَّة الأوَّلية وطُرُق الزَّخْرَفَة .

٣٩. A. Sakisian, «La reliure turque du XV^e au XIX^e siècle», *La revue de l'art ancien et moderne*, 51/I, 1927, p. 278, n. 5.

٤٠. N. D. Khalili, B. W. Robinson , T. Stanley, *op. cit.*, p. 10.

٤١. مخطوط مكتبة جامعة إستانبول رقم F. 1426، والذي يرجع إلى نحو سنة ٩٦٨هـ/١٥٦٠م (انظر BERLIN 1988,p.134,nº55a) .

٤٢. على سبيل المثال مخطوط طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS 2/2121، (انظر ISTANBUL 1983, p. 230-231, nºE. 200; BERLIN 1988, p. 102-103 nº30; VERSAILLES 1999, p. 282, nº242) ، ورقم 2/2095 (انظر FRANCFORT 1985, p. 105, nº1/86 b; VERSAILLES 1999, p. 281, nº241) .

الجِلْد

لقد أُشيرَ بكثرةٍ في النُّصُوص إلى صِناعَة الجِلْد التي ذَاعَت في كُلِّ أنْحاء العالم الإسلامي ، حيث تُمَجِّدُ نَوْعية الجُلُود المُعَدَّة في اليمن وفي المَغْرب ؛ وتُرَكِّز على جَدارة هذه الطَّريقة/ أو تلك في مُعالَجَة الجِلْد . وكانت الصِّبَاغَةُ معروفة جَيِّدًا ولا تُعْوِزُنا الوَصْفاتُ أو الإشاراتُ إلى مُقَوِّمات اسْتِخْدامها . ونَقَلَ إلينا ابنُ باديس طُرُقًا للصِّباغَة بالألْوَان الأسْوَد والأصْفَر والأخْضَر [٤٣]؛ كما أنَّ مَزْجَ هذه الألْوَان كان يَسْمَحُ بالتأكيد بالحُصُولِ على مُرَكَّبٍ غني جدًّا . وعَرَفَ دَبَّاغو إسْتانبول في تُرْكيا العُثْمانية ، في القرن السَّابع عشر ، كيف يُنْتجون جُلُودًا ذات لَوْنٍ «أزْرَق سَمَاوي ، أو وَرْدي فاقِع ، أو أحمر أو أصْفَر أو أخْضَر يانِع» [٤٤]؛ ويَذْكر تافرنيه Tavernier في العَصْر نفسه ، أنَّ تُكَت Tokat اشْتُهِرَت بسِخْتيانها [جِلْد الماعِز المُلَوَّن] الأزْرَق ، واشْتُهِرَت ديارُ بَكْر وبَغْداد بالأحْمَر وأورفا بالأسْوَد والمَوْصِل بالأصْفَر [٤٥]. ويبدو لنا من المُهِمّ أن نَذْكُرَ هنا ، حَوْل نَوْعية هذه الجُلُود ، اسْتِحْسانًا كبيرًا لمُتَخصصين مُمارسين ومُعاصرين للأمُور التي جِئْنا على ذكرها ، نَعْني به بَيَانٌ يعود إلى سنة ١٧٢٧ مَحْفُوظٌ في قَوَائم شِرَاء السِّخْتيانات المُخَصَّصَة لتَجْليدات المكتبة الملكية في باريس . فيُلاحِظُ كاتِبُ البَيَان أنَّ جُلُودَ المَغْرب ذات مَلْمَسٍ أجْوَد [من جُلُود مارْسيليا] ، غير أنَّها صغيرة وتَنْسَلِخ أيضًا بسُهُولَة أكثر . ولا تُساوي في أماكنها إلَّا ليرتين وعشرة سنتيمات [٤٦]. أمَّا جُلُودُ الشَّرْق فأكبر وذات مَلْمسٍ جَيِّد ، وذات لَوْنٍ أكثر نَصَاعَة وتُقاوم لفَتْرَةٍ أكبر دون سَلْخ ودون تَغْشية . وتساوي كُلُّ قِطْعَة منها ثلاث ليرات . وقد سَبَقَ أن جَلَبْنا منها ثلاثَة ألوان مختلفة : الأحْمَر والبَنَفْسجي واللَّيْموني» [٤٧].

٤٣. M. Levey, *op. cit.*, p. 43-45.

٤٤. Evliya Celebi, *Evliya Celebi seyahatnamesi*, t. I, Istanbul, 1314/1898, p. 595 (ذكره A. Sakisian, *op. cit.*, p. 282) .

٤٥. J. B. Tavernier, *Les six voyages en Turquie et en Perse*, t. I, مع تقديم وتعليقات لـ Stéphane Yérasimos, Paris, 1981, p. 55.

٤٦. وتساوي جلود مارسليا ثلاث ليرات وعشرة فلس (J. Vezin, «Les reliures de la Bibliothèque du Roi sous Louis XIV, Louis XV et Louis XVI», *Revue française d'histoire du livre*, 37, 1982, p. 601) .

٤٧. *Ibid.*

إنَّ الجُلُودَ المُسْتَخْدَمَة في العالم الإسلامي هي في الأساسِ جُلُودُ الماعِز ، ومع ذلك فقد اسْتُخْدِمَت كذلك جُلُودُ الخِراف والبَقَر [٤٨]. وفَحْصُ «الثَّنْيات» ، أي «حافَة الغِشاء المَطْوية إلى داخِل المجَلَّد والمُلْصَقَة على اللَّوْح الواقي» [٤٩]، حاسِمٌ في الغالِب في تَعْيين أصْلِ الجِلْد المُسْتَخْدَم . وقد نَصَحَ الباحِثون عند وَصْفِ الجِلْد بالتَّركيز على الإشارات المُتَعَلِّقَة بمَلْمَس الجِلْد وتَجَنُّب المُصْطَلَحات التي تَنْطَبِق ـ على الأخَصِّ ـ على مُمارَسات التَّجْليد الغَرْبي . ومن جانِبٍ آخر ، إذا كان التَّجْليدُ هو أُنْموذَجٌ للتَّجْليد الغَرْبي ، فيجوز أن نَسْتَخْدِم مُخَصَّصًا للألْفاظِ يمكن الحُصُولُ عليه بسهولة بمُراجَعَة المُؤلَّفات المُتَخَصِّصَة [٥٠].

هل اسْتَخْدَمَ المُجَلِّدون الشَّرْقيون مُعادِلًا لجِلْدِ السَّمَك ، أي جِلْدِ الشِّفْنين البحري أو القِرْش ؟ تَبَعًا لما وَرَدَ في وَصْفِ لأحَدِ كتالوجات المَعارِض ، فإنَّ تَجْليدَ مَخْطُوط مكتبة جامعة إستانبول رقم A 6570 عُمِلَ من جِلْدِ سَمَكِ القِرْش ، فإذا كان هذا التَّجْليدُ مُعاصِرًا لكتابة المَخْطُوط نفسه (نحو سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، فإنَّ اسْتِخْدامَه هنا لا يكون فقط سابقًا على إنْتاج هذه المادَّة في الغَرْب خلال القرن الثَّامن عشر ، ولكن أيضًا اسْتِخْدامها هناك [٥١]. فلم يبدأ إدْخالُ هذه المادَّة إلى فرنسا من الشَّرْق الأوْسَط وتَزْويد المُجَلِّدين بها إلَّا في القرن السَّابع عشر على أقْصَى تَقْدير [٥٢].

287

/الـــرَّقّ

لم يكن من النَّادِر أن نَجِدَ في الغَرْبِ مَخْطُوطات مُغَلَّفَة بالرَّق ، مثل مَخْطُوط باريس رقم BnF persan 327، الذي غَلَّفَه مُجَلِّدُه برَقٍّ أُعِدَّ لهذا الغَرَض [٥٣]. أمَّا في

٤٨. غُلِّفت التجاليد القيروانية تبعًا لـ «مارسيه» و«بوانسو» بالحور ـ وبعبارة أخرى بجلد الخروف ـ (objets t.I, p. 16) وبالمقابل كانت التجاليدُ المُزَخرفة بالخيوط البارزة في الغالب من جلد الماعز.

٤٩. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 185.

٥٠. قدَّم لنا ميزريل مختصرًا جيِّدًا (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 188-191 والأشكال 326-333) وأشار في الببليوغرافيا التمهيدية (p. 26) إلى عدد من المؤلفات التي يمكن للقارئ أن يعود إليها للمزيد من المعلومات، وراجع كذلك Roberts , Etherington, *op. cit.*

٥١. Berlin 1988, p. 102, nº29.

٥٢. انظر J. P. Néraudau, *Dictionnaire d'histoire de l'art*, Paris 1985, p. 237.

٥٣. F. Richard, *Cat.* I, p. 333.

العالم الإسلامي فإنَّ النَّماذِجَ النَّادِرَة التي اسْتُخْدِمَت فيها هذه المادَّة للتَّجْليد ليست سوى إعادَة اسْتِخْدام لأوْراقٍ رَقِّيَّة نُزِعَت من مَخْطُوطاتٍ قديمة . وتَظْهَرُ في مجموعة متحف الفُنُون التُّرْكية والإسلامية بإستانبول تَجْليدَةٌ صَغيرةٌ مُغَشَّاة بالرَّقّ [٥٤]؛ ورُبَّما يجب أن نُعَيِّن وَضْعًا مُشابهًا لذلك لأحَدِ المَخْطُوطات المَوْصُوفَة في السِّجلّ القديم لمكتبة جامع القَيْرَوان [٥٥]. وتَحْتَوي مَخْطُوطاتُ باريس أرقام BnF Suppl. turc 983, 984 et 986 على «أجْزاءٍ» يُعادِلُ كلٌّ منها كرَّاسًا مَحْمِيًّا بوَرَقَةٍ مُزدَوَجَةٍ من رَقٍّ مُعاد اسْتِخْدامه : ومن المُحْتَمَلِ ، إن لم يكن هذه الأمْرُ قد قامَ به المُجَلِّدُ ، أن يكون على الأقَلِّ نَوْعًا من الحماية في وَقْتٍ لم تكن فيه هذه الأجْزاءُ قد جُلِّدَت في مجموعٍ مُفْتَعَل كما هو حالُها الآن [٥٦]. وشَرَحَ بكر الإشْبيلي في رسالته عن التَّجْليد كيف تُصْنَعُ من تَعْرية الرَّقّ أو الوَرَق مادَّةٌ تُسْتَخْدَم في التَّجْليد سَمَّاها «الشُّدْق ج . أشْدَاق» [٥٧].

الوَرَق

يَبْدُو أنَّ الصُّنَّاعَ فَضَّلُوا ، بالنِّسْبَة للأغْشِيَة ، اسْتِخْدَامَ أوْراقٍ خَضَعَت لمُعالَجاتٍ مُسْبَقَةٍ بهَدَفِ تَحْسين مَظْهَرها (شكل ٧٨) . ومع ذلك تُوجَدُ أمْثِلَةٌ لتجاليد نُفِّذَت بوَرَقٍ يمكن أن يكون قد تَغَيَّر تَوَجُّهه إلى هذا الاسْتِخْدام : هكذا نَجِدُ مَخْطُوطَ ميونخ رقم Bayerische Staatsbibliothek Cod. turc. 229 يَحْميه غِلافٌ وَرَقي مليء بتجارب لفُرْشاة [٥٨]. وفي العالم العُثْماني ارْتَقَى الوَرَقُ المُجَزَّع (الإبْرو) إلى مَرْتَبَة مَوَادّ التَّغْشِيَة خلال القرن السَّابع عشر [٥٩]، ويَشيعُ ظُهُوره في التَّجاليد النِّصْفية ذات الكَعْب الجِلْد [٦٠]. ويَتَزامَنُ إدْخَالُ الوَرَق المُجَزَّع في هذا الاسْتِخْدام ، على وَجْهِ التَّقْريب ، مع بداية الصُّعُوبات الاقْتِصادية التي مَرَّت بها الدَّوْلَةُ العُثْمانية في المرحلة الأخيرة من

٥٤. غير منشور.

٥٥. إبراهيم شبوح : «سجل قديم لمكتبة جامع القيروان» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦) ، ٣٦٣ رقم ٨٨: «ستة أسْفار [...] جزء منها مجلَّد بالرَّقّ» ؛ والوضع الموصوف بعد ذلك مختلف في الغالب «ثلاثة وأربعون دفترًا [...] مُغَشَّاة بالرَّقّ» (نفسه ٣٦٦ رقم ١٠٥) .

٥٦. انظر G.Vajda, *op. cit* وفصل «كُرَّاسات المخطوطات».

٥٧. A. Gacek, *op. cit.* (*MME* 5), p. 109.

٥٨. Francfort 1985, p. 100, nº1/92.

٥٩. انظر فصل «الحوامل : الورق».

٦٠. انظر مثلا Chicago 1981, p. 218-219 nº92.

٨٠. غِشَاءٌ من الوَرَق المُجزَّع. باريس رقم BnF suppl. persan 1500، الدَّفَّة السُّفْلى والصَّدْر والأُذُن.

تاريخها : فنَظَرًا لأنَّ الجِلْدَ غَدَا غالي الثَّمن ، اقْتُرِحَ اسْتِبْدالُه بالوَرَقِ المُجزَّع ، ولكن لا يجب أن نَسْتَبْعِد أنَّ ذلك كان أيضًا مَظْهَرًا من مَظَاهِر التَّجْديد . وفي آسيا الوُسْطى وإيران دَخَلَ الوَرَقُ المَصْبُوغُ ذي السَّطح اللَّامِع إلى التَّجْليد ابتداءً من القرن الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي ، والذي يمكن رَشْمُه مثلما يُوْشَم الجِلْد .

النَّسِيج

اسْتُخْدِمَ النَّسيجُ كذلك في التَّغْشِيَة (شكل ٥٢)، ويبدو أنَّ هذه المادَّة قد اسْتُخْدِمَت باكرًا جدًّا ، بما أنَّه يُوجَدُ نَصٌّ يَذْكر أنَّ صَلاح الدِّين يُوسُفَ بن أيُّوب أرْسَلَ في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م إلى السُّلْطان نُور الدِّين محمود /«خَمْسَ خَتْمات ، إحْداها خَتْمَة ثلاثون جزءًا مُغَشَّاة بأطْلَسٍ أزْرَق ... وخَتْمَة بخَطِّ راشِد مُغَشَّاة بدِيباج

فُسْتُقي عشرة أجزاء»[٦١]. واحْتَفَظَ تَجْليدٌ ضمن مجموعةِ القَيْرَوان ، يَقْتَرِحُ چورج مارسيه Georges Marçais ولويس بوانسو Louis Poinssot تأريخه بالقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، بغِشَاءٍ من الحَرير الأخْضَر على لَوْح الخَشَب ، وقد أُدِيرَت حَوَافُّ هذا الغِشَاء لتَجَنُّب خَرْق النَّسيج[٦٢]. ولا يَبْلُغ هذا الأُنْمُوذَجُ دَرَجَة رفاهية المَصَاحِف الأيُّوبية ، غير أنَّنا لا يمكن أن نَنْتَقِص أَهَمِّيَّته التَّاريخية بما أنَّ الأمْرَ يتعلَّق هنا ، إذا تأكَّد تأريخُه ، بأقْدَم شَاهِدٍ على اسْتِخْدام النَّسِيج لتَجْليدٍ كامِلٍ في المجال الإسلامي .

ولم تبدأ أغْشِيَةُ النَّسيج في التَّكاثُر في العالم العُثْماني إلَّا في فَتْرَة سَلْطَنَة السُّلْطان محمد الفاتح ، رُبَّما لمواجهة طَلَبات التَّجْليد المُتَزَايد حتى يمكن الاسْتِجابة إليها مع اسْتِمْرار إنْتاج زَخارِف على الجُلُود بواسطة الدَّمْغ[٦٣]. وفي فَتْرَةٍ لاحِقَة ، فإنَّ مَخْطُوط طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS H 1365 - المَنْسُوخ سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م - هو أُنْمُوذجٌ معروفٌ جِدًّا / لأغْشِيَة الحرير المُطَرَّزة بخُيُوطِ الذَّهَب[٦٤]، والذي يُوجَد له أمْثِلَةٌ مُماثِلة في العالم الصَّفَوي[٦٥]؛ وسنتناولُ فيما بعد التَّطْريز الذي قد يُسْتَخْدَم مُباشَرَةً أحيانًا على الجِلْد من أجل الزَّخْرَفَة . وعندما تُغَشَّى دَفَّةُ الكتاب بالنَّسيج فإنَّ حَوَافَّها تكون عادَةً على شَكْلِ إطارٍ من الجِلْد .

وعلى العكس من ذلك ، فإنَّنا نَعْرف جَيِّدًا الجَمْعَ بين الجِلْد والنَّسيج ، وتُصَوِّرُ هذا الاسْتِخْدام تجاليدُ أُنْتِجَت عادَةً في مصر من القرن السَّابع الهجري/ الثَّالِث عشر الميلادي إلى القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي [في العَصْر المملوكي] . ويُزَيِّنُ الغِشَاء الجِلْدي زَخْرَفَةٌ مُقَطَّعَة على شكل خُيُوطٍ ذَهبِية مَجْدُولة تُهَيَّأ على أرْضيةٍ من الحَرير . ويَحْمي مَخْطُوطَ باريس رقم BnF ar. 5845، الذي يَرْجِع إلى مُنقلَب القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وهو عبارة عن «جُزء» من مُصْحَفٍ يَنْتمي

٦١. Th. Arnold et A. Grohmann, *op. cit.*, p. 32 et n. 143؛ [أبو شامة : كتاب الروضتين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ١٩٦٢ ، ٥٥٨:٢/١].

٦٢. G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 142, n°63 bis.

٦٣. J. Raby et Z. Tanîndî, *Turkish book-binding in the 15th century. The Foundation of an Ottoman court style*, London, 1993, p. 65 et 217.

٦٤. Istanbul 1983, p. 184-185 n°E.124; Francfort 1985, 2, p. 60, n°1/18 a et pl. XII.

٦٥. I. Afshar (éd.), *op. cit.*, pl. couleur (9).

إلى مجموعةٍ معروفةٍ جَيِّدًا ، تَجْليدٌ نُفِّذَت زَخْرَفَتُه المركزية (السُّرَّة) وزَخَارِفُ أَرْكانِه من الجِلْد المُقطَّع المُنْفَصِل عن حَرير الأَرْضية الأَخْضَر . وتُوجَدُ طَرِيقَةُ الصُّنْع نفسها في مُصْحَفٍ مُعَاصِر ، محفوظ في باريس برقم Smith-Lesouëf 220، ولكن على أرضيةٍ من اللَّوْن الأَزْرَق الفَيْروزي [٦٧].

وكانت المُجَلَّداتُ النَّفيسة تُغَلَّفُ بأَغْشِيَةٍ من النَّسيج : فكانت مَخْطوطات أصْحابِ الحَلَّاج التي جُمِعَت في مِحْنَتِهِ «مُبطَّنَةً بالدِّيباج والحَرير ومُجَلَّدَةً بالأديم الجيِّد» ، أو أيضًا هذه المَصَاحِفُ المَنْسوبة إلى الخَليفَة عُثْمان والمحْفُوظ أحَدُها في دِمَشْق والآخَر في مَرَّاكُش ـ بعد عُبُوره بقُرْطُبَة [٦٨].

المَعَادِنُ والأَحْجَارُ والمَوَادُّ النَّفيسَة والمينا

يَبْدو أنَّ اسْتِخْدامَ المعادِن النَّفيسة للتَّغْشِيَة قد ظَهَرَ بطريقَةٍ ناضِجَةٍ في العالم الإسلامي . ولا يعني الأمر هنا الحديث عن المَشابِك أو المَخَازيم التي نُصادِفُها أحيانًا على التَّجاليد المُعَلَّبَة (الأَقْرِبَة المُبَيَّتَة) ، والتي من الممكن أن تكون بالفِعْل من الفِضَّة [٦٩]، فهذه ليست أكثر من لَوَازِمَ بعيدَةً تمامًا عن هَدَفِنا الذي هو مَوادُّ التَّغْشِيَة . وإذا صَدَّقْنا ما جاءَ في كتاب «الوُزَرَاء والكُتَّاب» للجَهْشياري ، فقد كان أحَدُ كُتَّابِ الخَليفَة الأُمَوي مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان (تَوَلَّى بين سنتي ٤٠هـ/٦٦١م و٦١هـ/٦٨٠م) يمتلك مُصْحَفًا مُجَلَّدًا بالفِضَّة أُجْبِرَ على بَيْعه بعد وُقُوعه في ضَائِقَة [٧٠]. وفيما بعد ، ولكن دائمًا تَبَعًا لما وَرَدَ في النُّصُوص ، كان «المُصْحَفُ» المَنْسُوب إلى الخَلِيفَة عُثْمان ، والذي كان

٦٦. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 54-55 n°346 . واللوحة XI A، (انظر مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1474، وشيكاغو رقم Oriental Institute A 12159) .

٦٧. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 58, n°352 واللوحة XII A.

٦٨. Th. Arnold et A. Grohmann, *op. cit.*, p. 32 , n. 79 et 144; A. Dessus Lamare, «Le mushaf de la mosquée de Cordoue et son mobilier mécanique», *JA* 130, 1938, p. 554 , 566.

٦٩. يتعلَّق الأمْرُ في المصاحف التي أهداها صلاح الدِّين ، والتي سَبَقَ ذكرها ، بأقْفالٍ من الذَّهَب .

٧٠. J. Latz, *Das Buch der Wezire und Staatssekretäre von Ibn ʻAbdûs al-Gahsiyârî, Anfänge und Umaiyadenzeit* (Beiträge zur Sprach-und Kulturgeschichte des Orients, 11), Walldorf-Hessen, 1958, p. 79.

مَحْفُوظًا في قُرْطُبَة ، مُزْدَانًا بتَجْليدٍ مُزَوَّدٍ بزَخارِفَ بَدِيعَة من الذَّهَب مُزَيَّنَة باللُّؤْلُؤ والياقُوت الأَحْمَر . وبعد انْتِقاله إلى مَرَّاكُش في خِلافَة عبد المُؤْمِن بن علي مُؤَسِّس الدَّوْلَة المُوَحِّدية ، نحو سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م ، صُنِعَت له أَغْشِيَةٌ جَديدَةٌ بعضُها من السُّنْدُس وبعضُها من الذَّهَب والفِضَّة وحَلَّاهُ بأَنْواعِ اليَواقيت وأَصْنَاف الأَحْجَار الغريبة النَّوْع « بأَلْوَانٍ شَبيهَة بالزُّجاج الرُّومي [البيزَنْطي]» ، دون شك من المينا [٧١]. ويَرْتَبِط هذا النَّمَطُ من الأَعْمال أكثر بالصِّياغَة عنه بالتَّجْليد بمَعْناه التَّقْليدي .

290

/ وعلى حَدِّ عِلْمنا لم يُحْفَظ لنا أيُّ أُنْمُوذَج قَديم منه . أمَّا العَصْرُ العُثْماني فقد وَفَّرَ لنا مادَّةً وثائقية وَفيرَةً ، حيث وَصَلَ إلينا العَديدُ من التَّجاليد المُزْدانَة بالمعادِن النَّفيسَة ، ومع ذلك فقد فُقِدَ قِسْمٌ كبيرٌ منها إذا صَدَّقْنا إشارة أَرْمِناج ساكسيان Arménag Sakisian إلى وُجُودِ مائة وثلاثين مُصْحَفًا ذات تجاليد مُزْدانَة بأحجارٍ كريمة في تَرِكَة رُسْتُم باشا . ويَمْتَلِكُ مَتْحَفُ طوبقبو سَرَاي بإستانبول مجموعةً من التَّجاليد من هذا النَّوْع تَدْمِجُ أَحْجارًا كريمةً أو شِبْه كريمة [٧٣]؛ فاسْتِخْدامُ مَوَادَّ غير مُعْتادَة يُعَطِّي مَجالًا واسِعًا من الإمْكانات ، كما يُوَضِّحُه مَخْطُوطُ مكتبة جامعة إستانبول رقم F. 1426 (ذَيْل على صَفَائح معدنية) [٧٤] ومَخْطُوط شِيسْتربيتي بدَبْلن رقم CBL 1578، المُؤَرَّخ سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ، والذي يَجْمَع بين الفِضَّة والمينا والعاج [٧٥].

٧١. A. Dessus Lamare, *op. cit.*, p. 563. ؛[المقري : نَفْح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ـ دار صادر ١٩٦٨، ١:٦٠٥-٦١٤].

٧٢. A. Sakisian, *op. cit.* (52, 1927), p. 151.

٧٣. أتاحت العديد من المعارض الفرص لمعرفة هذه الأشياء بشكل أفضل : Istanbul 1983, p. 230-235 n°|E. 199-E. 202 et E. 204; Francfort 1985, p. 105, n°1/86 b; Berlin 1988, p. 102-104, n°|30-31; Versailles 1999, p. 281-282 n°| 241-؛ وتتوفر مجموعة شيستر بيتي على مصاحف ذات مُنَمْنَمات إيرانية محفوظة في علب من المعدن ومن الأحجار الكريمة أو شبه الكريمة (D. James, *Q. and B.*, p. 137, n°104, بدون رقم حفظ) . وصنعت تجليدات مشابهة بدون شك أيضا في مناطق أخرى من العالم الإسلامي : مؤَخَّرًا تجليد المصحف المغربي المحفوظ بطوبقبوسراي برقم TKS 2/ 2903، الذي يرجع إلى سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م ـ والمختلف في نسبته ـ وتأكد أنه من المغرب : (Versailles 1999, p. 280-281, n°240) .

٧٤. Berlin 1988, p. 134, n°55 a.

٧٥. D. James, *Q. and B.*, p. 136, n°103 (A. J. Arberry, *op. cit.*, p. 69-70 n°222).

الخَشَب

ويَقُودُنا هذا المِثَالُ الأخير للحَدِيث عن التَّلْبِيس المُسْتَخْدَم كتِقْنِيَةٍ لزَخْرَفَةِ التَّجاليد. لقد وَصَفَ فريدريك سار Friedrich Sarre، في أكثر من مُناسبة، قِطَعًا محفوظةً في برلين باعْتِبارها بقايا تَجْليدٍ كبيرٍ يحمل زَخْرَفَةً مُغَشَّاة[٧٦]. ويَتَعَلَّقُ الأمْرُ، في الواقِع، بقِطَع من عُلْبة خَشَبِيَّة (قِرَاب خَشَبي): ووزنها على كلِّ حال كبيرٌ جِدًّا عن أن يُسْتَخْدَم في التَّجْليد، ولاسيَّما أنَّ التَّجْليدَ العربي الإسلامي ـ كما سنرى ـ لا تَتَوَفَّرُ له إمْكاناتٌ مُهَيَّأَةٌ لضَمَان التَّرَابُط بين مجموع الكُرَّاسات والألْوَاح. لقد ذكرنا فيما تقدَّم مَخْطُوطي مكتبة الأمبروزيانا بميلانو رقمي H 144 و 145، اللَّذَيْن ظَلَّت ألْوَاحُهما بدون غِشَاء: ورُبَّما تسمح دراستهما بمعرفة إذا ما كان الخَشَبُ قد تُرِكَ بالفِعْل في فَتْرَةٍ قديمَة بدون غِشَاء.

وَرْنِيش اللَّك

تَرْتكزُ التِّقْنيةُ الأكثر ذُيوعًا على تَنْفيذ الزَّخْرَفَة على لَوْح الوَرَقِ المُقَوَّى (شكل ٥١). إلَّا أنَّ الأمْرَ لم يكن كذلك دائمًا: فأَقْدَمُ الأمْثِلَة، مثلَ تَجْليد مَخْطُوط إستانبول رقم TKS A. 1672، المَنْسُوخ / سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[٧٨]، يُظْهِرُ أنَّ الصُّنَّاعَ أنْجَزوا زَخْرَفَةً مُلَيَّكَةً على الجِلْدِ المُغَطِّي للألْوَاح[٧٩]. ولم تَثْبُت هذه الطَّرِيقَة في العَمَل، رُبَّما بسبب الصُّعُوبات التي واجَهَتْها. وتَرْجِعُ أقْدَمُ التَّجاليد المُلَيَّكة التَّقْليدية إلى نهاية القرن التاسع

٧٦. F. Sarre, *Islamische Bucheinbände*, pl. I; Th. Arnold , A. Grohmann, *op. cit.*, p. 33-34 وشكل 16؛ J. Pedersen, *The Arabic book*, p. 104 واللوحتان 20– 21؛ كما أشار إليه هالدن أيضا (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 10).

٧٧. رَهَّلِلله (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 189, nº175) تجليدًا لألبوم فوتوغرافي أُنْجز في كشمير نحو سنة ١٩٠٠م (متحف فيكتوريا وألبرت بلندن رقم 1951-1763). ويُظْهر خشبُ الألواح المنقوش زُخْرُفًا في شكل عصافير على أرضية نباتية. ويمكن أن نجد مشابهات لذلك في تقاليد أخرى، على سبيل المثال ألواح الكتب التِّبِتيَّة، وبالمقابل فإننا لا نعرف تجليدًا من هذا النوع بين المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي.

٧٨. J. Raby , Z. Tanindi, *op. cit.*, p. 154-155 nº18.

٧٩. يبدو أن هذه التقنية، التي سبقت شيئا ما الأمثلة المنتجة في هراة، عثمانية انظر، N. D. Khalili, B. W. Robinson , T. Stanley, *op. cit.*, p. 232.

الهجري/ الخامس عشر الميلادي (شكل ٥١)؛ ونُفِّذَت هذه التَّجاليدُ في بَلَاطِ حُسَيْن ميرزا في هَرَاة (حَكَمَ بين سنتي ٨٧٣هـ/١٤٦٩م و ٩١١هـ/١٥٠٦م)[٨٠]. وتَنْتَمي زَخْرَفَةُ هذه التَّجاليدُ أكثر إلى التَّزْيين أو النَّمْنَمَة من انْتِمائها إلى التَّجْليد بمعناه الدَّقيق بسبب وُجُود هذه الزَّخْرَفَة. ونُفِّذَت هذه التَّزاويق على شكل رُسُوم؛ وتُطابِقُ وَصْفَةٌ تَجْمَع بين التَّذْهيب وخَلْفية سَوْداء ـ بل أحْيانًا مع تَرْصيع بالصَّدَف[٨١] ـ التَّجارِبَ الأولى التي لم يَصِل نَجَاحُها إطْلاقًا إلى مستوى الزَّخارِف المُتَعَدِّدَة الألْوَان[٨٢]، التي ظَهَرَت في مَطْلَع القرن العاشر الهجري/ السَّادِس عشر الميلادي، واسْتَمَرَّت حتى الفَتْرَة المُعَاصِرَة.

البِطَـــانَة

إنَّ الغَرَضَ من إعادَة تَغْطية اللَّوْح الواقي هو تحسين مَظْهَر التَّجْليد، وكذلك تَدْعيم الالْتِحام بين الغِلَاف ومجموع الكراريس؛ وغالِبًا ما تُوضَعُ البِطانَةُ مُلْتَحِمَةً مع المُفَصَّلة («نُقْطَة الاتِّصال بين الدَّفَّة وجِسْم المُجَلَّد»)[٨٣] مُكَمِّلَةً بذلك التَّرْكيب الذي صَمَّمَه المُجَلِّد. وليس من النَّادِر أن نجد في هذا المَوْضِع تَرْميمات كاشِفَةً عن التَّلَف الذي تَعَرَّضَت له هذه المَوَادُّ.

٨٠. راجع N. D. Khalili, B. W. Robinson & T. Stanley, *op. cit.*, pp. 16-17، مع الإحالة إلى مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 155 (المؤرخ في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م)، ومخطوط طوبقبوسراي بإستانبول رقم H 676 (المؤرخ في سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦–١٤٩٧م)، ومخطوط EH 1636 (المؤرخ في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م).

٨١. مخطوط طوبقبوسراي بإستانبول رقم TKS H. 676، المؤرخ سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦–١٤٩٧م، انظر O. Aslanapa, «The art of bookbinding», في B. Gray ed., *The arts of the book in Central Asia*, Londres/Paris, 1979, pl. XVII؛ (يتعلق الأمر بالدفة السفلى، مع الغشاء بخلاف ما أشير إليه).

٨٢. إن الزخارف المذهبة على أرضية سوداء التي توضحها التجليدات الثلاثة المشار إليها سابقًا، لم تعد موافقة لذوق العصر نحو منتصف القرن السادس عشر. واستمرت التقنية مستعملة في إيران إلى القرن التاسع عشر ولكن بطريقة متفرقة. ولم يستبعد روبنسون وستانلي وخليلي مع ذلك أنَّها وَجَدَت حظوةً استمرت في العالم العثماني مرتبطة بسجل غير مُصَوَّر. (*op. cit.*, p. 18).

٨٣. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 184.

الـرَّق

تَستَخْدِمُ التَّجاليدُ المُعَلَّبَة (الأقْرِبَة المَثْنِيَّة) غالِبًا الرَّقّ كَبِطَانَةٍ للألْوَاح ؛ وفي هذه الحالَة فإنَّ الوَرَقَة أو قِطْعَة الوَرَق المُلْصَقَة على لَوْحِ الخَشَب تقوم عُمُومًا بدَوْرٍ مُزدَوَج : فعلاوَةً على دَوْر البِطانَة الطَّبيعي ، فإنَّها تُسْهِمُ في ضَمَانِ التَّرَابُط بين التَّجْليد بمعنى الكلمة ومجموع الكُرَّاسات ، بما أنَّ طَرَفَها مُدْمَجٌ مع أوَّلِ أو آخر كُرَّاسَة . وأحْيانًا ما تَتَحَوَّل نِصْفُ وَرَقَةٍ مُزْدَوَجَةٍ لمَخْطُوطٍ إلى بِطانَةٍ ، ولكن غالِبًا ما يُعَادُ اسْتِخْدامُ أوْراق مَخْطُوطات مهملة . ويَحْمِلُ رَقُّ مَخْطُوطِ إستانبول رقم TIEM SE 2196 نَصًّا قُرآنيًّا لم يُمْحَ حتى قبل لَصْقِهِ على لَوْحِ الخَشَب [٨٤].

الجِـلْد /

تُستَخْدَمُ كذلك جُلُودٌ رَقيقةٌ لإعادَة تَغْطية لَوْحِ الوِقاية ويَتَجاوَزُ طَرَفُها قليلًا إلى وَرَقَة الوِقايَة ، التي تُلْصَقُ عليها . ويُقْطَع هذا الطَّرَفُ على شكل أكاليل الزَّهْر festons... إلخ (شكل ٨١) . وتُشيرُ نَمَاذِجُ ترجع إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى تَفْضيل اللَّوْن الأسْمَر التِّبْغي ، بينما كان يُفَضَّل في العَصْر العُثْماني اللَّوْنُ الأحمر التَّقْليدي الذي نجده في مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 5839 على سبيل المثال [٨٥]. وأحْيانًا ما يكون الجِلْدُ بدون أيَّة زَخْرَفَة . وإذا كان الصَّانِعُ أو مُسْتَكتب النُّسْخَة يَرْغَب في تَزْيين هذا المَوْضِع ، يمكن أن يَخْتار بين طُرُقٍ مختلفة ، باللُّجوء - على سبيل المِثال - إلى التِّقْنيات المُسْتَخْدَمَة للدُّفُوف [٨٦]، أو أيضًا باسْتِعمال الجِلْد المَدْمُوغ بالكيّ (شكل ٨٠) .

٨٤. F. Déroche, «Quelques reliures médiévales de provenance damascaine», *REI* 54, 1986, p. 89؛ انظر (G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 65, n. 4؛ كذلك يرجع بشكل خاص إلى التجليد رقم ٣٣، ص١٠٤) .

٨٥. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 63-64 n°363.

٨٦. صَوَّرَ هالدن العديد من الأمثلة ، D. Haldane, *Bookbindings*, p. 145, n°133, p. 148, n°135 أو أيضًا p. 158-159 n°1488.

٨١. بِطانَةٌ قُطِعَ طَرَفُها على الورقة ١ بشكل مُتَعَرِّج

باريس رقم BnF suppl. persan 278، ورقة ١



٨٢. بِطانَة من الجِلْد المَضْغُوط. نُسْخَة عُمِلَت في بُسْت سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م.

باريس رقم BnF arabe 6041، اللَّوْحُ الواقي الأَسْفَل

٨٣. بِطانَة من الجِلْد والوَرَق . باريس رقم BnF persan 282، اللَّوْحُ الواقي العُلْوي.

وهذه التِّقْنيةُ مُمَيَّزَةٌ جِدًّا للمُنْتَج الوَسيط للعالم الإسلامي ؛ فبواسِطَة قالَب خَشَبي نُحِتَت عليه الوِحْدَةُ الزُّخْرُفية المَرْغوب فيها ، نَحْصُل عن طريق الضَّغْطِ المتتالي على زَخْرَفَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ على جِلْدٍ رَقيقٍ جِدًّا ، غالِبًا ذو لَوْنٍ أَسْمَر [٨٧]. ويبدو أنَّ القالَب كان يُدْهَن برِفْقٍ بمادَّةٍ مُلَوَّنَة بحيث تَمْنَح الأَرْضية صَبْغَةً أَغْمَق من الوِحْدَة الزُّخْرُفية نفسها [٨٨]. وتُذَكِّرنا هذه الزَّخارِفَ غير المَنْقُوشَة عُمُومًا ، طَواعِيَةً بإمْكانات الأرابسك [٨٩]. ونادِرًا ما تَظْهَر نُصُوصٌ في الزَّخْرَفَة : ويمكننا أن نُشيرَ إلى مُجَلَّدٍ من مُصْحَف عليه تَوْقيعُ الصَّانِع (باريس رقم BnF ar. 6041 [٩٠]، شكل ٨٢) ، أو مَخْطُوطات مكتبة أُولو جامع أرقام 315 و318 و324، ومكتبة جِنِل رقم 931 في إنيباى كُتُبْخانه سي ببُورْصَة اللَّاتي تَنْتَمي جَميعُها إلى مجموعةٍ واحدةٍ تُقَدِّم تَنَوُّعًا للنُّقُوش (صِيَغ تَرَحُّم أو تَوْصِية وتَوْقيعات أو خَوارِج نَصّ) .

الوَرَق

إنَّ الكيفية التي كانت تُصْنَع بها التَّجاليدُ ، وعلى الأَخَصِّ أَهَمِّيَّة أوْراق الوقاية في تَماسُك النَّاتِج النِّهائي ، لا يمكن إلَّا أن تُفَضِّل اسْتِخْدامَ الوَرَقِ فَوْق الأَلْواح الواقية . وسَواءٌ تَعَلَّق الأَمْرُ بالوَرَقِ المُسْتَخْدَم في الكرَّاسات أو بمُنْتَجٍ أكثر تَجْهيزًا ، فقد لاقَت هذه المادَّةُ نَجاحًا لم يُخْفِق أَبَدًا . وفي العالم العُثْماني حَقَّق الوَرَقُ المُجَزَّع (الإبْرو) ، على سبيل المِثال ، نَجاحًا مُسْتَمِرًّا لاسْتِخْدامه كبِطانَة ، وعَرَفَت الأَوْراقُ المُلَوَّنَة ذات الزَّخارف الذَّهبية كذلك بعض الحُظْوَة . وقد يَحْدُث كذلك أن يَنْحَصِر اسْتِخْدامُ الوَرَق في جزءٍ مُحَدَّدٍ من البِطانَة : وهي حالة الزَّخارف ذات خُيُوط الذَّهَب المفتولة والمَجْدُولَة ، المُنَفَّذَة على وَرَقَةٍ مُلْصَقَةٍ على أرْضيةٍ من وَرَقٍ مَصْبُوغٍ ومُدْمَجَةٍ داخِل قُصَاصَةٍ مُعَدَّة لذلك من الجِلْد (شكل ٨٣) .

---

٨٧. هناك حالة استثنائية متميزة كونها تجليد شيكاغو Chicago, Or. Inst. A 12108، حيث صنعت بطانته من الجلد المدموغ المصبوغ بالأخضر (CHICAGO 1981, p. 164-166) .

٨٨. CHICAGO 1981, p. 66.

٨٩. انظر مثلا D. Haldane, *Bookbindings*, p. 22, n°1, p. 24-25 n°2, p. 26-27 n°3; CHICAGO 1981, p. 130-135 n°| 35-36, p. 141-142, n°41, p. 153, H, p. 175-176, واللوحة الملونة n°48, p. 172, n°58 n°61.

٩٠. CHICAGO 1981, p. 96-98, n°9.

296 /التَّسيج

تَظْهَرُ في مجموعة القَيْرَوان النَّماذِجُ الأولى المعروفة لاسْتِخْدام الحَرير الأَخْضَر [٩٣] في تَبْطين التَّجاليد ؛ ففي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان النَّسيجُ يُمَدُّ فَوْق الرَّقّ ويُغَطِّي كُلَّ لَوْحِ الوِقاية [٩٤]. ولا يبدو أنَّ هذه المُمارَسَة قد عَرَفَت نَجاحًا مستمرًّا ، ويبدو كذلك أنَّ النَّسيجَ لم يُحْتَفَظ له ـ على الأحرى فيما بعد ـ إلَّا بدَوْرٍ أَصْغَر ، كأرضيةٍ للزَّخارف ذات خُيُوط الذَّهب المجدولة على سبيل المثال . ولكنَّه عَرَفَ اسْتعادَةً لحُظْوَتِه نحو نهاية القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي في الأَوْساط العُثْمانية : وكان اسْتِخْدامُه أحيانًا مَحْصُورًا في اللَّوْح الواقي ، ولكنَّنا نجد في العَديد من المَخْطوطات أنَّ الغِلافَ والبِطانَة كان كلاهما من النَّسيج ، سواء من النَّسيج نفسه ، مثل مَخْطُوط إستانبول رقم TKS A. 3296 [٩٥]، أو من قُماشين مُخْتلفين ـ مثل حال مَخْطُوط إستانبول رقم TKS A. 3438 [٩٦]. ونُشيرُ كذلك إلى مَخْطُوطِ إستانبول رقم TKS R. 880، المُؤَرَّخ سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠ ـ ١٤٨١م ، حيث إنَّ بِطاناتِه من حَريرٍ ذي شَرائط من الكتابة [٩٧].

وَرْنيشُ اللَّك

يمكن زَخْرَفَةُ اللَّوْح الواقي تَمامًا مثل الدَّفَّة بهذه التِّقْنية نفسها (انظر فيما تقدَّم) .

---

٩١. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 121, n°522 .

٩٢. J. Raby , Z. Tanindi, *op. cit.*, p. 120-125, n°4.

٩٣. G. Marçais , L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 142, n°63 bis؛ غُشِّيَت اللوحة الواقية بحرير وردي .

٩٤. انظر G. Marçais , L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 181, 183, 185, 186, etc.

٩٥. J. Raby , Z. Tanîndî, *op. cit.*, p. 150, n°14, ill. p. 152 .

٩٦. J. Raby , Z. Tanîndî, *op. cit.*, pp. 176-177, n°28.

٩٧. *Ibid.*, pp. 180-181, n°30.

الخِياطَة (الحَبْك)

إنَّ الأبْحاثَ العلمية حَوْلَ هذه المَوْضوع ما تَزالُ في بَوَاكيرها . ويبدو أنَّ النُّصُوصَ تَتَّفِقُ على وَصْفِ نَمَطٍ من الخِياطَة يقوم على عَمل غُرْزَةٍ بخَيْطِ إبْرَة وحيد ، تتمُّ به خِياطَةُ جَميع المُجَلَّد . ويتمُّ خَرْم مُؤَخَّر كلِّ كُرَّاسَةٍ بثُقْبَيْن يمرُّ بهما الخَيْط : وفي كُلِّ مَرَّةٍ يَمُرُّ فيها الخَيْط من ثُقْبٍ إلى آخر داخل الكُرَّاس ، يَخْرُج إلى الخارج ، فيقوم المُجَلِّد بعَقْده حول طريق مَساره عند مَدْخل الكرَّاس السَّابِق ، ثم يُدْخله في الثُّقْب المُوَافِق من الكُرَّاس التَّالي [وهو ما يُعْرَفُ بـ«خَيْطِ التَّشْبيك»] . وكما سَبَقَ أن لاحَظَ جولنر بوش G. Boche وج. بيتربريدج G. Petherbridge، فإنَّ هذه التِّقْنية يتمُّ اسْتِخدامُها بصَرْفِ النَّظَر عن حَجْم ووَزْن الكتاب [٩٨]. ومن هذا المَنْظُور يكون تَتِمَّة خِياطَة المَدْرَجَة مُناسِبةً . ومع ذلك فيُشيرُ أَحَدُ النُّصُوص الفارسية إلى نَوْعٍ من الخياطة ذي غُرْزَتَين[٩٩]!

وتُوصي الكتبُ المُخَصَّصَة للتَّجْليد باسْتِعْمال خَيْطٍ رَقيقٍ بحَيث يُقَلِّل الانْتفاخَ النَّاتج عن مُرُوره داخِل الكراريس . ويَهْدفُ هذا الاحْتياطُ إلى تَخْفيض الجُهْد اللَّازم لمُساوَاةِ سُمْك هذه الكراريس وإذهابِ ما يمكن أن يُشْبه الخِطام . ويأتي الضَّرَرُ من المُقاوَمَة الضَّعيفَة لهذه الخُيُوط التي تميل إلى التَّقْطيع .

المَدْرَجَة

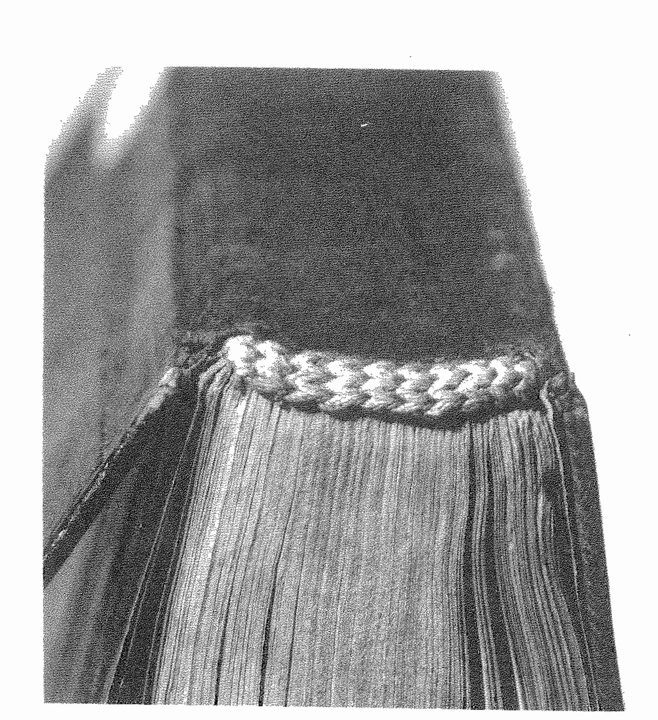
المَدْرَجَةُ في التَّجاليد الغربية هي «خِياطَةٌ للتَّقْوية تُنَفَّذُ بواسِطَة خَيْطٍ أو أكثر بخلافِ خَيْطِ الحِياكَة ، وهي في الغالِب خُيُوطٌ مُلَوَّنة ، على وَترٍ إضَافي بكلِّ طَرَفٍ من جِسْم المُجَلَّد» [١٠٠]. ولم يُعْرَف الوَتَرُ الإضافي في التَّجاليد الشَّرْقية (شكل ٨٢) ، بما أنَّها لا تَعْرف

٩٨. CHICAGO 1981, p. 46.

٩٩. ذكره بورتيه Y. Porter, *Peinture et arts du livre*, p. 109 (والنص غير واضح ويمكن أن يتعلق الأمر بغُرْزه تطريز بسلسلة ذات كراستين؛ راجع D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 180.

١٠٠. D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 181؛ انظر الوصف الذي قدمه السُّفْياني : المرجع السابق ، ص ١٧ - ١٨ (وترجمة ليفي M. Levey, *op. cit.*, p. 53-54) .

هذا العُنْصُر ؛ وكانت المَدْرَجَةُ تُعْمَل على شَريطٍ رَقيقٍ من الجِلْد أو من الرَّقِّ مَبْسُوطٍ على حافَةِ المُجَلَّد ، ولا يَتَّصِل بالألْوَاح [١٠١]. ويُثبَّت هذا الشَّريطُ في مكانه أوَّلًا بخُيُوطٍ من اللَّوْن نفسه الذي تَمَّت به خِياطَةُ الكراريس : ويقوم المُجَلِّدُ بالتَّطْريز على هذا الشَّرَج بخُيُوطٍ ذات لَوْنَيْن بحيث تَبْدُو الخُيُوطُ كالسِّلسِلَة أو الجَديلَة في خَلْفية الكُرَّاسات [١٠٢]. وهذا العُنْصُر ليس عُنْصُرًا زُخْرُفيًّا فقط ، إذ تُعَدُّ المَدْرَجَةُ كتَقْويَةٍ لتَماسُك المُجَلَّد .



٨٤. مَدْرَجَة مشرقية . باريس رقم BnF arabe 4818، تَفْصيل

١٠١. صُنعت بعض تجليدات المصاحف القديمة من النَّمَط I بطريقة مختلفة شيئا ما (انظر فيما يلي) .

١٠٢. *Les tranchefiles brodées*, Paris, 1989, p. 86-89، وانظر كذلك CHICAGO 1981, p. 53-54.

298

/ تَزْوِيقُ الدُّفُوف

الرَّشْم

إنَّ الرَّشْمَ هو تِقْنِيةُ زَخْرَفَة التَّجاليد الأكثر شُيُوعًا. ويسْتَخْدِمُ الصَّانِعُ لذلك قَوَالِبَ [حَديد نَقْشٍ] تُحْفَر عليها بطريقةٍ بارِزَة أو غَائِرَة زخارِفُ أو أجزاءٌ من زَخَارِف يَطْبَعها على سَطْح الجِلْد إمَّا بطَرْقِها بمِطْرَقَةٍ، وإمَّا بواسِطَة مِكْبَس[١٠٣]. وعندما لا يكون بالرَّشْمِ

٨٥. تجليد بقالَبِ نَقْشٍ كبير. باريس رقم BnF Smith-Lesoüef 218، الدَّفَّة العُلْيا

١٠٣. «رَشْم: طَبْع زُخْرُفٍ غير مُذَهَّب على الجلد بواسطة حديد نَقْش أو قالب» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 198).

تَذْهيبٌ يُقالُ إنَّ الرَّشْم «على البارِد»، حتى وإن تَمَّ تسْخينُ القالَب عند تَنْفيذ العَمَل[١٠٤]. وقد شَاعَ اسْتِخْدامُ التَّذْهيب (انظر فيما يلي) على التَّجاليد الشَّرْقية جَنْبًا إلى جَنْب مع الرَّشْم.

299

/ وكانت القَوالِبُ [حَديدُ النَّقْش] المُسْتَخْدَمَةُ للرَّشْم على الجِلْد في العالم الإسلامي تُنْتِجُ نُقُوشًا بأبْعاد مُتبايِنَة: قد يَتَعَلَّق الأمْرُ بوِحْدةٍ زُخْرُفيةٍ صغيرة[١٠٥] أو بلَوْحٍ ذي قِياسٍ كبير[١٠٦] (شكل ٨٥، ٨٦). ويُدْمِجُ الصَّانِعُ في الحالة الأولى أكثر من قالَبٍ للنَّقْش بغَرَضِ الحُصُول على زَخْرَفَة، وفي الحالة الثَّانية يمكنه أن يَزَوِّق دَفْعَةً واحدةً مِسَاحَةً كبيرةً ومُتماسِكة؛ وفيما يَخُصُّ اسْتِخْدام الأدَوات الصَّغيرة أو الألْوَاح تُوجَد علاقات تضامُنية ذات تَسَلْسُل تاريخي سنتناوله فيما بعد. وتَبَعًا لساكسيان Sakisian فإنَّ القَوالِبَ المستخدمة في إيران كانت أوَّلًا من الجِلْد اليابس ولم تُسْتَبْدَل إلَّا مُؤخَّرًا بقَوَالِبَ مَعْدِنية كتلك التي تَظْهر في المجموعات المختلفة[١٠٧].

وابْتداءً من الفَتْرَة التي بدأ يَنْتَشِرُ فيها اسْتِخْدَامُ القَوالِب الكبيرة الحَجْم، أي خِلال النِّصْف الثَّاني للقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، صَاحَبَ عَمَلِيَّة الرَّشْم تَمْهيداتٌ بغَرَضِ تَحْسين النَّتائج. فقد سَعَى المُجَلِّدون العُثْمانيون إلى تَنْمية تأثير النَّقْش البارِز النَّاتِج عن القَوَالِب [حَديد النَّقْش] باستِخْدام قَوَالِب خَشبية يُظْهِر فيها مَوْضِعُ

١٠٤. «على البارد: بدون تذهيب (الأمر الذي لا يستبعد استعمال آلة ساخنة)» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 198) وتُقَدِّر أورسولا درايبولدز أنَّه لا يمكن الحصول على نوعية الضَّغْط الناتج على تجليد صنعاء رقم Saan'a' C/6، الذي يرجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إلَّا باستخدام حديد نَقْشٍ ساخِن (U. Dreibholz *op. cit.*, p. 18-19)، ويُوصي الإشْبيلي بتَسْخين حديد النَّقْش ثم تبريده في الماء البارد (A. Gacek, *op. cit.* (*MME* 5), p. 100).

١٠٥. حديد نَقْش صغير: «قالب صغير الحجم يستوجب أن نكرره أو أن نخلطه بقوالب أخرى لتكوين زُخْرُفٍ» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 199).

١٠٦. «حديد نَقْشٍ كبير الحجم بدون مِقْبَض يطبع بواسطة مكبس» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 200; Roberts and Etherington, *op. cit.*, p. 187).

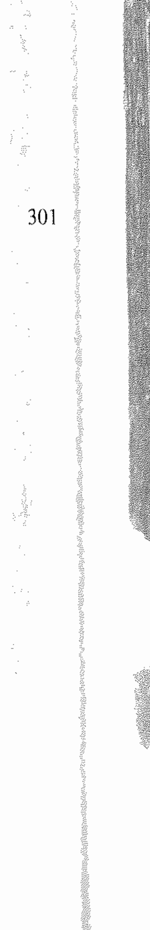
١٠٧. A. Sakisian, «La reliure persane au XVº siècle sous les Timourides», *Revue de l'art ancien et moderne*, 66, (1934), p. 148؛ وعلاوة على بعض نماذج قَوَالب الأختام المحفوظة في المتاحف الأوروبية (مثلًا في Victoria and Albert Museum بلندن انظر D. Haldane, *Bookbindings*, p. 12-15, fig. 9-17؛ أو في Linden Museum, Stuttgart)؛ وتمتلك ورش ترميم المكتبة السليمانية بإستانبول – ومكتبات أخرى دون شك – قوالب قديمة يجب أن نتعرف عليها جيدا، انظر كذلك CHICAGO 1981, p. 70, fig. 10 et p. 72, fig. 13.



٨٦. تجليد بقالَب نَقْشٍ كبير ذو زخارف حيوانية. باريس رقم BnF suppl. persan 985، الدَّفَّة السُّفْلى.

الزَّخْرَفَة نوعًا من التَّفْريغ (انظر فيما تقدم) ؛ ويضع المُجَلِّدُ في هذا المَوْضِعِ طَبَقَةً غَنِيَّةً من الغِرَاء قبل أن يَرْشُم جِلْدَ الغِشَاء فيتخذُ حينئذٍ بُرُوزًا ظاهِرًا [١٠٨]. وقد يَحْدُثُ أحيانًا أن يُلْصَق على الجِلْد ، حيث ستوضع الزَّخْرَفَة ، وَرَقَةٌ رَقيقَةٌ من الجِلْد أو الوَرَق قُطِعَت على قِياسِ شَكْلِ القَوَالِب وبلَوْنٍ مُخالِفٍ لبقية الغِشَاء بغَرَضِ الحُصُول على نَوْعٍ من التَّضَاد .

وعندما يكون العَمَلُ مُكَوَّنًا من أكثر من مُجَلَّد ، كان عُنْوانُ الكتاب أو رَقَمُ المُجَلَّد يَظْهَران على التَّجْليد لا على حافَة الكتاب ، كما هو الحالُ عادَةً . وكانت هذه الإشاراتُ تُرْشَمُ في بعض الحالات على النُّسَخ المُعْتَنى بها : فيُوجَد على صَدْرِ أو مُقَدَّمِ الأجزاء المختلفة للمَصَاحف المغربية الثَّلاثة المُتَعَدِّدة المُجَلَّدات ، سواءٌ الذي نَشَرَه بروسبير ريكار Prosper Ricard [١٠٩]، أو الآخر المحفوظ في باريس برقم BnF ar. 391-392، أو الرَّبْعَة المَحْفُوظة في المتحف الإسلامي بالحَرَم الشَّريف بالقُدْس رقم ٣ [١١٠] الرَّقَم المُسَلْسَل بكامل الحُرُوف (الأوَّل ، الثَّاني ... إلخ) ؛ وكثيرًا ما نجد على المَصَاحِف ذِكْرَ الآية ٧٩ من سُورَة الوَاقِعَة [١١١]، وكذلك نصوصًا أخرى مُطَوَّلَة سنتناولها فيما بعد .



301

/ التَّقْطيعُ والزَّخْرَفَة بالتَّفْريغ

لقد عُرِفَت تِقْنِيةُ الزَّخْرَفة بالتَّفْريغ منذ زَمَنٍ بعيد [١١٢]: وهي تَعْمل على ابْتِكار زَخْرَفَةٍ عن طريق قَطْعِ الجِلْد بالرَّسْم الذي يُريدُونَه ثم يَلْصقُونَه على خَلْفيةٍ مُلَوَّنةٍ من النَّسيج أو

١٠٨. A. Sakisian, *op. cit.* (51, 1927), p. 278, n. 5; J. Raby , Z. Tanindi, *op. cit.*, p. 216.

١٠٩. «Reliures marocaines du XIII° siècle. Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohades», *Hespéris*, 17, (1933), p. 109-126؛ ويجب أن نضيف إلى المجلدات التي أشار ريكارد Ricard إلى وُجودها في مَرَّاكُش المجلد الرابع ، الموجود بالمكتبة الملكية بالرباط (حصة البيع ، السيد M-le Blanc, باريس ٢٦ فبراير ١٩٩٠ الحصة رقم ٨٠) ، والمجلد الرابع في لندن BL Or. 13192 (M. Lings et Y. H. Safadi, LONDON 1976, p. 89, n°158)، والمجلَّد الثامن في چين مجموعة Bruschettini (Vente M- Couturier et Nicolay, باريس ٢٧ يونيه ١٩٧٥، الحصة رقم ١٥٦) .

١١٠. Kh. Salameh, *The Qur'ân manusripts in the al-Haram al-Sharîf Islamic Museum*, Jerusalem, Reading - Paris 2001, pp. 66-73.

١١١. CHICAGO 1981, p. 207, n°82، بالنسبة لنموذج قديم .

١١٢. وبالاقتصار على مجال الكتاب، سيكون أقدم مثال هو قطعة من تجليد وُجِدَ في آسيا الوسطى في كوشو =

٨٧. تَقْطيعُ جِلْدٍ على خَلْفيةٍ من النَّسيج. مصر، نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
باريس BnF arabe 5845، الدَّفَّة العُلْيا.

الوَرَق[١١٣] (شكل ٨٧). وتُصَوِّرُ لنا العَديدُ من التَّجاليد المملوكية الدِّقَّة المُفْرِطة لهذه العَمَلية: وقد نُفِّذت الزَّخْرَفَةُ المركزية (السُّـرَّة) وزَخارِف أرْكانِ الدَّفَّتين في مُصْحَفِ باريس رقم BnF ar. 5845 بهذه الطَّريقة، وتَتَّضِح فيه الزَّخْرَفَةُ على أرْضيةٍ من الحَرير الأخْضَر[١١٤]. واسْتُخدِمَ الوَرَقُ كذلك لقَطْع الخُيُوط الذَّهبية المَجْدُولَة، وعلى الأخَصِّ بالنِّسْبَة لزَخْرَفَة ألْواح الوِقايَة الأقَلّ تَعَرُّضًا للاحتكاك والقابِلَة إذًا لتَحمُّل مَوادَّ أقَلَّ مُقاوَمَة[١١٥] (شكل ٨٣).

وتُوجَدُ تِقْنِيَةٌ أخرى لتَنْفيذ زخارِف يَدْخُل فيها التَّقْطيع: نعني بها التَّجاليد ذات الأشْكال الفُسَيْفِسائية[١١٦] (أو المُرَكَّبة من عَناصِر مختلفة)، التي لم يُشَر فيها، على حَدِّ عِلْمِنا، إلَّا إلى أُنْمُوذَجٍ وَحيد[١١٧].

تِقْنِيَاتٌ زُخْرُفِيَّةٌ أُخْرىٰ

التَّرْصيع أو الحَفْر

لقد أثارَ مَوْضُوعُ مَعْرِفَة المُجَلِّدين المسلمين تِقْنية التَّرْصيع (أو الحَفْر)[١١٨] نِقاشًا حادًّا بالفِعْل: فيذْكرُ ساكِسْيان Sakisian الذي ناقَشَ هذه المسألة، أنَّ ل. جرييل L. Gruel

---

= يرجع تأريخه إلى القرن الثاني أو الثالث للهجرة/ الثامن أو التاسع للميلاد، وَرَدَ عند H.-J. Klimkeit, *Manichæan art and architecture* [Iconography of religions, 20], Leyde, E. J. Brill, 1982, p. 50 et fig. 56، وغالبا ما تم اقتراح أصْلٍ قبطي له (راجع مثلا CHICAGO 1981, p. 69).

١١٣. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 101-113, n°107، وتستحق هذه الصورة أن تُفْحص: فهي تسمح بمشاهدة العناصر المختلفة المكوّنة لتجليد إيراني متأخِّر (القرن السابع عشر أو الثامن عشر) (Roberts and Etherington, *op. cit.*, p. 156) حيث تَمَّ تصويره في أثناء ترميمه.

١١٤. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 54-55, n°346 واللوحة XI A.

١١٥. يصدق ذلك بوجه خاص على العالمين الفارسي والعثماني، حيث الجلد المستعمل للأغْشية رقيق للغاية؛ ومن هذا المنطلق وكما سبق أن لاحظ ذلك سكيسيان A. Sakisian (*op. cit.* (1934), p. 150)، فإنَّ الآثار ذات الخيوط الذهبية تكون عموما في الألواح الواقية، ما عدا بعض الاستثناءات مثل مخطوط إستانبول رقم TIEM 3282 المنسوخ في سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م في شيراز.

١١٦. «تجاليد نُفِّذَت فوقها أغشية مزخرفة متجاورة من جلد مختلف الألوان» (D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 198).

١١٧. *Arts d'Orient*، بيع ١٤-١٥ أبريل ١٩٩٧، دراسة F. de Ricqlès، حصة رقم ٦٦٠ (ويُغَطِّي التجليد الذي لم نستطع فحصه مخطوطًا وُصِفَ بأنَّه عثماني يرجع إلى النصف الأول من القرن السابع عشر).

١١٨. «جلد مُحَزَّز: غشاء من الجلد رُشِمَ عليه =

«أكَّدَ له بطريقةٍ قاطِعةٍ عَدَم وُجودِ تجاليد إسْلامية مُرَصَّعَة أو مَحْفُورَة» [١١٩]. وإنَّما عَرَفَ صُنَّاعُ العالمِ الإسْلامي تِقْنيةً تَقُومُ على تَحْزيز سطح الجِلْد بسِنٍّ رَقيق (مِنْحَت). ويبدو أنَّ هذه التِّقْنية، التي تَشْهَدُ عليها تجاليدُ تَرْجِعُ إلى القرن الثَّالِث الهجري/ التَّاسع الميلادي أو الرَّابع الهجري/ العاشِر الميلادي، خُصِّصَت للحُصُول على تَحْزيزاتٍ رَقيقة مُتوازية تُشَكِّلُ خَلْفِيةً أو تُؤدِّي / عَمَل عُنْصُرٍ زُخْرُفي [١٢٠]؛ وتُوجَدُ في بعض النَّماذِج شَبَكتان من التَّحْزيزات تتقاطعان وتَرْسمان مُعَيَّنات صغيرة. ورُبَّما يجب أن نُقارِنَ هذه التِّقْنية بتِقْنيةٍ عُرِفَت فيما بعد كانت فيها أرْضيةُ الزَّخْرَفَة مُغَطَّاةً بخُطُوطٍ كَثيفَة مُنَقَّطة، وكانت هذه الخُطُوطُ تُذَهَّبُ أحيانًا أو تُتْرَك كما هي أحيانًا أخرى [١٢١].

وتُظْهِر تجاليدُ يَمَنية مع ذلك زَخْرَفَةً تُغَطِّي دِقَّة المُجَلَّد وتُقَدِّم تَشابُهًا مع ما يُطْلِق عليه مُتَخَصِّصو التَّجْليد الغَرْبي «التَّرْصيع أو الحَفْر» [١٢٢]. إنَّ جُهْدًا بَحْثيًّا حول هذا المَوْضوع، وعلى الأخَصِّ حَوْل المُصْطلحات التِّقْنية، من شأنه أن يُجَلِّي هذه المُشْكلة.

= زُخْرُف بواسطة أداة حادة» H. Osborne (ed.),) *The Oxford Campanion to the Decorative Arts*, Oxford 1975, pp. 542-543; D. Muzerelle, *Vocabulaire*, p. 198).

١١٩. Sakisian, *op. cit.*, p. 149.

١٢٠. تمت الإشارة إلى ذلك في القيروان (G. Marçais , L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 81, n. 1)، وأيضًا بخصوص تجاليد يحتمل أنها تعود إلى دمشق (F. Déroche, *op. cit.* [*REI* 54], p. 91)، ومخطوط إستانبول رقم TIEM SE 2772) واستمرت هذه التقنية لبعض الوقت أيضًا : انظر مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 7263 (F. Richard, Paris 1997, p. 37, nº1)، ومجموعة خاصة : (F. Déroche, «Une reliure du V^e /XI^{e}S.», *NMMO* IV/1, 1995, p. 4 bis et pl. p. 19 ولوحة IVa) ودَلَّنا جون فيزان إلى وجود مواز ممكن مع الدفة السفلى لتجليد إنجيل يوحنا المُحْضَر من قبر القديس كتبر Saint Cuthbert وملئت الثلوم في هذا المثال بالأصباغ (T. J. Brown éd., *The Stonyhurst Gospel of Saint John, Oxford*, 1969, p. 14)، وتضم أمثلة قديمة أخرى من أوروبا العصور الوسطى مخطوطات أخرى منها : مخطوط فولدا رقم Fulda, Hessische Landesbibliothek, Cod. Bonifatianus 3، من القرن الثامن؛ ومخطوط ميونخ رقم BSB c.l.m 6294 من النصف الثاني للقرن العاشر (راجع، J. Vezin, «Les plus anciennes reliures de cuir estampé dans le domainelatin»، و S. Krämer et M. Bernhard ed., *Scire litteras, Forschungen zum mittelalterlichen Geistesleben*, [Bayerische Akademie der Wissenschaften, Phil.-hist. Klasse, Abhandl., Neue Folge, 99], Munich, 1988, p. 394 والهامشين رقم ١١ و١٢ للببليوجرافيا).

١٢١. J. Raby et Z. Tanindi, *op. cit.*, p. 113, 116 (أرضية هالة الدفة العليا وأرضية زَخْرَفَة أُذُن أو لِسان مخطوط إستانبول رقم TKS R. 1726 المؤرخ سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م) وأيضًا ص ١٨٩ (أرضية الثقوب المذهبة في الدفة السُّفْلى لمخطوط إستانبول رقم TIEM 2031، المؤرخ سنة ٨٨١هـ/١٤٧٧م).

١٢٢. انظر مثلًا M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 19 (مخطوط برلين رقم SB Glaser 195، المنسوخ سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م)، أو D. Duda, *Isl. Hss.*, 2/1, p. 275 وشكل 237 (مخطوط ڤيينا رقم ONB Cod. Gl. 60، المنسوخ سنة ١٠٤٣هـ/١٦٣٤م).

الخُيُوطُ البارِزَة

لقد أتاحَت تِقْنيةٌ خاصَّةٌ بمجموعةٍ من التَّجاليد القَديمَة الحُصُولَ على زَخْرَفَةٍ بارِزَة. وتَمَّ الحُصُولُ على الوِحدات الزُّخْرُفية المُزَيِّنَة للدَّفَّتين بوَضْع خُيُوطٍ على ألْوَاح الخَشَب [١٢٣] ثُبِّتت (بالتَّغْرية ؟) على طُولِ التَّحْزيزات غير الواضِحة، راسِمَةً بذلك الوِحْدَة التي تَمَنَّى الصَّانِعُ إبْداعَها. وبمُجَرَّد وَضْع الخُيُوط في مكانها يمُدُّ المُجَلِّدُ على اللَّوْح الخَشَبي جِلْدًا رَطْبًا يَنْكَمِش عند جَفافِه مُظْهِرًا عندئذٍ الرَّسْم الذي أحْدَثه مُرُورُ الخُيُوط، وكان من المحتمل تَحْسين وُضُوح الزَّخْرَفَة في أثناء عملية الصَّقْل، على سبيل المثال، بتمرير أداةٍ تُظْهِر جَيِّدًا العَناصِر البارِزَة وتُمَهِّد بَقِيَّة الجِلْد [١٢٤]. وعُرِفَت هذه التِّقْنيةُ أوَّلًا بفَضْل التجاليد القَديمَة لمَصَاحِف القَيْروان، ثم يبدو أنَّها شاعَت بعد ذلك في العالم الإسلامي، وتَمَّ تَنْفيذُها كذلك في الأوْساط المسيحية [١٢٥].

التَّطْريز/

حَفِظَت لنا تجاليدُ مَتْحَف ڤيكتوريا وألْبِرْت بلندن أرقام 1945 & 1945A-1981 ومَخْطُوط مكتبة جامعة إستانبول رقم A. 6570 نَماذِجَ لتِقْنيةٍ تَخْتَلِفُ عن تَطْريز النَّسيج التي تَعَرَّضْنا لها منذ قليل: ففي هذه الحالَة اسْتُغِلَّ الغِشَاء الجِلْدي كحامِلٍ لزَخْرَفَةٍ مُطَرَّزَة [١٢٦].

١٢٣. إنَّ التجليد رقم ١٢٦ في القيروان هو الشاهد الوحيد على أن هذه التقنية استعملت كذلك مع لوح خشبي من الورق المقوى (راجع : G. Marçais , L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 243 واللوحة XXVII b).

١٢٤. G. Marçais , L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 21.

١٢٥. انظر تجليد مخطوط شيستربيتي بدبلن السرياني رقم CBL 2 الذي يعود إلى القرن الثامن أو التاسع للميلاد (B.Van Rogemorter, *Some Oriental bookbindings in the Chester Beatty library*, p. 7-8 , 11 اللوحة 3b). ونشير هنا إلى المقارنات التي اقترحها فان روجمورتر بين التجاليد القيروانية وتجاليد القديس كتبر (Le Moyen-Age 61, (1955), p. 25، «Le Codex relié depuis son origine jusquau haut Moyen Age»؛ ولعرض حديث للتجليد انظر T. J. Browen (ed.), *The Stonyhurst Cospel of Saint John*, Oxford, 1969, p. 13-23).

١٢٦. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 170-171, nº159 (بالنسبة للمثال اللندني) و BERLIN 1988, p. 102, nº29. ويمكن أن نضيف إليه مخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 271 ,GENÈVE 1995, p. 66-67, nº28).

التّذْهيبُ والصَّقْل

التّذْهيب

لقد اسْتُخْدِمَ التّذْهيبُ بكثرةٍ لإبْراز زَخارِف التَّجاليد (أشكال ٨٥-٨٧) . ولتأريخ بداية هذا الفَنِّ يمكن أن نَعُدَّ مجموعةً من التَّجاليد المغربية كنُقْطَة انْطِلاقٍ لذلك [١٢٧]؛ ولكنْ يجب أن نُجْري دون شك أبْحاثًا أكثر اتِّساقًا لمَعْرِفة ما إذا كان القرنُ السَّابع الهجري/ الثَّالث عشر الميلادي قد عَرِفَ ظُهُور هذه التِّقْنية في العالم الإسلامي . وفَضْلًا عن ذلك فإنَّ الغُمُوضَ يَشُوبُ الطَّريقَة التي عَمِلَ بها المُجَلِّدون بالفِعْل . وقد أظْهَرَت سِلْسِلَةٌ من التَّحْليلات الحَديثَة على المَوادِّ المُسْتَخْدَمَة وُجودَ الزِّئْبَق في تَذْهيب تَجْليد مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 5844؛ ويَتَعَلَّقُ الأمْرُ بزِئْبَقٍ مَمْزُوجٍ بالذَّهَب ، ما زال اسْتِخدامُه لتَذْهيب الجِلْد مَجْهولًا إلى الآن [١٢٨].

وبالرَّغْم من أنَّ اسْتِخْدامَ اللَّوْن الأزْرَق كان مَحْدُودًا جِدًّا ، قِياسًا بالتَّذْهيب فيما يَتَعَلَّق بالمِسَاحَة ، فقد اسْتَخْدَمَ المُجَلِّدون هذا اللَّوْنَ لإبْراز الزَّخارِف ، على هَيْئة خُطُوطٍ تَرْسم مُحيط الوِحْدات الزُّخْرُفية [١٢٩] . ففي تَجْليد مَخْطُوط باريس رقم BnF ar. 5844، الذي تَحَدَّثنا عنه للتَّو ، أظْهَرَت التَّحْليلاتُ أنَّ هذا اللَّوْن الأزْرَق ناتِجُ خَلْط اللَّازَوَرْد مع الأزُوريت ، وهي تَرْكيبة تُعادِلُ ما لاحَظْناه على تَزايينَ هذا المَخْطُوط نفسه [١٣٠].

---

١٢٧. P. Ricard, *op. cit.* (يُشيرُ المؤلِّفُ إلى وجود الفِضَّة في زَخْرَفَة بعض التجاليد) . وقد سبقت الإشارةُ إلى أرقام حِفْظ المجلدات المختلفة . ويذكرنا چون ڤيزان J. Vezin، مع ذلك ، بأنَّ التجاليد الغربية للعصور الوسطى المتأخِّرة استعادت التَّذْهيب . (مخطوط فولدا Fulda, Hessische Landesbibliothek, Cod. Bonifatianus 3، تجليد تم قبل سنة ٨٥٤م نجد فيه الثلمات مُزينة بقُرَاضَة الذَّهَب والفِضَّة ؛ ومخطوط ميونخ رقم BSB c. l. m. 6294، الذي رُبَّما جُلِّد في تول Toul في النصف الثاني للقرن العاشر الميلادي ، والذي ذُهِّبَ فيه حَديدُ النَّقْش بالذَّهَب السائل) .

١٢٨. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صُنَّاع الكتاب» .

١٢٩. أشار ويسويلر إلى هذا الاستخدام في تجاليد قَدَّرَ أنَّها ترجع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (انظر M. Weisweiler, *Bucheinband*, p. 171, nº 329، مخطوط شهيد علي بالسليمانية بإستانبول رقم 1740 المؤرخ سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م) .

١٣٠. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صُنَّاع الكتاب» .

الصَّقْل

أَوْلَى أرمِناج ساكِسيان Arménag Sakisian أَهَمِّيَّةً كبيرةً لهذه المرحلة المُتَمِّمَة للعَمَل [١٣١]. يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بمَنْح بريقٍ قاتِمٍ للأشياء بدَلْكِها بمِصْقَلَة (من عَقيق أو مَعْدِن) بحيث تُؤَدِّي إلى اسْتواء السَّطْح .

305

/ وَرْنيش اللَّك

هذا المُصْطَلَح لا يَعْني المُلَوَّن الأحمر النَّاتج عن القِرْمِزيَّات ، ولكنَّه يَنْطَبِق على أشْياء وعلى الأخَصِّ على تَجاليد زُخْرِفَت كما لو كانت رَسْمًا بطُرُقٍ مُخْتَلِفَة ، ثم غُطِّيت بعد ذلك بطَبَقَةٍ سَميكة من طِلاءٍ لامِع [١٣٢] (شكل ٥١) .

الرَّسْم

كانت الزَّخْرَفَةُ تُرْسَم أحيانًا مُباشَرَةً على الجِلْد ، وتختلف هذه التِّقْنية عن اسْتِخْدام وَرْنيش اللَّك وأيْسر في التَّطْبيق [١٣٣] (شكل ٨٨) .

---

١٣١. A. Sakisian, *op. cit.*, (1934), p. 149; *op. cit.*, (51, 1927), p. 278, n. 5. انظر كذلك فصل «الأدوات المستخدمة في صناعة الكتاب» .

١٣٢. يوجد في مطلع كتالوج الأدوات المُلَيَّكة في مجموعة ناصر خليلي نِقاشٌ للمشاكل التي طرحها استخدام كلمة «لَكّ» (N. D. Khalili, B. W. Robinson , T. Stanley, *op. cit.*, pp. 10-11) .

١٣٣. *L'Art du livre arabe, du manuscrit au livre d'artiste*, Paris, 2001, p. 160-1, nº122 (مخطوط بارس رقم BnF arabe 7219) . وذكر ريكارد (P. Ricard, *op. cit.*, p. 110, n. 3) تجليدًا زُخْرِفَ بهذه التِّقْنية ربما يرجع إلى القرنين السابع – الثامن الهجري/ الثالث عشر – الرابع عشر الميلادي ، محفوظ في متحف بَطَا بفاس .

٨٨. تَجْليد عثماني بزخْرَفة مرسومة. المتحف البريطاني بلندن BL Or. 15960

أنْماطُ التَّجْليد وزَخْرَفَتُها

هُناك العَديدُ من المَنْشُورات التي تَناوَلَت بالفِعْل تاريخ التَّجْليد في العالم الإسلامي : فتُوجَدُ دراساتٌ عن عَصْرٍ مُحَدَّدٍ أو عن إقْليم مُعَيَّنٍ أو عُرُوضٌ عامَّةٌ تُوَجِّه عالِم المَخْطُوطات عند فَحْصِه أغْلِفَة المَخْطُوطات التي سيهتم بها . وغَرَضُ السُّطُور التَّالية ـ بشَكْلٍ أكثر تَوَاضُعًا ـ تَناوُل التَّوجُّهات الكبرى لهذا الفَنِّ بطريقَةٍ مُوجَزَة ، مع التَّشْديد على إمْكانية (وضَرُورَة) تَرْتيب الزَّخارِف والدِّراسَة الجَيِّدَة للأدَوات المُسْتَخْدَمَة من الصُّنَّاع . ولن نُفَصِّل ، في إطار هذا النَّصّ ، الحَديث على تَزْويق المُوَادّ المَحْدُودة

الاسْتِخْدام (النَّسيج ، والمَوَاد الثَّمينَة ، ووَرنيش اللَّك ...) . ولن نَتَنَاوَل كذلك الحَديث عن التَّقاليد الخاصَّة جِدًّا التي نَمَت في أفريقيا جنوب الصَّحْراء أو في جنوب آسيا إلَّا نادِرًا في السُّطُور التَّالية[١٣٤].

النَّمَطُ I

البِنْية

يَرْتَبِطُ بهذا النَّمَط الأوَّل أقْدَمُ نَمَاذِج التَّجْليد الإسلامي المحفوظة . فهَيئتُها المُتطاوِلَة في أغْلَب الأحْيان ، والتي نادِرًا ما تكون عَمُودية ، وبِنْيتها على شكل عُلْبَة (قِرَاب) هي أهَمّ ما يُمَيِّزها (شكل ٧٩) . وتَظْهَرُ هذه التَّجاليدُ في حالة إغْلاقها مثل الصَّناديق أو الأقْرِبة ولاسِيَّما أنَّ وَضْعَ إغْلاقها يَسْمَح بالإبْقاء عليها في حالة إغْلاقٍ جَيِّد : حيث يَدُور سَيْرٌ من الجِلْد مُثَبَّتٌ في الدَّفَّة السُّفْلى على رَزَّة مَغْروزة في سُمْك الدَّفَّة العُلْيا . وتَخْتلف هذه التَّجاليدُ اخْتلافًا تامًّا عن التَّجاليد المعاصِرة الأكثر أُلْفَة[١٣٥]. فهذه التَّجاليدُ كانت تَخْتَصُّ ـ كما يمكن أن نَحْكُم عليها ـ[١٣٦] / بالمَصَاحِف ، الأمْرُ الذي يُفَسِّر شَكْلها الخاصّ ، والذي يَعْكس الاهْتَمام بتوفير أقْصى حِمايَةٍ لها .

وكان كَعْبُ هذه التَّجاليد مُعَرَّضًا بدَرَجَةٍ كبيرة للصَّدَمات . فوَزْنُ الألْوَاح الخَشَبية فقط كان يَتَطَلَّبُ نِظَامَ رَبْطٍ مَتين بين مجموع الكراريس والتَّجْليد نفسه ، الأمْرُ الذي لم يَحْدُث أبَدًا عَمَليًا . وغالِبًا ما لم يمكن الحُصُول على التَّرابُط بين هذين العُنْصرين ، في تجاليد القَيْرَوان كما في تجاليد دِمَشْق ، إلَّا عن طَريق لَصْقِ قِطْعَةٍ من الرَّقّ مُدْمَجَةٍ بالكرَّاسات على الألْوَاح الواقية ، ويمكن أن تتعلَّق إمَّا بنصف الوَرَقَة المُزْدَوَجَة الخارجية للكُرَّاسَة الأولى أو الأخيرة ، وإمَّا بقطعةٍ كبيرةٍ نِسْبيًّا تَنْتهي بعَقِب مَخيط خارِج أحَد

---

١٣٤. فيما يَخُصُّ المجموع السابق ، انظر المعلومات البيليوجرافية الواردة في الهامش رقم ٢٦ فيما سبق .

١٣٥. إنَّ الشَّواهد المحفوظة من هذه الفترة نادرةٌ جدًّا ، وقد سَبَق أن أشرنا إلى تجليد «جَامِع» ابن وَهب المكتوب على البَرْدي (انظر هامش ٣٤) . ونُذَكِّر كذلك بأنَّ لَوْحَ الخشب المُغَشَّى المحفوظ في متحف الفن الإسلامي ببرلين لا يمكن أن يكون تجليدًا (انظر أعْلاه) .

١٣٦. إنَّ قسمًا كبيرًا من هذه التجاليد لا يَتَّصِل بالمخطوط الذي يحميه ، لذلك فمن غير الممكن الوصول إلى تأكيد لذلك .

الكراسات الطَّرَفية[١٣٧]، أو أيضًا مُلْصَقًا بجِذْر الصَّفْحَة الأولى أو الأخيرة[١٣٨]. ولاحَظَ جورج مارسيه Georges Marçais ولويس بوانسو Louis Poinssot في عَدَدٍ كبيرٍ من حالات تَجاليد القَيْرَوان ثُقُوبًا على مَقْرُبَةٍ من الكَعْب نحو منتصف الألْوَاح الخشبية تَمُرُّ من خِلالها بقايا الخَيْط : وفَسَّرا هذه المُؤَشِّرات كأثَرٍ لعمليةٍ مُخَصَّصَةٍ لتثبيت مجموع الكراريس بالتَّجْليد برَبْطِ سِلْك الخياطة باللَّوْح الخَشَبي[١٣٩].

وكانت الكُرَّاساتُ نَفْسُها تُخاطُ على قِطْعَةٍ من الرَّقّ أو نَسيج الكَتَّان المَخْفية في كَعْب التَّجْليد. وكانت مَيْزَةُ هذا الأُسْلُوب هي سُهولةُ تَنْفيذه حتى إنَّ هَشاشَتَه لم تكن تُضيرُه. كما أنَّ الضُّغُوطَ على كَعْبِ المَخْطُوط، غير المُدَعَّم، يجب أن تكون سَبَبًا سَريعًا في ذلك. وهذا ما يُفَسِّر وُجُودَ عَدَدٍ كبيرٍ من كُعُوبِ المَخْطوطات المُرَمَّمة، ومنذ عُصُور قديمة نِسْبيًّا[١٤٠]. وكانت المَدْرَجَةُ تُعْمَلُ من خُيوطٍ مُلَوَّنَة[١٤١] وكان أحَدُ خُيُوط الحِياكة يَخْتَرِقُ مُؤَخِّر الكُرَّاس من ثُقْبٍ يقع على مَقْرُبَةٍ من حافَة الأوْراق يُثَبِّتُ قِطعةً من الجِلْد أو الرَّقّ تَدُورُ حَوْلَ نفسها يُطَرَّزُ عليها شارَةٌ زُخرفية. واسْتُخْدِمَ في القَيْرَوان أُسْلُوبان لتَثْبيتِ طَرَفي المَدْرَجَة؛ كان الصَّانِعُ، في الأوَّل، يَحْفُرُ حَزًّا في حَرْفِ لَوْح الخَشَب؛ وعن طريق «ثُقْبٍ نُقِبَ في زاوية [هذا الأخير]» كانت تَمُرُّ الخُيُوط التي تُثَبِّتُ المَدْرَجَة في مَكانها، غير أنَّ الرَّسْمَ المَنْشُور ليس واضِحًا تمامًا[١٤٢]. وفي الحالة الثَّانية هُيِّئَ الحَزُّ على السَّطْح الخارجي للَوْح الخَشَب وَفْقًا لمِحْوَر تَنْصيف الزَّاوية، ويَنْتهي بثُقْبٍ يَنْقُبُ لَوْحَ الخَشَب يُمَرِّر المُجَلِّد من خِلاله طَرَف المَدْرَجة ويُخْرجه من الجانِب الآخر ويَلْصِقه على اللَّوْح الواقي[١٤٣].

١٣٧. T. W. Arnold, A. Grohmann, *op. cit.*, p. 46; G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 19-20; F. Déroche, *op. cit.* (*REI* 54), p. 93.

١٣٨. أشار مرسيه وبوانسو إلى هذه الطريقة الأخيرة.

١٣٩. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 18-19 et fig. 3 a, b, c.

١٤٠. على سبيل المثال، مخطوطا إستانبول رقما TIEM SE 23, 2196 (F. Déroche, *op. cit.* [*REI* 54], p. 86 et 89). ويبدو أنَّ مارسيه وبوانسو (G. Marçais, L. Poinssot *Objets*, t. I, p. 16) فكَّرا في أنَّ التجاليد اسْتَخْدَمَت أحيانًا دفعةً واحدة ثلاث قطع من الجلد لتغليف المجلَّد، وفي ظَنِّنا أنَّ الأمر يتعلَّق غالبًا بترميمات قديمة.

١٤١. يبدو أنَّ هذه هي القاعدة : وأن استخدام خيط عادي اقتصر فيما يبدو على ترميمات بدائية (G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 20).

١٤٢. *Ibid.* والشكل 3d و 3e.

١٤٣. *Ibid.*

/ وتَبَعًا لتَقْليدٍ مُسْتقِرٍ في الشَّرْق كانت المَخْطُوطاتُ تُخَزَّنُ بطَريقَةٍ مُنْبَطِحَة الواحِد فوق الآخَر، لذلك تَمَّ التَّفْكيرُ في وَضْعِ أثْقالٍ على ألْوَاح الخَشَب بغَرَضِ حِمايتها من الاحْتِكاكات التي لا مَفَرَّ منها بسبب هذا النِّظام من التَّخْزين[١٤٤].

الزَّخارِف

يَبْدُو أنَّ جَميعَ الألْوَاح الخَشَبية للتَّجاليد المُغَلَّبَة (الأقْرِبَة) التي وَصَلَت إلينا كانت مُغَلَّفَة : وفي الحالاتِ التي فُقِدَ فيها جِلْدُ الغِشَاء، احْتَفَظَ الخَشَبُ بأثَرِ الزَّخْرَفَة التي كانت مَرْشُومَةً عليه. حَقيقةً أنَّ الجِلْدَ يمكن أن يَظَلَّ بدون أي زَخْرَفَة : فلا نستطيع إذًا أن نسْتَبْعِد إمكانية أن نكتشف يَوْمًا ألْوَاحًا خَشَبية عارية وبدون أي أثَرٍ لزَخْرَفَةٍ، والتي سيكون من الصُّعُوبَة أن نُقَرِّرَ إذا ما كانت مُغَلَّفة بالجِلْد أم لا[١٤٥].

ولتَنْفيذ الزَّخْرَفَة تَوَفَّرَ للمُجَلِّد في هذا العَصْر تِقْنيتان عَرَضْناهما فيما سَبَق. والتِّقْنيةُ الأقَلُّ شُيوعًا والأكثر أصَالَةً هي دون شك تِقْنِيَةُ الخَيْط البارِز. ويُؤَكِّدُ هذه التِّقْنِيَة نَماذِجُ من مجموعة القَيْرَوان[١٤٦]، وكذلك أيضًا نماذج مَصْدَرُها دِمَشْق[١٤٧] تَسْمَحُ بالحُصُول على زَخارِف خَطِّيَّة بَسيطَة، وتُظْهِرُ دَقَّةُ غلافٍ وُجِدَ في القَيْرَوان، مع ذلك، أنَّ الصُّنَّاعَ تَوَصَّلُوا أحْيانًا إلى تَرْكيبات مُعَقَّدَة قابلة لتَغْطية مِساحَة اللَّوْح بطريقةٍ مُرْضِية[١٤٨].

ومع ذلك، فقد كان العَدَدُ الأكبر من التَّجاليد مُزَخْرَفًا بالرَّشْم بواسِطَة قالِب نَقْش (حَديدَة نَقْش). وليس من النَّادِر أن لا يَسْتَخْدِمَ مُجَلِّدٌ (لا يكون تحت تَصَرُّفه؟)

١٤٤. F. Déroche, *op. cit.*, (*REI* 54), p. 88-89.

١٤٥. يُشكِّل التجليدان المحفوظان في مكتبة الأمبروزيانا بميلانو، والسابق الإشارة إليهما، أنموذجًا منفردًا لتجليدٍ ذي لَوْحٍ خشبي عارٍ (انظر E. Griffini, *loc.cit.*). وقد تَعَذَّر علينا للأسف أن نفحص هذين المخطوطين لنحدِّد إذا ما كان الأمر يتعلَّق في الواقع بتجليد ذي لَوْحٍ خشبي عارٍ من الأصل، أو لحالة عادية لاختفاء الغشاء النَّاتج عن ترميم محدود.

١٤٦. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 21-22 et 228-243, pl. XXVI à XXVIII.

١٤٧. F. Déroche, *op. cit.*, (*REI* 54), p. 87 وشكل 3 (يمكن أن نقارن هذا الاكتشاف بتجليد مخطوطٍ سُرْياني محفوظ في مكتبة شيستربيتي بدبلن برقم CBL 2، نشره B. Van Regemorter, *op. cit.*, (1961), pp. 7-8, 11، ولوحة 3b).

١٤٨. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, pp. 230-233 et pl. XXVI يتعلَّق الأمْرَ في الواقع بدَفَّة وقطعتين. وتحتفظ المجموعة التونسية بنماذج أخرى أقل أهمية، ولكنها تُظْهِر اهتمامًا مماثلًا لتغطية مجموع المجال.

إلَّا ثلاثَة أو أربعة قَوَالِب نَقْشٍ (حَدَايد نَقْش) لتَنْفيذِ زُخْرُفٍ ما. وتَتَمَيَّزُ هذه الزَّخارِف، في القَرنين الثالث الهجري / التاسع الميلادي والرَّابع الهجري / العاشر الميلادي، بعَدَدِها المحدود وبساطَتها. وتُظْهِرُ القائمَةُ التي أعَدَّها مارسيه Marçais وبوانسو Poinssot أنَّ الأمْرَ يَتَعَلَّقُ في الأسَاسِ بأشكالٍ في غايَة البَساطَة[١٤٩]؛ غير أنَّ التَّنْسيقَ بينها ـ وعلى الأخَصِّ فيما يتعلَّق بـ«السُّرُفات» ـ سَمَحَ بالحُصُولِ على نَتائج مُرَكَّبَة.

ويَبْدو مَظْهَرُ بعض التَّجاليد مُتَواضِعًا، لا تُوجَد به زَخْرَفَةٌ، أو فقط بعض الخُيُوط التي خَطَّها المُجَلِّدُ بمُدْيَة، وتُسْتَخْدَم هذه الأداةُ في بعض الأحْيان كذلك في تَحْديد الخُطُوط العَرِيضَة لزَخْرَفَة الإطار المَرْكزي بطَريقةٍ غير ظاهِرَة قَبْل رَشْمِه بالأخْتام[١٥٠]. وتُثْبِت النَّماذِجُ الأكثر اعْتناءً / أنَّ الأفْضَليَّة كانت للزَّخْرَفَة التَّامَّة للدَّفَّة. ولا يَستجيبُ أحَدُ الحُلُول التي طُبِّقَت، حَقيقَةً، إلى هذا الطُّمُوح إلَّا بطريقَةٍ جُزئية: فصِيَغُ الوَرَع التي تَحْملها بعضُ تجاليد القَيْرَوان[١٥١] وصَنْعاء[١٥٢] تُؤَثِّثُ الفَرَاغَ بطريقَةٍ غير مُنتظمة. وفي المقابِلِ تُوجَدُ طريقتان أخْريان تَسْمَحان بتَغْطية مَجْمُوعِ الدَّفَّة: تعتمدُ الأولى على نَشْرِ زَخْرَفَةٍ تُغَطِّي مِساحَةً مُحَدَّدَةً بإطارٍ ذي شَكْلٍ بارِز[١٥٣]، وفي الطَّريقة الثَّانية يَرْشِمُ المُجَلِّدُ زَخْرَفَةً مَرْكَزيَة في مَجالٍ ذي أبْعادٍ مَحْدودَة[١٥٤].

وبالإضَافَة إلى الدَّفَّتين فإنَّ جَوَانِبَ الأَقْرِبَة المَبْنية يمكن أيضًا أن تُزَيَّن. ونجدُ في أغْلَب النَّماذِج التي وَصَلَت إلينا أنَّ الارْتفاع القَليل المُتاح حَدَّدَ الزَّخْرَفَة في تَتابُعِ للخُيُوط المُتعامِدَة على الدَّفَّة، والتي تُجَمَّع عند الاقْتِضاء في خَطَّيْنِ أو ثلاثة[١٥٥]. لقد

١٤٩. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets* t. I, pp. 322-326 et pl. XLVIII-LI. وتخلط هذه القائمة بين حَدايد نَقْش قديمة وأخرى ذات تأريخ أحْدَث.

١٥٠. تَصْلُح هذه الملاحظة كذلك بالنسبة للفترة المبكرة (G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, l. I, p. 20) أكثر من التجاليد الأحْدَث (على سبيل المثال متحف ڤيكتوريا وألبرت بلندن رقم 1888-366/29 الذي يرجع إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر عند D. Haldane, *Bookbindings* p. 29, nº5).

١٥١. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 62-69 et pl. XV.

١٥٢. U. Dreibholz, *op. cit.*, p. 22-28 والشكلان 6-7.

١٥٣. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, pl. I-XIV et XVI-XXIV.

١٥٤. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, pl. XXIX.

١٥٥. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 125, nº54, pl. XIV (انظر كذلك الرقمين 40 و75A اللوحتان VIII وXLI).

طُرِّزَ رَقَمُ المُجَلِّد على الحرير على باطِنِ الجِلْد الحافِظ للجانب الصغير لمَخْطُوطِ دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٨٨ مَصَاحِف[١٥٦]، ومع ذلك فإنَّه من الصَّعْبِ أن نُحَدِّدَ إذا ما كان هذا التَّطْريزُ مُعَاصِرًا للتَّجْليد نفسه أم لا. وإذا كان المَخْطُوطُ ذا سُمْكٍ كبير، فيمكن أن تكون الزَّخْرَفَةُ أكثر تَرْكيبًا. وتُظْهِرُ ثَلاثَةُ تَجْليدات أو قِطَعٌ من تَجْليد كُشِفَت في القَيْرَوان[١٥٧] وفي صَنْعَاء[١٥٨] وفي دِمَشْق[١٥٩] ـ وهاتان الأخيرتان متأخِّرتان ـ أنَّ هذه المِسَاحَة اللَّيِّنَة يمكن أن تُزَخْرَف وَفْقًا لأُسُسٍ مُشابِهَة للأُسُس المُعتمدة في تَزْويق الدُّفُوف.

ولم تَخْتَف القَواعِدُ الحاكمة لزَخْرَفَة تجاليد النَّمَط I مع اخْتِفاء هذا النَّمَط: فتُظْهِرُ نَماذِجُ مُبَكِّرَة من النَّمَط II (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) أنَّ زَخْرَفَة «السُّرُفات» ظَلَّ مُحافَظًا عليها[١٦٠]، كما اسْتَمَرَّ المُجَلِّدون في زَخْرَفَةِ مجموع الدَّفَّة بطَرِيقَة الرَّشْم[١٦١].

النَّمَط II

والنَّمَطُ الثَّاني من التَّجْليد هو بلا شك الأكثر انْتِشَارًا والأكثر مَعْرِفَةً في العالم الإسلامي، إلى حَدِّ أن أصْبَحَ رَمْزًا على هذا التَّجْليد. وهكذا، كما سَبَقَ أن شَرَحْنا، يَحْمل هذا النَّمَطُ عُنْصُرَيْن مُحَدَّدَيْن / اصْطُلِحَ على تَعْريفهما بطريقةٍ إجْمالية بأنَّهما الصَّدْر أو المُقَدَّم ـ امْتِدادٌ للدَّفَّة السُّفْلَى يتكوَّن من الصَّدْر أو المُقَدَّم بمعنى الكلمة

١٥٦. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 48 et fig. 14 (وصف جروهمان هذا التجليد ولم يشر إلى هذه الجزئية: T. W. Arnold, A. Grohmann, *op. cit.*, p. 45-46).

١٥٧. G. Marçais, L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 125-126 (nº54) et pl. XIV.

١٥٨. U. Dreibholz, *op. cit.*, p. 28-31, fig. 12-13.

١٥٩. غير منشور.

١٦٠. F. Déroche, «Une reliure du Vᵉ/XIᵉ siècle», *NMMO* IV/1, juin 1995, p. 3-4 واللوحتان III وIVb، وكذلك تجليد مخطوط باريس رقم BnF arabe 7263 (F. Richard, PARIS 1997, p. 37 والصورة في p. 19-20).

١٦١. *Ibid.* ويُوَضِّحُ تجليدُ مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1434 (D. James, *Q. and B.*, p. 28; CHICAGO 1981 p. 119 nº14) ومخطوط مجموعة ناصر خليلي للفن الإسلامي بلندن رقم QUR 150 (F. Déroche, *Abbasid tradition*, 170) الاحتفاظ بتقنية تكرير حَديدَة النَّقْش نفسها لتغطية الدَّفَّة.

و «الأُذُن أو المَقْلَب» الذي يأخُذُ في الاعْتِياد شَكْلًا خُماسي الأضْلاع (شكل ٧٦) . وعند غَلْقِ المُجَلَّد يُخفي الصَّدْرُ أو المُقَدَّمُ هامِشَ الطُّرَّة ، وتأتي الأُذُنُ أو المَقْلَبُ لتَسْتَقِرَّ إمَّا فَوْق الدَّفَّة العُلْيا وإمَّا أسْفَلها . وأصْبَحَ يُطْلَقُ على هذا النَّوْع من التَّجْليد «التَّجْليد ذو الصَّدْر واللِّسان» . وعند التَّطْبيق ، يجب أن نُلاحِظَ أنَّ المُفَصَّلات التي تُؤَمِّن في الوَقْتِ نفسه الْتِحامَ مُخْتَلَف العَنَاصِر وحركتها ، تكون مُعَرَّضَةً للتَّلَف . كذلك ، فقد يَحْدُث أن يَتَمَزَّق عُنْصُرٌ أو آخر من هذه العَنَاصِر : وتَبَعًا للحالَة ، فقد تكون إحْدى الدَّفَّتَيْن أو قِسْمٌ من اللِّسان أو اللِّسَانُ كُلُّه مَوْضُوعَ تَرْميمٍ بارِعٍ أو مُضْمَحِل . كذلك يحتاجُ الكَعْبُ أن يُفْحَص بانْتباهٍ ، وأيْضًا يجب أن يُدْرَس الصَّدْرُ والأُذُنُ بدِقَّةٍ للبَحْث عن آثارِ تَمْزيقٍ أو إصْلاح .

الخُصُوصِيَّات

يُدَلِّلُ على قِدَمِ هذا النَّمَط بالعَديد من التَّجاليد القِبْطية قريبة الصِّلَة به والتي يمكن نِسْبتُها إلى فَتْرةٍ سَابِقَةٍ على ظُهُور الإسلام [١٦٢]. وتَتَمَيَّزُ هذه التَّجاليدُ مع ذلك عن النَّمَط II، الذي نَتَحَدَّث عنه ، في شكلها الكلاسيكي بأنَّ الأُذُنَ أو المُنْقَلَب [المَرْجِع] صُنِعَ فيها بطريقَةٍ أكيدة ليكون «فَوْق» الدَّفَّة العُلْيا : وفي الواقع يُوجَدُ حِزامٌ يتخَلَّص من طَرَفِ الأُذُن يَسْمَح بالمُحافَظَة على المَخْطُوط مُغْلَقًا بمُجَرَّد لَفِّه أكثر من مَرَّةٍ حَوْل المُجَلَّد [١٦٣]. غير أنَّ هذه الطَّريقَة من العَمَل لم تكن مَجْهولةً في العالم الإسلامي : فتُوجَدُ بعضُ الشَّواهِد النَّادِرَة من القرنين الرَّابع والخامس للهجرة / العاشر والحادي عشر للميلاد تَحْتَفِظ في طَرَفِ الأُذُن أو المُنْقَلَب بآثار حِزام فُقِد الآن ، ولا يُوجَدُ أيُّ شَكٍّ حَوْل وُجُوده [١٦٤]. وتُظْهِرُ بعضُ التَّجاليد «السُّودانية» لِسَانًا على شكل قَوْسٍ قُوطِيَّة

١٦٢. B. Van Regemorter, «La reliure des manuscrits gnostiques découverts à Nag Hamadi», *Scriptorium*, 14, 1960, p. 225-234; J. Doresse, *op. cit.*, p. 27-49; *The facsimile edition of the Nag Hammadi codices*, t. I, Introduction, Leyde, 1984, p. 78. تَبَعًا لتأريخ هذه المخطوطات نفسها ، يمكن تأريخ هذه التجاليد ، فيما بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الخامس ؛ ومن بين أحد عشر أنموذجًا يوجد ثلاثة فقط لا تشتمل على لسان .

١٦٣. إضافة إلى ذلك يكون شكل اللسان أحيانًا مثلثا وأحيانًا مستطيلًا .

١٦٤. F. Déroche, *op. cit.* (*NMMO*), p. 4 et pl. IV a، ويوجد بين هذا التجليد والتجاليد التي وصفها =

تَسْمَحُ له أبْعادُه بتَغْطية مجموع المُجَلَّد [١٦٥] (شكل ٨٩ و ٩٠) .

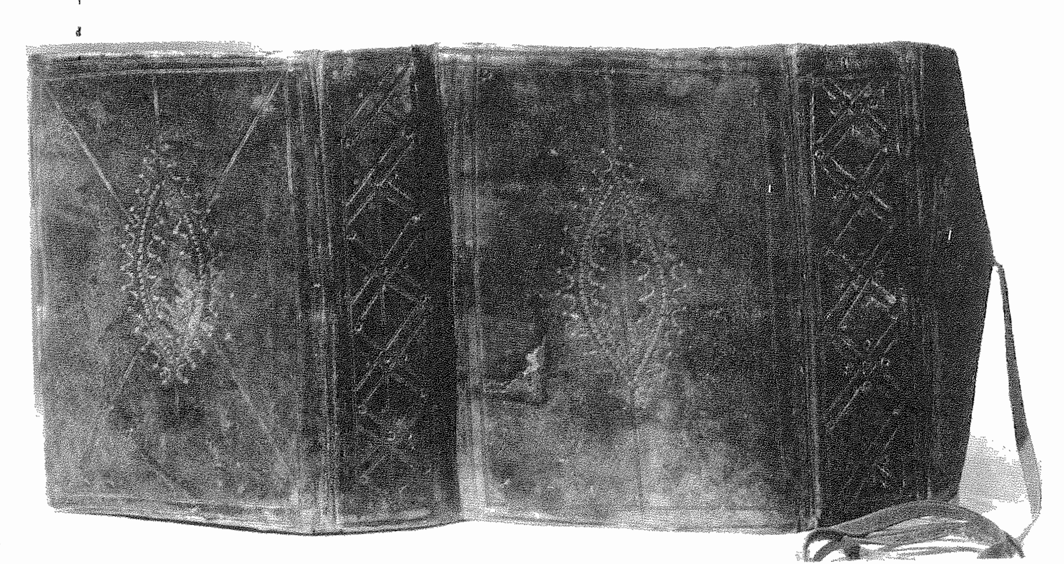


٨٩. تَجْليدٌ سوداني . باريس رقم 5035، الدَّفَّة العُلْيا واللِّسَان

= ڤان ريجيمورتر B. Van Regemorter (انظر الحاشية رقم ١٦٢) تشابهًا لافتًا للنظر في الطريقة التي ثُبِّت بها في موضعه الشَّريط الجلدي بشكل يجعله يمر عبر حَزَّات صغيرة.

١٦٥. انظر مخطوط باريس رقم BnF arabe 5035 (F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 50-51, n°340) .

ويَبْدو أنَّ أقْدَمَ تَجْليدٍ لمَخْطُوطٍ عَرَبِي ، وهو تَجْليد مَخْطُوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢١٢٣ حديث[١٦٦]، لم يكن إطْلاقًا مَوْضُوعَ دِرَاسَةٍ جادَّة أو حتى مُجَرَّد نَشْر . ويُشيرُ أدولف جُروهمان Adolf Grohmann الذي حَصَلَ على صُورَةٍ له ، إلى أنَّه يَحْتَفِظ «على أحَدِ جانبيه [...] ببقايا عُنْصُرٍ إضَافي مُثَلَّث الشَّكْل»[١٦٧]؛ وتَرَدَّدَ في إبْداء رأيه حَوْلَ الوَضْع الذي كان يُؤَدِّيه هذا العُنْصُر عند غَلْقِ المُجَلَّد[١٦٨].



٩٠. تَجْليدٌ سوداني . باريس رقم BnF arabe 7226.

310 /وفي أغْلَبِ الحالات كانت دَفَّتا التَّجْليد الواحد تَحْمِلُ الزَّخْرَفَة نفسها ؛ وفي فَتْرة مُبَكِّرة لم يكن من النَّادِر مع ذلك أن يَخْتَلف تَزْويقُ الدَّفَّة العُلْيا جِذْريًّا عن تَزْويق الدَّفَّة السُّفْلى . هكذا يُشيرُ ماكس ويسويلر Max Weisweiler إلى العَديدِ من المَخْطُوطات مثل مَخْطُوط برلين رقم SB or. quart. 1706، الذي يَرْجع إلى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م[١٦٩] والمَخْطُوط رقم or. fol. 4182، الذي يرجع إلى سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م[١٧٠]، وقد اعْتَبَرَ / 311 تَجْليدَهما ـ الذي يَرى أنَّه مُعاصِرٌ لكتابة النُّسْخَة ـ

١٦٦. انظر J. David-Weill, *loc. cit.*

١٦٧. T. W. Arnold et A. Grohmann, *op. cit.*, p. 102, n. 202.

١٦٨. عن هذه المسألة انظر فيما يلي .

١٦٩. M. Weisweiler, *Bucheinband*, p. 87 et fig. 30.

١٧٠. *Ibid.*, p. 83.

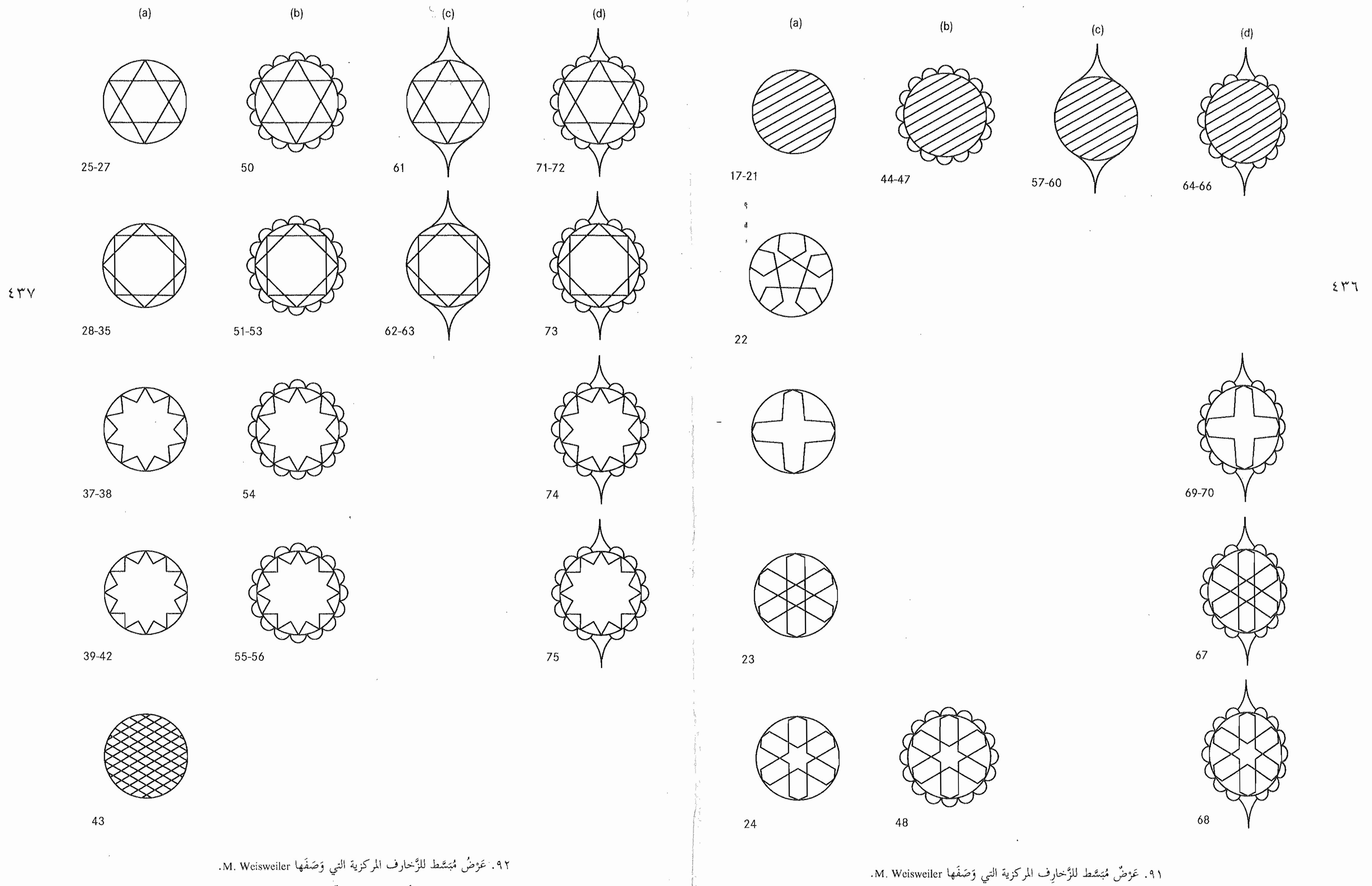
يُقَدِّمُ منذ البداية هذا الفَرْق ، ولم يكن ذلك الوَضْعُ إطْلاقًا مُخْتَصًّا بالتَّجاليد المُتَوَاضِعَة ، كما تُثْبته دَفَّتا مَخْطُوط متحف طُوبْقبوسَراي بإستانبول رقم TKS R. 1326 الذي عُمِلَ لمكتبة السُّلْطان مُراد الثَّاني في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م[١٧١].

أسَاسِيَّات الزَّخْرَفَة

إنَّ تَزْويقَ الدُّفُوف بالرَّشْم وَفْقًا للأُسُسِ التي حَدَّدْناها بالنِّسْبَة لتَجاليد النَّمَط I اسْتَمَرَّت لبعضِ الوَقت بالنِّسبَة لتجاليد النَّمَط II. وبالتَّدْريج بدأت طُرُقٌ جَديدَةٌ في الظُّهور ، بالرَّغْم من أنَّ المُجَلِّدين ، من وِجْهَة نَظَرٍ تِقْنية ، اسْتَمَرُّوا في العَمَل مثلما كان الحالُ في السَّابق باسْتِخْدام حَديد نَقْشٍ (قَوَالِب) بأبْعادٍ صَغيرَة يَسْمح التَّنْسيقُ الماهِر له بإنْجاز رُسُومٍ مُرَكَّبَة . وتَتَمَيَّزُ هذه الزَّخارِفُ بوُضُوحٍ عن الزَّخارِف التي ظَهَرَت بعد ذلك ، والتي ارْتَكَزَ تَنْفيذُها على اسْتِخْدام قَوَالِب مَعْدِنية ذات حَجْمٍ كبير .

وفي كُلِّ الحالات ، يمكننا أن نُعَيِّن بطريقةٍ إجْمالية تَوَجُّهَيْن كبيرين في التَّرْكيب : من جانب الزَّخارف التي تُغَطِّي الفَرَاغ المُتاح ، ومن جانبٍ آخَر الزَّخارِف التي تَسْتَغِلّ التَّبايُن بين عُنْصر مَدْمُوغ في مَرْكز الدَّفَّة والمساحات الفارِغَة المتروكة ؛ وفي الحالة الثَّانية يمكن لبعض التَّزاويق الخارجية أن تَسْتَكْمِل التَّنْسيق (المُثَلَّثات الكروية بين الأقْواس (الدَّلَّايات) ، والأرْكان ، وحَوَاف مختلفة الثَّخانات) ولن نَتَناوَل في العَرْضِ التَّالي هذه العَناصِر الأخيرة .

١٧١. J. Raby et Z. Tanîndî, *op. cit.*, p. 102-115.



٩١. عَرْضٌ مُبَسَّط للزَّخارِف المركزية التي وَصَفَها M. Weisweiler.
الأرقامُ تُشيرُ إلى الأنماط

٩٢. عَرْضٌ مُبَسَّط للزَّخارف المركزية التي وَصَفَها M. Weisweiler.
الأرقامُ تشير إلى الأنماط.

(a) (b) (c) (d)

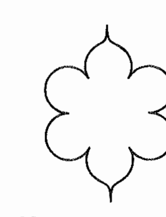
76

77

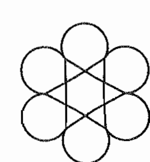
78

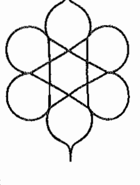
79

80-81

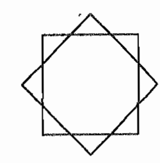


84





98



٩٣. عَرْضٌ مُبَسَّط للزَّخارف المركزية التي وَصَفَها M. Weisweiler.
الأرقام تُشير إلى الأنْماط (الهالات غير معروضة هنا).

315 / وَسَائِلُ تَصْنيف التَّجاليد الإسلامية الوَسيطة

اقْتَرَحَ ماكس ويسويلر Max Weisweiler في كِتابِهِ المَنْشور سنة ١٩٦٢ تَصْنيفًا لهذه الزَّخارِف [١٧٢]. وللأَسَف، فإنَّ هذا العَمَل الذي تكثر الإحالَة إليه، والذي قَطَعَ شَوْطًا بعيدًا عن كلِّ المُحاوَلات السَّابِقَة عليه، لم يُعْرَف جَيِّدًا أو لم يُسْتَفَد منه كما ينبغي. إذًا فإنَّنا نَقْتَرِحُ أن نَسْتَعيد الخُطُوطَ العَريضَة للتَّصنيف الذي اقْتَرَحَه ويسويلر Weisweiler، وأن نُشيرَ، عند الاقْتِضَاء، إلى وُجودِ زَخارِفَ لم يَتَعَرَّف عليها ويسويلر، وإنَّما أدْمَجَها بِبَساطَةٍ في تَصْنيفه. وبالمُقابل، لن يُؤْخَذ في الاعْتبار جامِعُ حَديد النَّقْش (القَوالِب) الذي يَظْهَر في هذا المُؤلَّف نفسه [١٧٣]. وفيما عَدَا ما قَامَ به مارسيه Marçais وبوانسو Poinssot من نَشْرِ تَجاليد القَيْرَوان [١٧٤]، لم يُخَصَّص أيُّ عَمَلٍ مُوَسَّع لهذا المَوْضوع، الذي تَبْدو أهَمِّيتُه مع ذلك لقضايا التأريخ واضِحَة. وللأَسَف، فإنَّ وَصْفَ ويسويلر Weisweiler للمِئات من حَدايد النَّقْش (القَوالِب) لا يُمْكِن التَّعامُل معها بسبب عَدَم تَوافُر الأمْثِلَة.

وكما سَبَقَ أن اقْتَرَحَ جولنر بوش Gulnar Bosch، فيمكن عَمَلُ تَمْييزٍ أوَّلي بين التَّجاليد التي تُغَطِّي فيها الزَّخْرَفَة جَميعَ القالِب، وتلك التي تتكوَّن فيها من وِحْدَةٍ زُخْرُفِيةٍ مركزية (سُرَّة). فالنَّماذِجُ الأولى (أنْماط W1 إلى W16) [١٧٥] التي يبدو أنَّها ـ على الأرْجَح ـ عَمَلُ صُنَّاعٍ مَهَرَة، تمَّ اسْتِعْراضُها بمجموعَةٍ مَحْدُودةٍ نِسْبيًّا من الأمْثِلَة: ونَظَرًا لتَعْقيد تَرْكيباتها، فسيكون من الصَّعْبِ أن نُحَدِّدها ونُصَنِّفها. لذلك فنحن نُفَضِّلُ أن نُولي اهْتمامًا أكثر للزَّخارِف الأكثر شُيُوعًا.

واقْتَرَحَ ويسويلر Weisweiler تقسيم هذه الزَّخَارِف إلى خمسة أصْناف (زَخارِف دائرية، وزخارِف مُتَّصِلَة بدَائِرَة، وزَخارِف على شَكْل هالات، وزَخارِف على شَكْل

---

١٧٢. اقترح جولنر بوش فيما تقدم (G. Bosch, «Islamic bookbindings - Twelth to seventeenth centuries», thèse de doctorat, University of Chicago, 1952) تصنيفًا اعتمد على مادة محدودة؛ وقد استعاد معرض شيكاغو هذا العرض (Chicago 1981, p. 85).

١٧٣. M. Weisweiler, *Bucheinband*, p. 61-78.

١٧٤. G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 322-362 et pl. XLVIII-LI.

١٧٥. W = نَمَط ويسويلر.

نُجوم ، والزَّخارِف المكَوَّنَة من قَوالِب مُتجاوِرَة) ، وتَنْقَسِمُ الزَّخارِفُ الأربعة الأولى بدَوْرِها إلى أرْبَعَة تَفْريعات (شكل ٩١، ٩٢، ٩٣) .

الزَّخارِفُ الدَّائرية

يَضُمُّ التَّفْريعُ الأوَّل لـ «الزَّخَارِف الدَّائرية» (شكل ٩١ و ٩٢) تلك الزَّخَارِف التي لا تُوجَد لها حَافَةٌ مُفَصَّصة ولا مُثَلَّثات كروية (دَلَّايات) بين الأقْواس (*a*) ؛ وهي بذلك - بلا رَيْب - أكثرها ثَرَاءً : وهي تَضُمُّ الأنْماط W17 إلى W43 ، ويمكن أن تكون نُقْطَة الانْطِلاق لعَرْضِ هذا الأسْلوب بطَريقَةٍ مُبَسَّطَة[١٧٦]. ويَجمعُ مَجْموعٌ أوَّل الزَّخارِف التي تَمْتَلِئُ فيها الدَّائرة : إمَّا بتَشابيك زَهْرية (W17-20)[١٧٧]، وإمَّا بتَجْميع قَوالِب مُنْفَرِدَة (W21)[١٧٨]. ويأتي بعد ذلك تَرْكيبٌ مُكَوَّن من أشْكالٍ مُخَمَّسَة الضُّلوع مَوْضوعَة بين شُعَبٍ / نَجْمَة ذات خَمس شُعَب (W22)[١٧٩]. والنَّمَطان التّاليان مُتقارِبان جِدًّا : يتألَّف W23 من ثَلاثَة أشْكالٍ مُسَدَّسَة الأضْلاع مُمَدَّدَة ومُتقاطِعَة[١٨٠]، ويتألَّف W24 من ثَلاثَة أشْكالٍ مُعَشَّرَة الزَّوايا[١٨١] (شكل ٩٤) . ويَجْمَعُ مَجْموعٌ ثانٍ مُخْتَلَف أنْواع النُّجوم المَنْقُوشة داخل الدَّائرة : نَجْمَة ذات سِتّ شُعَب (W25-27)[١٨٢]، وذات ثمان شُعَب (W28-35)[١٨٣]، وذات تِسْع شُعَب

١٧٦. هناك جدول بأشكال الأنماط المختلفة من شأنه أن يوجه القارئ . وللتيسير نحيل في الحاشية إلى الرسوم التي قدمها ويسويلر، عند وجودها ؛ وتكمل هذه الإحالات بعض الأمثلة التي تظهر في المنشورات الحديثة . وفي كل الأحوال ، يجب أن نراجع الأوصاف الموجودة عند M. Weisweiler, *Bucheinband*.

١٧٧. W 17 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, أشكال 23, 25, 26, 27 (cf. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 46-47, n°28). W 18 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 28) ، ولا يوجد رَسْم في W 19 , W 20.

١٧٨. M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 29 . انظر (CHICAGO 1981, p. 129-131, n° 34 , 35).

١٧٩. M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 30 انظر D. Haldane, *Bookbindings*, p. 56-57, n°49) .

١٨٠. راجع : CHICAGO 1981, p. 138-141, n°39 , 40.

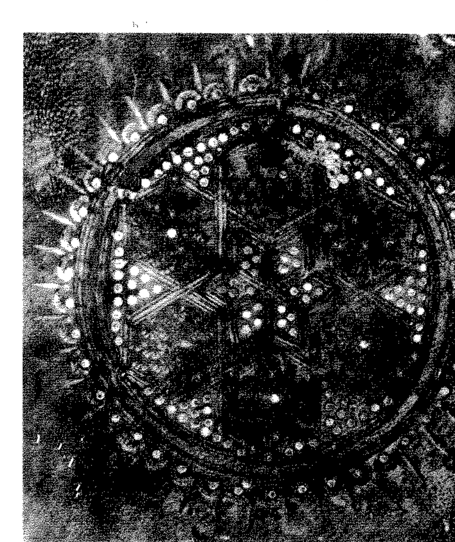
١٨١. M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 31.

١٨٢. W 25 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 32؛ CHICAGO 1981, p. 148-150, n° 44 , 45; D. Haldane *Bookbindings*, p. 52-53, n° 36، وما بعدها و D. Haldane, *Bookbindings*, p. 56-57 n°51, زخرف يُصَنَّف في التفريع b يقارن مع W27، ليس هناك رسم بالنسبة لـ W 26 et 27 ويصنف زخرف في الفئة b.

١٨٣. W 28 لا يوجد رَسْم . W 29 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, شكل 33؛ W 30 : M. Weisweiler,

(W 36)[١٨٤]، وذات عَشْر شُعَب (W 37-38)[١٨٥] وذات اثنتي عشرة شُعْبَة (W 36-42)[١٨٦] (شكل ٩٥) . ويتألَّفُ زُخْرُفٌ أخيرٌ (W 43)[١٨٧] من مُعَيَّنات مُرَتَّبَة على شكل مُرَبَّعات مُنَسَّقة .

أمَّا الفُرُوعُ الثَّلاثَة الأخرى للصِّنْف الأوَّل («الزَّخارِف الدَّائرية») فتَتَمَيَّز بتَزيين الحافَة الخارجية للدَّائِرَة : وتتألَّف هذه التَّزَايين إمَّا من فُصُوصٍ (*b*) وإمَّا من مُثَلَّثاتٍ كُرَوية بين الأقْواس (دَلَّايات) (*c*) ، وإمَّا أخيرًا من تَجْميعٍ للفُصُوص والمُثَلَّثات الكُرَوية (الدَّلَّايات) (*d*) (شكل ٩٦) . وتَظْهَرُ ثانيةً في الدَّائرة الوِحْدات الزُّخْرفية نفسها التي سَبَقَ وَصْفُها في الفَرْع الأوَّل ، والنَّمَطُ الوَحيد الذي لم يتأكَّد بينها يَظْهَر في الفَرْع (*b*) : الذي يعني مَلأً لأشْكالٍ هَنْدَسية مُتَنَوِّعَة (W 49)[١٨٨].



٩٤. زَخْرَفَةُ تَجْليد. انظر W 24
باريس رقم BnF arabe 6736 (تفصيل)



٩٥. زَخْرَفَةُ تَجْليد. انظر W 41
باريس رقم BnF arabe 1600 (تفصيل)

Bucheinband, fig. 35a؛ W31, W32 . M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 34؛ (وقارن مع CHICAGO 1981, p. 178-181, n° 63 , 64) ولا يوجد رسم من W33 إلى W35.

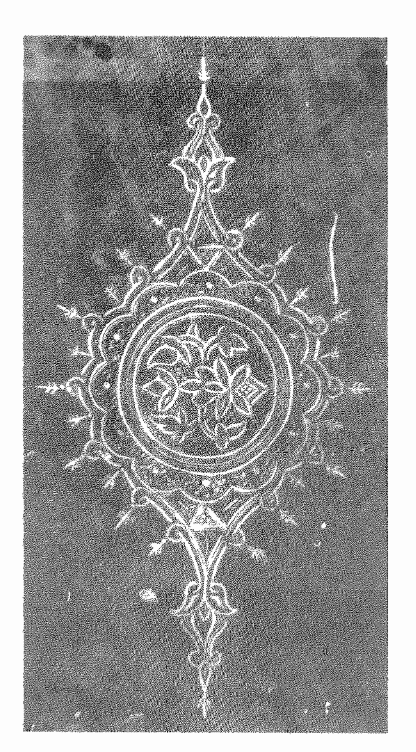
١٨٤. لا يوجد رَسْم .

١٨٥. W 37 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 36 . W 38 : لا يوجد رسم . قارن مع (CHICAGO 1981, p. 147, n°43?) .

١٨٦. لا يوجد رسم لـ W 39 et 40 . (وقارن بالنسبة لـ W 40 مع CHICAGO 1981, p. 142-145, n°42). W 41 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 38a.

١٨٧. لا يوجد رَسْم .

١٨٨. M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 39a.



٩٦. زَخْرَفَة تَجْليد ، انظر W 66
باريس رقم BnF arabe 1604 (تفصيل)

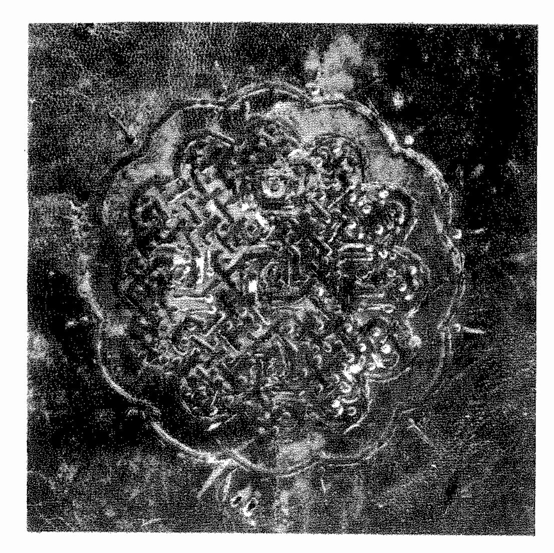
/ زَخَارِفُ مُتَّصِلَةٌ بدائِرَة

يجْمَعُ الصِّنْفُ الثَّاني أشْكالًا دائريةً ذاتَ فُصُوصٍ لا تَنْفَصِلُ فيها الفُصُوصُ عن القُرْصِ المركزي بشَريطٍ ، كما هو الحالُ مع الفَرْعَيْنْ b و d من «الزَّخَارِف الدَّائِرية» . وكالسَّابِق ، تَنْقسِمُ هذه الأنْماط إلى أرْبع تَفْريعاتٍ تُشْبِه جُزئيًا التَّفْريعات التي سَبَقَ ذِكرُها : (a) بدون انْشِباكات محيطية أو دَلَّايات ؛ (b) بدون انْشِباكات محيطية ، ولكن مع وجود دَلَّايات ؛ (c) مع وجود انْشِباكات محيطية ، ولكن بدون دَلَّايات ؛ (d) بُوجُود انْشباكات ودَلَّايات (شكل ٩٣) . ووَصَفَ ويسويلر Weisweiler أشْكالًا ذات أربعة (W 76)[١٨٩] وسِتَّة (W 77) وثمانية (W 78)[١٩٠] وعشرة فُصُوص

١٨٩. انظر D. Haldane, *Bookbindings*, p. 62-63, n°69.

١٩٠. M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 48 (cf. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 56, 58-59, n°| 55, 57...; Chicago 1981, p. 173, n°59).

(W 79)[١٩١] (شكل ٩٧) ، وكذلك شَكْلًا مُفَصَّصًا (W 80-81)[١٩٢]. ويمكن للأنْماطِ ذات السِّتَّة والثَّمانية فُصُوص أن تَتَحَوَّل إلى شكل ذي دَلَّاية (W 82 et 83)[١٩٣]. وبَدَلًا من أن يكون المُحيطُ مَرْسومًا بخَطٍّ وَحيد ، ويوافق الانْتِقالات المحبوكة للحَلْقات التي تتَوَافَق مع عَدَدِ الفُصُوص نفسه ، فإنَّنا نَنْتَقِل إلى التَّفْريع (c) . ويَجْمعُ هذا التَّفْريع / أشْكالًا عُمِلَت من حلقتين في ثلاث حَلْقَات (W 83)[١٩٤]، وثلاث حَلْقات في حَلْقتين (W 86-87)[١٩٥] وثَلاث حَلْقات في أربع حَلْقات (W 85)[١٩٦]. ويشتملُ التَّفْريعُ الأخير على نَمَطٍ واحِدٍ مُسْتَمَدٍّ من W 86: W 88[١٩٧].



٩٧. زَخْرَفَة تَجْليد ، انظر W 79. باريس رقم BnF arabe 2898 (تفصيل)

١٩١. M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 49 (cf. CHICAGO 1981, p. 172, n°58, اللوحتان الملونتان G و H) .

١٩٢. W 80 لا يوجد رَسْم . W 81 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 51a.

١٩٣. W 82 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 50؛ W 83 لا يوجد رَسْم .

١٩٤. M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 52 (انظر ، CHICAGO 1981, p. 152, n°47) .

١٩٥. W 86 , 87 بدون رسم (بالنسبة لـ W 86 تقارن بـ CHICAGO 1981, p. 153, n°48) .

١٩٦. لا يوجد رَسْم .

١٩٧. M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 53 انظر D. Haldane, *Bookbindings*, p. 62 , 64, n°| 70 , 71; CHICAGO 1981, p. 154-156, n°50) .

الهالاتُ والنُّجُومُ والزَّخارِفُ المُكوَّنة من أخْتام مُتجاوِرَة

مَيَّزَ ويسويلر Weisweiler من بين الهالات (الصِّنْف الثَّالِث) تسعة أنْماط (W 89-97) (شكل ٩٨ و ٩٩)، تَتَوزَّع على مجموعتين رئيسيتين: مجموعةٌ تمتلئ بتَشْبيكات زَهْرية (W 89-95)[١٩٨] ومجموعةٌ تمتلئ بزخارِف الأرابِسْك (W 96-97)[١٩٩]. وتَلْعَب هَيْئةُ الزَّخارف الزَّهْرية التي تُطيلَ الأطْراف العُلْيا والسُّفْلى للشكل دَوْرًا مُهمًّا في التَّصْنيف. ويَتَكَوَّن الصِّنْفُ الرَّابع (شكل ٩٣) من نُجُوم ذات ست (W 98)[٢٠٠] وثمان شُعَب (W 99-101)[٢٠١]. ويجمع التَّصْنيفُ الخامس الزَّخارف المركزية المكوَّنَة من / تجاوُر للأخْتام أو القَوالِب (W 102-40)[٢٠٢]. واقْتَرَحَ المؤلِّفُ كذلك في الاتِّجاه نفسه تَصْنيفًا للأُذن (اللِّسان). يمكن أن يعود إليه القارئ[٢٠٣].

٤٤٤

319

١٩٨. W 89: لا يوجد رَسْم. W 90 : M.
Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 54 , 55 (انظر
W 91 : M. انظر . (CHICAGO 1981, p. 198, n°75
Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 56 R.
. (Ettinghausen, *op. cit.*, fig. 344, 345 et 349
W 92 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig. 57;
R. Ettinghausen, *op. cit.*, fig. بدون رسم W 93
357; W 94 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig.
58 (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 35-37, n°
15 , 16). W 95 : M. Weisweiler, *Bucheinband*,
fig. 59 , 60a (CHICAGO 1981, p. 199-200,
n°76).

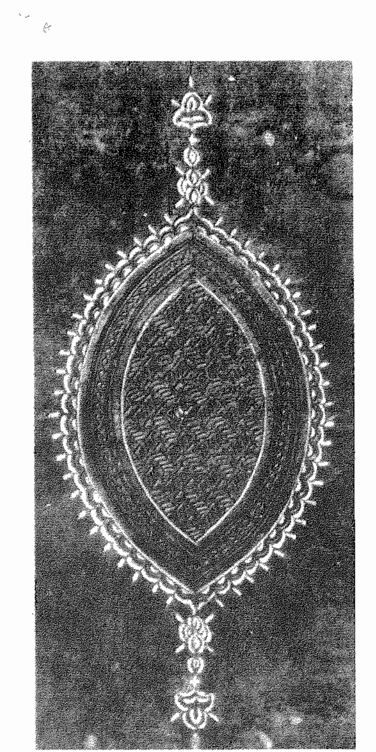
١٩٩. W 96 : M. Weisweiler, *Bucheinband*,
D. Haldane, *Bookbindings*,) انظر fig. 61a et 63
p. 38, n°18; CHICAGO 1981, p. 184-185, 194-
بدون 195 , 200-201, n° 67, 72 , 77). W 97
رسم.

٢٠٠. بدون رسم (قارنه بـ: CHICAGO 1981, p. 122,
. (n°27

٢٠١. W 99 : M. Weisweiler, *Bucheinband*, fig.
64؛ انظر (D. Haldane, *Bookbindings*, p. 32,
n°8). W 100 : M. Weisweiler, *Bucheinband*,
fig. 65; D. Haldane, *Bookbindings*, p. 30-32
n°s 6, 7 , 9; CHICAGO 1981, p. 122-125, n° 28 ,
29). W 101 بدون رسم.

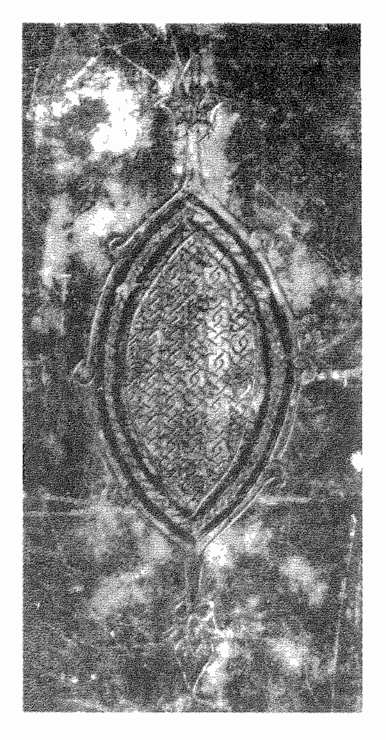
٢٠٢. W 102 : M. Weisweiler, *Bucheinband*,
fig. 66 , 67. W 103 , 104 بدون رسم؛ (وقارن بـ W
104 مع D. Haldane, *Bookbindings*, p. 60 , 62,
n°66; W 100-105 بدون رسم؛ W 109 (قارن مع R.
. (Ettinghausen, *op. cit.*, fig. 358

٢٠٣. M. Weisweiler, *Bucheinband*, p. 57-61.



٩٨. زَخْرَفَةُ تَجْليد. انظر W 92

باريس رقم BnF arabe 6041 (تفصيل)



٩٩. زَخْرَفَةُ تَجْليد، انظر W 94

باريس رقم BnF arabe 1569 (تفصيل)

نحو تَصْنيفٍ لقَوالِب النَّقْش

حَدَثَ تَقَدُّمٌ تِقْني، نحو نهاية القرن التَّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حَسَّنَ بعُمْقٍ فَنَّ التَّجْليد. فقد اكتَسَبَ حَديدُ النَّقْش (القَوالِب) حَجْمًا أكبر خِلال العُقُود السَّابقة، وعلى الأخَصِّ ذلك الذي اسْتُخْدِمَ في تأطير الدَّفَّة، ولم يَبْقَ سوى ابْتِكار ما يمنحه أبْعادًا أكبر من أجْل تَنْفيذ عُنْصُرٍ كامِلٍ مُهِمّ، وحتى مجموع الزَّخْرَفَة في عَمَليةٍ واحدة. وقد اسْتُبْقي على وَضْع الصِّنْفَيْنِ الكبيرين السَّابق اقْتراحهما (الوِحْدات الزُّخْرُفية المركزية من جانبٍ، ومجموع تَزاويق الدَّفَّة من جانبٍ آخر). وبالرَّغْم من أنَّه قد أصبح من الممكن تَنْفيذ الزَّخارِف المُوَسَّعة بقالِبٍ واحِد، فإنَّ الصُّنَّاعَ لم يَتَخَلَّوْا أبَدًا عن الأدَوات التي سَمَحَت بخَطٍّ / حَوَافٍّ ذات أسْلاكٍ بَسيطَة أو تَصْفيدات على شكل S. وقد صُنِعَت القَوالِبُ أوَّلًا من الجِلْد، قَبْل أن يَفْرِضَ المَعْدِنُ نفسه. وكان يمكن للتَّذْهيب، الذي اسْتُخْدِمَ بكثرة، أن يُعْمَل بالمِرْقاش بعد الرَّسْم.

320

٤٤٥

ولا شَكَّ أنَّه من السَّابق لأوَانِه أن نَقْتَرِحَ خُلاصَةً لأنْماطِ القَوالِبِ المُسْتَخْدَمَة خلال فَتْرَةٍ زمنيةٍ تمتدُّ لعِدَّة قُرُون وفي أماكِن في غاية التَّنَوُّع . وتُحَدِّدُ الخُلاصاتُ المُعْطاة هنا وهناك ، في الواقِع ، الخَصَائِصَ الإقْليمية : وقد سَبَقَ أن أشَرْنا إلى حالَة حَديد النَّقْش (القَوالِب) الذي يَحْمِلُ اسْمَ المُجَلِّد وتأريخًا[٢٠٤]، ولكن سيكون من السَّهْل أن نجدَ حالات أخرى[٢٠٥]. ونَقْتَرِحُ على سبيل المِثال تَصْنيفًا للقَوالِب المَرْكزية التي على شكل هَالات والتي اسْتُخْدِمَت في العَصْرِ العُثْماني[٢٠٦] ـ باسْتِبْعاد المَشَاهِد الحَيَوانية[٢٠٧].

القَوَالِبُ المركزية على شَكْل هالات

لقد لَعِبَ الإنْتاجُ العُثْماني دَوْرًا مُهِمًّا ابتداءً من القرن العاشِر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي : فقد انْتَشَرَت النَّماذِجُ التي ابْتَكَرَها بتَوَسُّع وأيْقَظَت محاكاةً محلية وأسْهَمَت في مَنْح بعض التَّماثُل لزَخارِف التَّجاليد . ويبدو أنَّ تَرْكيباتها قد راعَت عَدَدًا من الأُسُسِ واسْتَمَدَّت من جَامِعٍ للقَوَالِب مَحْصُورٍ نِسْبيًّا . وفي مَرْحَلَةٍ أولى ، من أجْل تَصْنيفٍ مُوجَزٍ للقَوَالِب ، بَدَا لنا من الأفْضَل أن لا نأخُذَ في الاعْتبار إلَّا بِنْيَة الزُّخْرُف ، وأن نَتْرُكَ جانِبًا العَناصِر التي تبدو مَوْضوعية أكثر من كونها مُتَنَوِّعَة ، مثل الأوْراق والأزْهار .

ولكي نُنْجِزَ ـ اعْتمادًا على هذه القَوَاعِد ـ تَصْنيفًا للقَوَالِب المركزية على هيئة الهالات ، يمكننا أن نقيم تَمْييزًا تَحَكُّميًّا أوَّلِيًّا بين القَوَالِب التي تَظْهَر فيها السُّحُبُ *tchi* (N) (شكل ١٠٠-١٠٣) ، وتلك التي تغيب منها السُّحُب (O) (شكل ١٠٤-١٠٧) . ونُمَيِّزُ ، داخِل كُلٍّ من المجموعتين اللتين حَصَلنا عليهما بهذه الطَّريقة ، بين الزَّخارِف المُتماثلة (S) (شكل ١٠٠، ١٠٤ و ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧) ، وغير المُتماثِلَة (A) (شكل ١٠١، ١٠٨،

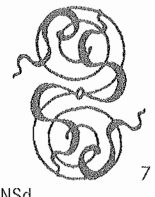
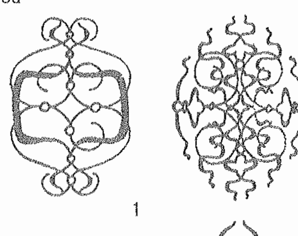
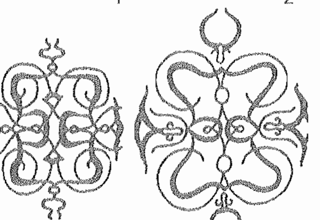
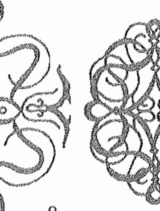
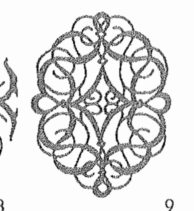
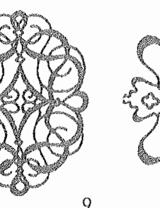
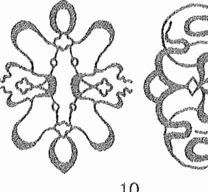
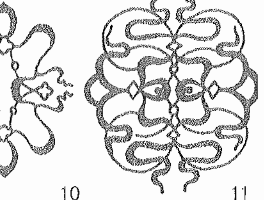
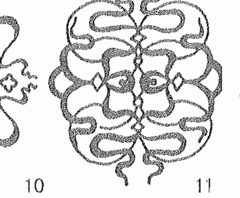
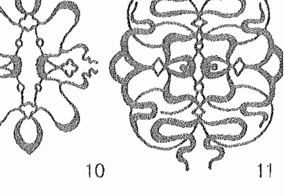
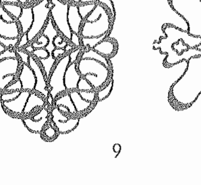
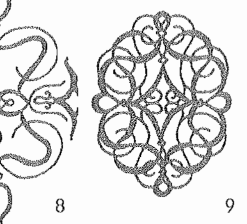
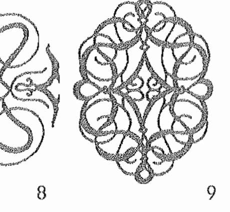
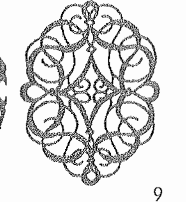
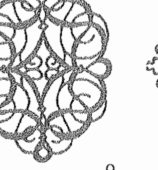
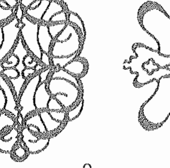
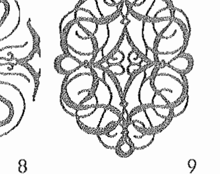
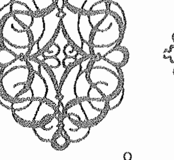
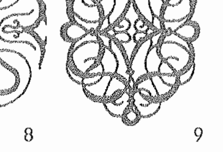
---

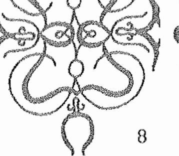
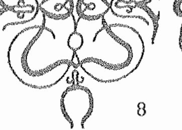
٢٠٤. انظر فيما تقدم .

٢٠٥. لفت ويسويلر الانتباه مثلًا إلى الأصل اليمني لحدايد النَّقْش المستعملة في التأطير والتي تحتوي على صيغة التبريك لمالك الكتاب ؛ Bucheinband, p. 40، تصوير في الكتاب نفسه شكل ١٩، ٦٨، وعند D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pl. 233.

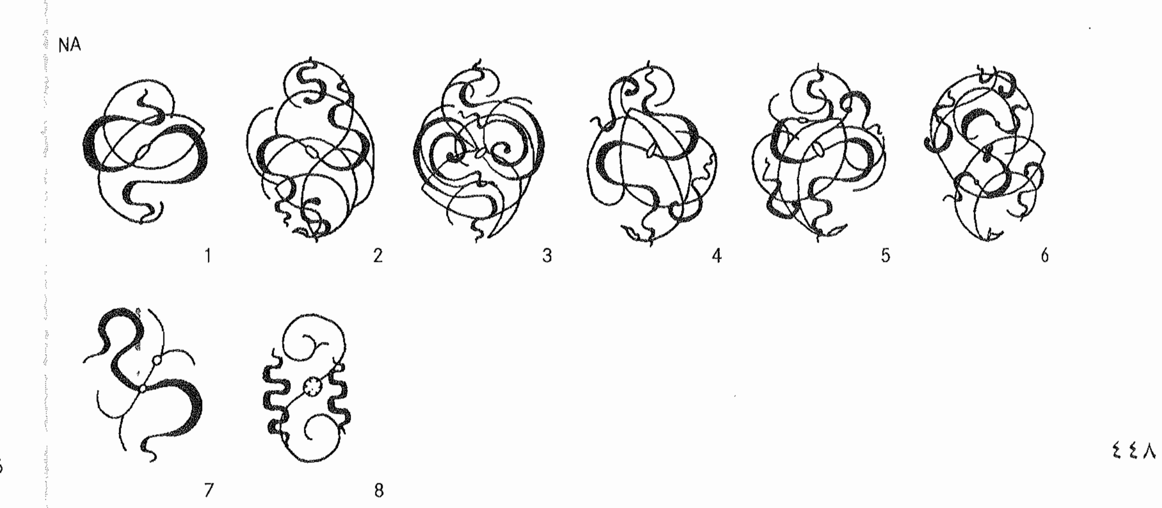
٢٠٦. F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 15-26.

٢٠٧. توجد كذلك قوالب في شكل هالة يؤلف زخرفها نصًّا شعريًّا قصيرًا ؛ (انظر M. Ozgen, «Klasik cilt sanatîmîzîn ozellikleri/Features of the classical bookbinding art», *Antika*, 25, 1987, p. 10) وقد يتعلق الأمر بحالة نادرة .

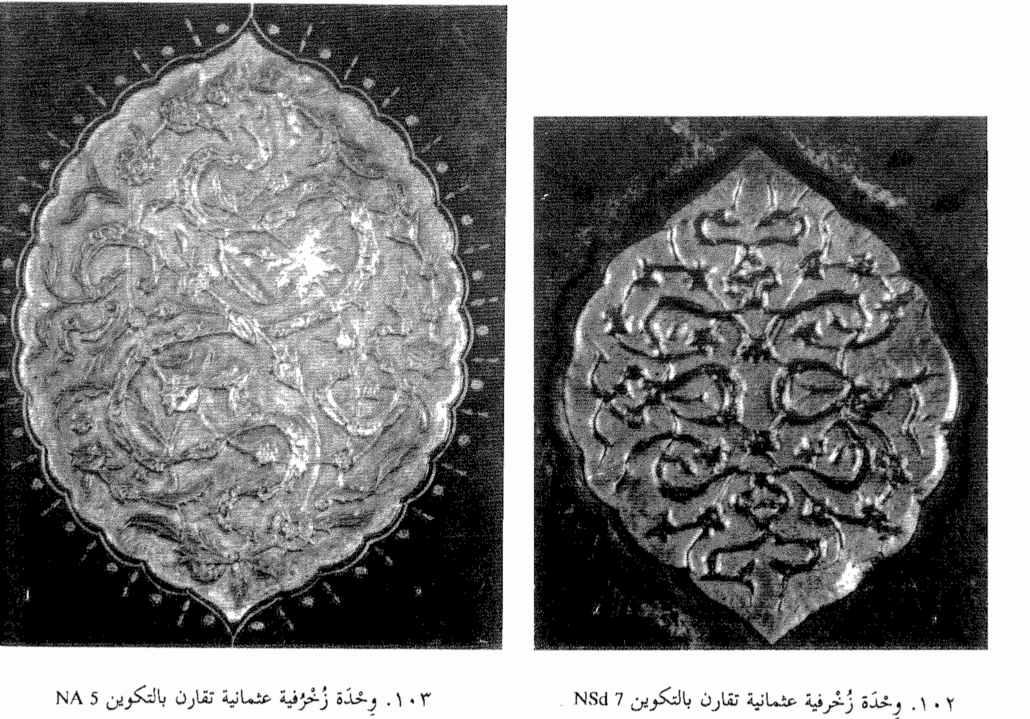





















١٠٠. تَصْنيف الوحدات الزُّخْرفية المركزية (عن F. Déroche, *Cat.* I/2, fig p. 17)

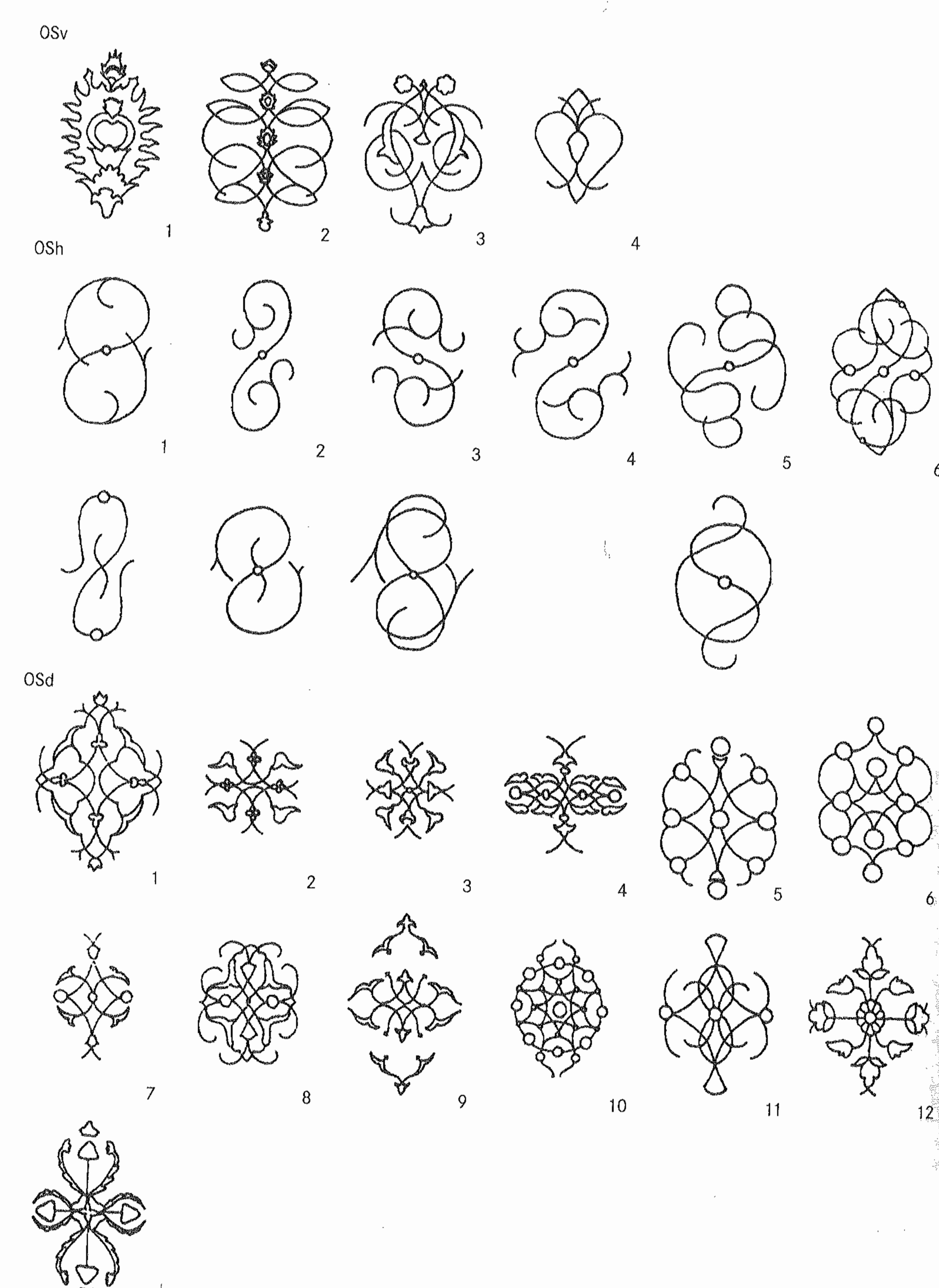


١٠١. تَصْنيف الوِحْدات الزُّخرفية المركزية (عن F. Déroche, *Cat.* 1/2, fig. p. 18)



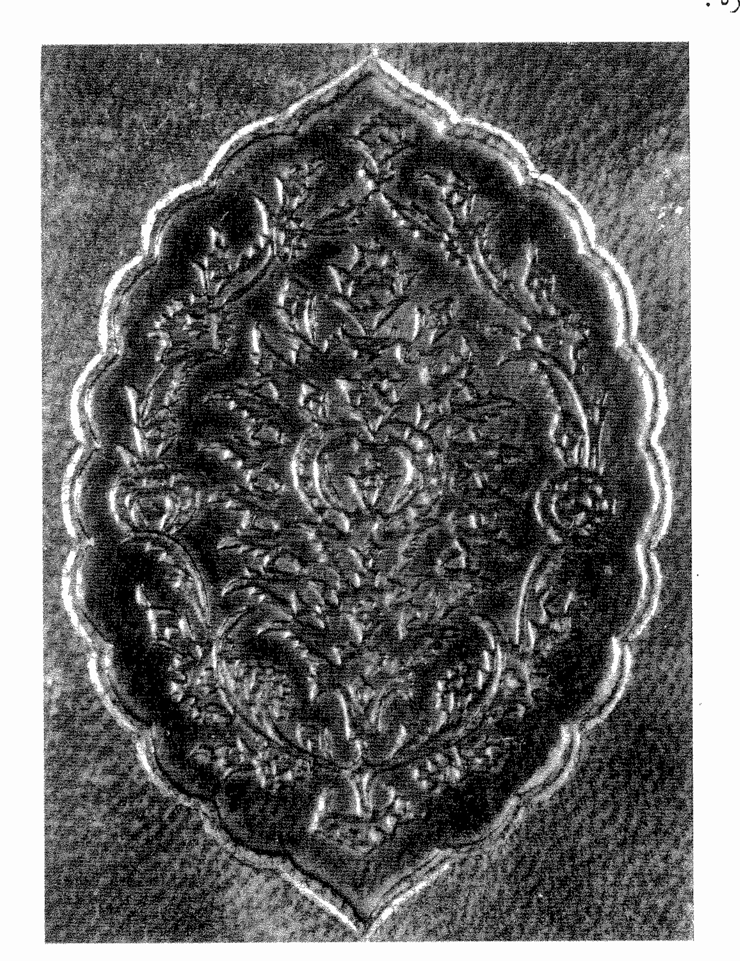
١٠٢. وِحْدَة زُخْرفية عثمانية تقارن بالتكوين NSd 7
باريس رقم BnF suppl. turc 838. تفصيل الدَّفَّة العُلْيا

١٠٣. وِحْدَة زُخْرُفية عثمانية تقارن بالتكوين NA 5
باريس رقم BnF suppl. turc 311،
تفصيل من الدَّفَّة العُلْيا.

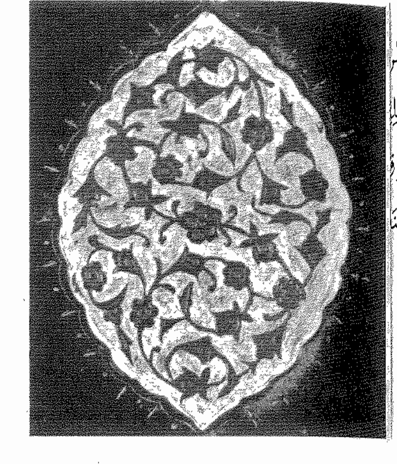


١٠٤. تَصْنيف الوِحْدات الزُّخْرفية المركزية (عن F. Déroche, *Cat.* 1/2, fig. p. 20)

١١١) . وتُوجَدُ ثَلاثُ إمْكانات في الحالة الأولى (S): تَماثُلٌ وَفْقًا للمِحْوَر الرَّأسي لل
(v)، ووَفْقًا للمِحْوَر الأُفُقي (h)، وأخيرًا وَفْقًا للمحورين (d). وعندما تكون الزَّخا
غير مُتماثِلَة فإنَّه يكون للصُّنَّاع حُرِّيَّةٌ أكبر في التَّصَرُّف لابْتِكار تركيبات أصلية .
المرحلة المُتَأخِّرة يمكن أن نَقْتَرِح صِنْفين فقط : الزَّخارِفُ التي أصْلُها في أطْ
الهالة (i) وتلك التي تُوجد في أحَد جانبيها (l). ويتمّ عَمَلُ الرَّشْم بالتَّنْسيق مع عَمَ
أخرى : تَذْهيب كامِل الهالة (وزَخارِف مُلْحَقة) ، وإلْصاقُ صَحيفَةٍ رَقيقَةٍ من الوَرَ
الجِلْد بلَوْنٍ مُخالِفٍ قَبْل الرَّشْم يتمّ تَذْهيب أرْضيتها فيما بُعد ، مُظْهِرَةً بذلك العَنَ
البارِزَة .



١٠٥. وِحْدَة زُخْرُفية عثمانية تقارن بالتكوين OSv1
باريس رقم BnF arabe 448، تفصيل من الدَّفَّة السُّفْلى



١٠. وِحْدَة زُخْرُفية عثمانية تقارن بالتركيب OSh3.
باريس رقم BnF Suppl. turc 1043
تفصيل من الدَّفَّة السُّفْلى

١٠٧. وحدة زخرفية عثمانية تقارن بالتركيب OSd 1
باريس رقم BnF turc 183،
تفصيل من الدَّفَّة السُّفْلى.

/ وقد اسْتُخْدِمَت كذلك وِحْداتٌ زُخْرُفيةٌ أخرى ، وعلى الأخَصِّ في العالم
لإيراني ـ الهِنْدي : بالرَّغْم من أنَّه يمكننا أن نُعَيِّنَ بينها مجموعات ذات اسْتِلْهام مُماثِل
نْعَكِس رُبَّما طُرُقًا مَحَلِّيَّة) ، إلَّا أنَّها تُظْهِرُ مع ذلك اخْتلافات في غاية الأهَمِّيَّة حتى
كن أن نَقْتَرِحَ تَصْنيفًا مُعادِلًا لتصنيف الرُّسُوم أرقام ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٠٨
١١١.

قَوَالِبُ النَّقْش الكبيرة

لم تُصْبح قَوَالِبُ النَّقْش الكبيرة التي تَسْمح بإنْجازِ زُخْرُفٍ يُغَطِّي كامِلَ الدَّفَّة بطريقةٍ
مريعة ، بعد مَوْضُوعًا للتَّصْنيف : فغالِبًا ما تَجْمَع أشْكال الأرابِسك ووِحْدات هَنْدسية
شكل ٨٥) أو تَسْتَمِدُّ انْتِقاءاتها ، ولكن نادِرًا جِدًّا ، من مَجالِ المُنَمْنَمات[٢٠٨] (شكل ٨٦) .

٢٠٨. انظر D. Haldane, *Bookbindings*, p. 87, n°90 أو p. 104, n°102.

ويتمُّ تَذْهيبُ الزُّخْرف بكامِله عادَةً بمُجَرَّد رَشْمِه . وبفَضْلِ هذه الطَّريقة أصْبَحَ من الممكن تَذْهيبُ الدَّفَّة كلِّها بعملية واحِدَة (باسْتِثْناءٍ مُحْتَمِلٍ للإطارِ) عندما يتَعَلَّقُ الأمْرُ إمَّا بزَخارِف تَصْويرية وإمَّا بزَخارِف غير تَصْويرية لمجلَّدات صغيرة الحَجْم[٢٠٩]. وكان على المُجَلِّد في الحالات الأخرى أن يَرْشم الزُّخْرُف على مَرْحَلَتَيْن أو أربع أو حتى ثمان مراحِل باللَّوْح نفسه ، الذي يُطابق نِصْف (أو رُبْع ... إلخ) المِساحَة المَطْلوب زَخْرَفتها[٢١٠]؛ وعادَةً ما نستطيع أن نُدْرِكَ بسهولَةٍ نُقْطَة التَّماس بين رَشْمَيْن مُتتاليين[٢١١]. وتَسْتَوْجِبُ هذه اللَّوازم كذلك بعض التَّكْرار في / الأحْجَام: فيجبُ على المُجَلِّد أحْيانًا أن يَرْشُمَ شَرِيطًا ليَسُدَّ فَرَاغًا مُهِمًّا بين اللَّوْح وحافَة الدَّفَّة[٢١٢].

وقد أتاحَت هذه التِّقْنِيةُ كذلك رَشْمَ نُصُوصٍ قَصيرَةٍ أو طَويلَةٍ بسُهُولَة ، وقد أشَرْنا إلى مثل ذلك سابِقًا فيما يَتَعَلَّقُ بالهالات ، غير أنَّ الأمْرَ يَصْطَدِم هنا إمَّا بالإطَار وإمَّا بالحَيِّز نفسه . وفي كِلا الحالتَين كانت هناك قَوَالِبُ ذات أحْجَامٍ مُصَغَّرَة تَشْتَمِل على عُنْصُرٍ من نَصٍّ تُطْبَع بالتَّوالي على الجِلْد[٢١٣].

٢٠٩. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 160-161, n°149.

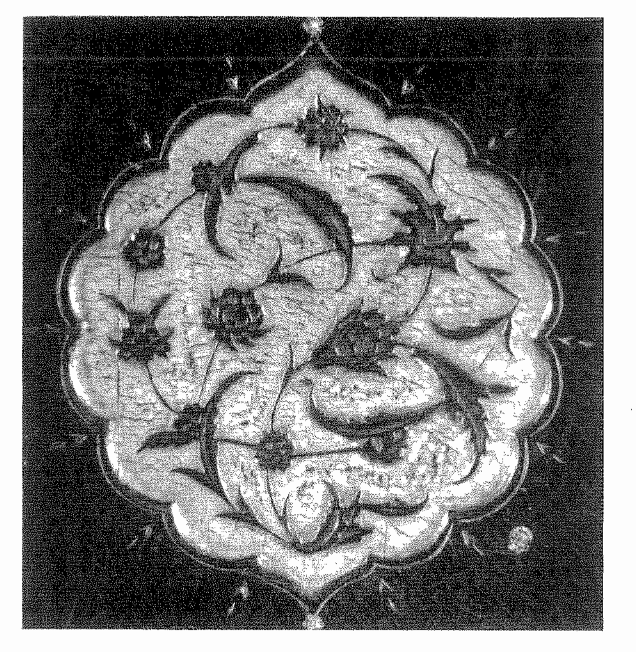
٢١٠. F. Déroche et A. von Gladiss, *Buchkunst zur Ehre Allahs. Der Prachtkoran im Museum für Islamische Kunst* (Veroffentlichungen des Museums für Islamische Kunst, 3), Berlin, 1999, p. 74, 78, 82.

٢١١. انظر مثلًا D. Haldane, *Bookbindings*, p. 108, n°103.

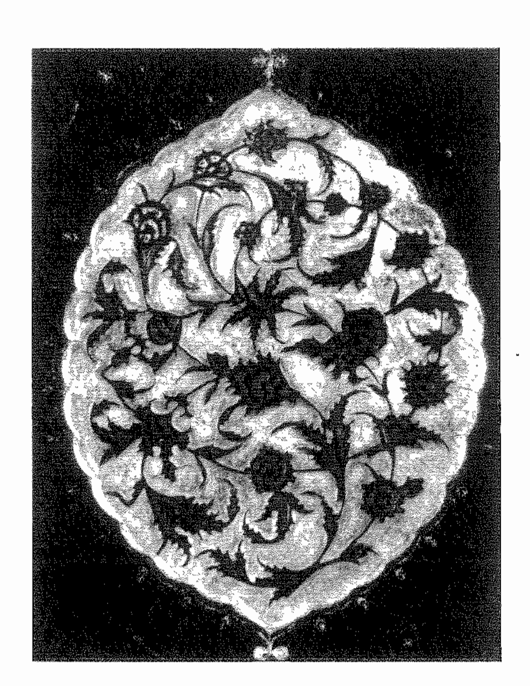
٢١٢. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 79, n°82; D. Duda, *Isl. Hss.*, 1, p. 73-74 et pl. 97; F. Déroche, *Cat.* I/2, p. 132-133, n°541, pl. XII B.

٢١٣. D. Haldane, *Bookbindings*, p. 109, n°105; I. Afshar éd., *op. cit.*, pl. NB (36) et (37) تجاليد .

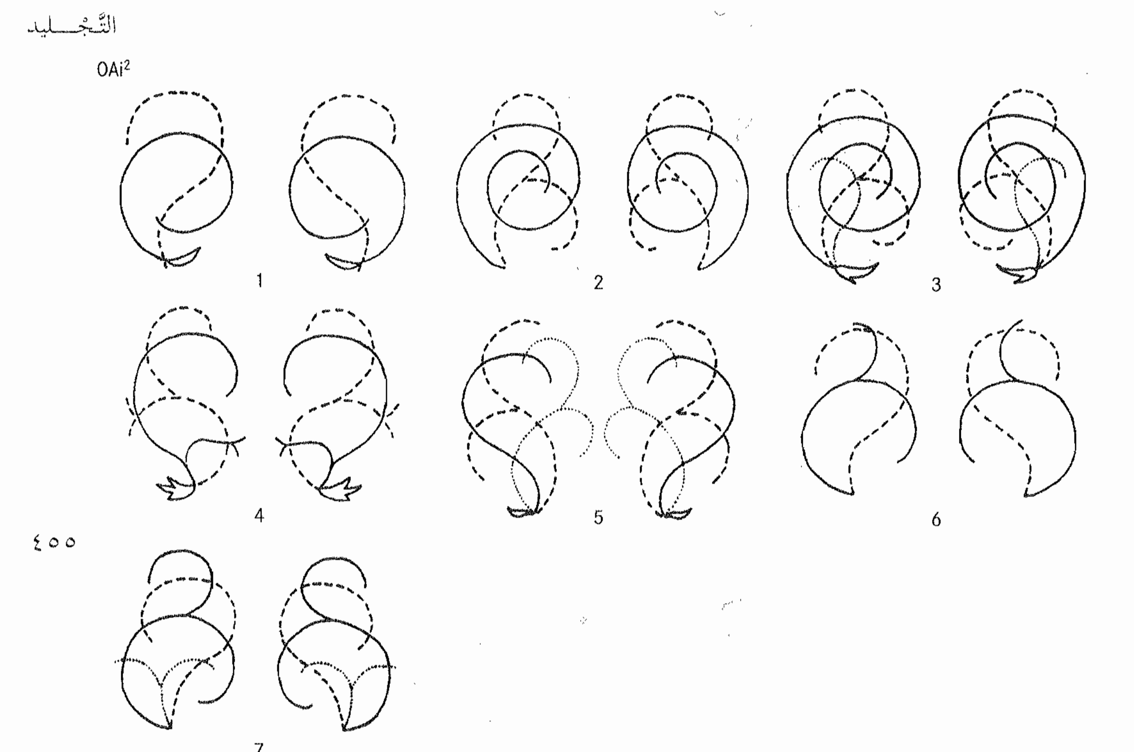
١٠٨. تَصْنيفُ الوِحْدات الزُّخْرُفية المركزية (عن F. Déroche, *Cat.* 1/2, fig. p. 22-4)



١٠٩. وِحْدَةُ زخرفية عثمانية تقارن بالتركيب OAi 2
باريس رقم Suppl. turc 192، تفصيل من الدَّفَّة العُلْيا



١١٠. وِحْدَةُ زخرفية عثمانية تقارن بالتركيب OAi 6
باريس رقم BnF arabe 488، تفصيل من الدَّفَّة العُلْيا



١١١. تَصنيفُ الوِحْدات الزُّخْرفية المركزية (عن F. Déroche, *Cat.* 1/2, fig. p. 25-26)

326 / وبالنِّسْبَة لتجاليد المَصَاحِف، كان الذي يَظْهَرُ في إطار الدَّفَّة غالبًا الآياتِ القُرْآنية [٢١٤]، وأكثر نُدْرَة الأحاديث النَّبَويَّة [٢١٥]؛ أمَّا على الصَّدْرِ أو المُقَدَّم فإنَّنا نجد غالبًا، في وَضْعٍ مَرْكَزي، الآية رقم ٧٩ من سُورَة الواقِعَة [٢١٦].

---

٢١٤. LONDON 1976, p.93, n°164 ; D.James, *Q. and B.*, p.82, n°63s.

٢١٥. LONDON 1976, p.93, n°163 ; D. James, *Q. and B.*, p.122, n°99 ; D. Haldane, *Bookbindings*, p.151-152, n°140. لقد ظهرت نُصوصٌ من هذا النوع بالفعل قبل ضبط هذه التقنية. (انظر CHIGAGO 1981, p. 112-113, n°19).

٢١٦. LONDON 1976, n°164. كما يظهره تجليد مخطوط شيستربيتي بدبلن رقم CBL 1486 المؤرخ سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م، فاستخدام هذا الاستشهاد في هذا =

١١٢. وِحْدَةٌ زُخْرُفية عُثْمانية تقارن بالتَّرْكيب DAI_2

باريس رقم BnF Suppl türc 1462 ، تفصيل من الدَّفَّة السُّفْلى

النَّمَـــطُ III

يتكَوَّنُ النَّمَطُ الثَّالِثُ من التَّجاليد التي تتألَّفُ في الأَصْلِ من دَفَّتَيْنِ وكَعْب (شكل ٧٦) ، وغالِبًا ما تكون هذه التجاليد قد صُنِعَت في الغَرْب وتَعْرِضُ إذًا خَصَائِصَ تِقْنية وعَنَاصِرَ، لم يُشَرْ إليها فيما سَبَق ، مثل خُيُوط ظهر الكتاب والإبْزيم . وقد ظَلَّت التَّجاليدُ القديمةُ للمَخْطوطات العربية المسيحية لفَتْرَةٍ طَويلَةٍ وَفِيَّةً لأُنْمُوذجٍ قريبٍ جِدًّا من التَّجاليد اليُونانية الذي نجد عَرْضًا أكثر تَفْصيلاً لخَصَائصه في المُؤَلَّفات المُتَخَصِّصَة .

وبالمقابِل ، فقد وُجِدَت تجاليدُ في بعض مَناطِق العالم الإسلامي لم يُوجَد بها من الأَصْلِ صَدْرٌ أو أُذُن [المَرْجِع أو اللِّسَان] . ويبدو أنَّها قد عَرَفَت رَواجًا كبيرًا في آسيا الوُسْطَى وفي أَفْغانِسْتان في فَتْرَةٍ حَديثَةٍ نِسْبيًّا (القرن الحادي عشر الهجري/ السَّابع عشر الميلادي ـ القرن الثَّالِث عشر الهجري/ التَّاسع عشر الميلادي) . وتَحْفَظُ هذه التَّجاليدُ التِّقْنياتِ المُتَعَلِّقة بالمُجَلِّدين التَّقْليديين ، وعلى الأَخَصِّ فيما يَتَعلَّق بطَرِيقَةِ ضَمِّ

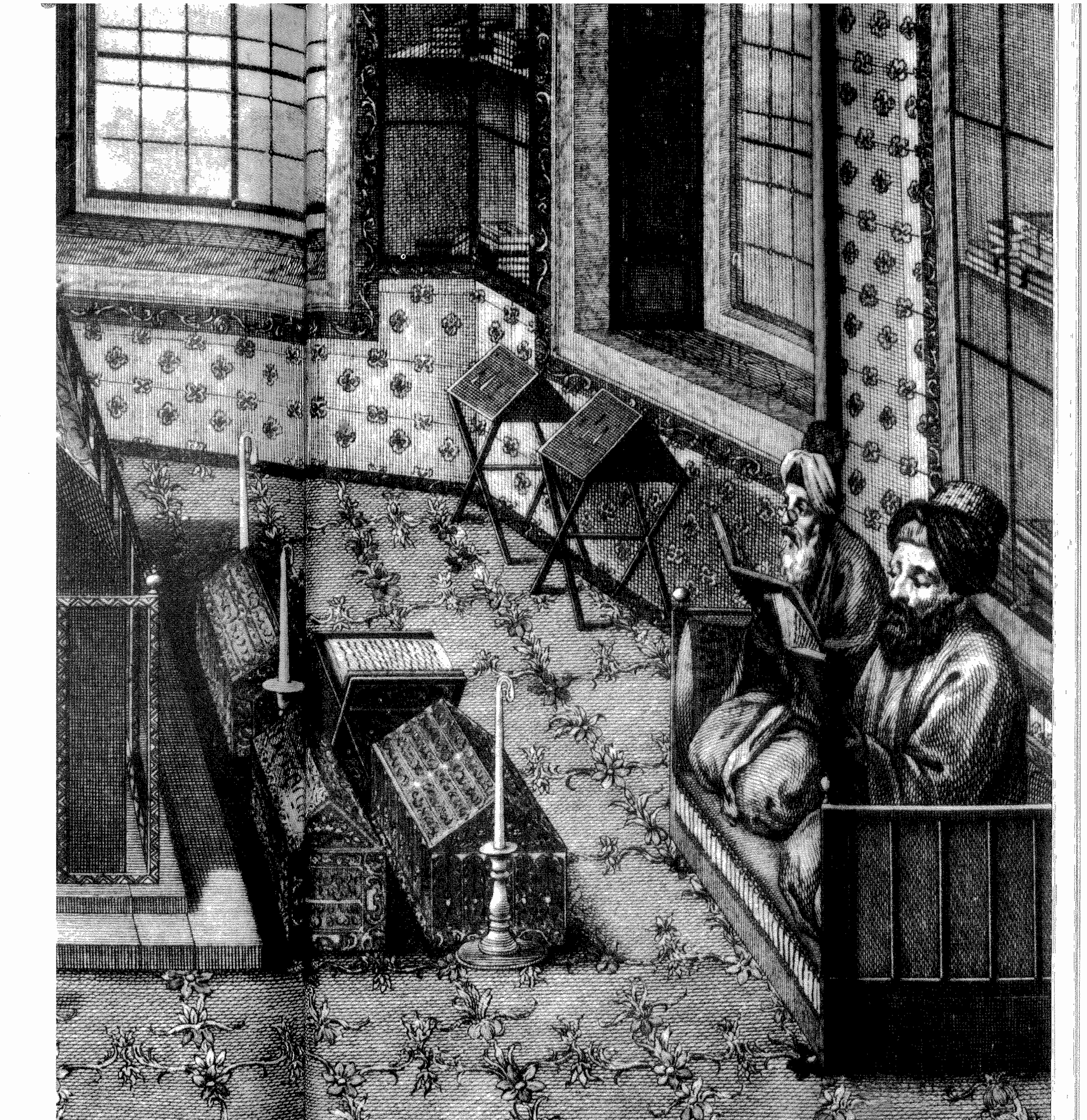
= الموضع سابق على إدخال هذه التقنية في رَشْم القوالب . (CHICAGO 1981, p. 206-207, n°82) .

مجموع الكُرَّاسَات والدَّفَّتين . وزَخْرَفَةُ هذه التَّجاليد مُخْتَصَّةٌ بها كذلك : فيَسْتَخْدِمُ عَدَدٌ منها الوَرَق كغِشَاء ؛ ولزَخَارِف دَفَّتَيْها ، التي تَدْمِجُ غالِبًا تَوْقيعَ المُجَلِّد[٢١٧] (شكل ٧٥) ، خُصُوصِيَّتَها ، سَواء في هَيْئتها العَامَّة أو في عَناصِرها الزُّخْرُفية[٢١٨] .

٢١٧. انظر F. Afkari, «The book covers makes in Traxisoxiana from the 13th and 14th cent. AH/19th - 20th cent. in the manuscripts collection of the Ministry of Foreign Affairs', *Nama-yi Bahâristân* 6 (Autumn - Winter 2002-2003), pp. 459-474، بالفارسية .

٢١٨. تطورت الهالات نحو شكل أقرب من شكل المُعَيَّن .

تاريخ النُّسخة



/استطاعَ القارئُ خلال الكتاب أن يَتَعايَش مع وَسَائِل مختلفة (فَحْص الحامل، (المادَّة)، ونَوْع الكُرَّاسَة، والخَطّ، إلخ)، التي يمكن أن يستخدمها لتَقْدير العَصْر الذي كُتِبَ فيه مَخْطوطٌ مُعَيَّن؛ وستكون هذه الوَسائِلُ هي الوَحيدَة أحيانًا التي تَتَوفَّر له، لتَحْديد التَّأريخ الذي أُنْجِزَت فيه النُّسْخَةُ التي يَفْحَصُها، ومُؤَيِّدًا عند الاقْتِضاء بحُجَجٍ ذات طابعٍ فيلولوجي. وقد تحتوي النُّسْخَةُ كذلك على مُؤَشِّراتٍ أكثر دِقَّة لتأريخها: حَرْد مَتْن وخَوارِج النَّصِّ، وعَلامات تَمَلُّك أخرى.

صَفْحَةُ العُنْوان (الظَّهْرية)

عادَةً ما يَظْهَرُ على وَجْه الوَرَقَة الأولى (الظَّهْرِيَّة) للمَخْطُوطات المكتوبة بالحَرْف العَرَبي عُنْوانُ المُؤَلَّف مَصْحوبًا باسم المؤَلِّف أو بدونه (لوحة ١٠٢، ١٠٢ مكرر، ١٠٣، ١٠٣ مكرر) وبتَعْليقات مختلفة يمكن أن تُفيد في إرْشَادِ الباحِث إلى إعادة بناء تاريخ النُّسْخَة[1]. وتُوجَد هذه الوَرَقَةُ عادَةً في مَكانٍ ظَاهِر، لذلك فكثيرةٌ هي الحالاتُ التي فُقِدَت فيها، ليتم إحْلال أخرى محلَّها في وَقْتٍ لاحِق. لذلك يجب أن نُولي عناية خاصَّةً لهذه الصَّفْحَة عند دِرَاسَة مَخْطُوطٍ به صَفْحَةُ عُنْوان، وأن نَتَذَكَّر أنَّ الإشارات الموجودة عليها ابتداءً من عُنْوانِ الكتاب يمكن أن تكون مَغْلُوطَةً أو مُزَوَّرَة.

١. كما صنعنا في فصل «تَزْويق الكتاب»، فإننا نشير في السطور التالية إلى أوَّل ورقة «مفيدة» من المخطوط، وحتى وإن كان ترقيم الأوْراق أو ترقيم الصفحات يعطيها في بعض الأحيان رقمًا لاحِقًا. وسنسميها اتّفاقا في هذا المقطع «ورقة ١» (و «ورقة١ظ»)، اللهم إلا إذا تعلق الأمر بمخطوطات محددة.

العُنْــــوان[2]

كانت الإشارَةُ إلى العنوان في القديم تَتمُّ بشَكْلٍ بسيط: وتبدو في العَديد من المَخْطُوطات بحروفٍ كبيرة مُعْتنًى بها دون أن يَصْحَبَها أيُّ زَخْرَفَةٍ من أي نَوْع. ويُوَضِّح مَخْطَوطُ ڤيينا رقم ÖNB Cod. A.F. 340/، المُؤَرَّخ سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥-١٠٥٦م مَفْهُومًا شَرْقِيًّا لهذا العَرْض[3]؛ وتُظْهِر صَفْحَةُ عُنْوان مُجَلَّدٍ من «كِتاب المُدَوَّنَة»، وَقفَهُ سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م الحاكِمُ الزِّيري المُعِزُّ بن باديس، أنَّ الغَرْبَ الإسلامي اتَّبَع القَواعِد نفسها[4]. وحُوفِظَ على هذه الطَّريقَة على الدَّوام، في أشْكالٍ أكثر تَوَاضُعًا، في النُّسَخ الشَّائعة الصُّنْع. وفيما يَخُصُّ المَخْطوطات المُعْتَنى بها [الخَزَائنية]، فقد أبْرَزَت الزَّخْرَفَةُ سَريعًا هذه المعلومة. ففي مَخْطُوطين من ڤيينا، على سبيل المثال (ÖNB Cod. A.F. 4 ورقة ١ وتأريخه ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، و A.F. 75 ورقة ١ من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)[5] يُوجَد إطارٌ مُذَهَّب يُحَدِّدُ المِساحَة المكتوب فيها العُنْوان. وإلى جانب العُنْوان قد يَضُمُّ هذا الإطارُ أحيانًا إشارَةً إلى اسم مُسْتَكْتب النُّسْخَة تَبَعًا لصِيَغٍ مُعَدَّة تقريبًا؛ ويَلْعَبُ مجموعُ ذلك دَوْرًا مُزْدَوَجًا بضَمِّ العُنْوان إلى نَصٍّ يُعَدُّ من خَوَارِج النَّصّ. وتبدأ هذه الإشارات عادَةً بصِيَغٍ مثل: برَسْم، حَسَب إشَارَة، بعناية، تُحْفَةً لـ... إلخ[6].

وتُظْهِرُ الوَرَقَةُ الأولى من مخطوطي ڤيينا رقم ÖNB Cod. N.F. 278، ورقم A.F. 84 a التي يرجع تأريخها إلى سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٤م مُتَغيرَيْن لوَضْعٍ واحِد، حيث يَظْهر العُنْوانُ داخل زَخْرَفَةٍ بينما كُتِب اسم مُسْتَكِتب النُّسْخَة، وهو مُوَظَّف مملوكي كبير

331

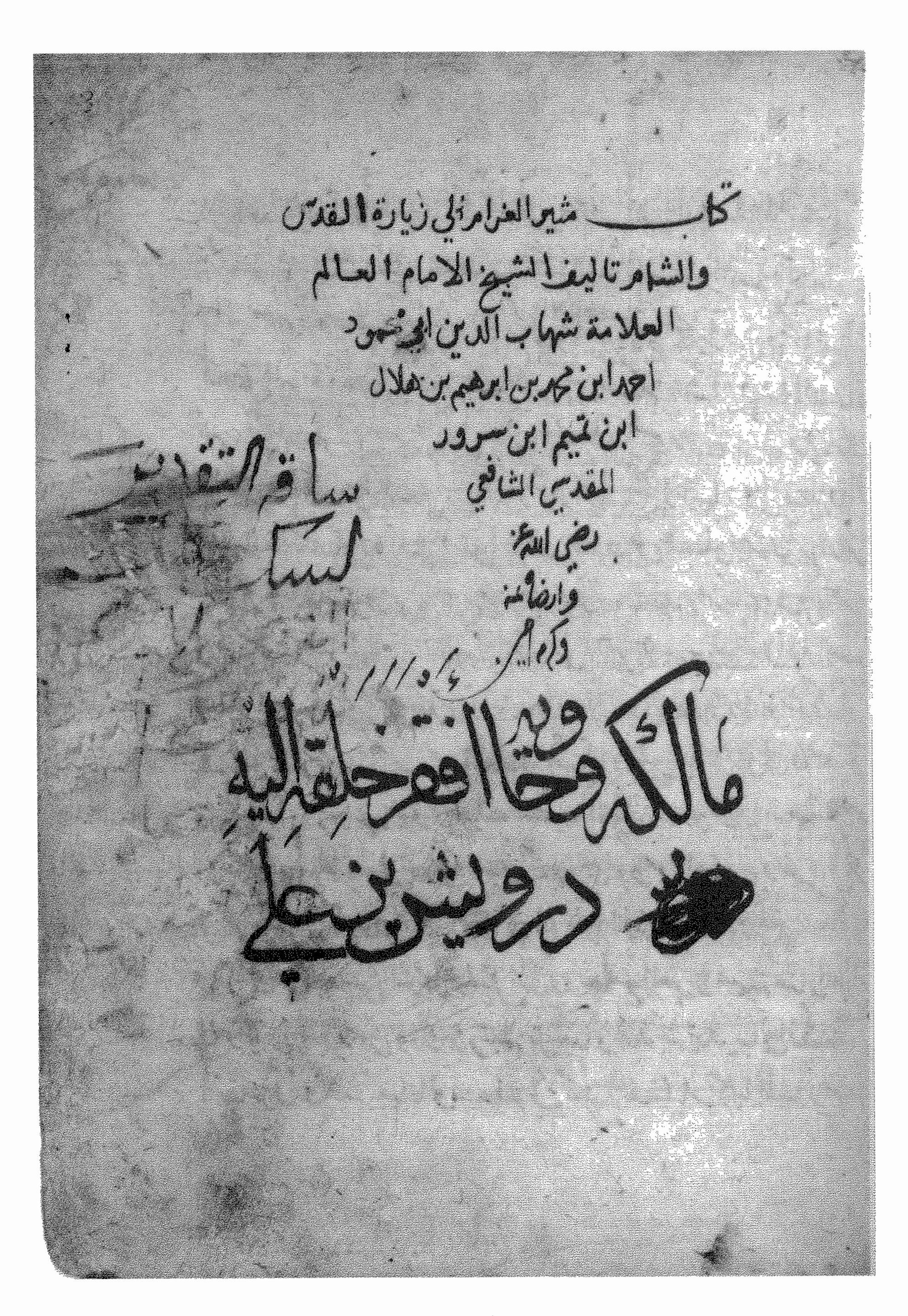
٢. يظهر العنوانُ أيضًا في أماكن أخرى: في حافَة الرأس أو حافة الذَّيْل (ويكون مرئيًا حينما يوضع المخطوط مُنْبَطِحًا حسب العادات المشرقية)، على صَدْر أو مُقَدَّم التجليد أو أيضًا على بِطاقَةٌ مُلْصَقَة على الدفة العليا.

٣. D. Duda, *Isl. Hss.*, I, p. 51-52. ولوحة ١.

٤. محمد النيال: المكتبة الأثرية بالقيروان، تونس، ١٩٦٣، شكل. ص ١٨ من أعلى (انظر أيضا ص ١٤، هـ[6]).

٥. D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pp. 15-17؛ ولوحة ٩٢ و pp. 74-75، لوحة ٤١.

٦. A. Gacek, «Ownership statements and seals in Arabic manuscripts», *MME* 2, 1987, p. 88.


كتاب مثير الغرام الى زيارة القدس
والشام تاليف الشيخ الامام العالم
العلامة شهاب الدين ابو محمود
احمد ابن محمد بن ابرهيم بن هلال
ابن تميم ابن سرور
المقدسي الشافعي
رضي الله عنه
وارضاه
[illegible]
مالكه وحافقه خلقه اليه
درويش بن علي

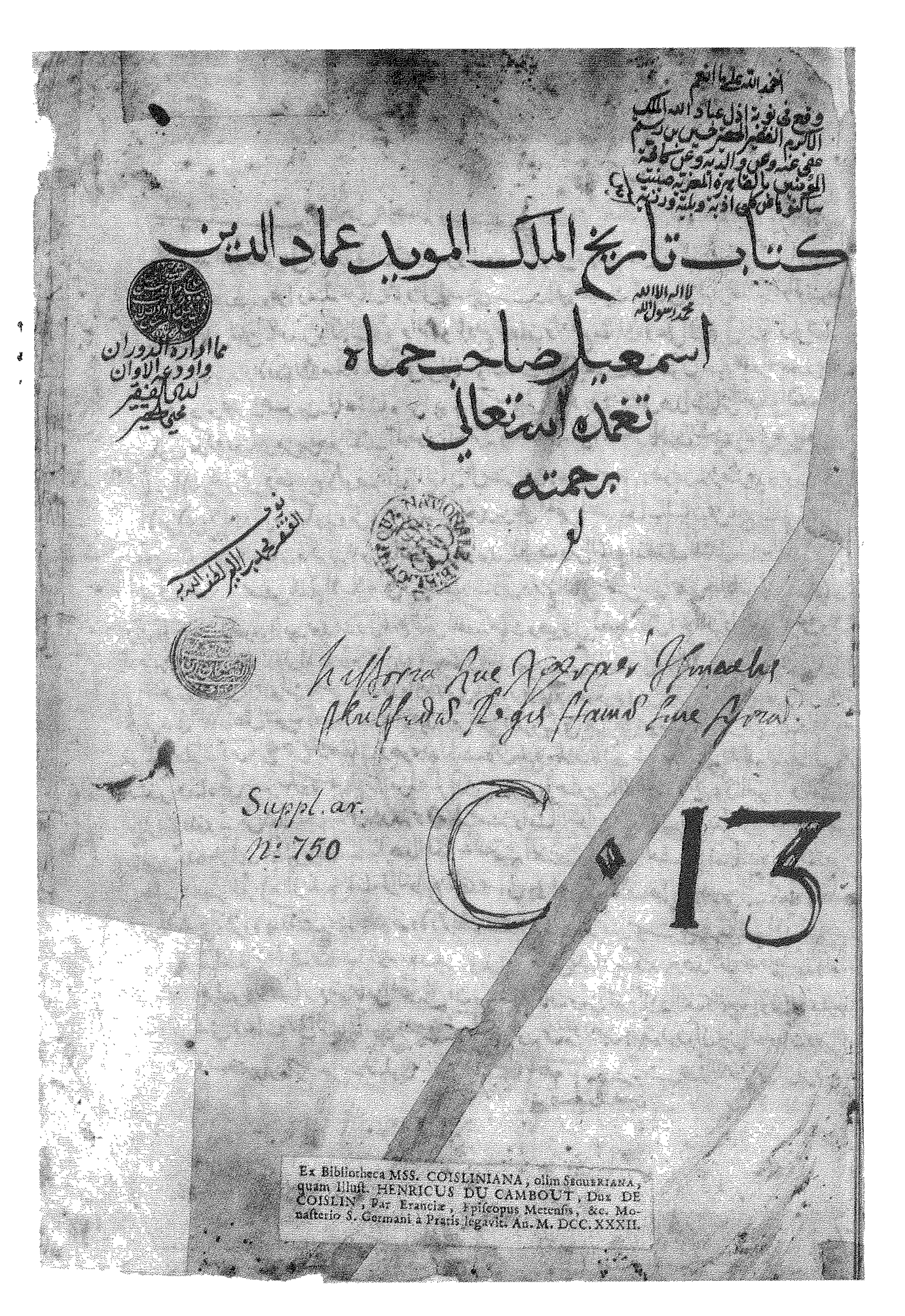
١١١٣. صَفْحَةُ عُنْوانٍ وعَلامَةُ تَمَلُّك . نُسْخَة كُتِبَت سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م

باريس رقم BnF arabe 1667، ورقة ٣.

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن واختم بخير اللهم صل على سيدنا محمد واله
الحمد لله الذي زاد مسجدنا الاقصى شرفا بالاسرا اليه بخير البشر وجعله
ثاني مسجد وضع على وجه الارض كما في صحيح الخبر وقبلة اولى
فصلى اليه المصطفى ستة عشر شهرا او سبعة عشر وفضل الصلاة
فيه على الصلوة في غيره من المساجد خلا مسجد طيبة ومكة ذي الركن
والحجر وبارك حوله ليعلم ان البركة فيه اولى بالاعتبار والنظر وقال
نبينا عليه الصلوة والسلم ايتوا بيت المقدس فصلوا فيه فانه ارض
المحشر والمنشر ومن احرم منه بحج غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
ومن قصده لا ينهزه الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
فيا فوز من اخلص وتطهر واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة ارغم بها انف من جحد واستكبر واقمع بها من تولى وكفر
واشهد ان محمدا عبده ورسوله صاحب اللواء والكوثر والمبعوث الى
الاسود والاحمر صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن اوى اليه ونصره ونا جر
وعزره والتابعين لهم باحسان الى يوم الفزع الاكبر وبعد
فهذا كتاب نفيس الخطر جليل القدر جامع الغرر سميته مثير الغرام
الى زيارة القدس والشام رتبته ترتيبا وهذبته تهذيبا واتقنته
اتقانا واوضحته تبيانا وجعلته في كتب الفضايل كلها المشار اليه

١١١٣ب. بِدايَةُ نَصٍّ . نُسْخَة كتبت سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م

باريس رقم BnF arabe 1667، ورقة ٣ظ.



١١٤ا. صَفْحَةُ عُنْوان وعَلامَةُ تَمَلُّك وبصمات أختام.

باريس رقم BnF arabe 1508، ورقة ٢.

١١٤ب. بِدايةُ نَصّ

باريس رقم BnF arabe 1508، ورقة ٢ظ.

غير معروف ، أسْفلها بحُرُوفٍ مُذَهَّبَة [٧]. واشْتَمَلَت الوَرَقَةُ الأولى لمخطوطٍ مُعَاصِرٍ تَقْرِيبًا محفوظ في ڤيينا برقم Cod. N.F. 381، على الإشارتين في زَخْرَفَةٍ مُنْدَمِجة في تكوينٍ شامِلٍ ، ورُبَّما كان ذا مَغْزًى أنَّ هذه النُّسْخَة من «البُرْدَة» جاءَت من مكتبة السُّلْطان قَلاوون [٨]. وإذا كان يبدو مَنْطِقِيًّا أن نجد هذه الإشارات في هذا المَوْضع ، فلنتذكر ، مع ذلك ، أنَّ اسم مُسْتَكِتب النُّسْخَة ، وكذلك عُنْوان المُؤَلِّف يظهران أيضًا في حَرْدِ المَتْن [٩].

ولا تُوجَد للمَخْطُوطات القرآنية (المَصَاحِف) صَفْحَةُ عُنْوان بمعنى الكلمة ، وإنَّما يمكن أن نجد على وَجْه الوَرَقَة الأولى اسْتِشْهادات قرآنية أو أيضًا ، في حالة المَصَاحِف ذات الأجزاء (الرَّبْعات) ، إشارَةً إلى رقم المُجَلَّد . فنجد على وَجْه الوَرَقَة الأولى من مُصْحَف باريس رقم BnF ar. 6041 المكتوب في بُسْت سنة ٥٠٥هـ/١١١١-١١١٢م رقم المجلد السَّابع والآيتين ٧٧-٧٨ من سورة الوَاقِعَة [١٠]. وفي فَتْرَةٍ مُبَكِّرَة لم تَحْمِل الوَرَقَةُ الأولى أيَّة زَخْرَفَة ، وإنَّما وُجِدَت في النُّسَخ المُعْتَنَى بها [الخزائنية] ،/ زَخْرَفَةٌ بدون كِتابة على الصَّفْحتين المتقابلتين التاليتين ، ثم يبدأ النَّصُّ نفسه على الصَّفْحتين المتقابلتين التاليتين لها . وغالبًا ما يبدأ النَّصُّ على الصَّفْحتين المتقابلتين الأوليين ، دون أن تَسْبِقه أيَّةُ إشارَةٍ أيًّا كانت .

ورَغْم كلِّ ذلك ، فلا يَظْهَر العُنْوانُ دائمًا على وَجْه الوَرَقَة الأولى (الظَّهْرية) ، فقد أتاحَ تَطَوُّرُ التَّزايين التي تُؤَطِّر بِدايَة النَّصِّ في ظَهْر الوَرَقَة الأولى للنُّسَّاخ والمُزَخْرِفين إمْكانية اسْتِخْدام قِسْمٍ من الزَّخْرَفَة لعَمَل فاتِحَةٍ يُكْتَبُ بداخلها عُنْوانُ المُؤَلِّف . هكذا ، نجد ذلك ظاهِرًا في العَديد من النُّسَخ في ظَهْر الوَرَقَة الأولى ؛ فمخْطُوطُ ڤيينا رقم ÖNB N.F. 145 a، الذي كُتِبَ في شِيراز سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧-١٤٧٨م تحمل فاتحَتُه المُزَخْرَفَة في ظَهْر الوَرَقَة الأولى ، إشارَةً إلى «مُقَطَّعات ابن يمين» [١١]. وتُوجَد صيغَةٌ أكثر

٧. D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pp. 128-29، لوحة ٤٣ و pp. 74-75، لوحة ٩٧.

٨. D. Duda, *Isl. Hss.*, 2, pp. 131-32، لوحة ٤٥.

٩. انظر فيما يلي . ونُذَكِّر كذلك أن عنوان الأثر يظهر في بعض الأحيان في حافة المجلد بشكل يجعله منظورا حينما يوضع في وضع أفقي ، كما أوصى بذلك المؤلفون القُدَماء ، (راجع : F. Rosenthal, *The technique and approach of Muslim scholarship*) . ونشر توضيحٌ قَيِّم لهذه الممارسة في GOTHA 1995 p. 121 n. 522، ص ٧٣. وقد يظهر العنوان أيضًا على التَّجْليد سواء مرشوما أو مكبوبًا على بِطاقَة مُلْصَقَة على الدفة .

١٠. F. Déroche *Cat.* 1/2, p. 121, nº 522.

تَطَوُّرًا تُوَضِّحها نُسْخَةُ «مَنْطق الطَّيْر» للعَطَّار ، المحفوظة في باريس برقم BnF persan 348، والمكتوبة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، حيث نجد مَثِيلًا للزَّخْرَفَة الموجودة في ظَهْر الوَرَقَة الأولى في الصَّفْحَة المقابلة لها [١٢]، وبذلك أمكن الاسْتِفادَة من الإطارَيْن لتحديد عُنْوان المُؤَلَّف واسْم المُؤَلِّف ؛ ومع ذلك ، فإنَّنا نجد ، في العَديد من المجلَّدات ، إطار تَزْيين في ظَهْر الوَرَقَة الأولى يحمل عبارةً دينيةً هي في الأغْلَب «البَسْمَلَة» [١٣].

خَوارِجُ النَّصِّ وفِهْرِسْت المَوْضُوعات

تَبَيَّنَ لنا ممَّا سَلَف أنَّ اسم مُسْتَكْتِب النُّسْخَة يَقْتَرِنُ أحيانًا بعُنْوان المُؤَلِّف على الوَرَقَة الأولى ، وكثيرًا ما نجده وحده على هذه الوَرَقَة في النُّسَخ الخَزَائِنية (شكل ٤٧) . فكان تَغَيُّرُ المالِك مَدْعاةً لتَعْديل هذه الإشارة ، ويَسْهُل علينا عادةً مَعْرِفَة الكَشْط والكلمات المُضَافَة ... إلخ . ومن أقْدَم الأمْثِلَة على ذلك ما نجده على رأس مخطوط ليدن رقم BRU Or. 437 الذي يَحْمِل على التَّدْقيق إضافَةً تَحْمل اسم أحد التُّجَّار هو محمد بن شِبْل ، أخْفَت جُزئيًّا النَّصَّ الأصْلي الذي كان باسم الحاكم الغَزْنَوي عبد الرَّشيد [١٤] (حَكم من ٤٤٠هـ/١٠٤٩م-٤٤٣هـ/١٠٥٢م) . وبالمُقَابِل ، فإنَّ المُزَيِّنين كانوا يُنَفِّذُون على الوَرَقَة الأولى زَخْرَفَةً يُحْتَمَل أن تكون مُخَصَّصَةً لتَسْتَقْبِل في وَسَطِها اسم مُسْتَكْتِب النُّسْخَة ، رَغْم أنَّها ظَلَّت فارِغة . ونُشير أخيرًا إلى ما يمكن اعتباره بطريقةٍ نِسْبيةٍ من خَوارِج النَّصّ : أعْني الصِّيغَة التي تَظْهَر في الزَّخْرَفَة والمكتوبة بطريقة مُجَهَّلَة ، على سبيل المثال مخطوط ڤيينا رقم ÖNB Cod. A.F. 93 المؤرخ سنة ٩٠٥-٩٠٦هـ/١٥٠٠م ،

١١. D. Duda, *Isl. Hss.* I, p. 75، ولوحة ٦٤. وبالنسبة لمثال آخر ، انظر مخطوط ڤيينا رقم Cod. A.F. 28، ورقة ١ظ (Ibid., pp. 20-21 والشكل ٣٤٤) .

١٢. F. Richard, PARIS 1997, p. 109 n°68.

١٣. تظهر ثلاثة أمثلة جنبا إلى جنب في : D. Duda, *Isl. Hss*, 2، الأشكال : ١٢٤ - ١٢٦.

١٤. S. M. Stern, «A manuscript from the Library of the Ghaznawid Amir ʿAbd al-Rashid», dans R. Pinder-Wilson éd., *Painting from Islamic lands*, Oxford, 1969, p. 12-13 et pl. 1.

فقد جاء على ظَهْر الوَرَقَة الأولى: «لِصَاحِبِه السَّعادَة والسَّلامَة»[١٥].

337 /ونجد في هذا المَخْطُوط نفسه ـ نُسْخَة من «خَمْسَة نِظامي» ـ وكذلك في مُجَلَّداتٍ أخرى تَشْتَمل على العَديد من المُؤلَّفات، أنَّ المُزَيِّن يُضيف فِهْرِسْتًا للمَوْضوعات يُعْطي القارئ رُؤْيَةً مُجَمَّعَة لما سيجده؛ وعلى سبيل المثال يمكن أن نَذْكُر مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 1357، المُؤَرَّخ سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م الوَرَقَة الثانية[١٦]، ومخطوط ڤيينا رقم ÖNB Cod. Mixt. 914، الورقة الأولى[١٧]. وفي النُّسَخ المُعْتادَة يَتَّخِذُ فهرست المَوْضُوعات مَظْهَرًا أكثر بدائية؛ وقد أوْصَى العُلَماءُ القُدَماء، مثل العَلْمَوي (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، بتقدير هذه الأداة العَمَلية ووَضْعها في بداية المُجَلَّد[١٨].

حُرُودُ المَتْن والتَّأريخ

عندما يصل النَّاسِخُ إلى نهايةِ عملية النَّسْخ، قد يتراءى له أن يستفيد من الفَرَاغ المُتَبَقِّي بعد النَّصِّ لِيُثْبِت كِتابَةً بعضَ المعلومات المُتَعَلِّقة بالنُّسْخَة. وهذا النَّصُّ، الذي نُطْلِق عليه «حَرْد المَتْن»[١٩]، يكون في العُمُوم في أحْجامٍ صَغِيرَة ولا يَخْضَع لقَواعِد مُحَدَّدَة، ويَتَضَمَّن إذًا بيانات تَخْتَلِف من مَخْطوطٍ إلى آخَر. فيمكن أن يُعَرِّف فيه النَّاسِخُ بنفسه، وأن يُسَجِّلَ، حَسَبَ رَغْبته، تأريخَ الانْتِهاء من كِتابَة النُّسْخَة أو المكان الذي عَمِلَ فيه، وأن يُعَيِّن عند الاقْتِضاء، مُسْتَكْتِب النُّسْخَة. فحَرْدُ المَتْن إذًا له أهَمِّيَّةٌ كبيرةٌ عند عالِم المَخْطُوطات: بما أنَّ المَخْطُوطاتَ المُؤَرَّخة تُمَثِّل

١٥. D. Duda, *Isl. Hss.* I, pp. 33-37، ولوحة ١٠٧.

١٦. F. Richard. Paris 1997, p. 98, n°51 واللوحة p. 92.

١٧. D. Duda, *Isl. Hss.* I, pp. 199-200، ولوحة ٦٦.

١٨. F. Rosenthal, *ibid.*

١٩. تُعَدُّ مقالات رمضان ششن: R. Sesen, «Esquisse d'une histoire du développement des colophons dans les manuscrits musulmans», *Scribes*, p. 189; 221 و G. Troupeau «Les colophons des manuscrits arabes chrétiens», *Scribes*, p. 223-231. والصفحات المخصصة للمخطوطات المؤرخة عند أيمن فؤاد سيد: المخطوط العربي، ٤٠٢ ـ ٤١٥، مدخلا ممتازًا حول موضوع «حُرُود المَتْن».

في الواقع نِقاط الانْطِلاق الضَّرورية له. كذلك فإنَّ المَعْلومات التي يشتمل عليها حَرْدُ المَتْن تحمل في حَدِّ ذاتها أهَمِّيَّةً خاصَّةً، لذلك يجب أن يكون تَحْليلُها بالأَحْرى قاسيًا لأنَّها يمكن أن تكون مَغْلُوطَةً، سواء بطريقةٍ إرادية أو بغَيْر قَصْد.

مَكانُ حَرْدِ المَتْن وشَكْلُه

اقْتَرَحَت السُّطُورُ السَّابِقَة أنَّ حَرْدَ المَتْن يُوجَد بطَريقَةٍ مَنْهجية في نهاية النُّسْخَة، أو على الأَقَلِّ في نهاية مَقْطَعٍ نَصيٍّ مُنْسَجِم. ومع ذلك، فتُوجَد دائمًا اسْتِثْناءاتٌ لهذه القاعِدَة: فنجده يأتي على رأس بعض المَخْطُوطات مثل حالَة مُصْحَف مكتبة نُور عُثْمانية بإستانبول رقم ٢٣[٢٠].

338 / وتَتَوَفَّرُ أحْيانًا لعالم المَخْطوطات العَديدُ من حُرُود المَتْن لنُسْخَةٍ واحدة: ويَحْدُث هذا على الأَخَصِّ بالنِّسْبَة للمَصاحِف ذات المُجَلَّدات المُتَعَدِّدَة، والتي يُعَدُّ كلُّ مُجَلَّدٍ منها وِحْدَةً كوديكولوجيةً مُتَجانسة[٢١]، أو أيضًا بالنِّسْبَة للنُّصُوص المُقَسَّمَة إلى أقْسام، سواء للتَّيْسير[٢٢] أو للضَّرُورَة عندما يكون حَجْمُ الكتاب ضَخْمًا[٢٣]. ويمكن كذلك أن نُقابل داخل مُجَلَّدٍ واحِدٍ تتاليًا لحُرُودِ المَتْن يُحَدِّدُ كُلُّ واحِدٍ منها نهاية مَقْطَعٍ نَصِّي، دون أن يَتَطابَق هذا مع نهاية كُرَّاس.

٢٠. Déroche, F. «Cercles et entrelacs: format et décor des Corans maghrébins médiévaux», *Académie des inscriptions et belles-lettres, Comptes rendus* 2001, pp. 596-99. شكل ١ و١٢. وتختلف حالة مخطوطي مُراد ملا وفيض الله بإستانبول رقمي Süleymaniye Murad Molla 6 و Feyzullah ef. 1580 شيئا ما: حيث يظهر اسم الناسخ في صفحة العنوان في حين يوجد التاريخ في حَرْد المَتْن في نهاية المجلد (Sesen, R., *op.cit.*, *Scribes*, pp. 196-97, n°11, p. 199 n°19).

٢١. مثلا مخطوطات باريس أرقام BNF arabe 561 حتى 568، أو 515 حتى 540 (F. Déroche, *Cat* I/2, p. 75-76, n° 399-404, p. 77-81 n° 409-425).

٢٢. تبعًا لما عُرف عن مجموعة المخطوطات الفقهية القديمة بالقيروان، يبدو أنَّ المؤلفات الرئيسة في المذهب المالكي، المُوَطَّأ أو المُدَوَّنة وُجِدَت في بعض الأحيان على شكل أجزاء صغيرة تَتَّفِق مع التقسيم المنطقي للأثر، وذلك دون شك لتيسير القراءة على الطلبة.

٢٣. انظر حَرْد مَتْن مخطوط مراد ملا بإستانبول رقم Süleymaniye Murad Molla 6 (Sesen, R., *op.cit.*, p. 196, n°11)، أو مخطوط باريس رقم BnF arabe 6791 (*FiMMOD* 160).

وعندما يَحْتلُّ حَرْدُ المَتْن وَضْعَه المُعْتاد يمكن أن نجده مُتَّصِلًا بالنَّصِّ دون أن يُمَيِّزه أيُّ شيءٍ (أو فقط عَلامَة تَرْقيم خَفِيَّة) عن ما سَبَقه [٢٤]. وغالبًا ما يَحْتَفِظ له النَّاسِخُ بإخراجٍ خاصٍّ، والأكثر أُلْفَةً منه يَتَّخِذُ شكل مُثَلَّث [٢٥] (لوحة ٦٩)؛ وحَلَّ مَحَلَّ هذا التَّجْديد في كثيرٍ من الحالات هيئة على شكل عَمُود سطوره أَضْيَق من سُطُور النَّصّ [٢٦]، أو أيضًا على هَيْئَة تَعاقُب إطارات مُسْتَطيلَة ذات عَرْضٍ مُخْتَلِف (لوحة ٦٨). واخْتار نُسَّاخٌ آخرون أن يُثْبِتوا حَرْدَ المَتْن داخل دائرة [٢٨]، وحتى في أَشْكالٍ ذات حُدُود مُعَقَّدَة [٢٩]، ورُبَّما كان وَضْعُ حَرْدِ المَتْن في النُّسَخ الخَزَائنية (لوحة ٧٠، ٧١) على الأَخَصِّ مُعْتَنًى به إلى أبْعَد حَدٍّ [٣٠]. ويجب أن نُسَجِّل أنَّه كان يتمّ تَمْديد حُرُوف حَرْد المَتْن، وعلى الأخصِّ كلمات «تَمَّ الكتاب» [٣١]. وكثيرًا ما كان النَّاسِخُ، وعلى الأخصِّ في المَصَاحِف، يَتَخَلَّى عن أسْلُوبِ الخَطِّ الذي اسْتَخْدَمَه في النَّصِّ ليَسْتَعْمِل أسْلُوبًا آخر في كِتابَة هذه السُّطُور القَليلَة [٣٢]. وفي بعض الأحْيان كان يرسم عند رأس حَرْدِ المَتْن سلسلةً من

٢٤. انظر على سبيل المثال مخطوط طشقند رقم IOT 3120، المنسوخ سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م (*FiMMOD* 256).

٢٥. على سبيل المثال مخطوط باريس رقم BnF ar. 1687 الذي يرجع إلى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، ومخطوط لييج بيلجيكا رقم Liège BU 5070، الذي يرجع إلى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٧م (*FiMMOD* 53 , 70).

٢٦. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1451، الذي يعود إلى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، ورقم 1295، ورقة ٢ - ١٤٤، والذي يعود إلى سنة ٦١٢هـ/١٢١٦م (*FiMMOD* 36, 46).

٢٧. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2882، الذي يعود إلى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، ورقم 1246، الذي يعود إلى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (*FiMMOD* 61).

٢٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1615، الذي يعود إلى سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م (*FiMMOD* 125).

٢٩. مخطوط البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Libr., Arab.d. 19، المنسوخ سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م (*FiMMOD* 230).

٣٠. مخطوط باريس رقم BnF arabe 385، المنسوخ سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م (*FiMMOD* 102).

٣١. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1696، المنسوخ سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م (*FiMMOD* 45)، ومخطوط ليدن رقم BRU Or.14113، ورقة ٤٧ظ. (J.J. Witkam, *Cat.* 2, pp. 189-91). وانظر حول هذا الموضوع التوصيات التي جمعها آدم كجيك (A. Gacek, «Technical practices and recommendations recorded by classical and post-classical Arabic scholars concerning the copying and correction of manuscripts», *Mss du MO*, p. 53, n. 27).

٣٢. راجع قطعة مخطوط إستانبول رقم TIEM SE 13644/1. (F. Déroche, «Deux fragments coraniques maghrébins anciens au musée des Arts turc et islamique», *REI* 59, 1991, p. 231-232 وشكل 2) ومخطوط مونتريال رقم McGill Univ. Libr. ISL 54. ولأسباب أخرى (يتعلق الأمر بمخطوط مُزَوَّر ومنسوب لابن البَوَّاب)، ختمت نسختان من ديوان سلامة بن جندل بحَرْد متن مذهب (راجع، أيمن فؤاد سيد: المخطوط، شكل ٧٤ و ٧٥).

الميمات (اخْتِصَارًا لكلمة تَمَّ) أو من الهاءات (اخْتصارًا لكلمة انْتَهى) وهي دائمًا على شَكْل مُثَلَّث (شكل ٦٩).

339 / صِيَغ حُرُود المَتْن

تبدأ حُرُودُ مَتْن المَخْطُوطات العربية الإسلامية بصِيَغٍ شائِعَة الاسْتِخْدام، وقليلة نِسْبيًّا. وكقاعِدَةٍ عامَّة تكون مكتوبَةً بضمير الغائِب، ولكن نُقابِل أحيانًا بعض الاسْتثناءات. وخِلافًا لتقاليد مَخْطُوطاتية أخرى، والتي تُعَدُّ فيها هذه النُّصُوصُ مَوَاضِعَ يأخُذ فيها النَّاسِخُ بحَقِّ الكلمة، ويُقَدِّم عن نفسه معلومات دَقيقَة، يكون بَقِيَّةُ النَّصِّ أحيانًا في غايَة الإيجاز ويَقْتَصِر على الأساسيات؛ وكما يَقْتَرِح رَمَضَان شِشن، فإنَّ المعلومات أصبحت تميل لتُصْبِح أكثر عَدَدًا مع الزَّمَن، في الوَقْت نفسه الذي نَمَت فيه بعضُ الصِّيَغ ومالَت إلى الصِّيَغ الأدَبية. وأخَذَت التَّباريكُ كذلك مكانًا مُهِمًّا ودَخَلَت في أماكن مختلفة من النَّصِّ.

وتبدأ حُرُودُ المَتْن في اللُّغَة العربية عادَةً بفِعْلٍ يُعَبِّر تارَةً عن الفَراغ (تَمَّ، فَرَغَ من ...) أو مُرادفاته (وَقَعَ التَّفْريغ [٣٣]، وافَقَ الفَراغ [٣٤]، صَادَفَ الفَراغ [٣٥]، تَيَسَّر الفَراغ [٣٦]، كَمُلَ [٣٧]، وَقَعَ الخْتِتام)، وتارَةً أخرى عن عَمَلِيَّة النَّسْخ نفسها (كَتَبَ، نَقَلَ، نَسَخَ، حَرَّرَ، نَمَّقَ، عَلَّقَ). وفي الحالة الأولى نجد الفِعْل مَوْصُولًا بكلمة تُعَبِّر عن العَمَل الذي أُنْجِزَ: كِتابَةً، انْتِساخًا [٣٨]، نَقْلًا [٣٩]، تَسْويدًا، تَحْرِيرًا [٤٠]، تَنْميقًا [٤١]، تَعْليقًا، تَرْقيمًا،

٣٣. مخطوط باريس رقم BnF arabe 820، المنسوخ سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م (*FiMMOD* 97).

٣٤. مخطوط باريس رقم BnF arabe 4821، المنسوخ سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م (*FiMMOD* 32).

٣٥. مخطوط برلين رقم Staatsbibl. Glaser 101، المنسوخ سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م (*FiMMOD* 186).

٣٦. مخطوط برلين رقم Staatsbibl. Sprenger 1184 الذي يعود إلى سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م (*FiMMOD* 186).

٣٧. مخطوط لييج رقم BU 5070، والذي يعود إلى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٧م (*FiMMOD* 70).

٣٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 820، الذي يعود إلى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م (*FiMMOD* 97).

٣٩. مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 1033، الذي يعود إلى سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، ومخطوط Sbath 5 الذي يعود إلى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م (*FiMMOD* 78, 84).

٤٠. مخطوط باريس رقم BnF arabe 3280، والذي يعود إلى سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠م (*FiMMOD* 142).

٤١. مخطوط بولونيا رقم BU Ms 3014 الذي يعود إلى سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، ومخطوط طشقند رقم IOT 3109/I الذي يعود إلى سنة ٧٨٥هـ/١٢٨٣م (*FiMMOD* 220 , 225).

تَسْطيرًا [٤٢]؛ وفي الحالَة الأخرى يضع حَرْدُ المَتْن اسْمًا نَوْعِيًّا للكتاب (مُصْحَف، نُسْخَة، كِتاب، جُزْء، دَفْتَر) أو مُوجَزًا بأن يَذْكر عند الاقْتِضاء اسْم المُؤَلِّف، والأكثر اعْتِيادًا أن يذكر عُنْوان الكتاب [٤٣]. وعادَةً ما يُذْكَر عُنْوانُ الكِتاب عندما يخْتارُ النّاسِخُ أن يبدأ بصِيغة «هذا آخِر» [٤٤].

ولا يَظْهر اسْمُ النّاسِخ بانْتِظام: فقد يَحْدُث أن تُخْتَصَر الصِّيغَة وتكتفي بذكر السَّنَة التي أُنْجِزت فيها النُّسْخَة. وعندما يُفْصِحُ النّاسِخُ عن هُوِيَّته، فإنّه يستخدم كُلَّ الإمْكانات التي يُتيحُها له اسْتِخدامُ الاسْم في التَّقْليد العربي الإسلامي: فبينما يكتفي البَعْضُ بذكر اسْمِه، يَحْرِصُ آخرون على ذِكْر نَسَبِهم ولَقَبِهم وكُنْيَتِهم؛ وغالِبًا ما يذكرون الوَسيلَة المُسْتَخْدَمَة/ («على يد»، «بخَطِّ»، «ببَنَان»، «بقَلَم»). ويُعْطي الشَّخْصُ نفسه صِيَغًا مُتفاوِتَةً لاسْمِه من نُسْخَةٍ إلى أخرى، وفَضْلًا عن ذلك فإنَّ مُراجَعَةً لكُتُبِ التَّراجم تُفيدُنا في تَحْديد هُوِيَّة شَخْصٍ مَعْروف. وكما سَبَقَ أن رَأَيْنا، فقد تَظْهَر كذلك في حُرُودِ المَتْن إيضاحاتٌ تكميلية عن مِهْنَة النّاسِخ وتَكْوينه؛ وجَرَتْ العادَةُ في مَصاحِف العَصْرِ العُثْماني أنْ يَذْكُر النّاسِخُ اسْم شَيْخِه في الخَطِّ [٤٦]. ونادِرًا جدًّا ما تَسْمَح لنا بعضُ الكلمات ذات النَّبْرَة الخُصُوصية أن نَلْحَظ بسُرْعَة شَخْصية النّاسِخ. وإن أشارَت الدِّراساتُ المُنْتَظِمَة إلى أهَمِّيَّتِها لفَهْم وَسَط وعَقْلية صُنّاع الكتاب [٤٧].

٤٢. مخطوط باريس رقم BnF arabe 6019، المنسوخ في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م (FiMMOD 52).

٤٣. قد يُذْكَر تاريخ الأثر نفسه في بعض الأحيان بإيجاز.

٤٤. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2882، المنسوخ سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م (FiMMOD 61).

٤٥. أعطى ناسخ مصحف إستانبول رقم TIEM 450 وهو عضو صغير من الأسرة الأيوبية نسبه كاملا في حَرْد المَتْن: (انظر: D. James, *Qur'âns of the Mamlûks*, p. 68).

٤٦. مثلا مخطوط باريس رقم BnF arabe 6923, 6924, F. Déroche *Cat.* I/2 p. 155, n° 510, p. 114, n° 507; M. A. Karimzadeh Tabrizi, *Ijazat nameh, Icâzet name*, Londres, 1999, p. 119-120, n° 48, p. 125-126, n° 51.

٤٧. M. Weisweiler, «Arabische Schreiberverse, في R. Paret éd., *Orientalistische Studien E. Littmann zu seinem 60. Geburtstag [...] überreicht*, Leyde, 1935, p. 101-120; A. M. Piemontese, «Devises et vers traditionnels des copistes entre explicit et colophon des manuscrits persans», *Mss du MO*, p. 79-87.

والأكثرُ نُدْرَةً هو ذِكْرُ مَكانِ النَّسْخ، وإذا ظَهَرَ فإنَّه يَظَلُّ غالِبًا مُبْهَمًا: وعلى عالِم المَخْطُوطات أن يكتفي غالِبًا باسم مَدينَة [٤٨] وهو لا يكتشف إلَّا اسْتِثْنائيًّا الإشارَة إلى المكان الصَّحيح الذي تَمَّت فيه عمليةُ النَّسْخ. وينتهي مَخْطُوطُ طَشْقَنْد رقم IOT 3907/I، والمكتوب سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، بحَرْدِ مَتْنٍ مُفَصَّلٍ (ورقة ٩١) ذَكَرَ فيه النّاسِخُ أنَّه عَمِلَ في داخِل «حُجْرَة» حَدَّدَ مكانها بدِقَّة دَاخِل سَمَرْقَنْد [٤٩]، ويُمَيِّزُ التَّحْديد نفسه مَخْطُوطَ باريس رقم BnF ar. 6690، وهو نُسْخَةٌ تَمَّت كِتابَةُ سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م في مكتبةٍ مُلْحَقَةٍ بمَدْرَسَةٍ في زَنْجان [٥٠].

ويُذْكَرُ عادَةً مُسْتَكْتِب المُجَلَّد («المُهْتَم» أو «المُعْتَني») في هذا المَوْضِع، وعلى الأخَصِّ إذا اتَّصَل الأمْرُ بشَخْصيةٍ مُتَواضِعَة [٥١]، ويُفَضِّل كبيرُ القَوْم أن يُذْكَر اسْمُه عادَةً على رأس الكتاب، وعند الاقْتِضاء، كما ذُكِرَ ذلك فيما تَقَدَّم، داخِل زَخْرَفَةٍ مُعْتَنًى بها. وليس من النّادِر أنْ نَجِدَ النّاسِخَ يذكر أنَّه نَقَلَ النَّصَّ لاسْتِخْدامه الشَّخْصي، وعند ذلك يُحَدِّد أنَّه كَتَبَه «لنَفْسِه» [٥٢].

لقد أدْرَكَ العُلَماءُ مُبَكِّرًا أهَمِيَّة النُّسَخ ذات القِيمَة، والتي أفاضُوا نصائحهم بخُصُوصِها. ومن جانبهم، فإنَّ النُّسّاخَ لم يَدَّخِروا جُهْدًا في أنْ يَصِفُوا بإيجازٍ «نُسْخَة الأصْلِ» التي نَقَلُوا منها، عندما يمكن أن تُضْفي خَصائِصُ هذه النُّسْخَة على النُّسْخَة/ المُنْجَزَة قيمةً كبيرة: وقد جَمَعَ فرانز رُوزِنْتال روايات أدبية عَديدَة تُشيرُ إلى التَّقْدير الكبير الذي كانت تَحْظَى به المَخْطُوطاتُ التي «بخُطُوط مُؤَلِّفيها/ مُصَنِّفيها» [٥٣]، وهو الأَمْرُ الذي تُؤَكِّده العَديدُ من حُرُودِ المَتْن [٥٤]. وقد نجد في هذا

٤٨. على سبيل المثال يشير ناسخ مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 873، المنسوخ سنة سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، في ورقة ١٠١ظ إلى أنه أنجز النسخة في حلب دون أيّة تفصيلات أخرى (FiMMOD 85).

٤٩. FiMMOD 249.

٥٠. FiMMOD 55 (ورقة ٨٧) انظر أيضًا مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٤٩٠ فقه حنفي (أيمن فؤاد سيد: المخطوط، الشكل ٥٣).

٥١. مخطوطات باريس أرقام BnF arabe 3988, 1696, 1611, 2843, (FiMMOD 42, 45, 124, 129, etc).

٥٢. مخطوطات باريس أرقام BnF arabe 718, 6690, 5883, 6042, (FiMMOD 40, 55, 56, 57, etc.). وأشار أيمن فؤاد سيد إلى صياغات أخرى، حيث خصص قسما لهذه المخطوطات (المخطوط ص ٤٥٥ ـ ٤٥٨).

٥٣. F. Rosenthal, *op.cit.*, p. 23.

٥٤. مثلا مخطوطات كوبريلي بإستانبول أرقام Köprülü. 1618, 978, 956, 949 (R. Sesen, *op.cit.*, p. 202-203, n° 24, 26, 27, 29 شكل ٨ و ٩).

النَّصِّ كذلك معلومات ذات طابع بيليوجرافي: عندما يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بمُؤلَّفاتٍ ذات أجزاء مُتَعَدِّدَة، حيث يُوَضِّح وَضْعُ كلٍّ منها في قَلْب المَجْموع.

التّأريخ

حينما يكون المَخْطوطُ مُزوَّدًا بحَرْدِ مَتْنٍ، فإنَّ التَّأريخَ يكون مذكورًا في أغْلَب الأحْيان (بتأريخ). ويَحْدُث، مع ذلك، أنَّنا لا نجد هذه المَعْلُومَة وأن يكتفي النَّاسِخُ بكتابة اسْمِه؛ وذِكْر السَّنَة دون تحديد لليوم أو للشَّهْر، وهذه هي المعلومة التاريخية التي نُصَادِفُها غالبًا. ومن بين التَّقاويم المُخْتَلِفة المعروفة في المحيط الجُغْرافي الذي أُنْتِجت فيه المخطوطاتُ بالحَرْفِ العَرَبي، فإنَّ التأريخَ الأكثر شُيُوعًا يَتْبَع سنوات الهجرة التي تبدأ بأوَّل المُحَرَّم للسنة الأولى للهجرة، الذي يُقابِل الجُمُعة ١٦ يولية سنة ٦٢٢م، ويُتيح لنا اسْتِخْدامُ جَدَاول المقابلة التَّعَرُّف بسهولة على التأريخ المقابل في التَّقْويم الجريجوري [٥٥]. وتُوجَدُ على شَبَكَة الإنْتَرنِت العَديدُ من المُحَوِّلات الآلية التي تَعْمَل في العُمُوم بكفاءَةٍ فيما يخصُّ القَرْنِ الحالي، ولكنَّها لا تأخُذ بعَيْنِ الاعْتبار دائمًا بعض الثَّوابِت التي تَسْمَح بحساب التَّواريخ القَديمَة: لذلك يجب أن نختبرها، قبل اسْتِخْدامها، باخْتيار تَواريخ ترجع إلى قُرُونٍ مختلفة [٥٦].

٥٥. يبقى كتاب فرديناند ويستنفلد الذي أعده سبيلر مرجعا أساسيًا (الإحالات في البلبيوغرافيا، وكذلك جداول L. Cattenoz و W. Haig). وستكمل مراجعة مؤلف جروهمان (Arabische Chronologie, 1966) ومقالات عبد الله (دائرة المعارف الإيرانية ٤: ٦٨٨-٦٧٤، «Calendars II. Islamic) و (period» F. C. de Blois et B. Van Dalen ((EI², art. *Ta'rîk* X, p. 276-282, لحسن الحَظّ المعطيات التقنية الواردة في الجداول المذكورة أعلاه.

٥٦. مواقع الإنترنت هي موضع للكثير من التطورات والتغيرات: وللحصول عليها، يجب مباشرة البحث انطلاقًا من المصطلحات « Islamic calendar» انطلاق من أي محرك للبحث.

التَّاريخُ الهجري

عادَةً ما يُعَبَّر عن تأريخ النَّسْخ بالحروف مَسْبُوقًا بكلمة «سَنَة»، وأقَلُّ نُدْرَةٍ كلمة «عام» [٥٧]. ومع ذلك فقد يَحْدث أن يُشير إليها النُّسَّاخُ/ بالأرْقام [٥٨]، ويستخدمون حِسابَ الجُمَّل (أَبْجَد) استثناءًا [٥٩]، وظَهَرَت في فَتْرَةٍ متأخرة المُوَقِّتات والتأريخ بالألْغاز [٦٠]. وكما سَبَقَ أن لاحَظْنا، فإنَّنا نجد الإشارة إلى التأريخ غالبًا مُقْتَصِرًا على ذكر السَّنَة فقط؛ وأشَارَ أدولف جروهمان، مع ذلك، إلى مَخْطُوطٍ حُدِّدت فيه نهاية السَّنَة (في حُدُود سنة ...) [٦١].

342

الشُّـــهُور

لم يكن نادِرًا أن نجد الشَّهْر الذي تم خلاله إنْجاز العَمَل مُصَاحِبًا لذكر السَّنَة. وعَدَدُ شُهُورِ التَّقْويم الإسلامي اثنا عشر شَهرًا وهي على التَّرْتيب المُوَضَّح في الجَدْوَل التالي؛ واسْمُ كُلِّ شهر منها يصحبه عادَةً نَعْتٌ تَقْريظي أَثْبَتْناه أمام كلٍّ

٥٧. تأكد استعمال هذا اللفظ في بلاد المغرب كما يُظْهر ذلك مخطوط باريس رقم BnF arabe 2960 المنسوخ في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م؛ والمخطوط رقم arabe 1246 المنسوخ في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م؛ ورقم arabe 7228 المنسوخ في سنة ٦٧٩هـ/١٢٨١م؛ ورقم arabe 7233 الذي انتسخ ٧٢٠هـ/١٣٢١م (*FiMMOD* 91, 103, 73 et 33)؛ ومخطوط باريس رقم BnF arabe 1687 المنسوخ في سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، والذي من المحتمل أن يكون مصريا (*FiMMOD* 53) يشهد بأن انتشاره كان كبيرًا.

٥٨. مخطوطات باريس رقم arabe 1686، ورقة ٣٠، المنسوخ في سنة ٥٨٥هـ/١١٩٠م (*FiMMOD* 173)، وبرلين رقم SB or.oct. 432، المنسوخ في سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م، ٢ ص ٣٢ وشكل ٢٧ (R. Sellheim, *Materialen*)، والمخطوط or.oct. 900، المنسوخ في سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م والمخطوط نفسه ص ٣٤ وشكل ١٩ or.oct. 1803, المنسوخ في سنة ٩٦٨هـ/١٥٦٠م (ibid., p. 66 وشكل 36). ويمكن أن نرجع بخصوص أشكال الأعداد إلى مقال: R. Lemay, «Arabic numerals», *Dictionary of the Middle Ages*, I, pp. 382-98.

٥٩. انظر مخطوطات مكتبة كوبريلي بإستانبول أرقام Köprülü 1383-1386 (R. Sesen, *op. cit.*, p. 213, nº 49)، ونقرأ في مخطوط باريس رقم BnF arabe 6851، ورقة ٣٠٢: عام جيسش؛ ج تمثل الوحدات، ي تمثل العشرات، س تمثل المئات، ش تمثل الآلاف، أي ٣+ ١٠+ ٣٠٠+ ١٠٠٠ = ١٣١٣هـ/١٨٩٥م - ١٨٩٦ (انظر الجدول ص ١٠٤).

٦٠. انظر فيما يلي.

٦١. A.Grohmann., *op.cit.*, p. 17.

منها [٦٢]. وتبدو هذه النُّعُوتُ ثَمينَةً أحْيانًا عندما يَتَضَرَّرُ حَرْدُ المَتْن ويَخْتَفي اسْمُ الشَّهْر.

أسْمَاءُ الشُّهُور	النُّعُوت
١. مُحَرَّم	الحَرَام [٦٣]
٢. صَفَر	الخَيْر [٦٤]، المُظَفَّر، المُبَارَك، الأعَزّ [٦٥]
٣. رَبِيعُ الأوَّل	الشَّرِيف
٤. رَبِيعُ الآخِر / الثَّاني	المُبَارَك
٥. جُمادَى الأولى	
٦. جُمادَى الآخِرَة	
٧. رَجَب	الفَرْد [٦٦]، الحَرَام، الأحَمّ [٦٧]، الأصَبّ [٦٨]، المُرَغَّب، المبارَك [٦٩]
٨. شَعْبان	المُعَظَّم [٧٠]، المُكَرَّم [٧١]، الشَّرِيف، المبارَك.
٩. رَمَضَان	المُبارَك [٧٢]، المُعَظَّم [٧٣]
١٠. شَوَّال	المُكَرَّم، المبارَك [٧٤]
١١. ذُو القِعْدَة	الشَّرِيف، الحَرَام
١٢. ذُو الحِجَّة	الشَّرِيف، الحَرَام [٧٥]

٦٢. انظر: E. Littmann, «Über die Ehrennamen und Neubenennungen der islamischen Monate, *Der Islam*, 8, 1918, p. 228-236; J. Horovitz, «Zu den Ehrennamen der islamischen Monate, *Der Islam*, 13, 1923, p. 281; G. Wiet, *Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum*, t. I: Egypte II/1, Le Caire 1929, pp. 35-49; A. Grohmann, *op.cit.*, p. 12؛ وابتداءً من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي بدأ اسم الشهر يختصر حينما يظهر في التَّقْييدات مثلا في علامات التملك (A. Gacek, *op.cit.*, p. 89).

٦٣. مخطوط طشقند رقم IOT 3109/I المنسوخ سنة ٧٨٥هـ/١٢٨٣م، ورقم 3120 المنسوخ في سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م (*FiMMOD* 255 et 256)

٦٤. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1569 المنسوخ في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م (*FiMMOD* 112).

٦٥. مخطوط باريس رقم arabe 1604 المنسوخ في سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م (*FiMMOD* 114).

٦٦. مخطوط باريس رقم BnF arabe 3394, المنسوخ في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، والمخطوط رقم arabe 2843 المنسوخ في سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م (*FiMMOD* 10 et 129).

٦٧. مخطوط باريس رقم BnF arabe 6018 المنسوخ سنة في ٥٦٣هـ/١١٦٨م، ومخطوط الفاتيكان رقم BAV Sbath 266 المنسوخ في سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م؛ ومخطوط بغدادلي وهبي بإستانبول Süleymaniye Bagdatlî Vehbi 1383، المنسوخ في سنة، ٧٤٢هـ/١٣٤١م وباريس رقم BnF arabe 2843 المنسوخ في سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م رقم (*FiMMOD* 62, 79, 108, 129).

٦٨. مخطوط باريس رقم BnF arabe 5883 (ورقة ٣ - ١١٧، ١٢٨ - ١٥٧) المنسوخ في سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م، ومخطوط الفاتيكان BAV Vat. arab. 372 (ورقة ٣ - ٢٢٢) المنسوخ في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م. (*FiMMOD* 56, 43).

٦٩. مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 372 (ورقة ٣ - ٢٢٢) المنسوخ في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م (*FiMMOD* 43).

343 / وعَدَدُ أيَّام الشُّهُور الفَرْدية ثلاثون يومًا، والشُّهُور الأخرى تسعة وعشرون [٧٦]، فيما عدا ذي الحِجَّة، الذي يُضافُ إليه يَوْمٌ سنةً بعد سنة على امْتِداد دَوْرَةٍ من ثلاثين عامًا للمُحافَظَة على التَّوافُق بين شُهُور القِران وشُهُور التَّقْويم.

أقْسَامُ الشَّهْر

يكون النَّاسِخُ في بعض الأحْيان في غاية الدِّقَّة عندما يُحَدِّد بدِقَّة مُتناهية اللَّحْظَة التي أتَمَّ فيها عَمَلَه. ويستطيع قَبْل كُلِّ شيء أن يلجأ إلى تَقْسيم الشَّهْر إلى ثلاث مُتتاليات كلٌّ منها عشرة أيَّام (مع تَفاوُتٍ بالنسبة للشهور ذات التسعة والعشرين يومًا):

٧٠. مخطوط البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Library, Huntington 8 المنسوخ في سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م (*FiMMOD* 227).

٧١. مخطوط باريس BnF arabe 1629 المنسوخ في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م ورقم 610 المنسوخ في سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م (*FiMMOD* 34, 164).

٧٢. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2947 المنسوخ في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م (*FiMMOD* 24)، كانت هذه الصفة مستعملة حيث تظهر عبارة شهر الصوم في مخطوط باريس رقم BnF ar. 820 (*FiMMOD* 97).

٧٣. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2682 المنسوخ في سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م (*FiMMOD* 101).

٧٤. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2222، ورقة ١ - ٢٣٣، المنسوخ في سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م (*FiMMOD* 233).

٧٥. مخطوط باريس رقم BnF arabe 1600 المنسوخ في سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٦م (*FiMMOD* 113)..

٧٦. وقد تظهر استثناءات في بعض الأحيان: راجع مخطوط لييج رقم Liège BU 5070، المنسوخ في سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٧م (*FiMMOD* 70) الذي يوجد فيه تاريخ ٣٠ شوال. ونذكر أن المدارس الفقهية تتفق على أن الشهر لا يبدأ إلا بعد رؤية الهلال (انظر *EI*² art. *Ta'rikh* X, p. 277).

«العَشر الأوَّل (الأولى)»[٧٧] و«العَشر الوُسْطى»[٧٨] و«العَشر الأُخَر (الأُخرى)»[٧٩]؛ وفي هذا النِّظام يُعرِّف النَّاسخُ العَقْد الذي أنْهَى خِلالَه عمله. ومن بين الصِّياغات المُعْتَمَدَة يجب أن نُسَجِّل تلك التي تُحدِّد اليوم (على سبيل المثال: أرْبَعَاء العَشْر الأُخر). وفيما يَخُصّ بعض الأيَّام أو مجموعات من الأيَّام ذات الوَضْع الظَّاهِر، وهي بداية ووَسَط ونهاية الشهر، تحتفظ لها اللُّغة العربية بمُصْطَلحاتٍ مُعيَّنة: فيُطْلَق على اليوم الأوَّل «غُرَّة»[٨٠] أو، مع تحديد أقلّ، مُسْتَهَلّ/ اسْتِهْلال[٨١]، وصَدْر[٨٢]، وأوائل[٨٣] وأُوَل. ونجد بالنِّسبة لمُنْتَصف الشهر: نِصْف[٨٤]، ومُنْتَصَف[٨٥]، وأواسِط[٨٦]، ونجد لنهاية الشهر سَلْخ[٨٧]، وانْسِلاخ، وآخر؛

٧٧. مخطوطات برلين رقم SB Wetzstein II 162 المنسوخ في سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٣م وباريس رقم BnF arabe 5938 (ورقة ٣ - ٦٧) المنسوخ في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٣م ولندن رقم BL Or. 9447 المنسوخ في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وباريس رقم BnF arabe 7094 المنسوخ في سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م (*FiMMOD* 193, 59, 153, 162).

٧٨. مخطوطات باريس رقم BnF arabe 1498 المنسوخ في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م ورقم arabe 5976 المنسوخ في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م (*FiMMOD* 72 , 172) ومخطوط حكيم أوغلو بإستانبول رقم Süleymaniye Hekimuglu 572/1 المنسوخ في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م (R. Sesen, *op. cit.*, p. 198, nº 16).

٧٩. مخطوط برلين رقم SB Sprenger 41 المنسوخ في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م والفاتيكان رقم BAV Vat. Arab. 1023 المنسوخ في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م وباريس رقم BnF arabe 3112 المنسوخ في سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م (*FiMMOD* 184, 87 et 209).

٨٠. مخطوط باريس رقم BnF arabe 6080 المنسوخ في سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م (*FiMMOD* 50)..

٨١. مخطوط الفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 1451 المنسوخ في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م وباريس رقم BnF arabe 3305 المنسوخ في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م ورقم arabe 3281؛ المنسوخ في سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م ورقم arabe 1569 المنسوخ في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م (*FiMMOD* 75, 143, 208 et 112).

٨٢. مخطوط برلين رقم SB or. quart. 107 (ورقة ٤ - ١٢٩) المنسوخ في سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م (*FiMMOD* 185).

٨٣. مخطوط أسعد أفندي بإستانبول رقم Süleymaniye Es'ad Ef. 2274 المنسوخ في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م وباريس رقم BnF arabe 2283, المنسوخ في سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٥م (*FiMMOD* 107 et 234).

٨٤. مخطوط ليدن رقم BRU Or. 2380 b المنسوخ في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م والفاتيكان رقم BAV Vat. arab. 526 المنسوخ في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وطشقند رقم IOT 3249 المنسوخ في سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م (*FiMMOD* 216, 82 et 235).

٨٥. مخطوط باريس رقم BnF arabe 6690 المنسوخ سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ورقم arabe 3926 المنسوخ في سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ورقم arabe 4769 المنسوخ في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م. (*FiMMOD* 55, 257, 166).

٨٦. مخطوط إستانبول رقم Köprülü 1602/13 (R. Sesen, *op. cit.*, p. 209, nº 38).

٨٧. مخطوط باريس رقم BnF arabe 2906 المنسوخ في سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م ورقم arabe 6042 المنسوخ في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م ورقم arabe 6440 المنسوخ في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ورقم arabe 1686 المنسوخ في سنة ٥٨٥هـ/١١٩٠م ورقم arabe 3280 المنسوخ في سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠م ورقم arabe 6759 المنسوخ في سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م وبرلين رقم SB Glaser 101

وأواخِر[٨٨] أو أُخَر. وهناك حَلٌّ آخر يُذَكِّر به جروهمان يرتكز على تأريخ الأحْداث بالإحالة إلى الأعْياد الدِّينية المُهِمَّة، ولكنَّنا لم نتمكن إلَّا من رَفْع أنْمُوذَجَيْنِ له في المَخْطُوطات[٩٠]. ولا تكفي نِقاطُ الاسْتِدْلال هذه على كُلِّ حالٍ لتأريخ كُلِّ أيَّام الشَّهْر.

وهناك خُطْوَةٌ إضافيةٌ لمَزيدٍ من الدِّقَّة باسْتِخْدام التَّقْطيع القديم للشَّهْر القَمَري إلى عشرة مجموعات يتكوَّن كُلٌّ منها من ثلاثة ليالٍ؛ ولا نعرف منها سوى أنْمُوذَجٍ واحِدٍ مُتَمثِّل في مخطوط ليدن رقم BRU Or. 704، الذي تَمَّ كِتابَتُهُ سنة ٤٠٤هـ/١٠١٤م[٩١].

الإشَارَةُ إلى اليوم من الشَّهْر

للإشارَة إلى اليَوْم من الشَّهْر فإنَّ حَسْم الأيَّام (يَوْم، نَهَار) يتم غالبًا انْطلاقًا من اليوم الأوَّل من الشهر، تمامًا كما نَفْعَل اليوم، على سبيل المِثال الأربعاء ٢٩ ربيع الأوَّل سنة ١٠٣٧هـ. وتُوجَدُ طَرِيقَةٌ أخرى تعتمد على تَقْسيم الشهر إلى نِصْفَيْن، وحِسَاب الأيَّام داخل كُلٍّ منها. في النِّصْف الأوَّل يتمّ الحِساب عن طريق مُرُور الأيَّام انْطلاقًا من اليوم الأوَّل في الشَّهْر مثلما سَبَقَ الإشارَة إليه، باستخدام الفِعْل «خَلا» (أو «مَضَى»)، ويُحَدِّدُ النَّاسخُ أنَّ لَيْلَتَيْنِ (يَوْمَيْنِ) أو ثلاثة أو أربعة قد انْقَضَت[٩٢]. وبعد اليوم

المنسوخ في سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م (*FiMMOD* 211, 57, 171, 173, 142, 159 et 187)؛ ويشير جروهمان كذلك إلى استعمال كلمة عُقْب في النُّقُوش (*op. cit.*, pp. 23-24).

٨٨. مخطوط باريس رقم 1629، المنسوخ في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م؛ ورقم arabe 1246 المنسوخ في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ((*FiMMOD* 34 , 103)).

٨٩. A. Grohmann, *op. cit.*, pp. 23-24.

٩٠. مخطوط البودليانا بأكسفورد رقم Bodleian Libr. Pococke 270، المنسوخ في سنة ٨٨٦هـ/١٤٨٢م، وطشقند رقم IOT 3153/II، المنسوخ في سنة ٦٢٢هـ/١٢٦٣م، (*FiMMOD* 228 et 308) نضيف إلى هذا الإحالة مخطوط مونتريال McGill BWL W16: 2، والذي يشير إلى الفراغ من النسخة في ليلة المعراج سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م (A. Gacek, *op. cit.*, p. 52, nº 66/2).

٩١. *FiMMOD* 213، ويذكر حَرْد المَتْن: أيام (انظر Ch. Pellat, *EI*² art. *Layl et Nahâr*, V, p. 713,).

٩٢. مخطوط برلين رقم SB or.oct. 2676 المنسوخ في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م؛ وطشقند رقم IOT 3156 المنسوخ في سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م؛ والفاتيكان رقم =

الخامس عشر، منتصف الشهر، تُعَرَّف أيّامُ الشَّهر بحساب اللَّيالي (الأيّام) المتبقية قبل نهاية النِّصف الثّاني باستِخْدام الفِعْل «بقي»[٩٣]. وبالاحْتِكام إلى المَخْطُوطات نجد أنَّ هذه الطَّريقة وَجَدَت بعض الحُظْوَة. وفي كلِّ الحالات، فإنَّ النَّاسِخَ تَبَعًا لرَغْبته يستطيع أن يُعَيِّنَ أو لا يُعَيِّن اليوم من الأسبوع (من الأحد إلى السَّبْت، يقابلنا: يوم الأحَد، الاثنين، الثُّلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجُمُعَة، السَّبْت). وفي عَدَدٍ قَليلٍ من المخطوطات نجد اسْم اليوم، مثل اسْم الشَّهْر، مَصْحُوبًا / بنَعْت «المُبَارَك»[٩٤]. وتَتَعارَضُ أحيانًا جَداوِلُ مقابلة الشُّهور في هذه النُّقطة مع تاريخ المَخْطُوط وتُظْهر تفاوتًا طَفيفًا.

حِسَابُ الجُمَّل[٩٥]

لجأ النُّسَّاخُ أحْيانًا إلى أساليب تتطلَّب جُهْدًا حقيقيًّا لفَكِّ رُمُوزها مثل حِساب الجُمَّلَ وحِسَاب الكُسُور. وتتابُع الجُمَّل عبارة عن كلمة (أو جُمْلَة قصيرة) تبدأ بـ: في سنة أو عام، وتتألَّف من حُرُوفٍ يُعْطي جَمْعُ قيمتها العَدَدية الرَّقم المقابل للسنة الجارية[٩٦]. واسْتُخْدِمَت هذه الطَّريقةُ في الشَّرق، ولكنَّها عَرَفَت كذلك حُظْوَةً خاصَّةً

=BAV Sbath 265 المنسوخ في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م؛ ورقم Vat. Arab. 1025 . المنسوخ في سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م و Vat. Arab ١٠٦٧ المنسوخ في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م؛ (Vat. Arab. 372 ورقة ٣ - ٢٢٢) المنسوخ في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م؛ باريس رقم BnF arabe 4231 المنسوخ في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م و arabe 1666 المنسوخ في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م؛ وأكسفورد رقم Bodleian Libr. Huntington 8 المنسوخ في سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م، (*FiMMOD* 189, 248, 86, 83, 80, 43, 212, 99 , 227). المنسوخ في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م و 1532 المنسوخ في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م و 3394 المنسوخ في سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م و 2843 المنسوخ في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م (*FiMMOD* 69, 226, 111, 10, 129).

٩٣. مخطوط لاله لي بإستانبول رقم Süleymaniye Laleli 803 المنسوخ في سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م؛ وباريس رقم BnF arabe 3927 المنسوخ في سنة ٦١١هـ/ ١٢١٥م (*FiMMOD* 137 , 149).

٩٤. مخطوط ليبج رقم BU 5086 المنسوخ في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م؛ وباريس رقم BnF arabe 4088

٩٥. أمَدَّتنا M.-G. Guesdon بالتفاصيل المتعلِّقة بحساب الجُمَّل والتأريخ بالكسور.

٩٦. G. S. Colin, *EI*², art. *Hisâb al-djummal* III, p. 484; G. Ifrah, *Histoire universelle des chiffres*, 2 éd., Paris, 1994, p. 600-604; H. I. Gwarzo, «The theory of chronograms as expounded by the 18th century Kasina astronomer-mathematician M. b. M. al-Fulani al-Kasinawi», *Centre of Arabic documentation*, Research bulletin, Ibadan, III, 1967, p. 116-123; F. C. de Blois, *EI*² art. *Ta'rîkh*, X, p. 324. ويعلق سلهايم (*Materialen*, 1, p. 326) على حساب جُمَّل في أحد المخطوطات. وقدم ر. كيرنج زوش R.Quiring Zoche من جهته تقييدًا في مخطوط يَشْرَح فيه هذا النوع من التأريخ.

في المغرب منذ العَصْر السَّعْدي لتأريخ النُّقُوش والنُّصُوص التَّاريخية أو المَخْطُوطات. ويَظْهَر حِسَابُ الجُمَّل كثيرًا كذلك في النُّسَخ ذات الأصْل الصَّحْراوي. فنقرأ في مخطوطِ باريس رقم BnF ar. 6851، الورقة ٢١٤: «عام بشَرْق من هِجْرَة النَّبي»؛ وتَبَعًا لقيمة الحروف المُسْتَخْدَمَة في المغرب (جَدْوَل ص ١٦٥) تُعادِل «بشَرْق» ١٠٠ + ٢٠٠ + ١٠٠٠ + ٢، أي مجموع ١٣٠٢ (١٣٠٢هـ/١٨٨٤ - ١٨٨٥م).

التَّأريخ بالكُسُور

إنَّ التَّأريخَ بالكُسُور الذي يَظْهَر في المَخْطُوطات العربية والتُّرْكية نادِرٌ جِدًّا[٩٧]. فتبعًا لألبرت ديتريش Albert Dietrich فإنَّ [ابن] كمال باشا زاده (المتوفى سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م) هو أوَّل من اسْتَخْدَمَه. ونَقْرأ في مخطوطِ الخِزَانة العامَّة بالرِّباط رقم D 2046 (لوحة ١٠٤) الفَقْرَة التالية: «وكان الفَرَاغُ من تَصْنيفه في العُشْر السَّادِس من الثُّلث الأوَّل من السُّدْس الثّاني من النِّصْف الثّاني من العُشْر السَّادِس من العُشْر الثَّاني من السُّبْع السّابع من النِّصْف الثّاني من الهجرة النَّبَوية». / ويبدأ فَكُّ الرُّمُوز من النِّهايَة: فالنِّصْف الثّاني من الهجرة النَّبوية مُقَسم إلى سبعة أقْسام، الأمر الذي يعني أنَّ المجموع هو ١٤٠٠، ويمتدّ النِّصفُ الثَّاني من ٧٠١ إلى ١٤٠٠ والسُّبْعُ السَّابع من ١٣٠١ إلى ١٤٠٠، هكذا حُدِّدَ القَرْن. وينقسم القَرْنُ بدَوره إلى عشرة أقسام أو عُقُود، يُوافِقُ العَقْد الثّاني من ١٣١١ - ١٣٢٠، وينقسم العَقْدُ كذلك إلى عشرة أجزاء الجزء السَّادس منها هو ١٣١٦. وتأكَّد هذا التَّأريح عن طريق مَخْطُوطٍ آخَر كُتِبَ في حياة المُؤلِّف، سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨ - ١٨٩٩م، عندما كان مَوْجودًا في مَرَّاكش. ويُطابِقُ

٩٧. H. Ritter, «Philologika XII. Datierung durch Brüche, *Oriens*, 1, 1948, p. 237-247; A. Dietrich, «Datierung durch Brüche in arabischen Handschriften, *Nachrichten der Akademie der Wissenschaften in Göttingen*, Bd. I, Phil.-hist. Klasse, N. 2, 1961, p. 11-24. وأعطانا رمضان ششن (R. Sesen, *op. cit.*, pp. 216, 219)، العديد من الأمثلة؛ أخذ الأول من مخطوط إستانبول رقم TKS R. 1062، الذي يعود تأريخه إلى ٧ ذي القعدة سنة ٧١٧هـ/ ١١ يناير سنة ١٣١٨، الأمر الذي يجعلنا نذهب إلى أن المحاولات الأولى كانت سابقة على ابن كمال باشا زاده.

١١٥. تأريخٌ بالكُسُور لنهاية تأليف الكتاب، ٦ شَعْبان سنة ١٣٦١هـ/٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨م.
المغْرب نحو سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨-١٨٩٩م، الخَزانة العامّة بالرّباط رقم D 2046، ورقة ٣١.

السُّدْسُ الثاني من النِّصف الثاني من السَّنَة شهر شَعْبان الذي ينقسم إلى ثلاثة عُشاريات (كل منها عشرة أيّام): فيكون اليوم السَّادِس من العُشْرية الأولى هو ٦، والتَّاريخُ المُعبَّر عنه هو إذًا ٦ شَعْبان سنة ١٣١٦هـ/ ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨م.

تواريخ أخرى شَرْق أوْسَطيّة

تُوجَدُ حِساباتٌ أخرى اسْتُخْدِمَت مَعًا، ولا تُحيل أغْلبية المَخْطُوطات إلَّا إلى تَقْويم واحد، ولكنّ بعضًا منها قَدَّمَ تَقْويمات مُوازية [٩٨]. ففي الأوْساط غير الإسْلامية، كان التَّقْويمُ اليُولْيوسي معروفًا جدًّا، ولكن كانت هناك تقاويمُ أخرى مستخدمة، فالطَّائفةُ المَلَكية كانت تُحيلُ إلى تاريخ العالم (الخَلْق، الكَوْن، كَوْن العالم، أو آدَم) الذي يبدأ من أوَّل سبتمبر سنة ٥٥٠٩ قبل الميلاد. وفي مصر اسْتَخْدَم الأقْباطُ بتوَسُّع تاريخ الشُّهَداء أو تاريخ دِقْلِدْيانوس الذي يبدأ من ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤م [٩٩]. وكان تاريخُ الإسْكَنْدر أو السُّلُوقيين الذي يبدأ من أوَّل أكتوبر سنة ٣١٢ قبل الميلاد، والذي يُعْرَف أحْيانًا بالتاريخ «اليُوناني»، مُنْتَشِرًا كذلك [١٠٠]. وفي العالم الإيراني كان تاريخ يَزْدَجِرْد (الذي يبدأ بـ١٦ يونية سنة ٦٧٢م) مُسْتَخْدَمًا [١٠١]، ثم اعْتَمَدَه مَلِك شاه الذي أسَّسَ التاريخ الجلالي ونقطة انْطِلاقه ١٥ مارس سنة ١٠٧٩م [١٠٢]. وجَمَع رَمَضان ششن بعض النَّماذج لاسْتخدام هذه الحِسابات المُخْتَلِفَة مثل ما في مخطوطِ سليم أغا بالسليمانية بإستانبول رقم ٧٢٧، الذي يُعْطي أربعة تواريخ تَبَعًا للهِجْري والإسكندري والجلالي واليَزْدَجِرْدِي [١٠٣]. ويجب أن نَلْفِت الانْتباه إلى أنَّ التَّوَافُق بين هذه التَّواريخ المختلفة لا يَصِحّ دائمًا عندما تُجْرى المُقارَنَة انْطلاقًا من الجَداول الحَديثَة. ولا يَظْهَر «التَّقْويمُ الإلهي»، والمُخْتَصّ بالهِنْد المُغْلية، والذي وَضَعَه السُّلْطان أكبر سنة

---

٩٨. لمعادلة السنوات بالتقويم الميلادي فإنَّ مؤلّف ويستنفلد المذكور آنفا كتاب قيم جدًا. وما كتبه L. Mas-Latrie, Trésor de chronologie و P. V. Grümel, *La chronologie*, dans P. Lemerle éd., Traité *d'études byzantines*, t. I, Paris, 1958 مفيدٌ في أغلب الأحيان.

٩٩. F.C.de Blois, *EI*[2] art. *Ta'rikh* X, p. 280.

١٠٠. *Ibid*.

١٠١. *Ibid.*, p. 281 et 284.

١٠٢. R. Abdolla hy, *op. cit.*, p. 670-671; F. C. de Blois, *op. cit.*, p. 281 et 287.

١٠٣. R. Sesen, *op. cit.*, p. 212 nº 48.

٩٩٢هـ/١٥٨٤م، فيما يبدو إلَّا في تأريخ ملاحظات قوائم الحَضْر، إلخ .... [١٠٤].

348 / واسْتُخْدِمَت كذلك أسماءُ الشُّهُور المرتبطة بهذه التَّقاويم المعتمدة على سَنَوات شَمْسية. وتَظْهَر في الشَّرْق الأَوْسَط الصِّيَغُ التالية (وقد ذُكِرَت مع اعْتِبار نُقْطَة الانْطِلاق هي شهر كانُون الثَّاني الذي يُعادِل شهر يناير):

١) كانُون الثَّاني	٧) تَمُّوز
٢) شُباط	٨) آب
٣) آذار	٩) أيْلول
٤) نيسان	١٠) تِشْرين الأَوَّل
٥) أيَّار	١١) تِشْرين الثَّاني
٦) حُزَيْران	١٢) كانُون الثاني

وتبدأ السَّنَة، تَبَعًا للطَّوائف، في لَحَظات مختلفة. وأسماءُ شُهُور التَّقْويم القِبْطي ـ الذي تبدأ سنتُه في ٢٩ أو ٣٠ أغسطس ـ هي:

١) تُوت	٧) بَرَمْهات
٢) بابه	٨) بَرْمُودَه
٣) هاتُور	٩) بَشَنْس
٤) كِيَهْك	١٠) بَؤُونَه
٥) طُوبَه	١١) أبيب
٦) أَمْشير	١٢) مِسْرى، زائد أيَّام النَّسيء

ونجد في التَّقْويم الفارسي:

١٠٤. M. Athar Ali, EI^2 art. *Ilâhî*, Suppl., p. 411. وقفنا على حَرْد مَتْن أعطي فيه التاريخ بالإحالة على سنة حكم الشاه عالم (مخطوط مونتريال رقم McGill BWL 206، انظر A. Gacek, *op. cit.*, [1991], p. 212 nº 235.

١) فارفردين	٧) مِهْر
٢) أوردى بِهِشْت	٨) آبان
٣) خُرْداذ	٩) آذار
٤) تير	١٠) دى
٥) مُرداذ	١١) بَهْمَن
٦) شَهْروار	١٢) إسْفَنْد (أو إسْفَنْدَرموذ)، زائد أيَّام النَّسيء [١٠٥].

349 / تَوْقيعُ المُزَيِّنين والمُصَوِّرين

كما سَبَقَ أن أشَرْنا إلى ذلك [١٠٦]، فإنَّنا بالمُقارَنَة قليلًا ما نجد المُزَيِّنين و، إلى حَدٍّ ما، المُصَوِّرين يُوَقِّعُون أعمالَهم. وفوق ذلك، فإنَّهم إذا فَعَلُوا ذلك، يَسْعَوْن بإرادتهم إلى إخْفاء هذا التَّوقيع بإدْماجِه بمَهارَةٍ في الزَّخْرَفَة. لذلك يجب أن نَحْرِص على أن نَفْحَص التَّزَايين والمُنَمْنَمات بعنايةٍ لنُحاول أن نجد اسْم صاحِبها [١٠٧] (شكل ٧٠).

وتُوجَد أقْدَمُ الشَّهادات على هذه الطريقة في العَمَل في المَصَاحِف؛ فيَظْهَر بشَكْلٍ جزئي على قِسمٍ مُرَمَّم من مُصْحَف أماجور، ما يمكن أن نعدَّه أوَّل مِثالٍ معروفٍ على ذلك [١٠٨]. وتُؤكِّد العَديدُ من المَصَاحِف التي تَرْجِعُ إلى هذه الفَتْرَة أو بعدها بقليل، مثل مُصْحَف إستانبول رقم TIEM 455 [١٠٩] أو مُصْحَف المكتبة البريطانية بلندن رقم BL Add. 7214 [١١٠]، أنَّ هذه الممارسة كانت شائعة. وفي الحالتين نجد الأسماء مُنْفَصِلَة بوُضُوحٍ عن بَقِيَّة النَّص.

١٠٥. عبد الله R. Abdollahy، المرجع المذكور ص ٦٧٢، لائحة ـ ١٠٥.

١٠٦. انظر فصل: «الحرفيون وصنَاعَة المخطوط».

١٠٧. تم إدخال توقيع مير آضود باتقان في إطار زخرف سرلوح مخطوط باريس رقم suppl.persan 636، ورقة ١ظ، وأُدْمِجَ توقيع مير عزود بمهارة.

١٠٨. F. Déroche, «Collections de manuscrits anciens du Coran à Istanbul, في Sourdel-Thomine éd., *Etudes médiévales et patrimoine turc* [Cultures et civilisations médiévales, 1], Paris 1983, p. 152 et pl. III a.

١٠٩. GENÈVE 1988 القطعة SE 12822.

١١٠. LONDON 1976; *FiMMOD* 163، ص ٤٣، رقم ٥٤.

مَصَادِرُ لتاريخ المَخْطُوط

يُمْكِن أن نُقَدِّر تأريخ النُّسْخَة، في غَيْبَة حَرْدِ المَتْن، بطريقةٍ غير مباشِرَة بفضل التَّقاييد المُؤَرَّخة التي تُوجَد على المَخْطوط. ولا تَنْحَصِر فائِدَةُ هذه التَّقاييد، التي سنُفَصِّل عنها الحَديث بعد قليل، في ما يُمْكن أن تُقَدِّمه لتأريخ النُّسْخَة، فهي تُعَدُّ في الواقع مَصْدَرًا فريدًا بالنسبة لتاريخ المَخْطوط الذي تَظْهَر عليه، وأكثر عمومِيةً بالنِّسْبَة إلى تاريخ المجموعات وإلى القضايا المختلفة التي سنَبْحَثها في الفَصْلِ القادم. ولابد من الاحْتراس إذا أرَدْنا تأريخ مَخْطُوطٍ بمعاونة هذه النُّصُوص: فهذه النُّصُوص ـ بالتَّحْديد ـ لاحِقَةٌ على كِتابَة النُّسْخَة، والرِّهانُ الرَّئيس هو النَّجاحُ في تَقْدير الفَتْرَة الزَّمَنِية المُنْقَضية بين نَسْخ النَّصِّ والتأريخ الذي دُوِّنَ فيه هذا التَّقْييد، بل وتَتَبُّع الإجازات المنقولة عن مِثالٍ قديم أو حتى المُزَوَّرَة.

/ حُجَجُ الوَقْفْ

اخْتَلَفَ الفُقهاءُ المسلمون حَوْل جَوَاز وَقْفِ الكُتُب أو عَدَمِه [111]. وبَدَأَت الوَقْفِياتُ في الظُّهور عَمَلِيًّا على الكُتُب منذ القرن الثَّالِث الهجري/ التاسع الميلادي: وأقْدَمُ النَّماذِج المَحْفُوظة هي المَصَاحِف، ولكن من الممكن أن تكون هناك نُصُوصٌ أخرى عليها عَلامَاتُ وَقْف [112]. وتَطَوَّرَ وَقْفُ الكُتُب فيما بعد بشكلٍ كبير إلى دَرَجَة أنَّنا أصبحنا نجد أحيانًا مكتبات مَوْقُوفة برُمَّتِها [113].

١١١. Y. Èche *Les bibliothèques arabes publiques et semi-publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Égypte au Moyen Age*. p. 68-74. حيث يوجز العش الشروط التي ظهر فيها وقف الكتب والدلائل المؤيدة أو المعارضة لهذا العمل، انظر أيضًا: أيمن فؤاد سيد: المخطوط، ٤٢١ ـ ٤٢٧.

١١٢. تؤرخ أغلب المصاحف أو قطع المصاحِف التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بفَضْل الوقْفيات (ينظر F. Déroche, «Les manuscrits arabes datés du III^{e}/IX^{e}/s.», *REI* 55-57, 1987-1989. 345-350). وللتَّعَوُّد على صِيَغ الوقف، راجع: أيمن فؤاد سيد: المخطوط، ٤٢٨ ـ ٤٤٢ (خصوصا نصوص الوقف المستخرجة من المخطوطات).

١١٣. يختلف حجم هذه الخزائن بشكل كبير، انظر حول هذا الموضوع: F. Bilici, «Les bibliothèques vakîf-s à Istanbul au XVI^{e}s., prémices de

وتَخْتَلِفُ نُصُوصُ الوَقْفِ الموجودة على المَخْطُوطات في حَجْمها وفي صيغتها بشكلٍ واضِح. وتكتفي أكْثَرُها إيجازًا بذكر المُنْشأة الموقوف عليها الكتاب، وأنَّ الكِتابَ هو «وَقْف»، أو تَبَعًا للاسْتخدام المغربي «حُبُوس» [114]. ويمكن أن تَظْهَر إيضاحاتٌ أخرى مثل: اسْم الوَاقِف وتأريخ الوَقْف ووَصْفٍ للمجلَّد أو المُجَلَّدات. وفي كتاباتٍ أكثر تَحْديدًا، مثل التَّحْبيسَيْن اللذين يَرْجِعان إلى عَصْر المُوَحِّدين واللذين نَشَرَهُما جاستون ديفردين Gaston Deverdun ومحمد بن أحمد غياتي [115]، نجد كذلك صِيَغًا ذات طابع فِقْهي تُحَدِّدُ هَدَفَ الوَقْف وشُرُوط تَطْبيقه، وتَصِفُ المَخْطُوط والمكان المَحْفُوظ فيه وتَمْنَع تمامًا أي إخراج للكتاب [116]. وفي وَقْفيات صادِرَة من دِمَشْق نجد أن بَيْع أو إعارَة أو إتْلاف المَخْطوط أُمورٌ مَحْظُورَة [117]. وأحيانًا تَدْعم الآية ٨٩ من سورة الأنْبِياء هذه التَّعْليمات. وفي بعض الحالات كانت الوَقْفياتُ تُجَدَّد، وتُراجع حالة المَخْطُوطات، وعلى الأخَصِّ عندما يتعلَّق الأَمْرُ بمَصَاحِف مُتَعَدِّدة الأجزاء [118].

وتُوجَدُ نُصُوصُ هذه الوَقْفيات المُتَباينة الحجم في الأساس على رأس المُجَلَّدِ في مَوْضِعٍ ظاهِر. ودون شك فإنَّ تِكْرار كلمة «وَقْف» (أو «حُبُوس») بانْتِظام في الهَوَامِش

grandes bibliothèques publiques», *REMMM* 87-88, 1999, p. 39، وأيضًا أيمن فؤاد سيد: المخطوط، ٤٤٣ ـ ٤٤٨.

١١٤. يبدو أن الجذر «ح ب س» كان واسع الانتشار خلال العصور القديمة، خاصة في مصر: وإذا سلَّمنا بأن أكبر مجموعة من قطع المصاحف القديمة بمكتبة فرنسا الوطنية جاءت من مصر، كما يظهر في مخطوطات باريس أرقام BnF arabe 331, 334 m, 358 b، (FiMMOD 19)، و366c (انظر F. Déroche, *Cat* I/1, p. 67, nº15, p. 102 nº125, p. 91 nº85 et p. 115 nº170)، ويمكن أن نلحق بهذه القائمة، قطعة مخطوط إستانبول رقم TIEM SE 12800 المنسوخة والموقوفة بالفسطاط سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦ ـ ٩٣٧م (انظر F. Déroche, *op. cit.*, (1983), p. 155 et pl. IV b)، وكذلك قطعة أخرى مستحضرة من الجامع الكبير بدمَشْق (SE 45)، وهي جزء من من ثلاثين جزءًا مُبَعْثَرَة بين العديد من المكتبات، انظر F. Déroche, *op. cit.*, p. 149-50 واللوحة IIa).

١١٥. «Deux tahbîs almohades (milieu du XIII^{e}S. apr. J.-C.)», *Hespéris*, 3-4, 1954, p. 411-423.

١١٦. يُصَور أنموذج من القيروان هذا النَّمَط من التَّقْييد «ولا يمنع من قراءة هذا المُصْحَف طالما ظَلَّ الشَّخْصُ داخل الجامع. فلا يمكن قراءته إلَّا داخل الجامع».

١١٧. غير منشور. هذه الحواشي معتادة جِدًّا فقد منعت وقفية المكتبة المحمودية في القاهرة من إعارة كتب المدرسة. (فؤاد سيد: «نصان قديمان في إعارة الكتب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١/٤ (١٩٥٨)، ١٢٨ واللوحة المواجهة لها). ومَنَعَت وَقْفيةُ بَكْتَمُر السَّاقي خروج الرَّبْعة ـ مَوْضُوع الوَقْف ـ من التُّرْبة الموقوفة عليها ولا تعاد ولا تخرج إلَّا للإصلاح (M. Lings et Y. H. Safafi, LONDON 1976, p. 70, pl. XIX S D. James, *op. cit.*, p. 116. وشكل ٨٢).

١١٨. انظر G. Marçais et L. Poinssot, *Objets*, t. I, p. 145, 175.

هو لضَمَان استمرار الوَقْف ، وفي أكثر الأحيان كانت تُثبت في الهامِش العُلْوي . وهذه الكَلِمَةُ ، وتُكْتَب عادَةً بالحِبْر (المُذَهَّب غالبًا) ، تكون عادَةً الأثَر الوَحيد الباقي للتَّعْبير عن «الوَقْف» ، ولكن في بعض المَخْطُوطات المكتوبة على الرَّقّ كانت تُعْمَل بواسطة سلسلة من الثُّقُوب الصغيرة ، وربَّما كانت هذه الطَّريقَة تَقْليدًا مغربيًّا [١١٩] . ونجد هذه الطَّريقةُ مُطَبَّقَةً إلى أقصى دَرَجَة في «مُصْحَفِ أماجور» ، فتوجد على وَجْه كلِّ وَرَقَة منه الصِّيغَة «وَقَفَهَا أماجور» أو «أوْقَفَهَا أماجُور» [١٢٠] ، ويَظْهر على رأس المُجَلَّد اخْتِزالٌ للوَقْف مُؤَرَّخٌ سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م . ويَنْدَرِجُ اسْتِخْدامُ الأخْتام في إطار توسيع هذه الطَّريقة ، ولكن يمكن أن نَعْتَبِره كذلك أكثر مُلاءَمَةً لنُموّ وَقْف مكتباتٍ بتمامها ، وعندئذ يكون الوَقْفُ نَصًّا مُسْتَقِلًّا مُفَصَّلًا إلى الغاية ، بحيث يجب إظْهاره بتمامه على كُلِّ مَخْطوطٍ ، وكَشَفَ فرنسيس ريشارد Francis Richard عن أنْمُوذَجٍ شهير وقديم (يرجع إلى أوَّل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) على مخطوط باريس رقم BnF persan 121 ورقة ١٧٨ظ ، هو خَتْمُ مكتبة رَشيد الدِّين (شكل ١٠٦) . وسَمَحَت الأخْتامُ في العَصْر العُثْماني بطَبْع صِيغَةٍ مختصرةٍ لنَصِّ الوَقْفية يُخْتَم على المُجَلَّدات المعنية ، مثل تلك التي نراها على مَخْطُوطات مكتبة كوبريلي [١٢٢] .

والمعلوماتُ التي تُقَدِّمها هذه الوَقْفياتُ ثَمِينَة بالنِّسْبَة لتاريخ المَخْطوط ، وكذلك بالنسبة لتاريخ المجموعات ؛ ولكن ، ومَرَّة أخرى ، يجب استخدامها بحَذَرٍ فيما يتعلّق بتأريخ النُّسْخَة نفسها عندما لا يُوجَد بها حَرْدُ مَتْنٍ مُؤَرَّخ . وفي الواقع فإنَّها تُقَدِّم التأريخ الذي لا يُمْكن تجاوُزه *terminus ante quem* وتَتْرُكُ للباحث أن يُحَدِّد الفترة الزَّمَنية المُنْقَضية بين كِتابَة النُّسْخَة وتأريخ وَقْفِها .

---

[١١٩]. تظهر مجموعة من الأمثلة في كتالوجات البَيْع (انظر مثلا كتالوجات sotheby's 22-23 Octobre 1992, lot 563; 15 octobre 1998 lot 10,11 I 13). أمّا في مخطوط باريس رقم Paris B.N.F. 2960 فعلامَة تملُّك هي التي تظهر بهذا الشكل (*FiMMOD* 91).

[١٢٠]. F. Déroche, «The Qur'ân of Amajur», *MME* 5 (1990-91), p. 60, pl. I et p. 63, pl. III.

[١٢١]. ف. ريشارد : «شهر كتابخانة رشيد الدين» ، أينده ٦-٨ (١٩٨٢) ، ٣٤٣-٣٤٦؛ F. Richard, *Catalogue des manuscrits persans*, t.I, *Ancien fonds*, Paris, 1989, p.139; Paris 1997, p.39, nº5; *FiMMOD* 168.

[١٢٢]. رمضان ششن وجواد إزكي وجميل آق يناز : فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي ، المجلد ٣، الصفحة الملونة (مخطوط رقم ١) . وأوْرد أيمن فؤاد سيد : المخطوط اللوحة ١٦٥ العَديد من الأمثلة والتي مصدرها مصر ، وانظر كذلك فيما يلي .

وعلى هامِش هذه الوَثائق يجب أن نُشير إلى التَّقاييد التي تُشير إلى أنَّ شَخْصًا قد طَلَب مَخْطوطًا مُهِمًّا ـ غالِبًا ما يكون مَوْقُوفًا على جامِعٍ أو ضَريح . وجَمَعَ دافيد جيمس David James ، فيما يَخُصّ القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، مادَّةً مُعَبِّرَةً في هذا الموضوع [١٢٣] .

352

/ الإجـــازات [١٢٤]

تُعَدُّ السَّماعاتُ [١٢٥] شَهادات تَظْهر في مَخْطوطٍ (شكل ١٠٥) تعني أنَّ شَخْصًا قرأ نَصًّا أمامَ شَيْخٍ (مُسْمِع) يمكن أن يكون هو نفسه مُؤَلِّف النَّصّ أو أحَد رُواتِه ، الذي يجب أن يذكر في هذه الحالَة سلسلة الإسْناد التي تَرْجع إلى المُؤَلِّف . وتتم هذه القِراءَة في حُضُور شُهُودٍ تُذْكر أسْماؤهم . ويُدَوِّن الإجازَة كاتِبٌ [كاتِبُ السَّماع أو مُثْبِت السَّماع] يُسَجِّل كذلك تأريخ ومكان المَجْلِس . وإذا تَطَلَّب السَّماعُ أكثر من مجلس يُذْكر عَدَدها .

و «الإجَازَةُ» هي مَنْحُ حَقّ الرِّوايَة ، يَمْنَحُها راوٍ حَصَلَ هو نفسه على هذا الحَقّ من خلال سلسلةٍ من الرُّواة المُتَّصلين بالمُؤَلِّف أو بالرَّاوي الأوَّل . ويُطابِقُ «السَّماعُ» و «الإجَازَةُ» طَريقَةً في نَقْل النُّصُوص في المدارس والمُنْشآت الدِّينية ، ولكنَّنا نجد كذلك سَمَاعات حُرِّرَت في مارِستانات وأماكن أخرى [١٢٧] . ونُقابل هذه الإجازات ابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، ثم تأْخُذ في الزيادَة في القَرْنَيْن التاليين ، وتُصْبح أكثر نُدْرَةً فيما بعد ، رغم أنَّنا نجدها أيضًا في مَخْطوطات متأخِّرَة . ونَشَرَ چورچ ڤايدا Georges Vajda في سنة ١٩٥٧م تَحْليلًا للسَّماعات التي تَظْهَر على مخطوطات القِسم العربي بمكتبة فرنسا الوطنية BnF [١٢٨] . والمَخْطوطاتُ المكتوبة في

---

[١٢٣]. D.James, *op. cit.*

[١٢٤]. كتبت هذا القِسم ماري چنفيڤ جيدون M.-G. Guesdon.

[١٢٥]. R.Sellheim, *EI* [2], art. *Samâ'* VIII pp. 1054-1055م ، (سماع) .

[١٢٦]. G.Vajda, *EI* [2], art. *Idjâza* III, p.106-1047.

[١٢٧]. يشتمل مخطوط باريس رقم BnF arabe 3025 وهو نسخة من مصنف طبي لمحمود بن أحمد الأمساتي على سَماعٍ أنجز في دار الشفاء بالقاهرة (مؤرخ في ٧ ربيع الأول سنة ١٠٢٣هـ/١٧ أبريل سنة ١٦١٤م) .

[١٢٨]. G.Vajda, *Les certificats de lecture et d'audition dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque nationale de Paris*, 1957.

هو لضَمَان استمرار الوَقْف ، وفي أكثر الأحيان كانت تُثْبت في الهامِش العُلْوي . وهذه الكَلِمَةُ ، وتُكْتَب عادَةً بالحِبْر (المُذَهَّب غالبًا) ، تكون عادَةً الأثَر الوَحيد الباقي للتَّعْبير عن «الوَقْف» ، ولكن في بعض المَخْطوطات المكتوبة على الرَّقّ كانت تُعْمَل بواسطة سلسلة من الثُّقوب الصغيرة ، وربَّما كانت هذه الطَّريقة تَقْليدًا مغربيًّا [١١٩]. ونجد هذه الطَّريقةُ مُطَبَّقَةً إلى أقصى دَرَجَة في «مُصْحَفِ أماجور» ، فتوجد على وَجْه كلِّ وَرَقَة منه الصِّيغَة «وَقَفَهَا أماجُور» أو «أَوْقَفَهَا أماجُور» [١٢٠]، ويَظْهر على رأس المُجَلَّد اخْتِزالٌ للوَقْف مُؤَرَّخٌ سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م . ويَنْدَرِجُ اسْتِخْدامُ الأَخْتام في إطار توسيع هذه الطَّريقة ، ولكن يمكن أن نَعْتَبِره كذلك أكثر مُلاءَمَةً لنُموّ وَقْف مكتباتٍ بتمامها ، وعندئذ يكون الوَقْفُ نَصًّا مُسْتَقِلًّا مُفَصَّلًا إلى الغاية ، بحيث يجب إظْهاره بتمامه على كُلِّ مَخْطوطٍ ، وكَشَفَ فرنسيس ريشارد Francis Richard عن أنْمُوذَجٍ شهير وقديم (يرجع إلى أوَّل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) على مخطوط باريس رقم BnF persan 121 ورقة ١٧٨ظ ، هو خَتْمُ مكتبة رَشيد الدِّين (شكل ١٠٦) . وسَمَحَت الأَخْتامُ في العَصْر العُثْماني بطَبْع صِيغَةٍ مختصرةٍ لنَصِّ الوَقْفية يُخْتَم على المُجَلَّدات المعنية ، مثل تلك التي نراها على مَخْطوطات مكتبة كوبريلي [١٢٢].

والمعلوماتُ التي تُقَدِّمها هذه الوَقْفياتُ ثَمينَة بالنِّسبَة لتاريخ المَخْطوط ، وكذلك بالنسبة لتاريخ المجموعات ؛ ولكن ، ومَرَّة أخرى ، يجب استخدامها بحَذَرٍ فيما يتعلّق بتأريخ النُّسْخَة نفسها عندما لا يُوجَد بها حَرْدُ مَتْنٍ مُؤَرَّخ . وفي الواقع فإنَّها تُقَدِّم التأريخ الذي لا يُمْكن تجاوُزه *terminus ante quem* وتَتْرُكُ للباحث أن يُحَدِّد الفترة الزَّمَنية المُنْقَضية بين كِتابَة النُّسْخَة وتأريخ وَقْفِها .

---

١١٩. تظهر مجموعة من الأمثلة في كتالوجات البَيْع (انظر مثلا كتالوجات sotheby's 22-23 Octobre 1992, lot 563; 15 octobre 1998 lot 10,11 I 13). أمّا في مخطوط باريس رقم Paris B.N.F. 2960 فعلامَة تملُّك هي التي تظهر بهذا الشكل (*FiMMOD* 91).

١٢٠. F. Déroche, «The Qur'ân of Amajur», *MME* 5 (1990-91), p. 60, pl. I et p. 63, pl. III.

١٢١. ف. ريشارد : «شهر كتابخانة رشيد الدين» ، أينده ٨-٦ (١٩٨٢) ، ٣٤٣-٣٤٦؛ F. Richard, *Catalogue des manuscrits persans*, t.I, *Ancien fonds*, Paris, 1989, p.139; PARIS 1997, p.39, nº5; *FiMMOD* 168.

١٢٢. رمضان ششن وجواد إزكي وجميل آق يناز : فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي ، المجلد ٣، الصفحة الملونة (مخطوط رقم ١) . وأوْرد أيمن فؤاد سيد : المخطوط اللوحة ١٦٥ العَديد من الأمثلة والتي مصدرها مصر ، وانظر كذلك فيما يلي .

وعلى هامِش هذه الوَثائق يجب أن نُشير إلى التَّقاييد التي تُشير إلى أنَّ شَخْصًا قد طَلَب مَخْطوطًا مُهِمًّا ـ غالبًا ما يكون مَوْقُوفًا على جامِعٍ أو ضَريح . وجَمَعَ دافيد جيمس David James، فيما يَخُصّ القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، مادَّةً مُعَبِّرَةً في هذا المَوْضوع [١٢٣].

352

/ الإجـــازات[١٢٤]

تُعَدُّ السَّماعاتُ [١٢٥] شَهادات تَظْهر في مَخْطوطٍ (شكل ١٠٥) تعني أنَّ شَخْصًا قرأ نَصًّا أمامَ شَيْخ (مُسْمِع) يمكن أن يكون هو نفسه مُؤَلِّف النَّصّ أو أحَد رُواتِه ، الذي يجب أن يذكر في هذه الحالَة سلسلة الإسْناد التي تَرْجع إلى المُؤَلِّف . وتتم هذه القِراءَة في حُضُور شُهُودٍ تُذْكر أسماؤهم . ويُدَوِّن الإجازَة كاتِبٌ [كاتِبُ السَّماع أو مُثْبِت السَّماع] يُسَجِّل كذلك تأريخ ومكان المَجْلِس . وإذا تَطَلَّب السَّماعُ أكثر من مجلس يُذكر عَدَدها .

و «الإجازَةُ» هي مَنْحُ حَقّ الرِّوايَة ، يَمْنَحُها راوٍ حَصَلَ هو نفسه على هذا الحَقّ من خلال سلسلةٍ من الرُّواة المُتَّصلين بالمُؤَلِّف أو بالرَّاوي الأوَّل . ويُطابِقُ «السَّماع» و «الإجازَةُ» طَريقَةً في نَقْل النُّصُوص في المدارس والمُنْشآت الدِّينية ، ولكنَّنا نجد كذلك سَمَاعات حُرِّرَت في مارِستانات وأماكن أخرى [١٢٧]. ونُقابل هذه الإجازات ابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، ثم تأْخُذ في الزيادَة في القَرْنَيْن التاليين ، وتُصْبح أكثر نُدْرَةً فيما بعد ، رغم أنَّنا نجدها أيضًا في مَخْطوطات متأخِّرَة . ونَشَرَ چورچ ڤايدا Georges Vajda في سنة ١٩٥٧م تَحْليلًا للسَّمَاعات التي تَظْهَر على مخطوطات القِسم العربي بمكتبة فرنسا الوطنية BnF [١٢٨]. والمَخْطوطاتُ المكتوبة في

---

١٢٣. D.James, *op. cit.*

١٢٤. كتبت هذا القِسم ماري چنڤيف جيدون M.-G. Guesdon.

١٢٥. R.Sellheim, *EI* [2], art. *Samâ'* VIII pp. 1054-1055م ، (سماع) .

١٢٦. G.Vajda, *EI*[2], art. *Idjâza* III, p.106-1047,.

١٢٧. يشتمل مخطوط باريس رقم BnF arabe 3025 وهو نسخة من مصنف طبي لمحمود بن أحمد الأمساتي على سَماعٍ أنجز في دار الشفاء بالقاهرة (مؤرخ في ٧ ربيع الأول سنة ١٠٢٣هـ/١٧ أبريل سنة ١٦١٤م) .

١٢٨. G.Vajda, *Les certificats de lecture et d'audition dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque nationale de Paris*, 1957.

القرون السَّادس والسَّابع والثَّامن والتَّاسع للهجرة/ الثَّاني عشر والثَّالِث عشر والرَّابع عشر والخامس عشر للميلاد ، والمشتملة على إجازات هي نِسْبيًّا أكثر عَدَدًا ، ويقلُّ عَدَدُها بشَكْلٍ ظاهِرٍ في القرن العاشر الهجري / السَّادس عشر الميلادي ، ولكنَّنا نجد أيضًا ثلاث مَخْطُوطات تحمل قِراءات أو إجازات من القرن الثَّاني عشر للهجرة / الثَّامِن عشر للميلاد [١٢٩].

ولاحَظَ صَلاحُ الدِّين المُنَجِّد أنَّ ظُهُورَ هذه الإجازات تَبِعَ نُمُوَّ المدارِس : فنجد سماعات كثيرة في بغداد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، ثم تَظْهَر في دِمَشْق في القرن السَّادِس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي ، ثم في القاهِرَة [١٣٠]. كما وُجِدَت كذلك في المَغْرِب [١٣١]. وتَخْتَصُّ هذه الإجازات بوَجْهٍ خاص بكُتُبِ الحديث ، ولكنَّها لا تَقْتَصر عليه وَحْده . ويُؤَكِّدُ ذلك السَّماعاتُ التي حَلَّلها چورچ ڤايدا Georges Vajda : فبينها : ٢٤ خاصَّة بالحَديث ، و ١٧ خاصَّة بالعُلُوم الدِّينية الأخرى ، و ٥ خاصَّة بالتاريخ ، و ٥ خاصَّة بالطِّب ، و٤ خاصَّة بالنَّحْو ، و٣ خاصَّة بالنَّثْر الأدَبي ، و٢ خاصان بالشِّعْر ، و٢ آخران بالببليوغرافيا .

/ وعادةً ما تُسْتَنسَخ «السَّماعاتُ» من مَخْطُوطٍ إلى آخر : فيجب أن نكون حَذرين جِدًّا إذا أمِلْنا اسْتِخدامها بغَرَض تأريخ النُّسْخَة . وعِلاوَةً على أهَمِّيَّتِها بالنِّسبَة لتاريخ المَخْطُوط ، فإنَّ هذه الوَثائِق يمكن أن تُشَكِّل مَصْدَرَ معلوماتٍ نفيسًا بالنسبة لطريقة رواية نَصٍّ مُعَيَّن ، وأيضًا لمَعْرِفَة الأماكن وحَلْقات التَّعْليم في مَوْضِعٍ وفترةٍ زمنيةٍ مُحَدَّدَيْن [١٣٢]. واهتمت چاكلين سوبليه Jacqueline Sublet بدراسة مُفْرَدات هذه

354

---

١٢٩. يتعلق الأمر بمخطوط باريس رقم BnF arabe 1271 (الذي يعود إلى سنة ١١١٤هـ/١٧٠٢م والذي يحوي قراءة غير مؤرَّخة) ورقم arabe 4470 (الذي يعود إلى سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م ، والذي يضم سلسلة روايات مؤرخة بسنة ١١٩٥هـ/١٧٨١م وإجازة غير مُؤرَّخَة) ورقم arabe 4473 (يشتمل على إجازة مؤرخة بسنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) .

١٣٠. «إجازات السماع في المخطوطات القديمة» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ، ٢٣٢ - ٢٥١.

١٣١. يحتوي مخطوطان من رصيد القسم العربي لمكتبة فرنسا الوطنية مصدرهما الغرب الإسلامي على إجَازَة سماع يتعلق الأمر بمخطوط باريس رقم BnF arabe 709 (إجازة تمت في غرناطة سنة ٦٤٠هـ/١٢٥٣م) والمخطوط رقم 4538 (إجازة مُنِحَت في جامع الزيتونة في تونس سنة ٧٨٨هـ/١٣٩٨م) .

١٣٢. ستيفن ليدر وياسين محمد السَّوَّاس ومأمون الصَّاغرجي : معجم السماعات الدمشقية ، ٥٥٠ - ٧٥٠هـ/ ١١٥٥هـ - ١٣٤٩م ، دمشق ، ١٩٩٦: =

١١٦. إجازة سَماع مؤرَّخة سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م. باريس رقم BnF arabe 694، ورقة ٢٩٢ظ.

السَّمَاعات[١٣٣]، وجَمَعَ صَلاحُ الدِّين المُنَجِّد الصِّيَغَ المستعملة فيها[١٣٤].

عَلامَاتُ التَّمَلُّك

إلى جانب تَقاليد خَوارج النَّص الوَاضِحَة جِدًّا والتي وَصَفْناها فيما سَبَق والتي تَرْتَبِط في العُمُوم بالمالِك الأوَّل للمَخْطُوط، تَظْهَرُ عادَةً في الفَراغات المتروكة في أوَّل المُجَلَّد وآخره عَلاماتٌ أخرى تَحْفَظُ ـ في حالة عَدَم كَشْطِها ـ اسْم شَخْصٍ تَمَلَّكَ النُّسْخَة ووَدَّ لو تَرَكَ عليها أثرًا مكتوبًا. والصِّيغُ التي نُقابلها تَخْتَلِف كثيرًا وتَتَضَمَّنُ مُعْطيات مُتَنَوِّعة جِدًّا، وتبدأ غالِبًا بـ لـ ...، في مِلْك ...، سَار إلى (أو في مِلْك/ من كُتُب) ...، من كُتُب ...، في نَوْبَة ...، صَاحِبُه ... أو عبارات أخرى في السِّياق نفسه[١٣٥]. ثم يأتي اسْمُ المالِك بعد ذلك مَصْحُوبًا عادَةً بالتأريخ، ونَظَرًا للسِّمَة المُنْدَمِجَة لهذه الهَوَامِش تُذكر السَّنَة عادَةً بالأرقام أعلى أو أسْفَل كلمة سنة، ويَظهر اسْمُ الشَّهْر أحْيانًا في شكلٍ مُخْتَزَل[١٣٦]. وعِلاوَةً على هذه المُعْطَيات التي تُشَكِّل على هذا النَّحْو العناصِر الأساسية لعَلامَة التَّمَلُّك، نَجِدُ اسْم مَدينَة أو معلومات أخرى أرادَ الكاتِبُ إثْباتها تُثْري عند الحاجة هذه التَّقاليد، إذًا فإنَّها تستطيع أن تُحقِّق أهَمِّيَّةً كبيرةً بالنسبة لعالِم المَخْطوطات وتُزَوِّده بحُجَجٍ لتأريخ نُسْخَةٍ لا يُوجَد بها حَرْدُ مَتْن[١٣٧]، لإعادَة بناء مَسَارها ... إلخ. وغالِبًا ما يَصْحَبُ عَلامَة التَّمَلُّك خاتَمٌ مَدْمُوغ.

= فقد أتاح الـ ١٣٥٠ سماع المدروس للمؤلفين أن يوضحا تاريخ المدينة خلال تلك الفترة. واقترح «ويتكام» من جانبه في مقاله «The human element between text and reader, the ijàza in arabic manuscripts» في *Codicology*, pp. 123-36 تحليل الإجازة المرتبطة بواقع القراءة وعلاقة القارئ بالنص.

١٣٣. «Le modèle arabe: éléments de vocabulaire», N.Grandin et M.Gaborieau ed., *Madrasa: la transmission du savoir dans le monde musulman*, Paris 1997, pp. 13-27.

١٣٤. صلاح الدين المنجد: المرجع السابق.

١٣٥. جمع Gacek, A., *op. cit.*, p. 9، وأيمن فؤاد سيد: المخطوط ص٤٥٨ ـ ٤٦٦ و «Les marques de possession sur les manuscrits et la reconstitution des anciens fonds de manuscrits arabes», *Manuscripta Orientalia* 9/4 (2003), pp. 14-23، العديد من الأمثلة التي يمكن مراجعتها بفائدة كبيرة.

١٣٦. نفسه.

١٣٧. تعطي ملاحظة من هذا النوع، وكذلك حُجَّة وَقْف التأريخ الذي لا يجب تجاوزه.

355 / الميلادُ والوَفاةُ وأحْداثٌ أخرى

كانت المواليدُ والوَفياتُ تُدَوَّن، اعْتبارًا من القَرن الثَّالِثِ الهجري/ التَّاسع الميلادي، على صفحات وقاية المَصَاحِف. ويمكن لهذه الإشارات أن تكون ذات فائِدَةٍ كبيرة، شأن التَّقاليد السَّالِفَة، لتأريخ مَخْطُوطٍ: وأمكن تحديد العديد من النُّسَخ التي ترجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بفَضْل إشارَة من هذا الطِّراز. وتُوجد نُسَخٌ أخرى تُشير إلى ظَواهِر طبيعية استثنائية.

الأخْــتام[١٣٨]

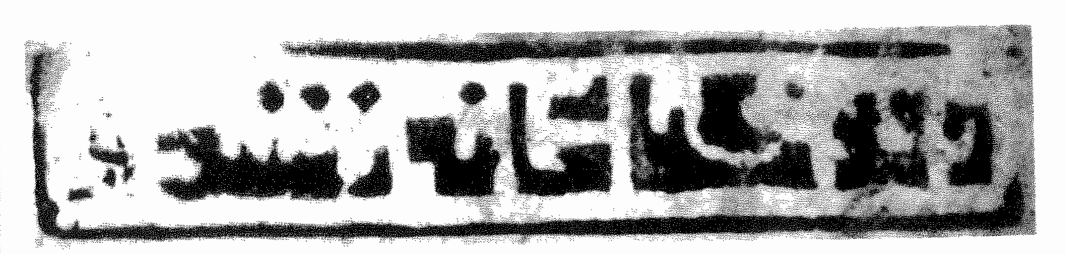
تُسَجِّلُ الأخْتامُ، أو بَصْمَةُ الخاتَم (تَسْتَخْدم الفارسية عن قَصْدٍ كلمة «مُهْر» والتي تَعْني حَصْريًّا قِطْعَة الحَجَر أو المَعْدِن التي يُسَجَّل فيها الرَّمْزُ مَقْلُوبًا، ومنها كذلك كلمة مُهُور في التركية)، التي نُقابلها غالِبًا على صَفَحات وِقاية المَخْطوطات، المِلْكية أو تَعْني التَّوْثيق ـ مثلما هو الحال على عَقْدٍ ذي صِفَةٍ خاصَّة أو عامَّة. ويَتَعَلَّق ذلك بتَقْليدٍ قديم: فالشَّرْقُ الأدْنى الإسلامي لم يَفْعل سوى أنَّه اسْتعادَ تَقْليدًا بيزنْطيًّا وساسانيًّا. وفي وَثائِق ديوان الإنْشَاء (أو القُنْصُليات) اسْتُبْدِل الخاتَم المُتَّصل بالوَثيقَة، في تأريخ غير معروف، ببَصْمَةِ الخاتَم نفسه مطبوعة بالحِبْر الأسْوَد (وأحيانًا بالأحْمَر مثلما هو الحال في الصِّين) على الوَثيقَة نفسها. ويُوجَد أنْمُوذَجٌ قَديمٌ لبَصْمة خاتَم على ظَهْر الوَرَقَة الأولى من مخطوط باريس رقم BnF ar. 3337 (مصر، نحو سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م).

ونَجِد على الخاتَم مَثَلًا عَرَبيًّا ـ أو فارسيًّا ـ مُخْتَصَرًا، أو اسْم شَخْص أو مُجَرَّد دُعاء ديني، وأحيانًا نَصًّا شِعريًّا قَصيرًا أو تَعْويذَة. ويمكن أن نجد كذلك، في أغْلَب الأحْيان، تأريخًا: تأريخ مُباشَرَة صَاحِب الخاتَم لمهامِّه، الذي يُذَكِّر بأنَّ الخاتَم هو رَمْزٌ للسُّلْطَة. وفي الهند المُغُلِيَّة، يمكن أن يُعَبِّر هذا التأريخ عن سنة جُلُوس الحاكم. وعادَةً

١٣٨. كتب هذه الفَقْرَة فرنسيس ريشارد Francis Richard.

ما يُقرأ شِعارُ الخاتَم من أسْفَل إلى أعْلى بالبداية من السَّطْر الأسْفَل. ويَسْبق اسم مالِكه عادَةً صِيغَة «العَبْد»، «الفقير» أو الكلمة الفارسية «بَنْدا». وتَحْوي النُّصُوصُ الشِّعرية القصيرة أو الصِّيغ العربية عادَةً تَلْميحًا لاسْم صاحِب الخاتَم دون الإفْصاح عنه بشكلٍ واضِح.

وتَنَوَّعَت أشْكالُ الأخْتام: وهي بذلك يمكن أن تكون عُنْصُرًا مُفيدًا للتأريخ. فقد وُضِعَ خاتَم المكتبة التي أسَّسها رشيد الدِّين في تَبْريز في مَطْلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بالحِبْر الأسْوَد على صفحات مُتَفَرِّقَة من مَخْطوطات هذه المكتبة[١٣٩]. ويذكرنا شَكْله المستطيل بشَكْل بعض أخْتام مصر الفاطمية، فنقرأ عليه بالخَطِّ الكوفي: «وَقْفي كتبخانابي رَشيدية» (شكل ١٠٦). ولا ندري إذا كان الأمْرُ يَتَعَلَّق بتجديدٍ/ ـ في فَتْرَةٍ كان فيها تأثيرُ ديوان الإنْشاء الصِّيني مَحْسُوسًا في فارس ـ أو إلى مُمارَسَة قديمة في المكتبات المَوْقُوفَة. ومع ذلك، فإنَّنا لا نُصادِف كلمة «وَقْف» كثيرًا: ولدينا بعضُ النَّماذج المصرية ثم العُثْمانية (مَدْرَسَة مُصْطفى باشا عتيق بإستانبول)، ونادِرًا ما نجد نماذج فارسية (يُسْتَثْنَى من ذلك ضريح صَفِيِّ الدِّين في أرْدَبيل)[١٤٠].



١١٧. وَقْفُ الكُتُبْخانه الرَّشيدية بتَبْريز (١٣٠٥ ـ ١٣١٨م) باريس BnF persan 121 ورقة ١٧٨ظ

ونادِرًا ما كانت تُدْمَغُ أخْتامُ المُلُوك الكبيرة الحَجْم على مَخْطُوطات مكتباتهم، ولكن تُوجَد لذلك بَعْضُ الاسْتثناءات، بينها مجموعةُ السُّلْطان العثماني أحمد الثَّالِث في القرن الثاني عشر الهجري/ الثَّامِن عشر الميلادي، وخَاتَم حُسَيْنْ مِيرزا بايْقَرا سُلْطان هَرَاة الحاكم التَّيْموري الشَّهير، وخَاتَم السُّلْطان إبراهيم سُلْطان بجابور في نهاية القرن

١٣٩. مثلا في مكتبة فرنسا الوطنية، الأوراق ٢، ٤، ٥، ١٧٨ إلخ من المخطوط رقم persan 121 أو في الورقة ٣٧٦ظ من المخطوط رقم ar. 2324.

١٤٠. حيث أخَذَت العديدُ من المَخْطُوطات طريقها إلى مكتبة سان بطرسبورج.

التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وعُمُومًا فقد عَمَد المُلُوكُ إلى طَبْع خاتم صغير الحَجْم أكثر جَمالًا (شكل ١٠٧). وابتداءً من عَصْر بايَزيد الثاني (نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) عَلَّم السَّلاطينُ العُثْمانيون مَخْطوطاتهم بخاتم على شكل ثَمَرَة اللَّوْز مَصْحُوبًا بطُغْراتهم (شكل ١٠٨). ونَجد على مُجَلَّدات مكتبة الشَّاه عبَّاس الأوَّل في فارس أخْتامًا بَيْضاوية مَصْحوبَة بشعارٍ نَصُّه: «عَبَّاس بَنْدائي شاهي ولايات» وتأريخ. وقامَ أميرٌ معروف بمجموعته من المَخْطُوطات التاريخية هو سُلْطان فارس شاه رُخ التَّيْموري، في مَطْلَع القرن التَّاسِع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بحَفْر خاتَم مُخَصَّص لمكتبته مُستدير الشَّكْل، وقُطْره ما يقرب من ٢سم، كُتِب عليه بالخطّ النَّسْخي: «من كُتُب خِزانَة السُّلْطان الأعْظَم شاه رُخ بهادُر»[١٤١] (شكل ١١١).

وانْتَشَرَ اسْتِخْدامُ الأخْتام بكَثْرَة في فارس وفي الهند الإسلامية وبخاصَّةٍ في الدَّوْلَة العُثْمانية. والمخطوطاتُ هي شاهِدٌ مُهِمّ على ذلك، دون أن نستطيع دائمًا أن نُثْبِت بتأكيد أن الخاتَم يَتَعَلَّق بقارئ للمخطوط أو مالِكٍ له. فكُلٌّ من الموظفين المذكورين في «السِّجل العُثْماني» لمحمد ثُرَيَّا، على سبيل المثال، كان يحْتَفِظ بخاتَم أو أكثر. والتَّواريخ التي نَقْرأها فيها مُهِمَّة دائمًا في رَبط علاقتها بالمُعْطَيات البِبْليوجرافية الأخرى. وحَفَرَ بعضُ الأوروبيين الذين عاشُوا في الشَّرْق أخْتامًا بأسمائهم واسْتَخْدَموها في كُتُبهم كخوارج للنَّصّ. ولا نعرف إلَّا الشيء القليل عَمَّا يَخُصّ المغرب، إلَّا أن يكون قد نَمَا اسْتِخْدامُها ابتداءً من القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي مع الوُجُود العُثْماني.

/واسْتِخْدامُ الأخْتام في الهِنْد قديمٌ بما أنَّنا نجده على المَخْطوطات ابتداءً من القرن العاشر الهجري/ السَّادِس عشر الميلادي. وتُعَرِّفنا وثائقُ أرْشيفية وصفحات وقاية المخطوطات على عَدَدٍ هائلٍ من أخْتام أعْيان الهِنْدوس أو المسلمين. فابتداءً من عَهْد السُّلْطان أكْبر، في نهاية القرن العاشر الهجري/ السَّادس عشر الميلادي، نجد عُمُومًا

١٤١. يرى على سبيل المثال في الورقة ٥٥ من مخطوط باريس رقم BnF arabe 2494، أو في رقم BnF suppl.persan 1113. انظر أيمن فؤاد سيد: المخطوط ص ٤٤٨ ـ ٤٥٠ واللوحة ١٥٦.

١١٨. بَصْمَةُ خاتم تَحْمِل طُغْراء السُّلْطان عبد الحميد الأوّل (١١٨٨-١٢٠٤هـ/١٧٧٤-١٧٨٩م).
بَصْمَة خاتم عثماني من القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي على شكل هالَة مع زَخْرَفَة زَهْرية وعلى الطَّرَف شعار عربي يتلاعب بكلمة «خاتم». باريس BnF arabe 1648، ورقة ١



١١٩. بَصْمَةُ خاتَم السُّلْطان العُثْماني بايزيد الثاني بن محمد (٨٨٦-٩١٨هـ/١٤٨١-١٥١٢م). باريس BnF arabe 1493، ورقة ٢.



١٢٠. بَصْمَةُ خاتم تحمل طُغْراء السُّلْطان مصطفى الثالث (١١٧١-١١٨٨هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م). باريس BnF arabe 1524، ورقة ١

أخْتامًا مستديرة كبيرة تَتَّصل فيها باسم الشَّخْص في أكثر الأحْيان، صِيغَة «خادم الملك» «فدفي شاه»، ثم يأتي بعدها اسم الملك. واستمر هذا التَّقْليدُ كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حيث يَزْدَوج التَّأريخ في الغالب فيُعَبَّر عنه ابتداءً من الهجرة وأيضًا ابتداءً من اعِتْلاء السُّلْطان العَرْشَ.

وكان الأعْيانُ، في القرن الثّاني عشر الهجري / الثّامن عشر الميلادي، عادَةً ما يَحْفِرون على الأخْتام مجموع ألْقابهم الشَّرَفِيَّة التي تَصْحَب اسمهم لا اسم الملك./ وكانت مَكتباتُ المُغُل بين عَهْد السُّلْطان أكْبَر ونهاية القرن الثّاني عشر الهجري/ الثّامن عشر الميلادي مصحوبةً بانتظام بدَمْغ خاتَم كِبار الشَّخصيات الذين حَصَلوا على الكتاب بين أيْديهم[١٤٢] (شكل ١٣٠).

358

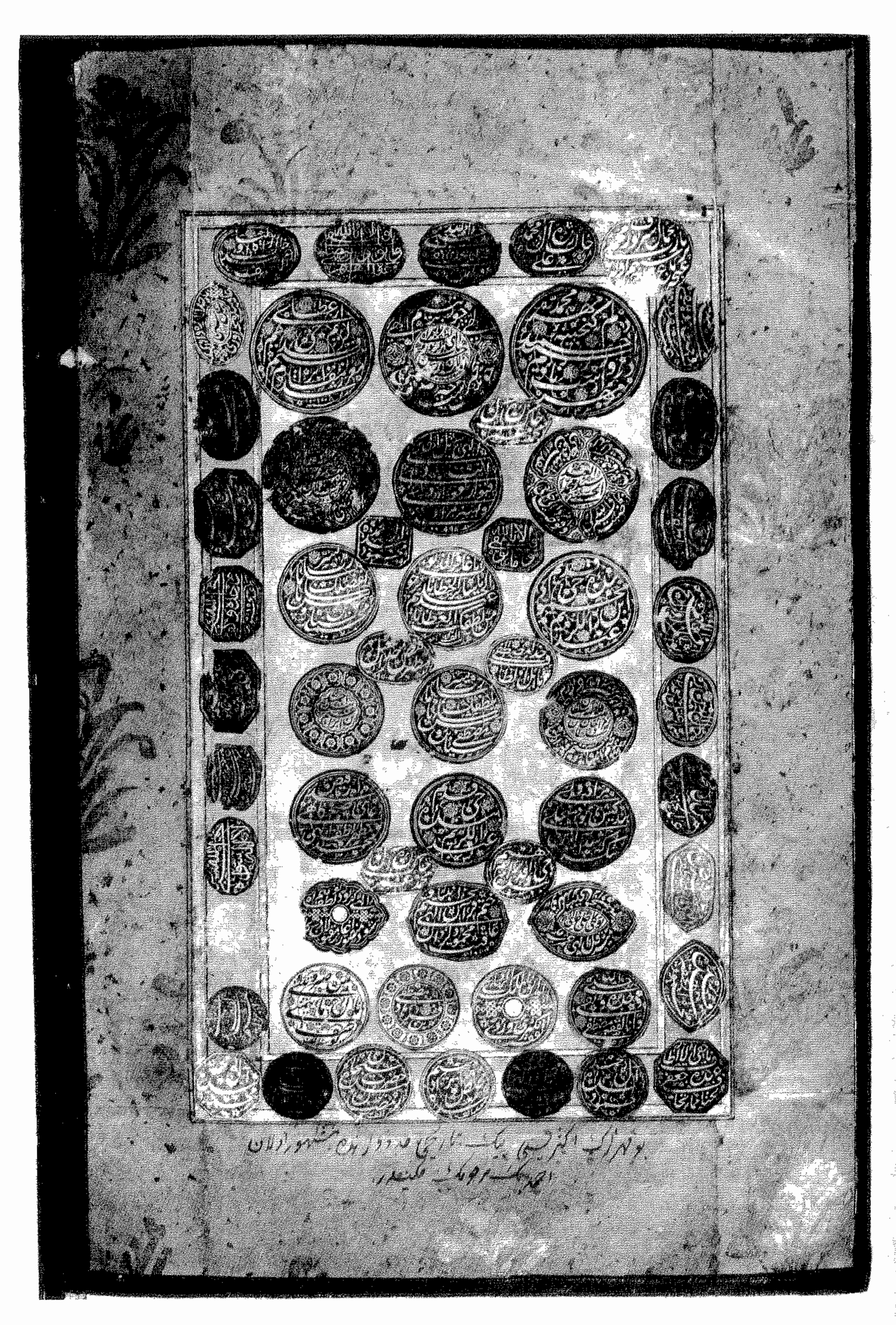
وتنوَّعَت أشْكالُ الأخْتام. وفي غياب النَّشْر الضَّروري لـ «جامع للأخْتام» *corpus sigillorum*، اضْطُررنا أن نَقْتَصِر على دِراسَةٍ قائمةٍ على المُلاحَظَة والاختيار. ومع ذلك، فإنّنا نلاحِظ أنَّ العَصْرَ المملوكي عَرَفَ أخْتامًا مُسْتديرة. كذلك، فإنَّ فارِسَ في العَصْر التّيموري خَلَّفت لنا عَدَدًا كبيرًا من دَمْغَات الأخْتام، تكادُ تكون مُسْتديرة دائمًا، ومكتوبة بالخطّ النَّسْخي ويقترب حجمها من ٢ سنتيمتر. وكان لبابُور وهُمايُون التّيموريين أيضًا أخْتامٌ مستديرة من هذا الطِّراز. ووُجِدَت بَصْمَةُ خاتَم الأميرة حَميدَة بانُو، زَوْجَة هُمايُون، مَدْمُوغًا على كُتُبِ مكتبتها: وهو على شكل نَجْمَة يوجد اسْمُها في وَسَطِها[١٤٣] (شكل ١٣٢). وإذا كان العُثْمانيون اسْتَخْدَمُوا في القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي أخْتامًا مُسْتَديرةً، فإنَّها تَحَوَّلَت غالبًا إلى الشَّكل البَيْضاوي في نهاية القرن وزَيَّنَتها زَخارِفُ نباتية رزينة (شكل ١١٠). أمّا الأخْتامُ الفارسية التي ترجع إلى القرن العاشر الهجري/ السّادِس عشر الميلادي، فإنَّها كانت في البداية غالبًا على شكل رُمّانَة ومُتَخَمَةً بالعبارات الدِّينية، ثم أصبحت في نهاية القرن أكثر بَساطَةً وأقَلَّ إتْخامًا. وفي الهِنْد، في القرن الحادي عشر/ السّابع عشر الميلادي، تَخَلَّوا بشكل غير مَحْسُوس عن أخْتام عَهْد السُّلْطان أكْبَر ذات شكل الرُّمانَة لصَالح الأخْتام الكبيرة المُسْتديرة، بينما نجد في القرن الثّاني عشر/ الثّامن عشر غالبيةً من الأخْتام المُسْتَطيلة. أمّا الأخْتامُ الفارسية في القرن الحادي عشر الهجري/ السّابع عشر الميلادي فكانت غالِبًا بَيْضاوية الشَّكل وصغيرة جِدًّا،

١٤٢. ينظر بهذا الخصوص الدراسة القاطعة لجون سيلر J. Seyller, «The inspection and Valuation of manuscripts in the Imperial Mughul Library» *Artibus Asie* 57,1997, pp. 243-349.

١٤٣. يرى على سبيل المثال في صفحتي الوقاية في مخطوط باريس رقم BnF suppl. persan 140. C.

وأصْبَحَت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثَّامِن عشر الميلادي، في العُمُوم مُسْتَطِيلةً أو مُرَبَّعَةً وصغيرة الحَجْم جدًّا (مثل خاتَم هاوي الكُتُب المشهور مِيرزا مَهْدي خان الإستراباذي ومُنْشي نادِر شاه) (شكل ١٢٨). ونجد في فارس القاجارية في القرن الثَّالث عشر الهجري/ التَّاسع عشر الميلادي، الكثير من الأخْتام البَيْضاوية والمُستطيلة الكبيرة (شكل ١٢٧، ١٣٠). وكان خَطُّ النَّسْتَعْليق هو المُفَضَّل غالِبًا.

وقِراءَةُ شِعارات الأخْتام والتَّواريخ التي يمكن أن نقابلها فيها، وكذلك إذا استطعنا ـ قَدْر الإمْكان ـ تَحْديد مُلَّاكِها، تكون عَناصِر مُهِمَّة لعَرْضِ مَسَار مَخْطوطٍ مُعَيَّن، فهي تُكْمل دِراسَة التَّقاليد المَخْطوطاتية أو خَوارج النَّصِّ التي يمكن أن تُصاحِبَها.



١٢١. مجموعةُ بَصَمات لأخْتام عثمانية. باريس رقم BnF arabe 6074، ورقة ١٧ظ.



١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠

١٢٢. بَصْمَةُ خاتم مكتبة السُّلْطان شاه رُخ (٨٠٨-٨٥٠هـ) باريس BnF arabe 240,4، ورقة ٥٥.

١٢٣. بَصْمَةُ خاتم أبي الغازي سلطان حسين (ميرزا بَيْقَرا) سُلْطان هَراة (٨٧٣-٩١٢هـ)
باريس BnF Suppl. persan 822، ورقة ٤٢٠

١٢٤. بَصْمَةُ خاتم السُّلْطان يعقوب بن حسن بن علي آق قويونلو (٨٨٤-٨٩٨هـ)
باريس BnF Suppl. persan 1528، ورقة ٥.

١٢٥. بَصْمَةُ خاتم تحمل الشِّعار الفارسي لبيالة كاتم أسْرار قُرْقُد بن بايزيد (٨٧٥-٩١٩هـ)
باريس BnF Suppl. persane 727، ورقة ١٦٨.

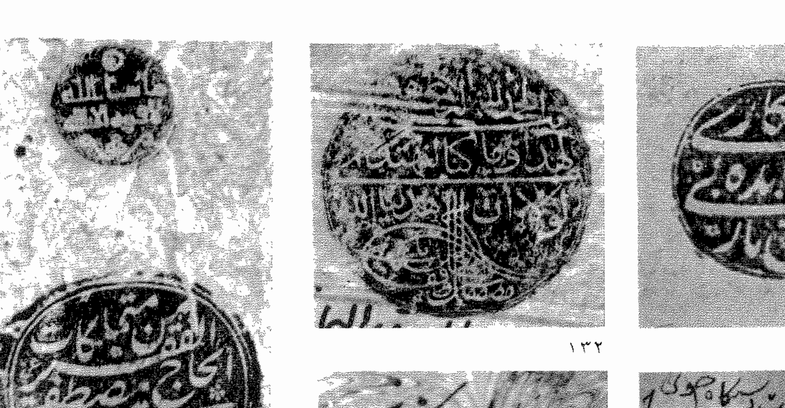
١٢٦. بَصْمَةُ خاتم بيري بن خليل [بيك رمضان زاده ، المتوفى سنة ٩٧٠هـ ؟] باريس BnF Suppl. persan 1394، ورقة ٨٧ظ .

١٢٧. بَصْمَةُ خاتم أسْقُف آمِد وماردين وسُوَار النَّسْطوري [نحو سنة ١٥٨٧] . باريس BnF Suppl. persan 941، ورقة ٧٤ظ .

١٢٨. بَصْمَةُ خاتم مُثَمَّن لشَخْص يُدْعَى مصطفى . باريس BnF arabe 1493، ورقة ٢.

١٢٩. بَصْمَةُ خاتم لشخصٍ يُدْعَى صالح بك . باريس BnF arabe 7698، ورقة ١.

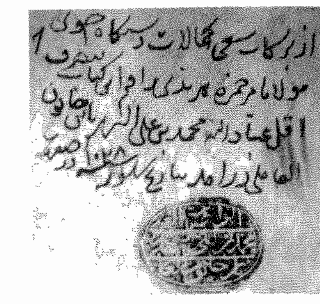
١٣٠. بَصْمَةُ خاتم سَيِّد محمود مؤرخ سنة ١٠٠٠هـ (المخطوط نسخه سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٨م في المَنْزَلة
بمصر محمود بن محمد اللاذقي ، الذي ربَّما كان هو نفسه صاحب الخاتم)
باريس BnF Suppl. persan 896، ورقة ٣١.



١٣١ ١٣٢



١٣٣



١٣٤



١٣٥



١٣٦ ١٣٧

١٣١. بَصْمَةُ خاتم مُؤرَّخ سنة ١١٥٣هـ مع الشعار الفارسي لمحمد أفندي بن إسماعيل أغا الشهير بإسْكَنْدَري .
باريس BnF Suppl. persan 807، ورقة ١.

١٣٢. بَصْمَةُ خاتم دائري كبير يحمل شعارًا عربيًا وطُغْراء السُّلْطان مصطفى الثَّاني والآية ٧٢ من سورة الأعراف ، باريس BnF arabe 1648، ورقة ١.

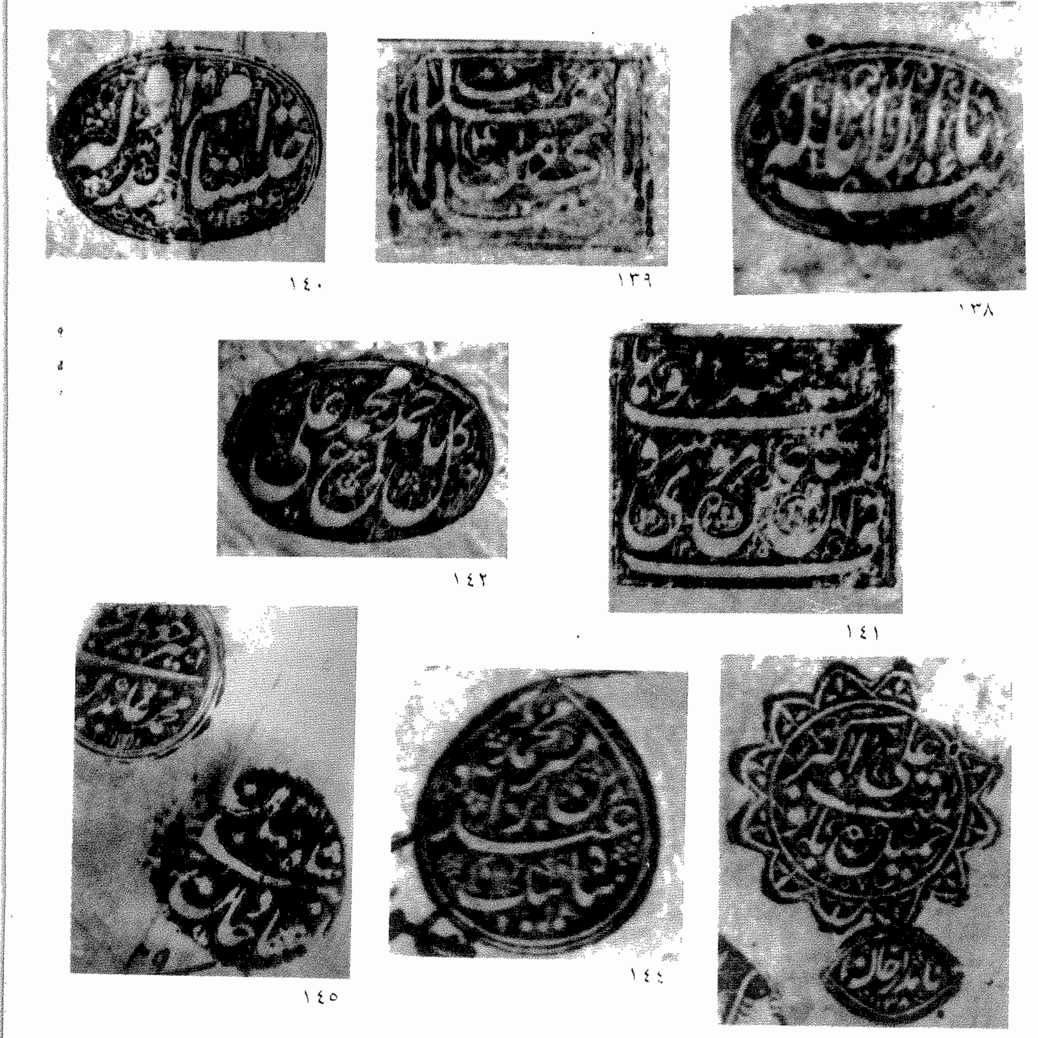
١٣٣. بَصْمتا خاتمين لجامع الكتب والشاعر العثماني حاج مصطفى صدقي ، المتوفى سنة ١١٨٣هـ.
أحدهما مُؤرَّخ سنة ١١٧٩هـ ، والآخر يحمل شعارا بالخط الكوفي . باريس BnF Suppl. persan 727، ورقة ١.

١٣٤. علامةٌ تشير إلى أن المخطوط مَنَحه مير حمزة هرندي ، في أصفهان سنة ١٠٣٨هـ ، إلى
محمد بن علي بن حاتم العاملي ، الذي هاجر بعد ذلك إلى درامد (حيث توفي بعد سنة
١٠٧٠هـ) ، وبَصْمَةُ خاتم محمد العاملي هذا مؤرخة بسنة ١٠٢٠هـ . باريس BnF Suppl. persan 517، ورقة ١

١٣٥. بَصْمَةُ خاتم ينتهي شعاره بـ «رسول الله» يصحب تَقْييدًا يُشِير إلى إهداء ميرزا محمد
مقيم «صاحب جمعي كتبخانة» للألبوم مؤرخ في صفر سنة ١٠٦٢هـ . باريس BnF arabe 671، ورقة ٢ظ .

١٣٦. بَصْمَةُ خاتم قوام الدِّين محمد الحسيني بن رفيع الدِّين محمد مؤرخ سنة ١٠٧٣هـ. باريس BnF Suppl. persan 517، ورقة ١.

١٣٧. بَصْمَتا خاتمين مُصاحبتان لخوارج نَصّ محمد بن جعفر بن علي المازندراني . الأيسر
مؤرَّخ سنة ١٠٤٧هـ ويشير إلى أنَّ هذا الشخص كان خادم رَوْضَة أرْدبين ، والآخر يُعَبِّر فيه عن تَشَيُّعه .
باريس BnF Suppl. persan 221، ورقة ١.



١٣٨. بَصْمَةُ خاتم مؤرَّخ سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م يصحب تقييدًا يشير إلى انتقال هذا المخطوط سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م الذي كان محفوظًا حتى هذا التاريخ في مكتبة فتح علي شاه قاجار. باريس BnF persan 1818، ورقة ١

١٣٩. بَصْمَة خاتم مُؤَرَّخ سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨-١٧٢٩م لميرزا مهدي خان كوكب الإستراباذي كاتب ومؤرِّخ نادر شاه، المتوفى سنة ١١٧٣هـ. باريس BnF suppl. persan 1029، ورقة ٣٨٦.

١٤٠. بَصْمَة خاتم مُؤَرَّخ سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨-٨٩م لاحْتِشام الدَّوْلَة، أي عبد العَليّ ميرزا عَهْدي بن فِرْهاد ميرزا حاكم فارْس. باريس BnF Suppl. persan 1818، ورقة ١.

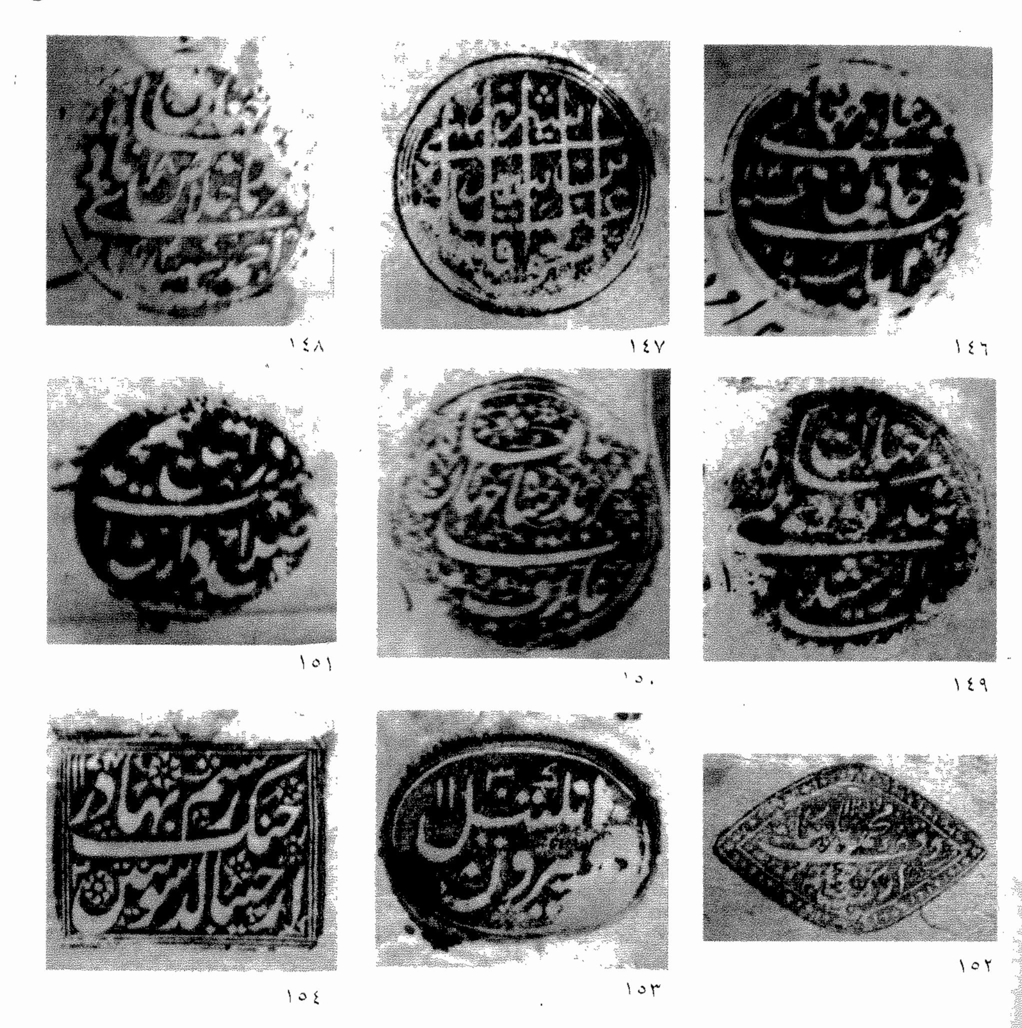
١٤١. بَصْمَة خاتم مُعْتَمد الدَّوْلَة عبد الوهاب موسوي، مُنْشئ الممالك (المتوفى سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م) مصاحبة لعلامة عَرْض لهذا المخطوط في كتبخانة الملوك القاجار بين سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦-١٧م. باريس BnF suppl. persan 1818، ورقة ١.

١٤٢. بَصْمَة خاتم فارسي من القرن التاسع عشر باسم محمد علي، باريس BnF Suppl. persan 1818، ورقة ١

١٤٣. بَصْمَة خاتم مؤرخة سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠-٥١م لحميدة بانو بنت علي أكبر، زَوْجة السلطان همايون ووالدة أكبر. وبأسفله بصمة صغيرة لنامدار خان مؤرخة سنة ١١٣٨هـ/١٧٢٥-٢٦م. باريس BnF Suppl. persan 140، ورقة ١

١٤٤. بَصْمَة خاتم شاه بيك بن ميرزا محمد بيك بادخْشاني مؤرخة سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢-٣م على نفس هَيْئة أختام حكام المُغُل المعاصرين. باريس BnF Suppl. persan 177، ورقة ١.

١٤٥. بَصْمَة خاتم مؤرَّخة سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧-٣٨م لمحمد عابد بن أمير جَعْفَر الحُسَيْني، وبَصْمَة خاتم اعتماد خان نبدائي (خادم)، مؤرخة سنة ١٠٦٣هـ/١٦٥٢-٥٣م. باريس BnF Suppl. persan 815، ورقة ١



١٤٦. بَصْمَة خاتم أمانت خان شاه جهاني مؤرخة سنة ١٠٤٢هـ/١٦٣٢-٣٣م. وأمانت خان أحد خُزَّان مكتبات (كتابدار) شاه جهان. باريس BnF Suppl. persan 815، ورقة ١.

١٤٧. بَصْمَة خاتم عبد الحَقّ بن قاسِم الشِّيرازي (١٠٣٧هـ/١٦٢٧-١٦٢٨م). باريس BnF Suppl. persan 177، ورقة ٨

١٤٨. بَصْمَة خاتم أحمد بنهان مندب إخْلاص (المريد الوفي) لشاه جهان، مؤرخة سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م. باريس BnF Suppl. persan 815، ورقة ١.

١٤٩. بَصْمَة خاتم عبد الرَّشيد الدَّيْلَمي (الذي سيصبح فيما بعد خازن مكتبة أورنجزاب) نُقش في الوقت الذي كان ما يزال فيه في خِدْمَة شاه جهان. باريس BnF Suppl. persan 177، ورقة ٨

١٥٠. بَصْمَة خاتم عارف مريد شاه جهان مؤرخة سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥-٣٦م. باريس BnF Suppl. persan 777، ورقة ٨.

١٥١. بَصْمَة خاتم صَلاح المشار إليه «وارث بين الخَدَم الأوفياء»، باريس BnF Suppl. persan 815، ورقة ١

١٥٢. بَصْمَة خاتم وَقْفي: من كتب خواجا محمد بارسا، مؤرخ سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩-٤٠م. وقد تفَرَّقت فيما بعد المكتبة التي أسَّسها هذا العالم (٧٤٥-٨٢٣م/١٣٤٥-١٤٢٠م) في بخارى. باريس BnF Suppl. persan 1671، ورقة ١٣٠.

١٥٣. بَصْمَة خاتم فارسي لأنكيتيل دي بيرون Anquetil-Duperron (١١٤٤-١٢٢٠هـ/١٧٣١-١٨٠٥م) مؤرَّخة سنة ١١٣٠ (بتاريخ يزدجرد) أي سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م. باريس BnF Suppl. persan 499، ورقة ٣٥٢ظ.

١٥٤. بَصْمَة خاتم فارسية مؤرخة سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠-٦١م تحمل اسم رستم جنك بهادر ارجيبالدوس (Archibald Swinton)، الذي أقام في الهند من سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٢م إلى سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وجَلَب منها العديد من المخطوطات. باريس BnF Suppl. persan 619، ورقة ١.

تاريخ المجموعات

عِلْمُ المَخْطوطات (الكوديكولوجيا) وتاريخُ المَجْموعات (الأرْصِدَة)[١].

مُقارَبَةٌ نَظَرِيَّة

مَجَالُ التَّطْبيق

إنَّ أحَدَ مَهام عِلْم المَخْطوطات (الكوديكولوجيا)، إلى جانب تَحْليل الظُّرُوف المادِّيَّة التي تُحيطُ إنْتاج الكتاب المَخْطُوط، هي عَمَلُ تاريخ المجْموعات وأرْصِدَة المكتبات[٢]، أي تَجْميع مُعْطَياتٍ عن تَدَاوِلِ المُؤلَّفات منذ عَصْرِ صِناعَتِها، وإعادَة بناء سِلْسِلَة مالِكي مَخْطَوطٍ أو مجموعةٍ من المَخْطوطات قَدْر الطَّاقة، وتَوَخِّي الأماكِن التي جاءَت منها المُجلَّداتُ أو اسْتَقَرَّت فيها[٣]. ولا تَخْرُجُ المَخْطُوطاتُ الشَّرْقية، وعلى

١. كَتَبَت أغْلَب هذا الفَصْل آني برتييه Annie Berthier وحَرَّرَت القسم الأخير منه ماري چنڤيف جيدون Marie-Geneviève Guesdon.

٢. التعريفات التي قدمها «ميزيريل» في قاموسه D. Muzerelle, *Vocabulaire* هي ما يلي: رصيد «مجموعة وثائق لها أصْل أو انْتماء تاريخي مشترك». مجموعة «مجموعة أشياء أو وثائق جمعها شخصٌ أو مُؤَسَّسة». ونقرأ في كتاب *L'histoire et ses méthodes* الذي أشرف عليه «شارل سمران Ch. Samaran» Encyclopédie *de la pléiade*, Paris, Gallimard, 1961, p. 1091. في فصل خَصَّصَه «جلبيرت وي G. Ouy» للمكتبات أن «رصيد المخطوطات هو مجموع الكتب أو الوثائق المخطوطة التي تهم التاريخ الفكري ـ بمعناه الواسع ـ للجماعة والأسْرة والفَرْد الذي نسخها أو عمل على نسخها، أو تلقَّاها أو جمعها» وفي ص ١٠٩٢. أن «المجموعة هي (....) تجميع مُصْطَنَع للمخطوطات (...) قام به فَرْدٌ أو أسْرَةٌ أو مؤسَّسَة». فنحن نفهم من عبارة «تاريخ المجموعات [أو الأرْصِدَة]» كما تصدَّينا لها هنا مجموعة المخطوطات والوثائق التي جمعت بشكل مُصْطَنع لخدمة موضوع مشترك(اللغة، المادة)، مجموع يمكن أن يتألف من جَمْع العديد من المجموعات وتكون محفوظة في العموم في مُؤَسَّسات عامَّة أو خاصَّة.

٣. انظر مصطلح *L'histoire et ses méthodes* في نظام يهدف إلى «دراسة مجموعات مخطوطات لها أصْلٌ أو تاريخ مُشْتَرَك يشرح بعضُها بعضًا»، وهو شديد الصِّلَة بعلم المخطوطات، «الذي نطلق عليه ـ في غياب مصطلح دقيق ـ وثائقية المخطوطات archivistique des manuscrits». ونتكلم في وقتنا الحاضر طواعيةً عن تاريخ المجموعات [الأرْصِدَة].

الأخَصّ العربية والفارِسية والتُّرْكية، الموجودة في المكتبات والمجموعات العامَّة والخاصَّة المحفوظة سواء في الشَّرق أو في الغَرْب، عن هذه الإشْكالية.

367 / لماذا القِيامُ بهذا التَّاريخ؟

مَجَالٌ مُوَزَّعٌ بين العَديد من التَّخَصُّصات

يَنْدرِجُ تاريخُ المَجْموعات داخِل مَوْضُوعٍ وَاسِع. فبإعادَةِ بِنَاء تاريخ مُجَلَّدٍ أو مجموعةٍ من المجلَّدات خُطْوَة خُطْوَة، وبمحاولة مَعْرِفَة أيّ نصٍّ (أو مجموعةٍ من النُّصُوص) أُدْخِلَ وعُرِفَ في فرنسا، على سبيل المثال، متى ومن الذي أدْخَلَه وعن طريق أي النُّسَخ، فإنَّ عِلْمَ المَخْطوطات (الكوديكولوجيا) يَفْتَحُ البابَ أمامَ تاريخ الأفكار وتَداوُلها، وأمام اتِّصال الحَضَارات، ولمَعْرِفَة الاسْتِشْراق الأوروبي وأيضًا تُراث البلاد الشَّرْقية المعنية[٤]. وتُفيدُ هذه الدِّراساتُ كذلك تاريخَ النُّصُوص بالقَدْر الذي يُتيحُ فيه ذِكْرُ مُقام نُسْخَةٍ في مَكانٍ مُعَيَّنٍ أو بين يدي شَخْصٍ معروف مُحاصَرَةَ تاريخ تَداوُل نَصٍّ تكون حامِلَةً له، أو افْتِراضَ أنَّ هذه النُّسْخَة اسْتُخْدِمَت لنسْخ نُسْخَةٍ أخرى أو لتَرْجَمَةٍ، أو أيضًا كأصْلٍ للطَّبْع. وتاريخُ المَخْطُوط مُهِمٌّ أيضًا للُّغويين والفيلولوجيين ومُؤرِّخي الفَنِّ وحتى القانونيين.

المُميِّزاتُ الخاصَّة للمَخْطوطات الشَّرْقية المحفوظة في أوروبا

يُمَيِّزُ المَظْهَرُ المادي للمَخْطُوطات الشَّرْقية المحفوظة في أوروبا أنَّ ما يُوجَد بها من عَلامات أو إتْلافات أو تَرْميمات أو تَغْييرات في تَجْليدها يمكن أن يكون مُزْدَوَج المَصْدَر، شَرْقِيًّا أو غَرْبِيًّا، شاهِدًا بذلك على تَنَقُّلاتها المُخْتَلِفَة. وتُواجه الدَّارِسُ الذي

٤. راجع: A. Berthier, «Manuscrits orientaux et connaissance de l'Orient, éléments pour une enquête culturelle, *Moyen-Orient et Océan indien, xvi/ - xix/ s.*, 2/2, 1985, p. 79 - 108، وللمؤلفة نفسها «Collections de manuscrits et genèse des études orientales en France, *Revue arabe d'archives, de documentation et d'information*, nº1-2 (mai 1997), pp. 9-19، وانظر كذلك الأعمال العَديدة لفرنسيس ريشارد، وعلى الأخص: F. Richard, «Jean-Baptiste Gentil collectionneur de manuscrits persans, *Dix-huitième siècle*, 28, 1996, p. 91 - 110.

يدرسها مُشْكلاتٌ كوديكولوجية شَرْقية وغَرْبية على حَدٍّ سَوَاء، فيجب إذًا أن يكون مُتَعَدِّدَ الاهْتِمامات، وعلى الأخَصِّ فيما يَتَعَلَّق بمعرفة المُؤلَّفات والمَرَاجِع. ويَتَطَلَّبُ تَحْديدُ هذه العلامات، الشَّرْقية أو الغَرْبية، التي يُمْكن أن تَظْهَر لأوَّل وَهْلَة وقِراءَتها، تحليلات مُتَخَصِّصَةً بسبب اللُّغات والكتابات المستخدمة، وهي ذات عِلاقَة مثابرة، لأنَّ المُشْكلات المُرَاد حلُّها مُتقاربة جدًّا من وجهة النَّظَر المَنْهَجية والتِّقْنية [٥]. وفَضْلًا عن ذلك، إذا كانت بعضُ المجلَّدات الشَّرْقية المحفوظة في أوروبا قد تَعَرَّضَت لتَغْييرات ملحوظة (تَغْيير التَّغْشِية على سبيل المثال)، فإنَّ عَدَدًا لا بأس به منها قد احْتَفَظ بَمظهره الأصْلي؛ ومن هنا فإنَّ دِراسَتَها يمكن أن تُضيفَ الكثير لتاريخ المَخْطوط الشَّرْقي. وفي الواقع، فإنَّ الاهْتمامات المُخْتَلفة التي مُنِحَت عَبْرَ القرون في البلاد الشرقية للكُتُب غالبًا ما بَدَّلَت هَيْئتها كثيرًا، / ولو أنَّها احْتَفَظَت بخاصِّيتها الشَّرْقية. والأرْصِدَة الشَّرْقية في أوروبا وفي الشَّرْق ليس لها التَّاريخ نفسه، فيجب إذًا أن تكون طَرائِقُ التَّحْليل المُطَبَّقة عليها مُتَوافقةً مع خُصُوصيتها [٦].

368

٥. انظر مقدمة هذا الكتاب.

٦. راجع: A. Berthier, «Contribution à l'histoire des fonds de manuscrits orientaux des bibliothèques européennes. Le Fonds turc de la Bibliothèque nationale de Paris», *Mss du MO*, p. 17 - 22. وفيما يخص فرنسا، اشتمل أوَّل فهرس مطبوع للمكتبة الملكية، والذي نشر سنة ١٧٣٩، على ٧٠٠٠ مجلد شرقي، أغلبها كتبٌ صينية، ثم، وبحسب الأهمية، الكتب العربية والفارسية والتركية والعبرية والهندية والأرمنية وأخيرًا السُّرْيانية والقبطية والسامرية والإثيوبية، أي ما يقارب ٥٪ من مجموع (جميع المطبوعات والمخطوطات)، الموجودة حينئذٍ بالمكتبة. أما اليوم، فيفوق عدد المخطوطات الشرقية في مكتبة فرنسا الوطنية (موقع رشليو Richelieu) ٣٠٠٠٠ مخطوطٍ، موزَّعَة على ستين مجموعة، ومكتوبة بثمانين لغة، بينها ١١٨٠٠ بالعربية والفارسية والتركية. وبدأ إنْشاءُ مجموعات الكُتُب الشَّرْقية في فرنسا، وعلى الأخَصّ في المكتبة الملكية في سياق التَّحَوُّلات التي تدين إلى «الاكتشافات الكبرى» الجغرافية والتِّقْنية. كما أن السياسة المنتظمة للبحث عن الكتب، والتي بدأها كولبير Colbert عن طريق ابتعاث بعثات بمهام محدّدة إلى الشرق، عُزِّزَت على الفور بنشاط مواز في التصنيف والفهرسة والترجمة، بقصد توسيع مجال دراسة العلوم الإنسانية عامَّة، بنيت على رغبة في تنويع المَعْرِفة. إنَّ اقْتِنَاء الكُتُب الجَيِّدَة بغَرَض إفادَة العُلَماء كانت رَغْبَة مازران Mazarin الذي كَتَبَ، في سنة ١٦٤٤، إلى چون دي لاهاي Jean de La Haye سفير [فرنسا] بالقُسْطَنْطينية: «إنَّ لديكم في البَلَد الذي تُوجَدون فيه أشياء أخرى، أتَطَلَّع إليها كثيرًا، ولديَّ نحوها شَغَفٌ لا تُنْكرونه. يَتَعَلَّق الأمْر بالطَّبْع بالكتُب بما أنَّني قد سَبَقَ أن رَجَوْتُكم الاهتمام بالكشْف عن مَخْطُوطات وأشياء أخرى شرقية، يونانية وعربية. إنَّني أسعى، قَدْر استطاعتي، إلى إثْرَاء المكتبة التي بدأتها من جميع الجَوَانب، وأوَدّ أن أتْرُكَ للجمهور هذا الأثَر للآداب على أكمل وَجْه قدر ما أستطيع» (Archives des Affaires étrangères, Turquie, vol. 5, fol. 226) المذكور في H. Omont, *Missions archéologiques françaises en Orient au xviv- et, au xviii siècles*, Paris 1902, p.3. وبعيدًا عن المخطوطات العبرية، والتي لها مكانة خاصة في تاريخ اقْتِناء المخطوطات الشَّرْقية بسبب وُجُود جاليات يهودية بفرنسا وكذلك بأوروبا منذ القرون الوسطى كانت تَنْسَخ نصوصًا عبرية، فإنَّ أوَّل المجلَّدات الشَّرْقية التي دخلت مكتبة الملك كانت عربية، وهي المجلدات التي جلبتها كاترين دي مديسيس Catherine de Medicis من إيطاليا، والتي كانت ضمن مجموعة الكاردينال ريدولفي Ridolfi. ويمكن الرُّجُوع للتفاصيل إلى أعمال أومون H. Omont، الذي وَصَفَ تاريخ القوائم القديمة وفهارس المكتبة، وكذلك ظروف الحُصُول على العديد من المخطوطات الشَّرْقية. وتوجد قوائم مخطوطة تتعلّق بالمجموعات الشرقية لمكتبة فرنسا الوطنية، مع الإشارة إلى كيفية دخولها إلى المكتبة، شراء أو إهْداءً، متفرقة في الرَّصيد الفرنسي أو اللاتيني. وابتداء من نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، ظهرت برامج فهرسة وجرد مختلف أنواع الوثائق، وكذلك برامج الترجمة والتبادل. وكانت الدَّفْعَة التي قدَّمتها أكاديمية النقوش والفنون الجميلة Académie des inscriptions et belles-lettres حاسمة في هذا المجال. فقد أعطى قانونٌ صَدَرَ في سنة ١٧٨٦ انْطلاقة المجموعة الشهيرة «Notices et extraits des manuscrits» والتي تشير إلى أهمية «معرفة النّاس والأحداث والتواريخ والبلدان والعادات والأعراف، والقوانين، والفنون، والعلوم، وآداب جميع الأُمَم»؛ ويعرض تذكير صادر سنة ١٧٨٥ بوُضُوح ما هي نقطة الانطلاق: «يوجد بمكتبة الملك ما بين ٨٠ إلى ١٠٠ ألف مخطوط، بلغات مختلفة، ما تزال مجهولة، ولا يملك أحد جرأة أو كفاءَة الاطلاع عليها. وسيكون من الفائدة الكبرى التَّعْريف بها عن طريق وصف دقيق، وخلاصات منطقية، بطريقة نستخلص منها الرأي الذي يجب أن نَحْصُل عليه [... ويجب كذلك أن] تترجم إلى الفرنسية اللَّهم إلا إذا رأينا أنه من المهم أن تنشر بلغتها الأصلية [...] ودور مؤسسة «لجْنَة المخطوطات» Comité des manuscrits هو إحياء دراسة اللغات الشرقية الضرورية للتجارة، وكذلك للتقدم المعرفي». وفي حدود سنة ١٨٥٥ وضع جوزيف ـ توسان رينو Joseph-Toussaint Reinaud مشروعًا كبيرًا للمكتبة ـ الإمبراطورية في ذلك الوقت ـ لفَهْرَسَة جميع المجموعات الشرقية: ونَشَرَ خِطَّته العامَّة لهذا الموضوع بالمجلة الآسيوية *Journal Asiatique* (mai-juin 1855)، والتي تقوم على متطلبات علمية جديدة، مُذَكِّرًا بالأعمال المهمَّة التي قام بها سابقًا علماء مثل جوزيف دي جيني Joseph de Guignes، وإسحاق سلفستر دي ساسي Isaac Silvestre de Sacy، وجان بيير آبل ـ ريميسة Jean-Pierre Abel-Rémusat، وأوجين بيرنوف Eugène Burnouf، والتصنيف والوصف الذي قام به سلمون مونك Salomon Munk، وستانيلاس چيليان Stanislas Julien، إضافة إلى ما قام به هو. وشَدَّدَ على أنه لا يوجد أي فهرس مطبوع للمجموعات الشرقية منذ الفهرس الذي نُشِرَ باللاتينية سنة ١٧٣٩، وأنه «منذ ذلك الوقت تضاعفت المجموعة في بعض أجزائها، بل بَلَغَت ثلاثة أضْعَاف وحتى عشرة أضعاف». وكانت المجموعة الشرقية تضم حينها (نحو سنة ١٨٦٠) ١٣٢٠ مخطوطًا عِبْريًّا، و٤٦٠٠ مَخْطُوطًا عربيًّا، و١٤٤٧ مَخْطُوطًا فارسيًّا، و١١٧١ مَخْطُوطًا تركيًّا، و٣٧ مَخْطُوطًا هندوستانيا، و٥٦٥ مَخْطُوطًا سنسكريتيا، و١٢٠ مخطوطا هنديا، و٥٠٧ مخطوطًا تاميليًّا، و٥٩٨ مخطوطًا من بالي، و١٣٩ مخطوطًا مالويًا وچاويًّا، و٥٧٤٨ وثيقة صينية، و١٨٥ بردية مصرية، وكان القسم يضم في العموم ٢٩ مجموعة شرقية. وكتب رينو Reinaud في «بيانه»، «طبع الفهرس القديم على قياس in-f° وحُرِّرَ باللاتينية. أما الفهرس الجديد، =

ما هو المَخْطوطُ الشَّرقي؟

يَتَعَلَّقُ مَفْهُومُ المَخْطوط الشَّرْقي، بشكلٍ بَيِّنٍ، بالمُؤَلَّفات التي أنْتَجَها المَشَارِقَةُ في الشَّرْق لاسْتِخْدامهم، وهو حالة أغْلَب المُجَلَّدات، وأيضًا تلك التي أَلَّفَها غَرْبيون، في

شكلٍ يتوافَق أيضًا غاليًا مع هذه الغاية المُحَدَّدَة . ويَمْتَدُّ مَفْهومُ المَخْطُوط الشَّرْقي كذلك إلى الكُتُب التي أَلَّفَها أُوروبيُّون بحروفٍ عربية، فتَرْتبط هذه المجلَّداتُ إذًا بكوديكولوجيا غربية مُسْتَشْرقية . والرَّصيدُ المعروف بـ «التَّرْجمات» المحفوظ في القسم الشَّرْقي / بإدارة المَخْطوطات بمكتبة فرنسا الوطنية يُجَمِّع مُجَلَّدات ذات مَظْهَرٍ شَرْقي

369

كَتَبَها جَميعَها في مطلع القرن الثَّامن عشر الميلادي «شَبابُ اللُّغات» الذين أعاشَتْهم فرنسا في القُسْطنطينية لتكوين مُتَرْجمين : وهي تَجْمَعُ في مُجَلَّدٍ واحِدٍ ذي صَدْرٍ ولِسانٍ نَصًّا بالتركية العُثْمانية وترجمته الفرنسية [٨]. وبعضُ المَخْطوطات بالحَرْفِ العَرَبي كتبها أحْيانًا في أوروبا مَشارِقَةٌ عابرون أو مُقيمون، مثل نُسْخَة العَهْدِ الجَديد (الملحق التركي أرقام ١، ٢، ٣ بمكتبة فرنسا الوطنية) التي نَسَخَها السُّوري حَنًّا شامي سنة ١٦٨٠م نَقْلًا عن ترجمةٍ تركية للأناجيل مطبوعة في أكسفورد سنة ١٦٦٦م . ويمكن أن نضيف إلى ذلك حالَيْ كُتُبِ النَّحْو [الآجُرُّوميَّات] والقواميس التي أَلَّفها غربيون سواءٌ في وَسَطِ باريسي، على سبيل المثال، أو في أثناء إقامتهم في الشَّرْق [٩].

=فسيكتب بالفرنسية وعلى قياس in-4º. وسننشر العناوين بلغاتها الأصلية، مصحوبةً بترجمةٍ حرفية. وسننشر أيضًا بالحروف الأصلية اسم ولقب وكنية المؤلفين، عندما يكون ذلك مفيدا لمعرفة هوية المؤلفين». وسيشتمل المشروع على خمسة مجلدات : المجلد الأول للديانتين اليهودية والمسيحية، والثاني والثالث للعالم الإسلامي، والرابع للهند، والخامس للكتب الصينية والمنغولية واليابانية. وخلال هذه الانطلاقة، نشر فهرس المخطوطات العربية لدي سلان De Slane. واستمرّ هذا المشروع حتى بداية الحَرْب في سنة ١٩١٤، التي عطلت نسبيًا أعمال هذا المشروع، وحَرَمَت العلم من عدد كبير من باحِثيه . وجاءت الحرب العالمية الثانية بدورها لتعيق هذا المشروع. وتَحَقَّق جهد آخر في هذا المجال بعد سنة ١٩٤٥، وبفَضْل دَفْعَةٍ جديدة ظَهَرَ إلى النور جيلٌ جديد من الفهارس (بلوشيه Blochet، وڤايدا Vajda)، استمرت إلى وَقْتٍ قريب . وما زال برنامج الفهارس يتواصل، حيث دَخَلَت هذه الفهارس مرحلة جديدة من تاريخها وثيقة الصِّلَة بظهور تقنيات جديدة .

٧. راجـع: Berthier, «Le fonds turc du Département des Manuscrits, *Bulletin de la Bibliothèque nationale*, 6, juin 1981, pp. 78-95.

٨. راجـع: A. Berthier, «Turquerie ou turcologie? L'effort de traduction des Jeunes de langues au XVIII° siècle d'après la collection de manuscrits conservée à la Bibliothèque nationale de France» dans F. Hitzel éd., *Istanbul et les langues orientales*, actes du colloque organisé par l'IFEA et l'INALCO à l'occasion du bicentenaire de l'Ecole des langues orientales (Istanbul, 29 - 31 mai 1995), Paris, pp. 283-317.

٩. راجع: A. Berthier, «A l'origine de l'étude de la langue turque en France: liste des grammaires et des dictionnaires manuscrits du fonds turc de la Bibliothèque nationale de Paris», dans *Mélanges offerts à Louis Bazin* (Varia Turcica, 19), 1992, pp. 78-82.

370

/ تاريخُ المَجْمُوعات والفَهارِس : واقِعُ الأمْكِنة

أثَّرَ ظُهُورُ وتَطَوُّرُ عِلْمِ الكوديكولوجيا بقُوَّةٍ على تَنْظيم فَهارِس المَخْطوطات، الأمْر الذي يتطلَّب أن نَخُصَّها بكلمة . فمُراجَعَةُ فَهارِس المَخْطوطات القديمة التي وُضِعَت في الغَرْب، بصفةٍ عامَّة، أصْبَحَت ضَرورِيةً، وتَتَعَلَّقُ هذه المراجعة بالوَصْفِ المادي الكامل للنُّسْخَة . فلا يجب أن يُهْمِل نَصُّ الفهارس أيَّ عَنْصُرٍ يسمح ببناء تاريخ المُجَلَّد المَوْصُوف لأَقْصى دَرَجَةٍ ممكنة من الدِّقَّة، ويُعْطي في ترتيبٍ زَمَني كلَّ الإشارات المفيدة عن المجموعات التي وُجِدَ بها والمكتبات التي حُفِظَ فيها . ويُعْنَى كذلك بتوحيد هذا الوَصْف، على الأقَلِّ على المِقْياس الأوروبي، وكذلك التَّحْديث المُسْتمر لقائمة المراجِع . وبعد تَصْويب الأخْطاء المحتملة أو التَّخْمينية، فإنَّ أحَدَ أدْوار الفهارس الجَديدَة، هو عَدَم إهْمال الوَصْف للمعلومات المُتَعَلِّقة بتاريخ المُجَلَّد وتَنَقُّلاته، ومن وَظيفته كذلك ابْتِكار تَرْتيبٍ للمعلومات المجموعة بتحقيق عَرْضٍ تركيبي للمُعْطيات . ويَرْتبط ذلك كذلك بتَنْظيم الوَصْف مع ابْتِكار لوائح إجْمالية . ونستطيع أن نُمَنْهِج هذه



١٥٥. تَقْييد هندي يصف مَخْطوطًا. باريس BnF Suppl. persan 292، ورقة ١ (تفصيل).

المرحلة بالقَوْل بأنَّ فَهارِسَ الجيل الجديد تَدْمِج مُعْطيات جَديدة مُرْتبطة بالتَّصْنيف الجديد مُتَطَلِّبَةً وَضْعَ الوَسائل المعتمدة في مكانها المناسِب .

371 / ويستجيبُ وَصْفُ المَخْطُوط دائمًا إلى احْتياجات مُبَاشِرَة ؛ فهو وَصْفٌ وَظيفي يَتْبَع التَّطَوُّر العلمي العام لكُلِّ عَصْر . فقد أثَّرَ ظُهُورُ مَفْهُوم البَحْث ومَنْهَجَة المَعْرِفَة في بِنْيَة الفَهارِس التي أصبحت شيئًا فشيئًا كامِلَةً ودَقيقَةً في أوروبا ابتداءً من القرن الثَّامن عَشَر . فكانت المُلاحَظَةُ والقِياسُ لازمين لرَجُلٍ مثل ڤولناي Volney، الذي أسَّسَ في القرن الثَّامن عَشَر التَّحقيق الثَّقافي ونِظام كِتابَة اللُّغات الشَّرقية بطَريقَة النَّقْلِ الصَّوْتي للحُرُوف translittération. ووُلِدَت الدِّراساتُ المُتَخَصِّصَة، وعلى الأخَصِّ الاسْتِشْراق العِلْمي في القرن التَّاسع عشر بعد ابْتِكار النِّظام المِتْري بوَقْتٍ قليل، ولنَتَذَكَّر أنَّ هذا النِّظام يعود شيوعُه إلى مائة وعشرين سنة فقط . وإذا أخَذْنا الأنْمُوذَج الفرنسي «فِهْرس مَخْطوطات المكتبة الملكية» *Catalogus manusriptorum bibliothecae regiae* المنشور سنة ١٧٣٩، والذي خُصِّص جزؤه الأوَّل بتمامه للمَخْطُوطات الشَّرْقية ، نجده يَشْتَمل على أوْصافٍ في غاية الإيجاز ، ولكنَّها تَضُمُّ مع ذلك جميع المُقَوِّمات الرئيسة[١٠] التي تَخْدم عَمَل الأوْصاف الحالية : اسم المُؤَلِّف ، والعُنْوان وأيضًا طَبيعة المادَّة المكتوب عليها ، والحَجْم والمَصْدَر[١١]؛ وكانت البياناتُ الأوَّلية حَوْل محتوى مَخْطوطٍ توضع ، من قَبْل ، في غالِب الأحْيان بالفرنسية أو

١٠. بالنسبة لفهارس المخطوطات الأوروبية ، تطور رقم حفظ المخطوط ، الذي ارْتَبَط في بداية الأمر بمكان المجلد على الرَّف ، نحو نظام تجريدي محض . وكان ذكر المؤلف تقريبيًا جدا سواء في التعرف عليه ، أو بكتابته بطريقة النقل الصوتي للحروف ؛ وكانت الإشارة إلى العنوان ، كذلك غير واضحة للأسباب نفسها. ولا يشار غالبا إلّا إلى نوع الكتاب ، وأحيانًا كانت طبيعة مواد الكتابة (الورق ، الرق) ، هي وسيلة التعريف الوحيدة. أما مصدر المخطوط ، فغالبا ما كان يشار إليها ، على سبيل المثال «اشْتُري مؤخَّرًا من إستانبول». أما اللغة المستعملة في وصف المخطوطات فقد تطورت من اللاتينية إلى الفرنسية ؛ كما أن استخدام الحروف الأصلية في كتابة العناصر الوصفية ، وخاصة المؤلف والعنوان ، جديرة بالملاحظة . فعندما كانت الفهارس ما تزال مخطوطة ، كان من الممكن أن نجد أوْصافًا تستخدم خط اللغة التي كتب بها المخطوط للإشارة إلى العنوان مثلا ، بينما نشاهد أنه مع ظهور المطبعة ، بدأ الاستخدام المتزايد للكتابة التقريبية بطريقة النقل الصوتي للحروف ، والتي لم تتدفَّق إلا مع فولني Volney، وابتكار الحروف الشرقية للمطبعة الوطنية ، بالرغم من بعض المحاولات ، كمحاولة سافاري دي بريف Savary de Brèves، منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر . أما إضافة المراجع إلى الأوصاف ، فقد جاءَ متأخرًا جدًّا .

١١. *Catalogus codicum manuscriptorum Bibliothecæ regiæ*, Paris 1739.

باللاتينية على المُجلَّد نفسه ، سواء على الدَّفَّة الخارجية أو على صَفْحة الوِقايَة (شكل ١٠٣) . وأحيانًا كان الوَصْفُ يُكْتَب على وَرَقَةٍ صغيرةٍ تُلْصَق داخل المجلَّد على الدَّفَّة الدَّاخلية . وكُتِبَت فَهارِسُ القرن التاسع عشر ، مثل فِهْرس دي سلان Mac Guckin de Slane مثلًا[١٢]، بالفرنسية مع اسْتِخْدام الحروف العربية بالنسبة لعَناوين المُؤلَّفات في الوَصْف أو الكشَّافات ؛ وكانت العَناصِرُ المختلفة الخاصَّة بتاريخ المجلَّد عنده أكثر تَطَوُّرًا . وتُظْهِرُ الفهارِسُ الحَديثَة منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن تَقَدُّمًا هائلًا في عَدَدِ المعلومات الكوديكولوجية وكذلك في التَّغْييرات التي أُجْريت على تَرْتيبها[١٣]. وستُقَدِّمُ 372 / الفهارِسُ الآلية خِدْمَةً كبيرةً لعِلْم المَخْطوطات (الكوديكولوجيا) عُمُومًا ، وتاريخ المجموعات خُصُوصًا ، على الأخَصِّ لإمكانية اسْتِخْدام الحُرُوف الأصْلية وما يقابلها بالحَرْف اللَّاتيني وكذلك الصُّوَر الرقمية[١٤].

كيف نَعْمَل تاريخ مَجْمُوعات المَخْطُوطات الشَّرْقِيَّة ؟

المَنْهج

يستطيعُ عالِمُ المَخْطوطات بفَضْل مَنْهَج دَقيقٍ ووَسَائِل مادِّية مُتَنَوِّعَة ، أن يَقُود بَحْثًا يقوم خلاله بَجْمع أقْصَى ما يُمْكن من نِقاطِ الاسْتِدْلال ليَصْنَع تاريخًا شامِلًا لمُجَلَّدٍ قَدْر الإمْكان[١٥].

ويتمُّ بناءُ تاريخ مُجَلَّدٍ ، أو عَدَدٍ من المجلَّدات ، بفَضْلِ العديد من الملاحَظات : دراسة العَلامات الموجودة على المُؤَلَّفات (شكل ١٤٤ - ١٤٧) التي يجب تَعْيينها ومُقارنتها بعلاماتٍ أخرى مُشابهة وُجِدَت في مَوْضِعٍ آخَرَ لأجْل إعادَة بِنَاء مجموعات ، والقِيام ،

١٢. W. Mac Guckin de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes*, Paris 1883-1895.

١٣. E. Blochet, *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions*, 1884-1920, Paris 1925، وللمؤلف نفسه : *Catalogue des manuscrits persans...*, Paris, 1905 - 1934, et *Catalogue des manuscrits turcs...*, Paris 1932-1933; G. Vajda et Y. Sauvan, *Catalogue des manuscrits arabes...*, Paris 1978-1985.

١٤. انظر فيما يلي .

١٥. تراجع على الأخَصّ ، الأعمال المتعددة لأوي G. Ouy، وبصفة عامة الأعمال المتعلقة بعلم المخطوطات اللاتيني خلال العقود الأخيرة .

في حُدود الإمكان ، بعَمَلِ تَصْنيفٍ تاريخي ؛ ودراسة التَّجْليد والتَّحَوُّلات التي طَرَأت عليه ، ودراسة ما يمكن أن يُصيب المُجَلَّد من تَلَفٍ من أي نَوْع في كلِّ أقْسامه . ولتَحْقيق ذلك لابد من توفُّر أمْرين : المَعْرِفَة الجَيِّدة وبطريقة واضِحَة بالرَّصيد الذي ندرسه و ، إنْ أمْكَن ، لأرْصِدَةٍ أخرى قريبة منه أو شَبيهَة له ، ومَعْرِفَة وجَمْع وحتى إنْشاء أدَوات العَمَل .

عَناصِرُ المَخْطُوط الجَديرَة بالملاحَظَة

يُمكننا إعادَة بِنَاء تاريخ مُجَلَّدٍ أو مَجْموعَةٍ من المُجَلَّدات ، بفَضْل بعض العَلامات المَرْئية أو الخَفِيَّة القابلة للاكتشاف ؛ فنَفْحَصُ بعنايةٍ مَظْهَر التَّجاليد ، أيًّا كان مَصْدَرُها أو عَصْرُها ، لنكشف فيه عن زَخْرَفَةٍ خاصَّة أو علامات شعارية تُعين على تحديد مكان مُجَلَّد ، أو تأريخه ، أو نسبته إلى مالِكٍ أو هاوٍ للكُتُب (إشارات ، أرْقام ، حُروف ، طُغْراوات ، شِعار ، رَمْز) (شكل ٤٧) ، وخَوارِج النَّصّ (علامات تَمَلُّك موجودة على اللَّوْح الواقي للكتاب أو الصَّفْحَة الأولى (الظَّهْرية) ، عادَةً في شكل عبارة) أو أيّ علامات أخرى لمُلَّاكٍ (مُجَرَّد ذكر الاسم) (شكل ١٠٢ و١٠٣) ، والأختام والتَّمْغات (شكل ١٤٦) ، والإهْداءات والهِبات (شكل ١٤٥) ، وتَوْقيعات المُوَثِّقين وتأشيراتهم المختلفة ، والإشارات إلى أماكن الشِّراء المصحوبة أحيانًا بذكر الثَّمَن (شكل ١٤٧) ، وندرس على الأخَصِّ قُيودَ المُطالَعَة والتَّعْليقات ، سواء أكانت هامشية أم على صفحات خالية من الكتابة / أو على الألْوَاح الواقِية : فقد تُعينُ هذه القُيُود ، بفَضْل شَكْل الكتابة وهل كُتِبَت بيدٍ واحِدَة أو أكثر ومعنى النَّصّ ، على الاسْتِدْلال وحتى تَعْيين تأريخ مُؤَلَّفٍ ومُلاحَظَة وجوده في مكان بعَيْنِه أو أيضًا بنسبته إلى مالِكٍ في فترةٍ مُحَدَّدَة (ذِكْر لميلاد أو هَزَّة أرْضية ، أو حِساب ، أو زيارة صَديق) . ونَدْرسُ عن كَثَب أرْقام الحِفْظ القَديمة (شكل ١٤٦) ، وذكر انْتِماء النُّسْخَة إلى مكتبةٍ أو أكثر (على شكل صيغة أو خاتَم) إضافَةً إلى الشُّطَب أو الزِّيادات ، والكلمات المَمْحُوة أو المَكْشُوطة ، والتَّسْجيلات على حافتي الكتاب : ويجب أن نَحْتَرِس من التَّحَوُّلات التي تَلْحَق بالمُجَلَّد : فقد يكون تَرْقيمُ الصَّفَحات أو الأوْراق أحيانًا مُتراكِبًا ومن أصْلٍ وأيادٍ مُتَنَوِّعَة ، وتكون الطُّرَرُ مُتآكلة والأوْراقُ والكُرَّاسات مَقْلُوبَة ، مع وُجُود تَقْطيعٍ ولَصْقٍ أو قِطَعٍ مُضافَة وإتْلافات أخرى من كُلِّ نَوْع ، وآثار رُطُوبة أو حريق ، وبُقَع مُتَنَوِّعَة ،

وسَوائِل مَسْكُوبة ، وآثار أصابِع . وأخيرًا ، فيُمكننا أن نَسْتَخْرِج بعض المعلومات من الأوْراق والموادِّ المختلفة المُضافة أو المَتْروكة أحيانًا في أحَدِ المُجَلَّدات (شريط الدِّلالة على الصَّفَحات ، وعلامة الصَّفْحات ، وطَيَّارات ، وصُوَر ، ومُرَاسَلات ونَشَّاف) ، وكذلك الوثائق التي توجَد مُصادَفَةً في ألْواحِ التَّجْليد [١٦] .

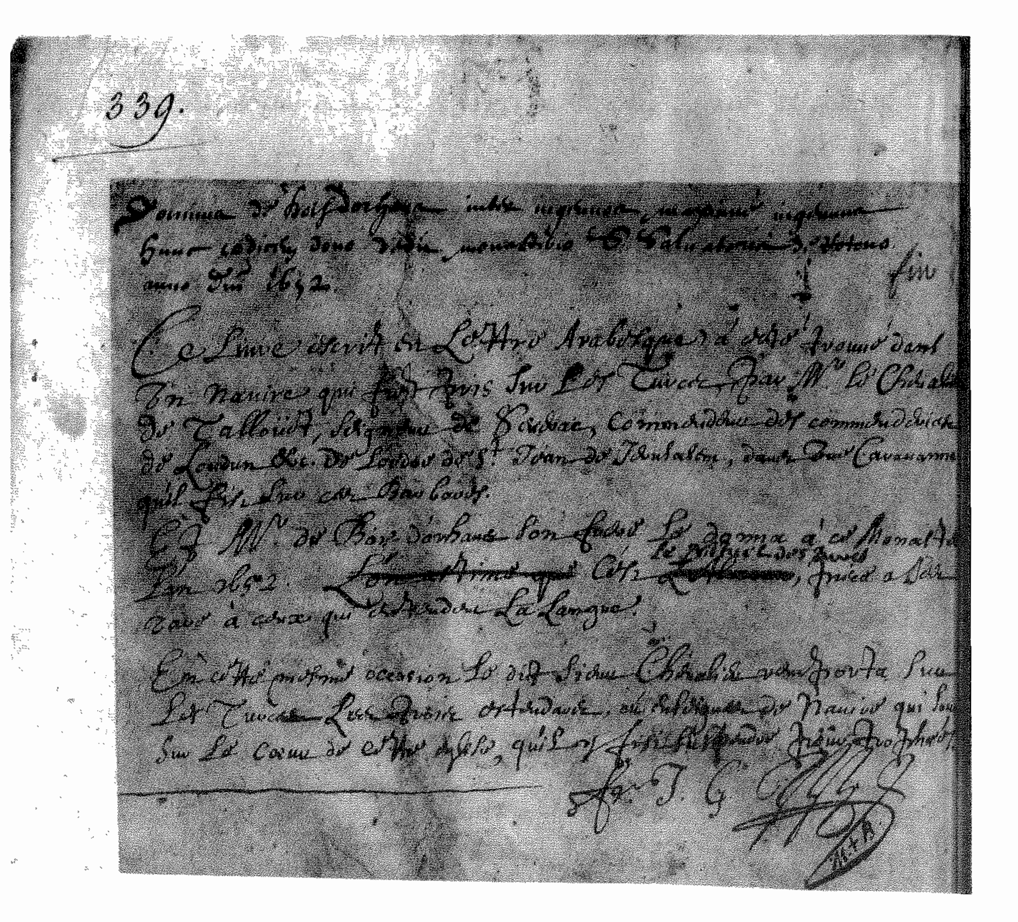
كيف نُحَدِّدُ العَناصِر : الأدَوات المُساعِدَة

لابُدَّ من إثْبات العَلامات المُكْتَشَفَة أوَّلًا بأوَّل ، والتي قد تكون شَرْقيةً أو غَرْبيةً ، صَادِرَة عن شَخْصٍ أو مُؤَسَّسَة .

ويمكن أن نُعَيِّنَ هذه العلامات من خلال عَناصِر ثلاثة مُساعِدَة : أوَّلًا ، مُضاهاتها مع علاماتٍ مماثلة رُفِعَت من مجلَّداتٍ أخرى تكون فيها أكثر وُضُوحًا وأسْهل على التَّعْيين أو معروفة بالفِعْل ، ويَدْخُل في الحُسْبان عِلْم تَطَوُّر الخَطّ سواء الغربي أو الشَّرْقي لقِراءَتها . هنا يَتَدَخَّل مَفْهُومُ المَعْبَر بين رَصِيدٍ وآخر : ففي إطار مكتبة فرنسا الوطنية على سبيل المِثال ، عندما يَتَعَلَّق الأمْرُ بمَصْدَر الجَلْب ، فإنَّنا نُقارن مَخْطوطات الرَّصيد التُّرْكي فيما بينها ، ثم نُضاهيها مع مَخْطوطات الرَّصيد الفارسي والعَرَبي ، وأخيرًا مع مُؤَلَّفاتٍ من الأرْصِدَة الأجنبية ، اللاَّتينية والفرنسية أو الإيطالية ، عندما نعرف أنَّ أحَدَ هُوَاة جَمْع الكُتُب كان يُوجَد في مكتبته كُتُبٌ بلُغاتٍ مُتَعَدِّدَة [١٧] . وبعد ، فيجب مَعْرِفَة المُؤَلَّفات المَرْجعية : فَهارِس المَخْطوطات حتى لو كانت قديمة ، وقَوائم المَخْطوطات والمَطْبوعات ، وجَوامِع الأخْتام ، والعلامات القديمة ، دون أن نُهْمِل كتالوجات العَرْض والمقالات المُتناثِرَة . وأخيرًا ، فهناك مَصَادِرُ أخرى يمكن اسْتِخْدامها لا تخلو من فائِدَة . فعند وُجود سِجلَّات الإدْخال (شِراء ، إهْداء أو تَبادُل) للمكتبات المختلفة فإنَّها تكشف عن مُساعدات قَيِّمَة تَسْمَح بأن نجد غالبًا قوائم كامِلة ؛ ومن جانب آخر فإنَّ سِجِلَّات الإعارَة ، وبعضها قديم ، تُحَدِّدُ تَواريخ مراجعة الوَثائق مع أسماء قُرَّائها . كما أنَّ أرْشيفات المكتبات والخَواصِّ / غَنِيَّة جدًّا بالمَعْلُومات (قَوائم بعد الوَفاة ، وفَهارِس

١٦. انظر الأشكال والأمثلة .

١٧. مجموعة العلامة جولمان جيلبرت جولمان Gilbert Gaulmin، علي سبيل المثال ، في نهاية القرن السادس عشر .



339.

Ce Livre escrit en Lettre Arabesque a esté trouvé dans un navire qui fut pris sur les Turcs par Mr le Chevalier de Tallouet, seigneur de ..., commandeur des commanderies de Loudun ... de l'ordre de St Jean de Jerusalem, dans une Caravanne qu'il fit ...

... la Langue.

١٥٦. تَقْييدٌ يُسجِّل ذكرى الاستيلاء على مَخْطوطٍ أثناء هُجوم ثم إهدائه.

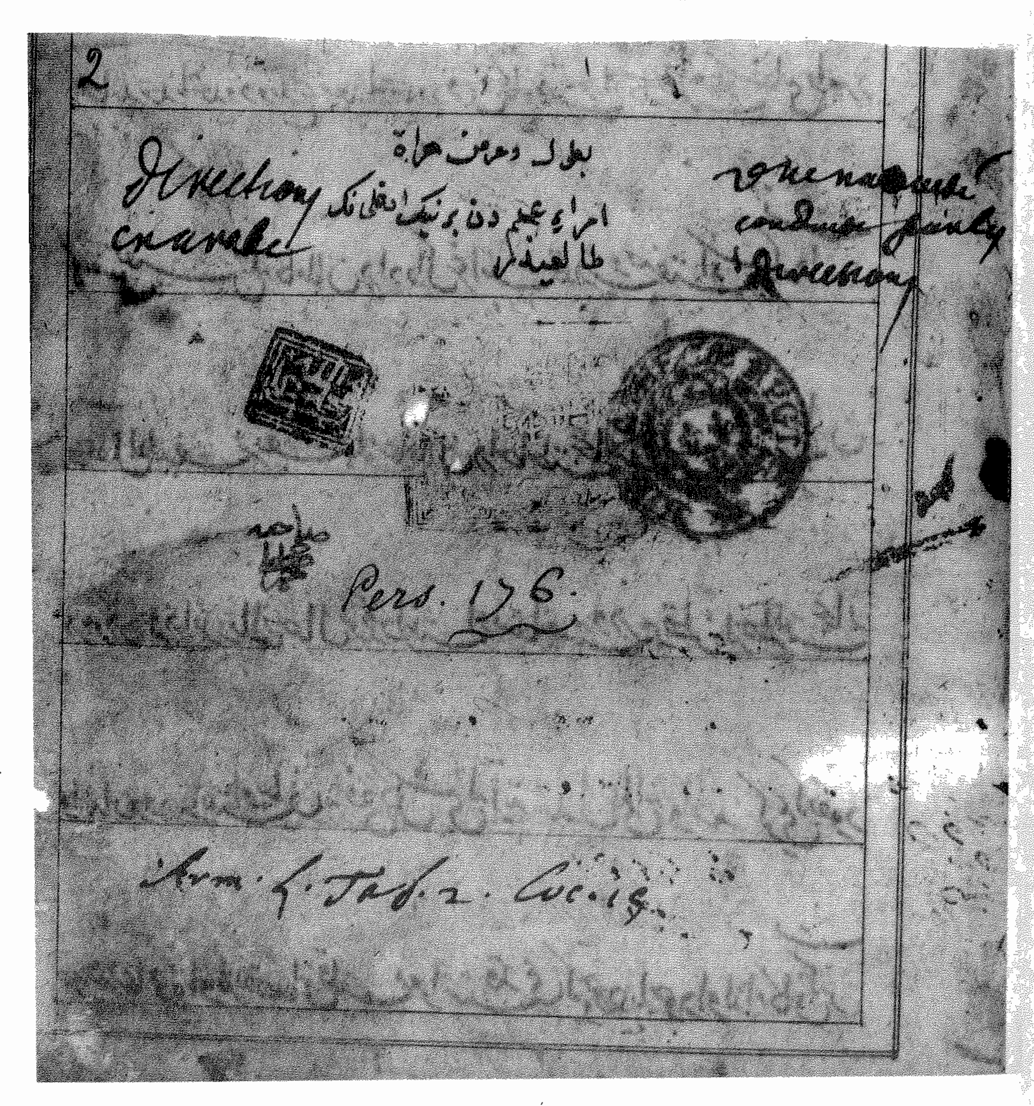
باريس رقم BnF arabe 825، ورقة ٣٣٩، تفصيل.

للبَيْع) ، وعندما تكون مراجعتُها مُتاحَةً ، فيَتَحَتَّم الرُّجوعُ إليها . وتَسْمَح سجلَّاتُ التَّرْميم بمعرفة حالَة المُجَلَّد في زَمَنٍ مُعَيَّنٍ وطَبيعَة الإصْلاحات المُنَفَّذَة ؛ وعندما تكون عَناصِرُ من المَخْطوط «مُفَكَّكَة» فإنَّها تُحْفَظ من بَعْد تحت رقم حِفْظٍ مُماثِلٍ لرَقم حِفْظ المَخْطوط المُسْتَلَّة منه مع ذكر الإشارة «قِطَع pièces» .

وتُؤَدِّي الذَّاكرةُ البَصَرِيَّة المُجَرَّبَة خَدَمات كبيرة . ففَحْصُ المَظْهَر الخارجي للمُجَلَّدات (التَّجْليد ، أرقام الحِفْظ القديمة ، هَيْئَة المُلْصَقات القديمة) تَسْمَحُ بتقسيماتٍ أوَّلية في مُسْتَوْدعٍ واحد ، أو من مُسْتَوْدَعٍ إلى آخر . وتَسْمَحُ مُلاحَظَةُ ومُقارَنَةُ العَلامات المُماثِلَة المرفوعة من مُؤَلَّفاتٍ مُتَعَدِّدَة بتَجْميع المُجَلَّدات المُتناثرة لمجموعةٍ واحِدةٍ حتى إذا ما جَهِلنا اسْم صَاحِب المجموعة . ويَفْتَرِض ذلك مَعْرِفَةً جَيِّدَة بأرْصِدَة المَخْطوطات

وبالتالي اتِّصالًا مُباشِرًا بأكبر قَدْرٍ ممكن من المُؤَلَّفات الأصْلية .

375 /واجْتهادُ الباحِث في ابْتِكار وتَرْتيب الأدَوات الشَّخْصية أساسي : فالكتابة اليدوية للعلامات اللافتة للانْتِباه بطَريقٍ مُباشِر ، أو بالشَّفِّ من خلال وَرَقَةٍ شَفَّافَة ، والتَّصْوير الفوتوغرافي (التَّصْوير الضَّوْئي ممنوع عُمومًا للمَخْطوطات) تقوم بدَوْرها إذا لم نَنْسَ ذكر المِقْياس ، ويُسْمح ، في العُموم ، بأخذ شَفِيقَة من التَّجْليد .



١٥٧. تقاييدُ باللُّغتين التُّرْكية والفرنسية؛

وسواءٌ وُضِعَت هذه المُعْطياتُ في بطاقاتٍ أو مَلَفَّاتٍ أو أودِعَت في كُرّاساتٍ مَدْرسية صغيرة أو على أقْراصٍ مُدْمَجَةٍ لحاسِبٍ آلي ، فإنَّها يجب أن تَحْمِل دائمًا / 376 إشارَةً واضِحَةً إلى رقم الوَثيقة ومَكان حِفْظها والوَرَقَة أو الصَّفْحَة المُتَعَلِّقَة بها ، والمَوَاضِع التي كُشِفَت فيها العَلامَة وتأريخ هذا الكَشْف . وستُشَكِّلُ هذه المعلومات المجموعة بأناةٍ قاعِدَةَ بياناتٍ وَثيقَةَ الصِّلَة بالبَحْث الذي نحن بصَدَدِه . وسيكون ذلك ، إن أمْكَن ، مادَّة مُقارَنَةٍ مع ما وَجَدَه باحثُون آخرون بفَضْل اللِّقاءات في حَلْقات البَحْث والنَّدوات ، وأيضًا بفَضْل المَنْشُورات .

١٥٨ . عَلامَةُ شِرَاء بخطّ أنطوان جالون . إستانبول سنة ١٦٧٢م.
باريس رقم BnF persan 201، ورقة ١ ، تفصيل .

وَسَائِلُ المُلاحَظَة المادِّية

إنَّ الوَصْفَ الكوديكولوجي الكامل لمُجَلَّدٍ ما لا يمكن أن يتمَّ إلَّا اعْتمادًا على فَحْصِ الأصْل[١٨]، ولكن فيما يَخُصُّ تاريخ المجموعات فإنَّ مُلاحَظَة مُسْتَنْسَخٍ وجَمْع الصُّوَر الضَّرُورية في لَحْظَةٍ مُحَدَّدة من التَّحْليل هي مَرْحَلَة جَيِّدة في العَمَلِ . وتَسْمَحُ

١٨. انظر مَدْخَل هذا الكتاب .

مُسْتَنْسَخاتُ الوَثائق (التَّصْوير الفوتُوغرافي ، الشَّفافات ، الميكروفلم والميكروفيش ، والمُسْتَنْسَخات طِبْق الأصْل ، والصُّوَر الرَّقمية) بالمُعالَجات اليدوية التي لا يمكن إجراؤها على الأصُول ؛ وما يَجْمعه الباحِثُ بغَرَضٍ مُحَدَّد (المُخَطَّطات ، والشفَّافات المطابِقَة (calques) التي تَسْمَح بمقارنة المُعْطَيات ، والنُّسَخ المستخرجة من الميكروفلم ، والتَّكْبير ، والسكانار) ، أمْرٌ ضَروري .

377 / تَرْكيبُ المُعْطَيات

نجد الآن في فَهارِس المَخْطوطات كشَّافات للمُلّاك ومُصَوَّرات تَعْرِض نماذج بخُطُوطِ أيادٍ مختلفة[١٩] تُعين على تَصنيف العَناصِر المُحَقَّقَة الهُوِيَّة ؛ ولا تُوجَد بَعْدُ قوائم تَجْمع هذه الكَشَّافات على مُسْتوًى وَاسِع ؛ وتَنَاوَلَت بعضُ المقالات التَّعْريف بالأخْتام والتَّمْغات الشَّرْقية والغَرْبية[٢٠]. ونَشَرَت بعضُ المكتبات قَوائم بمُقْتنياتها من الأخْتام المُؤَرَّخَة[٢١]. كما تُوجَد جَوامِعُ (répertoires) مُتَطَوِّرَة للأرْقام[٢٢].

ولتَصْنيف العَناصِر غير المُحَقَّقة أو غير المُؤَرَّخة ، في انْتِظار تحديدٍ أو تأريخٍ مُحْتَمَلٍ ، فإنَّها تُصَنَّف تَبَعًا لشَكْلها (الشَّكْل المُسْتدير ، ومُتَعَدِّد الزَّوايا ، وتمديدٍ لتأشيرَة ، الحَرْف الأوَّل من توقيع إذا كان معروفًا) ، إلى التِّقْنية المستعملة (كتابة مَخْطوطات ، رُسُوم مَحْفُورة ، أخْتام) وتاريخيًّا (التاريخ المُقَدَّر) ، وبالمكان عندما يكون ذلك ممكنًا ومُلائِمًا . إنَّ عَدَدَ الأدَوات ، التي ما تزال مُتَواضِعة ، مُؤَهَّلَة للنَّمَاء . واللِّقاءاتُ العلمية الإقليمية والعالمية ضَرُورية من أجْل ما تَسْمح به من تَبادُلٍ مُثْمرٍ وبَنَّاءٍ لوِجْهات النَّظَر[٢٣].

١٩. F. Richard, *Catalogue des manuscrits persans*, Paris 1989.

٢٠. انظر فصل «أدوات وتحضيرات صُنَّاع الكتاب» .

٢١. انظر على سبيل المثال : P. Josserand et J. Bruno, «Les estampilles du département des Imprimés de la Bibliothèque nationale, dans *Mélanges d'histoire du livre et des bibliothèques offerts à M. Frantz Calot*. Paris 1960, pp. 261-298.

٢٢. انظر مثلًا : R. Lemay, *Dictionary of the Middle ages*, t. I, 1982, p. 382-398, s. v. «Arabic numerals».

٢٣. راجع : F. Déroche éd., *Les Manuscrits du Moyen-Orient. Essais de codicologie et de paléographie*, actes du colloque d'Istanbul (Istanbul, 26-29 mai 1986), Istanbul/Paris, 1989 (abrégé en *Mss du MO*).

الوَاجِباتُ الرَّاهِنَة

إنَّ التَّغَيُّرات التي حَدَثَت في العُقُود الأخيرة أوْكَلَت مُهِمَّةً جَديدَةً إلى أُمَناء المكتبات والباحثين في الشَّرْق والغَرْب على السَّوَاء . وتَهُمُّ هذه التَّغيُّرات عِلْم التَّرْبية وانْتِقال المَعْرِفَة : فمن الضَّرُوري أن نُحَسِّسَ الدَّارسين وطَلَبَة الدكتوراه بالأدَوَات الجديدة وبالمناهج الجديدة ، وهي تَهمّ كذلك البَحْث : ويَقْتَضي الأمر هنا الحُصُول على الوَسَائل القَريبَة والبَعيدَة لنُفَعِّل هذه العُلُوم الجَديدَة . فهي تَنْطَوي على عَمَل صِلَةٍ بين القديم والجديد ، وتَسْهيل العلاقات بين الباحثين بفَضْل قواعِد بياناتٍ مُحَدَّثَة على الدَّوام وسَهْلَة المُرَاجَعَة ، وبتَحْقيق تركيبات بجَمْعٍ أوَّلي لمُعْطيات حَوْل مَجموعات مُحَدَّدة جَيِّدًا على مِثال *FiMMOD*.

/فهارِسُ المَخْطُوطات[٢٤]

تُؤَدِّي فَهارِسُ وقَوائِمُ المَخْطُوطات وَظيفَتَيْن : وَصْف المَخْطوطات وتَعْيين مكانها . وتَرْتَبِطُ القَوائمُ فقط بالوَظيفَة الثَّانية : تَحْديد المَخْطوطات الموجودة في مكتبة أو رَصيدٍ ما ، بإعْطائها رَقْم حِفظٍ ، وبعض العَناصِر مثل العُنْوان والمُؤَلِّف ، أو وَصْفٍ مُوجَز . ويمكن أن تكون قد حُرِّرت بمِقْدار احْتياجات إداريي المكتبة أكثر من مُسْتَخْدميها . ونُطْلِق اسْم «فَهارِس» على المُؤَلَّفات التي تَكون فيها الأوْصافُ أكثر تَطَوُّرًا ، سواءٌ أكانت معروضة في شكلٍ مكتوب أم مُقَنَّن . ويجب أن يُعْلِم الوَصْفُ الباحِثَ عن مَخْطوطٍ ، بحيث يستطيع أن يَحْكم بمُلاءَمَة اسْتخدامه له في إطار بحثه ، سواء أكان ذلك مُتَعَلِّقًا بنَشْر نَصٍّ أو بتاريخه ، أو تاريخ الكتاب أم لأغْراضٍ كوديكولوجية . وهكذا يمكن أن يكون الفِهرسُ أداةَ بَحْثٍ حقيقية . وعُمُومًا ، فإنَّ وَصْفَ الفِهرس يجب أن يأخُذ بعَيْنِ الاعْتبار الظَّواهِر البيبليوجرافية والتَّاريخية والمادِّية للمَخْطوط . ومع ذلك فكل هذا التَّمْييز نَظَرِيٌّ . وفي غياب أي مِعْيار للوَصْف ، مثل مِعْيار

٢٤. كتبت هذه الفقرة ماري جنفيڤ جيدون Marie-Geneviève Guesdon.

ISBD[٢٥]، فإنَّ كلَّ مُؤسسةٍ لها تَقْليدُها الخاصُّ في فَهْرَسَة المخطوطات ، يقوم كُلُّ أمينٍ بإثْرائه بطريقته . وتَظْهر فَهارِسُ المَخْطوطات إذًا في مَظاهِر مختلفة جدًّا . فيحتوي بعضُها على نَصٍّ مُحَرَّر بحُرِّيَّة مُتَّصِل بوَصْفٍ قصير ذي حَجْم ثابت[٢٦]، ويَخْضَع بعضُها الآخر لبعض التَّوْحيد ، بحيث إنَّ عَناصِرَ الوَصْف تكون في نِظامٍ مُحَدَّدٍ ومَعْروضة دائمًا بالطَّريقَة نفسها[٢٧]. ويُوجَد نَوْعٌ آخر يُعْرَض بطريقةٍ مُقَنَّنةٍ جدًّا ، مَصْحوبًا بحَقْلٍ لكُلِّ مَدْخَل[٢٨]. وفي فَهارِس مجموعة ناصر خليلي N. D. Khalili بلندن تُوجَد صَفْحَةٌ من المَخْطُوط بانتظام في مُوَاجهة الوَصْف[٢٩]، بينما يَعْرِض نوعٌ آخر صُوَرًا ذات دلالة[٣٠]، والأغْلبية لا تحمل أي صُورَةٍ للوَثيقَة المفهرسة . وتَخْتَلِفُ العَنَاصِرُ المُحْتَفَظ بها للوَصْف ؛ فعلى / سبيل المِثال فإنَّنا لا نجد في بعض الفهارس أيَّة إشارة لوجُود تجليدٍ من عَدَمِه . وإذا لم يكن المَخْطُوطُ مُؤَرَّخًا فإنَّ المُفَهْرِس يقْترح له أحيانًا تأريخًا وأحيانًا لا يَقْتَرِح ذلك . ومع ذلك ، فإنَّ آفاق الفَهْرَسَة الآلية ، إن لم تكن قد فَرَضَت ضَرْبًا من المِعْيارية ، فإنَّها فَرَضَت على الأقل ضَرْبًا من التَّفْكير حول محتوى الفَهارِس .

ويُعْطِي الوَصْفُ البيبليوجرافي عُمُومًا كحدٍّ أدْنى : العُنْوان واسم مُؤلِّف الكتاب أو الكُتُب الموجودة في المَخْطوط . وهذا المَخْطُوط ، أي المجلَّد الذي مَنَحه التَّجْليدُ وِحْدَةً

٢٥. يطبق الـ ISBD (International Standard Bibliographical Description) (الوصْف المعياري البيليوجرافي الدولي) على الكتب المطبوعة وعلى الوثائق الأخرى التي يطلق عليها «غير الكتب»، مثلا الوثائق السمعية ـ البصرية ، وتُمكِّن من العثور في أي مكتبة من العالم على نبذ حول وثيقة ما ، صنفت بالطريقة نفسها وبالعناصر نفسها وفي الترتيب والعَرْض نفسه .

٢٦. مثلا : M. Götz, *Islamische Handschriften*, Teil I, *Nordrhein-Westfale* Stuttgart 1999 (Verzeichnis der orientalischen Handschriften in Deutschland).

٢٧. وهي حالة فهارس مكتبة فرنسا الوطنية ، مثل : ڤايدا G. Vajda و سوفون Y. Sauvan, *Cat.* 2 et 3.

٢٨. يمكن الرجوع إلى الفهارس التي نشرتها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، على سبيل المثال : محمد الحبيب الهيلة : فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة ، ج ١. قسم القرآن و علومه. ج ٢: قسم التاريخ ، لندن ، ١٩٩٤.

٢٩. The N. D. Khalili Collection of Islamic Art: F. Déroche, *The Abbasid tradition*, 1992; D. James, *Master scribes: Qur'ans from the 11th to the 14th centuries*, 1992; *After Timur: Qur'ans of the 15th and 16th centuries*, 1993; G. Khan, *Bills, letters and Deeds: Arabic papyri of the 7th to the 11th centuries*, 1993; M. Bayani, A. Contadini, T. Stanley, *Qur'ans of the 17th to the 19th centuries*, 1999; N. F. Safwat, *The art of the pen. Calligraphy of the 14th to the 19th centuries*, 1995.

٣٠. F. Richard, *Cat.* 1.

كوديكولوجيةً لا يُطابق بطريقة منهجية نَصًّا واحِدًا . كذلك فقد يَحدُث أنَّ مُؤَلَّفًا يُجزَّأ إلى العديد من الأجزاء ، كما يمكن لعَدَدٍ من المُؤَلَّفات الموجَزَة أن تُجْمَع في مُجَلَّدٍ واحد ـ سواءٌ نَسَخَها ناسِخٌ واحِدٌ دَفْعَةً واحِدَةً الواحِدَة تلو الأخرى ، أو أنَّ مالِكًا قَرَّرَ لأسْبابٍ مُتَنَوِّعَة ، أن يُكَوِّن مَجْموعًا مُصْطَنَعًا بتجْليد عَدَدٍ مُخْتَلِفٍ من النُّصُوص مُخْتَلفة المَصْدَر وذات شكل مُتجانس . واتَّفَق غالِبًا واصِفُو الفَهارس على عَمل إحالات ببليوجرافية لمُؤَلِّف العَمَلِ [٣١]، التي يُضافُ إليها نَظَرِيًّا نَشَراتُ النَّصّ وتَرْجَماتُه ، والمطبوعاتُ التي نجد فيها صُوَرًا للمَخْطُوط ، وكذلك الأعْمال التي اعْتَمَدَ عليها المُفَهْرِسُ لتحرير وَصْفِه .

ويظهر أوَّلُ المَخْطُوط غالِبًا في الفهارس ، فهو عُنْصُرٌ في غاية الأَهَمِّيَّة لتحديد أو لتَنقيح النُّصُوص . وفي هذا السَّبيل ، فإنَّ فهرس مَخْطوطات برلين الذي وَضَعَه ولهلم آلوارت Wilhelm Ahlwarat في نهاية القرن التاسع عشر يُعَدّ مَعينًا لا نَظير له ، وفي هذا الإطار فإنَّ فَواتِح المَخْطوطات لم تُثْبَت فقط بل تَمَّ أيضًا تكشيفُها [٣٢]. وخاتِمَةُ النَّصّ هي ـ كذلك ـ عَنْصُرٌ مهمٌ للتَّحقُّق من المَخْطُوط ، ولكنها صَعْبَة التَّكْشيف . وعندما يَكون المَخْطُوطُ مَبْتُورَ الأوَّل أو ناقِصًا من آخره فإنَّ الكلمات الأولى والأخيرة التي تَظْهَر في المَخْطُوط تُعَدُّ إشارةً لكُلِّ من يتوفَّر على نَشْرِ نَصٍّ أو مَخْطوطٍ آخر .

وفيما يَخُصُّ تاريخَ المَخْطُوط فإنَّه يمكننا أن نَبْحَث في الفَهارِس عن كُلِّ التَّحديدات المُتَعلِّقة بظُرُوفِ النُّسْخَة التي يمكن أن نَتَعَرَّف عليها : التأريخ ، المكان ، اسم النَّاسخ ، الإشارَة إلى المُقابَلَة (شكل ١٤٨، ١٤٩) ، الأصْل المُسْتَخْدَم . وإذا لم يكن تأريخُ النُّسْخَة مذكورًا ، فيحاول المُفَهْرِسُ أن يُعْطي تأريخًا تَقْريبيًّا يُقَدّر بوَاسِطَة عَدَدٍ من العَنَاصِر التي يجب أن يشير إليها في الوَصْف ، بحيث يستطيع القارئ أن يُقَدِّر مُلاءَمة اسْتِخْدامها . ونستطيعُ كذلك أن نَجِدَ وَصْفًا للخَطّ (الأسلوب ، الضَّبْط ،

---

٣١. المراجع البيوبيليوجرافية العامة الأكثر استخداما هي : بروكلمان ، كارل : C. Brockelmann, *GAL* Bd. I, II; Suppl. I-II «تاريخ الأدب العربي» ١ـ١٠ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي وآخرون ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦؛ F. Sezgin *Geschichte des arabischen Schrifttums* 9 vols. Leyde 1963-84، سزجين، فؤاد : تاريخ التراث العربي ، ١ـ٢، ٤، ٧، ٨، نقله إلى العربيّة محمود فهمي حجازي وآخرون ، الرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٣ـ١٩٨٨؛ الزركلي : الأعلام : قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ١ـ٨، بيروت ١٩٧٩.

٣٢. W. Ahlwardt, *Verzeichnis der Arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin*, Berlin 1887-1899.

380

عَلامات تَرْقيم مُحْتَمَلَة ، لَوْن الحِبْر ، لَوْن العَناوين) ، وكذلك / إشارة إلى وُجود جَدَاول ، وخرائط ، وأشكال .

وعادَةً ما تُوصَف أيضًا الزَّخارِفُ والتَّصاوير . ويُذْكر كذلك الإشارة المُتَعلِّقة بنَقْل النَّص وتَدَاوُلِه : السَّماعات وأيضًا علامات البَيْع والمُطالَعَة أو التَّمَلُّك ، والأَخْتام ، وحُجَج الوَقْف . وزيادَةً على الإشارات المُعينة على تأريخ المَخْطوط ، فإنَّ هذه التَّدْقيقات تُفيدُ في تاريخ النَّصّ ، كيف تَمَّ تناقله ، وفي أي الأماكِن وأي الأوْساط تَمَّ تداوُلُه؟ وهي مُفيدَةٌ كذلك ، بعيدًا عن النَّصِّ ، لمن يهتم بتاريخ تجارة الكتاب والمكتبات الخاصَّة أو العامَّة في الشَّرْق . إنَّ قائِمَة النُّصُوص المُوجَزَة المُضافَة إلى المُجَلَّد عند تَجْليده أو التي كَتَبَها المُلَّاكُ ، مثل ذِكْر أحداثٍ عائلية ، ووَصَفاتٍ مُتَنَوِّعَة وأوْصافٍ لظَوَاهِر أرْصادية ، مفيدة كذلك في نِطاقٍ يَتَعَدَّى دراسة المُجَلَّد المَوْصُوف .

وفي العُمُوم ، كانت تُذْكر الطَّريقَةُ التي جُلِبَ بها المَخْطُوط إلى مجموعات المكتبة : وهي تَتَعَلَّق بتاريخ النَّصِّ من جِهَة ذُيُوعه في الغَرْب في حالة المكتبات الغربية ، وحُضُوره في هذه المجموعة أو تلك من المجموعات الخاصَّة أو العامَّة في حالة مكتبات العالم العَرَبي أو الإسلامي . ويجب كذلك أن تُذْكَر جَميعُ العَلامات المُثْبَتَة على المَخْطوط : ذِكْر السِّعْر ، والبَيانات ، والأَخْتام ، وأرْقام الحِفْظ القديمة ... دون أن نُهْمِل الأبحاث التي تَمَّت على القوائم القديمة بغَرَض تَوْفير كُلِّ المعلومات المُتَعلِّقة بتاريخ المُجَلَّد للقارئ . ويَنْحَصِرُ الوَصْفُ المادي غالِبًا في الإشارَة إلى نَوْعِ الحامِل (مادَّة الكتاب) ، وعَدَدِ الأوْراق والأبْعاد . وقد سَمَحَت الأبحاثُ الكوديكولوجية الحَديثَة بإثْراءِ هذا الوَصْف و ، على النَّقيض ، فإنَّها يمكن أن تُيَسِّر بتحديد سِماتٍ تَسْمح فيما بعد للباحثين بملاحظة المَخْطوطات المرتبطة ببَحْثٍ مُحَدَّد . وتُعْطي بعضُ الفَهارِس وَصْفًا دَقيقًا للحَوَامِل ، فأحيانًا ما تُحَدِّدُ نَوْعَ الوَرَق ، والعلامات المائية إن وُجِدَت ، وتكوين الكُرَّاسات وتَرْقيمها ، والتَّعْقيبات وتَوْزيعها ، والمِساحَة المكتوبة من الصَّفْحَة مُقاسَةً من أوَّلِ إلى آخر سَطْر ، وعَدَد السُّطُور ، ولَوْن الحِبْر ، والمِسْطَرَة . ويغيب وَصْفُ التَّجْليد في أغْلَبِ الأحْيان . وبَعيدًا عن أهَمِيَّة الخَصَائص المادِّية بالنسبة للباحثين ، فإنَّها دائمًا التي تَسْمَح للمُفَهْرِس بإعْطاء تأريخ تَقْريبي لنُسْخَةِ المَخْطوط ، ومن الطَّبيعي ، على الأَقَلِّ بالنِّسْبَة لهذا السَّبَب ، أن نَجِدها ظاهِرَةً في الوَصْف .

وتَصْنيفُ المَخْطوطات في فهارِس المكتبات الأوروبية ، هو في أغْلَب الأحْيان ، تَصْنيفٌ «طبوغْرافي» : على تَرْتيب أرْقام الحِفْظ ، وهو التَّرْتيبُ الذي يُمثِّل غالبًا نِظام دُخُول المَخْطوطات إلى المكتبة . أمَّا في البلاد العربية فإنَّ تَصْنيف المَخْطوطات يَتْبَع في العُمُوم تَرْتيبًا مَنْهجيًا يُماثل نِظام تَصْنيف العُلُوم . وبالتالي فإنَّ المُؤلَّفات التي يَشْتَمل عليها مجلَّدٌ واحدٌ يمكن أن تُوصَف في أبوابٍ أو حتى مُجلَّداتٍ مختلفة . وأيًّا كان التَّصْنيفُ المُتَّبع فإنَّ الكَشَّافات أو الوَصْف التَّطابُقي يَسْمَحان دائمًا بإيجاد المَخْطوطات التي تتناوَل مَوْضُوعًا عِلْميًا ، أو الوُصُول إلى وَصْفِ مَخْطوطٍ نعرف رقم حِفْظه .

381

/ وعُمُومًا فالكَشَّافات هي التي تَجْعَل من الفِهْرِس أداةً للبَحْث ، وللتحقُّق من النُّصُوص ، فإنَّ كشَّافات المُؤلِّفين والعَناوين ، وفَوَاتِح الكُتُب والكَشَّافات الموضوعية لا غنى عنها . والتَّطابُق بين أرْقام الحِفْظ وأرْقام الفهرس ضروري غالبًا . ويأمَلُ عُلَماءُ المَخْطوطات أن يجدوا على الأقَلّ كَشَّافات لتواريخ النَّسْخ ، وأماكِنه ، وأسْماء الأشْخاص (نُسَّاخ ، ومُلَّاك ، ومُطَالِعون ، وناقِلُون للمَعْرِفَة) ، والمَخْطوطات المُزَيَّنَة . ويَغْتَبِطُ هؤلاء العُلَماء عندما يجدون كشَّافات للمَخْطوطات غير المُؤَرَّخة والحَوامِل الكتابة [٣٣].

١٥٩. عَلامَةُ مُقابَلَة : بَلَغ ، مُؤَرَّخة سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م
باريس رقم BnF arabe 6080، ورقة ٧٠، تفصيل.

١٦٠. علامَةُ مُقابَلَة
باريس رقم Bnf arabe 6501، ورقة ٨٦ظ ، تفصيل.

٣٣. F. Richard, *Cat.* I, pp. 391-432.

لقد أصْبَحَ نَشْرُ فَهارِس المَخْطوطات منذ نحو عشرين عامًا غزيرًا جدًّا بفَضْلِ نَشاطِ مُؤسَّساتٍ مثل مَعْهَد المَخْطُوطات العربية بالقاهرة (التابع للمُنَظَّمَة العربية للتربية والثَّقافَة والعُلُوم الألِيكْسُو ALECSO) والمُؤسَّسات الخاصَّة مثل مُؤسَّسَة الفُرْقان للتُّراث الإسلامي بلَنْدَن . ويُرافِقُ هذا الإنْتاج جُهْدٌ لتَوْحيد مُحْتوى الأوْصاف التي تَميل إلى الزِّيادَة .

وتَعْمَلُ المكتباتُ الآن في سبيل الفَهْرَسَة الآلية للمَخْطوطات . فقد فُهْرِسَت مَخْطُوطاتُ دار الكُتُب المصرية بالقاهرة منذ سنة ١٩٩٢ في قاعِدَة بياناتٍ يمكن مراجعتها فقط داخِل المكتبة ، وتَشْمَلُ هذه القاعِدَةُ أربعة وخمسين ألْف رقم حِفْظ . وقامَت مكتباتٌ أخرى بعَمَل مشاريع ما زالت في مَرْحَلَة التَّجْريب ؛ فأنْتجت الخِزَانَةُ العامَّةُ بالرِّباط والأرْشيفُ المغربي قُرْصًا مُدْمَجًا CD ROM يَشْتَمل على أوْصافٍ لمَخْطُوطات مكتبة القَرَوِيين بفاس ، كما طَوَّرَت قاعِدَة بيانات لفَهْرَسَة / مَخْطوطاتها الخاصَّة ما زالت في طَوْرِ التَّجْريب . وتُوجَد قاعِدَةٌ أخرى في الجَزَائر في مَرْحَلَة الدِّراسة . وهَيَّأت مكتبةُ فرنسا الوطنية شَكْلًا للوَصْفِ على مِثال Intermarc [٣٤]، الذي يمكن أن يَعْمَل في نِظامٍ يَسْمَح باسْتِخدام حُرُوف طِباعَة غير لاتينية . وتَمَّت فَهْرَسَةُ مَخْطُوطات مكتبة الكونْجرس في قاعِدَة OCLC على شَكْل US-Marc، الذي لم يكن مُهَيَّئًا لوَصْفِ المَخْطُوطات ، وبالتالي جاءَت بياناتُه في غَايَة الإيجاز [٣٥]. ويُريدُ مَشْرُوعُ المكتبة الافتراضية البحر أوْسَطِيَّة (Medlib) الذي طَرَحَه اليونسكو UNESCO، أن يصل إلى فهرس آلي مُجَمَّع يُتيحُ على الشَّبَكة الدَّوْلية للمعلومات (الإنترنت) مَخْطُوطات عربية تنتمي إلى مكتبات الدُّوَل المُطِلَّة على البَحْر المُتَوَسِّط . وقد بدأ التَّفْكيرُ في محتوى هذه الأوْصاف .

382

وفَوْقَ ذلك ، فالمَوْضُوعُ هو نَشْرُ مُسْتَنْسَخاتٍ للمَخْطُوطات مصحوبةً ببياناتٍ وَصْفية . فنُشِرَ في أسبانيا قُرْصان مُدْمَجان CD ROM مُتَعَلِّقان بالمَخْطُوطات العربية

٣٤. يُسْتَخْدَمُ نِظامُ Marc (Machine-Readable Cataloging) في أغْلَب المكتبات لفهرسة الكتب المطبوعة ووثائق أخرى. وهو يشتمل على عَدَدٍ من الحُقُول تَسْمَح بتكشيف مُعَيَّن سَلَفًا ، وتقدِّم إمكانية رَبْط اسم عَلَم (مُؤلِّف أو غيره) أو عُنْوان بأوصافٍ ببليوجرافية ، بحيث يمكن الوُصُول إليه بالبحث من خِلال الأشكال الممكنة للاسْم أو العُنْوان .

٣٥. يمكن لبعض المكتبات الجامعية الفرنسية الدخول إلى مداخل نظام الاطلاع Online Computer Library Center) OCLC.

بمكتبة CSIC بمدريد ومكتبتين بقُرْطُبَة[٣٦]. ورُبَّما تَقُودُ الإمكاناتُ التي تُوَفِّرها التِّقْنياتُ الجَديدَة التي تَسْمَح بربْطِ صُورَةٍ رقمية بوَصْفٍ إلى إعادَة النَّظَر كذلك في دَوْرِ الوَصْف : ففَوْق أنَّها تَسْمَح بتَصَوُّر خَصَائِص زَخْرَفَةٍ أو كتابَةٍ أو خاتَمٍ ، فإنَّها تَتَعَلَّقُ بتَحْديد مَعايير مُلائِمَة لفَهْرَسَة الصُّوَر بطريقةٍ تُؤَدِّي إلى عَمَلِ تَجْميعاتٍ ومُقابَلاتٍ أو مُعارَضاتٍ ذات مَغْزى .

وكانت فَهارِسُ المَخْطُوطات موضوع قائِمَة عُنْوانها *World Survey of Islamic Manuscripts* نُشِرَت بين سنتي ١٩٩٢ و ١٩٩٤ [٣٧] [وظَهَرَت لها تَرْجَمَةٌ عَرَبيةٌ بين سنتي ١٩٩٧ و ٢٠٠٢ بعنوان «المَخْطُوطات الإسْلامية في العالم»] . وتَشْتَمِلُ هذه القائمةُ على مَعْلُوماتٍ عملية (العُنْوان ، رقم التليفون ...) عن المكتبات التي تحتوي على مَخْطُوطاتٍ بالحَرْف العربي ، وعلى تَقْديرِ لحَجْم المَخْطُوطات التي تمتكلها وكذلك قائِمَة بفَهارِس المَخْطوطات المَنْشُورة . وتَجْتَهِدُ نَشْرَةُ *Nouvelles des manuscrits du Moyen-Orient*[٣٨] ومجلة *Manuscripta Orientalia*[٣٩] [ونَشْرَة «أخْبار التُّراث العَرَبي»][٤٠] في الإشارة إلى صُدُور فَهارِسَ جَديدَة للمَخْطُوطات .

---

٣٦. Instituto de Filologia (Madrid). Biblioteca, Coleccion de manuscritos arabes y aljamiados de la Biblioteca del Instituto de Filologia del CSIC [CD-ROM]: los manuscritos de la Junta, éd. Maria del Pilar Martinez Olmo, Madrid, CSIC, 1998.

٣٧. *World Survey of Islamic Manuscripts*, 4 vol., London, Al-Furqân Islamic Heritage Foundation 1992-1994؛ المخطوطات الإسلامية في العالم، ٤ مجلدات، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧ـ ٢٠٠٢.

٣٨. *Nouvelles des manuscrits du Moyen-Orient*, Paris, SEMMO 1991-.

٣٩. *Manuscripta orientalia. International Journal for Oriental manuscript research*, ينشرها المعهد الشرقي ، فرع سان بطرسبرج ، Saint-Pétersbourg 1995- .

٤٠. أخبار التراث العربي . من أجل تنسيق الجهود القائمة حَوْل تحقيق التراث ونشره ، نشرة يصدرها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صدر منها حتى الآن ١٠٥ أعداد [المترجم] .

كشّافُ المفاهيم والمُصْطَلَحات الفنيّة

ب

ت

ث

ج

د

ذ

ر

ز

س

ك

ل

م

هـ

و

ي

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ العربية

إختصارات

دراسات : دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادّة والبَشَر، أعمال المؤتمر الثاني لمؤسَّسة الفرقان للتراث الإسلامي، إعداد رشيد العناني، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧.

إبراهيم شَبُّوح : المَخْطُــوط، تونس - الوَكالة القومية لإحياء واسْتِغْلال التُّراث الأثري والتّاريخي، ١٩٨٩ [من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية - ١ -] .

أيمن فؤاد سيّد : المَخْطوط = الكتاب العَرَبي المَخْطُوط وعِلْم المَخْطُوطات، ١ - ٢، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧.

Codicology: *The codicology of Islamic manuscripts. Proceedings of the second conference of al-Furqan Islamic heritage foundation*, Y. Dutton ed., London, al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1995.

F. Déroche, *Abbasid tradition*: Déroche (François), *The Abbasid tradition. Qur'ans of the 8th to the 10th centuries AD*,London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 1].

F. Déroche, *Cat.* I/1 : Déroche (François), *Catalogue des manuscrits arabes*, 2° partie, I/1. *Les manuscrits du Coran. Aux origines de la calligraphie coranique*, Paris, Bibliothèque nationale, 1983.

F. Déroche, *Cat.* I/2 : Déroche (François), *Catalogue des manuscrits arabes*, 2e partie, I/2. *Les manuscrits du Coran, Du Maghreb à l'Insulinde*, Paris, Bibliothèque nationale, 1985.

D. Duda, *Isl. Hss* 1 : Duda (Dorothea), *Islamische Handschriften* 1. *Persische Handschriften*, 2 vol., Vienna, Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften, 1983 [Die illuminierten Handschriften und Inkunabeln der ?sterreichischen Nationalbibliothek, 4].

D. Duda, *Isl. Hss.* 2 : Duda (Dorothea), *Islamische Handschriften* 2. *Arabische Handschriften* 2 vol., Vienna , Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften, 1992 [Die illuminierten Handschriften und Inkunabeln der österreichischen Nationalbibliothek, 5].

EI[2] : *Encyclopaedia of Islam*, new ed., Leiden, Brill, 1954-2004.

Enc. Ir. : *Encyclopedia Iranica*, London, Costa Mesa, CA, 1982-

FiMMOD : *Fichier des manuscrits moyen-orientaux datés*, Paris, SEMMO, 1992-

Gacek, *AMT* : Gacek (Adam), *The Arabic manuscript tradition : a glossary of technical terms and bibliography*, Leiden, Brill, 2001 [Handbuch der Orientalistik I/58].

A. Gacek, *McGill* : Gacek (Adam), *Arabic manuscripts in the libraries of McGill University. Union catalogue*, Montréal, McGill University Libraries, 1991 [Fontanus monograph series, 1].

GAP: *Grundriss der arabischen Philologie.* 1 , *Sprachwissenschaft*, W. Fischer ed., Wiesbaden, Dr. Ludwig Reichert, 1982 ; 2, *Literatur*, H. Gätje ed., Wiesbaden, Dr. Ludwig Reichert, 1987.

GdQ : Nöldeke (Theodor), *Geschichte des Qorans*, bearbeitet von F. Schwally, 2 vols., Leipzig, Dieterch'sche Verlagsbuchhandlung, 1909, 1919 ; G. Bergsträsser and O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, Leipzig, 1938 ; reprint Hildesheim - New York, G. Olms, 1961.

A. Grohmann, *API* : Grohmann (Adolf), *Arabische Paläographie. I. Teil*, Vienna, Hermann Böhlaus Nachf., 1967 [Österreichische Akademie der Wissenschaften, Phil.-hist. Klasse, Denkschriften, 94. Bd, I. Abhandlung].

D. Haldane, *Bookbindings*: Haldane (Duncan), *Islamic bookbindings in the Victoria and Albert Museum*. London, The World of Islam Festival Trust, 1983.

JA : *Journal Asiatique.*

D. James, *Q. and B.*: James (David), *Qur'ans and bindings from the Chester Beatty Library. A facsimile exhibition*, London, World of Islam Festival Trust, 1980.

JEA : *Journal of Egyptian archaeology.*

J. Lemaire, *Introduction*: Lemaire (Jacques), *Introduction à la codicologie*, Louvain-la-Neuve, Institut d'études médiévales, 1989.

G. Marcais et L. Poinssot, *Objets*: Marcais (Georges) and Poinssot (Louis), *Objets kairouanais, IXe au XIIIe siècle. Reliures, verreries, cuivres et bronzes, bijoux*, fasc.1, Tunis, Tournier-Paris, Klincksieck, 1948 [Direction des antiquités et arts, Notes et documents, 9].

MME: *Manuscripts of the Middle East.*

B. Moritz, *Ar. Pal.*: Moritz (Bernhard), *Arabic palæography. A collection of Arabic texts from the first century of the hidjra till the year 1000*, Cairo/Leipzig, K. W. Hiersemann, 1905 [Publications of the Khedivial Library, 16].

Mss du MO: *Les Manuscrits du Moyen-Orient. Essais de codicologie et de paléographie. Actes du Colloque d'Istanbul (Istanbul, 26-29 mai 1986)*, F. Déroche ed., Istanbul - Paris, I.F.E.A - Bibliothèque Nationale, 1989.

D. Muzerelle, *Vocabulaire*: Muzerelle (Denis), *Vocabulaire codicologique. Répertoire méthodique des termes français relatifs aux manuscrits.* n.p., CEMI, 1985 [Rubricæ, histoire du livre et des textes, 1].

NMMO: *Nouvelles des Manuscrits du Moyen-Orient*

R. Quiring-Zoche, *Ar. Hss.* 3 : Quiring-Zoche (Rosemarie), *Arabische Handschriften. Teil III*, Stuttgart, Franz Steiner Verlag, 1994 [VOHD XVII, Reihe B, 3].

REI: *Revue des études islamiques.*

REMMM : *Revue du monde musulman et de la Méditerranée.*

F. Richard, *Cat.* 1 : Richard (Francis), *Catalogue des manuscrits persans*1. *Ancien Fonds*, Paris, Bibliothèque nationale de France, 1989.

F. Richard, Paris 1997 : Richard (Francis), *Splendeurs persanes. Manuscrits du XIIe au XVIIe siècle*, Paris, Bibliothèque nationale de France, 1997.

J. M. Rogers, Berlin 1988 : Rogers (J. Michael) and Ward (R. M.), *Schätze aus dem Topkapi Serail. Das Zeitalter Süleymans des prächtigen*. Berlin, Staatliche Museen Preussischer Kulturbesitz - Museum für islamische Kunst, 1988.

J. M. Rogers, Geneva 1995 : Rogers (J. Michael), *L'empire des sultans. L'art ottoman dans la collection de Nasser D. Khalili.* Geneva, Musée d'art et d'histoire - The Nour Foundation, 1995.

Y. Sauvan and M.G. Balty-Guesdon, *Cat.* 5 : Sauvan (Yvette) and Balty-Guesdon (Marie-Geneviève), *Catalogue des manuscrits arabes.* 2e partie, *Manuscrits musulmans*, 5, nos 1465-1685, Paris, Bibliothèque nationale de France, 1995.

G. Schoeler, *Ar. Hss.* 2 : Schoeler (Gregor), unter Mitarbeit von H. C. Graf von Bothmer, T. Duncker Gökçen und H. Jenni, *Arabische Handschriften, Teil II*, Stuttgart, Franz Steiner Verlag, 1990 [VOHD XVII, Reihe B, 2].

Scribes: Déroche (François) and Richard (Francis) eds., *Scribes et manuscrits du Moyen-Orient*, Paris, Bibliothèque nationale de France, 1997.

R. Sellheim, *Materialen* 1 : Sellheim (Rudolf), *Materialen zur arabischen Literaturgeschichte* 1, Stuttgart, Franz Steiner Verlag, 1976 [VOHD XVII/A, 1].

R. Sellheim, *Materialen* 2 : Sellheim (Rudolf), *Materialen zur arabischen Literaturgeschichte* 2, Stuttgart, Franz Steiner Verlag, 1987 [VOHD XVII/A, 2].

SPA: POPE (Arthur U.) and ACKERMAN (Phyllis) eds., *A survey of Persian art from prehistoric times to the present*, 6 vols., London, Oxford University Press, 1938-1939.

G. VAJDA and Y. SAUVAN, *Cat.* 2: VAJDA (Georges) and SAUVAN (Yvette), *Catalogue des manuscrits arabes.* 2e partie, *Manuscrits musulmans*, 2, nos 590-1120, Paris, Bibliothèque nationale, 1978.

G. VAJDA and Y. SAUVAN, *Cat.* 3: VAJDA (Georges) and SAUVAN (Yvette), *Catalogue des manuscrits arabes.* 2e partie, *Manuscrits musulmans*, 3, nos 1121-1464, Paris, Bibliothèque nationale, 1985.

M. WEISWEILER, *Bucheinband*: WEISWEILER (Max), *Der islamische Bucheinband des Mittelalters*, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1962 [Beiträge zum Buch- und Bibliothekwesen, 10].

J. J. WITKAM, *Cat.*: WITKAM (Jan Just), *Catalogue of the Arabic manuscripts in the library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands*, 5 fasc. published, Leiden, E. J. Brill, 1983- [Codices manuscripti, 21].

مراجع عامّة

من بين الدَّوْريات التي تُخَصِّصُ مَكانًا مُتَمَيِّزًا للمَخْطُوطات بالحَرْفِ العربي، وتُقَدِّمُ إذًا معلومات عنها وعن تَوَجُّه الأبحاث في هذا المجال، نَذْكر العناوين التّالية: *Manuscripta orientalia* (سان بطرسبرج)، *Manuscripts of the Middle East*، (ليدن)، و«مجلة مَعْهَد المَخْطُوطات العربية» (القاهرة)، ويمكن أن نُراجع كذلك *Nouvelle des Manuscrits du Moyen-Orient* (باريس)، [ونامه بهارستان *Nâmeh-ye Bahârestân* (طهران)].

مَدْخَل إلى كوديكولوجية المخطوطات بالحَرف العربي

إبراهيم شَبُّوح: المَخْطُوط.

أحمد شوقي بنبين: دِراساتٌ في عِلْم المَخْطُوطات والبَحْث البِبْليوغرافي، مراكش ـ المطبعة والوراقة الوطنية ٢٠٠٤.

أحمد شوقي بنبين: «ما المَخْطُوط»، تراثيات ٣ (يناير ٢٠٠٤)، ٩-١٥.

أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي: مُعْجَم مُصْطَلَحات المَخْطُوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، الرباط ـ الخِزانَة الحَسَنية ٢٠٠٤.

أيمن فؤاد سيِّد: المَخْطُوط.

بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي (ترجمة BROCKELMANN (Carl), *GAL* = *Geschichte der arabischen Litteratur* & *Supplement*)، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦.

بيدرسون (يوهان): الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ترجمة حيدر غيبة، دمشق ـ الأهالي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (transl. of *The Arabic book, Princeton, N. J., 1984*).

جورج عطية: الكتاب في العالم الإسلامي. الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتّصال في منطقة الشَّرْق الأوْسَط، ترجمة عبد السَّتّار الحَلْوَجي، الكويت ـ عالم المعرفة ٢٩٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

حبيب زَيّات: الوِراقَةُ وصِناعَةُ الكتاب ومُعْجَمُ الشُفُن، بيروت ـ دار الحمراء ١٩٩٢.

روبر (جيوفري): المَخْطُوطات الإسلامية في العالم، ١ ـ ٤، ترجمة عبد السَّتّار الحَلْوجي، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧ـ٢٠٠٢.

الحَلْوَجي (عبد السَّتّار): نَحْو عِلْم مَخْطُوطات عربي، القاهرة ـ دار القاهرة ٢٠٠٤.

الزِّرِكلي (خير الدِّين): الأعـلام: قاموس تراجم لأشْهَر الرِّجال والنِّساء من العَرَب والمُسْتَعْرِبين والمُسْتَشْرِقين، ١ ـ ٨، بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٩.

قاسم السّامَرّائي: عِلْم الاكْتِناه العَرَبي الإسلامي، الرياض ـ مركز الملك فيصل ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

كُوركيس عَوّاد: أقْدَمُ المَخْطُوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صَدْر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م)، بغداد ـ وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢.

المامَقاني، محمد رضا: مُعْجَم الرُّمُوز والإشارات، بيروت ـ دار المُؤَرِّخ العربي ١٩٩٢م.

ARNOLD (Thomas Walker) and GROHMANN (Adolf), *The Islamic book. A contribution to its art and history from the VII-XVIII century*, [Leipzig, August Priess], 1929.

Codicology.

DÉROCHE (François), «Les manuscrits arabes datés du III^{e}/IX^{e} siècle», *REI* 55-57 (1987-1989), p. 343-379.

DÉROCHE (François), *Le livre manuscrit arabe, Préludes à une histoire*, Paris, BNF, 2004.

ENDRESS (Gerhard), «Handschriftenkunde», *GAP* I, p. 271-296.

GACEK (Adam), *The Arabic manuscript tradition: a glossary of technical terms and bibliography*, Leiden, Brill, 2001 [Handbuch der Orientalistik I/58].

A. GROHMANN, *API.*

Mss du MO.

D. MUZERELLE, *Vocabulaire.*

ORSATTI (Paola), «Le manuscrit islamique : caractéristiques matérielles et typologie», in M. Maniaci and P. F. Munafò eds., *Ancient and medieval book materials and techniques* 2, Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993, p. 269-331.

RICHARD (Francis), *Le livre persan*, Paris, Bibliothèque nationale de France, 2003 [Conférences L. Delisle].

Scribes.

Scripts, page settings and bindings of Middle-Eastern manuscripts, Papers of the third international Conference on codicology and paleography of Middle-Eastern manuscripts (Bologna, 4-6 October 2000), F. Déroche and F. Richard eds. = *Manuscripta Orientalia* 9, 3 and 4 (2003) and 10, 1 (2004).

SELLHEIM (Rudolf), *EI*^{2}, vol. 5, p. 207-208, *s. v.* «kitâb».

R. SELLHEIM, *Materialen* 1 and 2.

SEZGIN (Fuad), *Geschichte des arabischen Schrifttums*, 9 vols., Leiden, E. J. Brill, 1967-1984.

La tradition manuscrite en arabe, thème sous la responsabilité de G. Humbert, *REMMM* 99-100 (2002).

WALEY (Muhammad Isa), «Problems and possibilities in dating Persian manuscripts», *Mss du MO*, p. 7-15.

WITKAM (Jan Just) and SUKANDA-TESSIER (Viviane), *EI*^{2}, vol. 8, p. 149-154, *s.v.* «nuskha».

عَناصِر لِمُقارَبَة مُقارِنَة

BEIT ARIÉ (Malachi), *Hebrew codicology. Tentative of technical practices employed in Hebrew dated medieval manuscripts*, Paris, CNRS, 1977.

BOZZOLO (Carla) and ORNATO (Ezio), *Pour une histoire du livre manuscrit au Moyen Age. Trois essais de codicologie quantitative*, Paris, CNRS, 1983.

Codicologica : towards a science of handwritten books, A. Gruys and J.P. Gumbert eds., Leiden, 5 vols., 1976-1980.

DIRINGER (David), *The hand-produced book*, New York, 1953.

GEHIN (Paul), *Lire le manuscrit médiéval*, Paris, Armand Colin, 2005.

GILISSEN (Léon), *Prolégomènes à la codicologie. Recherches sur la construction des cahiers et la mise en page des manuscrits médiévaux*, Gand, Story - Scientia, 1977.

HOFFMANN (Philippe) ed., *Recherches de codicologie comparée. La composition du codex au Moyen Age en Orient et en Occident*, Paris, PENS, 1998.

J. LEMAIRE, *Introduction.*

MANIACI (Marilena) and MUNAFO (Paola F.) eds., *Ancient and medieval book materials and techniques (Erice, 18-25 septembre 1992)*, 2 vols., Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993 [Studi e testi 357-358].

ROBERTS (Colin H.) and SKEAT (T. C.), *The birth of the codex*, London, Oxford University Press, 1983.

فهارس المكتبات

أحمد كلچين معاني: راهنماي كنجينه هاي قرآن [دليل كنوز القرآن]، مشهد ـ كتبخانة آستان قدس رضوي ١٣٤٧/١٩٦٩.

رمضان ششن وجواد إزكي وجميل آق بنار : فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، ١-٣، إستانبول - إرسيكا ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

AHLWARDT (Wilhelm), *Verzeichnis des arabishen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin*, 10 vols., Berlin, A. Asher and Co, 1887-1899.

F. DÉROCHE, *Abbasid tradition.*

F. DÉROCHE, *Cat.* I/1 and I/2.

D. DUDA, *Isl. Hss* 1 and 2.

A. GACEK, *McGill.*

JAMES (David), *Master scribes. Qur'ans from the 11th to the 14th centuries*, London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 2].

JAMES (David), *After Timur. Qu'ans of the 15th and 16th centuries*, London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 3].

R. QUIRING-ZOCHE, *Ar. Hss.* 3.

F. RICHARD, *Cat. I.*

Y. SAUVAN and M.-G. BALTY-GUESDON, *Cat 5.*

SCHMITZ (Barbara), *Islamic and India manuscripts in the Pierpont Morgan Library*, New York, The Pierpont Morgan Library, 1997.

G. SCHOELER, *Ar. Hss.* 2.

R. SELLHEIM, *Materialen* 1 and 2.

de SLANE (William MAC GUCKIN), *Catalogue des manuscrits arabes*, Paris, Bibliothèque nationale, 1883-1895.

TROUPEAU (Gérard), *Catalogue des manuscrits arabes.* 1ère partie : *Manuscrits chrétiens I.* Paris, Bibliothèque nationale, 1972.

G. VAJDA and Y. SAUVAN, *Cat.* 2 and 3.

J. J. WITKAM, *Cat.*

كتالوجات المعارض

الرياض ١٩٨٦: الخطّ العربي من خلال المَخْطُوطات، الرياض - مركز الملك فيصل للبحث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦.

الكويت ١٩٨٥: مَصاحِفُ صَنْعاء، الكويت - دار الآثار الإسلامية ١٩٨٥.

الكويت ١٩٨٧: ديفيد جيمز: بدائع المخطوطات القرآنية مختارات من العالم الإسلامي، الكويت [١٩٨٧].

BERLIN 1988: see J.-M. ROGERS, BERLIN 1988.

CHICAGO 1981: BOSCH (Gulnar), CARSWELL (John) and PETHERBRIDGE (Guy), *Islamic bindings and bookmaking*, Chicago, The Oriental Institute, 1981.

COPENHAGEN 1996 : FOLSACH (Kjeld von), LUNDBAEK (Torben) and MORTENSEN (Peder), *Sultan, Shah and Great Mughal. The history and culture of the Islamic world*, Copenhagen, The National Museum, 1996.

FRANCFORT 1995: *Türkische Kunst und Kultur aus osmanischer Zeit*, 2 vols., Recklinghausen, Verlag Aurel Bongers, 1985.

GENEVA 1985: *Trésors de l'Islam*, Geneva, Musée d'art et d'histoire, 1985.

GENEVA 1995: see J. M. ROGERS, GENEVA 1995.

GOTHA 1997: *Orientalische Buchkunst in Gotha*, Gotha, Forschungs- und Landes bibliothek Gotha, 1997.

ISTANBUL 1983: AYKOC (Serap), ÇAGMAN (Filiz) and TAPAN (Nazan), *The Anatolian civilisations III. Seljuk/Ottoman*, Istanbul, Turkish Ministry of Culture and Tourism, 1983.

LONDON 1976: LINGS (Martin) and SAFADI (Yasin Hamid), *The Qur'ân*, London, The British Library, 1976.

MUNICH 1982: DACHS (Karl) *et al.*, *Das Buch im Orient. Handschriften und kostbare Drucke aus zwei Jahrtausenden*, Wiesbaden, Dr. Ludwig Reichert Verlag, 1982.

MUNICH 1998: REBHAN (Helga) and RIESTERER (Winfried), *Prachtkorane aus tausend Jahren. Handschriften aus dem Bestand der Bayerischen Staatsbibliothek München*, Munich, Bayerische Staatsbibliothek, 1998.

NEW YORK 1982: WELCH (Anthony) and WELCH (Stuart Cary), *Arts of the Islamic Book. The collection of Prince Sadruddin Aga Khan*, Ithaca and London, Cornell University press, 1982.

NEW YORK 1985: BRAND (Michael) and LOWRY (Glenn D.), *Akbar's India. Art from the Mughal City of Victory*, New York, the Asia Society Galleries, 1985.

NEW YORK 1994: MATHEWS (Thomas F.) and WIECK (Roger S.), *Treasures in heaven. Armenian illuminated manuscripts*, New York, Pierpont Morgan library/Princeton, N. J., Princeton University Press, 1994.

PARIS 1982: *De Carthage à Kairouan, 2000 ans d'art et d'histoire en Tunisie*, Paris, AFAA, 1982.

PARIS 1995: *Pages of perfection, Islamic paintings and calligraphy from the Russian Academy of sciences, St Petersburg*, Lugano-Milano, 1995.

PARIS 1995: *Itinéraire du savoir en Tunisie, Les temps forts de l'histoire tunisienne*, Paris-Tunis, CNRS éd.-Alif, 1995.

PARIS 1997: see F. RICHARD, PARIS 1997.

PARIS 2001: GUESDON (Marie-Geneviève) and VERNAY-NOURI (Annie), *L'art du livre arabe, du manuscrit au livre d'artiste*, Paris, Bibliothèque nationale de France, 2001.

VERSAILLES 1999 : *Topkapi à Versailles. Trésors de la Cour ottomane*, Paris, AFAA - Réunion des musées nationaux, 1999.

WASHINGTON 1988: LOWRY (Glenn D.) and NEMAZEE (Susan), *A Jeweler's eye. Islamic arts of the book from the Vever Collection*, Washington, Arthur M. Sackler Gallery, 1988.

WASHINGTON 1989: LENTZ (Thomas W.) and LOWRY (Glenn D.), *Timur and the princely vision. Persian art and culture in the fifteenth century*, Washington- Los Angeles, Arthur M. Sackler Gallery- Los Angeles County Museum of art, 1989.

الحَوامِل

البَرْدي

خان (جيوفري): «البَرْديات العربية»، دراسات، ٥٧-٧٦.

DAVID-WEILL (Jean), *Le Djâmi' d'Ibn Wahb*, 3 vols., Cairo, IFAO, 1939- 1948.

GROHMANN (Adolf), *Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri*, Vienna, Burgverlag Ferdinand Zöllner, 1924 [CPR III, I/1].

A. GROHMANN, *API*, p. 66-93.

GROHMANN (Adolf), «Aperçu de papyrologie arabe», *Etudes de papyrologie* 1 (1932), p. 23-95.

GROHMANN (Adolf), *From the world of Arabic papyri*, Cairo, al-Maaref Press, 1952.

KHAN (Geoffrey), *Bills, letters and deeds*, London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser Khalili collection of Islamic art, 6].

KHOURY (R.G.), EI^2, vol. 8, p. 261-265, *s.v.* «papyrus».

MONTEVECCHI (Orsolina), *La papirologia*, 2nd ed., Milano, Vita e pensiero, 1988.

ROBINSON (James M.), *The facsimile edition of the Nag Hammandi codices... Introduction*, Leiden, EJ. Brill, 1984, p. 32-102.

SELLHEIM (Rudolf), EI^2, vol. 5, p. 171, s.v. «Kirtâs».

الرَّقّ

ديروش (فرنسوا): «استِخْدام الرَّقّ في المَخْطُوطات الإسلامية ملاحظات تمهيدية»، دراسات ٩٣-١٣٣.

DREIBHOLZ (Ursula), «Der Fund von Sanaa. Frühislamische Handschriften auf Pergament», in P. Rück ed., *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, Sigmaringen, J. Thorbecke, 1991, p. 299-313 [Historische Hilfswissenschaften, 2].

ENDRESS (Gerhard), «Pergament in der Codicologie des islamisch-arabischen

Mittelalters», in P. Rück ed., *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, Sigmaringen, J. Thorbecke, p. 45-46 [Historische Hilfswissenschaften, 2].

Federici (Carlo), Di Majo (Anna) and Palma (Marco), «The determination of animal species used in Medieval parchment making : non-destructive identification techniques», in J. Sharpe and G. Petherbridge ed., *Roger Powell. The Compleat Binder, Liber amicorum*, Turnhout, Brepols, 1996, p. 146-153 [Bibliologia, 14].

Grohmann (Adolf), *EI*², vol. 2, p. 553-554, *s.v.* «djild».

Khoury (R.G.) and Witkam (J.J.), *EI*², vol. 5, p. 407-410, *s.v.* «rakk».

Reed (Ronald), *Ancient skins, parchments and leathers*, London-New York, Seminar Press, 1972 [Studies in archæological science].

Ryder (Michael L.), «The biology and history of parchment», in P. Rück ed., *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, Sigmaringen, J. Thorbecke, 1991, p. 25-34 [Historische Hilfswissenschaften, 2].

الوَرَق : مراجع عامّة

Bloom (Jonathan), *Paper before print : the history and impact of paper in the Islamic world*, New Haven, 2001.

Le papier au Moyen-Age. Histoire et techniques, M. Zerdoun Bat-Yehouda ed., Turnhout, Brepols, 1999 [Bibliologia, 19].

الوَرَق غير ذي العَلامَة المائية

أفشار (إيرج) : «استِخدام الورق في المَخْطُوطات الإسلامية كما سَجَّلته النُّصوص الفارسية القديمة»، دراسات ٣٥-٥٥.

Afshar (Iraj), «Manuscript and paper sizes cited in Persian and Arabic texts», *Essays in honour of Salah al-Din al-Munajjid*, London, al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1423/2002, p. 659-673.

Beit Arié (Malachi), «Quantative typology of Oriental paper patterns», in M. Zerdoun Bat-Yehouda ed., *Le papier au Moyen-Age. Histoire et techniques*, Turnhout, Brepols, 1999, p. 41-53 [Bibliologia, 19].

Canart (Paul), Di Zio (Simona), Polistena (Lucina), and Scialanga (Daniela), «Une enquête sur le papier de type 'arabe occidental' ou 'espagnol non filigrané'», in M. Maniaci and P. Munafö eds., *Ancient and Medieval book materials and techniques* 1, Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993, p. 313-393.

Gacek (Adam), «On the making of local paper. A thirteenth century Yemeni recipe», *REMMM* 99-100 (2002), p. 79-93.

Humbert (Geneviève), «Le manuscrit arabe et ses papiers», *REMMM* 99-100 (2002), p. 55-77.

Humbert (Geneviève), «Papiers non filigranés utilisés au Proche-Orient jusqu'en 1450. Essai de typologie», *Journal Asiatique*, 286/1 (1998), p. 1-54.

Irigoin (Jean), «Les papiers non filigranés, Etat présent des recherches et perspectives d'avenir», in M. Maniaci and P. Munafö eds, *Ancient and Medieval book materials and techniques* 1, Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993, p. 265-312.

Karabacek (Josef von), *Arab paper, 1887*, transl. by D. Baker and S. Dittmar, London, 1991 (= «Das arabische Papier», *Mitteilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer* 2/3, Vienna, s.n., 1887).

Le Leannec-Bavaveas (Marie-Thérèse), *Les Papiers non filigranés médiévaux de la Perse à l'Espagne. Bibliographie, 1950-1995*, Paris, CNRS - Editions, 1998.

Le Leannec-Bavaveas (Marie-Thérèse), «Les papiers non filigranés médiévaux dans les manuscrits grecs de la Bibliothèque nationale de France», *Scriptorium* 53 (1999), p. 275-324.

Loveday (Helen), *Islamic paper : a study of an ancient craft*, [London], The Don Baker Memorial Fund, 2001.

Premchand (Neeta), *Off the Deckle Edge. A papermaking journey through India*, Bombay, The Ankur project, 1995.

Richard (Francis), «Le papier utilisé dans les manuscrits persans du XVe siècle de la Bibliothèque nationale de France», in M. Zerdoun Bat-Yehouda ed., *Le papier au Moyen-Age. Histoire et techniques*, Turnhout, Brepols, 1999, p. 31-40 [Bibliologia, 19].

Richard (Francis), «Une recette en persan pour colorer le papier», *REMMM* 99-100 (2002), p. 95-100.

الوَرَق ذو العَلامَة المائية

Andreev (Stephane), *Filigranes dans les documents ottomans*, I. *Trois croissants*, Sofia, 1983 [National Library 'Cyril and Methodius', Oriental series] (in Bulgarian and in French).

Briquet (Charles-Moïse), *Les filigranes. Dictionnaire historique des marques du papier dès leur apparition vers 1282 jusqu'en 1600*, (1907) ; reprint (4 vols. of which 2 vols. are plates), Amsterdam, Paper Publication Society, 1968.

Eineder (Georg), *The ancient paper-mills of the former Austro-Hungarian Empire and their watermarks*, Hilversum, Paper Publication Society, 1960 [Monumenta Chartae Papyraceae Historiam Illustrantia, 8].

Gerardy (Théo), «Die Techniken der Wasserzeichenuntersuchung», *Les techniques de laboratoire dans l'étude des manuscrits*, Paris, CNRS, 1974, p. 143-156 [Colloques internationaux du CNRS, nº 548].

Heawood (Edward), *Watermarks, mainly of the 17th and 18th centuries*, Hilversum : Paper Publication Society, 1960 [Monumenta Chartae Papyraceae Historiam Illustrantia, 1].

Irigoin (Jean), «La datation par les filigranes du papier», in A. Gruys and J.P. Gumbert eds., *Les matériaux du livre manuscrit, Codicologica* 5, Leiden, E. J. Brill, 1980, p. 9-36.

Labarre (E.J.), «English index into Briquet's watermarks», *The Briquet album*, Hilversum, Paper Publication Society, 1952, p. 138-145 [Monumenta Chartae Papyraceae Historiam Illustrantia, 2].

Mosin (Vladimir), *Anchor watermarks*, Amsterdam, Paper Publication Society, 1973 [Monumenta Chartae Papyraceae Historiam Illustrantia, 13].

Rauber (Christian), Tschudin (Peter F.) and PUN (Thierry), «Système d'archivage et de recherche de filigranes», *Gazette du livre médiéval* 31 (automne 1997), p. 31-40.

Uchastkina (Zoya V.), transl. by Simmons (John S.G.), *A history of Russian hand paper mills and their watermarks*, Hilversum, Paper Publication Society, 1962 [Monumenta Chartae Papyraceae Historiam Illustrantia, 9].

كُرّاسات المَخْطُوطات

أحمد شوقي بنبين : «نِظامُ التَّعْقيبة»، فن فهرسة المخطوطات ـ مدخل وقضايا، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٩٩، ٦٥ـ ٧٢.

ديروش (فرنسوا) : «استخدام الرَّقّ في المَخْطُوطات الإسلامية : ملاحظات تمهيدية»، دراسات ٩٣ـ ١٣٣.

Beit Arié (Malachi), «Les procédés qui garantissent l'ordre des cahiers, des bifeuillets et des feuillets dans les codices hébreux», in Ph. Hoffmann ed., *Recherches de codicologie comparée. La composition du codex au Moyen-Age en Orient et en Occident*, Paris, PENS, 1998, p. 137-151.

Déroche (François) and Richard (Francis), «Du parchemin au papier : Remar-

ques sur quelques manuscrits du Proche-Orient», in Ph. Hoffmann ed., *Recherches de codicologie comparée. La composition du codex au Moyen-Age en Orient et en Occident*, Paris, PENS, 1998, p. 192-197.

GILISSEN (Léon), *Prolégomènes à la codicologie. Recherches sur la construction des cahiers et la mise en page des manuscrits médiévaux*, Gand, Story-Scientia, 1977.

GRAND'HENRY (Jacques), «Les signatures dans les manuscrits arabes chrétiens du Sinaï : un premier sondage», in Ph. Hoffmann ed., *Recherches de codicologie comparée. La composition du codex au Moyen-Age en Orient et en Occident*, Paris, PENS, 1998, p. 199-204.

GUESDON (Marie-Geneviève), «Les réclames dans les manuscrits arabes datés antérieurs à 1450», *Scribes*, p. 66-75.

HUMBERT (Geneviève), «Le *juz'* dans les manuscrits arabes médiévaux», *Scribes*, p. 78-86.

MANIACI (Marilena), «L'art de ne pas couper les peaux en quatre : les techniques de découpage des bifeuillets dans les manuscrits byzantins», *Gazette du livre médiéval* 34 (printemps 1999), p. 1-12.

WOUTERS (Alfons), «From papyrus roll to papyrus codex, Some technical aspects of the ancient book fabrication», *MME* 5 (1990-1991), p. 9-19.

ZANETTI (Ugo), «Les manuscrits de Saint-Macaire : observations codicologiques», in Ph. Hoffmann ed., *Recherches de codicologie comparée, La composition du codex au Moyen-Age en Orient et en Occident*, Paris, PENS, 1998, p. 171-182.

مَوَادّ وتَـجْهيزات

مراجع عامّة

DELAMARE (Jacques) and GUINEAU (Bernard), *Les matériaux de la couleur*, Paris, Gallimard, 1999.

DERMAN (Ugur), «Hat», *Sabanci Koleksiyonu*, Istanbul, Akbank, 1995, p. 12-179.

DÉROCHE (François), «Coran, couleur et calligraphie», *I primi sessanta anni di scuola. Studi dedicati dagli i amici a S. Noja Noseda nello 65º compleanno, 7 luglio 1996*, Lesa, [2004], pp. 131-154.

WITKAM (Jan Just), *EI*[2] VI, p. 1024, *s.v.* «midad».

ZERDOUN (Monique), *Les encres noires au Moyen-Age*, Paris, CNRS, 1983.

المصادر الأدبية ومناهج التّحليل العلمية

ابنُ باديس : «عُمْدَةُ الكُتّاب وعُدّة ذوي الألْباب»، تحقيق عبد السَّتَّار الحَلْوَجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ٤٣-١٧٢.

«رِسَالَة في صِناعَة الحِبْر»، تحقيق علي زوين، بغداد - مطبعة الإرشاد ١٩٨٦.

إبراهيم شبوح : «مَصْدَران جَديدان عن صِناعة المَخْطُوط : حَوْل فُنُون تركيب المداد»، في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعْتبارات المادّة والبَشَر، لندن - مُؤَسَّسَة الفُرْقان للتُّراث الإسلامي، ١٩٩٧، ١٥-٣٤.

AL-MARRAKUSHI, Muhammad b. Maymûn, «Kitâb al-azhâr fî 'amal al-ahbâr (al-qarn al-sâbi' al-hijrî)» introduced by I. Shabbûh, *Zeitschrift für Geschichte der arabisch-islamischen Wissenschaften* 14 (2001), p. 41-133 (facsimile).

CANART (Paul) *et al.*, «Recherches sur la composition des encres utilisées dans les manuscrits grecs et latins de l'Italie méridionale au XIe siècle», in M. Maniaci and P. F. Munafo eds., *Ancient and Medieval book materials and techniques*, t. II, Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993, p. 29-56.

DELANGE (Elisabeth) *et al.*, «Apparition de l'encre métallogallique en Egypte à partir de la collection de papyrus du Louvre», *Revue d'égyptologie* 41 (1990), p. 213-217.

FITZ HUGH (Elisabeth West), «Appendix 9, Study of pigments on selected paintings from the Vever collection», in G. Lowry and M.C Beach, *An annotated and illustrated checklist of the Vever Collection*, Washington, Smithsonian Institution, 1988, p. 425-432.

GUINEAU (Bernard), DULIN (Laurent), VEZIN (Jean) and GOUSSET (Marie-Thérèse), «Analyse, à l'aide de méthodes spectrophotométriques, des couleurs de deux manuscrits du XVe siècle enluminés par Francesco Antonio del Chierico», in M.Maniaci and P. F. Munafo eds., *Ancient and Medieval book materials and techniques* 2, Vatican, Biblioteca Apostolica Vaticana, 1993, p. 121-155.

ISACCO (Enrico) and DARRAH (Joséphine), «The ultraviolet-infrared method of analysis, A scientific approach to the study of Indian miniatures», *Artibus Asiæ* 53, 3/4 (1993), p. 470-491.

LEVEY (Martin), *Mediæval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*, Philadelphia, 1962 [Transactions of the American philosophical society, New series, vol. 52, part 4].

PORTER (Yves), *Painters, paintings, and books : an essay on Indo-Persian technical littérature, 12th-19th centuries*, New Dehli, 1994 (transl. of *Peinture et Arts du Livre. Essai sur la littérature technique indo-persane*, Paris-Téhéran, 1992).

Les techniques de laboratoire dans l'étude des manuscrits, Paris, 13-15, septembre 1972, Paris, Editions du CNRS, 1974 [Colloques internationaux du CNRS, nº 548].

التَّسْطير وإخْراج الصفحة

بولوسين (ڤاليري) : «صَحيفَةُ المَخْطُوط العربي كموضوع للبحث والوَصْف»، المخطوط العربي وعِلْم المَخْطُوطات، تنسيق أحمد شوقي بنبين، الرباط ١٩٩٤، ٥٧-٦٠.

ADLE (Chahryar), «Recherche sur le module et le tracé correcteur dans la miniature orientale, I. La mise en évidenceà partir d'un exemple», *Le monde iranien et l'islam* 3 (1975), p. 81-105.

BOTHMER (Hans - Caspar von), «Ein seltenes Beispiel für die ornamentale Verwendung der Schrift in frühen Koranhandschriften : die Fragmentgruppe Inv. Nr. 17-15.3 im 'Haus der Handschriften' in Sanaa», in H. - W. Stork, C. Gerhardt and A. Thomas eds., *Ars et Ecclesia. Festschrift für Franz J. Ronig zum 60. Geburtstag*, Trier, Paulinus-Verlag, 1989, p. 45-67.

DÉROCHE (François), «Coran, couleur et calligraphie» , *I primi sessanta anni di scuola. Studi dedicati dagli i amici a S. Noja Noseda nello 65º compleanno, 7 luglio 1996*, Lesa, [2004], p. 131-154.

DÉROCHE (François), «The Ottoman roots of a Tunisian calligrapher's 'tour de force'», in Z.Y. Yaman ed., *Sanatta etkilesim/Interactions in art*, Ankara, Türkiye Is Bankasi, 2000, p. 106-109.

SAUVAN (Yvette), «Un traité à l'usage des scribes à l'époque nasride», *Mss du MO*, p. 49-50.

Scripts, page settings and bindings of Middle-Eastern manuscripts, Papers of the third international Conference on codicology and paleography of Middle-Eastern manuscripts (Bologna, 4-6 October 2000), F. Déroche and F. Richard eds. = *Manuscripta Orientalia* 9, 3 and 4 (2003) and 10, 1 (2004).

VERNAY-NOURI (Annie), «Marges, gloses et décor dans une série de manuscrits arabo-islamiques», *REMMM* 99-100 (2002), p. 117-131.

WITKAM (Jan Just), «Twenty-nine rules for Qur'an copying : a set of rules for the layout of a nineteenth-century Ottoman Qur'an manuscript», *Journal of Turkish Studies* 26/II (2002), p. 339-348.

الحِرَفيّون وصِناعَة الكِتاب

مُسْتَقيم زادة : تُحْفَةُ الخَطّاطين ، تحقيق محمود كمال إينال ، إستانبول ـ مطبعة الدَّوْلَة ١٩٢٨.

محمد المَنُّوني : تاريخ الوِراقَة المغربية . صِناعَة المَخْطُوط العربي من العَصْر الوسيط إلى الفترة المُعاصِرَة ، الرباط ـ جامعة محمد الخامس ١٩٩١.

حَبيب زَيّات : الوِرَاقَةُ وصِناعَةُ الكتاب ومُعْجَمُ الشُّفن ، بيروت ـ دار الحمراء ١٩٩٢.

DÉROCHE (François), «Copier des manuscrits : remarques sur le travail du copiste», *REMMM* 99-100 (2002), p.133-144.

DÉROCHE (François), «Maîtres et disciples : la transmission de la culture calligraphique dans le monde ottoman», *REMMM* 75-76 (1995), p. 81-90.

DOBRACA (K.), «Scriptorij u Foci u XVI stoljecu», *Anali Gazi Husrev-Begove Biblioteke* 1 (1972), p. 67-74 (English abstract p. 74).

FISCHER (Carol G.), EI^{2} art. *nakkashkhana*, VII, p. 931-932.

GACEK (Adam), «Technical practices and recommendations recorded by classical and post-classical Arabic scholars concerning the copying and correctionof manuscripts», *Mss du MO*, p. 51-60.

HUART (Clément), *Les calligraphes et miniaturistes de l'Orient musulman*, Paris, E. Leroux, 1908 ; reprint Osnabrück, Otto Zeller Verlag, 1972.

PIEMONTESE (Angelo Michele), «Devises et vers traditionnels des copistes entre explicit et colophon des manuscrits persans», *Mss du MO*, p. 77-87.

QADI AHMAD, *Calligraphers and painters. A treatise by Qadi Ahmad, son of Mir-Munshi (circa A.H. 1015/A.D. 1606)*, transl. by V. Minorsky, Washington, Smithsonian Institution, 1959.

QUIRING-ZOCHE (Rosemarie), «A manuscript copied in team-worki», in F. Déroche and F. Richard eds., *Scripts, page settings and bindings ... = Manuscripta Orientalia* 9, 4 (2003), p. 65-72.

ROSENTHAL (Franz), *The technique and approach of Muslim scholarship*, Rome, Pontificium Institutum Biblicum, 1947 [Analecta orientalia, 24].

SADAN (Joseph), «Nouveaux documents sur scribes et copistes», *REI* 45 (1977), p. 41-56.

TABRIZI (Mohammad Ali Karimzadeh), *Ijazat nameh. Icâzet name. The most unique and precious source on Ottoman calligraphy*, London, 1999.

TANINDI (Zeren), «Manuscript production in the Ottoman Palace workshop», *MME* 5 (1990-1991), p. 67-98.

WEISWEILER (Max), «Arabische Schreiberverse», in R. Paret ed., *Orientalistische Studien E. Littmann zu seinem 60. Geburtstag ... überreicht*, Leiden, E. J. Brill, 1935, p. 101-120.

YAZIR (Mahmud B.), *Medeniyet âleminde yazi ve islâm medeniyetinde kalem güzeli*, 2nd ed. Ankara, Diyanet Ibleri Baskanligi Yayinlari, 1981.

الخُطوط

ألبومات تَطَوُّر الخَطّ

صَلاحُ الدِّين المُنَجِّد : الكِتاب العَرَبي المَخْطُوط حتى نهاية القرن العاشر الهجري ، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٦٠.

ARBERRY (Arthur John), *Specimens of Arabic and Persian pal?ography*, London, India Office, 1939.

FIMMOD.

LEWIS (Agnes Smith) and GIBSON (Margaret Dunlop), *Forty-one facsimiles of dated Christian Arabic manuscripts, with text and English translation. With introductory observations on Arabic calligraphy by the Rev. D.S. Margoliouth*, Cambridge, The University Press, 1907 [Studia Sinaitica, 12].

B. MORITZ, *Ar. Pal.*

TISSERANT (Eugène), *Specimina codicum orientalium*, Bonn, A. Marcus and E. Weber, 1914.

VAJDA (Georges), *Album de paléographie arabe*, Paris, Klincksieck, 1958.

WITKAM (Jan Just), *Seven specimens of Arabic manuscripts preserved in the Library of the University of Leiden*, Leiden, E. J. Brill, 1978.

WRIGHT (William), *Facsimiles of manuscripts and inscriptions (Oriental series)*, London, The Palaeographical Society, 1875 - 1883.

دراسات

صَلاحُ الدِّين المُنَجِّد : دراساتٌ في تاريخ الخَطّ العَرَبي منذ بدايته إلى نهاية العَصْر الأُمَوي ، بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٧١.

ABBOTT (Nabia), «Arabic paleography», *Ars Islamica* 8 (1941), p. 67-104.

ABBOTT (Nabia), «The contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic script», *American Journal of Semitic languages and literatures* 56 (1939), p. 70-83.

ABBOTT (Nabia), *The rise of the North Arabic script and its kur'anic development. With a full description of the Kur'an manuscripts in the Oriental Institute*, Chicago, The University of Chicago Press, 1939 [The University of Chicago Oriental Institute publications, 50].

BIVAR (A. D. H.), «The Arabic calligraphy of West Africa», *African Language Review* 7, 1968, p. 3-15.

CODERA (Francisco), «Paleografia arabe : dificultades que ofrece ; su estado ; medios de desarollo», *Boletin de la Real Academia de la Historia* 33 (1898), p. 297-306.

DE LA PERRIÈRE (Éloïse Brac), *«Calligraphies arabe et persane manuscrites en Inde pré-moghole»*, *SI* 96 (2003), pp. 81-94.

F. DÉROCHE, *Abbasid tradition.*

F. DÉROCHE, *Cat.* I/1.

DÉROCHE (François), «A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens», *Mss du MO*, p. 101-111.

DÉROCHE (François), «Les études de paléographie des écritures livresques arabes : quelques observations», *al-Qantara* 19 (1998), p. 365-381.

DÉROCHE (François), «New evidence about Umayyad book hands», *Essays in honour of Salah al-Din al-Munajjid*, London, al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1423/2002, p. 611-642.

DÉROCHE (François), «The Qur'an of Amafur», *MME* 5 (1990-1991), p. 59-66.

DÉROCHE (François) and NOJA NOSEDA (Sergio), *Le manuscrit Arabe 328 (a) de la Bibliothèque nationale de France*, Lesa, Fondazione Ferni Noja Noseda, 1998 [Sources de la transmission manuscrite du texte coranique, I. Les manuscrits de style higazi : vol. 1].

ENDRESS (Gerhard), «Die arabische Schrift», *GAP* 1, p. 165-197.

GACEK (Adam), «Arabic scripts and their characteristics as seen through the eyes of Mamluk authors», *MME* 4 (1989), p. 144-149.

GACEK (Adam), «The head-serif (*tarwis*) and the typology of Arabic scripts: preliminary observations», in F. Déroche and F. Richard eds., *Scripts, page settings and bindings... = Manuscripta Orientalia* 9, 3 (2003), p. 27-33.

GACEK (Adam), «Al-Nuwayri's classification of Arabic scripts», *MME* 2 (1987), p. 126-130.

GRABAR (Oleg) & NATIF (Mika), *«The Story of Portraits of the Prophet Muhammed»*, *SI* 96 (2003), pp. 19-38.

HOUDAS (Octave), «Essai sur l'écriture maghrébine», *Nouveaux mélanges orientaux*, Paris, 1886, p. 85-112.

HUART (Clément), *Les calligraphes et miniaturistes de l'Orient musulman*, Paris, E. Leroux, 1908 ; rep. Osnabrück, Otto Zeller Verlag, 1972.

PORTER (Yves), *«La réglure (master): de la «formule d'atelier» aux jeux de l'esprit»*, *SI* 96 (2003), pp. 55-74.

RICHARD (Francis), «Autour de la naissance du *nasta'liq* en Perse : les écritures de chancellerie et le foisonnement des styles durant les années 1350-1400», in F. Déroche and F. Richard eds., *Scripts, page settings and bindings ... = Manuscripta Orientalia* 9, 3 (2003), pp. 8-15.

RICHARD (Francis), *«Chancellerie et naissance de nouvelles écritures: la calligraphie persane»*, *SI* 96 (2003), pp. 75-80

RICHARD (Francis), «Divani ou ta'liq : un calligraphe au service de Mehmet II, Sayyidi Muhammad Monsi», *Mss du MO*, p. 89-93.

ROSENTHAL (Franz), «Abu Haiyân al-Tawhidi on penmanship», *Ars islamica* 13-14 (1948), p. 1-30.

ROXBURGH (David J.), *«On The Transmission and Reconstruction of Arabic Calligraphy: Ibn al-Bawwâb and History»*, *SI* 96)2003), pp. 39-54.

SAFADI (Yasin Hamid), *Islamic calligraphy*, London, Thames and Hudson, 1978.

SCHIMMEL (Annemarie), DÉROCHE (François) and THACKSTON (Wheeler M.), *The dictionary of art*, ed. J. Turner, vol. 16, p. 273-288, *s.v.* «Islamic art, III, 2. Calligraphy».

SCHROEDER (Eric), «What was the badi' script ?», *Ars Islamica* 4 (1937), p. 232-248.

Scripts, page settings and bindings of Middle-Eastern manuscripts, Papers of the third international Conference on codicology and paleography of Middle-Eastern manuscripts (Bologna, 4-6 October 2000), F. Déroche and F. Richard eds. = *Manuscripta Orientalia* 9, 3 and 4 (2003) and 10, 1 (2004).

TOUATI (Houari), *«La calligraphie islamique entre écriture et peinture»*, *SI* 96 (2003), pp. 5-18.

ULKER (Muamer), *Baslangiçtan günümüze Türk hat sanati*, Ankara, Türkiye Is Bankasi Kültür Yayinlari, 1987.

WHELAN (Estelle), «Writing the word of God I», *Ars Orientalis* 20 (1990), p. 113-147.

WRIGHT, «The Calligraphers of Shîrâz and the Development of *nasta'liq* script», *Manuscripta Orientalia* 9/9 (2003), pp. 16-26.

التَّزْوِيق

تُوجد قوائم بيليوجرافية أكثر تفصيلا ، وكبداية يمكننا مراجعة K. A. C. CRESWELL, *A bibliography of the architecture, arts and crafts of Islam to the 1st Jan. 1960*, Cairo, The American University at Cairo Press, 1961، وكذلك ذيوله ؛ وللمؤلّف نفسه *A bibliography of the architecture, arts and crafts of Islam. Supplement Jan. 1960 to Jan. 1972*, Cairo, The American University at Cairo Press, 1973; Pearson (J. D.), assisted by M. Meinecke and G. T. Scanlon, *A bibliography of the architecture, arts and crafts of Islam by Sir K. A. C. Creswell, Second supplement jan. 1972 to December 1980 (with omissions of previous years)*, Cairo, The American University at Cairo Press, 1984. والمداخل تحت عنوان «كتالوجات المعارض» يمكن أن تعين كذلك كمقدمة أولية لهذا الموضوع .

إبراهيم شَبُّوح : المخطوط .

مايل هروي (نجيب) : كتاب آرائي در تمدن إسلامي . مجموع رسائل در زمينه خوشنويسي مركب سازي كاغذكاري تذهيب وتجليد به انضمام فرهانك وازكان نظام كتاب آرائي ، مشهد آستاني قدس ١٣٧٢/١٩٩٣.

AKIMUSHKIN (Oleg F.) and IVANOV (Anatol A.), «The art of illumination», in B. Gray ed., *The art of the book in Central Asia*, Paris - London, Serindia - UNESCO 1979, p. 35-57.

ARBERRY (Arthur John), *The Koran illuminated. A handlist of Korans in the Chester Beatty Library*, Dublin, Hodges, Figgis and Co, 1967.

BEHZAD (H. Taherzadeh), «The preparation of the miniaturist's materials», *SPA*, vol. 3, p. 1921-27.

BAER (Eva), *Islamic ornament*, Edinburgh, Edinburgh University Press, 1998.

BAYANI (Manijeh), CONTADINI (Anna) and STANLEY (Tim), *The decorated word: Qur'ans of the 17th to 19th centuries*, London, Azimuth editions, 1999 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 4/1].

BLAIR (Sheila), *The dictionary of art*, ed. J. Turner, vol. 16, p. 293-351, *s.v.* «Islamic art, III, 4. Painted book illustration».

BLAIR (Sheila), «Color and gold: The decorated papers used in manuscripts in later Islamic times», *Muqarnas* 17 (2000), p. 24-36.

BOTHMER (Hans - Caspar von), «Architekturbilder im Koran, Eine Prachthandschrift der Umayyadenzeit aus dem Yemen», *Pantheon* 45 (1987), p. 4-20.

BOTHMER (Hans - Caspar von), «Frühislamische Koran-Illuminationen», *Kunst und Antiquitäten* 1 (1986), p. 22-33.

CRITCHLOW (Keith), *Islamic patterns : an analytical and cosmological approach*, London, Thames and Hudson, 1976; reprint 1989.

DÉROCHE (François) and SIMPSON (Marianna S.), *The dictionary of art*, ed. J. Turner, vol. 16, p. 288-293, *s.v.* «Islamic art, III, 3. Painted decoration».

DUDA (Dorothea), *Isl. Hss.* 1 and 2.

ERSOY (Ayla), *Türk tezhip sanati*, Istanbul, Akbank, 1988.

ETTINGHAUSEN (Richard), «Manuscript illumination», *SPA*, vol. 3, p. 1937-74.

GRABAR (Oleg), *The mediation of ornament*, Princeton, Princeton University Press, 1992.

KÜHNEL (Ernst), *The arabesque. Meaning and transformation of an ornament*, transl. by R. Ettinghausen. Graz, Verlag für Sammler, s.d.

JAMES (David), *After Timur. Qur'ans of the 15th and 16th centuries*, London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 3].

JAMES (David), *Master scribes. Qur'ans from the 11th to the 14th centuries*, London, Azimuth editions, 1992 [The Nasser D. Khalili collection of Islamic art, 2].

JAMES (David), *Qur'âns of the Mamlûks*, London, Alexandria Press, in association with Thames and Hudson, 1988.

D. JAMES, *Q. and B.*

JOHNSTON (Edward), *Writing & Illuminating & Lettering*, 5th ed., London, John Hogg, 1913.

KAZIEV (A. Iu.), *Khudojestvenno-tekhnicheskie materialy i terminologiia srednevkovoï knijnoï jivopisi, kalligrafii i perepletnogo iskusstva*, Baku, Izdat, Akademi Nauk Azerb. SSR, 1966.

LINGS (Martin), *The Qur'anic art of calligraphy and illumination*, London, World of Islam Festival Trust, 1976.

M. LINGS and Y. H. SAFADI, LONDON 1976.

B. MORITZ, *Ar. Pal.*

PORTER (Yves), *Painters, paintings, and books : an essay on Indo-Persian technical littérature, 12th-19th centuries*, New Dehli, 1994 (transl. of *Peinture et Arts du Livre. Essai sur la littérature technique indo-persane*, Paris-Tehran, 1992).

QADI AHMAD, *Calligraphers and painters. A treatise by Qadi Ahmad, son of Mir-Munshi (circa A.H. 1015/A.D. 1606)*, transl. by V. Minorsky, Washington, Smithsonian Institution, 1959.

F. RICHARD, PARIS 1997.

ROBINSON (Basil) *et al.*, *Islamic painting and the arts of the book*, London, Faber and Faber ltd, 1976.

ROGERS (J. Michael), *Islamic art and design, 1500-1700*, London, British Museum, 1983.

el-SAID (Issam) and PARMAN (Ayse), *Geometrical concepts in Islamic art*, London, World of Islam Festival publishing company, 1976.

Tezhib sanatinda tig, Ankara, Milli Kütuphane, 1991.
WALEY (Muhammad Isa), «Illumination and its functions in Islamic manuscripts», *Scribes*, p. 88-112.
WOLFE (Richard J.), *Marbled paper: its history, techniques and patterns, with special reference to the relationship of marbling to bookbinding in Europe and the Western world*, Philadelphia, 1990.
WRIGHT (Elaine), «An Indian Qur'an and its 14th-century model», *Oriental art* (Winter 1996/1997), p. 8-12.

التّجـــليد

تمامًا مثل التَّزْويق تُسَجِّل القوائم البيليوجرافية المُتَخَصِّصَة النَّشَرات المُتَعَلِّقة بالتَّجْليد ، مثل حالة كتاب K. A. C. CRESWELL (انظر فيما تقدم) . ويمكن للقارئ أن يُمَدِّد ملاحظاته بمراجعة كتاب SZIRMAI (Jan A.), *The archeology of Medieval bookbinding*, Aldershot, Ashgate, 1999 مَدْخَل عام لتاريخ التَّجْليد الوسيط يَتَضَمَّن فَصْلًا أَوَّلِيًّا عن تراث البحر المُتَوَسِّط *The Mediterranean heritage*', p. 3-94) تنولَت النَّماذَج العربية الإسلامية إلى جانب التَّجاليد القِبْطية والإثيوبية والبيزنطية .

أفشار (إيرج) : صَحّافيي سُنّتي ، طهران ـ كتبخانة مركزي ومركز دنشكاه ، طهران ١٣٥٧/ ١٩٧٨.
بَكْر بن إبراهيم الإشْبيلي : «كِتابُ التَّيْسير في صِناعَة التَّسْفير» ، نَشَرَه عبد الله كنون ، صحيفة معهد الدِّراسات الإسلامية في مدريد ٧ـ٨ (١٩٥٩)، ١ـ ٤٢.
الرّماح (مراد) : «تسافير مكتبة القَيْرَوان العتيقة» ، دراسات ١٣٥ـ ١٥٠.
القصيري (اعتماد يوسف) : فَنُّ التَّجْليد عند المسلمين ، بغداد ـ المؤسسة العامة للآثار والتراث ١٩٧٩.
المَهْدي (سهام محمد) : «خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي» ، دراسات ٧٧ـ ٩١.
ARNOLD (Thomas Walker) and GROHMANN (Adolf), *The Islamic book*, [Leipzig, August Priess], 1929.
ASLANAPA (Oktay), «The art of bookbinding», in B. Gray ed., *The art of the book in Central Asia*, Paris - London, Serindia - UNESCO 1979, p. 59-91.
BROCKETT (Adrian), «Aspects of the physical transmission of the Qur'an in 19thcentury Sudan, script, decoration, binding and paper», *MME* 2 (1987), p. 45-67.
CHABROV (G.N.), «On the study of Central Asian book-binding», *Manuscripta Orientalia* 6, 4 (2000), pp. 60-66.
CHICAGO 1981.
F. DÉROCHE, *Cat.* I/2.
DÉROCHE (François), «Quelques reliures médiévales de provenance damascaine», in L. Kalus ed., *Mélanges D. Sourdel*, *REI* 54 (1986) p. 85-99.
DÉROCHE (François), «Une reliure du Ve/XIe siècle», *NMMO* IV/1 (1995), p. 2-8.
DÉROCHE (François) and VON GLADISS (Almut), *Buchkunst zur Ehre Allâhs. Der Prachtkoran im Museum für Islamische Kunst*, Berlin, Museum für Islamische Kunst, 1999 [Veröffentlichungen des Museums für Islamische Kunst, 3].
DREIBHOLZ (Ursula), «Some aspects of early Islamic bookbindings from the Great Mosque of Sana'a, Yemen», *Scribes*, p. 16-34.
DREIBHOLZ (Ursula), «Unusual and not-so-usual decorations on Yemeni bindings», in F. Déroche and F. Richard eds., *Scripts, page settings and bindings* ... = *Manuscripta Orientalia* 9, 4 (2003), p. 37-44.
ETTINGHAUSEN (Richard), «The covers of the Morgan *Manâfi* manuscript and other early Persian bookbindings», in D. Miner ed., *Studies in art and literature for Belle da Costa Greene*, Princeton, N. J., Princeton University Press, 1954, p. 459-478.
GACEK (Adam), «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbili in his *Kitab al-taysir fi ?ina'at al-tasfir*», *MME* 5 (1990- 1991), p. 106- 113.
D. HALDANE, *Bookbindings.*
D. JAMES, *Q. and B.*

KHALILI (Nasser D.), ROBINSON (Basil W.) and STANLEY (Tim), *Lacquer of the Islamic lands*, Part one, London, Azimuth editions, 1996 [The Nasser D. Kalili collection of Islamic art, 22].
G. MARCAIS and L. POINSSOT, *Objets.*
ÖZGEN (Mine), «Klasik cilt sanatimizin özellikleri/Features of the classical bookbinding art», *Antika* 25 (1987), p. 4-10.
PLOMP (M.), «Traditional bookbindings from Indonesia», *Bijdragen tot de taal-land- en volkenkunde* 149 (1993), pp. 571-592.
RABY (Julian) and TANINDI (Zeren), *Turkish bookbinding in the 15thcentury. The foundation of an Ottoman court style*, London, Azimuth editions, 1993.
RICARD (Prosper), «Reliures marocaines du XIIIe siècle, Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohades», *Hespéris* 17 (1933), p. 109-127.
ROBINSON (Basil W.), *The dictionary of art*, vol. 16, pp. 533-535, *s. v.* 'Islamic art, VIII, 10. Lacquer'.
ROBINSON (James M.), *The facsimile edition of the Nag Hammadi codices... Introduction* : «6. The covers», Leiden, E. J. Brill, 1984, p.71-86.
SAKISIAN (Arménag), «La reliure persane au XVe siècle sous les Timourides», *Revue de l'art ancien et moderne* 66 (1934), p. 145-168.
SAKISIAN (Arménag), «La reliure persane du XVe au XVIIe siècle», *Actes du congrès d'histoire de l'art, Paris : 26 sept.-5 oct. 1921* I, Paris, 1923, p. 343-348.
SAKISIAN (Arménag), «La reliure turque du XVe au XIXe siècle», *La revue de l'art ancien et moderne* 51 (1927), p. 278-284 ; 52 (1927), p. 141-154, 286-298.
SARRE (Friedrich), *Islamische Bucheinbände*, Berlin, Scarabaeus Verlag, 1923.
Scripts, page settings and bindings of Middle-Eastern manuscripts, Papers of the third international Conference on codicology and paleography of Middle-Eastern manuscripts (Bologna, 4-6 October 2000), F. Déroche and F. Richard eds. = *Manuscripta Orientalia* 9, 3 and 4 (2003) and 10, 1 (2004).
al-SUFYANI (Ahmad b. Muhammad abu al-'Abbas), *L'art de la reliure et de la dorure*, texte arabe accompagné d'un index de termes techniques par P. Ricard, 2nd ed., Paris, P. Geuthner, 1925.
Les tranchefiles brodées, Etude historique et technique, Paris, Bibliothèque nationale, 1989.
VAN REGEMORTER (Berthe), «La reliure des manuscrits gnostiques découverts à Nag Hammadi», *Scriptorium* 14 (1960), p. 225-234.
VAN REGEMORTER (Berthe), *Some Oriental bookbindings in the Chester Beatty Library*, Dublin, Hodges, Figgis, 1961.
M. WEISWEILER, *Bucheinband.*

تاريخ المخطوطات

أفشار (إيرج) وم. مينوفي : وقف نامه ربيعي رشيدي ، طهران ١٣٥٦/١٩٧٨.
ريتشارد (فرنسيس) : «مهر كتبخانه رشيد الدين» ، أيندا ٦/٨ (١٩٨٢) ، ٣٤٣- ٣٤٦.
إبراهيم شَبُّوح : «سِجِلٌّ قديم لمكتبة جَامِع القَيْرَوان» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦)، ٣٣٩ـ ٣٧٢.
أيمن فؤاد سيد : «السَّماعُ والقِراءَة والمُناوَلَة وقُيودُ المُقابَلَة والمُعارَضَة» ، فن فهرسة المخطوطات ـ مدخل وقضايا ، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٩٩، ٧٣ـ ١٠١.
أيمن فؤاد سيد : «علاماتُ التَّمَلُّك على المخطوطات وإعادة بناء مجموعات المخطوطات العربية القديمة» ؛ تراثيات ١ (يناير ٢٠٠٣) ، ١٠٧ـ ١٣١.
صَلاحُ الدِّين المُنَجِّد : «إجازاتُ السَّماعِ في المَخْطُوطات القديمة» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١/ ٢ (١٩٥٥) ، ٢٣٢ـ ٢٥١.
فؤاد سَيِّد : «نَصّان قديمان في إعارَة الكُتُب» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤/ ١ (١٩٥٨) ، ١٢٥ـ ١٢٩.
ليدر (ستيفن) ، السَّوّاس (ياسين محمد) ، الصّاغَرْجي

(مأمون) : معجم السَّماعات الدمشقية المنتخبة من سنة ٥٥٠ إلى ٧٥٠هـ/١١٥٥م إلى ١٣٤٩م *Les certificats d'audition à Damas*, 550-750h/ 1155-1349، دمشق ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٩٦.

المشوخي (عايد بن سليمان) : أنماط التَّوْثيق في المخْطُوط العربي في القرن التاسع الهجري ، الرياض ـ مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

ABDOLLAHY (R.), *Encyclopedia Iranica*, vol. 4, p. 668-674, *s.v.* «Calendars ii. Islamic period».

ALLAN (J.) and SOURDEL (D.), *EI*[2], vol. 4, p.1102-1105, *s.v.* «khatam, khatim».

DE BLOIS (F.C.) and B. VAN DALEN, *EI*[2], vol. 10, p. 276-283, *s.v.* «ta'rikh».

CATTENOZ (Henri-Georges), *Tables de concordance des ères chrétiennes et hégiriennes*, 2nd ed. Casablanca, Editions techniques nord- africaines, 1954.

COLIN (Georges-S.), *EI*[2], vol. 3, p. 484, *s.v.* «hisab al-djummal».

DENY (J.) and NIZAMI (K.A.), *EI*[2], vol. 7, p. 472-473, *s.v.* «muhr».

DÉROCHE (François), «Les manuscrits arabes datés du IIIe/ IXe siècle», *REI* 55-57 (1987-1989), p. 343- 379.

DIETRICH (Albert), «Zur Datierung durch Brüche in arabischen Handschriften», *Nachrichten der Akademie der Wissenschaften in Göttingen*, Bd. 1, Phil. - hist. Klasse, N. 2, 1961, p. 27-33.

FREEMAN-GRENVILLE (G.S.P.), *The Islamic and Christian calendars, AD 622-2222 (AH 1-1650): a complete guide for converting Christian and Islamic dates and dates of festivals*, Reading, 1995.

FU'ÂD SAYYID (Ayman), «Les marques de possessions sur les manuscrits et la reconstitution des anciens fonds de manuscrits arabes», *Manuscripta Orientalia* 914 (2003), pp. 14-23.

GROHMANN (Adolf), *Arabische Chronologie*, Leiden/Cologne, E. J. Brill, 1966 [Handbuch der Orientalistik, I. Abteilung, Ergänzungsbd II, 1. Halbbd.].

GRUMEL (Venance), *La chronologie. Traité d'études byzantines* 1, P. Lemerle ed., Paris, PUF, 1958.

HAIG (Wolseley), *Comparative tables of Muhammedan and Christian dates enabling one to find the exact equivalent of any day in any month from the beginning of the Muhammadan era*, London, Luzac, 1932.

IFRAH (Georges), *Histoire universelle des chiffres. L'intelligence des hommes racontées par les nombres et le calcul*, 2nded. Paris, R. Laffont, 1994.

LABARTA (Anna) and BARCELO (Carmen), *Numéros, y cifras en los documentos arabigohispanos*, Cordoba, Universidad de Cordoba, 1988.

LEMAY (Richard), *Dictionary of the Middle Ages* 1 (1982), p. 382-398, *s.v.* «Arabic numerals».

LITTMANN (Enno), «Uber die Ehrennamen und Neubenennungen der islamischen Monate», *Der Islam* 8 (1918), p. 228-236.

de MAS-LATRIE (Louis), *Trésor de chronologie, d'histoire et de géographie pour l'étude et l'emploi des documents du Moyen Age*, Paris, Victor Palmé, 1889.

ÖZBILGEN (Erol), «Osmanli kültüründe mühür ve mühürcülük/Seals and the art of seals in Ottoman culture», *Antika* 31 (1987), p. 6-28.

RITTER (Helmut), «Philologika XII. Datierung durch Brüche», *Oriens* 1 (1948), p. 237-247.

R. SELLHEIM, *Materialen*.

SESEN (Ramazan), «Esquisse d'une histoire du développement des colophons dans les manuscrits musulmans», *Scribes*, p. 190-221.

SEYLLER (John), «The Inspection and Valuation of Manuscripts in the Imperial Mughul Library», *Artibus Asiæ*, 57 (1997), p. 243-349.

SPULER (Bertold), *Wüstenfeld-Mahler'sche Vergleichungs-Tabellen zur muslimischen und iranischen Zeitrechnung. Mit Tafeln zur Umrechnung Orient-christlicher Ären*, Wiesbaden, Franz Steiner Verlag, 1961.

TROUPEAU (Gérard), «Les colophons des manuscrits arabes chrétiens», *Scribes*, p. 224-231.

VAJDA (Georges), *Les certificats de lecture et d'audition dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris*, Paris, Editions du CNRS, 1957.

WASSERSTEIN (David), «The library of al-Hakam II al-Mustansir and the culture of Islamic Spain», *MME* 5 (1990-91), p. 99-105.

YAQIT (Ismail), *Türk-islâm kültüründe ebced hesabi ve tarih düsürme*, Istanbul, 1992.

تاريخ المجموعات

أحمد شوقي بنبين : تاريخ خزائن الكتب بالمغرب ، ترجمة مصطفى طوبي ، الرباط ـ الخزانة الحسينية ٢٠٠٣م .

أيمن فؤاد سيد : «خِزَانَةُ كُتُبِ الفاطميين هل بقي منها شيء؟» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١/٤٢ (١٩٩٨) ، ٧ـ ٣٢.

أيمن فؤاد سيد : «مصادر معرفة التراث العربي» ، مجلة المورد ١/٦ (١٩٧٧) ، ٧ـ ١٢.

بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربي والملحق .

المشوحي (عابد بن سليمان) : المخطوطات العربية : مشكلات وحلول ، الرياض ـ مكتبة الملك عبد العزيز ٢٠٠١.

AHLWARDT (Wilhelm), *Verzeichnis der arabischen Handschriften der k?niglichen Bibliothek zu Berlin*.

BERTHIER (Annie), «Contribution à l'histoire des fonds de manuscrits orientaux des bibliothèques européennes. Le fonds turc de la Bibliothèque nationale de Paris», *Mss du MO*, p. 17-22.

BERTHIER (Annie), «Le fonds turc du Département des Manuscrits», *Bulletin de la Bibliothèque Nationale* VI (juin 1981), p. 78-95.

BERTHIER (Annie), «Manuscrits orientaux et connaissance de l'Orient, éléments pour une enquête culturelle», *Moyen-Orient et Océan indien, XVI^e-XIX^e s.*, 2, 2 (1985), p. 79-108.

BILICI (Faruk), «Les bibliothèques vakif-s à Istanbul au XVI^e siècle, prémices de grandes bibliothèques publiques», *REMMM* 87-88 (1999), p. 39-59.

BINEBINE (Ahmad), *Histoire des bibliothèques au Maroc*, Rabat, Fac. des lettres et des sciences humaines, 1992 [Publications de la Faculté des lettres et des sciences humaines- Rabat, Thèses et mémoires, nº 17].

ECHE (Yusuf), *Les bibliothèques arabes publiques et semi-publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age*, Damascus, Institut français de Damas, 1967.

FU'ÂD SAYYID (Ayman), «Que reste-t-il de la bibliothèque des Fatimides?», *Des Alexandries II. Les métamorphoses du lecteur*, Paris-BnF 2003, P. 113-123.

HEFFENING (W.) and PEARSON (J.D.), *EI*[2] VI, p. 197-200, *s. v.* «maktaba».

HITZEL (Frédéric), «Manuscrits, livres et culture livresque à Istanbul», *REMMM* 87-88 (1999), p. 19-38.

JONES (Robert), «Piracy, war, and the acquisition of Arabic manuscripts in Renaissance Europe», *MME* 2, (1987), p. 96-110.

RIBERA Y TARRAGO (Julian), «Bibliofilos y bibliotecas en la Espana musulmana», *Disertaciones y opusculos*1, Madrid, Imprenta de Estanislao Maestre, 1928, p. 181-228.

SZUPPE (Maria), «Lettrés, patrons, libraires. L'apport des recueils biographiques sur le rôle du livre en Asie centrale aux XVIe et XVIIe siècles», *Patrimoine manuscrit et vie intellectuelle de l'Asie centrale islamique* (1999), p. 99-115 [*Cahiers d'Asie centrale*, 7].

VAHIDOV (Shadman) and ERKINOV (Aftan-

173 [*Cahiers d'Asie centrale*, 7].

WITKAM (Jan Just), «Lists of books in Arabic manuscripts», *MME* 5 (1990-1991), p. 123-136.

dil), «Le *fihrist* (catalogue) de la bibliothèque de Sadr-i Ziyâ' : une image de la vie intellectuelle dans le Mavarannahr (fin XIXe-début XXe siècles)», *Patrimoine manuscrit et vie intellectuelle de l'Asie centrale islamique* (1999), p. 141-

شَرْحُ رُسوم صفحات العَنَاوين

صفحة ٤٢: I. Mouradgea d'Ohsson, *Tableau général de l'Empire Othoman*, vol. I, Paris 1787، لوحة ٣٩: أشكال لكُتُب تركية عثمانية .

صفحة ٦٤: Auguste F. J. Herbin, *Développement des principes de la langue arabe moderne, suivi d'un recueil de phrases, de traductions interlinéaires, de proverbes arabes et d'un essai de calligraphie orientale*, Paris, floréal an XI-mai 1803، لوحة ١ .

صفحتا ٩٨ و ١٢٠: I. Mouradgea d'Ohsson, *op.cit.*, pl. 32: «كُتُبْخانة عبد الحميد الأوّل» .

صفحة ١٧٤: A. F. J. Herbin, *op.cit.*: لوحة ١ .

صفحة ٢٤٨: I. Mouradgea d'Ohsson, *op. cit.*، لوحة ٣٣: «كُتُبْخَانة الصَدْر الأعْظَم راغب باشا» .

صفحة ٢٨٤: نفســه، شكل ٤: «عُمَر» .

صفحة ٣١٢: نفســه، لوحة ٣٣: «كُتُبْخانة الصَّدْر الأعْظم راغِب باشا» .

صفحة ٣٤٢: نفســه لوحة ٣٩: «أشكال لكُتُب تركية عثمانية» .

صفحة ٣٨٢: نفســه، لوحة ٣٩: «أشكال لكُتُب تُرْكية عثمانية» .

صفحة ٤٥٨: نفســه، لوحة ٣٧: «مَقْصُورَة ضَريح مصطفى الثَّالِث» .

صفحة ٥٠٤: نفسه، شكل ٦: «علي» .

إهْدَاءَاتُ الصُّورِ الفُوتُوغْرافية

لقد تَمَّ إثْباتُ الصُّوَرِ الفُوتُوغْرافية بناءً على تَصْريحٍ كريمٍ من مَتْحَف الفُنُون التُّرْكية والإسلامية بإستانبول (شكل ٨، ٤٠)، ومن متحف طوبقبوسراي بإستانبول (شكل ٧٣)، ومن المكتبة السُّلَيْمانية بإستانبول (شكل ٧٤)، ومن المكتبة البريطانية بلندن (شكل ٨٨)، ومن الخِزَانَة العامَّة وأرْشيف الرِّباط (شكل ١٠٤) ومن سوسبي Sotheby's (شكل ١١)، وصَوَّرَ فرنسوا ديروش François Déroche الأقْلام (شكل ٣٤)، أمَّا صُوَرُ الأصْباغ (أشكال ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠) فهي لبرنارد جينو Bernard Guineau. بينما أنْجَزَ سَائِرَ الصُّوَر الفُوتُوغْرافية الأخرى قِسْمُ التَّصْوير بمكتبة فرنسا الوطنية .

وقامَ بعَمَلِ الرُّسُوم التَّوْضيحية فرنسوا ديروش F. R. باسْتِثْنَاء الأشْكال ١ و٢ و٤ التي أُخِذَت من كتالوج *L'Aventure des écritures. La page* (Paris BnF, 1999).

تعْريفات

تناوَلت الدِّراسةُ في أكثر من مَوْضِع، وعلى الأخَصِّ ما يَتَعلَّق بتَزْيين وزَخْرَفَة الكتاب المَخْطُوط بالحَرْفِ العربي، العَديدَ من المخْطُوطات التي أُنْتِجَت خارج العالم العربي في الأقاليم النَّاطِقَة بالفارسية والتركية في إيران وآسيا الوَسْطَى والهِنْد والأناضُول. وأشارَت خلال ذلك إلى العديد من الدُّوَل الإسلامية التي حكمت في هذه الأقاليم وكان لحكَّامها وأُمَرائها دَوْرٌ مهمٌّ في رعاية الفُنُون وتَطَوُّر صِناعَة الكتاب المَخْطُوط. لذلك وَجَدْتُ من المناسِب أن أُشيرَ إلى هذه الدُّوَل مُحَدِّدًا الفترة التي حكمت فيها والأراضي التي مَدَّت نُفُوذَها عليها.

الإيلْخانيُّون

أُسْرَةٌ مُغُولية حكمت فارِس في أعْقاب سُقُوطِ الخِلافَة الإسلامية في بَغْداد، وشَمِلَ نفوذُها المنطقة الواقعة بين نَهْري جَيْحُون في الشَّرْق والفُرات في الغرب والخليج الفارسي في الجنوب والقُوقاز في الشَّمال، وفَرَضَت سِيادَتها على بَغْداد والمَوْصِل كبرى المُدُن العبَّاسية (٦٥٦-٧٣٦هـ/١٢٥٨-١٣٣٦م). اتَّخَذَ حُكَّامُها في البداية لَقَب «إلخان» ليُشيروا إلى انْتِسابهم إلى الخان الأكبر في بكين، وظَلُّوا كذلك نحو أربعين عامًا عندما اعْتَنَقَ غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٤م) الإسلام وجَعَلَه الدِّين الرَّسْمي للدَّوْلَة. وقد أدَّى ذلك إلى بداية مرحلةٍ جديدةٍ في كِتابَة المُصْحَف صَاحَبَها ظُهورُ سلسلة من المصاحِف الضَّخْمَة تَمَيَّزت بحَجْمِها وشَكْلِها وفَخامَتِها، بحيث يمكن القَوْلُ بأنَّه لم يُماثلها في العِراق أيَّةُ مَصَاحِف كُتِبَت قبل هذا التَّأريخ، وتَزامَنَ ذلك مع وُجُود أسَاتِذة الخطِّ السِّتة تلاميذ ياقُوت المُسْتَعْصِمي، وهي المَصَاحِفُ التي أمَرَ بكتابتها القان أولجايْتو خَدَبَنْده (٧٠٣-٧١٧هـ/١٣٠٤-١٣١٧م) الذي شَيَّدَ ما يمكن اعتباره أحد أهَمِّ أمْثِلَة العمارة الإيرانية وواحد من أرْوَع المشاهِد في الإسْلام هو قُبَّته التي دُفِنَ فيها في عاصمتهم مَدينَة السُّلْطانية.

آقْ قُويُنْلو

تحالُفٌ لقبائِلَ تُرْكُمانية نَشَأ في أعْقاب الفترة المُغُولية في إقْليم ديار بكر سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، ويَشْمَل كذلك شَرْق الأناضُول وأذْرَبيجان واستمرَّ حتى نحو سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م.

الإينْجويُّون

أسْرَةٌ حاكمةٌ خَلَفَت الإيلخانيين في عَهْد القان أولْجايْتُو في حكم شيراز عاصمة إقليم فارس (٧٠٣-٧٥٨هـ/١٣٠٣-١٣٥٧م) أسَّسها شَرَفُ الدِّين محمود شاه.

الجَلائِريُّون

اسْمٌ لقَبيلَةٍ مُغُولية يُطْلَق على الأخَصِّ على أحد الأُسْرات الحاكمة التي اقتسمت أراضي الدَّوْلَة الإيلْخانية بعد سُقُوطها في العراق وكُردستان وأذْرَبيجان (٧٣٦-٨٣٥هـ/١٣٣٦-١٤٣٢م).

التَّيْمُوريُّون

أسْرَةٌ حاكمةٌ في إيران وآسيا الوسطى (ما وَرَاء النَّهْر) (٧٧١-٩١٣هـ/١٣٧٠-١٥٠٧م) أسَّسها الفاتح تَيْمُورلَنْك عاصمتها سَمَرْقَنْد. وفي عَهْدِها كانت هَرَاة أحَدَ أهمّ مراكز صِناعَة الكتاب المَخْطُوط بالحرف العربي هي وشيراز وسَمَرْقَنْد. ومن أهم رُعاة الفُنُون بها الأمير بايسُونجور بن شاه رُخ الذي وَصَلَت إلينا مَخْطُوطاتٌ كثيرةٌ أمر بكتابتها بين سنتي ٨٣٠-٨٣٧هـ/١٤٢٦-١٤٣٣م.

التُّرْكُمانيُّون

مُصْطَلَحٌ يجمع القبائِل التُّرْكية المُوَزَّعَة في منطقة كبيرة من الشَّرْق الأدْنى والأوْسَط وكذلك في آسيا الوُسْطَى منذ العَصْر الوَسيط وحتى العَصْر الحديث. واسْتَخْدَم المؤلِّفُون المسلمون هذا المُصْطَلَح للتَّدْليل على التَّحالُف القَبَلي للغُزّ الذين خَلَفُوا دَوْلَة السَّلاجِقَة واعْتَنَقوا الإسلام بحيث حَلَّ لَفْظُ التُّرْكُمان كُلّيًا مَحَل لَفْظ الغُزّ.

الصُّغْد

إقْليمٌ في آسيا الوُسْطَى فيما وَرَاء نهر أمو داريا Oxus كان يشمل في أقْصى اتِّساعه الأراضي التي تَشْغَلَها الآن جمهورياتُ أوزْبَكِسْتان وطجاكِسْتان وقِيرْقيزْيا.

المُغُل

أُسْرَةٌ هندية إسلامية حكمت الهِنْد في الفترة بين سنتي ٩٣٢-١٢٧٤هـ/١٥٢٦-١٨٥٨م. ومن أشهر حُكَّامها بابور (٩٣٢-٩٣٧هـ/١٥٢٦-١٥٣٠م)، وهُمايون (٩٣٧-٩٥٠هـ/١٥٣٠-١٥٤٣م)، وأكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٦٦-١٦٠٥م)، وجهانْكير (١٠١٤-١٠٣٧هـ/١٦٠٥-١٦٢٧م)، وشاه جَهَان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ/١٦٢٨-١٦٥٨م).

الصَّفَويُّون

أُسْرَةٌ حاكمةٌ حكمت إيران بين سنتي ٩٠٧-١١٣٥هـ/١٥٠١-١٧٢٢م، وحَوَّلَت أهْلَها إلى المَذْهَب الشِّيعي. وتَمَيَّزَ عَصْرُها بتغيُّرات مُهِمَّة فيما يخصّ فُنُون الكتاب والعمارة، وعلى الأخَصّ في عهد طَهْماسْب الأوَّل (٩٣٠-٩٨٤هـ/١٥٢٤-١٥٧٦م) والشَّاه عبَّاس الأوَّل (٩٩٥-١٠٣٧هـ/١٥٨٧-١٦٢٨م).

القاجاريُّون

عَشيرةٌ تُرْكُمانيةٌ كانت تَقْطُن أرْمينية، ونَجَحَ أحَدُ رؤسائها وهو فتحعلي (باباخان) في تأسيس أسْرَةٍ حاكمة حكمت إيران في الفترة بين سنتي ١١٩٣-١٣٤٣هـ/١٧٧٩-١٩٢٥م، وخَلَف هذه الأسْرَة بعد خَلْع آخر ملوكها، الشَّاه رضا خان بَهْلَوي الذي تنازل عن العَرْش لوَلَده محمد رضا سنة ١٩٤١ الذي خُلِعَ من منصبه سنة ١٩٧٩ بقيام الثورة الإسلامية في هذه السَّنَة وإعلان الجمهورية الإسلامية.

Glossaire (فرنسي - إنجليزي - عربي)

Français	English	عربي
Actes de waqf	Waqf deeds	الوَقْفِيّات
Ais	Board	لَوْحٌ خَشَبي
Arsenic	Arsenic	زَرْنيخ
Azurite	Azurite	أَزُوريت
Artisans du livre	Craftsmen	صُنّاعُ الكتاب
Ateliers	Workshops	الوِرَش
Bec, extrémité de la plume	Nib	سِنُّ القَلَم
Bifeuillet (bifolio)	Bifolium	وَرَقَةٌ مُزْدَوَجة (كُرّاس ذو أربع صَفَحات)
Billon (s)	Ridge	الجِذْر (الجُذُور)
Binion	Binion	كُرّاسٌ ثُنائي
Blanc de plomb	White lead	رَمادُ الرَّصاص/ الإسْفيداج
Bois de brésil	Brazil wood	خَشَبُ البَقَّم
Brunissage	Burnishing	صَقْل
Brunissoir	Burnisher	مِصْقَلَة
Cachets	Seals	أَخْتام
Cadre de justification	Writing zone	إطارُ التَّسْطير
Calligraphie	Calligraphy	خَطٌّ حَسَن / خَطٌّ مُجَوَّد
Calligraphe	Calligrapher	خَطّاط
Certificat de lecture	Reading certificate	إجازةُ قِراءة
Chanvre	Hemp	قِنَّب
Charnière(s)	Hinge	مُفَصَّلَة (مُفَصَّلات)
Chenille(s)	'Caterpillar' stamping tool	سُرْفَة (سُرُفات)
Chiffon(s)	Rag	خِرْقَة (خِرَق)
Chirodictique (écriture)	Chirodictic script	الكتابة المُعْتادَة
Chronogrammes	Chronograms	حِسابُ الجُمَّل/ تأريخٌ بالرُّموز
Ciselure	Incising	التَّرْصيع
Cochenille (rouge de)	Cochineal	أحمر قِرْمِزي
Codex	Codex	الكُوديكس (الكتاب الرأسي المُكَوَّن من كُرّاسات)
Codicologie	Codicology	عِلْمُ المَخْطُوطات (الكُوديكولُوجيا)
Codicologue	Codicologist	عالِمُ المَخْطُوطات
Collation	Collation	مُقابَلَة / عِراض
Colophon	Colophon	حَرْدُ مَتْن
Commanditaire	Patron or Sponsor	مُسْتَكتِب النسخة/ الآمر بكتابة النسخة
Commentaires	Commentaries	تَعْليقات
Compas	Compass	بِرْكار / ضابط
Copie	Copy	نُسْخَة
Copiste(s)	Copyist(s)	ناسِخ/ نُسّاخ
Côté chair	Flesh side	الجانِبُ اللَّحْمي للرَّق
Côté poil (fleur)	Hair sie	الجانِبُ الشَّعْري (الوَبَري) للرَّق
Couverture	Cover	غِلاف
Couvrure	Covering material	غِشاء
Cuir	Leather	جِلْد
Cuir gaufré	Leather gauffering	جِلْدٌ مَدْبُوغ بالكي
Cuir incisé	Incised leather	جِلْدٌ مُحَزَّز
Cursivité	Cursive style	الكتابَةُ السَّريعة
Cyperus papyrus L.	Cyperus papyrus L.	السُّعْد (نبات)
Datation	Dating	تأريخ
Datation par fractions	Dating by fractions	التأريخ بالكُسُور
Démariage de feuillets	Delamination	تَفْريخُ الأَوْراق
Dépareillés (feuillets)	Independant leaf	أوْراق غير مُتَجانِسَة
Dittographie	Dittography	التكرير الخاطئ لكلمة أو أكثر
Dorure	Gilding	تَذْهيب
Dos	Back	كَعْب
Double page	Double page	صَفْحَتان مُتقابلتان
Doublure	'Doublure'	بِطانَة
Ecaille	Tortoise shell	الفِلْس
Écharnage	Fleshing	كَشْط
Encadrement	Leaf inlaying	إطار
Encartage	Mounted one leaf in another leaf	وَصْل ورقة بورقة أخرى أو إدخال ورقة في ورقة أخرى

Encrier	Inkwell	مِحْبَرَة / دَوَاة
Enlumineur	Illuminator	مُزَيِّن
Enluminure	Illumination	تَزْيين / تَذْهيب
Epilation	Unhairing	نَتْف
Estampage à froid	Blind stamping	رَشْمٌ على البارِد
Estampage	Stamping	رَشْم
Estampe	Stamping tool	قالَب / نَقْش
Estampille(s)	Stamp	خاتم (أَخْتام)
Etui(s)	Book-case	قِرَاب (أَقْرِبَة)
Ex-Libris	Ex-Libris	خَوَارِجُ النَّصّ
Fascicule	Fascicle	جزء
Fers d'estampage	Stamping tools	حَديدُ النَّقْش
Feuille volante	Slip of paper	طَيَّارَة
Fibres	Fibers	أَلْياف
Fils de chaînette	Chain lines	الخُيُوطُ المسلسلة (أَسْلاكُ السِّلْسِلَة)
Folio / feuillet	Leaf	وَرَقَة
Fond	Spine fold	أرضية / خلفية
Fond de cahier	Guard	كَعْبُ الكُرَّاس
Fonds	Collection	رَصيد
Forme	Mould	قالَب
Frontispice	Frontispiece	سَرْلَوْح / سَرْلَوْحة
Galuchat	Shagreen	جِلْدُ السَّمَك
Gaufrage	Gauffering	دَبْغُ الجِلْد بالكي
Gloses	Glosses	حَوَاشي
Gomme adragante	Gum-dragon	صَمْغُ الكُثَيْراء
Gomme arabique	Gum-arabic	صَمْغٌ عربي
Gouttière	Gutter	الحافَةُ المواجهة للكَعْب / هامِشُ الطُّرَّة / صَدْرُ الكتاب
Grain de peau	Grain	مَلْمَسُ الجِلْد / حَبُّ الجلد
Gregory (règle de)	Gregory's law	قاعِدَةُ جريجوري
Haplographie	Hoplography	خطأ يتمثل في عدم كتابة مقطع لفظي أو كلمة يجب تكرارها إلَّا مرة واحدة

Indépendants (feuillets)	Independant leaf	أوراق مُسْتَقِلَّة
Indigo	Indigo	النِّيلَة
Interpolation	Interpolation	التَّصْحيف والتَّحْريف
Intervertion	Intervertion	القَلْب
Jade	Jade	حَجَر اليَشْب
Justification	Justification	المساحة المكتوبة من الصَّفحة
Lacune	Lacuna	سَقْط / نَقْص / خَرْم
Lapis - lazuli	Lapis lazuli	لازَوَرْد
Laque verte	Green lacquer	لَكٌّ أخْضَر
Les Veuves et les orphelines	Widows and arphans	الأرامِلُ واليَتَامى
Lettres non ponctuées	Unpointed letters	حُرُوفٌ مُهْمَلَة
Lettres ponctuées	Pointed letters	حُرُوفٌ مُعْجَمَة
Licence de transmettre	Autorisation to transmit	إجازَة
Ligne	Line	سَطْر
Livre-accordéon	Accordion-fold book	كتابٌ مَرْوَحي
Mandorle	Mandorla	هالَة
Manuscrit	Manuscript	مَخْطُوط (بعد ظهور الطِّباعَة)
Marcassite	Marcasite	مَرْقَشْيا
Marge supérieure	Upper margin	الهامِشُ العُلْوي
Marge de fond	Spine fold margin	هامشُ المُؤَخَّر
Marge de gouttière	Gutter margin	هامِشُ الطُّرَّة
Maroquin	Morocco	السِّخْتيان (جِلْد الماعِز المَدْبُوغ المُلَوَّن)
Marque de collation	Collation marks	بَلاغ
Marques de ponctuation	Punctuation marks	فَوَاصِل
Milieu de cahier (marque de)	Middle of quire (Mark of)	منتصف الكراس
Miniature	Miniature	مُنَمْنَمَة (تَصْويرُ المَخْطوطات)
Minium	Minium	أُكسيد الرَّصاص الأحمر
Mise en page	Page layout	إخْراجُ الصَّفْحَة
Mouchetage	Gold-sprinkling	التَّرْقيش

Moulin à papier	Paper mill	مَطْبَخُ وَرَق
Noir de fumée	Lampblack	سُخامُ الدُّخان
Notes	Notes	تَقاييد
Octonions	Octonions	كُرّاس ثماني
Onglet	Guard	زائِدَة
Ornementeur	Illuminator	مُزَوِّق
Ornementation	Ornamentation	تَزْويق
Orpiment Jaune	Yellow orpiment	زَرْنيخ أصْفَر (ثلاثي كبريتات الزَّرْنيخ)
Orpiment	Orpiment	أصْفَر الزَّرْنيخ
Paléographie	Palaeography	عِلْم تَطَوُّر الخَطّ
Palimpseste (s)	Palimpsest	طِرْس (طُرُوس)
Papiers 'coulés'	'Dripped' papers	الوَرَقُ المُقَطَّر
Papiers filigranés	Watermarked papers	وَرَقٌ ذو عَلامَة مائية
Papiers marbrés	Marbled papers	وَرَقٌ مُجَزَّع (إبْرو)
Papiers non filigranés	Unwatermarked papers	وَرَقٌ غير ذي عَلامَة مَائية
Papiers silhouettés	'Silhouette' papers	وَرَقٌ مُظَلَّل
Papyrologie	Papyrology	عِلْمُ البَرْديات
Papyrologue	Papyrologist	عالِمُ البَرْديات
Papyrus	Papyrus	بَرْدي
Parchemin	Parchment	رَقّ
Pendentif	Pendant	مُثَلَّث كُرَوي / دَلَّاية
Plaques d'écaille	Tortoise shell	صَفائِحُ الفِلْس
Plaques de jade	Jade-plates	صَفائِحُ حَجَر اليَشْب
Plat	Cover or Outer cover	دَفَّة (المُجَلَّد)
Plat inférieur	Upper cover	دَفَّة سُفْلى
Plat supérieur	Lower cover	دَفَّة عُلْيا
Pochoir	Stencil	مِرْسام
Pointe sèche	Hard point	سِنّ جاف / مِنْحَت
Ponctuation diacritique	Diacritical marks	إعْجام
Pontuseaux	Ribs	مِسْطَرَة
Préservateur	Guard	الوَاقي (كَعْب الكُرّاس)

Quaternions	Quaternions	كُرّاسٌ رُباعي
Quinions	Quinions	كُرّاسٌ خُماسي
Rabat	Flap or Fore - edge flap	صَدْر / مُقَدَّم / مَرْجِع
Réalgar	Reaglar	زَرْنيخ أحْمَر
Réclame	Catch word	تَعْقيبَة / رَقّاص
Recouvrement	Tongue flap	أُذُن / لِسان (مَرْجِع)
Recto	Recto	وَجْهُ الوَرَقَة
Rectrices	Guidelines	مُوَجِّهاتُ النَّصّ
Règle	Ruler	مِسْطَرَة
Réglure	Ruling	تَسْطير
Relief sur ficelle	Relief using cord	الخَيْطُ البارز
Relieur	Bookbinder	مُجَلِّد
Reliure à rabat	Flap binding	تَجْليد ذو أُذُن ولسان
Remplis	Turn-ins	ثَنْيَة
Roseau	Reed	بُوص
Rotuli (Rotulus)	Rotulus (rotuli)	الدَّرْج
Rubrication	Rubrication	تَحْمير / حُمْرَة (للعَناوين الفرعية)
Senions	Senions	كُرّاس سُداسي
Sillon(s)	Furrow	التَّلْم (التَّلْمات)
Singulions	Fore-edge	كُرّاس أحادي
Support	Writing surface	حامِل
Talon	Stub	عَقِب
Ternions	Ternions	كُرّاس ثُلاثي
Tranche	Fore-edge	حافَةُ الكتاب
Tranchefile	Headband	مَدْرَجَة
Transmission des textes	Transmission of texts	نَقْلُ النُّصوص
Vassali	Vassali	وَصْلُ وَرَقَة بوَرقة أخرى بلون مخالف عن طريق اللَّصْق
Vélin	Vellum	قَضيم
Vergeures (Fils)	Laid-lines	الخُيُوطُ المُمَدَّدَة (الأسْلاكُ النُّحاسية)
Vermillon	Vermilion	الزُّنْجُفْر (كبريتات الزِّئْبَق الأحمر)

ظَهْرُ الوَرَقَة	Verso	Verso
كُرَيْمَة (كُرَيْمات)	Vignette	Vignette (s)
زاج	Vitriol	Vitriol
اللُّفافَة	Volumen	Volumen

مُعْجَمُ المُصْطَلحات النَّوْعية (عربي ـ فرنسي)

إجازَة	Licence de transmettre
إجازَة قِراءَة	Certificat de lecture
أحمر قِرْمِزي	Cochenille (rouge de)
أخْتام	Cachets
إخْراجُ الصَّفْحَة	Mise en page
أُذُن / لِسان (مَرْجِع)	Recouvrement
الأرامِلُ واليَتامى	Les Veuves et les orphelines
أرضية / خلفية	Fond
أزُوريت	Azurite
أصْفَر الزِّرْنيخ	Orpiment
إطارُ التَّشْطير	Cadre de Justification
إطَار	Encadrement
إعْجَام	Ponctuation diacritique
أُكسيد الرَّصاص الأحمر	Minium
ألْياف	Fibres
أوراق غير مُتَجانِسَة	Depareilles (feuillets)
أوراق مُسْتَقِلَّة	Independants (feuillets)
بَرْدي	Papyrus
بِرْكار / ضابط	Compas
بِطَانَة	Doublure
بَلَاغ	Marque de collation
بُوص	Roseau
التأريخ بالكُسُور	Datation par fractions
تأريخ	Datation
تَجْليد ذو أُذُن ولسان	Reliure à rabat
تَحْمير / حُمْرَة (للعَناوين الفرعية)	Rubrication
تَذْهيب	Dorure
التَّرْصيع	Ciselure
التَّرْقيش	Mouchetage
تَزْويق	Ornementation
تَزْيين / تَذْهيب	Enluminure
تَسْطير	Réglure
التَّصْحيف والتَّحْريف	Interpolation
تَعْقيبَة / رَقَّاص	Réclame
تَعْليقات	Commentaires
تَفْريغُ الأوْراق	Démariage de feuillets
تَقاييد	Notes
التكرير الخاطئ لكلمة أو أكثر	Dittographie
التَّلْم (التَّلْمات)	Sillon(s)
ثَنْيَة	Remplis
الجانِبُ الشَّعْري (الوَبَري) للرَّق	Côté poil (fleur)
الجانِبُ اللَّحْمِي للرَّق	Côté chair
الجِذْر (الجُذُور)	Billon (s)
جزء	Fascicule
جِلْدُ السَّمَك	Galuchat
جِلْدٌ مُحَزَّز	Cuir incisé
جِلْدٌ مَدْبُوغ بالكي	Cuir gaufré
جِلْد	Cuir
حَافَةُ الكتاب	Tranche
الحافةُ المواجهة للكَعْب / هامِشُ الطُّرَّة / صَدْرُ الكتاب	Goutière
حَامِل	Support
حَجَر اليَشْب	Jade

Français	العربية
Fers d'estampage	حديدُ النَّقْش
Colophon	حَرْدُ المَتْن
Lettres ponctuées	حُروفٌ مُعْجَمَة
Lettres non ponctuées	حُروفٌ مُهْمَلَة
Chronogrammes	حِسابُ الجُمَّل/ تأريخٌ بالرُّموز
Gloses	حَواشي
Estampille(s)	خاتم (أخْتام)
Chiffon(s)	خِرْقَة (خِرَق)
Bois de brésil	خَشَبُ البَقَّم
Calligraphie	خَطٌّ حَسَن / خَطٌّ مُجَوَّد
Calligraphe	خَطَّاط
Haplographie	خطأ يتمثل في عدم كتابة مقطع لفظي أو كلمة يجب تكرارها إلّا مرة واحدة
Ex-Libris	خَوارِجُ النَّصّ
Relief sur ficelle	الخَيْطُ البارز
Fils de chainette	الخُيوطُ المسلسلة (أسْلاكُ السِّلْسِلَة)
Vergeures (Fils)	الخُيوطُ المُمَدَّدة (الأسْلاكُ النُّحاسية)
Gaufrage	دَبْغُ الجِلْد بالكي
Rotuli (Rotulus)	الدَّرْج
Plat	دَفَّة (المُجَلَّد)
Plat inférieur	دَفَّة سُفْلى
Plat supérieur	دَفَّة عُلْيا
Estampage à froid	رَشْم على البارِد
Estampage	رَشْم
Fonds	رَصيد
Parchemin	رَقّ
Blanc de plomb	رَمادُ الرَّصاص/ إسْفيداج
Onglet	زائِدَة
Vitriol	زاج
Réalgar	زَرْنيخ أحمر
Orpiment Jaune	زَرْنيخ أصفر (ثلاثي كبريتات الزَّرْنيخ)
Arsenic	زَرْنيخ
Vermillon	الزُّنْجُفْر (كبريتات الزِّئْبَق الأحمر)
Noir de fumée	سُخامُ الدُّخان
Maroquin	السِّخْتيان (جِلْد الماعِز المَدْبوغ المُلَوَّن)
Chenille(s)	سُرْفَة (سُرْفات)
Frontispice	سَرْلَوْح / سَرْلَوْحة
Ligne	سَطْر
Cyperus papyrus L	السَّعْد (نبات)
Lacune	سَقْط / نَقْص / خَرْم
Bec, extrémité de la plume	سِنُّ القَلَم
Pointe sèche	سِنّ جاف / مِنْحت
Rabat	صَدْر/ مُقَدَّم/ مَرْجِع
Plaques d'écaille	صَفائِحُ الفِلْس
Plaques de jade	صَفائِحُ حَجَر اليَشْب
Double page	صَفْحَتان مُتَقابِلتان
Brunissage	صَقْل
Gomme adragante	صَمْغُ الكُثَيْراء
Gomme arabique	صَمْغٌ عربي
Artisans du livre	صُنّاعُ الكتاب
Palimpseste (s)	طِرْس (طُروس)
Feuille volante	طَيّارَة
Verso	ظَهْرُ الوَرَقَة
Papyrologue	عالِمُ البَرْديات
Codicologue	عالِمُ المَخْطوطات
Talon	عَقِب
Papyrologie	عِلْمُ البَرْديات
Codicologie	عِلْمُ المَخْطوطات

Français	العربية
Paléographie	عِلْمُ تَطَوُّر الخَطّ
Couvrure	غِشاء
Couverture	غِلاف
Ecaille	الفِلْس
Marques de ponctuation	فَواصِل
Gregory (règle de)	قاعِدَةُ جريجوري
Estampe	قالَب / نَقْش
Forme	قالَب
Certificat de lecture	قراءة
Etui(s)	قِراب (أقْرِبَة)
Vélin	قَضيم
Intervention	القَلْب
Chanvre	قِنَّب
Livre-accordéon	كتابٌ مَرْوَحي
Cursivité	الكتابَةُ السَّريعة
Chirodictique (écriture)	الكتابة المُعْتادَة
Singulions	كُرّاس أحادي
Ternions	كُرّاس ثُلاثي
Binion	كُرّاسٌ ثُنائي
Quinions	كُرّاسٌ خُماسي
Quaternions	كُرّاسٌ رُباعي
Senions	كُرّاس سُداسي
Octonions	كُرّاس ثماني
Vignette (s)	كُرَيْمَة (كُرَيْمات)
Echarnage	كَشْط
Fond de cahier	كَعْبُ الكُرّاس
Dos	كَعْب
Codex	الكُوديكس (الكتاب الرأسي المُكَوَّن من كُرّاسات)
Lapis - lazuli	لازَوَرْد
Volumen	اللُّفافَة
Laque verte	لَكٌّ أخْضَر
Ais	لَوْحٌ خَشَبي
Pendentif	مُثَلَّث كُرَوي / دَلّايَة
Relieur	مُجَلِّد
Encrier	مِحْبَرَة / دَوَاة
Manuscrit	مَخْطوط (بعد ظهور الطِّباعَة)
Tranchefile	مُدْرَجَة
Pochoir	مِرْسام
Marcassite	مَرْقَشيا
Ornementeur	مُزَوِّق
Enlumineur	مُزَيِّن
Justification	المساحة المكتوبة من الصَّفحة
Commanditaire	مُسْتَكْتِب النسخة / الآمر بكتابة النسخة
Pontuseaux	مِسْطَرَة
Règle	مِسْطَرَة
Brunissoir	مِصْقَلَة
Moulin à papier	مَطْبَخُ وَرَق
Charnière(s)	مُفَصَّلَة (مُفَصَّلات)
Collation	مُقابَلَة / عِراض
Grain de peau	مَلْمَسُ الجِلْد / حَبُّ الجلد
Milieu de cahier (marque de)	منتصف الكراس
Miniature	مُنَمْنَمَة (تَصْويرُ المَخْطوطات)
Rectrices	مُوَجِّهاتُ النَّصّ
Epilation	نَتْف
Copiste	ناسِخ
Copie	نُسْخَة
Transmission des textes	نَقْلُ النُّصوص
Indigo	النِّيلَة
Mandorle	هالَة
Marge de gouttière	هامِشُ الطُّرَّة
Marge supérieure	الهامِشُ العُلْوي

هامش المُؤخَّر	Marge de fond
الوَاقي (كَعْب الكُرَّاس)	Préservateur
وَجْهُ الوَرَقَة	Recto
الوَرِش	Ateliers
وَرَقٌ ذو عَلامَة مائية	Papiers filigranés
وَرَقٌ غير ذي عَلامَة مائية	Papiers non filigranés
وَرَقٌ مُجَزَّع (إبْرو)	Papiers marbrés
وَرَقٌ مُظَلَّل	Papiers silhouettés
الوَرَقُ المُقَطَّر	Papiers ‘coulés’
وَرَقَة	Folio / feuillet
وَرَقَةٌ مُزْدَوَجَة (كُرَّاس ذو أربع صَفَحات)	Bifeuillet (bifolio)
وَصْلُ ورقة بورقة أخرى أو إدخال ورقة في ورقة أخرى	Encartage
وَصْلُ وَرَقَة بوَرقة أخرى بلون مخالف عن طريق اللَّصق	Vassali
الوَقْفِيّات	Actes de waqf

الرُّمُوز والاخْتِصَارات

I

BAV	=	المكتبة الرسولية الفاتيكانية – الفاتيكان
BL	=	المكتبة البريطانية – لندن
BnF	=	مكتبة فرنسا الوطنية – باريس
BNU	=	المكتبة الوطنية والجامعية – ستراسبورج
BRU	=	مكتبة جامعة ليدن – ليدن
BSB	=	مكتبة الدولة الباڤارية – ميونخ
BU	=	مكتبة الجامعة – بُولُونيا
BU	=	مكتبة الجامعة – ليبيج
BV	=	مكتبة الفاتيكان البابوية – الفاتيكان
CBL	=	مكتبة شيستربيتي – دَبْلن
FiMMOD	=	بطاقات المخطوطات الشَّرق أوْسطية المُؤرَّخة
HBB	=	مكتبة الغازي خسرو – سَرايِيڤو
IOT	=	معهد أبي الرَّيْحان البيروني للدِّراسات الشرقية – طَشْقَنْد
IOS	=	مَعْهَدُ الدِّراسات الشرقية – سان بُطْرُسْبُرْج
JNUL	=	المكتبة اليهودية الوطنية ومكتبة الجامعة – القدس
ÖNB	=	المكتبة الوطنية النمساوية – ڤيينا
SB	=	مكتبة الدَّوْلَة – برلين
TIEM	=	متحف الآثار التركية والإسلامية – إستانبول
TKS	=	متحف طوبقبوسراي – إستانبول
UB	=	مكتبة الجامعة – ليبتسج
UL	=	مكتبة الجامِعَة – برنستون
V & AM	=	متحف ڤيكتوريا وألبرت – لندن

II

ar.	=	arabe
art.	=	مادَّة
col.	=	عمود

etc.	=	إلخ
fig.	=	شكل
Ibid.	=	المرجع نفسه
illus.	=	شكل أو صورة
loc. cit.	=	الموضع السابق
n.	=	هامِش
n°	=	رقم
op. cit.	=	المرجع السابق
passim	=	في مواضع متعدِّدة
sic.	=	كذا
s.v.	=	تحت مادَّة